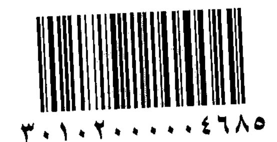
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القـــرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
الدراسات العليا



نواهد الأبكار وشوارد الأفكار

تأليـــف

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد

أبي الفضل جلال الدين السيوطي

من أول الكتاب إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة

دراسة وتحقيق:

أحمـــد حـــاج محمـــد عثـمان

الرقم الجامعي (٧- ٨٨٨٣- ١٤١٨)

رسالة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة لنيل درجة الدكتوراه

إشراف الأستاذ الدكتور

أميـــن محمد عطيـــة باشـــا

١٤٢٣- ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي): أحمد حاج محمد عثمان   كلية: الدعوة وأصول الدين   قسم: الكتاب والسنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة: دكتوراه   في تخصص: الكتاب والسنة

عنوان الأطروحة: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار تأليف عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد أبي الفضل جلال الدين السيوطي من أول الكتاب إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة. دراسة وتحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين   وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٠/٩/١٤٢٤هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: أ.د/ أمين محمد عطية باشا	الاسم: أ.د عبدالعزيز عزت عبدالحكيم	الاسم: أ.د زاهر عواض الألمعي
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع

يعتمد

رئيس قسم الكتاب والسنة

الاسم: د. مطر أحمد الزهراني

التوقيع:

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة ((نواهد الأبكار وشوارد الأفكار)) للعلامة الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي من أول الكتاب إلى آية (٢٠) من سورة البقرة دراسة وتحقيق . وهي عبارة عن حاشية وتعليق على تفسير ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) للقاضي أبي الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، لتسهيل التفسير على القراء ، وتقريبه على الدارسين ، وتذليله للمقتبسين منه .

وهي حاشية قيمة متعددة المصادر ، متنوعة المراجع قد استمدت من مئات المصادر في فنون العلم ، وأبواب المعرفة من التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلوم الحديث ، والفقه وأصول الفقه ، والعربية من لغة وأدب ونحو وصرف وبلاغة وغيرها ، معتنية بتخريج الأحاديث والآثار بنَفَس المحدث البصير بمدونات الحديث ، بحيث كان من بعده من المخرجين لأحاديثه وآثاره كالمناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي، والمحشين عليه كالشهاب الخفاجي في عناية القاضي وكفاية الراضي ، عالة عليه في هذا الباب ، مهتمة بالردود على الزمخشري والبيضاوي في أخطائهما العقدية وإساءاتهما الأدبية ، ولما كان تفسير ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) خلاصة تفسير ((الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل)) فإن حاشية السيوطي هذه حينئذٍ خلاصة حواشي الكشاف ، فكلاهما ـ الحاشية والمحشى عليه ـ خلاصة .

قسمت العمل عليها إلى قسمين : القسم الأول الدراسة ، وهي تشتمل على ثلاث أبواب : الباب الأول في ترجمة جلال الدين السيوطي ، ويشتمل على ست فصول . والباب الثاني : في دراسة الكتاب ، ويشتمل على ست فصول . والباب الثالث : في تفسير البيضاوي وحواشيه ، ويشتمل على فصلين . والقسم الثاني : في نص الحاشية المحقق وقد اعتمدت في تحقيقها على خمس نسخ خطية .

Bism Allah AlRahman AlRaheem

Abstract

The title of the thesis:

"Nawahid Al-Abkar wa Shawardi Al-Fikar"
Written by Abdel-Rahman Ibn Alfadl Jalal-eddin Al-asouti

This thesis is a study and a verification for the first "20" Ayat of Sourat Al-baqarah, presenting an explanation and commentary on Tafseer "Anwar Al-Tanzeel we Asrar Al-Taweel", making it easy for readers, close to studies as well as its support verses for quoters.

It is a valuable explanation of multi-sources and types. References in obtained from hundreds of sources in arts of Ilm and Inlets of knowledge dealing with Tafseer, Oloum Al-Quran, Al-hadeeth, Al-Fiqh, Osoul Al-Fiqh, Arabic Lanuage. Literature, Grammar ...etc. Caring for extraction of the Ahadeeth and quotations by the same insight person as in Hadeeth scripts, such as those after him of the hadeeth extractors, quoters and explainer were replying on his working in the chapter. Catering for replies to Al-zamakhshari and Al-Baydawi in their believe mistakes, insults and impoliteness.

Since, Tafseer "Anwar Al-Tanzeel and Asrar Al-Taweel", is a summary of ((-Kash'shaf and Haqaia Al-Tanzeel wa Oyoun Al-Aqaweel)), it is then a summary of Al-Jash'shaf explanations; so both of them-are summaries.

The working on the thesis is divided into two sections. The first section study which has three chapters; the first chapter for Jalal-eddin Al-Syouti's translation. The second chapter for the study of the book. The third chapter is for Tafseer Al-Baydawi and its explanations.

The second section was alooted for verification of the of the original explanations. I based its verification on five hand scripts.

المقدمة

مقدمـــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومـــن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعـد :

فإن الله سبحانه وتعالى شاء في سابق علمه ، وقضى في ماضي قدره أن يرحـم هذه الأمة ، فأنفذ قضاءه ، وأبرم قدره ، فلَطَف بها ورحمها ، واختارها على غيرهـا من الأمم ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس ، وأكرمها عليه ، منة منه وفضلا.

قال الله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ وروى معاوية بـن حيـدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أنتم توفـون سـبعين أمـة أنتـم آخرهـا ، وأكرمها على الله))[1].

وأرسل إليها أفضل رسله ، وأكرم أنبيائه عليه ، قال الله تعـالى ﴿ وكـان فضـل الله عليك عظيما ﴾ وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و لا فخر) [2].

وأنزل على رسوله إليها أفضل كتبه ، وأحسن حديثه دُستوراً للأحكام الشـرعية الخالدة ، وقانوناً للأصول الدينية الثابتة على مـر الدهـور والأعـوام ، وكـر الليـالي والأيام قال الله تعالى ﴿ الله نزَّل أحسن الحديـث كتابـاً متشـابهاً مثـاني ﴾ وجعلـه البلاغ المبين والخطاب الأخير والمخرج من ظلمات الكفر ، وحنـادس البـدع إلـى ضياء الإسلام ، ونور السنة فقال ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به ﴾[3] وقـال تعـالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ وفصل فيه كـل شـئ ، وبين فيه كل أمر مما يحتاج إليه المسـلمون فـي عقـائدهم وعبـاداتهم ومعـاملاتهم

(١) رواه أحمد ٥/ ٣ وابن ماجة ١/ ١٤٣٣ .

(٢) رواه أحمد ٢/ ٥٤٠ ومسلم ٤/ ٢٢٧٨ .

(٣) قال أبو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي وسئل : كل كتاب له ترجمـة ، فمـا ترجمـة كتـاب الله عز وجل ؟ قال : هذا بلاغ للناس ولينذروا به . منتقى من السفينة البغدادية لأبي طاهر السلفي ٧٥ .

فقال : ﴿ وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ وقال تعالى: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة ﴾ .

ومن أجل ذلك كان يقول عبد الله بن مسعود (أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شئ قد بين لنا في القرآن) ثم تلا هذه الآية[1] .

وقال أيضاً : (من أراد العلم فلينثر القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين)[2] وفي لفظ (من أراد العلم فليثور القرآن) قال الأزهري : وتثوير القرآن قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه[3] .

وقال الشافعي : ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله جل ثناؤه الدليل على سبيل الهدى فيها ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ﴾[4] .

أنزل الله هذا الكتاب على قلب رسوله ، وكفل له أن يجمعه له في صدره ، ويُثبته فيه ويبين له فقال ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ وقال ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا بيانه ﴾ وأنزله من كتابه منزلة البيان والتفسير له فقال : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدي هذا القرآن إلى أصحابه ، ويفسر لهم معانيه بلسانه وحاله ، ويبلغهم بيانه كما يبلغهم ألفاظه ، ولذا قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن[5] .

وعلى ذلك فتفسير كتاب الله وتبيين معانيه وتوضيح مقاصده ومطالبه أصل الأصول ، وأفضل العلوم ، وأم المعارف الدينية ، اجتمعت له جهات الشرف والفضل ، وهي شرف الموضوع ، وشرف الغرض ، وشدة الحاجة إليه . أما شرف الموضوع فلأن موضوعه كتاب الله ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، وأما شرف الغرض فلأن الغرض من التفسير هو الفهم عن الله في كتابه ، ثم العمل بمقتضاه ، و لا شرف فوق هذا الشرف . وأما شدة الحاجة إليه فلأن كل العلوم

---

(١) جامع البيان ١٤/ ٣٣٤ .

(٢) كتاب القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ٨٤ .

(٣) تهذيب اللغة ١٥/ ١١٠ .

(٤) الرسالة ٢٠ .

(٥) رواه النسائي في التفسير ٢/ ٩٦ .

الشرعية ، والمعارف الدينية متوقفة على العلم بكتاب الله توقف الفروع على الأصول .

دعا الله سبحانه وتعالى عباده إلى تدبر كتابه ، وتفهم معانيه ، وتعقل مضامينه ، حتى يتسنى لهم امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والاتعاظ بمواعظه ، والتذكر بأمثاله ، والاعتبار بقصصه ، فإن العمل به فرع العلم به ، فقال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ .

وأثنى على عباده الذين يتلون كتابه ، يتلون ألفاظه ، ويتلون معانيه ويعملون به، ووعدهم تجارة رابحة فقال : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ :

قال الإمام ابن القيم : والمقصود التلاوة الحقيقية ، وهي تلاوة المعنى واتباعه تصديقاً بخبره ، وائتماراً بأمره ، وانتهاء عن نهيه ، وائتماماً به ، حيث ما قادك انقدتَّ معه فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه ، وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ[1] .

وامتن على عباده ممن آتاهم الفهم في القرآن ، والفقه في معانيه فقال ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا ﴾ قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: (يعني المعرفة بالقرآن ، وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه ، وأمثاله[2] .

كان الصحابة يتلقون القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتعلمون منه معانيه كما يتعلمون منه ألفاظه ، وكانوا يجتهدون في تعلم ألفاظه ومعانيه والعمل به أي اجتهاد ، ولم يكن من منهجهم حفظ ألفاظه أولاً ، ثم تفهم معانيه ومقاصده ثانياً ، بل يجمعون بين حفظ ألفاظه ، وفهم معانيه ، والعمل به .

قال عبد الله بن مسعود : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن[3] .

ولذا كان بعضهم كعبد الله بن عمر يمكث في سورة البقرة ثمان سنين

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٠٣ .

(٢) جامع البيان ٥/ ٩ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢/ ٥٣١ .

(٣) رواه أحمد في المسند٥/ ٤١٠ والطبري في جامع البيان ١/ ٧٤ .

يتعلمها[1] يمكث هذه المدة في تعلم هذه السورة التي يستظهرها الغلام في هذه الأعصار في شهرين أو ثلاثة ، ولم يمكث في حفظ ألفاظها فحسب ولكنه مكث في استظهار ألفاظها ، والتأمل في معانيها ، وإتقان العمل بها .

وكانوا يقدرون قدركتاب الله وتفهمَ معانيه ، وتعقلَ مضامينه ولو كلفهم ذلك تحمل مشاق الأسفار ، ومتاعب الرحلات ، وقطع الفيافي ، ومفارقة الأهل والديار، فهذا عبد الله بن مسعود يقول : (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، و لا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)[2].

وروى عبد الله بن بريدة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو أني أعلم أني إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلت[3].

ثم تلقى التابعون من الصحابة رضي الله عنهم تفسير كتاب الله ، فنبغ منهم نابغون في التفسير وعلوم القرآن ، وبدأ عهد جديد على أيديهم في التفسير ، ومرحلة حديثة ، وهي مرحلة تدوين تفسير كتاب الله حيث ألف كثير منهم في التفسير ، ودونوه في مؤلفات فيه ، كتفسير الحسن بن أبي الحسن البصري ، وتفسير مجاهد بن جبر ، وتفسير عكرمة مولى ابن عباس ، وتفسير زيد بن أسلم العدوي ، وتفسير أبي العالية الرياحي ، وتفسير الضحاك بن مزاحم ، وتفسير شبل بن عباد ، وغيرهم .

ولم يخل قرن من القرون من بقايا من أهل العلم بكتاب الله وتفسيره ، يفسرون كتاب الله ، ويبينون معانيه للأمة ، رغبة فيما عند الله من جزيل ثوابه ، وعظيم أجره لحملة كتاب الله المبلغين عن الله معاني كتابه ، حتى برز في القرن الخامس الهجري فخر خُوا رزم نزيل مكة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، وكان من العلماء الذين ألقت إليهم البلاغة مقاليدها ، ورمت إليهم الفصاحة زمامها ، فطلبت إليه طائفته المعتزلة أن يؤلف لهم مؤلفاً في التفسير ، فألف تفسيره (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

---

(١) رواه مالك في الموطأ ١/ ٢٠٥ .

(٢) رواه البخاري ٤/ ١٩١٢ ومسلم ٤/ ١٩١٣ .

(٣) رواه أبو بكر ابن الأنباري في كتاب إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١٢٦ وانظر الإتقان ٢/ ١٧٥ .

التأويل) فاستحسن العلماء هذا التفسير ، وتداولوه فيما بينهم وأمدوا تفاسيرهم منه من جهة فوائده العلمية ، وفرائده الأدبية ، ونكته البلاغية ، واستقبحوه أيضاً من جهة إساءاته الاعتزالية ، وضلالاته القدرية ، فأراد القاضي أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي أن يرأب هذا الصدع ، ويسد هذه الثغرة ويصلح ما أفسده الزمخشري فاختصر الكشاف في تفسيره (أنوار التنزيل بأسرار التأويل) وأضاف إليه من غير الكشاف فرائد من تفسيري فخر الدين الرازي ، والراغب الأصبهاني فانتشر تفسيره هذا وشرّق وغرّب ، وأنجد وأتهم ، وكثرت التعليقات عليه والتحشيات ، ومن بين تحشياته حاشية أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المسماة بـ (نواهد الأبكار وشوارد الأفكار) وقد وقع عليها الاختيار لدراستها وتحقيقها ، وعقدت العزم على دراسة وتحقيق القسم الأول منها ، من أول القرآن إلى آخر الآية العشرين من سورة البقرة ، والسبب الرئيس في اختيارها تميزها عن سائر حواشي تفسير أنوار التنزيل التي اطلعت عليها من جهة حسن تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير أنوار التنزيل ، حتى كان المخرجون لأحاديثه والمحشون عليه عالة عليها في تخريج الأحاديث والآثار ، ومن جهة غنائها بوفرة المصادر وثرائها بكثرة المراجع التي أكسبتها تميزاً عن غيرها ، وأسبغ عليها قيمة علمية ، ومن جهة الاعتناء بالردود على أخطاء الزمخشري والبيضاوي العقدية ، والأدبية .

وكانت خطة الدراسة والتحقيق عبارة عن مقدمة وقسمين ، وخاتمة ، وفهارس.

القسم الأول في ثلاث أبواب : الباب الأول في : ترجمة جلال الدين السيوطي ، ويشتمل على فصول : الفصل الأول : اسمه ونسبه ، ومولده ووفاته .

الفصل الثاني : نشأته وطلبه للعلم ورحلاته وشيوخه .

الفصل الثالث : تلاميذه .

الفصل الرابع : مكانته العلمية .

الفصل الخامس : مؤلفاته .

الفصل السادس : ملاحظات في حياة السيوطي العلمية والعملية .

الباب الثاني : في دراسة الكتاب ، ويشتمل على فصول :

الفصل الأول : اسم الكتاب ، وتوثيق نسبته إلى المؤلف ، والدافع إلى تأليفه .

الفصل الثاني : منهج المؤلف في الكتاب .

الفصل الثالث : قيمة الكتاب العلمية .

الفصل الرابع : مصادر الكتاب .

الفصل الخامس : المؤاخذات على الكتاب .

الفصل السادس : نسخ الكتاب الخطية والمقارنة بينها ، وبيان منهج التحقيق .

الباب الثالث : في تفسير البيضاوي وحواشيه ، ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : تفسير البيضاوي وأهميته .

الفصل الثاني : الحواشي التي علقت على تفسير البيضاوي .

القسم الثاني : الكتاب المحقق .

والخاتمة : وهي النتائج التي تراءت لي أثناء البحث والتحقيق .

والفهارس العامة وهي فهرس الآيات ، وفهرس الأحاديث والآثار ، وفهرس الأشعار ، وفهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

ثم إني أشكر الله سبحانه وتعالى على آلائه الجزيلة ونعمه العظيمة التي منها تيسيره لي جوار بيته ، وتسهيله لي سبل طلب العلم .

ثم أشكر هذه الجامعة التي رعتنا خير رعاية ، ووفرت لنا ما نتمكن به من طلب العلم ، فجزى الله القائمين عليها عنا خير الجزاء ،كما أشكر كلية الدعوة وأصول الدين وعميدها والقائمين عليها ، ثم أشكر فضيلة الدكتور المشرف على هذه الرسالة على توجيهاته الطيبة وإرشاداته الخيرة . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القسم الأول

الدراسة

الباب الأول في : ترجمة جلال الدين السيوطي

الفصل الأول :

اسمه ونسبه ومولده ووفاته

هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخُضيري الأسيوطي .

هكذا ساق المؤلف نسبه في كتاب التحدث بنعمة الله [1]، وقال : وأما الخضيري ـ وهو بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين مصغراً ـ فلا أتحقق ما تكون إليه هذه النسبة وعجزت في نسبتي ونسبة آبائي وأجدادي فلم أتيقن لماذا هي ، إلا أني رأيت في كتب البلدان والأنساب أن الخضيرية محلة ببغداد ، وحدثني من أثق به أنه سمع أبي يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً ، أو من الشرق ، فلا يبعد أن تكون النسبة إلى المحلة المذكورة .

ويظهر أن السيوطي لم يقتنع بقول الثقة الذي سمعه ، فيرى أنه من السلالة العربية بل ربما يرى أن له نسباً إلى بيت النبوة وإن لم يفصح بذلك ، قال في معرض الجواب عن تعيير ابن الكركي السيوطي بأمه الجركسية : وقولك : إن والدتي أجدادها من الفرس لأنها جركسية تنقص بذلك وتذم ، جوابه : أن النسب إلى الآباء ، لا إلى أجداد الأم ، وقد نص العلماء على أن أغلب نجباء الأمة وكبرائها أولاد سراري ، وألفت في ذلك كتاباً سميته ((النجوم الدراري)) وقالوا : إن الولد المتولد بين العربي والعجمية أنجب ، لأنه يجمع عز العرب ودهاء العجم ، وهو أبهى منظراً ، وأعظم خلقاً وأعجب ، ووالدي من خيار العرب من سلالة الصحابة ، وربما قيل أكثر من ذلك ، والصمت عنه أقرب إلى الإصابة [2].

ولد جلال الدين السيوطي رحمه الله ليلة الأحد بعد المغرب مستهل رجب

---

(١) ص ٦٥ .

(٢) شرح مقامات السيوطي ٢/ ٧٣٦ .

سنة تسع وأربعين وثمانمائة [١]. وعاش إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً

وتوفى سحر ليلة الجمعة تسع عشرة جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، ودفن بباب القرافة في قبر والده الشيخ كمال الدين [٢].

---

(١) كتاب التحدث بنعمة الله ٣٢ .

(٢) بهجة العابدين ٢٥٧ .

الفصل الثاني :

نشأته ، وطلبه للعلم ، ورحلاته ، وشيوخه

لما بلغ جلال الدين سن التمييز أدخله والده الكتاب ، وحين بلغ سورة التحريم وله من العمر خمس سنين وسبعة أشهر توفى والده ، وكان والده وصاه إلى أحد أصدقائه العلامة الفقيه كمال الدين بن الهمام الحنفي فأحسن القيام عليه ، وقرره في وظيفة تدريس الفقه بالجامع الشيخوني فناب عنه تلميذ والده العلامة فخر الدين بن مصيفح ، رزق الله السيوطي بحفظ وثاب ، وذكاء وقاد ، فأكمل حفظ القرآن وله من العمر دون ثمان سنين ، ثم توجه إلى طلب العلم بحفظ المتون فحفظ عمدة الأحكام ، ومنهاج النووي ، وألفية ابن مالك ، ومنهاج البيضاوي ، وبحفظ هذه المتون واستظهارها وقعت في يده ثروة علمية في الحديث والفقه والأصول والنحو ، ثم عرض هذه المحفوظات على شيخ الإسلام علم الدين البلقيني ، وشيخ الإسلام شرف الدين المناوي ، وقاضي القضاة عز الدين الكناني الحنبلي .

ثم شمَّر عن ساعد الجد ، وجد في التحصيل ، ودأب في الطلب فقرأ الفرائض والحساب والجبر والمقابلة على المعمر شهاب الدين بن علي بن أبي بكر الشارمساجي الشافعي ، وكان بلغ مائة وثلاثين سنة .

وقرأ على الشيخ شمس الدين محمد بن موسى الحنفي صحيح مسلم ، و الشفا للقاضي عياض ، وألفية ابن مالك قراءة بحث ودراية ، وقرأ على الشيخ شمس الدين الحنفي خازن الكتب بالجامع الشيخوني الكافية وشرحها لابن الحاجب ، ومقدمة إيساغوجي في المنطق وشرحها للكاتي ، وقطعة من الكتاب لسيبويه ، والشافية وشرحها للجابردي ، وألفية العراقي .

ولزم دروس شيخ الإسلام علم الدين البلقيني ، فقرأ عليه قطعاً من كتب التدريب في الفقه ، والحاوي الصغير ، والمنهاج ، والتنبيه ، والروضة .

ولزم دروس شيخ الإسلام شرف الدين أبي زكريا يحيى بن محمد المناوي قاضي القضاة ، فقرأ عليه المنهاج للنووي ، وشرح البهجة ، وتفسير البيضاوي .

وحضر دروس العلامة محقق الديار المصرية الشيخ سيف الدين محمد بن محمد الحنفي سماعاً لا قراءة ، فسمع عليه تفسير الكشاف ، والتوضيح لألفية بن مالك لابن هشام ، وشرح شذور الذهب له ، وتلخيص المفتاح في البلاغة ، وهي دروس إليها المنتهى في التحقيق والتؤدة . وحضر دروس العلامة أستاذ الأستاذين

محيى الدين محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي فأخذ عنه الفنون قراءة وسماعاً في التفسير ، والحديث ، وأصول الدين ، وأصول الفقه ، والعربية وسمع عليه الكشاف والمغني لابن هشام ، وتفسير البيضاوي ، وكثيراً من مؤلفات الكافيجي ، وكان مدة ملازمته له أربع عشرة سنة .

وحضر أيضاً دروس الشيخ الإمام تقي الدين أحمد بن محمد الشمني فقرأ عليه الحديث ، والعربية ، والمعاني ، وقطعة من المطول لسعد الدين التفتازاني ، والتوضيح لابن هشام ولم يترك دروسه حتى مات .

وبدأ يؤلف ويصنف وهو في مرحلة الطلب ، فألف في سنة خمس وستين وثمانمائة كتابين : شرح الاستعاذة والبسملة ، وشرح الحوقلة والجيعلة ، وكتب شيخ الإسلام البلقيني له عليهما تقريظاً ، وألف شرحاً على ألفية ابن مالك ، فكتب تقي الدين الشمني له عليه تقريظاً . وتجاوز إلى العلوم التجريبية فقرأ على الشيخ مجد الدين إسماعيل بن السباع علم الميقات ، وهو من علوم الفلك ، وعلى رجل من الروم يسمى بمحمد بن إبراهيم الشرواني كتاباً في الطب من تأليف عز الدين ابن جماعة .

ثم حبب إليه الحديث بعد ما تصدر للتدريس وألف المؤلفات ، فابتدأ في السماع وتحصيل الإجازات ، ورحل كما كان يرحل المحدثون في طلب الحديث إلى الحجاز سنة تسع وستين وثمانمائة فحج وسمع بمكة وألف رسالة جمع فيها فوائد الرحلة وشيوخ الرواية سماها ((النحلة الزكية في الرحلة المكية)) ثم رجع إلى القاهرة ، فأنشأ رحلة أخرى داخل مصر إلى دمياط والإسكندرية ، وألف رسالة أخرى جمع فيها فوائد هذه الرحلة سماها ((الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط)) ولما رجع عن هذه الرحلة انتقل تماماً من مرحلة الطلب إلى التدريس والتعليم وذلك سنة سبعين وثمانمائة [1] .

وهؤلاء المشايخ الذين قرأ عليهم جلال الدين السيوطي أو أجازوا له كثيرون ، بلغوا ستمائة نفس ، قد جمع أسماءهم وتراجمهم في معاجم ثلاثة : المعجم الكبير، ويسمى حاطب ليل وجارف سبيل ، والمعجم الصغير ، ويسمى : المنتقى ،

---

(١) ملخص من كتاب التحدث بنعمة الله ٤١ ٨٨ وبهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين ٦٤ ٨٠ .

والمنجم في المعجم [1]. وقد وصلنا المنجم في المعجم ، ترجم فيه لأعيان شيوخه ، فالتقط منه تراجم عشرة من أشهر شيوخه ، وهم :

البلقيني :

صالح بن عمر بن رسلان قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، علم الدين ، أبو التقى ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبي حفص ، ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، أخذ الفقه عن والده ، وحضر إملاء الحافظ زين الدين العراقي ، تفرد بعلو سلسلة الفقه ، فإنه كان آخر من بينه وبين الشافعي أربعة عشر نفساً ، وله تصانيف ، منها : تفسير القرآن في اثني عشر مجلداً ، والكشاف ، و أجازني بالتدريس والإفتاء ، وحضر تصديري بالجامع الشيخوني وكتب لي تقريظاً على مؤلفين من تصنيفي [2]، وسمعت عليه رواية الكثير من الصحيحين ، و الشفا . توفى يوم الأربعاء خامس رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة[3].

نجم الدين بن فهد :

عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي نجم الدين أبو القاسم ابن شيخنا الحافظ تقي الدين أبي الفضل ، ولد ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة ، لازم الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين كثيراً، والحافظ برهان الدين الحلبي، ورحل وبرع في الفن ، وأفنى عمره في هذا الشأن ، وخرج ، وجمع عدة مجاميع وكثير من ما في معجمي هذا من فوائده ، خصوصاً تراجم المكيين ، توفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة [4].

الشمني :

أحمد بن محمد بن محمد تقي الدين أبو العباس الشمني الحنفي ، ولد بالإسكندرية سنة إحدى وثمانمائة ، برع في الفنون ، وصنف التصانيف الحسنة الجليلة ، لازمت الشيخ مدة سنتين في الرواية والدراية ، وقرأت عليه وسمعت رواية الكثير مما هو مبين في فهرستي وأقام على نشر العلم ونفع الناس، والانقطاع

---

(١) أنظر : حسن المحاضرة ١/ ٣٤٤ وبهجة العابدين ٢٥٣ .

(٢) وهما شرح الاستعاذة والبسملة ، وشرح الحيعلة والحوقلة . كتاب التحدث بنعمة الله ١٣٧ .

(٣) المنجم في المعجم ١٢٦ .

(٤) المصدر السابق ١٥٩ .

إلى الله إلى أن مات سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة [١].

جلال الدين المحلي :

محمد بن أحمد بن محمد شيخ الإسلام جلال الدين المحلي الشافعي ، ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وتقدم في الفنون فقهاً وأصولاً ونحواً ، وصار أوحد عصره في العلم والتحقيق والدين والصلاح ، توفي سنة أربع وستين وثمانمائة [٢].

ابن إمام الكاملية :

محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشيخ كمال الدين ابن إمام الكاملية ولد سنة ثمان وثمانمائة ، سمعت منه أشياء ، وألف شرح منهاج البيضاوي ، وشرح الورقات ، توفي سنة أربع وسبعين وثمانمائة [٣].

ابن قطلوبغا :

قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله زين العابدين أبو العدل الحنفي ، ولد سنة اثنتين وثمانمائة ودأب في العلم وبرع فيه ، وشاع واشتهر صيته ، وألف التصانيف الحسان ، كتب شيئاً من تأليفي المسمى التحبير في علم التفسير ، توفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة[٤].

محب الدين الطبري :

محمد بن محمد بن محمد محب الدين أبو المعالي الطبري ، إمام مقام إبراهيم، ولد سنة سبع وثمانمائة بمكة ، وولي إمامة المقام إلى أن مات ، وولي قضاء الشافعية ، توفي سنة أربع وتسعين وثمانمائة [٥].

شرف الدين المناوي :

يحيى بن محمد بن محمد شرف الدين أبو زكريا قاضي القضاة شيخ الإسلام ، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، لازم الشيخ ولي الدين العراقي ، وتخرج به في الفقه والأصول ، وانتهت إليه رئاسة الفقه بآخره ، توفي سنة إحدى وسبعين

---

(١) المصدر السابق ٨٢ .

(٢) المصدر السابق ١٧٧ .

(٣) المصدر السابق ٢٠٥ .

(٤) المصدر السابق ١٦٦ .

(٥) المصدر السابق ٢٠٨ .

وثمانمائة [1].

الكافيجي :

محمد بن سليمان بن مسعود محيى الدين أبو عبد الله الكافيجي الحنفي ، ولد سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وتوفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة [2].

جلال الدين ابن الملقن :

عبد الرحمن بن علي بن عمر جلال الدين أبو هريرة بن الشيخ نور الديــن أبــي الحسن بن سراج الدين أبي حفص ابن الملقن ، ولد سنة تسعين وسبعمائة ، وسمع على ابن أبي المجد غالب صحيح البخاري ، توفى سنة سبعين وثمانمائة [3].

---

(١) المصدر السابق ٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق ١٨٣ .

(٣) المصدر السابق ١٣٩ .

الفصل الثالث :

تلاميذه

ولما قوي ساعده في العلم ، ورسخت قدمه فيه انتصب للتدريس وإفادة الطلاب ونشر العلم فاجتمع عنده جمهرة من الطلاب تلقوا عنه العلم ، وسمعوا منه، وتناسخوا كتبه وتداولوها بينهم . قال المؤلف : ثم لما رجعت من هذه الرحلة انتصبت للتدريس ، وذلك من شوال سنة سبعين (وثمانمائة) فلم أرد طالباً ، لا مبتدئاً و لا فاضلاً [(١)].

وقد قسم تلاميذه إلى ثلاث طبقات بحسب تقبل العلم والعمل به ، فقال : أخذ عني ثلاث طبقات :

١ ـ طبقة أولى : كانت خيراً صرفاً ديناً وفضلا وصدقاً وعزماً ، فحياها الله وبياها ، وأسبغ عليها رحمته مماتها ومحياها ، وأمطر عليها سحائب فضله .

٢ ـ طبقة ثانية : تعرف وتنكر ، وتذم وتشكر ، وهذه يحمل أمرها ، ويروج سعرها ، ويخفف إصرها .

٣ ـ ثم جاءت طبقة ثالثة : الله أكبر ! ما أكثر شرها ، وأكبر حرها ، وأشد إصرها ، وأنكر أمرها ، وأعظم إمرها ، وأقوى فجورها ، وأوفى كذبها وبهتانها وزورها ، عظيمة السفه والجهل ، ليست للعلم و لا للحلم بأهل[(٢)].

واشتهر من بينهم هؤلاء المترجمون هنا ، وترجم المؤلف لاثنين منهما ، وهما:

القيمري :

الشيخ بدر الدين حسن بن علي القيمري ، أحد العلماء البارعين في الفرائض والحساب والعروض والميقات ، وأحد الفضلاء المشاركين في الفقه والعربية ، فلزمني عشر سنين ، وقرأ علي الكثير من كتبي وغيرها [(٣)].

الأنصاري :

الشيخ سراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري ، شيخ القراء ، لزمني إلى الآن عشرين سنة ، وكتب من مصنفاتي المطولة وغيرها جملة وافرة ، وقرأ علي أكثر ما

---

(١) كتاب التحدث ٨٨ .

(٢) شرح مقامات السيوطي ٢/ ١٠٠١ .

(٣) كتاب التحدث بنعمة الله ٨٨ .

كتبته[1].

الداودي :

محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي ، محدث حافظ مفسر ، أخذ عن جلال الدين السيوطي ، له طبقات المفسرين مطبوع ، وترجمة جلال الدين السيوطي ، طبع منه قطعة ، توفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة [2].

الصالحي :

محمد بن يوسف بن علي شمس الدين أبو عبد الله الشامي الصالحي ، محدث حافظ مؤرخ ، ولد في صالحية دمشق ، من تصانيفه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، مطبوع ، والإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف مخطوط ، توفى سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة [3].

الشاذلي :

عبد القادر بن محمد بن أحمد الشاذلي المؤذن ، فاضل ، أخذ عن جلال الدين السيوطي ، له بهجة العابدين بترجمة الحافظ جلال الدين السيوطي ، مطبوع وشفاء المتعال بأدوية السعال [4].

ابن إياس :

محمد بن أحمد بن إياس أبو البركات باحث مؤرخ ، وكان من تلاميذ جلال الدين السيوطي ، له تاريخ بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطبوع ، توفي سنة ثلاثين وتسعمائة[5].

---

(١) كتاب التحدث ٨٨ .

(٢) معجم المؤلفين ١٠/ ٣٠٤ و الأعلام ٦/ ٢٩١ .

(٣) معجم المؤلفين ١٢/ ١٣١ والأعلام ٧/ ١٥٥ .

(٤) معجم المؤلفين ٥/ ٢٩٨ والأعلام ٤/ ٤٣ .

(٥) معجم المؤلفين ٨/ ٢٣٦ والأعلام ٦/ ٥ .

الفصل الرابع :
مكانته العلمية

لقد شغل جلال الدين السيوطي بنفسه وبعلمه وبمؤلفاته ، فتحدث عنها كثيراً أصلاً وعرضاً في كثير من مؤلفاته وأثنى عليها ، وأبدأ وأعاد في ذلك ، وخصص لترجمته الذاتية ولمؤلفاته كتاب التحدث بنعمة الله ، وجزءاً من كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، وفهرس مؤلفاته ، وحكم بنفسه على خصومه، ولمؤلفاته على مؤلفات خصومه ، وادعى الاجتهاد المطلق ، ثم ترقى به الحال فادعى أنه المجدد المبعوث على رأس المائة التاسعة ، وأجتزئ ببعض مقالاته في ذلك عن كثير منها ، قال رحمه الله : ((ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقة ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ؛ على طريقة العرب والبُلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة . والذي أعتقده أن الذي وصلتُ إليه من هذه العلوم السبعة ـ سوى الفقه ـ والنُقول التي اطَّلعت عليها فيها ، لم يصل إليه و لا وقف عليه أحد من أشياخي ؛ فضلاً عمّن هو دونهم ، وأمّا الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخي فيه أوسع نظراً ، وأطول باعاً ؛ ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف ، ودونها الإنشاء ، والترسل والفرائض ، ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ودونها الطب ، وأمّا علم الحساب فهو أعسر شئ عليّ وأبعده عن ذهني ؛ وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله .

وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى ؛ أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً ، وأيّ شئ في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقليّة والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله ، لا بحولي و لا بقوتي)) (١).

وقال أيضاً : ((وأما الاجتهاد فقد بلغت ـ ولله الحمد والمنة ـ رتبه الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية ، وفي الحديث النبوي ، وفي العربية ، ورتبة الاجتهاد

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٨ .

في هذه الأمور كانت مجتمعة في الشيخ تقي الدين السبكي ، ولم تجتمع في أحد بعده إلا فيّ"[1] . وقال أيضاً : نحن الآن في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، ولم يجئ المهدي ، ولا عيسى ، ولا أشراط ذلك ، وقد ترجى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكونه هو المجدد على رأس المائة ، وما ذلك على الله بعزيز))[2] .

ولقد أغرت هذه الدعاوى بعلماء عصره عليه ، فخاض مع كثير منهم في خصومات عنيفة ، ومنازلات شديدة ، وملاحاة عنيدة ، ومطارحات أليمة ، تجاوزت حد المحاورات الكلامية ، وتسطير المهارق إلى استعداء السلطة ، وإغراء السوقة ، فتمخض ذلك عن موقفين وقف منه علماء زمانه ، وفريقين انقسم إليهما علماء عصره .

موقف فريق يثق به وبعلمه ، ويرى له منزلة عظمى ، ومكانة عليا ، ويمثل هذا الفريق معاصره عثمان بن محمد بن عثمان أبو عمرو الحافظ الديمي ، وتلامذته كمحمد شمس الدين أبي عبد الله الداوودي ، ومحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، وعبد القادر الشاذلي وعبد الوهاب الشعراني ، وجمهور كثير من خارج مصر ، وداخل مصر ، و لا أدل على ذلك من انتشار كتبه ، وورود الأسئلة والاستفتاءات عليه ، والثناء العاطر والمدح المطري المصاحب لذلك .

قال تلميذه محمد بن أحمد بن إياس : كان عالماً فاضلاً بارعاً في الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم ، وكان كثير الاطلاع ، نادرة في عصره ، بقية السلف وعمدة الخلف ، وكان في درجة المجتهدين في العلم والعمل[3] .

وقال تلميذه عبد القادر الشاذلي في كلام طويل الذيول في صفحات : ((شيخ الإسلام والمسلمين ، والداعي إلى رب العالمين ، إمام المحدثين في وقته ، والفائق على نظرائه ومشايخه وأقرانه ، والقائم بنصرة دين الله في سره وإعلانه ، والناصر للسنة الشريفة بقلمه ولسانه ، اجتمعت فيه شروط المجتهد وصفاته ، وكملت فيه علومه وآلاته وانفرد في زمانه بالاجتهاد[4] .

وقال تلميذه عبد الوهاب الشعراني : وكان الشيخ جلال الدين على قدم

---

(١) كتاب التحدث بنعمة الله ٢٠٥ .

(٢) المصدر السابق ٢٢٧ .

(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/ ٨٣ .

(٤) بهجة العابدين ١١٦ .

السلف الصالح من العلماء العاملين ، وكان من العارفين ، وقد كان له مكاشفات غريبة وخوارق وعلوم جمة ، ومصنفات جيدة كثيرة الفوائد[1].

والموقف الآخر موقف علماء آخرين أجلاء يشاطرونه المكانة ، ويناصبون له العداء و لا يرون له إجادة في التأليف ، و لا إحسانا في التصنيف ، بل يرمونه بالاختلاس لمؤلفات غيره ، والإغارة على مصنفاتهم ، منهم الإمام محمد بن عبد الرحمن شمس الدين أبو الخير السخاوي ت ٩٠٢ وعلي بن داود بن سليمان نور الدين الجوجري ت ٨٨٧ وإبراهيم بن موسى بن بلال الكركي ت ٨٥٣ .

قال السخاوي : ثم انجمع وتمشيخ وخاض في فنون خصوصاً هذا الشأن ، واختلس حين كان يتردد إلي مما عملته كثيراً ، كالخصال الموجبة للظلال ، والأسماء النبوية ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وموت الأبناء ، وما لا أحصره ، بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون ، فغير فيها يسيراً ، وقدم وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهول في مقدماتها بما يتوهم الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه)) [2].

وقال أيضاً : لو شرحت أمره لكان خروجاً عن الحد ، وبالجملة فهو سريع الكتابة ، لم أزل أعرفه بالهوس ، ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد في التشكي منه ، و لا زال أمره في تزايد من ذلك ، فالله تعالى يلهمه رشده[3].

قلت : ولست مخولاً للحكم لبعضهم على بعض ، و لا مؤهلاً لذلك ، ولكني أقول : رحم الله جميعهم ونفعنا بعلومهم وكتبهم ، وتجاوز عن جميعهم فيما أساء الأدب بعضهم على بعض ، وتجاوز عن مقارعة الحجة بالحجة ، ومقابلة الدليل بالدليل ، والنصح لله ولعباده إلى المهاترات السقيمة ، والمجادلات العقيمة ، و لا يصح قبول جملة أقوال بعضهم في بعض ، فإن معظمها من باب المعاصرة ، والمنافسة بين الأقران .

---

(١) تذييل الطبقات ٢٣٤ .

(٢) الضوء اللامع ٤/ ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٦٩ .

الفصل الخامس :

مؤلفاته

لقد أوتي جلال الدين السيوطي بسطة في العلم ، وتبحراً فيه ، وسعة في التأليف ، فهو يتصدر قائمة المكثرين من التأليف من علماء الإسلام ، ويصبح مضرب المثل في كثرة التصنيف ، ويصعب القطع برقم معين لمؤلفاته ، فقد اختلفت أقواله في عدد مؤلفاته ، ويرجع ذلك إلى اختلاف الفترة الزمانية التي قيد ذلك العدد فيها ، فقد قال في حسن المحاضرة : وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه [1]. وأوصل سرد مؤلفاته إلى ثلاثين وخمسمائة في كتابه التحدث بنعمة الله [2].

واختلفت أقوال المترجمين له أيضاً ، فقال تلميذه محمدبن أحمد بن إياس الحنفي : وبلغت عدة مصنفاته نحواً من ستمائة تأليف [3].

وقال تلميذه محمد بن علي شمس الدين أبو عبد الله الداودي : ومصنفاته نحو خمسمائة وأربعين مؤلفاً[4].

وقال تلميذه عبد الوهاب بن أحمد الشعراني : وله من المؤلفات أربعمائة وستون مؤلفاً [5].

وقال تلميذه عبد القادر بن محمد الشاذلي : وبلغت عدة ما أثبته من مصنفاته في فهرس مؤلفاته إلى وقت السياق نحو خمسمائة وخمسين مؤلفاً مما رق وراق[6].

ولعل هذا القول هو الأقرب إلى الواقع ، لاعتماده على ما أثبته السيوطي نفسه في فهرس مؤلفاته إلى الممات .

ويشكك شمس الدين السخاوي في هذه الأرقام الهائلة من مؤلفاته ، ويرى أن

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٣٣٨ .

(٢) ص ١٠٥ ١٣٦ .

(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/ ٨٣ .

(٤) ترجمة العلامة السيوطي لمحمد شمس الدين أبي عبد الله الداودي/ مجلة الدرعية عدد ١١ ص ٣٧٦ .

(٥) تذييل الطبقات / مجلة مؤتة للبحوث والدراسات مجلد ٨ عدد ٦ ص ٢٣٣ .

(٦) بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين ١١٨ .

بعضها لم يخرج إلى عالم الواقع ، ولكنه ما زال في عالم الخيال والمجازفة .

قال : فكل هذه تصانيف شيخنا (الحافظ ابن حجر) وليته إذ اختلس لم يمسخها ولو نسخها على وجهها لكان أنفع ، وفيها مما هو لغيره الكثير ، هذا إن كانت المسميات موجودة كلها ، و إلا فهو كثير المجازفة [١].

مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن :

لا أريد سرد مؤلفات السيوطي في هذا الفصل ، فإن ذلك تطويل بدون طائل[٢] ولكني أقتصر على ذكر مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن ، وآخذ ذلك من فهرس مؤلفاته ثم أعلق على ما أنقله من هذا الفهرس بما يناسب المقام ، فأقول :

ذكر في فهرس مؤلفاته في التفسير وتعلقات القرآن فقال :

١ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور اثنا عشر مجلداً كباراً[٣].

٢ ـ التفسير المسند ، ويسمى ترجمان القرآن . خمس مجلدات[٤].

---

(١) الضوء اللامع ٤/ ٦٨ قلت : عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع الأزهر الشريف ندوة عن الحافظ جلال الدين السيوطي ألقيت فيها بحوث ودراسات بأقلام مجموعة من الباحثين ، وكان من بين البحوث بحث قدمه الدكتور عدنان درويش مدير إحياء التراث العربي بوزارة الثقافة بدمشق بعنوان : اتهام الجلال السيوطي بين التبرئة والإدانة ، ذكر فيه أنه أراد أن يحقق رسالة لجلال الدين بعنوان : البيان في رياضة الصبيان وكانت بخط الإمام المحدث المؤرخ تلميذ السيوطي محمد جار الله بن عبد العزيز بن فهد ذكر أن هذه الرسالة إنما هي عبارة عن باب من كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، نقل السيوطي هذا الباب حرفاً حرفاً ، وكلمة كلمة ، وسماه بهذا العنوان ((البيان في رياضة الصبيان)) وادعاه لنفسه وذكر المحقق أن هذه الرسالة برهان على ما رمي به السيوطي من السطو في هذه البابة ، و أن دعوى السخاوي في بابة انتحال الكتب مما يعسر دحضه ودفعه . انظر الإمام جلال الدين السيوطي فقيهاً ولغوياً ومحدثاً ومجتهداً ١٢٥ - ١٤٥ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

(٢) ومن أراد استقصاء مؤلفاته فعليه بكتابه التحدث بنعمة الله ١٠٥ - ١٣٦ وكتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٣٣٩ - ٣٤٤ وفهرس مؤلفات السيوطي دراسة وتحقيق يحيى محمود ساعاتي مجلة عالم الكتب / المجلد الثاني عشر العدد الثاني ص ٢٣٢ - ٢٤٨ وفهرس مؤلفات السيوطي بتحقيق د . سمير الدروبي/ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني / العدد ٥٦ ص ١٦٩ ١٩٣ ودليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها تأليف أحمد الخازندار ، ومكتبة الجلال السيوطي تأليف أحمد الشرقاوي إقبال .

(٣) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٥ . طبع عدة طبعات تجارية .

(٤) حسن المحاضرة ٢/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٥ .

٣ ـ الإتقان في علوم القرآن . في مجلد ضخم[1] .

٤ ـ الإكليل في استنباط التنزيل[2] .

٥ ـ لباب النقول في أسباب النزول[3] .

٦ ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن[4] .

٧ ـ مفحمات الأقران في مبهمات القرآن[5] .

٨ ـ أسرار التنزيل . يسمى : قطف الأزهار في كشف الأسرار . كتب منه إلى آخر سورة براءة في مجلد ضخم[6] .

٩ ـ تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي الشافعي . وذلك من أول القرآن إلى آخر سورة الإسراء مجلد لطيف ممزوج[7] .

١٠ ـ تناسق الدرر في تناسب السور[8] .

١١ ـ حاشية على تفسير البيضاوي . تسمى ((نواهد الأبكار وشوارد الأفكار)) أربع مجلدات[9] .

١٢ ـ التحبير في علوم التفسير . جزء لطيف[10] .

١٣ ـ معترك الأقران في مشترك القرآن[11] .

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٥ طبع عدة طبعات ، وحققته لجنة علمية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، وهو تحت الطبع .

(٢) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٥ طبع عدة طبعات ، وحقق بجامعة أم القرى رسالة دكتوراه وطبع بدار الأندلس الخضراء .

(٣) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٧ طبع عدة طبعات .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٧٠٧ .

(٥) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ طبع عدة طبعات ، منها طبعة علمية بتحقيق إياد خالد الطباع مؤسسة الرسالة .

(٦) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٥ طبع بتحقيق الدكتور أحمد محمد الحمادي وزارة الشئون الإسلامية قطر .

(٧) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٥ له حواشي وطبعات كثيرة .

(٨) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٥ طبع عدة طبعات .

(٩) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٠٧ وهي التي بين أيدينا .

(١٠) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١١١ طبع طبعة علمية بتحقيق الدكتور زهير عثمان علي وزارة الشئون الإسلامية قطر .

(١١) حسن المحاضرة ١/ ٢٤٠ وكتاب ١١١ طبع بتحقيق على محمد البجاوي .

١٤ ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب[١] .

١٥ ـ خمائل الزهر في فضائل السور[٢] .

١٦ ـ ميزان المعدلة في شأن البسملة [٣] .

١٧ ـ شرح الاستعاذة و البسملة [٤] .

١٨ ـ مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع[٥] .

١٩ ـ الأزهار الفائحة على الفاتحة[٦] .

٢٠ ـ فتح الجليل للعبد الذليل في قوله تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ الآية . استنبطت منها مائة وعشرين نوعاً من أنواع البديع[٧] .

٢١ ـ اليد الوسطى في تعيين الصلاة الوسطى[٨] .

٢٢ ـ المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء ﴾الآية[٩] .

٢٣ ـ دفع التعسف عن اخوة يوسف[١٠] .

٢٤ ـ إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة[١١] .

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١١١ طبع عدة طبعات . منها طبعة علمية بتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي .

(٢) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١١١ .

(٣) كتاب التحدث ١١٨ منه نسخ خطية . انظر الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط . علوم القرآن ١/ ٥٤٣

(٤) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١١١ .

(٥) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث١١٥ طبع بتحقيق الدكتور محمد يوسف الشربجي في مجلة الأحمدية من إصدارات مركز البحوث بدبي / العدد الرابع .

(٦) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١١٧ قال : وهو من أول ما صنفت .

(٧) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١٣٧ حققه عبد القادر أحمد عبد القادر ، ونشر بدار البشير بالأردن .

(٨) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١١٧ منه نسخ خطية ، انظر الفهرس الشامل علوم القرآن ١/ ٥٤٤ .

(٩) كتاب التحدث ١١٨ .

(١٠) كتاب التحدث ١٢٢ طبع ضمن الحاوي للفتاوى ١/ ٣١٠ .

(١١) كتاب التحدث ١٢٥ طبع ضمن الحاوي للفتاوى ٢/ ١٥ .

٢٥ ـ الحبل الوثيق في نصرة الصديق . يتعلق بقوله تعالى ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ الآية[١] .

٢٦ ـ الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة . يتعلق بقوله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾[٢] .

٢٧ ـ المحرر في قوله تعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾[٣] .

٢٨ ـ مفاتيح الغيب . كتب منه من ﴿ سبح ﴾ إلى آخر القرآن في مجلد[٤] .

٢٩ ـ ميدان الفرسان في شواهد القرآن . كتب منه يسير[٥] .

٣٠ ـ مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن . وهو مختصر مجاز القرآن للشيخ عز الدين ابن عبد السلام . كتب منه يسير[٦] .

٣١ ـ ألفية في القراءات العشر[٧] .

٣٢ ـ شرح الشاطبية . ممزوج[٨] .

٣٣ ـ الدر النثير في قراءة ابن كثير[٩] .

٣٤ ـ منتقى من تفسير الفريابي[١٠] .

٣٥ ـ منتقى من تفسير عبد الرزاق[١١] .

٣٦ ـ منتقى من تفسير ابن أبي حاتم . مجلد[١٢] .

---

(١) كتاب التحدث ١٨٧ قال فيه : قررت فيه اختصاص الآية بأبي بكر بالطرق العلمية ، ورددت ما كتبه الجوجري بالطرق المقبولة ، منه نسخ خطية أنظر الفهرس الشامل علوم القرآن ١/ ٥٢٩ .

(٢) كتاب التحدث ١٢٥ حققه محمد خير رمضان يوسف . وطبع بدار ابن حزم .

(٣) كتاب التحدث ١٢٧ اعتنى به حسين محمد علي شكري ، ونشر بدار المدينة المنورة للنشر والتوزيع .

(٤) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١٢٩ قال في كتاب التحدث : تفسير مسند كبير جداً . كتب منه من سبح اسم ربك الأعلى إلى آخر القرآن في مجلد .

(٥) كتاب التحدث ١٣٠ .

(٦) كتاب التحدث ١٣٠ .

(٧) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١٣٣ .

(٨) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١١٠

(٩) كتاب التحدث ١٢١

(١٠) كتاب التحدث ١٢٧

(١١) كتاب التحدث ١٢٨

(١٢) كتاب التحدث ١٢٧

٣٧ ـ القول الفصيح في تعيين الذبيح[١] .

٣٨ ـ الكلام على أول سورة الفتح . وهو تصدير المتوكلي[٢] .

وإلى هنا انتهى ما سجله المؤلف في فهرس مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن ، وزاد بعض مؤلفات فيهما في كتابيه حسن المحاضرة ، وكتاب التحدث بنعمة الله .

٣٩ ـ مجمع البحرين ومطلع البدرين في التفسير[٣] .

٤٠ ـ الكلام على قوله تعالى ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ الآية[٤] .

٤١ ـ المنتقى من فضائل القرآن لأبي عبيد[٥] .

٤٢ ـ درج العلا في قراءة أبي عمرو بن العلا[٦] .

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١٢١ وهو مطبوع ضمن الحاوي للفتاوى ١/ ٤٩٢

(٢) حسن المحاضرة ١/ ٣٤٠ وكتاب التحدث ١١٧ قال : وهو تصدير ألقيته لما باشرت التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخنا البلقيني .

(٣) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٩ وكتاب التحدث ١٢٩ قال في كتاب التحدث : جامع بين المنقول والمعقول ، والدراية والرواية . كتب منه إلى قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) في كراريس ، وكتب منه سورة الكوثر .

(٤) كتاب التحدث ١٢٠ .

(٥) كتاب التحدث ١٢٨ .

(٦) كتاب التحدث ١٢١ .

الفصل السادس :

ملاحظات في حياة السيوطي العلمية والعملية

إن جلال الدين السيوطي شخصية موسوعية ومكتبة متنقلة ، عرف واطلع وقرأ كثيراً مما ألفه علماء الإسلام ممن سبقه أو عاصره في التفسير ، والحديث ، والحث على اتباع السنة والحذر من البدع والمحدثات ، وفي الفقه والأصول الموافق لفقه وأصول أهل السنة ، والزهد والرقائق والأخلاق . و لا شك في أن البصر بهذه المؤلفات ، والشغف بهذه المدونات وقراءتها واستيعاب محتوياتها تنشئ ـ بعد توفيق الله ـ عالماً عاملاً هادياً بلحظه ووعظه مهدياً من حيث أنها تدعو إلى العمل بما فيها من علم حتى لا يرى انفصام بين العلم والعمل والتناقض بينهما، وتهذب المعتقد فلا يعتقد الأباطيل والضلالات ، وتصحح السلوك والأخلاق فلا يرى فيما يخل بالأخلاق الحسنة والآداب الجميلة . وكان المؤمل في جلال الدين السيوطي أن يكون صورة للعالم الرباني الداعي إلى الله بلسان الحال والمقال ، الآمر بتصحيح العلم والعمل ، الحاث على اتباع السنة ، المحذر من البدع والمحدثات ، المحرر للعقول والوجدان من أوهام الخرافات والخزعبلات ، ولكني ـ سامحني وسامحه الله ـ رأيت في حياته العلمية ، وممارساته العملية شيئاً يناقض بعض المؤمل فيه ، فمن ذلك :

١ ـ أنه ينحو منحى المتكلمين في تأويل آيات وأحاديث الصفات والأسماء ،

وهذا التأويل مستفيض منتشر في كتبه ، يؤول ، أو ينقل التأويل راضياً به مقراً له ، مخالفاً بذلك إجماع السلف المنعقد على عدم تأويل آيات وأحاديث الصفات والأسماء .

قال في نواهد الأبكار : الأولى الرجوع في الأحاديث إلى أئمة الحديث ، فما قالوا أنه على ظاهره كغالب الأحاديث حمل على ظاهره ، و يجتنب فيه طريق التمثيل ، إذ لا داعي له والتأويل خلاف الأصل ، وما قالوا : إنه ليس على ظاهره كأحاديث الصفات سلك به طريق التأويل والتمثيل [١].

٢ـ الاستغاثة بغير الله في الشدائد ، و تجويز تعليق العظام ونحوها للشفاء من الحمى ، والتعلق بالقبور والدعوة إلى ذلك .

---

(١) نواهد الأبكار ل ٦٨ .

و لا يخفى على حملة العلم وحماة الدين ، وحراس العقيدة منافاة هذه القضايا للتوحيد الخالص ، ومناقضتها لإخلاص الدين لله ، كما أن التعلق بالقبور وقصد التعبد عندها وسيلة من وسائل الشرك ، ومدخل رحب من مداخل الشيطان على المتعلق بها ، ومن هذا الباب دخل الشيطان على عبدة يغوث ويعوق ونسر . وقد وقع لجلال الدين السيوطي رحمه الله شيء من ذلك .

جاءه شخص فهول عليه وأفزعه وأعلمه بغضب السلطان عليه وهمه بالشر فلم يفزع إلى مالك الملكوت قاهر الظلمة ، ولكنه فزع إلى رسول الله يستغيث به منه ، وقال للشخص : اذهب وقل له : إن له ثلاثين سنة سلطاناً ما رأينا منه شراً قط ، وأنا أحبه وأدعو له في هذه المدة كلها ، و لا أروم منه دنيا ، فإن أقرني على التمسك بالسنة وسلوك طريق السلف فما عندي أعز منه ، وإن أراد أن يحولني عما أنا عليه توجهت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بيني وبينه ، ويرده عني [(١)] .

وقال تلميذه عبد القادر الشاذلي : وقد قال لأهل بيته : إذا كانت لكم حاجة فأتوا إلى قبري و اذكروها لي ، فإنها تقضى . وقد استنجد به جماعة من أصحابه بعد موته في حوائج مهمة فقضيت لهم ببركته [(٢)] .

واستفتح حياته التعليمية وجلوسه على كرسي التعليم والتدريس والانتقال من مرحلة التعلم والتحصيل إلى مرحلة التعليم والتدريس = بالتعلق بقبر الشافعي رحمه الله . ففي أول يوم طلب إليه أن يتسلم وظيفة والده ، وهي تدريس الفقه بالجامع الشيخوني ، وهو من الجوامع الكبار التي يدرس فيها علماء كبار وأن يستفتح دروسه بحضور شيخ الإسلام علم الدين البلقيني والعلماء والفضلاء والطلبة ، فشعر بهول الموقف وإقدامه على شئ يغير مجرى حياته فهرع إلى قبر الإمام الشافعي رحمه الله ، يقول : أعلمت الناس بأن شيخ الإسلام البلقيني يحضر إجلاسي في يوم كذا فلم يصدق أكثر الحسدة ، وذهبت إلى مقام الشافعي رضي الله عنه فدعوت عنده ، وتوسلت به في المعونة [(٣)] .

وقال في علاج الحمى : ومما ينفع تعليقه السمك الرعاد ، وعظمة جناح

---

(١) بهجة العابدين ١٦٣ .

(٢) بهجة العابدين ٢٥٨ .

(٣) بهجة العابدين ٧٠ .

الديك اليمني ، والطويل العنق من الجراد[1].

٣ ـ المجازفة في التكفير.

إن تكفير المسلم الذي ثبت له عقد الإسلام والإيمان من أعظم البغي والظلم ، إذ معناه القطع على الله بأنه لا يغفر له و لا يرحمه ، بل يخلده في النار ، وهو ((باب عظمت فيه الفتنة والمحنة ، وكثر فيه الافتراق ، وتشتت فيه الأهواء والآراء ، وتعارضت فيه دلائلهم والناس فيه على طرفين ووسط))[2].

ومن هنا يجب التأني والتثبت في إصدار أحكام التكفير على الناس حتى لا يظلم المكفر أخاه المسلم ، ويرجع هو بالكفر الذي يرميه عليه .

وقد رأيت في بعض أحكام جلال الدين السيوطي التكفيرية تسرعاً وتكفيراً بما لا يقتضي التكفير .

كان من الألبسة المشهورة المشتركة بين المسلمين والكفار لباس الطيلسان ، لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى مسلم في صحيحه عن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر قال : قالت أسماء : هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية [3]، وتلبسه اليهود ، وروى مسلم أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة [4].

فاختلف السيوطي وإبراهيم الكركي : هل الطيالسة من لباس المسلمين ، أم من لباس اليهود ، فكان ابن الكركي يرى أنه من ألبسة اليهود ، وكان السيوطي يرى أنه من ألبسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلبسه السيوطي وذهب إلى السلطان ، وكان السلطان يرى أنه خاص بالقضاة المالكية ، فأنكر عليه السلطان لبسه وقال له : أنت مالكي حتى تتطيلس ؟ فقال له السيوطي : الطيلسان سنة في كل مذهب لا يختص بالمالكية ، فقال : هذا تجبر وتكبر ، فقال له : معاذ الله ، بل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرف السيوطي فبلغه بعد أيام أن الكركي قال للسلطان : ليس الطيلسان سنة ، ولو كنت حاضراً وقال لك : إنه سنة ،

---

(١) شرح مقامات السيوطي ١/ ٤٢٨ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٢ .

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٦٤١ح٢٠٦٩ .

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٦٦ج ٢٩٤٤ .

لقلت له : إنه سنة اليهود ، فقال السيوطي : إن كان ابن الكركي قال ذلك فقد كفر ، ولو كنت حاضراً وقال ذلك لكفرته بحضرته [1].

فها هو السيوطي يكفر عالماً من علماء المسلمين لمجرد أنه بلغه حديث أنس فذهب إلى أن الطيلسان لباس اليهود ، وهل يصل الأمر إلى التكفير بذلك تكفيراً شرعياً ، أم إنه استسلام للمجازفة في التفكير .

ومن ذلك أن السلطان أراد الإجتماع بالسيوطي فأرسل إليه أحد نقباء الجيش يدعى بيونس الطويل فجاء إلى السيوطي ، وقال له : كلم السلطان . فقال السيوطي: مالي وللسلطان ؟ إن كان للسلطان عندي حاجة فليأت إلى عندي ، أو قال إلى منزلي ، فقال له : نقيب الجيش ثانياً من باب الإغلاظ عليه : أجب ولي الأمر . فقال له السيوطي : أسكت ، وإلا إنني أفتي بكفرك وضرب عنقك ، من هم أولو الأمر ، نحن أولو الأمر ، أولو الأمر العلماء ، مثلك يخاطبني بهذا الكلام [2].

فهذا المسكين المأمور نقيب الجيش استحق الإغلاظ عليه والإفتاء بكفره وإراقة دمه لمجرد أنه أوصل إليه رسالة السلطان ، وقال له : أجب ولي الأمر !

ومن ذلك أن مسلماً روى في الصحيح من حديث أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : في النار ، فلما قفى دعاه فقال : إن أبي وأباك في النار . وبوب النووي في شرح مسلم لهذا الحديث : باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ، و لا تناله شفاعة ، ولا تنفعه قرابة المقربين [3]. فأفتى شمس الدين السخاوي بمقتضى هذا الحديث ، ثم أحجم عن هذه الفتوى ، وتوقف عن المسألة نفياً وإثباتاً . وقال : وقبل ذلك كتب : (السيوطي) مؤلفاً سماه ((الكاوي في الرد على السخاوي)) خالف فيه الثابت في الصحيح ، مع كوني لم أتكلم في المسألة إلا قبل ، بل مذهبي فيه ترك التكلم إثباتاً ونفياً [4].

ثم إن السيوطي استعظم هذا القول وألف ست مؤلفات في الرد على القائل بهذا القول ، وكاد أن يكفر ويستغرق العمر في هجر من ينكر عليه الردود فضلاً عن القائل بهذا القول [5].

---

(١) بهجة العابدين ١٦١ .

(٢) بهجة العابدين ١٦٧.

(٣) صحيح مسلم ١/ ١٩١ح٢٠٣ .

(٤) الضوء اللامع ٤/ ٧٠ .

(٥) انظر شرح مقامات السيوطي ١/ ٣٩٤ وانظر ٢/ ٩٤٧ .

٤ ـ التعلق بالتصوف والصوفية

فتح جلال الدين السيوطي عينيه على الدنيا والعالم الإسلامي يعج بالطرق الصوفية التي تجمع الخليط من الاعتقادات الفاسدة والعبادات الطالحة ، والعامة والخاصة تعتقد فيهم اعتقاداً هائلاً ، وتتعلق بهم تعلقاً عجيباً ، وتبني لهم الزوايا والخوانق ، وتوقف عليهم الأوقاف الدارة ، فلم يسلم السيوطي من لوثة عصره إذ حمل وهو صبي إلى أحد الصوفية المجاذيب ، يقول : ((وحملت وأنا صغير إلى الشيخ محمد المجذوب فبرك علي ، وهذا الرجل كان أحد الأولياء الكبار))[١] ثم انخرط في سلك التصوف والصوفية ، وتشبع من الاعتقادات الصوفية ، وممارساتهم التعبدية ، ومثل قمة الهرم الصوفي حيث تشيخ وترأس على صوفية الخانقاه والبيبرسية ، وخانقاه البرقوقيه[٢]، وأصبحت مسحة التصوف بارزة في مؤلفاته ، بل ألف المؤلفات ذوات العدد في تسويغ اعتقادات صوفية والدفاع عنها، فألف رسالة ((تنبئة الغبي بتبرئة ابن عربي)) في الدفاع عن شيخ الاتحاديين ، وألف مقامة ((قمع المعارض في نصرة ابن الفارض)) في الدفاع عن شاعرهم ابن الفارض ، وألف شرحاً على يائيته ((البرق الوامض في شرح يائية ابن الفارض)) وألف ((تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية)) في الدعوة إلى الطريقة الصوفية الشاذلية والدفاع عنها ، وهذه بعض اعتقاداته الصوفية ، وهي تدل على ما وراءها .

من ذلك اعتقاد إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالبصر، لا مناماً، وادعاء الاجتماع به بعد وفاته .

وقد اعتقد جلال الدين السيوطي ذلك وادعى أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة أكثر من سبعين مرة ، وألف رسالة في ذلك سماها ((تنوير الحوالك في إمكان رؤية النبي والملك)) . وقال تلميذ السيوطي زكريا بن محمد الشافعي : عرض لي أمر مهم فعرضته على شيخنا رحمه الله وسألته أن يكتب بذلك إلى رجل من تلامذته ، فيتكلم فيه مع بعض أرباب الدولة فامتنع ، وقال : إذا حضر كلمته في ذلك، فحصل في نفسي حزازة، ثم قمت من عنده، فلما خرجت أرسل خلفي،

---

(١) بهجة العابدين ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ١٥٩ – ١٦٠ .

فرجعت إليه وجلست بين يديه مطرقاً ، فناولني ورقة صغيرة مكتوب فيها بخطه ما معناه : إنني اجتمعت على النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بضعاً وسبعين مرة وسألته : أمن أهل الجنة أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم . قلت : من غير عذاب يسبق؟ قال : لك ذلك . وهو أولى أن أسأله فيما شئت من قضاء الحوائج ، واطرح ما في نفسك من الحزازة ، فاستأذنته في التكلم بذلك فمنعني منه إلا بإذن [1].

ـ ومن ذلك أنه يعتقد وجود ما يسمى في العرف الصوفي بالأقطاب ، والأوتاد، والنجباء ، وأن القطب على قلب إسرافيل ، ومكانه من الأولياء كالنقطة في الدائرة التي هي مركزها ، به يقع صلاح العالم ، وألف رسالة في ذلك سماها ((الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال)) والواقع أن هذه أسماء خيالية لا وجود لها سوى ألفاظها .

ـ ومن ذلك أنه يعتقد أن الولي الواحد الكامل في الولاية يتقاسم بالشخص إلى أشخاص أخر بحيث يصبح زيد الولي مائة زيد ، ويكون في أكثر من موضع بجسده في لحظة واحدة ، وألف في ذلك رسالتين ((المنجلي في تطور الولي)) و((المعتلي في تعدد صور الولي)) [2].

٥ ـ مدح النفس والمباهاة بالعلم والمفاخرة بالمؤلفات .

إن التواضع وهضم النفس ومقتها في جنب الله من صفات المؤمنين ، ونعوت الصادقين بل هو من خصال الإيمان وشعبه ، وحملة العلم وورثة الأنبياء أولى الناس بهذه الصفة وأجدر البرية بهذه الحلية ، لما حباهم الله من العلم ، وحملهم إياه من المعرفة ، وهي جادة مطروقة ، ومهيع مسلوك للعلماء العاملين الربانيين ، بيد أني رأيت تنكباً أحياناً عن هذه الجادة في حديث السيوطي عن نفسه وعن علمه، وفي تعامله مع العلماء الآخرين ، رأيت في حديثه عن نفسه الثناء البالغ ، والمغالاة في المدح ، والمباهاة بالعلم ، والمفاخرة بالمؤلفات ، وبالإجادة في ترصيفها ، وبالإتقان في تأليفها ، والتبجح بسعة الاطلاع ، يقول في هذا الصدد : إن لي لساناً لو مددته لوصل إلى جبل قاف ، ولو نشرته لنسف رمال الأحقاف ، ولو

(١) بهجة العابدين ١٥٤ . ألف العلامة المحدث محمد بن عبدالرحمن السخاوي رسالة سماها « الإرشاد والموعظة لزاعم رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة » ولعله يعرض بجلال الدين السيوطي . انظر الضوء اللامع ٨/ ١٩ .

(٢) انظر الحاوي للفتاوى ١/ ٣٤٠ ، ٢/ ٤٣٦ وبهجة العابدين ٢٢٥ .

أدخلته البحر المحيط لكدره ثم سجره ، ولو أصعدته الجو لغبره ثم سعره[1] .

وقال أيضاً إني حامل لواء العلم لمن يريد أن يهتدي ، والإمام المقدم فيه لمن يروم أن يقتدي ، ومني يستمد كل دان وناء ، وما في المشرق والمغرب الآن أحد إلا وهو داخل في العلم تحت لوائي[2] .

وقال أيضاً : جولوا في الناس جولة ، فإنه ثم من ينفخ أشداقه ، ويدعي مناظرتي ، وينكر عليّ دعواي الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه السنة ، ويزعم أنه يعارضني ويستجيش على من لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ونفخت عليهم صاروا هباءً منثورا[3] .

وقال أيضاً : وكيف لا أتكلم في ذلك وأنا الحامل للشريعة المحمدية على كاهلي ، والراقم لها في تصانيفي بأناملي ؟ وأنا الذي بالعلم حقيق وقمن ، أعلم حلق الله الآن قلماً وفماً إن لم أكن أحق بالتكلم فمن[4] ؟ .

الله أكبر ؛ ما أعظم هذه الكلمة ، وما أشدها ادعاء ، وما أبعدها عن التواضع ، وما أغنى المؤلف عن التفوه بها ، بوب الإمام البخاري : باب ما يستحب للعالم إذا سئل : أي الناس أعلم ؟ فيكل العلم إلى الله . ثم روى حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم : قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل ، فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه[5] . فهذا موسى رسول الله وكليمه لم يقل : أنا أعلم خلق الله ، ولكنه قال : أنا أعلم الناس ، ومع ذلك عاتبه الله سبحانه وتعالى على هذه المقولة ، فأين هذه المقولة من قالة أنا أعلم خلق الله قلماً وفماً .

٦ ـ الشدة في الخصومة والإقذاع في الملاحاة .

إن ردود العلماء بعضهم على بعض فيما أخطأوا فيه رواية ودراية سائغة حفاظاً على نقاء الدين وصفائه من البدع المحدثة والآراء المختلة ، وما زال العلماء يختلفون ويرد بعضهم على بعض ، ولو لا الردود لفسد الدين واختل نظامه ، وصار

---

(١) شرح مقامات السيوطي ٢/ ٦٢٠ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٤١٩ .

(٣) الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف ٢٢ .

(٤) شرح مقامات السيوطي ١/ ٤٠٩ .

(٥) صحيح البخاري ١/ ٥٦ ح ١٢٢ .

له أسوة بالأديان السابقة المحرفة المبدلة ، وهو من النصح لله ولدينه إذا أحسن الرد ، وحضرت فيه النية . قال ابن رجب : ((وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل ، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة ، وردوا على من سوى بينهما من المتعبدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه ، و لا فرق بين الطعن في رواة ألفاظ الحديث وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة ، وتأول شيئاً منها على غير تأويله ، ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه ، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك)) [١]. ولكن ما للردود العلمية والتنبيه على الأوهام والأخطاء ، والمهاترات والشتائم ، ولا شك أن من تلبيس إبليس وكيده أن يري الراد أن شتائمه وتعبيراته من النكايات العلمية ، والردود البالغة ، ولقد تخطى جلال الدين السيوطي عتبة الإنصاف والاكتفاء بالرد العلمي فحسب إلى السباب والإقذاع في المنازعة والتعيير بالأحساب والأنساب .

كان العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي ينحدر من أصول إسرائيلية [٢]، ولكنها لا تضره في دينه ، بل هو عالم من علماء الأمة شهد له أهل العلم بالتقدم في الصلاح والعلم ، فاهتبل السيوطي هذه الفرصة الثمينة وانتهزها لإدخال عنصر التعيير بالأجداد والأحساب في المناقشة ، فعيره بنسبه أكثر من مناسبة في مناقشاته فها هو يقول معيراً بأصوله : الأصل أصل ذلة ، والفصل فصل قلة ، والفرع فرع علة[٣].

ويقول : وله عصبة من جنسه قوم بهت[٤].

وقال عنه : أين زئير الأسد من نبيح الكلب ونهيق الحمار [٥].

وقال أيضاً : مقامته خرارة قناة تجري منسراب ، إنما رضي ذلك قوم يجهلون ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، ومن الأمثال المشتهرة ((عند الخنازير تنفق العذرة[٦])) .

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير ٢٩ .

(٢) انظر شرح مقامات السيوطي ٢/ ٧٣٨ .

(٣) انظر شرح مقامات السيوطي ٢/ ٦٢٠ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٦٣٦ ، ٢٢/ ٧٣٨ وانظر نواهد الأبكار ١٥.

(٥) شرح مقامات السيوطي ٢/ ٦٣٤ .

(٦) شرح مقامات السيوطي ٢/ ٦٤١ .

ويقول عن المحدث الحافظ شمس الدين السخاوي : وهو ـ على هذا ـ حقير نقير ، لا يباع في سوق العلم بقطمير ، لا نسبه في الأنساب عال ، و لا حسبه إذا قومت الأحساب غال ، ولا يزداد إلا جهلاً على كر الأيام وممر الليالي ، قد عري من أثواب العلم ، وتجرد من لباس الحلم ، لا يفهم حكمة ، ولا يحرر كلمة ، ولا يبلغ العلم ولو ثقبت بالماس فهمه ، تجسد حمقاً وجهلاً ، وتحجر فحزَّن ما كان سهلاً ، وتشامخ مع ذلك بأنفه[1].

فهذه الملاحظات خواطر سنحت لي أثناء البحث ، وقراءة تراجمه ، وليست أحكاماً مني عليه ، و لا إساءة مني إليه ، و لا تعالماً ، و لا تطاولاً عليه رحمه الله ، وتجاوز عني وعنه .

---

(١) المصدر السابق ٢/٩٣٦ .

الباب الثاني في : دراسة الكتاب

الفصل الأول :

اسم الكتاب ، وتوثيق نسبته إلى المؤلف ، والدافع إلى تأليفه

ذكر المؤلف في كتابه التحدث بنعمة الله أنه ألف حاشية على تفسير البيضاوي، ووصل فيها إلى آخر سورة الأنعام [١]، وفي كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة [٢]. ثم سماها في فهرس مؤلفاته باسمها العلم ((نواهد الأبكار وشوارد الأفكار)) وذكر أنها أربع مجلدات [٣].

وقد أحال في هذه الحاشية إلى ثلاثة من مؤلفاته ، أحال في ٣١ إلى الإتقان ، وأسرار التنزيل ، وفي ل ١٣٠ من النسخة السليمانية أحال إلى مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع .

ونقل مقدمة الحاشية معزوة إلى المؤلف تلميذه عبد القادر الشاذلي في كتابه : بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين [٤]، وحاجي خليفة في كشف الظنون[٥] فهذه الحاشية ((نواهد الأبكار وشوارد الأفكار)) لجلال الدين السيوطي بدون شك و لا ارتياب .

وأما الدافع إلى تأليفها فقد صرح به المؤلف في المقدمة ، فقال : ((ولقدكان شيخاي الإمامان الأكملان ، والأستاذان الأفضلان ، بقية النحارير المدققين ، وعمدة المشايخ المحققين تقي الدين الشمني ، ومحيى الدين الكافيجي ، سقى الله ثراهما شآبيب الغفران ، وأمطر على مضجعهما سحائب الرضوان يقرئان هذا الكتاب[٦] فيأتيان في تقريره بالعجب العجاب ، ويرشدان من كنوزه ورموزه إلى صوب الصواب .

---

(١) كتاب التحدث بنعمة الله ١٠٧ وهذا يدل على أنه أكمل تأليف كتاب التحدث قبل إكمال الحاشية.

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٣٣٥ .

(٣) فهرس مؤلفات السيوطي / مجلة مجمع اللغة الأردني عدد ٥٦ ص ١٩٠ .

(٤) ١٢٢ ١٤٣ حقق هذا الكتاب الدكتور عبد الإله نبهان ، وحقق أيضاً مقدمة نواهد الأبكار وشوارد الأفكار في مجلة مجمع اللغة بدمشق مجلد ٦٨ج٤ سنة ١٤١٤هـ .

(٥) كشف الظنون ١/ ١٤٧٥ .

(٦) أي تفسير البيضاوي .

فلما توفاهما الحق إلى رحمته ، ونقلهما من هذه الدنيا الدَّنية إلى فسيح جنته شغرت الديار المصرية من محقق ، وخلت من مدرس ببدي ضمائره مدقق ، فصار الكتاب بما فيه من الكنوز كصندوق مقفل ، وأصبح لفقد من فيه أهلية لتدريسه كأنه مغفل ، فألهمني الله سبحانه وتعالى أن جردت الهمَّة لتدريسه ، وشددت المئزر لتقرير ما فيه وتأسيسه ، فشرعت في إقرائه مفتتح سنة ثمانين وثمانمائة ، فأقرأت فيه في مدة عشر سنين متوالية من أوَّله إلى أثناء سورة هود ، وبذلت المجهود في استقراء مواده ، والتنقير عن معادنه ، ولزمت النظر والسُهود والكواكب شُهود ، وشرعت مع ذلك في تعليق حاشية عليه تحلل خفاياه ، وتذلل مطاياه ، فسمع بذلك السامعون ، وطمع في الوصول إليها الطامعون ، وجسر على إقرائه كل جسور وهجم من متعرَّبة ومن عجم ، ممن لا يعرف في مقدمة التصريف بين باب ضرب يضرب ، ونصر ينصر ، فضلاً عن أن يحوي عنده شتات تلك العلوم التي هي أصول له ويحصر ، وممن إذا قرأ الكرَّاس نظرا يصحف التفقيه بالتقفية ، ويحرّف الترفية بالترقية ، وإذا سمع باستعارة أو مجاز كان بينه وبين إدراك ذلك مجاز [1] .

---

(١) نواهد الأبكار ٩ .

الفصل الثاني :

منهج المؤلف في الكتاب

تختلف أساليب المؤلفين في التأليف حسب قدراتهم العقلية والعلمية ، فمنهم من يغلب عليه طابع الاستقلالية في مؤلفاته ، والاعتماد على عرق جبينه ، وجهد ذهنه فيها ، ومنهم من يوازي بين الاعتماد على نفسه والنقل عن الآخرين ، فلا يطغى جانب على جانب ، ومنهم من تغلب عليه سمة النقل عن الآخرين ، والاعتماد عليهم ، بحيث تقل عنده الإضافات والاستنباطات والاستدراكات ، والمناقشات لما ينقل عن الآخرين ، وتذوب شخصيته في شخصياتهم ، ويمكن أن يوضع جلال الدين السيوطي في رأس قائمة هذا الصنف من المؤلفين فالظاهرة البارزة في هذه الحاشية ((نواهد الأبكار وشوارد الأفكار)) وغيرها من مؤلفاته هي ظاهرة الحشد والجمع والنقل ، فقد أقل من الاعتماد على نفسه[1]، وأكثر من النقل عن غيره ، فنقل عن مصادر متنوعة في التفسير ، والقراءات ، وعلوم القرآن ، والحديث ، وشروحه ، وأصوله ، والفقه ، وأصوله ، واللغة والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والدواوين الشعرية وشروحها ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والمعارف العامة ، و لا يكاد يخرج من نقل ، ويفرغ من اقتباس حتى يدخل في آخر .

ولما كان تفسير البيضاوي مختصراً من تفسير الكشاف كانت معظم المصادر التي رجع إليها حواشي الكشاف ومختصراته ، فأكثر من النقل عن حاشية الشريف الجرجاني ، وحاشية سعد الدين التفتازاني ، وحاشية شرف الدين الطيبي المسماة بفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، وحاشية أكمل الدين البابرتي ، وحاشية قطب الدين الشيرازي وحاشية شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني المسماة بالكشاف على الكشاف ، وحاشية ناصر الدين ابن المنير المسماة بالانتصاف ، وحاشية علم الدين العراقي المسماة بالإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير ، وحاشية ولي الدين العراقي ، وحاشية مجهولة المؤلف ظنها السيوطي حاشية فخر الدين الجابردي ، وليست إياها ، ومختصري الكشاف : فرائد التفسير للمابرنابادي ، والتقريب في التفسير لقطب الدين الشيرازي ، فهذه المصادر هي المصادر التي أكثر من النقل عنها في الدرجة الأولى ، ثم تليها مصادر أخرى رجع

---

(١) حتى إنه ينقل شرح كنهه : بنهايته عن الشريف الجرجاني . انظر ٣٢٦ .

إليها بين الحين والآخر .

ثم إنه لم يمش على وتيره واحدة في الاستمداد من هذه المصادر ، والاقتباس منها ، فتارة ينقل عنها بالنص والحرف ، وتارة يتصرف في ما ينقله بالتقديم والتأخير ، والاختصار وتغيير العبارة .

وإذا كانت السمة الغالبة على المؤلف النقل والجمع فلم تخل مع ذلك حاشيته هذه من ردود علمية مفيدة على أخطاء الزمخشري والبيضاوي وغيرهما من المؤلفين ، وسيأتي شئ من ذلك في فصل : قيمة الكتاب العلمية .

ومن هذه الردود العلمية والتنبيه على أوهام المؤلفين رده على البيضاوي في بيان حقيقة الإيمان الشرعي ،حين قال البيضاوي : ((والذي يدل على أنه التصديق وحده أنه سبحانه وتعالى أضاف الإيمان إلى القلب فقال : أولئك كتب في قلوبهم الإيمان))[١] .

قال السيوطي : تبع في هذا الترجيح الإمام فخر الدين الرازي ، وهو خلاف مذهب إمامهما الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والسلف قاطبة .

أخرج الحاكم في مناقبه ، وأبو نعيم في الحلية عن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص .

وأخرج اللالكائي في السنة عن البخاري قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار ، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص .

وأخرج ابن أبي حاتم واللالكائي عن جمع كثير من الصحابة[٢] .

ومن ذلك رده على البيضاوي في تفسير مرض قلوب المنافقين ، قال البيضاوي (المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ، ويوجب الخلل في أفعاله ، ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها ، كالجهل ، وسوء العقيدة ، والحسد والضغينة ، وحب المعاصي ، لأنها مانعة عن نيل الفضائل ، أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية ، والآية الكريمة تحتملهما، فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقاً على ما فات عنهم من الرياسة [٣] .

---

(١) تفسير البيضاوي ٨ .

(٢) نواهد الإبكار ٢٩٤ .

(٣) تفسير البيضاوي ١٢ .

قال السيوطي : الذي عليه أهل التفسير حمل الآية على الثاني ، وهو المجاز ، فقد أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي العالية ، ومجاهد، وعكرمة ، والحسن ، والربيع ، وقتادة ، ولم يحكيا خلافه عن أحد . والتفسير مرجعه النقل والعجب من المصنف وصاحب الكشاف أنهما في أكثر المواضع القرآنية والحديثية يحملان ما ظاهره الحقيقة على المجاز والاستعارة ،مع عدم الداعية إليه ، ومع تصريح أئمة الحديث والأجلاء بأن المراد الحقيقة على ظاهره .

ويساعدهما الشريف ، ومن جرى مجراه على ذلك ويتركون أئمة الحديث بقولهم : زعم أهل الظاهر ، ولا مستند لهم في ذلك إلا قولهم : إن المجاز أبلغ من الحقيقة . وها هنا ورد التفسير عن الصحابة والتابعين بالمجاز ، ليس إلا ، فلم يقتصروا عليه ، وزادوا الحقيقة [١].

ومن ذلك رده على البيضاوي في تحريم الكذب كله حين قال : (والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ما هو به ، وهو حرام كله [٢].

قال السيوطي : تبع في ذلك الكشاف ، وليس كما قالاه ، بل من الكذب ما هو مباح ، وما هو مندوب ، وما هو واجب ، كما هو مقرر في كتب الفقه [٣].

وأما تخريجه للأحاديث والآثار فإنه لم يمش على أسلوب واحد في ذلك ، فأحياناً يطول التخريج بعض التطويل ، وأحياناً يختصره ، وأحياناً يخرج الحديث ، ويحكم عليه بالقبول ، أو بالرد ناقلاً عن غيره انظر مثلاً ص ٦٥ ، ١٧٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ، ٤٠٣ ، ٤٤٠ .

وأحياناً يخرج ، ويحكم عليه بنفسه ، انظر مثلاً ص ٤٣ ، ٦٤ ، ٩٢ ، ١٦٠ ، ٢٥٢ ٢٦٥ ، ٤٠٨ .

وأحياناً يسكت عن الحكم عليه بالقبول ، أو بالرد ، انظر مثلاً ٦٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٤٦٣ ، وهذه الأحاديث التي يخرجها هي التي يوردها البيضاوي في التفسير ، أما الأحاديث التي ترد عرضاً بواسطة نقل المؤلف عن المصادر التي اعتمد عليها فلا يعرج عليها ، و لا يخرجها .

---

(١) نواهد الإبكار ٣٨١ .

(٢) تفسير البيضاوي ١٢ .

(٣) نواهد الأبكار ٣٨٥ وانظر ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ .

الفصل الثالث :

قيمة الكتاب العلمية

حشَّى على تفسير البيضاوي كثيرون في عصر السيوطي ، وقبله وبعده ، ولكن السيوطي أشهرهم اسماً ، وأعلاهم مكانة ، وأكثرهم مؤلفات ، وأوسعهم اطلاعاً ، وأعرفهم بالمصادر ، وهذه المميزات التي توفرت في المؤلّف أثرت في الحاشية ، فهي غرة في وجوه الحواشي ، فقد حققت الهدف الذي ألفت من أجله ، وزبرت من جرائه ، وهو تقريب تفسير البيضاوي إلى قارئيه ومدرسيه : بتوضيح غامضه شرحاً وإعراباً وتصريفاً وبلاغة ، وتوجيه مشكله ، وجواب الاعتراضات عليه ، وتخريج قراءاته وآثاره وأشعاره وأمثاله ، وإكمال ناقصه ، وسد فراغه ، والتنبيه على أخطائه وأوهامه ، وإضافة ما يناسب المقام ،ويشاكه الحال إلى ذلك حتى اكتمل الكتاب ، بها وقام على ساق التمام والكمال .

وأبرز ما فيها مما تتميز به عن سائر الحواشي التي اطلعت عليها ثلاثة محاور :

المحور الأول : تخريج الأحاديث والآثار بنفس المحدث .

الرجل محدث حافظ للحديث ، فهو أبصر بطرق تخريج الأحاديث والآثار من جميع من حشى على الكتاب ، وأعرف بالمصادر والمراجع المؤلفة فيها ، ومن هنا كان في تخريجاته نفس الحافظ ذي البصيرة الناقدة في الحديث وعلومه ، بحيث أصبح مخرجوا أحاديث تفسير البيضاوي كالمناوي ، والمعتنين بتخريج أحاديثه من المحشين عليه كالشهاب الخفاجي عالة على المؤلف في هذا الفن ، يقتبسون من تخريجاته ويزينون بها كتبهم مصرحين أحياناً بذلك ، وساكتين أحياناً أخرى ، سائقين التخريج كاملاً آونة ، ومختصرين آونة أخرى

فمثلاً قال المناوي في تخريج حديث " من قرأ حرفاً من كتاب الله " ((رواه الترمذي وقال : صحيح ، ولم يخرجه أحد من الستة غيره ، ولا أحمد ، نعم أخرجه البخاري في تاريخه ، والحاكم في مستدركه ـ وصححه ـ وابن الأنباري ، وابن الضريس ، وغيرهم)) [1] وهذا التخريج هو تخريج السيوطي نفسه ، انظر ص ٢٥٧ .

وقال المناوي في تخريج حديث " الصلاة عماد الدين " ((يوهم أن ذلك

---

(١) الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي ١/ ١٢٢ .

حديث واحد ، ولا كذلك ، بل هما حديثان ... أما الحديث الأول فأخرجه البيهقي في الشعب من حديث عكرمة ، عن عمر في آخر حديث . ثم قال : وعكرمة لم يسمع من عمر ... فقول ابن الصلاح في مشكل الوسيط : هو حديث غير معروف ، وقول النووي في شرح الوسيط : حديث منكر ، باطل غير صواب . وأما الحديث الثاني فرواه الطبراني ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء))(١) . وهو عين تخريج السيوطي ، إلا أنه اختصر بعض الاختصار ، انظر ص ٢٨٧ .

وقال المناوي أيضاً في تخريج حديث " إذا قال الإمام و لا الضالين فقولوا : آمين رواه الشيخان عن أبي هريرة ، زاد الجرجاني في أماليه : " وما تأخر " وعليه اعتمد الغزالي في الوسيط ، وأولى ما فسر به الحديث ما رواه عبد الرزاق ، عن عكرمة " صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء ، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر له " قال ابن حجر : مثله لا يقال بالرأي(٢) . وهو تخريج السيوطي ، انظر ص ٢٥١ وهكذا استفاد من تخريجات السيوطي ، ولكنه لم يشر إلى أنه استفاد منه واستمد من تخريجه .

وأما الشهاب الخفاجي فإنه أحياناً يصرح باستمداده من تخريج السيوطي ، وأحياناً لا يصرح ، وأحياناً يسوق تخريج السيوطي كله ، وأحياناً يختصر ، ويحيل إلى تخريج السيوطي ، وهاك أمثلة على ذلك :

قال في تخريج حديث " إن المستهزئين بالنار " أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن المستهزئين ... " الحديث ، قال السيوطي : وهذا حديث مرسل جيد الإسناد(٣) . وهو تخريج السيوطي وحكمه انظر ص ٤٠٨ .

وقال في تخريج حديث " اليهود مغضوب عليهم " أخرجه أحمد في مسنده ، وحسنه ابن حبان في صحيحه(٤) عن عدي بن حاتم ، وأخرجه ابن مردويه عن أبي ذر رضي الله عنهما بلفظ : "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله

---

(١) الفتح السماوي ١/ ١٣٢ .

(٢) الفتح السماوي ١/ ١١٣ .

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي ١/ ٣٤٧ ٣٤٨ .

(٤) اختصر هنا اختصاراً مخلاً ، فإن عبارة السيوطي : أخرجه أحمد في مسنده ، والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه .

غير المغضوب عليهم . قال : هم اليهود . و لا الضالين . قال : النصارى ".

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن مسعود رضي الله عنه وقال ابن أبي حاتم : لا أعلم فيه خلافاً عن المفسرين ، فهذه حكاية إجماع منهم ، فكيف يعدل عنه بالرأي[1]. وهذا سياق السيوطي وتخريجه ، انظر ص ٢٤٥.

وقال في تخريج حديث البسملة : وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وصحح الدارقطني ما يفيد معناه ، وحديث أم سلمة رضي الله عنها لم يثبت بهذا اللفظ ، وإنما الوارد في طرقه أنه عد البسملة آية ، وصحح البيهقي بعض طرقه . وتفصيله في حاشية السيوطي رحمه الله[2].

وهذا اختصار شديد لتخريج السيوطي الموسع ، انظر ص ٦٤ ــ ٦٥ وهذه أمثلة فقط دالة على أسلوب اقتباس الشهاب من تخريج السيوطي ، وإلا فكل تخريجاته مستمدة من عمل السيوطي رحمه الله ، وليس له أي إضافة إلى تخريج السيوطي .

المحور الثاني : وفرة المصادر التي رجع إليها وأفاد منها ، وحسن التعامل معها والاقتباس منها .

فقد رجع في هذا الجزء الذي أحققه إلى ما يقرب من ثلاثمائة مصدر ، وبث الفوائد المقتبسة ، واللآلي الملتقطة منها في ثنايا الكتاب ، فازدان وجمل بها ، وبعض هذه المصادر مفقود اليوم ، فحفظ لنا بهذا الاقتباس كثيراً من فوائد كتب مفقودة ونصوص مصادر ضائعة ، كتفسير ابن ماجه ، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني ، وكتاب الثواب له ، وتفسير ابن مردويه ، ورسالة في البسملة لابن خزيمة ، ولسلطان المقدسي ، وأبي المعالي مجلي بن جميع ، ورسالة في الجهر بالبسملة لابن أبي هاشم ، ورسالة المقنعة في البسملة لسليم بن أيوب الرازي ، وكتاب الإبانة الكبرى لأبي نصر السجزي ، وكتاب المصاحف لأبي بكر ابن الأنباري ، وكتاب صوان النخب في أسماء الشيوخ والكتب ، وكتاب مناقب الشافعي للحاكم ، وكتاب اللطيفة المرضية في الاقتباس من القرآن لداود الباقلي ، وغيرها .

---

(١) عناية القاضي ١/ ١٤٦ .

(٢) عناية القاضي ١/ ٣١ .

المحور الثالث : ردوده على الزمخشري والبيضاوي .

فقد أخطأ الزمخشري أخطاء فادحة في العقيدة والأدب ، فتسللت إلى تفسير البيضاوي بعض هذه الأخطاء ، وأضاف إلى أخطاء الزمخشري أخطاء أخرى ارتكبها هو فتجمع لديه في هذا التفسير أخطاء عقدية ، وإساءات أدبية فتتبعها السيوطي ، ورد عليها رداً قاضياً .

واخترت أمثلة ثمانية من تلك الأخطاء ، ونماذج من ردود السيوطي عليها على حسب ترتيب السور(١) .

سورة البقرة :

المسألة الأولى :

قال الزمخشري : وقيل : هي حجارة الكبريت ، وهو تخصيص بغير دليل ، وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل (٢) .

وقال البيضاوي : وقيل حجارة الكبريت ، وهو تخصيص بغير دليل ، وإبطال للمقصود ، إذ الغرض تهويل شأنها ، وتفاقم لهبها ، بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها ، والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت (٣) .

قال السيوطي : أقول : تبع في ذلك الكشاف ، وهذه من جملة رده الأحاديث الصحيحة ، والتفاسير المرفوعة الثابتة بمجرد الرأي ، فإنَّا لله ، فإنَّ تفسير الحجارة هناك بحجارة الكبريت = هو الثابت في المنقول ، ولا يعُرف في التفسير غيرُه .

أخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور في سننه ، وهنَّاد بن السري في كتاب الزهد ، وعبدُ بن حُميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك ، وصححه البيهقي في البعث والنشور ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وقُودُها الناسُ والحجارةُ ﴾ ، قال: " حجارة الكبريت ، جعلها الله كما شاء " .

وأخرج ابن جرير عن ابن عبَّاس في الآية ، قال : " هي حجارة في النَّار من

---

(١) قام تلميذ السيوطي محمد الشامي بالتقاط هذه المسائل وجمعها في رسالة سماها ((الاتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف)) اقترحت على بعض الاخوة أن يحققها فحققها ، ولعله ينشرها في بعض أعداد مجلة الجامعة .

(٢) الكشاف ١/ ٢٥٢ .

(٣) أنوار التنزيل ١/ ١٨ .

كبريت أسود " .

ومثل هذا التفسير الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم الرفع بإجماع أهل الحديث ، وقد أخرج ابن أبي حاتم مثله عن مجاهد ، وأبي جعفر ، وابن جُريج وجزم به ابن جرير ، ولم يحك خلافه عن أحد ، وعلله بأنه أشدُّ حراً ، ونقله البغوي عن أكثر المفسرين ، وقالوا : لأنها أكثر التهاباً ، ونقله ابن عقيل عن الجمهور ، وقال : خصت ، لأنها تزيد على غيرها من الأحجار بسرعة الإيقاد ، ونتن الريح ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان وقوة الحر[1].

المسألة الثانية :

قال البيضاوي : ولعل ضرباً من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات [2].

قال السيوطي : كان الأولى بالمصنف الإعراض عن هذا الكلام ، والإضراب عنه صفحاً ، ولكن هذه ثمرة التوغل في علوم الفلاسفة ، وعدم التضلع بالأحاديث والآثار ، والذي دلَّت عليه الآثار أن إبليس أبو الجن ، كما أن آدم أبو الإنس ، وأنه لم يكن من الملائكة طرفة عين ، وأن المصحح للاستثناء التغليب ؛ لكونه كان فيهم، أو هو منقطع [3].

المسألة الثالثة :

قال البيضاوي : لا يقال : كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور ، والجن من نار ، لما روت عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال : " خلقت الملائكة من النور ، وخلق الجان من مارج من نار " لأنه كالتمثيل لما ذكرنا[4].

قال السيوطي : أخرجه مسلم ، وتمامه : " وخلق آدم مما وصف لكم " .

أقول : لو أمكن المصنف وأشباهه أن يحملوا كلَّ حديث على التمثيل لفعلوا ، وهذا غيرُ لائق ، وليت شعري إذا حُمل ما ذُكر في خلق الملائكة والجنِ على التمثيل ، ماذا يصنع في بقية الحديث ، أيحملُ ما ذكر في خلق آدم على التمثيل ، وأنه ليس مخلوقاً من تراب ، كما هو ظاهر الآية .

هذه إحالة للنصوص عن ظواهرها ؛ فلتُحذر هذه الطريقة ، فإن مدار المعتزلة

---

(١) نواهد الأبكار ل٥٩ نسخة ت .

(٢) أنوار التنزيل ١/ ٢٤ .

(٣) نواهد الأبكار ل ٦٨ .

(٤) أنوار التنزيل ١/ ٢٤ .

عليها ، وهم أوَّل من أكثر منها ؛ حتى إنهم أنكــروا سؤال منكـر ونكـير ، وعـذاب القبر، والميزان ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة ودابَّة الأرض ، وحملـوا جميـع الأحاديث الواردة في ذلك على التمثيـل ، ثـم عـدوا ذلـك إلـى أحـاديث لا يقـدح تأويلها في العقيدة ، كحديث شكوى النار ، وتنفسها في كل عام مرتيـن ، وشـكوى الرحم ، وغير ذلك ، فتبعهم في ذلك من تضلع من علوم الفلسـفة والمعقـول ولـم يتبحر في الحديث ، فمشى في كل آية وحديث على هــذا التـأويل ، وألغـى اعتبـار ظاهره . وهذا غير مناسب ، بل الأولى الرجوع في الأحاديث إلـى أئمـة الحديـث ، فما قالوا : إنه على ظاهره كغالب الأحاديث حمل على ظاهره ، ويجتنب فيه طريق التمثيل ، إذ لا داعي له ، والتأويل خلاف الأصل ، وما قالوا : إنه ليس على ظـاهره كأحاديث الصفات سلك به طريق التأويل والتمثيل [١].

سورة آل عمران :

المسألة الرابعة :

قال الزمخشري : وما يروى من الحديث " مـا مـن مولـود يولـد إلا والشـيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها " فاللـه أعلـم بصحته ، فإن صح فمعناه : أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها ، فإنهما كانا معصومين ، وكذلك كل من كان في صفتهما[٢].

قال البيضاوي : وعن النبي صلى الله عليه وسـلم : " مـا مـن مولـود يولـد إلا والشيطان يمسه حين يولد ، فيستهل من مسه إلا مريم وابنها " معنـاه : أن الشـيطان يطمع في إغواء كل مولود ، بحيـث يتـأثر منـه إلا مريـم وابنهـا ، فـإن اللـه تعـالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة[٣].

قال السيوطي : تبع الزمخشري في تـأويل الحديـث ، وإخراجـه عـن ظـاهره ، والزمخشري ماشٍ في ذلك على منهج المعتزلة ، فإنهم أنكروا الحديـث ، وقدحـوا في صحته .

---

(١) نواهد الأبكار ل ٦٨ قلت : مذهب أهل الحديث من السلف ومن سلك سبيلهم واتبعهم بإحسـان من الخلف أن أحاديث الصفات تمر كما جاءت مـن غـير تـأويل يفضـي إلـى تعطيـل ، وتكييـف يفضي إلى تمثيل ، وقد حكى غير واحد إجماع السلف على ذلك .

(٢) الكشاف ١/ ٤٢٦ .

(٣) أنوار التنزيل ١/ ٥٨ .

قال الإمام : طعن القاضي عبد الجبار في هذا الخبر ، وقال : إنه خبرُ واحد على خلاف الدليل ، وذلك أن الشيطان إنما يدعو إلى الشرِّ من له تمييز ، ولأنه لو تمكن من هذا لجاز أن يُهلك الصالحين ، وأيضاً لِمَ خُصَّ عيسى وأمه دون سائر الأنبياء ، ولأنه لو وُجِد النخس لدام أثره .

قال الإمام : وبمثل هذه الوجوه لا يجوز دفع الخبر الصحيح .

وقال صاحب الانتصاف : الحديث مدوَّن في الصحاح ؛ فلا يبطله الميلُ إلى نزعات الفلاسفة .

وقال الطيبي : لا يبعد اختصاص عيسى وأمه بهذه الفضيلة من دون الأنبياء ، ويمكنه الله من المس مع عصمتهم من الإغواء .

قال الشيخ سعد الدين : طعن الزمخشري في صحة الحديث بمجرد أنَّه لم يوافق هواه ، وإلا فأي امتناع في أن يمس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما ترى ، وتسمع ، وليست تلك المسة للإغواء ليدفع بأنه لا يتصور في حق المولود حين يولد .

قال ثم أوله الزمخشري على تقدير الصحة بأن المراد بالمس الطمع في إغوائه، واستثناء مريم وابنها لعصمتهما ، ولما لم يخص هذا المعنى بهما عمم الاستثناء لكل من يكون على صفتهما . وهذا إما تكذيب للحديث بعد تسليم صحته ، وإما قول بتعليل الاستثناء والقياس عليه .

قال : وليت شعري من أين ثبت تحقق طمع الشيطان ورجائه وصدقه في أن هذا المولود محل لإغوائه ليلزمنا إخراج كل من لا سبيل له إلى إغوائه ، فلعله يطمع في إغواء من سوى مريم وابنها فلا يتمكن منه .

قلت : والعجب من البيضاوي أشدُّ ، فإنه تبع الزمخشري في تأويله ، وقال : معناه : أنَّ الشيطان يطمع في إغواء كلَّ مولودٍ بحيث يتأثر منه إلاَّ مريم وابنها ، فإنَّ الله عصمهما، ووجهُ الأشديّة: أن الزمخشري ألحق بمريم وابنها سائر المعصومين، لأنَّ الضرورة داعية على هذا التأويل إلى ذلك ، والبيضاوي اقتصر على استثنائهما، فأدى كلامهُ إلى أنَّ كل من سواهما يتأثر من إغوائه ، ومنهم بقية المعصومين ، وهو باطل قطعاً ، والصواب أن الحديث على ظاهره [1] .

---

(١) نواهد الأبكار ل ١٠٣ .

سورة التوبة :

المسألة الخامسة :

قال الزمخشري : ﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن الجناية ، لأن العفو رادف لهـا ، ومعناه : أخطأت ، وبئس ما فعلت [١].

وقال البيضاوي : ﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن خطئه في الإذن ، فإن العفو مـن روادفه[٢].

قال السيوطي : تبع في هـذه العبـارة السيئة الزمخشـري ، وقـد قـال صـاحب الانتصاف : هو بين أمرين أحدهما : أن لا يكون هذا المعنى مـراداً فقـد أخطـأ ، أو يكون مراداً لكن كنّى الله تعالى عنه إجلالاً ورفعاً لقدره ، أفلا يتـأدب بـآداب اللـه تعالى ، لا سيّما في حقّ المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقال الطيبي : أخطأ الزمخشري في هذه العبارة خطأً فاحشاً ، و لا أدري كيـف ذهب عنه ـ وهو العَلَم في استخراج لطائف المعاني ـ أنَّ في أمثال هذه الإشارات ، وفي تقديم العفو إشعاراً بتعظيم المخاطب ، وتوقيره وتوقير حرمته .

وقال السجاوندي ﴿ عفا الله عنك ﴾ تعليم بعظمته صلوات الله وسلامه عليه ، و لو لا تصدير العفو في المقال ما قام بصولة الخطاب ، وربمـا يستعمل فيمـا لـم يسبق به ذنب ، و لا يُتصور ، كما تقول لمن تُعظمه : عفا الله عنك ، ما صنعت فـي أمري ؟ ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي ؟ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره ، والله يغفر له " .

وقال الشيخ سعد الدين : ما كان ينبغي له أن يعبِّر بهذه العبارة الشنيعة بعـد مـا راعى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بتقديم العفو ، وذكـر الإذن المنبـئ عن علو المرتبة ، وقوة التصرف ، وإيراد الكلام فـي صـورة الاستفهام ، وإن كـان القصد على الإنكار على أن قوله : ﴿ عفا الله عنك ﴾ قـد يقـال عنـد تـرك الأولـى والأفضل ، بل في مقام التعظيم والتبجيل ، مثل : عفـا اللـه عنـك مـا صنعـت فـي أمري؟ .

وقال القاضي عياض في الشفا : قال مكي : هذا افتتاح كـلام بمنزلـة أصلحـك

---

(١) الكشاف ٢/ ١٩٢ .

(٢) أنوار التنزيل ١/ ٢٢٤ .

الله وأعزك الله

وقد ألَّف في هذا الموضع رداً على الزمخشري البدرُ حسنُ بن محمد بن صالح النابلسي الحنبلي كتاباً سمَّاه (جنة الناظر وجنة المناظر في الانتصار من أبي القاسم للطاهر) وبهذه النكتة وأمثالها اشمأز أهل الدين والورع من النظر في الكشاف ونهوا عن مطالعته وإقرائه ، وألف الشيخ الإمام شيخ الإسلام التقيُّ السبكي ـ رحمه الله ـ كتاباً سمَّاه (سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف)[1].

سورة يونس

المسألة السادسة :

قال الزمخشري ﴿ الحسنى ﴾ المثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ وما يزيد على المثوبة ، وهي التفضل ... وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وجاءت بحديث مرقوع .[2] " إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ، فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، فو الله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه " [3].

وقال البيضاوي : ﴿ الحسنى ﴾ المثوبة الحسنى ﴿ وزيادة ﴾ وما يزيد على المثوبة تفضلا ... وقيل : الحسنى الجنة ، والزيادة هي اللقاء[4].

قلت : ما أنصف المصنِّف حيثُ جعل هذا القول آخر الأقوال وأضعفها ورجَّح عليه غيره ، وهو الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاً في تفسير هذه الآية ، فيما أخرجه مسلم في صحيحه ، وعن أصحابه أبي بكر الصديق ، وحذيفة ، وأبي موسى وعبادة بن الصامت وغيرهم ، والأحاديث والآثار بهذا التفسير كثيرة أوردتُها في التفسير المأثور . ولعلَّ المصنِّف سها عند كتابة هذا الموضع ، ومشى عليه قول الزمخشري: وزعمت المشبّهة والمجبِّرة : أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وجاءوا بحديث مرقوع . بالقاف .

قال الطيبيُّ : هو عنده بالقاف ، أي : مفترى ، وأما عند أهل السُّنة فهو مرفوع بالفاء .

---

(١) نواهد الأبكار ل١٧٣ .

(٢) في الكشاف : مرفوع ، والصواب مرقوع .

(٣) الكشاف ٢/ ٢٣٤ .

(٤) أنوار التنزيل ١/ ٢٣٨ .

وقال في الانتصاف منكراً عليه : بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، والحديث مدوَّن في الصحاح ، وقد جعل أهل السُّنة جاءوا به من عند أنفسهم ، فحسبُه الله .

وقال الزمخشري في موضع آخر :

لجماعة سمَّوا هواهم سنةً وجماعة حمرٌ لعمري مُوكفه

قد شبَّهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبكلفة

قال ابن المنير : انتقل إلى الهجاء ، وقد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه في المنافحة ، وهجاء المشركين ، فتأسيتُ ، وقلت:

وجماعة كفروا برؤية ربهم هذا ووعدُ الله ما لن يُخلفه

وتلقبوا عدليةً قلنا أحـ ـلعدلوا بربهم فحسبهم سفه

وتلقبوا الناجين كلا إنهم إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه

وقال أبو حيَّان : وقد نظم بعض علماء السنَّة ، وهو القاضي أبو بكر بن أحمد بن خليل ، فقال :

شبهت جهلاً صدر أمَّة أحمدٍ ذوى البصائر بالحمير المؤكفه

وزعمت أن قد شبَّهوا معبودهمو تخوفوا فتستروا بالبلكفه

ورميتهم عن نبعة سويتها رميَ الوليد غدا يُمزق مصحفَه

وجب الخسارُ عليك فانظر منصفاً في آية الأعراف فَهي المنصفه

أترى الكليم أتى بجهلٍ ما أتى وأتى شيوخك ما أتوا عن معرفه

من ليس يدرك كيف يحجب نفسه نهنه نُهى أشياخك المتكلفه

وبآية الأنعام ويك خذلتم فوقعتم دون المراقي المزلفه

ملك يهدد بالحجاب عبيده أترى محالاً أن يرى بالزخرفه

لو كان كالمعدوم عندك لا يُرى ذهب التمدح في هواء السفسفه

إن الوجوه إليه ناظرة بذا جاء الكتاب فقلتم هذا سفه

نطق الكتابُ وأنت تنطق بالهوى فهوى الهوى بك في المهاوي المتلفه

فالنفي مختصٌ بدارٍ ، بعدها لك ـ لا أبا لك ـ موعد لن تُخلفه

وقال الشيخ سعد الدين : لقد عورض ما أنشده ، أو أنشأه من الهذيان .

لجماعة كفروا برؤية ربهم ولقائه فهم حمير مؤكفه

فكماهم علموا بلا كيف فنحـ ـن نرى فلم ننعتهم بالبلكفه

هم عطلوه عن الصفات وعطلوا ... منه الفعال فيا لها من متلفه
هم نازعوه الخلق حتى أشركوا ... بالله زمرة حاكة وأساكفه
هم غلّقوا أبواب رحمته التي ... هي لا تزال على العصاة موكفه
ولهم قواعد في العقائد رذلة ... ومذاهب مهجورة مستنكفه
يبكي كتاب الله من تأويلهم ... بدموعه النهلة المستوكفه
وكذا أحاديث النبي دموعها ... منهم على الخدين غير مكفكفه
فالله أمطر من سحاب عذابه ... وعقابه أبداً عليهم أوكفه

وقال الإمام فخر الدين الجابردي ، وهو ممَّن اجتمع بالقاضي ناصر الدين البيضاوي ، وأخذ عنه :

عجباً لقومٍ ظالمين تستروا ... بالعدل ما فيهم لعمري معرفه
قد جاءهم من حيثُ لا يدرونه ... تعطيلُ ذاتِ الله معْ نفي الصفه

وقال :

الله يعلم ــ والعلوم كثيرة ــ ... أي الفريقين اهتدى بالمعرفه
ولسوف يعلم كل عبد ما جنى ... يوم الحساب إذا وقفنا موقفه
فاذكر بخيرٍ أمة لم تعتقد ... إلا الثناء عليه ذاتا أوصفه
ودع المِراء ، ولا تطع فيه الهوى ... فالحق في أيدي الرجال المنصفه

وقال القاضي تاج الدين السُبكيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ :

لجماعة جاروا وقالوا : إنهم ... للعدل أهلٌ ما لهم من معرفه
لم يعرفوا الرحمن بل جهلوا وَ منْ ... ذا أعرضوا للجهل عن لمح الصفه[1]

سورة مريم :

المسألة السابعة :

قال البيضاوي ﴿ فتمثل لها بشراً سويا ﴾ قيل : قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض متحجبة بشئ يسترها ، وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت ، وتعود إليه إذا طهرت ، فبينما هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام

---

(١) نواهد الأبكار ل ٢٠١ وانظر طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ٩ . وقد نقل عن السيوطي السيد نعمان خير الدين الألوسي هذا المبحث في كتابه جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ١٣٠ـ ١٣٢

متمثلاً بصورة شاب أمرد ، سوي الخلق ، لتأنس بكلامه ، ولعله لتهييج شهوتها به ، فتنحدر نطفتها إلى رحمها[1].

قال السيوطي :كان المصنف في غنية عن هذا الكلام الفاسد ، ولكن هذه ثمرة التوغل في الفلسفة[2].

سورة التحريم

المسألة الثامنة :

قال الزمخشري : (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه[3].

وقال البيضاوي : (والله غفور) لك هذه الزلة ، فإنه لا يجوز تحريم ما أحله الله[4].

قال السيوطي : الله أكبر ، استغفر الله من هذه الكلمة الشنعاء ، ما حكيتُها إلاَّ لأردها وأحذر الناس منها ، والمصنِّف تبع فيها الزمخشري ، وقد أطبق الأئمة على التشنيع عليه فيها .

قال صاحب الانتصاف : افترى الزمخشري على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريم ما أحلَّ الله تعالى ؛ لأنَّه ليس لأحد أن يعتقد حلَّ ما حرَّم الله ، وذلك لا يصدر من مؤمن ، وأمَّا مجرد الامتناع من الحلال فقد يكون مؤكداً باليمين ، وليس من ذلك ، وغاية الأمر أنَّه حلف لا يقرب مارية ، فنزلت كفارة اليمين ، ومعاذ الله ، وحاشا لله ممَّا نسبه الزمخشري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذه جرأة عليه صلى الله عليه وسلم[5].

وهكذا أجاد المؤلف في هذه المحاور الثلاثة وأحسن وأفاد في هذه الأمور الثلاثة ، واستحقت حاشيته بهذه الأمور الثناء عليها ، والإعجاب بها .

وأختم هذا الفصل بكلمة للمؤلف أثنى بها على حاشيته هذه ، وأشاد بذكرها بها .

قال : فكيف بكتابنا هذا الذي حررنا فيه كل مشكلة ، وحللنا كل معضلة ،

---

(١) أنوار التنزيل ٢/ ١٥ .

(٢) نواهد الأبكار ل٢٠١ .

(٣) الكشاف ٤/ ١٢٥ .

(٤) أنوار التنزيل ٢/ ٢٣٤ .

(٥) نواهد الأبكار ل ٢٢٥ .

وهذبنا الأحاديث وألفاظها من أصول الكتب الفائقة ، ونقحنا التخريج فيه من بحار الأصول الفائضة ، وأتينا فيه من فن الإعراب بالعجب العجاب ، ومن مباحث الأئمة المنقولة ما لا يطلع عليه غيرنا ، وكأنما ضرب عليه دونهم حجاب . نسأل الله سبحانه التسديد والتأييد ، وأن يجعله خالصاً لوجهه موجباً من كرمه المزيد . ولله در من قال :

قل لمن لم ير المعاصر شيئاً ويرى للأوائل التقديما
إن ذاك القديم كان جديداًوسيبقى هذا الجديد قديما[1].

---

(١) نواهد الإبكار ل ١٧٦ وانظر ص ١٦٤ ، ٤٥٠.

الفصل الرابع :
مصادر الكتاب

لقد أوتي جلال الدين السيوطي معرفة عامة وخبرة واسعة بالمصادر الإسلامية، إذ كان يتردد على خزائن الكتب التي أنشئت في العهد المملوكي ، ومنها الخزانة المحمودية[1] التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار ، ووقف عليها كتب ابن جماعة قال عنها المقريزي : ((و لا يعرف اليوم بديار مصر و لا الشام مثلها ، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن))[2]. فمكنه ذلك من الاطلاع والإفادة وإثراء كتبه بها ، فقد رجع في هذه الحاشية ((نواهد الأبكار)) إلى مصادر متنوعة ، ومراجع مختلفة في الفنون الإسلامية والعربية في علوم القرآن، والقراءات ، والتفسير ، والحديث ، وشروحه ، والعقيدة ، والفقه وأصوله ، واللغة والأدب ، والنحو والصرف والبلاغة ، والمعارف العامة .

وهذه المصادر تصنف إلى أصناف : فمنها ما صرح بأسمائها واطلع عليها ونقل منها ، ومنها ما لم يصرح بأسمائها ولكن صرح بأسماء مؤلفيها ، ومنها ما جاءت عرضاً بواسطة مصادر اطلع عليها وأفاد منها . وها أناذا أسرد أسماء هذه المصادر في هذه المسردة واضعاً أمام المطبوع منها حرف ((ط)) والمخطوط منها حرف ((خ)) والمفقود منها غفل عن العلامة .

الإبانة : لأبي نصر السجزي .

أبيات المعاني = كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني .

الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ط

الأحاجي النحوية للزمخشري ط

إحياء علوم الدين للغزالي ط

أخبار أبي تمام للصولي ط

الأدب المفرد للبخاري ط

الأذكارللنووي ط

(١) ألف السيوطي رسالة سماها ((بذل المجهود في خزانة محمود)) بحث فيها شأن الاستعارة الخارجية من هذه المكتبة . نشرت الرسالة في مجلة معهد المخطوطات العربية ٤/ ١/ ١٣٤ .

(٢) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢/ ٣٩٥ .

أرجوزة جعفر السراج خ

أساس البلاغة للزمخشري ط

أسباب النزول للواحدي ط

أسباب النزول لابن حجر = العجاب في بيان الأسباب .

الإستيعاب لابن عبد البر ط

أسرار التنزيل = قطف الأزهار في كشف الأسرار

الأسماء والصفات للبيهقي ط

الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ط

أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم ط

الإصابة لابن حجر ط

إصلاح المنطق لابن السكيت ط

الأصول لابن السراج ط

أصول الفقه لفخر الإسلام البزدوي ط

اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين للخرائطي ط

الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ط

الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص للسبكي

إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ط

ألفية ابن مالك ط

أمالي ابن الحاجب ط

أمالي ابن الشجري ط

أمالي عز الدين ابن عبد السلام = فوائد في مشكل القرآن

أمالي القالي ط

الأمثال للقمي

الأمثال للميداني = مجمع الأمثال

الأمد الأقصى في الأسماء الحسنى لابن العربي خ

الإنصاف فيما بين علماء المسلمين من الاختلاف لابن عبد البر ط

الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ط

الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ط

البحر المحيط لأبي حيان ط

بدائع الفوائد لابن القيم ط
البسيط في التفسير للواحدي رسالة دكتوراه
البسيط للغزالي خ
البسيط في النحو لضياء الدين ابن العلج
تاريخ ابن عساكر
التاريخ الكبير للبخاري ط
تاريخ ابن عساكر = تاريخ مدينة دمشق
التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ط
التبيين في الخلاف لأبي البقاء العكبري ط
التحرير والتحبير لابن النقيب
تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف للفاضل اليمني خ
تخريج أحاديث الشرح الكبير = تلخيص الحبير
تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام ط
تذكرة ابن هشام للنحوي
تذكرة أبي علي الفارسي
تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه ط
تفسير ابن برجان خ
تفسير ابن جرير = جامع البيان
تفسير ابن عقيل
تفسير ابن ماجه
تفسير ابن مردويه
تفسير ابن المنذر خ
تفسير الراغب خ
التفسير لأبي الشيخ ابن حيان
تفسير ضياء القلوب لسليم ابن أيوب رسالة ماجستير
تفسير القرآن العظيم للسمرقندي ط
تفسير القرآن لعبد الرزاق ط
تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ط
التفسير الكبير للرازي ط

التقريب في التفسير خ
تلخيص الحبير لابن حجر ط
تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر للكواشي رسالة ماجستير
التنقيح في شرح الوسيط للنووي ط
تهذيب اللغة للأزهري ط
توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية بن مالك للمرادي ط
الثواب لأبي الشيخ
جامع البيان للطبري ط
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ط
جواهر القرآن للغزالي ط
حاشية أكمل الدين خ
حاشية الجرجاني ط
حاشية سعد الدين خ
حاشية قطب الدين خ
حاشية المغني للدماميني خ
حاشية المغني للشمني خ
حاشية ولي الدين العراقي خ
حجة القراء السبعة لأبي علي الفارسي
حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ط
الحماسة لأبي تمام ط
الحماسة البصرية ط
الخصائص لابن جني ط
الخلافيات للبيهقي خ
الدر المصون للسمين الحلبي ط
درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ط
دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ط
دلائل النبوة للبيهقي ط
ديوان الأعشى ط

ديوان النابغة الذبياني ط
ديوان هذيل ط
ذا القد لابن جني
ربيع الأبرار للزمخشري ط
رسالة في إعراب فضلا للقرافي
رسالة في البسملة لابن خزيمة
رسالة في البسملة للخطيب البغدادي
رسالة في البسملة لسلطان المقدسي
رسالة في توجيه النصب في إعراب فضلا ولغة لابن هشام ط
رسالة في الجمل التي لها محل من الإعراب للبعلي
رسالة في الجهر بالبسملة لابن أبي هاشم
رسالة في الحمد لعلاء الدين البخاري
رفع اللباس وكشف الالتباس للسيوطي ط
رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب للسبكي ط
رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة لابن هشام الأنصاري
روضة الطالبين للنووي ط
سر الصناعة لابن جني ط
الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ط
سر الصناعة لابن جني ط
السنة لللالكائي = شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة
سنن الترمذي ط
سنن الدارقطني ط
سنن ابن ماجه ط
سنن أبي داود ط
سنن سعيد بن منصور لسعيد بن منصور ط
السنن الكبرى للبيهقي ط
سنن النسائي ط
الشامل لابن الصباغ خ
شرح أبيات إصلاح المنطق للتبريزي

شرح الأحاجي لعلم الدين السخاوي رسالة دكتوراه
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ط
شرح الألفية لابن الصائغ
شرح الألفية لحسن بن قاسم المرادي ط
شرح الأندلسي = المحصل في شرح المفصل
شرح بديعية ابن جابر = كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة
شرح التسهيل لابن مالك ط
شرح التعريف الملوكي لابن يعيش ط
شرح التلخيص للتفتازاني ط
شرح الجزولية للشلوبين ط
شرح جمل الزجاجي لابن خروف ط
شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ط
شرح الدرة الألفية لابن الخباز خ
شرح ديوان الحماسة للتبريزي ط
شرح الرسالة للفاكهي خ
شرح الرضي على الكافية للرضي الاستراباذي ط
شرح السنة للبغوي ط
شرح شواهد سيبويه للزمخشري خ
شرح شواهد الكبير للعيني ط
شرح الفصيح للبطليوسي
شرح قواعد الإعراب للكافيجي ط
شرح الكافية لابن القواس خ
شرح الكافية لابن مالك ط
شرح الكوكب الوقاد لابن جماعة خ
شرح اللب للسيد أحمد القريمي
شرح ما غمض من الألفاظ اللغوية في المقامات الحريرية للعكبري خ
شرح مسلم = المعلم بفوائد مسلم
شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح ط
شرح المفصل = المفضل في شرح المفصل

شرح المفصل لابن الحاجب ط
شرح المفصل لابن يعيش ط
شرح المفصل في صنعة الإعراب لصدر الأفاضل ط
شرح المقامات للزمخشري ط
شرح المقدمة المحسبة لأبي الحسن بن بابشاذ ط
شرح المهذب للنووي ط
شعب الإيمان للبيهقي ط
الشفا للقاضي عياض ط
الصحاح للجوهري ط
صوان النخب في أسماء الشيوخ والكتب للجذامي
صحيح ابن حبان
صحيح البخاري ط
صحيح ابن خزيمة ط
صحيح مسلم ط
الضوء على المصباح للإسفراييني خ
طبقات الشافعية للإسنوي ط
الطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ط
العباب في اللغة للصاغاني ط
عجائب المخلوقات للقزويني ط
العجاب في بيان الأسباب لابن حجر ط
عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي ط
العزيز شرح الوجيز للرافعي ط
عنوان الزمان للبقاعي ط
غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ط
غريب الحديث للخطابي ط
الغريب المصنف لأبي عبيد ط
الغريبين = المجموع المغيث
الفائق في غريب الحديث للزمخشري ط
فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة للإسفراييني خ

الفاخر للمفضل ط
فتح الباري لابن حجر ط
فتوح الغيب للطيبي رسالة دكتوراه
فرائد التفسير للمابرناباذي خ
الفصول الخمسون لابن معطي ط
فضائل القرآن لأبي ذر الهروي
فضائل القرآن لابن الضريس ط
فضائل القرآن لأبي عبيد ط
الفلك الدائر لابن أبي الحديد ط
فوائد في مشكل القرآن لعز الدين ابن عبد السلام ط
القاموس المحيط للفيروزبادي ط
قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي ط
قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادي
الكامل للمبرد ط
الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ط
الكتاب لسيبويه ط
كتاب الإبدال لابن السكيت ط
كتاب الأربعين لعبد القادر الرهاوي
كتاب الإغفال لأبي علي الفارسي ط
كتاب الأمثال لأبي عبيد ط
كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء للغزالي ط
كتاب الانتصار للقرآن للباقلاني ط
كتاب الانتصار لما في الإحياء من الأسرار للغزالي = كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء للغزالي .
كتاب إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ط
كتاب البسملة لأبي شامة خ
كتاب الدعاء للطبراني ط
كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ط
كتاب رصف المباني في حروف المعاني لأبي جعفر المالقي ط

كتاب الزهد لأحمد بن حنبل ط
كتاب شرح فصول ابن معطي لابن إياز خ
كتاب الصفوة لنجم الدين الزاهدي
كتاب الصلاة للفضل بن دكين ط
كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ط
كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ط
كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة للأندلسي ط
كتاب العظمة لأبي الشيخ ط
كتاب الفصل بين أبي عمرو والكسائي لأبي طاهر ابن أبي هاشم
كتاب ليس لابن خالويه ط
كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب ط
كتاب المصاحف لابن الأنباري
كتاب المطر لابن أبي الدنيا ط
كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة ط
كتاب مفاتيح الحجج ومصابيح النهج لأبي القاسم القشيري
كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني ط
كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ط
كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ط
كتاب الوقف والابتداء = كتاب إيضاح الوقف والابتداء
الكشاف للزمخشري ط
الكشاف على الكشاف للبلقيني خ
كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبزدوي ط
الكشف على الكشاف للقزويني خ
الكشف والبيان للثعلبي رسالة دكتوراه
اللباب في تفسير الفاتحة = فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة خ
اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ط
لطائف الإشارات لأبي القاسم القشيري ط
اللطيفة المرضية لداود الباقلي
المثل السائر لابن الأثير ط

مجاز القرآن لأبي عبيدة ط
مجمع البحرين لابن الساعاتي خ
المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني ط
المجيد في إعراب القرآن المجيد للسفاقسي ط
المحتسب لابن جني ط
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط
المحصل في شرح المفصل لأبي محمد الأندلسي اللورقي خ
مختصر الكشاف لابن هشام النحوي
المرشد في الوقف للعماني خ
مستدرك الحاكم ط
مسند أحمد ط
مسند أحمد بن منيع
مسند إسحاق بن راهويه ط
مسند البزار ط
مسند الدارمي ط
مسند الفردوس للديلمي خ
المصنف لابن أبي شيبة ط
المطلع ؟
معاني القرآن للأخفش ط
معاني القرآن وإعرابه للزجاج ط
معاني القرآن للفراء ط
المعجم الأوسط للطبراني ط
المعجم الكبير للطبراني ط
معرفة السنن والآثار للبيهقي ط
معرفة الصحابة لأبي نعيم ط
المعلم بفوائد مسلم للمازري ط
المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ط
المغني لابن هشام ط
مفتاح العلوم للسكاكي ط

المفردات للراغب ط
المفصل للزمخشري ط
المفضل في شرح المفصل لأبي الحسن السخاوي خ
المقتضب للمبرد ط
المقنعة لسليم الرازي
مقدمة جامع التفسير للراغب ط
مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ط
مناقب الشافعي للحاكم
منير الدياجي في تفسير الأحاجي لأبي الحسن السخاوي رسالة دكتوراه
المهمات للإسنوي خ
الموضح في وجوه علل القراءات للشيرازي خ
نتائج الفكر في النحو للسهيلي ط
نزهة الألباب في طبقات الأدباء لابن الأنباري ط
نسب عدنان وقحطان للمبرد ط
النشر في القراءات العشر لابن الجزري ط
نقد الشعر لقدامة ط
النكت والعيون للماوردي ط
النهاية لابن الأثير ط
نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني خ
نوادر الأصول للحكيم الترمذي ط
الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ط
الوسيط في المذهب للغزالي ط

الفصل الخامس :
المؤاخذات على الكتاب

اجتهد المؤلف في تحريرهذه الحاشية وتهذيبها وتحبيرها ، ولخص فيها حواشي الكشاف مماله تعلق بتفسير البيضاوي ، وأضاف إليها فوائد وفرائد من غيرها ، ومكثت عنده بعد تسويدها خمس قرن ينظر فيها ، وينقح ويصحح ،حتى استقامت له ورضي بها وأعجب بها غيره حتى تنافس مدرسوا تفسير البيضاوي في طلبها ، والحصول عليها ليستعينوا بها على تدريسه وإقرائه . بيد أنه وقع فيها بعض العيوب التي كان من الممكن تجنبها .

١ ـ فمنها إطالته الكلام فيما لا طائل تحته من المسائل المستثقلة المسترذلة في الفن الذي تنسب إليه فضلاً عن علم التفسير ،كالمسائل الملصقة بالنحو والصرف والبلاغة وليست من النحو العربي ، والبلاغة العربية في شئ ، أو المسائل التي لا تعد و لا تحسب في لغة و لا شرع بل هي من التكلف المحض ، و الكلام اللغو .

ـ ومن ذلك إطالته الكلام في العلة الفلسفية التي اقتضت كسر باء الجر ، وفتح كاف التشبيه . انظر ١٠٤ ـ ١٠٦ .

ـ ومن ذلك إكثاره الكلام في مناقشة مسألة عقيمة ، وهي : إمكانية النطق بالساكن أو عدم إمكانيته في اللغة العربية حتى أخرجه التكلف وسوء التوفيق من مناقشة تلك المسألة في دائرة اللغة العربية إلى دائرة اللغات الأعجمية . انظر ١٠٨ ـ ١١٢ .

ـ ومن ذلك الكلام في أنواع أل ودلالتها . انظر ١٦٤ ـ ١٧٣ .

ـ ومن ذلك الخلاف العريض في نوع الاستعارة الواقعة في حرف ((على)) من قوله تبارك وتعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ وكيفية إجرائها . انظر ٣٢٣ ـ ٣٢٥

ولقد تملكني العجب ، وتغلبت علي الدهشة من صنيع المؤلف رحمه الله ، فقد قرأت له قوله : ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة [1]، ثم ها هو يعتمد في التحليلات البلاغية على سراج الدين

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١/ ٣٣٥ .

السكاكي صاحب مفتاح العلوم وسعد الدين التفتازاني ، والشريف الجرجاني ، وبهاء الدين السبكي وهم من شرَّاح تلخيص المفتاح وشرف الدين الطيبي ، وهو من مختصري تلخيص المفتاح ، ويغلب على هؤلاء المنطق والفلسفة والكلام وتحليلات البلاغة العجمية اليونانية الأرسطية ، لا البلاغة العربية .

فإن قال قائل : أنت تتعالم وتتطاول على هؤلاء العلماء ، وتتكلم في ما لا تحسنه ، وتخوض في ما لا تجيده ، وحمادى أمرك أن تتفهم ما يقول هؤلاء بله أن تتعاطى الرد عليهم.

أقول : ليست صعوبة الفهم دائماً من قبل المتلقي القارئ ، وعلى كل حال فهذا أمر لم أقرره أنا ولم أحكم به عليهم ، بل قرره أهل الاختصاص بالبلاغة والنقد ، فانظر كتاب مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب لأمين الخولي ، وكتاب الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين لعباس أرحيلة .

ـ ومن ذلك نقله لتكلف أبي حامد الغزالي في تقسيم العالم إلى أنواع مستمداً ذلك التقسيم من الفلاسفة ، ومحاولة إجراء تشبيه بين الإنسان العالم الأصغر وبين العالم الأكبر ! انظر ص ١٨٢ ـ ١٨٥ .

٢ ـ ومن هذه العيوب أوهام في التخريج والعز وإن كانت قليلة ، فيعزو أحاديث وأقوالاً إلى مصادر وليست فيها ، وأقوالاً إلى أعلام وليست لها ، بل لغيرها . انظر ص ٢٤٥ ، ٣٣٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

٣ ـ ومن ذلك أنه يصل كلامه بكلام غيره أحياناً ، و لا يفصله منه ، ومنهجه العام في هذا الكتاب وغيره أن يعزو كل قول إلى قائلة ، وكل فائدة إلى صاحبها . انظر ص ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٦٠ ، ٢٩٨ ، ٣٩٥ وتلك عيوب مغمورة في بحر إجاداته الكثيرة وإفاداته الغزيرة ، فلا تغض من قيمة الكتاب ، ولا تنقص من أهميته ، ولا تنال من مكانته العلمية . وقد قيل : الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذة ، ولا يرتفع عنه القلم[1] .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١/ ١٠ .

الفصل السادس :

وصف النسخ الخطية للكتاب ، والمقارنة بينها وبيان منهج العمل والتحقيق

انتشرت نسخ هذا الكتاب الخطية ، كما انتشرت نسخ تفسير البيضاوي الذي حشّى عليه ، وقد جمعت بعد جهد جهيد وتعب شديد صور ثماني نسخ منها ، أربعة منها في مكتبة الأسد بدمشق [1]، ونسخة في المكتبة السليمانية باستنبول ، ونسخة في مكتبة دار الكتب المصرية ، ونسخة في مكتبة جامعة القرويين بفاس ، ونسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . وبعد دراسة هذه النسخ وقراءتها ، استبعدت ثلاثة منها ، وأسقطتها من الاعتبار ، اثنان من مكتبة الأسد ، وهما نسخة برقم ١٢١٥٠ ونسخة برقم ١٧٧٢٦ وأخرى من مركز الملك فيصل ، وقد عبث النساخ بهذه النسخ الثلاثة وأساءوا نقلها ومسخوها ، لا ألحقهم الله بمن لحقهم المسخ . واعتمدت على الخمسة الباقية ، وهاك وصفها :

النسخة الأولى : نسخة المكتبة الظاهرية ، ثم مكتبة الأسد برقم ٤٧٧ والقدر الذي قرر علي العمل فيه في ١١٤ لوحة في كل لوحة ٥٠ سطراً ،كتبت بخطي ناسخين ، كتب الناسخ الأول من ١ ـ ٥٩ بخط تعليق ، وكتب الناسخ الثاني من ٦٠ إلى ما بعدها بخط نسخ ، وفي بعض هوامشها لحق ساقط من الأصل ، وتعليقات ، وبلاغات ، والموجود من هذه النسخة المجلد الأول فقط ، كتب على لوحة العنوان ((سيوطي على البيضاوي)) وأسفل منه تملك ((من كتب الفقير عبد الرحيم بن علي المحلاتي عفا الله عنه)) وأسفل منه تملك آخر ((من كتب الفقير أحمد بن محمد بن إبراهيم بن صالح بن عمر بن حي في ٥ جمادى الآخر سنة ١٢٠١)) وختم ((دار الكتب الظاهرية الأهلية بدمشق)) ورقم ٤٧٧ ثم ختم ((مكتبة العمومية بدمشق)) . وفي آخر هذا المجلد ((المجلد الأول من حاشية تفسير القاضي البيضاوي لمولانا جلال الدين السيوطي قدس الله سرهما المسماة نواهد الأبكار وشوارد الأفكار وقف الملا عثمان الكردي على أرحامه ، وطلبة العلم من المسلمين)) وهي مجهولة الناسخ ، وتاريخ النسخ . وقد رمزت لهذه النسخة بـ ((ظ)) .

النسخة الثانية: نسخة المكتبة الأحمدية بحلب ، ثم مكتبة الأسد برقم ١٣١٤٩

---

(١) وقد لقيت نصباً في الوصول إليها والحصول على صور منها من هذه المكتبة

والقدر المقرر منها في ١١١ لوحة ، في كل لوحة ٥٠ سطراً ، كتبت بخط نسخ ، وفي بعض هوامشها لحق ساقط من الأصل ، وتعليقات ، وكتب على لوحة العنوان ((مخطط الأحمدية / ٣٠/ خاص)) ثم ((كتاب نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، وهو حاشية ، أو تعليق السيوطي على البيضاوي ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي رحمه الله تعالى)) ثم ختم قرأت منه ((من الكتب التي أوقفها السيد أحمد أفندي ط زاده على المدرسة الأحمدية بمدينة حلب)) ثم رقم ١٣١٤٩ عام وهي مجهولة الناسخ، وتاريخ النسخ . وقد رمزت لهذه النسخة ب ((ح)) .

النسخة الثالثة : نسخة مكتبة كلية القرويين برقم ٣١ والقدر المقرر منها في ٨٢ لوحة ، في كل لوحة ٧٠ سطراً ، كتبت بخط نسخ ، وفي بعض هوامشها تعليقات ، كتب على لوحة العنوان ((حاشية السيوطي على البيضاوي)) ثم كتابة مطولة لم أتبينها ثم ختم ((مكتبة كلية القرويين فاس)) . وفي آخرها ((وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة سابع عشر ربيع الثاني من شهور سنة خمس بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وكتبه العبد الفقير الراجي عفو ربه عمر جمال الدين المنوفي الشافعي عفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة آمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)) ثم ختم ((مكتبة كلية القرويين فاس)) .

وقد رمزت لهذه النسخة بـ ((ق)) .

النسخة الرابعة : نسخة المكتبة السليمانية باستنبول برقم ١٢٤ والقدر المقرر منها في ٥٤ لوحة ، في كل لوحة ٩٠ سطراً ، كتبت بخط نسخ ، وفي بعض هوامشها لحق ساقط من الأصل ، و إشارة إلى بعض المباحث في الحاشية ، كتبت بيد خليل بن محمد بخط نسخ ، سنة ١١٢٣ ، كتب على لوحة العنوان الأولى ((نواهد الأبكار وشوارد الأفكار للعلامة السيوطي ملخص ما في حواشي الكشاف للأئمة الأعلام)) وفي لوحة العنوان الثانية ((ملكه فقير لطف ربه الغني ياسين الحسيني الشهير بطه زاده غفر له)) ثم تحته تملك آخر ((قد انتقل نوبة الفقير ... إبراهيم ... ساكن طولخانة)) ، ثم ختم المكتبة . وقد رمزت لهذه بـ ((ت)) .

النسخة الخامسة : نسخة دار الكتب المصرية ، والقدر المقرر منها في ١٥٨ لوحة في كل لوحة ٤٦ سطراً وفي بعض هوامشها لحق ساقط من الأصل فقط ، كتب على لوحة العنوان ((الجزء الأول من حاشية الجلال السيوطي على تفسير البيضاوي ، عليهما سحائب الرحمة والرضوان آمين)) ، ولم أقف على اسم

ناسخها ، ولا على تاريخ نسخها ، إذ لم يصل إلي من هذه النسخة إلا الجزء المقرر فحسب . وقد رمزت لهذه النسخة بـ ((د)) .

وليس في هذه النسخ نسخة بخط المؤلف ، أو منسوخة منها ، أو مقروءة على المؤلف ، أو مكتوبة بخط عالم ، أو مقروءة على عالم ، وهي متوسطة الجودة ، ففيها شئ من التصحيف ، والتحريف و إن كان تغلب عليها الصحة ، ما عدا نسخة ((د)) فهي إلى التصحيف والتحريف أقرب . ولذلك لم أعتمد على نسخة بعينها، بل على الجميع لاستخلاص نص مقروء مصحح حسب الطاقة والجهد ، وهي تتفق في الصواب الكثير ، وقد تختلف فيه ، وقد تتفق في التصحيف والتحريف ، وقد تختلف فيه ، فما اتفقت فيه من تصحيف أو تحريف ، أو اختلفت فيه لم ألتفت إليه، بل أهملته وأسقطته من الاعتبار ، إذ لا فائدة من إثقال الهوامش بالخطأ الصرف ، وما اتفقت فيه من صواب أثبته ، وما اختلفت فيه من صواب فما اتفقت عليه الأكثرية من النسخ أثبته في النص ، وأثبت غيره في الهامش إلا إن شهدت للأقلية المصادر المنقولة منها فإني أثبت حينئذٍ ما في النسخ القليلة التي شهدت لها المصادر بالصحة ، وأثبت غيره في الهامش .

وكان منهج العمل والتحقيق كالآتي :

١ ـ قابلت بين النسخ الخطية وقارنت بينها ، واستخلصت من بينها نصاً صحيحاً سليماً من آفات السقط والتصحيف والتحريف .

٢ ـ عزوت الآيات إلى سورها ، وخرجت القراءات من مصادرها .

٣ ـ خرجت الأحاديث من المصادر التي عزا إليها المؤلف ، فإن كانت الصحيحين أو أحدهما خرّجته منهما أو من أحدهما مضيفاً إلى تخريج المؤلف التخريج من باقي الكتب الستة ، وإن كانت المصادر التي عزا إليها المؤلف غير الصحيحين خرجته منها مضيفاً إلى ذلك ما تيسر الوقوف عليها من مصادر الحديث، وقد أطول التخريج ، وأستقصي طرق الحديث أحياناً ، واختصر أحياناً أخرى ، وذلك حسب الحاجة والاقتضاء ، ثم إن وجدت الحكم بالقبول ، أو بالرد على الحديث من أحد الحفاظ نقلته وأكتفي بذلك ، وقد أبدي فيه نظراً ، وإن لم أجد الحكم عليه من قبل أحد من الحفاظ حاولت الحكم عليه من خلال إسناده ، وقد أتوقف أحياناً عن الحكم عليه .

٤ ـ خرّجت الأشعار والأمثال من دواوين الشعر ومصادر اللغة والأدب .

٥ ـ علقت على ما يقتضي التعليق عليه من تحقيق لقضية ، أو تنبيه على وهم ،

أو رد على خطأ ، أو شرح لغريب ، أو تعريف ببلد مسهباً أحيانـاً ، وموجـزاً أحيانـاً أخرى لاقتضاء المقام ذلك .

٦ ـ وثقت نقول المؤلف من المصادر التي رجع إليها ، وأفاد منها .

٧ ـ ترجمت للأعلام ترجمة موجزة .

٨ ـ صنعت الفهارس العامـة ، فهـرس الآيـات ، فهـرس الأحـاديث والآثـار ، فهـرس الأشعار ، فهـرس الأعـلام ، فهـرس المصـادر والمراجـع ، فهـرس الموضوعات.

الباب الثالث في : تفسير البيضاوي و حواشيه

الفصل الأول :

تفسير البيضاوي وأهميته

كان أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري من أبرز علماء البلاغة والبيان في القرن السادس الهجري إذ ملك ناصية البلاغة ، وحاز قصب السبق في البيان ، وامتطى صهوة جياد البراعة ، وأجرى خيول السباق في حلبات اللغة والأدب ، ثم إن طائفة من المعتزلة سماهم الزمخشري ((الفئة الناجية العدلية))[1] سمعوا منه كلامه في بعض الآيات فأعجبوا به واستحسنوه ، فطلبوا إليه أن يؤلف لهم تفسيراً يكشف فيه عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، فألف لهم هذا التفسير ((الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل)) و((لم يوفق لتصنيف أجمع لتلك الدقائق ، وتأليف أنفع لدرك تلك الحقائق ، وأكشف للقناع عن وجه إعجاز التنزيل، وأعون في مداحض الكلام على تعاطي التفسير والتأويل إلا الحبر الهمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، إذ مصنفه ((الكشاف عن حقائق التنزيل ، مصنف لا يخفى مقداره ، و لا يشق غباره اتضح بيانه ، وأضاء برهانه ، وعمت أضواؤه ، وانجلت سماؤه)) [2].

وكان قراء تفسيره بين إقبال وإدبار ، وانجذاب وانفرار ، يقبلون إليه ويستمعون به لما يجدون فيه من براعة البيان ، وروعة الأسلوب ، وقوة التعبير ، ودقة الملاحظة ، وإظهار البلاغة القرآنية ، وإبداء معجزاته البيانية ، ويدبرون عنه ضناً بعقيدتهم ، وفراراً بدينهم من أن يسحرهم ببيانه ، ويستهويهم ببلاغته ، فيسبق إلى نفوسهم اعتقاد بدعة ، واعتناق ضلالة ، فيندمون و لا كندامة الكسعي .

ثم إن البيضاوي وجد في نفسه أهلية لاختصار تفسير الكشاف ، وإبقاء ما أحسن فيه الزمخشري ، وحذف ما أساء فيه ، فنهد لاختصاره ، فهذبه واختصره ، وحذف لوثاته الاعتزالية ، وضلالاته القدرية ، وأبقى إحسانه البلاغي ، وإبداعه البياني ، وأضاف إلى ذلك ما التقطه من تفسير الراغب الأصبهاني ، وتفسير فخر الدين الرازي .

---

(١) الكشاف ١/ ١٨ .

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١/ ٢ .

قال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مبيناً ذلك : ((وقد اعتمد البيضاوي في دراسته القرآن العظيم لتحرير تفسيره على التفسيرين العظيمين : وهما تفسير الكشاف للزمخشري والتفسير الكبير للفخر الرازي ، فجعل اعتماده في بيان الألفاظ والتراكيب ، وتحليل المباني لاستخراج نكت المعاني على تفسير الكشاف، واعتمد في إبراز روح الحكمة القرآنية، وعرض نظرياتها من نواحي أصول الدين ، وأصول الفقه على المرجع في ذلك ، وهو تفسير الإمام الرازي ، واعتمد في تحرير المعاني الذوقية ، واستجلاء نكت الإشارات إلى دقائق المعارف على تفسير الراغب الأصبهاني)) (١).

رضي به جمهرة من العلماء واستغنوا به عن تفسير الكشاف ، وتعلقوا به ، ولهجت ألسنة كثير منهم بالثناء عليه والإشادة بذكره ، فها هو جلال الدين السيوطي يقول فيه : ((وسيد المختصرات منه كتاب " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " للقاضي ناصر الدين البيضاوي ، لخصه فأجاد ، وأتى بكل مستجاد ، وماز منه أماكن الاعتزال ، وطرح مواضع الدسائس وأزال ، وحرر مهمات ، واستدرك تتمات ، فبرز كأنه سبيكة نضار ، واشتهر اشتهار الشمس في وسط النهار ، وعكف عليه العاكفون ، ولهج بذكر محاسنه الواصفون ، وذاق طعم دقائقه العارفون ، فأكب عليه العلماء والفضلاء تدريساً ومطالعة ، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة ، ومروا على ذلك طبقة بعد طبقة ، ودرجوا عليه من زمن مصنفه إلى زمن شيوخنا متسقة))(٢).

وقال أحمد بن محمد بن عمر أبو العباس الشهاب الخفاجي : ((وتفسير البيضاوي له من بينها اليد البيضاء لاقتناصه روائع الأصلين ، وبدائع الشريعة الغرّاء، وقد تقدّم رتبه وإن جاز منه أخيراً ، فلسان حاله يتلو : ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً وإن أمعنت في تأويله نظراً ليس حسيرا و لا كليلاً فهو خير وأحسن تأويلا))(٣).

وقال إسماعيل بن محمد بن مصطفى القنوي : ((واحتوى من قواعد البلاغة

---

(١) التفسير ورجاله ١٠٧ وكشف الظنون ١/ ١٨٧ .

(٢) نواهد الأبكار ص ١٣ .

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي ١/ ٣ .

وأصول الفصاحة أهمها ، ومن شعب البلاغة والبراعة وفنون البدائع أدقها وأسناها ومن قوانين العلوم الأدبية أقواها وأعلاها ، فكان من بين التفاسير كالغرة الغراء ، والفريدة البيضاء ، ومرآة لانفهام وجوه البلاغة والإعجاز ، وصحائفه المزايا الحسان والإيجاز ، مع عبارة لطيفة أنيقة ، وإشارات دقيقة كأنها سحر عجاب ، يتحيرمنه أولو الألباب ، فصار في الاشتهار كالشمس في الهاجرة ونصف النهار ، واعتمد عليه أولوا الأبصار من الفحول في جميع الأمصار)) [1].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : ((إن أهم التفاسير " تفسير الكشاف " و"المحرر الوجيز" لابن عطية و"مفاتيح الغيب " لفخر الدين الرازي ، و"تفسير البيضاوي" الملخص من الكشاف ، ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع))[2].

وقال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور : ((أصبح تفسير البيضاوي بمحتواه ومنهجه وأسلوبه أثراً سامي القيمة ، أسدى به القاضي يداً بيضاء للباحثين والدارسين ، إذ قرب منهم المستعصي ، وجمع لهم المتفرق ، وضبط لهم تحرير غير المحرر ، فأحله الناس منذ بروزه واشتهاره في النصف الثاني من القرن السابع محل الاعتماد والإقبال ، وعكفوا عليه عكوفهم على المرجع الأصلي للتفسير ، إذ امتاز بالجمع بين التفسيرين المتكاملين اللذين لا يستغني الدارس المتقن ، والباحث المستبحر بأحدهما عن الآخر ، وهما تفسير الكشاف ، وتفسير الرازي))[3] .

ثم إن هذا الثناء مقبول في الجملة ، مرضي به في العموم ، بيد أن هاهنا شيء، وهو أن البيضاوي لم يكن له قدم راسخة في الحديث ، ولا تمييز لصحيحه من موضوعه ، و لا دراية لمذهب السلف أهل الحديث ، وإنما قصارى أمره وغاية علمه أنه عالم مشارك في التفسير ، والفقه ، وأصوله ــ على طريقة المتكلمين ــ وعلم التاريخ ، وعلم الكلام والفلسفة ، فتبع الزمخشري في إيراد أحاديث موضوعة في فضائل السور ، وتسللت إلى تفسيره بعض اعتزاليات الزمخشري ، وإساءاته الأدبية .

---

(١) حاشية القنوي على البيضاوي ١/ ٣ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١/ ٧ .

(٣) التفسير ورجاله ١٠٨ .

و ((ساير صاحب أنوار التنزيل وأسرار التأويل الكشاف في أمور عدها المعلقون عليه عد المآخذ ، لكونه جرى فيها على خلاف الأصول الأشعرية ، ولم يخلص فيها كلام الكشاف من نزعته الاعتزالية))[1] .

و ((لم يسلم من أمر وقع فيه قبله صاحب الكشاف ، وتهاون بأمره العلماء بعد القرن الثامن ، وهو عدم التحري في درجة الأحاديث التي يوردها ، معرضاً بما عليها من النقد والتزييف ، وما يتصل بها من مباحث التجريح والتعديل ، وذلك أمر أخذ عليه بحق))[2] . فقام السيوطي خير قيام بسد هذا الفراغ ، وإكمال هذا النقص في حاشيته هذه " نواهد الأبكار وشوارد الأفكار " وقد ذكرت شيئاً من هذا في فصل : قيمة الكتاب العلمية .

(١) التفسير ورجاله ١٠٨ .

(٢) المصدر السابق ١١٦ .

الفصل الثاني :

الحواشي التي علقت على تفسير البيضاوي

إن كتب الحواشي باب من أبواب التأليف في العلوم ، وأسلوب من أساليب التصنيف فيها ، وهي تعليقات على كتب التفسير ، وكتب شروح الأحاديث ، وكتب شروح المتون العلمية من الفقه ، وأصول الفقه ، وأصول الحديث ، والعلوم العربية من نحو وصرف ، وبلاغة ، وغيرها ، والعلوم العقلية من منطق وفلسفة ، وهي في الأصل ((عبارة عن أطراف الكتاب ، ثم صارت عبارة عما يكتب فيها ، وما يجرد منها بالقول فيدون تدويناً مستقلاً متعلقاً ، ويقال لها : تعليقة أيضا))[1] وهي ظاهرة برزت في القرن السابع - حسب علمي - ثم ازدادت شيئاً فشيئاً ،حتى طغت على أنواع التأليف في عصور الركود العلمي ، والجمود الفكري ، في القرن العاشر، والحادي عشر ، والثاني عشر . والغرض من هذه الحواشي تسهيل الكتب الدراسية المتداولة بتوضيح غامضها ، وتكميل ناقصها ، واستدراك فائتها .

تعلق بهذا التفسير " أنوار التنزيل "كثير من العلماء وطلاب العلم في عصور الانحطاط الثقافي ، والتدهور الإبداعي ، واختاروه على غيره مما ألفه علماء التفسير على مدى ستة قرون ، واتخذوه كتاب دراسة وتدريس في المساجد ، والمدارس ، فانتشرت نسخه انتشاراً واسعاً في الأقطار الإسلامية ، فقل أن تخلو مكتبة من المكتبات التي تقتني المخطوطات من نسخة من تفسير البيضاوي . ولقد أحصيت نسخة المخطوطة في المكتبة المركزية ، ومكتبة الحرم المكي ، ومكتبة مكة فبلغت نسخه عشرات النسخ ، في حين أن هذه المكتبات لا تحوي شيئاً من التفاسير المسندة ، كتفسير الطبري ، أو تفسير ابن أبي حاتم ، أو غيرهما .

ولما رأى العلماء انتشار هذا التفسير بين طلبة العلم أرادوا أن يقربوه لهم ، ويذللوا صعابه ، ويحللوا رموزه ، ويوضحوا غامضه ، ويسهلوا صعبه ، ويقربوا بعيده ، ويكملوا ناقصه ، ويسدوا ثغره ، ويضيفوا إلى ذلك ما رأوه مناسباً للمقام من تحقيق مسألة تفسيرية أو حديثية ، أو فقهية ، أو لغوية ، أو نحوية ، أو صرفية ، أو بلاغية ، حتى يستغني الكتاب ، ويكمل بهذه الحواشي والطرر .

ولا شك أن أصحاب الحواشي وفقوا إلى الاقتراب من جادة الكمال ، وإجادة

---

(١) كشف الظنون ١/ ٦٢٣ .

التعليقات والتحشيات على تفاوت بينهم في ذلك ، ويااليتهم وقفوا عند هذا الحد ، واكتفوا بهذا المقدار ، إذاً لأراحوا واستراحوا من إجهاد الذهن ، وإهــدار الوقـت ، ولكنهم نقروا عن أشياء ليست من متين العلم و لا من ملحه ، بل هي مـن التكلـف المحض والتنطع الصرف ، تجمع لقارئها الملل ، وتجلب لمعانيها السأم .

وعندما أقرأ بعض تشقيقاتهم وتنقيراتهم أقول : ما أشبه الليلة بالبارحة ما أشبه تشقيقاتهم بتشقيقات بعض المعتزلة هشام بن عمرو الفوطي حين قال له رجل يومـاً كم تعد من السنين ؟ قال : من واحد إلى أكثر من ألف . قال : لم أرد هذا ، كم لك من السن ؟ قال : اثنان وثلاثون سناً . قال : لم أرد هذا ، كم لك من السنين ؟ قال : مالي منها شئ ، كلها لله . قال : فما سنك ؟ قال : عظم . قال : فابن كم أنت ؟ قال ابن ابن آدم . قال : فكم أتى عليك ؟ قال : لو أتى علي شئ لقتلنـي .قـال : فكيـف أقول ؟ قال : قل :كم مضى من عمرك .

قال الإمام الذهبي : هذا غاية ما عنـد هـؤلاء المتقعريـن مـن العلـم ، عبـارات وشقاشق يتقعرون بها قديماً وحديثاً ، لا يعبأ اللـه بهـا ، يحرفـون بهـا الكـلام عـن مواضعه ، و الخطاب العربي عن موضوعه ، والحديث العرفـي عـن مفهومـه فـي القرآن والحديث وكلام الناس [١] .

ولقد حشيت تحشيات علـى غـير واحـد مـن كتـب التفسـير ، فمنهـا حواشـي الكشاف[٢]، وحواشي تفسيرالبيضـاوي ، وحواشـي تفسير النسفي[٣]، وحواشـــي تفسير الجلالين [٤]، وحواشي تفسير أبي السعود[٥].

وأكثر هذه التفاسير حواشي على الإطلاق تفسير البيضاوي ، فقـد أحصـى لهـا حاجي خليفة ٤٧ حاشية [٦]وعادل نويهض ١٣٦ حاشية [٧].

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، حوادث ووفيـات ٢٢١ ٢٣٠ ص ٤٤١ وسـير أعـلام النبلاء ١٠/ ٥٤٧ .

(٢) انظر : كشف الظنون ١/ ١٤٧٥ ١٤٨٣ والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي

(٣) معجم المفسرين ١/ ٢٥٨ .

(٤) كشف الظنون ١/ ٤٤٥ ومعجم المفسرين ٢/ ٨٦١ .

(٥) كشف الظنون ١/ ٦٥ ومعجم المفسرين ٢/ ٨٦١ .

(٦) كشف الظنون ١/ ١٨٨ .

(٧) معجم المفسرين ٢/ ٨٥٥ .

وهؤلاء الذين حشّوا على تفسير البيضاوي ثلاث طبقات : طبقة سبقت السيوطي وطبقة عاصرته ، وطبقة بعده ، فأما الطبقة التي سبقته فهي قليلة جداً ، و لا أعرف منها إلا محمد بن يوسف بن علي شمس الدين الكرماني ٧١٧ ــ ٧٦٨ وعلي بن محمد بن علي أبو الحسن الجرجاني ٧٤٠ ـ ٨١٦ وأحمد بن عبد الله بن بدر أبو نعيم شهاب الدين العامري الغزي ٧٧٠ ـ ٨٢٢ ويعقوب بن إدريس بن عبد الله الرومي النكدي ٧٨٩ ـ ٨٣٣ .

وأما الطبقة التي عاصرته فهي كثيرة وهي : مصطفى بن حمزة بن محمد أبو الميامين الطرطوسي ... ـ ٧٨١ ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله كمال الدين ابن إمام الكاملية ٨٠٨ ـ ٨٧٤ وأحمد بن عبد الله القريمي ... ـ ٨٧٩ ومصطفى بن إبراهيم مصلح الدين الرومي المعروف بابن التمجيد ... ـ٨٨٠ وعبد الرحمن بن يحيى بن يوسف عضد الدين القاهري ٨١٣ ـ ٨٨٠ ومحمد بن قطلوبغا ... ـ ٨٨١ وحسن جلبي بن محمد شاه بن محمد حمزة بدر الدين الفناري الرومي ٨٤٠ ـ ٨٨٦ ومحمد بن فرامرز بن علي ملا خسرو ... ـ ٨٨٥ وأبو القاسم بن أبي بكر الليثي السمرقندي ... ـ ٨٨٨ وحسين بن أحمد بن محمد بدر الدين الكيلاني ٨٤٢ ـ ٨٨٩ ومحمد بن إ يراهيم بن عثمان شمس الدين الخطيب الوزيري ... ــ ٨٩١ ومحمد بن إبراهيم ابن حسن محيى الدين النكساري ... ـ ٩٠١ ومحمد بن قاسم محيى الدين الشهير بالأخوين ... ـ ٩٠٤ و بايزيد خليفة بن عبد الله الرومي ... ـ ٩١٠ ونعمة الله بن محمود المعروف بالشيخ علوان النخجواني ... ــ ٩٢٠ وزكريا بن محمد بن أحمد زين الدين أبو يحيى الأنصاري السنيكي المصري ٨٢٣ ـ ٩٢٦ ومحمد بن علي شمس الدين المعروف بابن هلال الحلبي ... ــ ٩٣٣ وإسحاق بن محمد القرماني الشهير بجمال خليفه ... ـ٩٣٣ .

والطبقة التي بعده أكثر ، فوق المائة . ويبدو من مقدمة السيوطي في حاشيته "نواهد الأبكار" أنه هو الأول في تأليف حاشية على تفسير البيضاوي حيث قال :

((ولقد كان شيخاي الإمامان الأكملان ، والأستاذان الأفضلان ، بقية النحارير المدققين ، وعمدة المشايخ المحققين تقي الدين الشمني ، ومحيى الدين الكافيجي ، سقى الله ثراهما شآبيب الغفران ، وأمطر على مضجعهما سحائب الرضوان يقرئان هذا الكتاب فيأتيان في تقريره بالعجب العجاب ، ويرشدان من كنوزه ورموزه إلى صوب الصواب .

فلما توفاهما الحق إلى رحمته ، ونقلهما من هذه الدنيا الدَّنيَّة إلى فسيح جنته

شغرت الديار المصرية من محقق ، وخلت من مدّرس يبدي ضمائره مدقق ، فصار الكتاب بما فيه من الكنوز كصندوق مقفل ، وأصبح لفقد من فيه أهلية لتدريسه كأنَّه مغفل ، فألهمني الله سبحانه وتعالى أن جردت الهمَّة لتدريسه ، وشددت المئزر لتقرير ما فيه وتأسيسه ، فشرعت في إقرائه مفتتح سنة ثمانين وثمانمائة ، فأقرأت فيه في مدة عشر سنين متوالية من أوّله إلى أثناء سورة هود ، وبذلت المجهود في استقراء مواده ، والتنقير عن معادنه ، ولزمت النظر والسُهود والكواكب شُهود ، وشرعت مع ذلك في تعليق حاشية عليه تحلل خفاياه ، وتذلل مطاياه ، فسمع بذلك السامعون ، وطمع في الوصول إليها الطامعون ، وجسر على إقرائه حينئذٍ كل جسور وهجم من متعرّبةٍ ومن عجم ، ممن لا يفرق في مقدمة التصريف بين باب ضرب يضرب ، وباب نصر ينصر ، فضلاً عن أن يحوي عنده شتات تلك العلوم التي هي أصول له ويحصر ، وممن إذا قرأ الكرّاس نظرا يصحف التفقية بالتقفية ، ويحرف الترفية بالترقية ، وإذا سمع باستعارة أو مجاز كان بينه وبين إدراك ذلك مجاز))[1] .

ويدل كلامه هذا أن هذه الحواشي التي ألفها من سبقه ، ومن عاصره لم تصل إليه ولم يطلع عليها ، ولم يحط بها خبراً والسبب في ذلك ضعف التواصل العلمي، والتبادل الثقافي ، والتداول التأليفي بينه وبين أصحاب الحواشي .

بقي أن أشير إلى أن هذه الحواشي بعضها مطبوع[2]، وهي حاشية مصطفى بن إبراهيم مصلح الدين ابن التمجيد ... ـ ٨٨٠ .

وحاشية محمد بن مصطفى بن شمس الدين القوجوي شيخ زادة .... ـ ٩٥١ .

وحاشية عبد الحكيم بن شمس الدين محمد السيالكوتي الهندي ... ـ ١٠٦٧ .

وحاشية أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي ٩٧٩ ـ ١٠٦٩ .

وحاشية عبد الله بن حسن العفيف الكازروني ... ـ ١١٠٢ .

وحاشية إسماعيل بن محمد بن مصطفى القنوي ... ـ ١١٩٥ .

وبعضها مخطوط[3] وبعضها مفقود .

---

(١) نواهد الأبكار ص ١٤.

(٢) انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/ ٥٣ ، ٨٣١ ، ١٠٦٨ ، ٢/ ١٥٣١ .

(٣) انظر الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . علوم القرآن ٢/ ١١٥٢ ١١٦٤ .

كتاب
نواهد الأبكار وشوارد الأفكار
وهو حاشية
أو تعليق السيوطي على البيضاوي

للإمام جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي رحمه الله تعالى

لوحة العنوان من نسخة (ح)

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الله وبحمده منزل الكتاب، تبصرة وذكرى لاولى الالباب، اتيا من اساليب البلاغة بالعجب العجاب، راقيا [illegible] ذرى الفصاحة مرقى لا يحاك ولا يجاب، معجزة للنبي الهاد، سيد من ركب الجواد، واهدى من سلك الجواد، وافصح من نطق بالضاد، المبعوث بالمنهل العذب ليروي كل صاد، ويهدي كل صاد، المؤيد بالمعجزات التي لا يحصيها عد عاد، المخصوص باستمرار معجزته الى يوم التناد، وبقراءة كتابه في الجنان بلسانه العربي المستجاد، المؤتى جوامع الكلم بالايجاز لتقوم امته الى قيام الساعة بالاستنباط والاجتهاد، صلوات الله وسلامه عليه ما حدا حاد، وشدا شاد وبدا باد، وعدا عاد، وما غدا وراح رائح وغاد، وعلى آله الامجاد واصحابه الانجاد، اما بعد فان التفسير في الصدر الاول لكان مقصورا على السماع، محصورا في باب الاتباع، يحفظ في الصدور عن الصدور، ويرجع الى الاثر وعلى النقل يدور، ثم حدث تدوين الكتب وتصنيفها وذلك في منتصف المائة الثانية لجروه مجرى الاحاديث والآثار، وساقوه مساق ما دونوه من الاخبار، فقل امام من ائمة الحفظ الف جامعا او مسندا الا والف تفسيرا ساق فيه ما وقع له بالاسانيد موردا، ومفتتح هذه الطبقة مالك ووكيع وسفيان، وتبعهم من جاء بعدهم من الائمة الاعيان، كعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وآدم بن ابي اياس وابن ابي شيبة واسحاق بن راهويه وعبد بن حميد ونظرائهم ملي بالحفظ ريان، وجاءت بعدهم طبقة اخرى اصحاب نحو ولغة فالفوا في معاني القرآن ما نزل الاعراب ونحوا الى معانيه المقتبسة من اللغة ما يحتاج اليه تراكيبه

من الاعراب كالفراء والنحاس وابن الانباري في آخرين اتراب، ثم حدث في المائة الرابعة مصنفون الفوا تفاسير لخصوا فيها من تفاسير الحفاظ الاقوال بتراء، ومن كتب المعاني والاعاريب صاغوها بعد ان كانت بتراء، ثم جاءت فرقة اصحاب نظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجه الاعجاز واسرار البلاغة التي هي لحلل التراكيب طراز، وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة والامام السالك في هذا المجاز الى الحقيقة، فلذا طار كتابه في اقصى الشرق والغرب، ودار عليه النظر اذ لم يكن لكتابه نظير في هذا الضرب، ولما علم مصنفه انه بهذا الوصف قد تحلى، ورقي الى مرتبة ما رقي اليها غيره ولا تدلى، قال تحدثا بنعمة ربه وشكر الله علوا في الارض ولا فخرا، ان التفاسير في الدنيا بلا عدد، وليس فيها لعمري مثل كشاف، ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته، فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقد نبه جوفي خطبة كتابه على الوصف الذي به تميز مبينا بخطابه فقال اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية، واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية، ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة، او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة، وانما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيها الركب، ووقع فيه الاستباق والتناضل، وعظم التفاوت والتفاضل، حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد، وترقى الى ان عد الف بواحد، ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطايف معان فيها مباحث للفكر، ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحديهم واخصهم، والا واسطتهم وفصهم، وعامتهم عماة عن ادراك حقايقها باحداقهم، عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم، ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح، وانهضها بما يبهر الالباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام، والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ، والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ، والنحوي وان كان انحى من سيبويه، واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى احد منهم لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن

اللوحة الأولى من نسخة (ح)

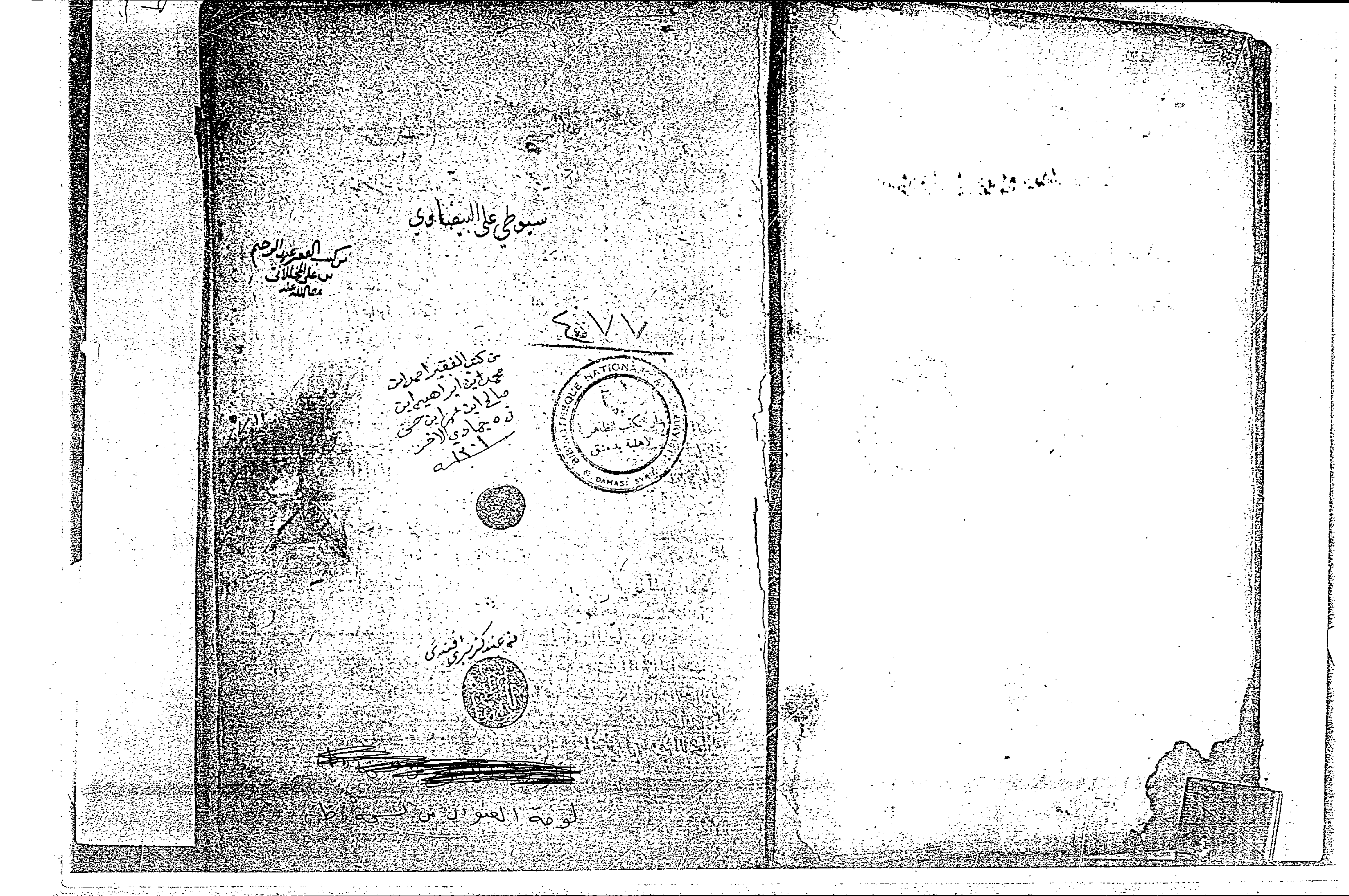
جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على ان انتفاء احدهما لانتفاء الاخر فهي بمنزلة ان وقد يقال انها باقية على اصلها وقصد بها التنبيه على ان مشقتهم بسبب الرعد والبرق وصلت غايتها وقاربت ازالة الحواس بحيث لو تعلقت به المشيئة لازالت بلا حاجة الى زيادة في قصيف الرعد وضوء البرق قوله وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء قال الطيبي يعني دلت الهمزة على التعدية والباء كضمادة للتعدية وتاكيدها كما يعضد الباب بعضادتيه وفي الحاشية المشار اليها القياس الا يجمع بين اداتي تعدية بل اما الهمزة او الباء وقد جاء الجمع بينهما قليلا ومنه هذه القراءة قوله وفايدة هذه الشرطية ابداء المانع الى اخره قال الطيبي وفايدته الراجعة الى الممثل له هي انه تعالى يمهل المنافقين فيما هم فيه ليتمادوا في الغي والفساد ليكون عذابهم اشد قوله والشيء يختص بالموجود قال في الانتصاف فان قيل اذا كان المعدوم لا يسمى شيئا فاذا وجد صار شيئا لا تتعلق به القدرة اذ القدرة انما تتعلق بالشيء اول وجوده فكيف يكون قادرا على شيء فجوابه انه من باب قتل قتيلا اي تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كانه قال قادر على ما يصير شيئا قال في الانصاف وفيه نظر فان القدرة تتعلق به في اول زمن وجوده وهو في اول الزمن وجوده شيء بلا خلاف بين المسلمين اذ لو لم يكن شيئا في اول زمن وجوده لم يكن شيئا في ثاني الاحوال قوله اطلق بمعنى شاء تارة قال الطيبي اي مريد وبمعنى مشيء اخرى هو بفتح الميم اسم مفعول كمبيع قال ابن عقيل فالاول بمعنى الفاعل والثاني بمعنى المفعول قوله وقول امرئ القيس: كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي، قال الشيخ سعد الدين يصف العقاب وهو مخصوص بانه لا ياكل قلب الطير رطبا ويابسا حال اي بعضها رطبا وبعضها يابسا وكذا لدى وكرها وقد شبه الرطب بالعناب واليابس بالحشف البالي اي ارداء التمر وقال ابن قتيبة في ابيات المعاني قلوب الطير اطيب ما فيها فهي تاتي ترتبه فراخها واول القصيدة:

الا عم صباحا ايها الطلل البالي. وهل يعمن من كان في العصر الخالي. وهل يعمن الا سعيد مخلد، قليل الهموم ما يبيت باوجال، ومنها كاني بفتخاء الجناحين لقوة. على عجل منها اطاطي شمالي، تخطف خزان الانيعم بالضحى. وقد حجرت منها ثعالب اوزال، كان قلوب الطير البيت وفتخاء الجناحين لينتهما واللقوة بكسر اللام العقاب قال المبرد في الكامل هذا البيت باجماع الرواة احسن ما جاء في تشبيه شيئين مختلفين في حالين مختلفين بشيئين مختلفين وقال ابن عساكر في تاريخه يقال ان لبيدا قدم المدينة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشعر

الناس فقال يا حسان أعلمه فقال حسان الذي يقول كأن قلوب الطير رطبا ويابسا. لدى وكرها العناب والحشف البالي فقال هذا امرؤ القيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ادركته لنفعته ثم قال معه لواء الشعراء يوم القيامة يتدهدى بهم في النار وفي امالي القالي عن روح بن زنباع قال اشعر الشعراء الذي يقول كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي والعناب بضم العين بوزن رمان ذكره في القاموس قوله خفقة من خفق الطير اي لمع قوله انتهزوها فرصة قال الشريف الانتهاز يتعدى الى مفعول واحد فقوله فرصة حال قال الشيخ سعد الدين والاحسن ان يكون مفعولا ثانيا على تضمين معنى الاتخاذ اي اتخذوا الخفقة فرصة قوله فالنداء يعم الموجود من وقت النزول لفظا ومن سيوجد الى اخره اما العموم في الحكم فمجمع عليه وهل هو بالصيغة او بدليل اخر من قياس او غيره خلاف محكي في المحصول والاصح الثاني وهو لفظ الامام الاقرب انه لا يتناول من سيوجد لان يا ايها الناس خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله له لدليل منفصل وهو ما تواتر من دينه عليه السلام ان احكامه ثابتة في حق من سيوجد الى قيام الساعة قوله وما روى عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الذين امنوا فمدني الى اخره فيه امور احدها قول علقمة اخرجه ابو عبيد في فضائل القران واخرجه ايضا عن ميمون بن مهران ولم اقف على قول الحسن مسندا الثاني قوله ان صح رفعه صوابه ان صح بدون رفعه لان المرفوع قول النبي صلى الله عليه وسلم او قول الصحابي فيما يتعلق بالنزول وعلقمة والحسن ليسا من الصحابة فقد يقال انه لعلهما ذلك في حكم المرفوع المرسل الثالث هذا توقف من المصنف في صحته وكذا قال الطيبي هذا مذكور في معالم التنزيل والبسيط والكواشي ولم اجده في كتب الحديث وقد تقدم تخريجه وصح عن ابن مسعود ايضا اخرجه البزار في مسنده والحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة الرابع لم يستدل احد بهذا الاثر على اختصاص الاية بالكفار حتى يحتاج المصنف الى دفعه وغايته ما استدل به على ان الاية مكية اي نزلت بمكة مع قصد العموم للمؤمنين والكفار وان يا ايها الذين امنوا مدني اي نزل بالمدينة الخامس في الحاشية المشار اليها هذا وان كان مشهورا منقولا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما فهو مشكل لان سورة البقرة مدنية بالاتفاق وقد قال هنا يا ايها الناس اعبدوا ربكم وفيها يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وكذلك سورة النساء مدنية واولها يا ايها الناس وفي اثنائها ان يشا يذهبكم ايها الناس ويا ايها الناس قد جاءكم الرسول ويا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وكذا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا في سورة الحج

آخر المقرر من نسخة «ح»

الى هنا / العمل


سيوطي على البيضاوي

من كتب الفقير عبد الرحيم
بن علي الجيلاني
عفا الله عنه

من كتب الفقير احمد ابن
محمد ابن ابراهيم ابن
صالح ابن عمر ابن حسن
في ٥ جمادي الآخر
١٠٢١ سنة

في عند كبري افندي

لوحة العنوان من نسخة (ط)

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الله وبحمده منزل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب
آيتها من أساليب البلاغة بالعجب العجاب، راقيها من ذرى الفصاحة مرتقى آيات وحكم
معجزة للنبي الهاد، سيد من ركب الجواد، وأهدى من سلك الجادة، وأفصح من نطق بالضاد
المبعوث بالمنهل العذب لكل صاد، ويهدي كل صاد، المؤيد بالمعجزات التي
لا يحصيها عد عاد، المخصوص باستمرار معجزته إلى يوم التناد، وبغزارة كتابه
في الجنان بالكلم العربي المستجاد، المؤتى جوامع الكلم بالإيجاز لتقوم أمته
له قيام السائم بالاستنباط والاجتهاد، صلوات الله عليه وسلامه ما حدا حاد
وشدا شاد، وبدا باد، وغدا غاد، وما غدا ورائح رائح، وعاد، وعلى آله الأمجاد
وأصحابه الأنجاد. وبعد فإن التفسير في الصدر الأول كان مقصوراً على السماع
محصوراً في باب الاتباع، يحفظ في الصدور من الصدور، ويرجع إلى الأثر والنقل
ويدور. فلما حدث تدوين الكتب وتصنيفها وذلك في منتصف المائة الثانية
أخرجوه مجرى الأحاديث والآثار، وساقوه مساق ما دونوه من الأخبار
فتكلم الأئمة الحفاظ ألفوها معاً ومسندة الآثار إلى غير تغيير أساق فيه ما وقع
بالأسانيد مورداً. ومفتتح هذه الطبقة مالك ووكيع وسفيان وشعبة ونظراؤهم
من جاء بعدهم من الأئمة الأعيان كعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور
وآدم بن أبي إياس وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه وعبد بن حميد وغيرهم كلهم
مليء بالحفظ رباني. وجاءت طبقة أخرى أصحاب نحو ولغة فألفوا في معاني
القرآن ما يزيل الإغراب، وضموا إلى معانيه المفسرة من اللغة
ما يحتاج إليه تراكيبه من الإعراب كالفراء والزجاج والنحاس
وابن الأنباري في آخرين أتراب. ثم حدث في المائة الرابعة
مصنفون ألفوا تفاسير خصوا فيها من تفاسير الحفاظ الأقوال بتراً
ومن كتب أصحاب المعاني معاني وأعاريب صاغوها بعد أن كانت تراه
ثم جاءت فرقة أصحاب نظر في علوم البلاغة التي يدرك بها وجه الإعجاز

تدوين الكتب في منتصف المائة الثانية من الهجرة

اللوحة الأولى من نسخة (ظ١)

وأسرار البلاغة التي هي حلل التراكيب طرازه، وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة
والإمام إذ لك في هذا المجاز لا الحقيقة، فلذا طار كتابه في أقطار الشرق والغرب
ودار عليه النظر إذ لم يكن لكتاب نظير في هذا الضرب، ولما علم مصنفه أنه بهذا
الوصف قد تحلى، وترقى إلى مرتبة ما دنى إليها أحد ولا تدلى، قال تحدثاً بنعمة ربه
شكراً لا علواً في الأرض ولا فخراً:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقد نبه في خطبة كتابه على الوصف الذي به تميز
جليل نصابه فقال: اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية
وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى
يسيرة، أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة، وإنما الذي تباينت
فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق والتناضل، وعظم التفاوت
والتفاضل، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد، وترقى إلى أن عد ألف بواحد،
ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر
ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم
وإلا واسطتهم وفصهم، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم، عناة في يد التقليد
لا يمن عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم، ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها
بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار
يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ
في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم
وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان
من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي
وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى
منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع
في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة
وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله

وسئل رضي الله عنه ما لفظه صرّحوا بأن نسيان القرآن كبيرة فكيف ذلك مع خبر الصحيحين
لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل يقول نُسّيتُ أو أُنسيتُ وخبرهما أنه صلى الله عليه وسلم
سمع رجلاً يقرأ فقال رحمه الله لقد أذكرني آية كنت أسقطتها وما المراد بالنسيان وهل يعذر
به لا إذا كان لاشتغاله بمعيشة عياله التي لا بد منها وهل يشمل ذلك نسيان الخط بأن
كان يقرؤه غيباً ومن المصحف فصار لا يقرؤه إلا غيباً وفي عكسه هل يحرم أيضاً فأجاب
بقوله لا تنافي بين الحديثين والحديث الدال على أن نسيان القرآن كبيرة أما الأول فلأن
الأمر بأن يقول نُسّيتُ بتشديد السين أو أُنسيتُ إنما هو لرعاية الأدب مع الله تعالى
في إضافة الأشياء إليه لأنها منه بطريق الحقيقة خيرها وشرها ونسبتها للعبد إنما هي
من حيث الكسب والمباشرة فأُمرنا برعاية هذه القاعدة العظيمة النفع الغزيرة الوقع
التي ضل فيها المعتزلة ومن تبعهم كالزيدية فليس في هذا الحديث أن النسيان كبيرة ولا أنه
غير كبيرة كما اتضح مما قررته وأما الثاني فهو دليل على أن المراد بالنسيان المحرم أن يكون بحيث
لا يمكنه معاودة حفظه الأول إلا بعد مزيد كلفة وتعب لذهابه عن حافظته بالكلية وأما النسيان
الذي يمكن معه التذكر بمجرد السماع وإعمال الفكر فهذا سهو لا نسيان في الحقيقة فلا يكون
محرماً وتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بأسقطتها يظهر لك ما قلناه ولا يعذر به وإن كان
لاشتغاله بمعيشة ضرورية لأنه مع ذلك يمكنه المرور بلسانه أو قلبه فلم يوجد في المعاش ما
ينافي هذا المرور فلم يكن شيء منها عذراً في النسيان نعم المرض المشغل المؤلم للقلب واللسان
والمضعف للحافظة عن أن يثبت فيها ما كان فيها لا يبعد أن يكون عذراً لأن النسيان الناشئ
من ذلك لا يعد به مقصراً لأنه ليس باختياره إذ الفرض أنه شغل قهراً عنه بما لم يمكنه معه تعهده
وقد علم بما قررته أن المراد بالنسيان الإزالة عن القوة الحافظة بحيث صار لا يحفظه عن ظهر
قلب كالصفة التي كان يحفظ عليها قبل ونسيان الكتابة لا شيء فيه ولو نسيه عن الحفظ
الذي كان عنده ولكنه كان يمكنه أن يقرأه في المصحف لم يمنع ذلك عنه إثم النسيان لأنا متعبدون
بحفظه عن ظهر قلب ومن ثم صرح الأئمة بأن حفظه كذلك فرض على الأمة وأكثر الصحابة كانوا
لا يكتبون وإنما كانوا يحفظونه عن ظهر قلب وأجاب بعضهم عن الحديث الثاني بأن النسيان
مثل الآية أو الآيتين لا عن قصد لا يخلو منه إلا النادر وإنما المراد نسيان ينسب فيه التقصير
وهذا غفلة عما قررته من الفرق بين النسيان والإسقاط فالنسيان بالمعنى الذي ذكرته حرام
بل كبيرة ولو لآية منه كما صرحوا به بل ولو لحرف كما جزمت به في شرح الإرشاد وغيره لأنه متى وصل
به النسيان ولو للحرف إلى أن صار يحتاج في تذكره إلى عمل وتكرير فهو مقصر آثم ومتى لم يصل
إلى ذلك بل يتذكره بأدنى تذكير فليس بمقصر وهذا هو الذي قل من يخلو عنه من حفاظ القرآن
فسومح به وما قدمته من حرمة النسيان وإن أمكن معه القراءة من المصحف نقله بعضهم عن جماعة
من محققي العلماء وهو ظاهر جلي والله أعلم مدوّن فتاوى ابن حجر رحمهما وإيانا الرب الأكبر
وسترهم من هول يوم المحشر بجاه النبي الأفخر صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه عدد الحجر والشجر

المجلد الأول من حاشية تفسير القاضي البيضاوي
لمولانا جلال الدين السيوطي قدس الله سرها
المسماة نواهد الأبكار وشوارد الأفكار

وقف الملا عثمان الكردي على أرحامه
وطلبة العلم من المسلمين

آخر لوحة من نسخة "ظ"

حاشية السيوطي على البيضاوي

[illegible]

لوحة العنوان من نسخة "ق"

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

سبحان الله منزل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب آيات من أساليب البلاغة بالعجب العجاب دانيا من ذوي الفصاحة برقي الإعجاز والإيجاب معجزة للنبي الهاد سيد من ركب الجواد وأهدى من سلك الجواد وأفصح من نطق بالضاد المبعوث بالمنهل العذب ليروي كل صاد ويهدي كل صاد بالمعجزات التي لا يحصيها عد عاد المخصوص باستمرار معجزاته إلى يوم التناد وبقراءة كتابه في الجنان بلسانه العربي المنجاد الموفي جوامع الكلم بالإيجاز ولتشوق أمته إلى قيام الساعة بالاستنباط والاجتهاد صلوات الله عليه ما حدا حاد وشدا شاد وبدا باد وعدا عاد وما غدا رائح وعاد وعلى آله الأمجاد وأصحابه الأنجاد أما بعد فإن التفسير في الصدر الأول كان مقصورا على السماع محصورا في باب الاتباع يحفظ في الصدور وعن الصدور يرد ويرجع إلى الأثر والنقل ويدور فلما حدث تصنيف الكتب وتدوينها وذلك في منتصف المائة الثانية أجرو مجرى الأحاديث والآثار وساقوا ما ساق ما رووه من الأخبار فعمل غير واحد من أئمة الحفظ ألف جامعا أو مسندا وألف تفسيرا ساق فيه ما وقع له بالأسانيد مورد أو مسح هذه الطبقة مالك ابن أنس ووكيع وسفيان وتبعهم من جاء بعدهم من الأئمة الأعيان كعبد الرزاق والفريابي وسعيد ابن منصور وآدم ابن أبي إياس وابن أبي شيبة وإسحق ابن راهويه وعبد ابن حميد وخلائق كلهم ملي بالحفظ ريان وجاءت طبقة أخرى أصحاب نحو ولغة فألفوا في معاني القرآن ما يرد الإعراب وضموا إلى المعاني المعتبرة من اللغة ما يحتاج إليه تراكيبه من الإعراب كالفراء والزجاج والنحاس وابن الأنباري في آخرين أتراب ثم حدثت في المائة الرابعة مصنفون ألفوا تفاسير حشوا فيها من تفاسير الخلط الأقوال تبرا ومن كتب أصحاب المعاني معاني وأغاريب صاغوها بعدما كانت تبرا ثم جاءت فرقة أصحاب نظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجه الإعجاز وأسرار البلاغة التي هي حلل التراكيب طرازه وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة والإمام السالك في هذا المجاز إلى الحقيقة فلذا طار كتابه في أقصى المشرق والمغرب ودار عليه النظر إذ لم يكن لكتابه نظير في هذا الضرب ولما علم مصنفه أنه لهذا الوصف قد تحلى وترقى إليه من تبيينه ما دبي إليها غيره ولا انتدى قال تحدثا بنعمة ربه وشكرا لأعلوائه في الأيمن والأخسراه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

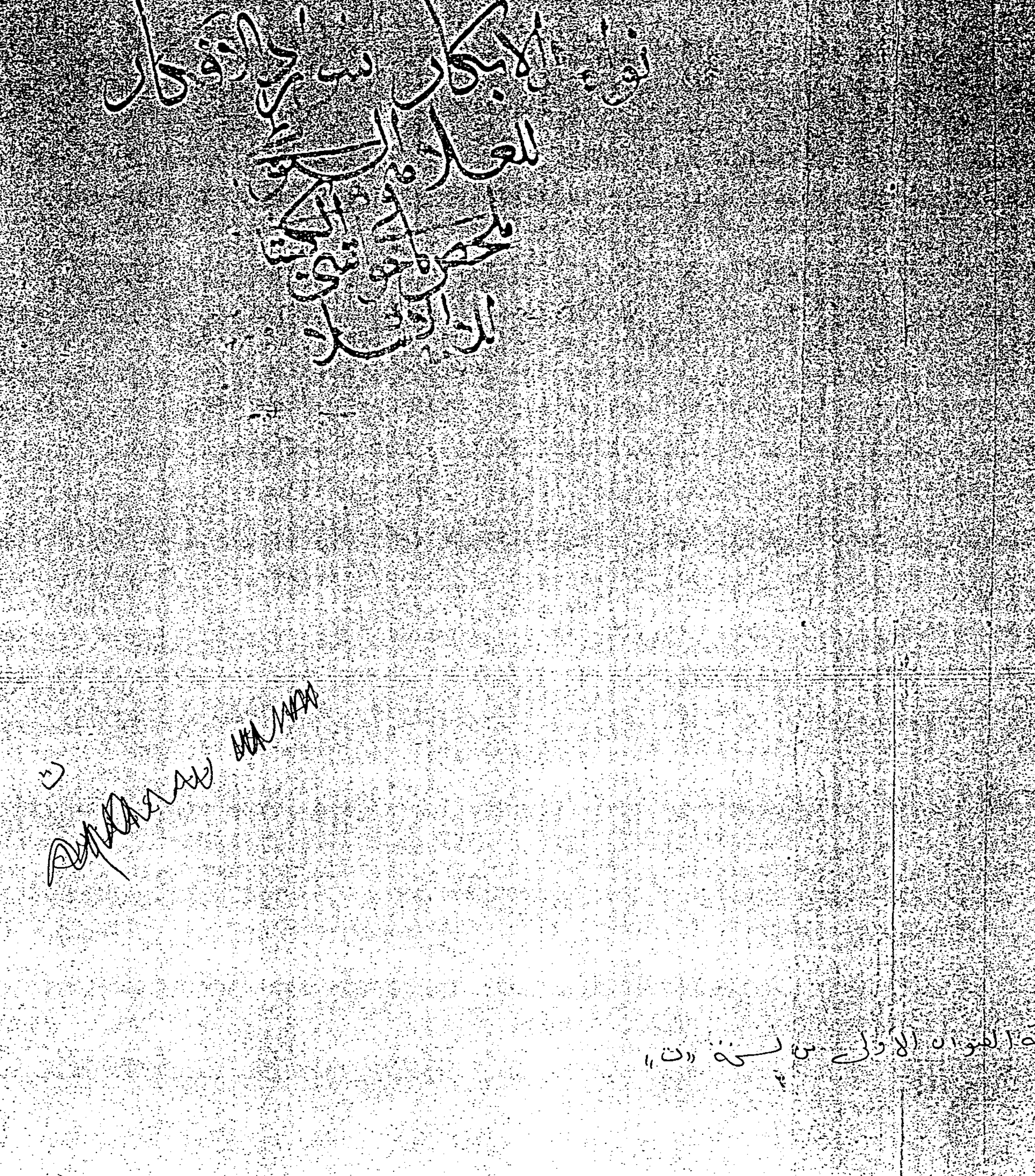
وقد نبه هو في خطبة كتابه على الوصف الذي به لمن جليل نصابه فقال إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع إليه ورد ورد عليه فارسا في علم الإعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وإن لطف شأنها منتبها على الرمزة وإن خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه هذا ما ذكره في خطبة الكشاف مشيرا إلى ما يجب في هذا الباب من الأوصاف معترضا بأنه المتحلي بهذا الوصف وإن كنا به هو الآتي على سنن هذا الوصف والمتصدف وبر ودسح نظامه في القلوب وقر ولعمري البلقيني في الكشاف فلم يدرك مغزاه ولا طابق ما أورده منطوق ما ذكره ولا فحواه قائلا قصد الزمخشري بما أبان الإشارة إلى براعته في علم المعاني وعلم البيان وكيف يترجح فإن جمعنا أوراق يسيره وحدو لا يتجاوزان في إيجاد بر صفحة قد وضعا بعد الصحابة والتابعين بسنين من السنين وحصرا بعد البحار الزاخرة ووثبا بالتغير بعد تكملة الخلج الفاخرة على الفنون التي طافت الشارق والمغارب كالطوفان إن ذكرها في الصحابة الذين هم أسد الغابة أو ذكرها في التابعين الذين كانوا للصحابة شاهدين سامعين أو ذكروها في عصر الفقها من نبه عليها في الأقدمين من النبها وما على الناس من اصطلاح أتى به عبد القاهر الجرجاني واقتفاه السكاكي فيما ذكر من المعاني ولا يقوم لها في كثير من الفقها دليل ولسرها إلى ذلك سبيل علم التفسير لما يتلقى من الأخبار وسلك فيه مسالك الآثار وأفق ... لم يتوارد البلقيني والزمخشري على محل واحد وليس الزمخشري لانحصار تلقي التفسير من الأحاديث والآثار بجاحد كيف وانحصار التفسير في السماع كله إجماع والنهي عن الخوض في القرآن بالرأي بلا إسماع ولهذا لم يذكر أهل الحديث مع عدد من أرباب الفنون ولا أدرجهم في زمرة من ذكره وإن حالت من المحرض الظنون وإنما مقصوده بيان ما أشار إليه أولا أن القدر الزائد على التفسير من استخراج محاسن النكت والفرائد المعاني التي تعمل فيها الفكر وكشف الأستار عن غوامض الأسرار وبيان ما في القرآن من الأساليب وما تضمنه من وجوه البلاغة في التراكيب لا ينهض له إلا من برع في هذين العلمين وتجرب هذين الفنين وصار مجتهدا في علوم البلاغة ذا تصرف في أفانين البراعة خبيرا بأساليب الكلام بصيرا بمسالك النظام فإن لكل نوع أصولا وقواعد هي للوصول إلى حقيقته مساعد ولا يدرك فن بقواعد فن آخر وإن شرف ذلك الفن الآخر وفضل على الأول لما فاخر والفقيه والمتكلم بمعزل عن أسرار البلاغة والنحوي واللغوي إنما يدركان من مدلول اللفظ وإعرابه بلاغته والقاضي والأخباري أقل من أن ينهض فيهما الصلاحية للتكلم في القرآن وأذل من أن يكون لهما الخوض في أسرار الفرقان ومراده بحافظ الأخبار الحافظ لأيام

اللوحة الأولى
من نسخة "ف"

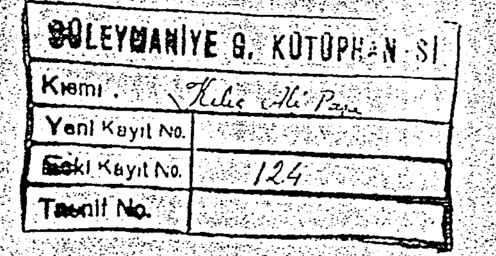
وهل يعمن الا سعيد مخلد قليل هموم ما يبيت باوجال
كاني بفتخا الجناحين لقوة على عجل منها اطاطي شمالي
تخطف خزان الانيعم بالضحى وقد حجرت منها ثعالب اورال
كان قلوب الطير البيت قال المبرد في الكامل هذا البيت باجماع الرواة احسن ما جاء في
تشبيه شيئين مختلفين في حالين مختلفين بشيئين مختلفين وقال ابن عساكر في تاريخه
بلغنا ان لبيدا قدم المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس
فقال يا حسان اعلم فقال حسان الذي يقول
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
فقال هذا امرؤ القيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ادركته لنفعته ثم قال معه
لواء الشعراء يوم القيمة حتى يهبط بهم في النار وفي امالي القالي عن روح بن زنباع
قال اشعر الشعراء الذي يقول كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي … خفقه من خفق البرق اي لمع … انتهزوها فرصة
قال الزمخشري الانتهاز يتعدى الى مفعول واحد فقوله فرصة حال قال الشيخ سعد الدين
والاحسن ان يكون مفعولا ثانيا على تضمين معنى الاتخاذ اي اتخذوا الخفقة فرصة
فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد الى اخره اما العموم في الحكم فمجمع عليه
وهل هو بالصيغة او بدليل اخر من نص او قياس او غيره خلاف محكي في الاصول والاصح الثاني وهو
لفظي … الافهام الاقرب انه لا يتناول من سيوجد لان يا ايها الناس خطاب مشافهة
وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله له بدليل منفصل وهو ما تواتر من دينه
عليه الصلاة والسلام ان احكامه ثابتة في حق من سيوجد الى قيام الساعة …
وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا
فمدني الى اخره في امور احدها قول علقمة اخرجه ابو عبيد في فضائل القران واخرجه
ايضا عن ميمون بن مهران ولم اقف على قول الحسن مسندا الثاني في قوله ان صح رفعه
صوابه ان صح بدون رفعه لان المرفوع قول النبي صلى الله عليه وسلم او قول الصحابي رضي
الله تعالى عنه فيما يتعلق بالنزول وعلقمة والحسن ليسا من الصحابة وقد يقال ان قولها
ذلك في حكم المرفوع المرسل الثالث هذا توقف من المصنف في صحته وكذا قال الطيبي
هذا مذكور في معالم التنزيل والبسيط والكواشي ولم اجده في كتب الحديث وقد تقدم
تخريجه وصح عن ابن مسعود ايضا رضي الله عنه اخرجه البزار في مسنده والحاكم في
المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة الرابع لم يرتب احد هذا الاثر على اختصاص
الاية بالكفار حتى يحتاج المصنف الى دفعه وغاية ما يستدل به على ان الاية مكية اي نزلت
بمكة مع قصد العموم للمؤمنين والكفار وان يا ايها الذين امنوا مدني اي نزل بالمدينة
الخامس في الحاشية التالية هذا وان كان مشهورا ومنقولا عن ابن عباس وابن مسعود
رضي الله تعالى عنهم فهو مشكل لان سورة البقرة مدنية بالاتفاق وقد يقال هنا
يا ايها الناس اعبدوا ربكم وفي يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وكذلك سورة
النساء مدنية واولها يا ايها الناس وفي اثنائها ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويا ايها الناس
قد جاءكم الرسول ويا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وكذا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا

آخر الجزء … من نسخة «ق»

تقدم في سورة الحج وهي مكية بالاتفاق وفيها يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا فان اراد به
ان الاغلب كذلك فهو صحيح لا سيما في نداء الذين امنوا فان اراد العموم فهو منقوض بما ذكرنا
انتهى قلت … وقد اجيب عنه باجوبة ذكرتها في اول الاتقان …
على الحكم الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيد قال ابو حيان هذا الذي قاله مذهب
لبعضهم انك اذا اتيت بعد الموصول بموصول اخر في معناه مؤكدا له لم يحتج الموصول الثاني
الى صلة وهذا باطل لان القياس اذا اكد الموصول ان تكرر مع صلته لانها من كماله واذا
كانوا اذا اكدوا حرف الجر اعادوه مع ما يدخل عليه لافتقاره اليه ولا يعيدونه وحده
الا في ضرورة فالاحرى ان يفعل ذلك بالموصول الذي الصلة بمنزلة جزء منه
وخرج اصحابنا هذه القراءة ان يكون قبلكم صلة من ومن خبر مبتدأ محذوف
وذلك المبتدأ وخبره صلة للموصول الاول وهو الذين التقدير والذين هم من قبلكم
وذكر السفاقسي مثل ما قال ابو حيان وحكى الحلبي هذا التخريج الذي قاله ابو حيان
ثم قال ولا يخفى ما فيه من التعسف وقال الشيخ سعد الدين لم يجعله التأكيد اللفظي لاعادة
اللفظ الاول ونحو ذلك فقد صرحوا بامتناعه مثل الصلة واداة التأكيد من جهة المعنى
عاد الجد ورد واحتيج الى بيان وجه اجتماع الموصولين الا ترى انهم لم يذهبوا في مثل قول
الشاعر صيروا مثل كعصف ماكول الى ان الكاف تاكيد بل زائدة فالاولى ان يقال
هنا ان كلمة من مزيدة على ما هو مذهب الكسائي او موصوفة واقعة موقع خبر مبتدأ
محذوف والجملة صلة الذين اي الذين هم من قبلكم وذكر الزمخشري العلامة مثله وزاد في تخريج
كونها موصوفة انها موصوفة بالظرف وخبر المبتدأ المحذوف اي هم اشخاص كائنون قبلكم ثم
قال ولا نقل عن صاحب الكشاف فهنا سؤال وهو ان الموصول بدون الصلة غير مفيد …
… واجاب … بانه يفيد مبهما كاسم الاشارة ولهذا صح عود الضمير اليه
في مثل الذي قام مع ان الضمير انما يرجع الى المفيد فقيل عليه ان التاكيد اللفظي لما لم يستبعد
في الحرف ففي الموصول اولى واجيب بان وجه الاستبعاد هو ان الموصول لا يتم جزءا الا
بصلة و… فهو وحده بمنزلة جزء من الاسم كالزاي من زيد ولا كذلك الحرف فانه وان
توقف على ذكر شيء فلا يصير معه بمنزلة كلمة واحدة قال الزمخشري وانت خبير بان جعل
الموصولات في الافادة الاستقلالية دون الحرف خروج عن الانصاف … [illegible]
جرير … يا تيم تيم عدي لا ابا لكم … اي بين الاول وما اضيف
اليه قال الشيخ سعد الدين في التلويح الاقحام ادخال شيء بين شيئين وعطف بعض ان تيما الاول
مضاف الى عدي المذكور وتيم الثاني مقحم بين المضاف والمضاف اليه كاللام في لا
ابا لك لتقرير المضاف والمضاف اليه تاكيد اللام الاضافة المقدرة فان قلت كيف جاز
الفصل بين الظرف وما وجه حذف التنوين من تيم الثاني قلت لما تاكد المضاف
بلفظه وحركته صار كان الثاني هو الاول من غير فصل كما في قولك ان زيدا قائم
مع امتناع الفصل بين ان واسمها بغير الظرف والتاكيد اللفظي في الاغلب حكمه حكم الاول
وحركته اعرابية كانت او بنائية فلما حذف التنوين من الاول حذف من الثاني لانه كانه
باشره حرف النداء انتهى وما ذكره المصنف من ان الثاني مقحم وان الاول المضاف الى
المضاف اليه لدلالة الثاني عليه والمراد يا تيم عدي والبيت من قصيدة يهجو بها جرير



لوحة العنوان الأول من نسخة «ت»





لوحة العنوان الثانية من نسخة "ت"

بسم الله الرحمن الرحيم

اللوحة الأولى من نسخة (ك)

المتيمة ... عنهما وقد ذهب بعضهم الى ان التكرار مراد في الاحلام ايضا وانه ترك استغناء بذكره في الجملة الاولى ولاستفادة التكرار منها فانه لو لا ذلك لم يتحقق التكرار الا اخذه وقال ابو حيان لا فرق بين كلما واذا هنا من جهة المعنى اذ التكرار مستفهم من كلما الا لازم منه تكرارها ايضا فانه اذا اظلم عليهم قاموا اذ الامر ابين لتفادة امرهم كلام مني ومد فهذا ذا يلزم من تكرار وجود ذا اعلم ذا على ان من النحاة من ذهب الى ان اذا تدل على التكرار ككلما وانشد ... اذا وجدت اوار الحب في كبدي اقبلت نحو سقاء القوم ابترد ... هذا ومعنى كما قال والتكرار الذي ذكره اهل اصول الفقه والفقهاء في كلما ذكر فيها من العموم لا من ... فكلما ... للتكرار لا يدل عليه كلامهم وانما جاء كل توكيد للعموم المستفاد من ما الظرفية فاذا قلت كلما جئتني اكرمتك فالمعنى اكرمك في كل فرد فرد من جيآتك الي ... ومنه قامت السوق اذ ركدت قال اقتضاه اي اي سكنت قال وقد سبق قامت السوق بمعنى نفقت وكلاهما مذكور في كتب اللغة قال الشريف ... يضاد ... تقتضي ان يكون ... ومنه ... ونقد تكا ... في شاوارد في الحاشية المشار اليها مبني على ظاهره بل انما كلام ... ولولا امتناعه وما شاكلهما كاذا ونحوها الانتقا ... اي جواب بمعنى الجواب ... مفعول ... عن ذلك فحكمها حكم سائر الافعال في ظهور مفعولها وكذا قال الشريف اي ... مفعول في شاو ... ومنه فانها ... في حيز الشرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف مع وقوعه في محله حتى ... في ذلك نوعا من التفسير بعد الابهام ... فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع قال الطيبي اي بالمفعول ... دم مستغرب ... دما باعتبار تضمين البكاء معنى الصب قلت واليت من قصيدة لابي يعقوب الخريمي يرثي بها حريم بن عامر المري ... وعلى اخرها واذا ... ظهرت ... ولو من حروف الشرط ومناطها الدلالة على ان الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم وقال الشيخ سعد الدين ... نظرا الى ان لو ههنا لمجرد الشرط بمنزلة ان لا بمعنا ... من انتفاء الشيء لانتفاء غيره وقال الشريف كلمة لو هنا مستعملة ... بمعنى ... على ان انتفا احدهما لانتفاء الاخر فهي بمعزل عنه وقد يقال انها باقية على اصلها وقصد بالتشبيه على ان مشقتهم بسبب الرعد والبرق وتملك ... وقاربت ازالة الحواس حيث ... لزالت بلا حاجة الى زيادة في قصيف الرعد وضوء البرق ... وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء قال الطيبي معنى دلت الهمزة على التعدية والباء كذلك للتعدية ... بعضهم الباء بعضاديته وفي الحاشية المشار اليها القياس ان لا يجمع بين اداتي تعدية بل اما الهمزة او الباء وقد يجمع بينهما قليلا ومنه هذه القراءة ... وفائدة هذه الشرطية ابدا ... الى اخره قال الطيبي وفائدة الراجعة الى المثل له هي ان الله تعالى يمهل المنافقين فيما هم فيه ليتمادوا في الغي والفساد ليكون عذابهم اشد ... والشيء يختص بالموجود قال في الانتصاف فان قيل اذا كان المعدوم لا يسمى شيئا واذا وجد صار شيئا لا يتعلق به القدرة اذ القدرة انما تتعلق بالشيء اول وجوده فكيف يكون قادرا على شيء فالجواب انه من باب قتل قتيلا اي تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كانه قال قادر على كل ما يصير شيئا قال في الانتصاف وفيه نظر فان القدرة تتعلق به في اول زمن وجوده وهو في اول زمن وجوده شيء بلا خلاف بين المسلمين اذ لو لم يكن شيئا في ثاني الاحوال ... اطلق بمعنى شاء تارة قال الطيبي اي مريد وبمعنى مشيء اخرى هو بفتح الميم هو اسم مفعول كمبيع قال ابن عقيل فالاول بمعنى الفاعل والثاني بمعنى المفعول ... وقول امرئ القيس: كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قال الشيخ سعد الدين يصف العقاب وهو مخصوص بان لا ياكل قلب الطير رطبا ويابسا حال اي رطبا بعضها ويابسا بعضها وكذا لدى وكرها وقد شبه الرطب بالعناب واليابس بالحشف البالي اي اردا التمر وقال ابن قتيبة في ابيات المعاني قلوب الطير اطيب ما فيها فهي تاتي به فراخها واول القصيدة: الا عم صباحا ايها الطلل البالي، وهل يعمن من كان في العصر الخالي، وهل يعمن الا سعيد مخلد، قليل الهموم وما يبيت باوجال، كاني بفتخاء الجناحين لقوة، على عجل منها اطاطي شمالي، تخطف خزان الانعم بالضحى، وقد حجرت منها ثعالب اورال، كان قلوب الطير البيت وفتخاء الجناحين لينتها واللقوة بكسر اللام العقاب وقال المبرد في الكامل هذا البيت باجماع الرواة احسن ما جاء في تشبيه شيئين مختلفين في حالين وقال ابن عساكر في تاريخه يقال ان لبيدا قدم المدينة فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس فقال يا حسان اعلمه فقال حسان الذي يقول كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي فقال هذا امرؤ القيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ادركته لنفعته ثم قال صعد لواء الشعر يوم القيامة حتى يتبوءوا بهم

في النار وفي امالي القالي عن روح بن زنباع قال اشعر الشعر الذي يقول كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي والعناب بضم العين بوزن رمان ذكره في القاموس ... خطفه من خفق البرق اي لمع ... اي نهب وهو فرصة قال الشريف الانتهاب يتعدى الى مفعول واحد فقوله فرصة حال قال الشيخ سعد الدين والاحسن ان يكون مفعولا ثانيا على تضمين معنى الاتخاذ اي اخذ واختطفه فرصة ... فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد الى اخره اما العموم في الحكم فمجمع عليه وهل هو بالصيغة او بدليل اخر من قياس او غيره خلاف محكي في الاصول والاصح الثاني وهو لفظي الامام الرازي انه لا يتناول من سيوجد لان يايها الناس خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله بدليل منفصل وهو ما تواتر من دينه عليه السلام ان احكامه ثابتة في حق من سيوجد الى قيام الساعة ... وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يايها الناس فمكي ويايها الذين امنوا فمدني الى اخره فيه امور احدها قول علقمة اخرجه ابو عبيد في فضائل القران واخرجه ايضا عن ميمون بن مهران وزاد على قول الحسن ... الثاني قوله ان صح فقد صحوا به ان صح بدون رفعه لان المرفوع قول النبي صلى الله عليه وسلم او قول الصحابي فيما يتعلق بالنزول وعلقمة والحسن ليسا من الصحابة فقد يقال ان قولهما في ذلك في حكم المرفوع المرسل الثالث هذا التوقف من المصنف في صحته وكذا قال الطيبي هذا مذكور في معالم التنزيل والبسيط والكواشي ولم اجده في كتب الحديث وقد تقدم تخريجه وصح عن ابن مسعود ايضا اخرجه البزار في مسنده والحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة الرابع لم يستند احد بهذا الاثر على اختصاص الاية بالكفار حتى يحتاج المصنف الى رفعه وغاية ما استدل به على ان الاية مكية اي نزلت بمكة مع قصد العموم للمؤمنين والكفار وان يايها الذين امنوا مدني اي نزل بالمدينة الخامس ... في الحاشية المشار اليها هذا وان كان مشهورا ومنقولا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما فهو مشكل لان سورة البقرة مدنية وقد قال هنا يايها الناس اعبدوا ربكم وفيها يايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وكذلك سورة النساء مدنية واولها يايها الناس وفي اثنائها ان يشا يذهبكم ايها الناس ويايها الناس قد جاءكم الرسول ويايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وكذا قوله تعالى يايها الذين امنوا قد جاء في سورة الحج وهي مكية بالاتفاق وفيها يايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا فان اراد وابه ان الغالب كذا فهو صحيح لا سيما في يايها الذين امنوا وان اراد وابه الحصر فهو منقوض بما ذكرنا انتهى قلت وقد اجيب عنه باوجه ذكرتها في اول الاتقان ... وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا قال ابو حيان هذا الذي قاله مذهب لبعضهم انك اذا اتيت بعد الموصول بموصول اخر في معناه مؤكدا لم يحتج الموصول الثاني الى صلة وهذا باطل لان القياس اذا اكد الموصول ان تكرره مع صلته لانها من كماله واذا اكد الحرف اعاده مع ما يدخل عليه لافتقاره اليه ولا يعيده وحده الا في ضرورة فالاحرى ان يفعل مثل ذلك بالموصول الذي الصلة بمنزلة جزء منه وخرج اصحابنا هذه القراءة ان تكون قبلكم صلة من ومن خبر مبتدا محذوف وذلك المبتدا وخبره صلة للموصول الاول وهو الذين التقدير والذين هم من قبلكم وذكر السفاقسي مثل ما قال ابو حيان وحكى الحلبي هذا التخريج الذي قاله ابو حيان ثم قال ولا يخفى ما فيه من التعسف وقال الشيخ سعد الدين لم يعهد التاكيد اللفظي الا باعادة اللفظ الاول ومع ذلك فتقدمه باتباعه قبل الصلة وان اريد التاكيد من جهة المعنى عاد المحذور واحتيج الى بيان وجه اجتماع الموصولين الا ترى انهم لم يذهبوا في مثل قول الشاعر فصيروا مثل كعصف ماكول الا ان الكاف تاكيد فالاولى ان يقال ههنا ان كلمة من مزيدة على ما هو مذهب الكسائي او موصوفة او موصولة واقعة موقع خبر مبتدا محذوف والجملة صلة الذين اي الذين من قبلكم وذكر الشريف مثله وزاد في تقرير كونها موصوفة انها موصوفة بالظرف وخبر لمبتدا محذوف اي هم اشخاص كائنون قبلكم ثم قال ونقل عن صاحب الكشاف ههنا سؤال وهو ان الموصول بدون الصلة غير مفيد فكيف يؤكد به واجاب بانه يفيد مبهما كالاسم ثم شارح ولهذا صح عود الضمير اليه في مثل الذي قام مع ان الضمير انما يرجع الى المفيد فقيل عليه ان التاكيد اللفظي لم يستبعد في الحرف ففي الموصول اولى واجيب بان وجه الاستبعاد هو ان الموصول لا يتم جزءا الا بصلته وعائد فهو حينئذ بمنزلة جزء من الاسم كالزاي من زيد ولا كذلك الحرف وان توقف على ذكر شيء فلا يصير معه بمنزلة كلمة واحدة قال الشريف وانت خبير بان جعل الموصولات في الافادة الاستقلالية دون الحرف خروج عن الانصاف قوله ... كاقحام جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه قال الشيخ سعد الدين والشريف الاقحام ادخال شيء على شيء بشدة وعنف يعني ان تيما الاول مضاف الى عدي المذكور وتيم الثاني مقحم بين المضاف والمضاف اليه كاقحام اللام في لا ابا لك بين المضاف والمضاف اليه تاكيدا للام الاضافة المقدرة فان قيل كيف جاز الفصل بغير الظرف وما وجه حذف التنوين من تيم الثاني قلت ...

آخر المقرر من نسخة «ن»

الجزء الاول

من حاشية الجلال السيوطي

على تفسير البيضاوي

عليهما سحائب

الرحمة والرضوان

آمين

م

لوحة العنوان من نسخة «د»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
سبحان الله وبحمده منزل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب •
آتيا من أساليب البلاغة بالعجب العجاب • راقيا من ذرى الفصاحة حيث
لا يجال ولا يجاب • معجزة للنبي الهادي • سيد من ركب الجواد • وأهدى من
سلك الجواد • وأفصح من نطق بالضاد • المبعوث بالمنهل العذب
فيروى كل صاد • ويهدى كل صاد • المؤيد بالمعجزات التي لا يحصيها
عاد • المخصوص باستمرار معجزته إلى يوم التناد • وبقراءة كتابه
في الجنان بلسانه العربي المستجاد • المؤتى جوامع الكلم بالإيجاز
لتقوم أمته إلى قيام الساعة بالاستنباط والاجتهاد • صلوات
الله وسلامه عليه ما حدا حاد • وشاد شاد • وبدا باد • وعد عاد •
وما غدا أو راح رائح وغاد • وعلى آله الأمجاد • وأصحابه الأنجاد •
أما بعد فإن التفسير في الصدر الأول كان مقصورا على السماع
محصورا في باب الاتباع • يحفظ في الصدور عن الصدور • ويرجع
إلى الأثر والنقل ويدور • فلما حدث تدوين الكتب وتصنيفها
وذلك في منتصف المائة الثانية أجروه مجرى الأحاديث
والآثار وساقوه مساق ما دونوه من الأخبار • فقل إمام
من أئمة الحفظ ألف جامعا ومسندا • إلا وألف تفسيرا ساق
فيه ما وقع له بالأسانيد موردا • ومفتتح هذه الطبقة
مالك ووكيع وسفيان • وتبعهم من جاء بعدهم من الأئمة
الأعيان • كعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور
وآدم بن أبي إياس وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه
وعبد بن حميد وخلائق كلهم ملئ بالحفظ ريان • وجاءت
طبقة أخرى أصحاب نحو ولغة والقراءة في معاني القرآن
بما يزيل الإعراب وضموا إلى معانيه المقتبسة من الفقه ما يحتاج إليه
تراكيبه من الإعراب كالفراء والزجاج والنحاس وابن الأنباري في آخرين
أغراب ثم حدث في المائة الرابعة مصنفون ألفوا تفاسير لخصوا فيها
من تفاسير الحفاظ الأقوال بترا ومن كتب أصحاب المعاني معاني
وأعاريب صاغوها بعد أن كانت تبرا ثم جاءت فرقة أصحاب نظر
في علوم البلاغة التي يدرك بها وجه الإعجاز وأسرار البراعة التي
تحلي التراكيب طراز وصاحب الكشاف وهو سلطان هذه الطريقة
والإمام السالك في هذا المجاز إلى الحقيقة فلذا طار كتابه في أقصى
الشرق والغرب ودار عليه النظر إذ لم يكن لكتابه نظير في هذا
الضرب ولما علم مصنفه أنه بهذا الوصف قد تحلى وترقى إلى مرتبة
ما دنا إليها غيره ولا تدلى قال تحدثا بنعمة ربه وشكرا لا علوا
في الأرض ولا فخرا إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري
مثل كشافي إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف
كالشافي وقد نبه هو في خطبة كتابه على الوصف الذي به نزر جليل
نصابه فقال اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء
فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية إن
سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة أو تقدم الصانع الصانع
لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة إنما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت
فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت
والتفاضل حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن عد ألف
بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن
لطائف فيها مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا
يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم وإنما هم عامتهم عامة

اللوحة الأولى من نسخة «د»

يكن شيًا في اول زمن وجوده لم يكن شيا في ثاني الاحوال قوله اطلق بمعنى شاء تارة قال الطيبي اي مريد وبمعنى سمى اخرى هو بفتح الميم اسم مفعول لسع قال ابن عقيل فالاولى بمعنى الفاعل والثاني بمعنى المفعول •

وقول امرء القيس •

• كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي •

قال الشيخ سعد الدين بصف العقاب وهو مخصوص بانه لا ياكل قلب الطير ورطبا ويابسا حال اي رطبا بعضها ويابسا بعضها وكذا لدى وكرها وقد شبه الرطب بالعناب واليابس بالحشف البالي اي ردا التمر اليابس وقال ابن قتيبة في ابيات المعاني قلوب الطير اطيب ما فيها فهي تاتي به فراخها واول القصيدة •

• الا عم صباحا ايها الطلل البالي • وهل يعمن من كان في العصر الخالي •

• وهل يعمن الا سعيد مخلد • قليل هموم ما يبيت باوجال •

ومنها كاني بفتخاء الجناحين لقوة • على عجل منها اطاطئ شمالي •

• تخطف خزان الانيعم بالضحى • وقد حجرت منها ثعالب اورال •

كان قلوب الطير البيت قال المبرد في الكامل هذا البيت باجماع الرواة احسن ما جاء في تشبيه شيئين مختلفين في حالين مختلفين بشيئين مختلفين وقال ابن عساكر في تاريخه يقال ان لبيدا قدم المدينة فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس فقال يا حسان اعلمه فقال حسان الذي يقول •

• كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

فقال هذا امرء القيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ادركته لنفعته ثم قال معه لوا الشعر يوم القيامة حتى يتدهدا بهم في النار وفي امالي القالي عن روح بن زنباع قال اشعر الشعراء الذي يقول

قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي •

قوله حففته من خفقة البرق اي لمع قوله انتهز وها فرصة قال الشريف الانتهاز يتعدى الى مفعول واحد فقوله فرصة حال قال الشيخ سعد الدين والاحسن ان يكون مفعولا ثانيا على تضمن معنى الاتخاذ اي اتخذوا الخفقة فرصة قوله فالناس نعم الموجودون وقت النزول لفظا ومن سيوجد الى اخره اما العموم في الحكم لمجمع عليه وهل هو بالصيغة او بدليل اخر من عين قياس او غيره خلاف محكى في الاصول والاصح الثاني وهو لفظي قوله الاقسام الاقرب انه لا يتناول من سيوجد لان يا ايها الناس خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله له لدليل منفصل وهو ما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان احكامه ثابتة في حق من سيوجد الى قيام الساعة قوله وما روى عن علقمة والحسن ان كل شي نزل فيها يا ايها الناس فمكى ويا ايها الذين امنوا فمدني الى اخره في امور احدها قول علقمة اخرجه ابو عبيد في فضائل القران واخرجه ايضا عن ميمون بن مهران ولم اقف على قول الحسن مسندا الثاني قوله انه صح رفعه صوابه انه صح بدون رفعه لان المرفوع قول النبي صلى الله عليه وسلم او قول الصحابي رضي الله تعالى عنه فيما يتعلق بالنزول وعلقمة والحسن ليسا من الصحابة وقد يقال ان قولهما ذاك في حكم المرفوع المرسل الثالث هذا توقف من المصنف في صحته وكذا قال الطيبي هذا مذكور في معالم التنزيل والبسيط والكواشي ولم اجده في كتب الحديث وقد تقدم تخريجه وصح عن ابن مسعود ايضا رضي الله تعالى عنه اخرجه البزار في مسنده والحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة الرابع لم يستدل احد بهذا الاثر على اختصاص الاية بالكفار حتى يحتاج المصنف الى دفعه وغاية ما استدل به على ان الاية مكية

القسم الثاني

الكتاب المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الله وبحمده منزل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب ، آتيا من أساليب البلاغة بالعجب العُجاب ، راقيا من ذرى الفصاحة مرقى لا يجال ولا يجاب ، معجزة للنبي الهاد ، سيد من ركب الجوادَ ، وأهدى من سلك الجوادَّ ، وأفصح من نطق بالضادِ، المبعوث بالمنهل العذب لِيَرْوِيَ[1] كل صادٍ، ويهدي كل صادٍّ ، المؤيد بالمعجزات التي لا يحصيها عدُّ[2] عادٍّ، المخصوص باستمرار معجزته إلى يوم التنادِ، وبقراءة كتابه في الجنان باللسان[3] العربي المستجادِ ، المؤتى جوامعَ الكلم بالإيجادِ، لتقوم أمته إلى قيام الساعة بالاستنباط والاجتهاد .

صلوات الله عليه وسلامه ما حدا حادٍ، وشدا شادٍ، وبدا بادٍ، وعدا عادٍ، وما غدا أو راح رائح وغادٍ، وعلى آله الأمجاد وأصحابه الأنجادِ .

أما بعد[4] ؛ فإن التفسير في الصدر الأوّل كان مقصورا على السماع، محصورا في باب الاتّباع، يحفظ في الصدور عن الصدور، ويرجع إلى الأثر والنقل ويدور[5]، فلما حدث تدوين الكتب[6] وتصنيفها، وذلك في منتصف المائة الثانية أجروه مُجرى الأحاديث و الآثار، وساقوه مساق[7] ما دوّنوه من الأخبار، فقلّ إمام من أئمة الحفظ ألّف جامعا أو مسندا إلاّ وألّف تفسيرا ساق فيه ما وقع له بالأسانيد موردا.

ومفتتح هذه الطبقة مالك[8]، ....

(١) في د : فيروي

(٢) في ح : عدد

(٣) في ح ، د : بلسانه

(٤) في ت ، ظ : وبعد

(٥) في ح : وعلى النقل يدور

(٦) في هامش نسخة ظ : تدوين الكتب في منتصف المائة الثانية من الهجرة

(٧) في ت : سياق

(٨) لم يدون الإمام مالك رحمه الله كتابا في التفسير مستقلا ، أو مضافا إلى الموطأ ، ولكن كان له كلام في التفسير على حسب الحاجة ، تلقاه عنه أصحابه ونقلوه ، وقد بين ذلك القاضي أبو بكر ابن العربي حين قال في كتابه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ٣/ ١٠٤٧ كتاب التفسير : هذا كتاب التفسير ، أرسل مالك رضي الله عنه كلامه فيه إرسالا ، فلقطه أصحابه عنه ، ونقلوه =

ووكيع[١]، وسفيان[٢]، وتبعهم من جاء بعدهم من الأئمة الأعيان، كعبد الرزاق[٣]، والفريابي[٤]، وسعيد بن منصور[٥]، وآدم بن أبي إياس[٦]، وابن أبي شيبة[٧] وإسحاق بن راهويه[٨] وعبد بن حميد[٩]، وخلائق كلهم مليءٌ بالحفظ ريّان .

كما سمعوه منه ، ما خلا المخزومي ، فإنه جمع له فيه أوراقا فألفيناها في دمشق في الرحلة الثانية ، فكتبناها عن شيخنا أبي عبد الله المصيصي ، الأجل الأمين المعدل ، وكان كلامه رحمه الله في التفسير على جملة علوم القرآن .

قلت : وجمع الحافظ محمد بن عمر بن محمد أبو بكر البغدادي الجعابي ت ٣٥٥هـ جزءاً فيه التفسير المروي عن مالك ، وقعت روايته للحافظ ابن حجر . انظر في المعجم المفهرس ١٠٩

(١)هو وكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان الرؤاسي ، كان من بحور العلم ، وأئمة الحفظ ، صاحب التفسير الذي رواه عنه محمد بن إسماعيل الحساني ، توفي سنة سبع وتسعين ومائة . سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٠ ، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٥٧ .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه ، توفي سنة ست وعشرين ومائة . سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩ ، وطبقات المفسرين ١ / ١٨٦ و تفسيره مطبوع بتحقيق امتياز علي عرشي .

(٣)هو عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني ، عالم اليمن، توفي سنة إحدى عشرة ومائتين. سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣ ، وطبقات المفسرين ١/ ٢٧٨ و تفسيره مطبوع ، حققه الدكتور مصطفى مسلم ، والدكتور الطبيب عبد المعطي قلعجي .

(٤) هو جعفر بن محمد بن الحسن أبو بكر الفريابي، تميز في العلم ، توفي سنة إحدى وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ١٤/٦ ٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٢ وتفسيره وصل إلى الحافظ ابن حجر، وأفاد منه في كتبه، فتح الباري ١/٦٨، وتغليق التعليق ٢/ ٢٤ ، والعجاب في بيان الأسباب ١ / ٢٤٨

(٥) هو سعيد بن منصور بن شعبة أبو عثمان الخراساني ، كان ثقة صادقا من أوعية العلم ، توفي سنة سبع وعشرين ومائتين . سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٨٦ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٦ وتفسيره طبع بعضه بتحقيق الدكتور سعد عبد الله آل حميد

(٦) هو آدم بن أبي إياس أبو الحسن الخراساني ، محدث عسقلان ، توفي سنة عشرين ومائتين . سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٠٩ .

(٧) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم أبو بكر العبسي ، سيد الحفاظ ، وصاحب المسند ، والمصنف ، والتفسير ، توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين . سير أعلام النبلاء ١١ / ١٢٢ ، وطبقات المفسرين ١ / ٢٤٦

(٨) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب المروزي ، شيخ المشرق ، صاحب المسند ، والسنن ، والتفسير المشهور الذي رواه عنه محمد بن يحيي بن خالد المروزي ، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨ و طبقات المفسرين ١/ ١٠٢

(٩) هو عبد بن حميد بن نصر ، أبو بكر الكسي ، روى عن كثيرين مذكورين في تفسيره الكبير ، توفي سنة تسع وأربعين ومائتين. سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٣٥ ، وطبقات المفسرين ١/ ٣٦٨

وجاءت بعدهم طبقة أخرى أصحاب نحو ولغة فألفوا في معاني القرآن ما يزيل الإغراب ، وضموا إلى معانيه المقتبسة من اللغة ما تحتاج إليه تراكيبه من الإعراب، كالفراء[1]، و الزجاج[2]، والنحاس[3]، وابن الأنباري[4]، في آخرين أتراب .

ثم حدث في المائة الرابعة مصنّفون ألّفوا تفاسير لخصوا فيها من تفاسير الحفاظ الأقوال بترا، ومن كتب أصحاب المعاني معاني وأعاريب صاغوها بعد أن كانت تبرا.

ثم جاء ت فرقة أصحاب نظر في علوم البلاغة التي يُدرَكُ بها وجه الإعجاز وأسرار البلاغة [5] التي هي لحلل التراكيب طراز.

وصاحب [6] الكشاف هو سلطان هذه الطريقة ، والإمام السالك في هذا المجاز إلى الحقيقة، فلذا طار كتابه في أقصى الشرق والغرب، ودار عليه النظر إذ لم يكن لكتابه نظير في هذا الضرب .

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبد الله أبو زكرياء الفراء ، كان فقيها عالما بأيام العرب وأخبارها وأشعارها متكلما يميل إلى الاعتزال ، توفي سنة سبع ومائتين . معجم الأدباء ٦ / ٢٨١٢ و بغية الوعاة ٢/ ٣٣٣ حقق الأستاذ محمد علي النجار معاني القرآن للفراء

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي ، كان من أهل الدين والفضل ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . معجم الأدباء ١ / ٥١ و إنباه الرواة ١/ ١٥٩ حقق الدكتور عبد الجليل عبده معاني القرآن و إعرابه للزجاج .

(٣) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر النحاس ، صاحب الفضل الشائع والعلم الذائع ، توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . معجم الأدباء ١ / ٤٦٨ و إنباه الرواة ١/ ١٠١ و للنحاس إعراب القرآن ، حققه الدكتور زهير غازي زاهد ، ومعاني القرآن ، حققه الشيخ محمد علي الصابوني •

(٤) هو محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر ابن الأنباري ، كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظا للغة ، له كتاب المشكل في معاني القرآن ، بلغ فيه إلى سورة طه ، وأملاه سنين كثيرا ولم يتمه، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . معجم الأدباء ٦ / ٢٦١٤ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٢١٢

(٥) في د : البراعة

(٦) هو محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الزمخشري جار الله ، كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب ، و كان معتزلي الاعتقاد ، متظاهرا به ، توفي سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة . معجم الأدباء ٦/ ٢٦٨٧ و و فيات الأعيان ٥/ ١٦٨

ولما علم مصنفه أنه بهذا الوصف قد تحلى[1] وترقى[2] إلى مرتبة ما دنا إليها غيره ولا تدلى قال – تحدثا بنعمة ربّه وشكرا، لا علوّا في الأرض ولا فخرا-:

إنَّ التَّفاسيرَ في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثلُ كَشَّافي

إنْ كنت تبغي الهدى فالزم قراءتَهُ فالجهل كالداء والكشاف كالشافي[3][4]

وقد نبّه هو في خطبة كتابه على الوصف الذي به تميز[5] جليل نصابه، فقال:

---

(١) في د : تجلى

(٢) في ح : ورقى

(٣) لا تغيب عن أذهاننا في خضم هذا الثناء البالغ حقيقة الزمخشري وكشافه ، فإنه – سامحه الله – رجل مجاهر بالاعتزل ، مباه به ، قد وظف مقدرته البلاغية ، وملكته الأدبية في لَيِّ أعناق النصوص الشرعية ، وقيادها إلى مذهبه، وفي محاولة إفساد استدلال أهل السنة بها على الحق الذي دلت عليه ، وفي الازدراء بأهل السنة ، ونبزهم بالألقاب الشنيعة وتشييد أركان الاعتزال ورفع أهله ، فأصبح كتابه – بجانب إظهار النكت البلاغية ، واللطائف الإعجازية التي تميز بها – حشو بدع وضلالات .

ويحتال للألفاظ حتى يديرها لمذهب سوء فيه أصبح مارقا

وهاك بعض مقالات أهل العلم الذين سبروا كتابه ، وخبروا شأنه ، قال العلامة تاج الدين السبكي في كتابه : معيد النعم ومبيد النقم ص ٨٠ : واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه ، ومصنفه إمام في فنه إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته ، يضع من قدر النبوة كثيرا ، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما في كتابه الكشاف من ذلك كله . ولقد كان الشيخ الإمام يقرئه فلما انتهى إلى الكلام على قوله تعالى في سورة التكوير : ﴿إنه لقول رسول كريم ﴾ أعرض عنه صفحا ، وكتب ورقة حسنة سماها : سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف .

وقال فيها : قد رأيت كلامه على قوله تعالى ﴿ عفا الله عنك ﴾ وكلامه في سورة التحريم في الزلة ، وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم ، مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة .

وقال السيوطي نفسه في كتابه التحبير في علم التفسير ص ٥٤٥ : وممن لا يقبل تفسيره : المبتدع ، خصوصا الزمخشري في كشافه ، فقد أكثر فيه من إخراج الآيات عن وجهها إلى معتقده الفاسد بحيث يسرق الإنسان من حيث لا يشعر ، وأساء فيه الأدب على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في مواضع عديدة ، فضلا عن الصحابة وأهل السنة ، وقد أحسن الذهبي إذ ذكره في الميزان وقال : كن حذرا من كشافه .

وانظر : في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣/ ٣٥٩ والبحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٨٥

(٤) لم أر هذين البيتين في ديوان الزمخشري . وانظر : في معجم الأدباء ٦ / ٢٦٨٩ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ / ٢٨٠ .

(٥) في ت ، د : الذي يميز

اعلم أن متن كل علم، وعمود كل صناعة ، طبقات العلماء فيه متدانية ، وأقدام الصنّاع فيه متقاربة أو متساوية ، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلاّ بخطى يسيرة، أو تقدّم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة .

وإنما الذي تباينت فيه الرُّتب ، وتحاكت فيه الرُّكب ، ووقع فيه الاستباق والتناضل ، وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد، وترقى إلى أن عدّ ألف بواحد = ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفِقَر، ومن لطائف معان فيها[١] مباحث للفِكَر، ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلاّ أوحَدِيُّهم[٢] وأخصهم ، وإلاّ واسطتهم وفَصُّهُم ، وعامتهم عُماةٌ عن إدراك حقائقها بأحداقهم ، عُناةٌ في يد التقليد ، لا يُمَنّ عليه بجزّ نواصيهم وإطلاقهم .

ثم إن أملأ العلوم بما يَغمُرُ القرائح ، وأنهضها بما يَبهرُ الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدقّ سلكها = علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ، كما ذكر الجاحظ [٣]في كتاب "نظم القرآن".

فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلّم وإن بَزّ[٤] أهل الدنيا في صناعة الكلام ، و حافظ القصص و الأخبار و إن كان من ابن القِرِيّة[٥] حفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري [٦] أوعظ ، و النحويّ وإن

---

(١) كذا في النسخ ، وفي الكشاف ١ / ٢ معان يدق فيها مباحث للفكر

(٢) في د : أوحدهم

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ ، كان من الذكاء والحفظ بحيث شاع ذكره ، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلية ، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين . معجم الأدباء ٣/ ٢١٠١ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٧٠ وكتابه : نظم القرآن من الكتب التي تكرر تأليفها ثلاث مرات، ولا أعلم له نسخة مخطوطة . قال ياقوت : كتاب نظم القرآن له ثلاث نسخ

(٤) بزه يبزه بزا : أي سلبه . الصحاح / مادة بز

(٥) هو أيوب بن زيد بن قيس أبو سليمان الهلالي ، المعروف بابن القرية ، والقرية جدته ، كان أعرابيا أميا ، وكان يضرب به المثل في الفصاحة والبيان ، قتله الحجاج سنة أربع وثمانين . وفيات الأعيان ١/ ٢٥٠ وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٨١ - ١٠٠ ص٤٣

(٦) هو الحسن بن أبي الحسن : يسار أبو سعيد البصري ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، توفي سنة عشر ومائة . وفيات الأعيان ٢/ ٦٩ وسير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٣

كان أنحى من سيبويه [1] واللغوي وإن علك اللغات بقوّة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهّل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانّهما همّة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين: تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات طويل المراجعات، قد رجع زمانا ورجع إليه، ورَدّ ورُدّ عليه ، فارسا في علم الإعراب، مقدما في حملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقّادها ، يقظان النفس ، درّاكا للمحة وإن لطف شأنها ، منتبها على الرمزة وإن خفي مكانها ، لاكزا[2] جاسيا [3] ولا غليظا جافيا ، متصرّفا ، ذا دربة بأساليب النظم والنثر، مرتاضا - غير ريِّضٍ [4] - بتلقيح بنات الفكر، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلّف، وكيف ينظّم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقه، ووقع في مداحضه ومزالقه[5].

هذا ما ذكره في خطبة الكشاف مشيرا إلى ما يجب في هذا الباب من الأوصاف، معرضا بأنه المتحلّي بهذا الوصف ، وأن كتابه هو الآتي على سنن[6] هذا الوصف .

ولقد صدق وبرّ ورسخ نظامه في القلوب فوقر وقرّ .

وتعقّبه البلقيني [7] في الكشاف فلم يدرك مغزاه ، ولا طابق ما أورده منطوق

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسيبويه ، عمل كتابه المنسوب إليه : الكتاب ، وهو مما لم يسبقه إليه أحد ، توفي سنة ثمانين ومائة . إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ٣٤٦ وبغية الوعاة ٢ / ٢٢٩

(٢) الكزازة الانقباض واليبس . الصحاح/ مادة كزز .

(٣) جسا ضد لطف . الصحاح / مادة جسا .

(٤) يقال : ناقة مروضة ، و قد ارتاضت ، و ناقة ريض أول ما ريضت وهي صعبة بعد . الصحاح / مادة روض .

(٥) الكشاف ١/ ١٧

(٦) في د : نسق .

(٧) هو عمر بن رسلان بن نصير سراج الدين أبو حفص الكناني البلقيني ، كان أحفظ الناس لمذهب الشافعي ، واشتهر بذلك وطبقة شيوخه موجودون ، توفي سنة خمس وثمانمائة . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦ / ٨٥ وطبقات المفسرين ٢/ ٣ . وحاشيته على الكشاف اسمها : الكشاف على الكشاف ، ومنها قطعة مخطوطة في مجلد يشتمل على تفسير جزء من سورة النساء . انظر في فهرس دار الكتب المصرية ١ / ٧ ملحق الجزء الأول

ما ذكره ولا فحواه ، قائلا :

قصد الزمخشري بما أبان الإشارة إلى براعته في علم المعاني وعلم البيان .

وكيف يترجح فنان جمعتهما أوراق يسيرة، وجدولان جاريان في جداول [(١)] صغيرة ، قد وضعا بعد الصحابة و التابعين بمئين من السنين ، وحفرا بعد البحار الزاخرة ، ووشيا بالتحبير بعد تكملة الخِلع [(٢)] الفاخرة = على الفنون التي طافت المشارق والمغارب كالطوفان ؟ .

أين ذكرهما في الصحابة الذين هم أسد الغابة؟ أين ذكرهما في التابعين الذين كانوا للصحابة شاهدين سامعين؟ أين ذكرهما في عصر الفقهاء؟ من نبّه عليهما في الأقدمين من النبهاء .

وما على الناس من اصطلاح أتى به عبد القاهر الجرجاني [(٣)] واقتفاه السكاكي[(٤)]فيما ذكر من المعاني، ولا يقوم لهما في كثير من المقامات دليل، وليس لهما إلى ذلك سبيل. وعلم التفسير إنما هو يتلقى من الأخبار ، ويسلك فيه مسالك الآثار.

وأقول :لم يتوارد البلقيني والزمخشري على محلّ واحد ، وليس الزمخشري لانحصار تلقي التفسير من الأحاديث[(٥)] و الآثار بجاحد .

كيف وانحصار التفسير في السماع كلمة إجماع ، والنهي عن القول في القرآن بالرأي ملأ الأسماع .

ولهذا لم يذكر أهل الحديث مع من عدد [(٦)] من أرباب الفنون ، ولا أدرجهم

---

(١) في ح ، ق : أخاديد .

(٢) في ت: الحلل .

(٣) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر النحوي الجرجاني ، عالم بالنحو والبلاغة ، توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة . إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢ / ١٨٨ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ / ١٠٦

(٤) هو يوسف بن أبي بكر : محمد سراج الدين أبو يعقوب السكاكي الخوارزمي ، كان علامة بارعا في فنون شتى ، خصوصا المعاني والبيان ، وله كتاب : مفتاح العلوم فيه اثنا عشر علما من علوم العربية ، توفي سنة ست و عشرين و ستمائة ، بغية الوعاة ٢/ ٣٦٤ و تاج التراجم في من صنف من الحنفية ٢٨٤

(٥) في ظ : الأخبار .

(٦) في ت: عد .

في زمرة من ذكر وإن جالت من المعترض الظنون ، وإنما مقصوده ما أشار إليه أوّلا أن القدر الزائد على التفسير من استخراج محاسن[1] النكت والفقر ولطائف المعاني التي يستعمل فيها الفكر ، وكشف الأستار عن غوامض الأسرار ، وبيان ما في القرآن من الأساليب ، وما تضمنه من وجوه البلاغة في التراكيب = لا يتهيأ له إلاّ من برع في هذين العلمين ، وتبحر في هذين الفنين ، وصار مجتهدا في علوم البلاغة ، ذا تصرّف في أفانين البراعة ، خبيرا بأساليب الكلام ، بصيرا بمسالك النظام ؛ لأن لكل نوع[2] أصولا وقواعد ، هي للوصول إلى حقيقته[3] مصاعد ، ولا يُدرك فنّ بقواعد فنّ آخر وإن شرف ذلك الفنّ ، وفضل على الأوّل لما فاخر[4].

والفقيه والمتكلّم بمعزل عن أسرار البلاغة ، واللغوي والنحوي إنما يدركان من مدلول اللفظ وإعرابه بلاغة ، والقاص والأخباري أقلّ من أن يُتَوَهَّمَ فيهما الصلاحية للتكلّم في القرآن ، وأذلّ من أن يجوز لهما الخوض في أسرار الفرقان .

ومراده بحافظ الأخبار الحافظ لأيام الناس والمؤرخ الذي اقتصر على ما ليس له في بنيان العلم [5] أساس ، ولهذا ضرب له المثل بابن القرِّيّة ؛ لأنه كان بهذه الصفة ، ولم يكن له بالأخبار النبوية حفظ ولا معرفة .

ولو أراد به حافظ الأحاديث لضرب المثل بمالك وسفيان[6]، أو بأحمد و البخاري ، ونحوهما [7] من الأعيان، فعرف أن للزمخشري مقصدا غير ما فهمه المعترض ، ومنحى لا ينخدش بما ذكره المتعقب ولا ينتقض .

وقد كان الصحابة يعرفون هذا المعنى بالسليقة، وبه قامت عندهم المعجزة على الحقيقة ، فاهتدوا بسببه إلى أقوم طريقة .

ألم يثبت عن جبير بن مطعم أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلّم في

---

(١) في ظ : من استخراج لطائف النكت والفقر ومحاسن المعاني .

(٢) في د : فن

(٣) في د : حقائقه

(٤) في د: وفاخر

(٥) في ح : العلوم

(٦) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران : ميمون ، شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي ، قال الشافعي : لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز ، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة . سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٠٠ والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٤ / ٥٩١

(٧) في د : ونحوه

فداء أسرى بدر فوجدته يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ [سورة الطور ٣٥] كاد قلبي يطير[١] وأدركه الإسلام .

ومرّ أعرابي على قارئ يقرأ﴿ فاصدع بما تؤمر﴾ [سورة الحجر ٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام[٢] .

فكانوا يعرفون بالطبع وجوه بلاغته كما كانوا يعرفون وجوه إعرابه ، ولم يحتاجوا إلى بيان النوعين في ذلك العصر؛لأنه لم يكن يجهلهما أحد من أصحابه[٣] ، فلما ذهب أرباب[٤] السليقة والتبس الإعراب باللحن ، والمجاز بالحقيقة وضع لكل من الإعراب والبلاغة قواعد يدرك بها ما أدركه الأولون بالطبع وتُساعد ، فكان حكم علم[٥] المعاني والبيان كحكم علم النحو و الإعراب، وكانت الحاجة إليهما داعية لإدراك وجه الإعجاز و الإعراب .

ولما كان كتاب الكشاف هو الكافل في هذا الفنّ بالبيان الشاف اشتهر في الآفاق اشتهار الشمس، وجهر به في محافل المجالس[٦] بين الفضلاء من غير همس، واعتنى الأئمة والمحققون بالكتابة عليه ، وتسارع العلماء والفضلاء في المناقشة والمنافسة إليه:

فمن مميز لاعتزال [٧] حاد فيه عن صوب الصواب، ومن مناقش له فيما أتى به من وجوه الإعراب ، ومن محش وضّح ونقح ، وتمم ويمم، وفسر وقرّر، وحبّر وحرّر، وجال وجاب ، واستشكل وأجاب.

ومن مخرّج لأحاديثه عزا وأسند، وصحح وانتقد .

ومن مختصر لخص وأوجز، وكمّل ما أعوز .

فممن كتب عليه الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المُنَيِّر الإسكندري

---

(١) رواه البخاري في ٤ / ١٨٣٩ ح ٤٥٧٣ ، ومسلم ١ / ٣٣٨ ح ٤٦٣

(٢) قال عبدالملك الثعالبي : ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة ، وشرائعها ، وأحاكمها ، وحلالها ، وحرامها . الإعجاز والإيجاز ٢٣ .

(٣) في د ، ق الصحابة

(٤) في د : أصحاب

(٥) في ظ: علمي

(٦) في ح : الفضلاء

(٧) في ظ: للاعتزال

المالكي [1] كتابه " الانتصاف" بيّن فيه ما تضمنه من الاعتزال ، وناقشه في أعاريب أحسن فيها الجدال .

وتلاه الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي [2] في كتابه " الإنصاف" جعله حكما بين" الكشاف" و" الانتصاف" .

ولخصهما الإمام جمال الدين ابن هشام [3] في مختصر لطيف مع يسير زيادة ، خفيف

وأكثر الإمام أبو حيان [4] في بحره من مناقشتهفي الإعراب ومجادلته في الإضراب [5]

وتلاه تلميذاه الشهاب أحمد بن يوسف الحلبي المشهور بـ" السمين" [6] ، والبرهان إبراهيم بن محمد بن السفاقسي [7] ....

---

(١) هو أحمد بن محمد بن منصور أبو العباس الاسكندري المعروف بابن المنير - بضم الميم وفتح النون وياء مثناة من تحت مشددة مكسورة - له الباع الطويل في علم التفسير والقراءات ، توفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١ / ٢٤٣ و فوات الوفيات١/ ١٤٩ وحاشيته مطبوعة في هامش الكشاف في بعض طبعاته

(٢) هو عبد الكريم بن علي بن عمر علم الدين الأنصاري العراقي ، له في التفسير اليد الباسطة ، صنف فيه : الإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير ، توفي سنة أربع وسبعمائة . طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ٩٥ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢/ ٣٩٩ ، وحاشيته مخطوطة ومنها نسخ ، انظر في : الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، مخطوطات التفسير وعلومه ١/ ٣٥١

(٣) هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام أبو محمد النحوي ، أتقن العربية ففاق الأقران ، بل الشيوخ ، توفي سنة واحدة وستين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٢ / ٣٠٨ وبغية الوعاة ٢/ ٦٨ وحاشيته مخطوطة ، ومنها نسخ ، انظر في : الفهرس الشامل ١ / ٤١٦

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني ، كان عارفا باللغة وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق ، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٤ / ٣٠٢ وبغية الوعاة ١/ ٢٨٠

(٥) في ت ، ظ : بالإضراب

(٦) هو أحمد بن يوسف بن محمد أبو العباس الحلبي المعروف بالسمين ، لازم أبا حيان إلى أن مهر في حياته ، توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة . كتاب المقفى الكبير ١ / ٧٥٠ والدرر الكامنة ١ / ٣٦٠

(٧) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق السفاقسي المالكي النحوي ، جمع إعراب القرآن ،

=

في إعرابهما [1]، ثم قد يوافقانه، وقد يتبعانه بالجواب ، ويقرران أن الذي قاله الزمخشري هو الصواب .

ولخص الشيخ تاج الدين ابن مكتوم [2] مناقشات شيخه أبي حيان في تأليف مفرد سمّاه " الدرّ اللقيط من البحر المحيط".

وممن كتب عليه حاشية العلاّمة قطب الدين الشيرازي[3] في مجلدين لطيفين، والعلاّمة فخر الدين أحمد بن الحسن الجابردي [4]، والعلاّمة شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي [5] وهي أجلّ حواشيه ، في ست مجلّدات ضخمات، والعلاّمة أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي [6]، رأيت منها مجلّدا

توفي سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ / ٦١ وبغية الوعاة ١ / ٤٢٥ وإعراب القرآن له اسمه : المجيد في إعراب القرآن المجيد ، حقق موسى محمد إعراب الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة ، ثم حقق الدكتور حاتم الضامن إعراب الفاتحة ضمن نصوص محققة في علوم القرآن الكريم

(١) في د ، ق : في إعرابيهما

(٢) هو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم أبو محمد النحوي ، جمع من تفسير أبي حيان مجلدا سماه : الدر اللقيط من البحر المحيط ، قصره على مباحث أبي حيان مع ابن عطية والزمخشري ، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ١ / ١٧٤ وبغية الوعاة ١ / ٣٢٦

(٣) هو محمود بن مسعود بن مصلح قطب الدين الشيرازي ، كان من بحور العلم ومن أذكياء العالم ، له حاشية على الكشاف في مجلدين لطيفين ، توفي سنة عشر وسبعمائة .طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ٣٨٦ وبغية الوعاة ٢ / ٢٨٢ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢ / ١٤٧٧ وحاشيته مخطوطة ، ومنها نسخ ، انظر في : الفهرس الشامل ١ / ٣٥٢

(٤) هو أحمد بن الحسن بن يوسف فخر الدين الجابردي ، كان إماما فاضلا دينا مواظبا على الشغل في العلم وإفادة الطلبة ، له حواش على الكشاف مشهورة ، توفي سنة ست وأربعين وسبعمائة . الطبقات الكبرى ٩/ ٨ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ / ٢٤٢ وحاشيته مخطوطة ، ومنها نسخ ، انظر في : الفهرس الشامل ١ / ٤٠٤

(٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي ، كان مقبلا على نشر العلم ، آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن ، شرح الكشاف شرحا كبيرا ، توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢ / ١٨٥ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٥٢٢ حققت حاشيته على الكشاف رسائل علمية في الجامعة الإسلامية

(٦) هو محمد بن محمود بن أحمد أكمل الدين البابرتي ، كان فاضلا صاحب فنون ، وافر العقل له حاشية على الكشاف ، توفي سنة ست وثمانين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٤/ ٢٥٠ ، وتاج التراجم ص ٢٧٦

على الفاتحة ، وقطعة من البقرة ، ولا أدري أكمّلها أم لا [١]، والعلاّمة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني [٢]، وهي ملخصة من حاشية الطيبي ، مع زيادة تعقيد في العبارة، ولم يتمها [٣]، و العلاّمة السيد الجرجاني [٤] ، رأيت منها كراريس ، ولا أدري إلى أين وصل [٥]، و شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، وهي أسلوب آخر غير أساليب المذكورين.

وإنما كتب منها اليسير [٦]، والشيخ وليّ الدين أبو زرعة أحمد ابن الحافظ الكبير زين الدين عبد الرحيم العراقي [٧] في مجلدين لخص فيهما كلام ابن المنير،

---

(١) قال قاسم بن قطلوبغا زين الدين في : تاج التراجم ... : وحاشيته على الكشاف إلى تمام الزهراوين . ص ٢٧٧ وحاشيته مخطوطة ، ومنها نسخ ، انظر في : الفهرس الشامل ١ / ٤٢٤

(٢) هو مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني ، العلامة الكبير ، له شرحا التخليص ، وحاشية الكشاف ، توفي سنة واحدة وتسعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٥ / ٣٥٠ وبغية الوعاة ٢ / ٢٨٥ و حاشيته مخطوطة ، و منها نسخ ، انظر في : الفهرس الشامل ١/ ٤٢٥

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : والذي تحرر منها من أول القرآن إلى أثناء سورة يونس ، ومن سورة الفتح .

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون ٢ / ١٤٧٨ وصل فيها إلى سورة الفتح .

وفي آخر نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٥٣٦ ل ٧٨٤ التفسير في أثناء سورة الفتح : هذا آخر ما وفق الشارح العلامة ، وهو السعد التفتازاني لتحريره وتحقيقه وتصنيفه وتعليقه على الكشاف ، جزاه الله

(٤) هو على بن محمد بن علي أبو الحسن الجرجاني ، يعرف بالسيد الشريف ، عالم الشرق ، كان بينه وبين التفتازاني مباحثات ومحاورات في مجلس تمرلنك ، وله من الحواشي : حاشية على أوائل الكشاف ، توفي سنة ست عشرة وثمانمائة . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٥ / ٣٢٨ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١ / ٤٨٨ وحاشيته مطبوعة في هامش الكشاف في بعض الطبعات

(٥) وصل إلى تحشية تفسير الآية السادسة والعشرين من سورة البقرة . انظر في : الكشاف مع حاشية الجرجاني ١/ ٢٦١

(٦) ذكر السيوطي في معجم شيوخه : المنجم في المعجم ص ١٢٦ أن علم الدين صالح بن عمر البلقيني ولد المؤلف أكمل هذه الحاشية

(٧) هو أحمد ابن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين أبو زرعة الكردي ، يعرف كأبيه بابن العراقي ، كان عالما فاضلا ، له تصانيف في الأصول والفروع ، وفي شرح الأحاديث ، وبد طولى في الإفتاء ، اختصر الكشاف مع تخريج أحاديثه ، وتتمات ونحوها ، توفي سنة ست وعشرين وثمانمائة . الضوء اللامع ١ / ٣٣٦ والبدر الطالع ١ / ٧٢ وحاشيته مخطوطة ، ومنها نسختان . انظر في : الفهرس الشامل ١ / ٤٥٠

و العلم العراقي، وأبي حيـان ، وأجوبـة الحلبـي ، والسفاقسـي مـع زيـادة تخريـج أحاديثه .

وممن خرّج أحاديثه الإمام المحـدث فخـر الديـن الزيلعـي[1]، ولخـص كتابـه حافظ العصر الشهاب أبو الفضل ابن حجر في مختصر لطيف .

وسيد المختصرات منه كتاب" أنوار التنـزيل وأسرار التـأويل" للقـاضي نـاصر الدين البيضاوي، لخصه فأجاد ، وأتى بكل مستجاد ، ومـاز منـه أمـاكن الاعـتزال، وطرح مواضع الدسائس وأزال [2]، وحرر مهمات ، واستدرك تتمات ، فبرز كأنـه[3] سبيكة نُضَار، واشتهر اشتهار الشمس فـي وسـط النهـار، وعكـف عليـه العـاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون ، وذاق طعم دقائقه العارفون، فـأكبّ عليـه العلمـاء والفضلاء تدريسا ومطالعة ، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيـه ومسـارعة ، ومـرّوا على ذلك طبقة بعد طبقة ، ودرجوا عليه من زمن مصنفه إلى زمن شيوخنا متسقة.

ولقد كان شيخاي الإمامان الأكملان ، و الأستاذان الأفضـلان ، بقيـة النحـارير المدققين ، وعمـدة المشـايخ المحققيـن تقـي الديـن الشـمني [4]، ومحيـي الديـن الكافيجي [5]، سقى الله ثراهما شآبيب الغفران ، وأمطر علـى مضجعهمـا سـحائب

---

(١) هو عبد الله بن يوسف بن محمد أبو محمد جمال الدين الزيلعي ، اشـتغل كثيرا ولازم مطالعة كتب الحديث إلى أن خرج أحاديث الهداية ، وأحـاديث الكشـاف ، توفـي سـنة اثنتيـن وسـتين وسبعمائة. الدرر الكامنة ٣ / ٣١٠ والبدر الطالع ١ / ٤٠٢

وتخريج أحاديث الكشاف له اسـمه : كتـاب تخريـج الأحـاديث والآثـار الواقعـة فـي الكشـاف للزمخشري . حقق رسائل علمية في جامعة أم القرى ، وطبع بعناية سلطان بن فهد الطبيشي

(٢) ولكن بقيت مع ذلك فيه دسائس اعتزالية ، ورواسب فلسـفية ، تبـع فيهـا الزمخشـري وجـاراه ، سببه : التوغل في علوم الفلاسفة ، وعدم التضلع بالأحاديث والآثـار ، ولقـد أحصـى السـيوطي رحمه الله عليه أكثر من عشرين موضعا زلت فيها قدم البيضاوي ، فناقشه فيها ورد عليـه . انظر في الدراسة

(٣) في ت ، ظ : كتابه

(٤) هو أحمد بن محمد بن محمد أبو العباس الشمني – بضم الشين المعجمـة والميـم وتشـديد النـون – القسطيني الحنفي ، إمام النحاة في زمانه وشيخ العلماء في أوانه ، له شرح المغني لابن هشام ، توفـي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٢/ ١٧٤ وبغية الوعاة ١/ ٣٧٥

(٥) هو محمد بن سليمان بن سعد أبو عبد الله الكافيجي الحنفي ، كان إماما كبـيراً فـي المعقـولات كلها ، الكلام وأصول الفقه والنحو والتصريف والمعاني والبيان والجـدل والمنطـق والفلسـفة ، توفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة . الضوء اللامع ٧ / ٢٥٩ وبغية الوعاة ١/ ١١٧

الرضوان يقرئان هذا الكتاب فيأتيان في تقريره بـالعجب العجـاب ، ويرشـدان مـن كنوزه ورموزه إلى صوب الصواب .

فلما توفاهما الحق إلى رحمته ، ونقلهما من هذه الدينا الدَّنِيَّةِ إلى فصيـح جنتـه شغرت الديار المصرية من محقق ، وخلت من مدرّس يبدي ضمائره مدقق، فصـار الكتاب بما فيه من الكنوز كصندوق مقفل ، وأصبح لفقد من فيه أهلية لتدريسه كأنّه مغفل ، فألهمني الله سبحانه وتعالى أن جردت الهمّـة لتدريسـه ، وشـددت المـئزر لتقرير ما فيه وتأسيسه، فشرعت في إقرائه مفتتح سـنة ثمـانين وثمانمائـة ، فـأقرأت فيه[1] في مدة عشر سنين متوالية من أوّله إلى أثناء سورة هود ، وبذلت المجهود في استقراء مواده، والتنقير عـن معادنـه، ولزمـت النظـر والسُـهود والكواكـب شُـهود، وشرعت مع ذلك في تعليق حاشية عليه تحلل خفاياه، وتذلل مطاياه، فسمع بذلـك السامعون ، وطمع في الوصول إليها الطامعون، وجسر على إقرائه حينئذ كل جسور وهجم من متعرّبة ومن عجم ، ممن لا يفرق في مقدمة التصريف بيـن بـاب ضـرب يضرب، وباب نصر ينصر، فضلا عن أن يحوي عنده شتاتَ تلك العلـوم التـي هـي أصول له ويحصر، وممن إذا قرأ الكرّاس نظرا يصحف التفقيـة بالتقفيـة ، ويحـرّف الترفية بالترقية ، وإذا سمع باستعارة أو حجـاز كـان بينـه وبيـن إدراك ذلـك مجـاز، بحيث سمع قولي في مقامة:

" وأنا " الحامل للشريعة المحمدية علـى كـاهلي، و الراقـم لهـا فـي تصـانيفي بأناملي" فاستنكر ذلك وقال :

" الشريعة لا تحمل على الكواهل، ولا ترقم ، إنما ترقم الخطوط الدالة عليهـا بالأنامل".

فانظروا من بلغ به الجهل المفرط هذا الحد، ومن أدّاه السـقوط و العاميـة إلـى أن يعيب هذا الكلام البليغ ، ويوجه نحوه الردّ! وبحيث سمع قولي :

" أعلم خلق الله الآن قلما وفما" فاستنكر ذلك من حيث الإعراب وعده وهمـا ، وقال :

" إن نصب الاسمين على التمييز فرع أن يقال : قلم عـالم ، وفـم عـالم ، وهـو بعيد عن التجويز".

---

(١) في د ، ح ، ق : منه .

فانظروا إلى من لم يسمع قط في علم المعاني بالإسناد المجازي، ولا مرّ على أذنه تمثيلهم بشعر شاعر ، وقصيدة شاعرة ، ونهار صائم، وما له يوازي، ولا قرأ القرآن وهو ممتلئ به على لغة كل عربيّ حجازي، وغير حجازي .

ثم ارتقى من الجهل مصعدا يرتقي عنه أسفل السافلين، ويرتفع عنه [(١)] أجهل الجاهلين الغافلين، وقال:" إن هذه العبارة منكرة شرعا ، ممنوعة من قبل الحكم الديني منعا؛لأنها تشمل الملائكة وجبرائيل وميكائيل"فملأ بذلك وعاءه جهلا، لا وَزَنَهُ ولا كاله؛لأنه لم يقف قط على قول العلماء في مثل ذلك : إنه موكول إلى تخصيص العقل بعالم القائل السالك ، وعلى ذلك قوله تعالى لبني إسرائيل﴿ وأني فضلتكم على العالمين﴾ قالوا: لا تدخل فيه لما ذكر الأنبياء ولا الملائكة .

ولولا اعتبار هذه القاعدة التي ليس عنها براحٌ لكان التلقيب بقاضي القضاة ، وأقضى القضاة محرّما غير مباح؛لأنه شامل لكل نبي، أجل، بل ولرب العالمين سبحانه عزّ وجلّ .

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكن لا حياةَ لمن تنادي [(٢)]

وممن إذا سمع بذكر الاجتهاد الذي هو من آكد فروض الشريعة تعجب منه، وعدّه من المنكرات الفظيعة [(٣)] [(٤)].

الله أكبر!نزر العلم ، وغزر الجهل ، وتكلّم من ليس للخطاب بأهل .

وممن إذا روي له حديث لم يفرّق بين الموقوف والمرفوع ، ولا بين الموصول والمقطوع ، ولا بين الصحيح والموضوع .

وأعظم من ذلك أنه يعتمد الأخبار المختلقة الموضوعة ، ويرد الأحاديث الصحيحة المسموعة ، سنة بني إسرائيل ، وتحريف ابن صوريا على جبرائيل[(٥)] .

---

(١) في ت ، ح ، د : عنده .

(٢) لكثير عزة ، انظر في : ديوان كثير ص ٢٢٢ قال شارح الديوان : قيل البيت في الرثاء ، ثم أصبح مثلا يضرب لمن يوعظ فلا يقبل ولا يفهم

(٣) في د : القطيعة .

(٤) انظر في تحدث السيوطي عن إنكار ابن الكركي الاجتهاد على السيوطي في شرح مقامات جلال الدين السيوطي ١ / ٣٨٨

(٥) المقصود بهذا الكلام هو : إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد أبو الوفاء الكركي الأصلي ، القاهري المولد والدار ٨٣٥ - ٩٢٢ الذي نعته السخاوي في الضوء اللامع ١/ ٦٢ بقوله : "

=

أفتارك [1] أنا هذا الكتاب البديع المثال ، المنيع المنال عرضة لهؤلاء ، كأنه خبز شعير، وفيه من فرائد الفوائد ما يجلّ عن مقابلته من الذهب الناض بحمل بعير، ففرقة تأكله وتذمه ، و تتوهّم فيه بحسب فهمها السقيم أدنى خلل فلا ترمه .
ومنهم من يريد أن يعربه فيعجمه ، [2] ويصبح ظمآن وفي البحر فمه [3] .

وقد درس وصنف ، وأفتى ، وحدّث وروى ، ونظم ونثر ، ونقب وتعب ، وخطب ووعظ ، وقطع ووصل ، وقدم وأخر ، كل هذا مع الفصاحة والبلاغة وحسن العبارة " .
وذلك أنه كان بينه وبين جلال الدين السيوطي خصومة عنيفة أملتها المعاصرة ، واقتضتها المنافسة ، فنال أحدهما من الآخر ، وصوب إليه سهام الطعن ، وفوق إليه نصال الأذى ، فألف السيوطي عنه مقامة سماها : الدوران الفلكي على ابن الكركي ، قال فيها : " وأذكر بناء البروز إذ أفتيت بأنه لا يجوز ، فغضب من ذلك وزمجر ، ونبع الشر من فيه وتفجر وقال : ما له وللتكلم في هذا ! فقد ضر الناس بذلك وآذى .
وذلك لأن له بروزا أحدثه خشي من هدمه ، فيا فضيحة الإنسان من ربه إذا لم يعمل بعلمه ، ثم يطوق تلك الأرض في عنقه من سبع أرضين ، وكيف لا أتكلم في ذلك وأنا الحامل للشريعة المحمدية على كاهلي ، والراقم لها في تصانيفي بأناملي ، وأنا الذي بالعلم حقيق وقمن ، أعلم خلق الله الآن قلما وفما ، إن لم أكن أحق بالتكلم فمن " ؟ شرح مقامات جلال الدين السيوطي ١ / ٤٠٨ ثم إن إبراهيم الكركي ألف مقامة دفاعا عن نفسه ، وردا على مقامة السيوطي ، لم أقف عليها ، لكن في مكتبة الأزهر كتاب جمع فيه إبراهيم الكركي مسائل فقهية ، سماه : فيض الكريم على عبده إبراهيم، ربما تكون المقامة من محتوياته، انظر في : فهرس الأزهر ٢/ ٢٣٤.
ثم ألف السيوطي مقامة أخرى سماها : طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة ، ردا على مقامة ابن الكركي جال وصال فيها ، وأبدأ وأعاد فيها ، واستفرغ وسعه ، وبذل قصارى جهده في نقضها، والنيل منه ، والوقيعة فيه . ثم وصل أمرهما إلى الخليفة العباسي المتوكل على الله أبي العز عبد العزيز بن يعقوب ، ففض بينهما ، وردعهما من التهارش ، ومنعهما من التناوش . انظر في : شرح مقامات السيوطي ٢/ ٨١٣

(١) في ح : أفأترك

(٢) مقتبس من رجز الحطيئة جرول بن أوس :

فالشعر صعب و طويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه و الشعر لا يسطيعه من يظلمه
يريد أن يعربه فيعجمه
ديوان الحطيئة ٢٣٩

(٣) مقتبس من رجز لرؤبة بن العجاج :

كالحوت لا يرويه شيء يلهمه يصبح ظمآن و في البحر فمه
انظر في : مجموع أشعار العرب ١٥٩

فحبست ما كتبت منه عشرين سنة، ولم أسمح به لأحد ، لا في يقظة ولا في سنة.

ولقد جاءني رائد منهم ناصبا لي الحبالة يريد ليوصله إلى من يستعين بـه علـى إقرائه، لا أبا له ، فألقمت الحجر فاه ، وتلوت على قفاه :

أتت بجرابها تكتال فيه فردت وهي فارغة الجراب

ألم تر إلى الذي توسل إلينا بأبناء الحنفاء ، وتوصل إلينا بـأولاد الخلفـاء ، وتطفـل علينا في الموائد فأذنّا لبعض تلامذتنا أن يسمحوا له ببعض ما لنا من الفوائد، فكان أوّل أمره نصب ، وآخره غصب ، وأغار على كتابنا " المعجزات والخصائص" وغيره ، وخان وجنى ثمار غروسنا ، وهو فيما جناه جان ، فسوّد بذلك وجهه ، وتوجـه مـن ترك أداء الأمانة إلى شر وجهة ، وسرق من عدة كتب لنا جواهر ، لا ملك لـه فيهـا ولا شبهة ، فنبهنا على خيانته ، وإنا لصادقون ، وبعثنا في ناديـه مؤذنـا يـؤذن﴿ أيتهـا العير إنكم لسارقون﴾ [سورة يوسف ٧٠] وعلمنا بذلك بخس ميزانه في الوازنين[١] ، وتلونا على قفاه ﴿ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ [سورة يوسف ٥٢][٢] .

---

(١) في د ، ق : في الموازين .

(٢) كان بين السيوطي وبين بعض علماء عصره منازعات أدبية ومخاصمات علمية ، فألف عددا مـن المقامات ردا عليهم وانتصافا منهم ، مصرحا بأسمائهم ، فمن ذلك : مـا ألفـه ردا علـى شـمس الدين السخاوي سماها : الكاوي في تاريخ السخاوي ، وما ألفه ردا على إبراهيم الكركي ، وهي عدة مقامات : الدوران الفلكي على ابن الكركـي ، الجـواب الزكـي عـن قمامـة ابـن الكركـي ، الصارم الهندي في عنق ابن الكركي ، وما ألفه ردا على شمي الديـن الجوجـري سـماه : اللفـظ الجوهري في رد خباط الجوجري .

ومن هذه المقامات مقامة أخرى سماها : الفارق بين المصنف والسارق ألفهـا ردا علـى مؤلـف اتخذ قرصنة الكتب بضاعة بعد أن أفلس في عالم العلم والتـأليف ، وتعـرض لـه فـي مقامـة لـه أخرى سماها : ساحب سيف على صاحب حيف . شرح مقامات السيوطي ١ / ٥٦٤

اتهمه السيوطي بأنه سلخ أربع كتب له ، كتاب الخصائص والمعجزات ، وكتاب أنموذج اللبيـب ، وكتاب طي اللسان عن ذم الطيلسان ، وكتاب مسالك الحنفا في والدي المصطفـى ، ثـم امتـد سلخه ، ووصلت إغارته إلى كتب قطب الدين الخيضري ، وشمس الدين السخاوي .

ولم يصرح باسم السارق في هاتين المقامتين ، وأجهل السبب الذي جعله يبهم اسمه ، ويصـرح بأسماء الآخرين.

بيد أن جمهرة من الباحثين ، الدكتور سمير الدروبي في تحقيق شرح مقامات السـيوطي ١/ ٥٤ وصالح آل الشيخ في كتابه هذه مفاهيمنا ٢٤- و لم يجزم - وعبد الإله نبهان في تحقيـق بهجـة العابدين ١٤٠ والدكتور هلال ناجي في تحقيق الفارق بيـن المصنـف والسـارق ٢٦فسـروا هـذا

=

فلما كان هذا العام الذي هو ختام القرن رأيت أن أنظر في تبييض هذا الكتاب وتحريره، وتكميل ما بقي منه إلى أخيره، فجمعت الموادَّ ، وسلكت الجوادَّ، وحبرته تحبيرا، وبالغت في تهذيبه تقريرا وتحريرا، وسميته" نواهذ الأبكار وشوارد الأفكار"

واعلم أني لخصت فيه مهمات مما في حواشي الكشاف السابق ذكرها ما له تعلّق بعبارة الكتاب ، وضممت إلى ذلك نفائس تستجاد وتستطاب، مما لخصته من كتب الأئمة الحافلة (١)، كتذكرة أبي عليّ الفارسي (٢)، والخصائص ، والمحتسب،

السارق الذي أبهمه السيوطي بالعلامة شهاب الدين القسطلاني صاحب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية .

قلت : إن السيوطي ذكر في مقامته الفارق بين المصنف والسارق بعض الملامح عن ذلك السالخ ، فإذا هي لا تنطبق على شهاب الدين القسطلاني . قال السيوطي : " قال - أي السالخ - : تتبعت وجمعت ووقع لي " شرح مقامات السيوطي ٢/ ٨١٩ وهذه العبارات ليست في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية .

وقال أيضا :" وهذا الرجل لست أعرفه في سر ولا جهر ، وإنما قيل لي عند السؤال - وأنا بالروضة - : رجل من أهل ما وراء النهر ، فما أجدر هذا السارق الأعجم بأن تقطع منه اليمنى ، و يؤخذ منه باليمين " شرح مقامات السيوطي ٢/ ٨٢٩

وشهاب الدين القسطلاني أولا : ليس مجهولا عند السيوطي ، بل هو معروف لديه ، جرت بينهما خصومة عند زكريا الأنصاري .

وثانيا : ليس رجلا أعجميا من بلاد ما وراء النهر ، بل هو مصري المولد والمنشأ من أصول إفريقية، وعليه فليس هذا السارق الذي ألف السيوطي مقامة الفارق بين المصنف والسارق ردا عليه ، وذكره في كتابه هذا نواهد الأبكار = شهاب الدين القسطلاني .

دعا السيوطي على هذا السارق فقال : إن كان سارقا سالخا ، وناسخا ماسخا ، وكاذبا في دعوى اطلاعه على الأصول ، ومدعيا ما لا حاصل عنده به ، ولا محصول ، ومغيرا على تصنيفي ، ومنتحلا لتأليفي فلا يأمن أن يحرمه الله نفعه وثوابه ، وأن يعدم عليه نفسه وكتابه . شرح مقامات السيوطي ٢/ ٨٢٧

ولعل دعوة السيوطي عليه قبلت فيه، فلم يبارك في عمله وتأليفه، ولم ينتشر بين الناس، ولم ينتفع به.

(١) في د ، ق : الكافلة

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي النحوي الفارسي ، صنف كتبا عجيبة لم يسبق إلى مثلها واشتهر ذكره في الآفاق ، له كتاب التذكرة في العربية عشرون مجلدا ، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . إنباه الرواة على أنباه النحاة ١ / ٢٧٣ و معجم الأدباء ٢/ ٨١١وفهرست ابن خير الإشبيلي ٣١٨ . والتذكرة مفقودة

وذا القد لابـن جنـي [1] ، و أمـالي ابـن الشـجري [2]، و أمـالي ابـن الحـاجب[3]، وتذكرة[4] الشيخ جمال الدين ابن هشام ، ومغنيـه، وحاشـية الإمـام [5] بـدر الديـن الدماميني [6]، وشيخنا الإمام تقي الدين الشمني ، غير ناقل حرفا من كلام أحـد إلا معزواً إليه ؛ لأن بركة العلم عزوه إلى قائله [7] .

وحيث كان المحل من المشكلات التي كثر كلام الناس عليها أشبعت القول[8]

---

(١) هو عثمان بن جني أبو الفتح النحوي الموصلي ، صاحب التصانيف البديعة في علم الأدب ، لـه كتاب التذكرة الأصبهانية ، مختار تذكرة أبي علي وتهذيب ، وكتاب ذي القد في النحو ، وهو ما استملاه من أبي علي ، وكتاب المحتسب في علل شواذ القراءات ، وكتاب الخصـائص ، توفـي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢ / ٣٣٥ ومعجم الأدباء ٤/ ١٥٨٥ ذو القد مفقود ، والآخران مطبوعان

(٢) هو هبة الله بن علي بن محمد أبو السعادات المعروف بابن الشجري ، أحـد أئمـة النحـاة ، ولـه معرفة تامـة باللغة والنحو ، صنف الأمالي ، وهو أكبر تصانيفه وأمتعها ، أملاه في أربعة وثمـانين مجلسا ، توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . إنباه الرواة على أنباه النحاة ٣ / ٣٥٦ ، ومعجـم الأدباء ٦/ ٢٧٧٥ حقق الأمالي الدكتور المحقق المتضلع من علوم العربية ، محمود الطناحي ، وطبعت في ثلاث مجلدات بدار الخانجي

(٣) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسكندري المعروف بابن الحاجب ، كان وحيد عصره علما وفضلاواطلاعا ، له الأمالي في ثلاث مجلدات في غاية الإفادة ، توفي سنة سـت وأربعيـن وستمائة. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهـب ٢ / ٨٦ ، و بغيـة الوعـاة ٢ / ٢٣٥ والأمالي هي إعراب آيات من القرآن ، وشرح مواضع مـن المفصـل والكافيـة ، وشـرح مسـائل خلافية في النحو ، وأمالي مطلقة ، حققها الدكتور فخر صالح سليمان ، وطبعت بدار الجيل

(٤) قال عنها الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ٣ / ٩٤ والسيوطي في بغية الوعـاة ٢ / ٦٩ : إنهـا في خمسة عشر مجلدا وقد اقتبس منها السيوطي أكثر من عشرين نصا في الأشـباه والنظـائر فـي النحو ١ / ٤٥ ، ٦١ ، ٧٤ ، ١٠٣ ، ١٦٤ ، ٢٤٧

(٥) في ت ، ح ، ظ : وحاشيته للإمام

(٦) هو محمد بن أبي بكر بن عمر بدر الدين الإسكندري المعروف بابن الدماميني ، فاق في النحو ، والنظم والنثر والخط ، وشارك في الفقه وغيره ، له تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب ، توفي سنة سبع وثلاثين وثمانمائة .
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٧ / ١٨٤ وبغية الوعـاة ٢ / ٦٦ ومـن حاشـيتي بـدر الديـن ، وتقي الدين نسخ مخطوطة كثيرة ، وطبعتا بمصر قديما . انظر في تـاريخ الأدب العربـي ٦/ ٧٧ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١ / ٨٨٠

(٧) في ت ، ظ : قائليه

(٨) في ت ، ظ : الكلام

فيه بذكر كلام كل من تكلم عليه تكثيرا للفائدة .

ومن المواضع ما وقع فيه تنازع وتباحث بين الأئمة قديما وحديثا بحيث أفردوه بالتأليف فأسوق خلاصة ذلك المؤلف .

فدونك كتابا تشد إليه الرحال، وتخضع له أعناق فحول الرجال .

جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ، ونورا يهديني به إلى الصراط المستقيم ، إلى جنات النعيم بمنّه وكرمه .

ترجمة المؤلّف

هو الإمام القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، من قرية يقال لها : البيضاء من عمل شيراز .

قال الأسنوي[١] في" طبقات الشافعية" :كان عالما بعلوم كثيرة صالحا خيرا، صنّف التصانيف المشهورة في أنواع العلوم . منها مختصر الكشاف ، ومختصر الوسيط في الفقه المسمى ب " الغاية" و" المنهاج" في أصول الفقه . وتولى قضاء القضاة بإقليمه. وتوفي سنة إحدى وتسعين وستمائة[٢] .

وقال القاضي تاج الدين السبكي[٣] في " الطبقات الكبرى" : كان إماما مبرزا، نظارا صالحا متعبدا زاهدا ، صنّف" الطوالع" و" المصباح" في أصول الدين ، و" شرح المصابيح" في الحديث ، وولي قضاء القضاة بشيراز، ودخل تبريز وناظر بها، وصادف دخوله إليها مجلس درس قد عقد بها لبعض الفضلاء فجلس في أخريات القوم بحيث لم يعلم به أحد، فذكر المدرّس نكتة زعم أن أحدا من الحاضرين لا يقدر على جوابها ، وطلب من القوم حلّها ، و الجواب عنها ، فإن لم يقدروا فالحل فقط، فإن لم يقدروا فإعادتها ، فلما انتهى من ذكرها شرع البيضاوي في الجواب، فقال له : لا أسمع حتى أعلم أنك فهمتها ، فخيره بين إعادتها بلفظها أومعناها، فبهت المدرس ، وقال : أعدها بلفظها ، فأعادها ثم حلها، وبيّن أن في تركيبه إيّاها خللا ، ثم أجاب عنها وقابلها في الحال بمثلها ، ودعا المدرّس إلى حلّها، فتعذّر عليه ذلك فأقامه الوزير من مجلسه ، وأدناه إلى جانبه ، وسأله من

---

(١) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي أبو محمد الإسنوي ، كان بحرا في الفروع والأصول ، تخرج به الفضلاء ، وانتفع به العلماء ، صنف التصانيف المفيدة ، منها المهمات على الروضة ، وشرح المنهاج للبيضاوي ، وشرح المنهاج للنووي ، توفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ، ٢ / ٣٥٤، وبغية الوعاة ٢ / ٩٢ .

(٢) طبقات الشافعية١/ ٢٨٣.

(٣) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر تاج الدين السبكي ، طلب الحديث مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب ، توفي سنة واحد وسبعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٢/ ٤٢٥ ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١ / ٤١٠

أنت ؟ فأخبره أنه البيضاوي ، و أنه جاء في طلب القضاء بشيراز ، فأكرمه وخلع عليه في يومه ، ورده ، وقد قضى حاجته[1] .

وقال الصلاح الصفدي[2] في تاريخه :قال لي الحافظ نجم الدين سعيد الدهلي[3]: توفي القاضي ناصر الدين البيضاوي سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز ، ودفن بها .

وهو صاحب التصانيف المشهورة البديعة. منها: "المنهاج" في الأصول ، و شرحه أيضا و" شرح مختصر ابن الحاجب" في الأصول ، و" وشرح الكافية "في النحو لابن الحاجب ، و " شرح المنتخب " في الأصول للإمام فخر الدين ، و" شرح المطالع" في المنطق[4] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ١٥٧

(٢) هو خليل بن أيبك بن عبد الله أبو الصفاء صلاح الدين الصفدي ، حبب إليه الأدب فولع به ، وكتب الخط الجيد ، وأكثر من النظم والنثر والترسل ، له الوافي بالوفيات في نحو ثلاثين مجلدة ، توفي سنة أربع وستين وسبعمائة . الدرر الكامنة ١ / ٨٧ ، والبدر الطالع ١ / ٢٤٣ .

(٣) هو سعيد بن عبد الله نجم الدين أبو الخير الدهلي ، الحافظ الإمام ، حافظ الشام بعد الذهبي ، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢/ ٢٦٩ ، وكتاب الوافي بالوفيات ١٥ / ٢٣٣ .

(٤) كتاب الوافي بالوفيات ١٧ / ٣٧٩

قوله:(الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)
هو من الاقتباس، وقد أُجمع على جوازه في النثر [١] ، واستعمله العلماء قاطبـة في خطبهم وإنشاآتهم، وللمصنّف في ذلك خصوصية، وهي: أن تفسيره هـذا مبنـي كالكشاف علـى أساليب علـم المعـاني و البيـان و البديـع، والاقتبـاس مـن تلـك الأساليب، فكان في افتتاحه براعة استهلال[٢] من وجهين :
أحدهما: الإشارة إلى أن هذا المصنف الذي شرع في افتتاحه تفسير للقرآن .
والثاني: الإشارة إلى أن هذا التفسير على قوانين وأساليب البراعة، ولمثل ذلك افتتح الطيـبي والتفتازاني معا حاشيتي الكشاف بقوله :
﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعـل لـه عوجـا[٣] ﴾ [سـورة الكهف ١]
فإن قلت : نرى في هذا الزمان قوما يستنكرون ذلك ، ويقولون : ألفـاظ القرآن لا تستعمل في غيره .
قلت : إنّما استنكره هؤلاء جهلا منهم بالنصوص والنقول، فقد اسـتعمله النبـي صلى الله عليه وسلّم في غير ما حديث، و الصحابة، و التـابعون، والعلمـاء قديمـا وحديثا، ونصوا في كتب الفقه على جوازه .
فإن قلت: لعلّ المالكية يشددون في ذلك ما لا يشدده أهل مذهبكم .
قلت: قد استعمله إمامهم الإمام مالك بن أنس، ونصّ على جوازه غـير واحـد، منهم ابن عبد البر [٤]، ....

(١) انظر في : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢/ ٢٢٣و الاستذكار الجـامع لمذاهـب فقهاء الأمصار لابن عبد البر ١٤/ ٣٢١ و شرح مقامات السيوطي ٢/ ٧٢٦ - ٧٢٩
(٢) هي أن يكون افتتاح الخطبة أو الرسـالة أو غيرهمـا دالا علـى غـرض المتكلـم . شـرح الكافيـة البديعية لصفي الدين الحلي ٥٩ وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ١٧٢ ١٧٣
(٣) فتوح الغيب ١/ ١ و حاشية سعد الدين ل ١
(٤) هو يوسف بن عبدالله بن محمد أبو عمر النمري القرطبي المالكي ، فقيه حافظ ، عالم بالقراءات وبالخلاف وبعلوم الحديث والرجال ، يميل في الفقه إلـى أقـوال الشـافعي ، توفـي سـنة ثـلاث =

و القاضي عياض[1]، واستعمله في خطبة" الشفا [2] "وابـن المنير، واسـتعمله فـي" الانتصاف[3]" وفي خطبه المنبرية .

ونص الشيخ داود الباقلي[4] في تأليف له علـى أن المالكيـة و الشـافعية اتفقـوا على جوازه.

فإن قلت : سمعنا الإنكار ممن يزعم أنه متمذهب بمذهب أبي حنيفة رحمه الله.

قلـت : هـو غـير عـالم بمذهبـه ، فلـو رأى" شـرح مجمـع البحريـــن" لابــن الساعاتي[5] - خصوصــا فــي بـاب الاستسـقاء - لظلـت عنقـه لجـوازه خاضعـة ، ولاعترف بجهله حيث أنكر ما قامت عليه الأدلة الساطعة .

ولأجل ذلك ألّفت في المسألة كتابا حافلا [6] فيه جمل من النصوص والنقول،

وستين وأربعمائة. سـير أعـلام النبـلاء ١٨/ ١٥٣ والديبـاج المذهـب فـي معرفـة أعيـان علمـاء المذهب ٢/ ٣٦٧

(١) هو عياض بن موسى بن عياض أبو الفضل اليحصبي السبتي ، كان إمام وقتـه فـي الحديـث وعلومـه عالما بالتفسير وجميع علومه ، فقيها أصوليا، عالما بالنحو واللغة وكلام العـرب وأيـامهم وأنسابهم ، له إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، والشفا بتعريـف حقـوق المصطفى، توفـي سـنة أربـع وأربعين وخمسمائة . الديباج المذهب ١/ ٢ ولشهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمسـاني كتاب : أزهار الرياض في أخبار عياض، في خمس مجلدات ، ظريف مشحون بالفوائد .

(٢) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/ ١٨٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢

(٣) الانتصاف من الكشاف ١/ ١٣٣ ، ١٥٧

(٤) لم أعرف عنه سوى أن له رسالة في جواز الاقتباس من القـرآن ، تسمى"اللطيفة المرضـية " انظر في : شرح مقامات السيوطي ٢/ ٧٢٦ و كشف الظنون ٢ / ١٥٥٦

(٥) هو أحمد بن علي بن تغلب مظفر الدين المعروف بابن الساعاتي، كان علامـة بارعـا، لـه البديـع فـي أصول الفقه، ومجمع البحرين، وشرحه في مجلدين، توفـي سـنة أربـع وتسـعين وسـتمائة. الطبقـات السنية في تراجم الحنفية ١/ ٤٠٠ وتاج التراجم فيمن صنـف مـن الحنفيـة ١٦ وقـد أحصـي محقـق البديع في أصول الفقه للمؤلف مخطوطات مجمع البحرين فبلغت أكثر من خمس عشرة مخطوطة.

(٦) واسمه: رفع الباس وكشف الالتبـاس فـي ضـرب المثـل مـن القـرآن والاقتبـاس . طبع ضمـن الحاوي للفتاوي ١/ ٣٩٩-٤٤١ وأحفل منه كتاب الاقتباس من القـرآن الكريـم ، لأبـي منصـور عبد الملك بن محمد الثعالبي في جزأين ، إذجمع فيه اقتباس رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أفصح العرب وأحسنهم بيانا ، والسلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلـى زمـان المؤلـف من معاني القرآن وألفاظه في أمور معاشهم ومعادهم ، وأداره على خمس وعشـرين بابـا، فجـاء كتابا أحفل في بابه وأجمع لقضايا الاقتباس

فليطلبه من أراد تحقيق ذلك .

واعلم أن الاقتباس أنواع ؛ لأنه تارة يورد فيه نظم القرآن بنصه كما في هذا المطلع، وتارة يزاد فيه الكلمة ونحوها، أو ينقص منه، أو يغير بعض عبارته وإعرابه، وقد استعمل المصنف جميع هذه الأنواع في الخطبة تنبيها منه على جوازها شرعا وبلاغة.

فمن الزيادة قوله:(ثم بيّن للناس ما نزّل إليهم حسبما عنّ لهم من مصالحهم، ليدبّروا آياته وليتذكّر أولو الألباب تذكيرا) فزاد لفظة "تذكيرا"

ومن التغيير قوله: (فكشف قناع الانغلاق عن آياتٍ محكماتٍ، هن أم الكتاب وأخر متشابهات، هن رموز الخطاب، تأويلا وتفسيرا)

وقوله: (فَمَنْ كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد)

ومن النقص و التغيير والنقل عن المنزل فيه قوله: (ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وإلماعها ؛ ليذهب عنهم الرجز، ويطهرهم تطهيرا)

وكلّ ذلك سائغ شائع ، فقد استعمله الأئمة ، و العلماء ، و البلغاء قديما وحديثا، ولاينكره إلاّ من هو في عداد البهائم .

قوله : (فتحدى) الضمير فيه وفي الأفعال بعده راجع إلى (عبده)

والتحدي طلب المعارضة والمقابلة.

قال في الصحاح: تحديت فلانا إذا باريته في فعل ونازعته الغلبة [(١)].

وقال في الأساس: حدا حدوا، وهو حادي الإبل، واحتدى بها حُداء إذا غنى لها.

ومن المجاز: تحدى أقرانه إذا باراهم، وأصله في الحُداء يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان، فيتحدى كل واحد منهما صاحبه، أي يطلب حداءه، كما يقال: توفاه ، بمعنى استوفاه [(٢)] .

وقال غيره : كانوا عند الحَدْوِ يقوم حاد عن يمين القطار، وحاد عن يساره يتحدى كل واحد منهما صاحبه ، بمعنى يستحديه، أي يطلب حداءه، ثم اتسع فيه

---

(١) الصحاح / مادة حدا

(٢) أساس البلاغة / مادة حدا . وفيه : و حدى بها بدل : واحتدى بها

حتى استعمل في كل مباراة .

قوله : (مصاقع) جمع مصقع، وهو الفصيح .

قال الجوهري : خطيب مصقع ، أي بليغ [(١)].

زاد غيره: يجهر بخطبته، من صقع الديك إذا صاح، وقيل:لأنه يأخذ في كل صقع، أي جانب من الكلام .

قوله :(العرب) هم ولد إسماعيل عليه السلام، و العاربة و العرباء الخلص منهم، أخذ من لفظه وأكّد به ، كليل أليل، وظلّ ظليل .

قوله :(وأفحم) أي أسكت. قال في الصحاح: كلمته حتى أفحمته، إذا أسكته في خصومة [(٢)].

قوله : (تصدّى) أي تعرض ، والمصاداة المعارضة .

قوله:(عدنان) الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلّم ، وسائر العرب، وهو عدنان بن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار[(٣)] بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام. وقحطان أبو اليمن.كذا في الصحاح[(٤)].

وقال الكلبي[(٥)] : هو الهميسع بن نبت [(٦)] بن إسماعيل بن إبراهيم .

كذا نقله المبرد[(٧)] في كتاب" نسب عدنان وقحطان" وبين في الكتاب المذكور رجوع جميع العرب إليهما [(٨)].

---

(١) الصحاح / مادة صقع .

(٢) الصحاح / مادة فحم .

(٣) في ح: قيذر .

(٤) الصحاح / مادة قحط

(٥) هو هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر الكلبي ، كان عالما بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها، توفي سنة أربع ومائتين . معجم الأدباء ٦/ ٢٧٧٩ وسير أعلام النبلاء ١٠١/١٠

(٦) في نسب عدنان وقحطان ٢٨ و نسب ابن الكلبي قحطان إلى إسماعيل عليه السلام فقال : قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت

(٧) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس النحوي ، كان إمام العربية في بغداد، وإليه انتهى علمها ، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين . معجم الأدباء ٦/ ٢٦٧٨ وسير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٣

(٨) نسب عدنان وقحطان ٩ ، ٢٨

قوله : (حسب) أي قدر ، وهو بفتح السين .

قال في الصحاح : وربما سكن للضرورة [1] .

قوله:(عنّ) بالتشديد، أي عرض .

قوله :(قناع الإنغلاق) القناع بكسر القاف ما تغطي به المرأة رأسها .

وفي الصحاح : كلام غلق، أي مشكل[2]. ففيه استعارة بالكناية[3]: شَبَّهَ الكلام الغلق بالمرأة المخدرة، أي المحتجبة، فأَضْمَرَ التشبيه في النفس ، وحذف المشبه به ، ودلّ عليه بلازمه، وهو القناع .

قوله :(وأبرز) أي أظهر .

قوله:(غوامض) جمع غامض ، وهو خلاف الواضح.

قوله:(ولطائف) جمع لطيفة ، وهي الكلام الدقيق المؤثر في النفس .

قوله: (لتتجلى لهم خفايا الملك والملكوت ، وخبايا قدس الجبروت)

قال الغزالي [4] في إملائه : حد عالم الملك :ما ظهر للحواس ، ويكون بقدرة الله، بعضه من بعض ، ويصحبه التغيير .

وحد عالم الملكوت : ما أوجده سبحانه بالأمر الأزليّ بلا تدريج، وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه .

وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك ، فجبر بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت [5]. انتهى .

---

(١) الصحاح/ مادة حسب

(٢) الصحاح/ مادة غلق

(٣) و ذلك أن يضمر التشبيه في النفس فلايصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ، ويدل على ذلك التشبيه المضمر في النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، فيسمى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية ، ومكنيا عنها ، لأنه لم يصرح به ، بل دل عليه بذكر خواصه. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ٩٨ و معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١/ ١٤٥

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد زين الدين أبو حامد الغزالي الطوسي، كانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، توفي سنة خمس وخمسمائة . سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢٢ وطبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٩١

(٥) الإملاء في إشكالات الإحياء ٣٨ قلت : تفسير أبي حامد الغزالي هذه الألفاظ بهذه المعاني فيه نظر ، وذلك أن الفلاسفة وضعت هذه الألفاظ لهذه المعاني ، واستعملها الغزالي فيها موافقا لهم، وهي غير المعاني التي استعملت في اللغة والشرع ، ولا شك أن هذا محاداة للغة ، ومشاقة

=

وفي " الحقائق" و" الدقـائق" جنـاس لاحـق. وفـي " خبايـا" و"خفايـا" جنـاس مضارع؛لأن الاختلاف بحرف مقاربفي المخرج.

قوله:(ومهد) أي وطّأ وسوى وأصلح .

قوله :(وإلماعها) كنى به عن الآيات المشيرة إلى الأحكام إشارة خفية؛لذكـره في مقابلة النصوص، وهو لغة الاختلاس .

قوله: (نبراسـه) هـو المصبـاح ، وفيـه مـع "رأسـه" جنـاس مُذَيَـلٌ [1]. وفـي" الوجود" و " الجود" جناس ناقص [2].

قوله:(ذميما) أي مذموما.

قوله: (توازي) أي تحاذي .

قوله: (غناءه) بفتح المعجمة والمدّ .

قوله: (وتجازي عناءه) بفتح المهملة والمـد، هـو التعـب، وفـي " تـوازي" و "

للشرع ، وتلاعب بالألفاظ، وتلبيس على المسلمين .

قال مرتضى الزبيدي في تاج العروس — آثرا عن غيره -: والجبروت فعلوت من الجـبر والقهـر والقسر، والتاء فيه زائدة للإلحاق بقبروس ، ومثله ملكوت من الملك ، ورهبــوت مـن الرهبـة ، ورغبوت من الرغبة ، ورحموت من الرحمة ، قيل : ولا سادس لها .

وقال أبو جعفر الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٧٠: ملكوت الســماوات والأرض يعنـي ملكـه ، وزيدت فيه التاء كما زيدت في الجبروت من الجبر ، وكما قيــل :رهبـوت خـير مـن رحمـوت، بمعنى رهبة خير من رحمة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة عظيمة نافعة في العبـادات ٥٢ : وابـن سـيناء ومـن تبعـه أخذوا أسماء جاء بها الشرع ووضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ، ثم صاروا يتكلمون بتلك الأسماء ، فيظن الجاهل أنهم يقصدون بها ما قصده صاحب الشرع ، فأخذوا مـخ الفلسفة ، وكسوه لحــاء الشـريعة ، وهـذا كلفـظ الملـك ، والملكـوت ، والجـبروت ، واللـوح المحفوظ ، والملك ، والشيطان ، والحدوث ، والقدم ، وغير ذلك . وقد ذكرنا من ذلـك طرفـا في الرد على الاتحادية لما ذكرنا قول ابن سبعين ، وابن عربي ، وما يوجد في كـلام أبـي حـامد ونحوه من أصول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة ، والذين يحرفون كلام الله ورسوله عــن موضعـه ، كما فعلت القرامطة الباطنية . وانظر في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٢١٠ .

(١) هو أن يقع الاختلاف بأكثر من حرف ، وهو مخصوص بما كانت الزيادة فـي الآخـر مثالـه قولـه تعالى " وانظر إلى إلاهك " شرح عقود الجمان ١٤٥ و معجم المصطلحات البلاغية ٢/ ٨٤

(٢) هو أن يختلفا في عدد الحروف. شرح عقود الجمان ١٤٥ و معجم المصطلحـات البلاغيـة ٢/ ١٠٧

تجازي" جناس لاحق[1]، وفي " غناءه " و" عناءه" جناس مُصَحَف[2].

قوله: (ومنارا) هو علم الطريق يوضع ليهتدي به المارون[3].

وبيان كون التفسير أعظم العلوم مقرر في "الإتقان" بمالامزيد عليه، وكذا حده، والفرق بينه وبين التأويل [4]

قوله: (برع) في الصحاح: برع الرجل بالضم والفتح براعة، أي فاق أصحابه في العلم وغيره [5].

قوله:(في العلوم الدينية) هي التفسير والحديث و الفقه وأصول الدين وأصول الفقه.

أمّا العلوم الشرعية فذكر الفقهاء في الوصية اختصاصها بالثلاثة الأُوَّل، وحكوا في الرابع خلافا، و الأكثرون على عدم دخوله فيها.

واختار المتولي[6] دخوله[7]، وقال الرافعي[8]: إنه قريب[9].

وقال السبكي[10]: العلم بالله وصفاته وما يجب له وما يستحيل عليه ليُردّ على

---

(١) هو ما وقع الاختلاف فيه في أنواع الحروف ، ويشترط أن [لا] يكون بأكثر من حرف واحد ، وإلا يبعد التشابه ويفقد التجانس ، وهو قسمان : مايكون التحالف بحرف مقارب في المخرج ، ومايكون بغيره ، والأول يسمى المضارع ، والثاني اللاحق . شرح عقود الجمان ١٤٦ و معجم المصطلحات البلاغية ٢/ ٧٦

(٢) هو ما اختلفت الحروف في النقط، وبعضهم يسميه جناس الخط. شرح عقود الجمان ١٤٤و معجم المصطلحات البلاغية ٢/ ٧٠

(٣) في ظ: المار

(٤) الإتقان ٢/ ١١٨٩ - ١١٩٦

(٥) الصحاح / مادة برع

(٦) هو عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولي، صاحب التتمة ، أحد الأئمة الرفعاء، برع في المذهب وبعد صيته، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. طبقات الشافعية الكبري ٥/ ١٠٦ ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٣

(٧) انظر في : روضة الطالبين للنووي ٦/ ١٦٩

(٨) وهو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم أبو القاسم الرافعي ، كان متضلعا من علوم الشريعة تفسيرا وحديثا وأصولا ، له فتح العزيز في شرح الوجيز، والمحرر، توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ودفن بغزوين . تهذيث الأسماء واللغات ٢/ ٢٦٤ وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢٨١

(٩) انظر في : المحرر في الفقه ٣/ ٨٥٩ وفتح العزيز ٧/ ٩٠

(١٠) هو علي بن عبد الكافي بن علي أبو الحسن تقي الدين السبكي ، جامع أشتات العلوم المبرز =

المبتدعة، ويميز بين الاعتقاد الفاسد والصحيح، وتقريرُ الحق ونصرُهُ من العلوم الشرعية، والعالم به من أفضلهم. ومن دأبه الجدال والشُبَهُ وخَبْطُ عَشْواءَ وتضييع الزمان فيه والزيادة عليه إلى أن يكون مبتدعا، أو داعيا إلى ضلال[1] فذاك باسم الجهل أحقّ.

ولم يعدّ أحد من الفقهاء أصول الفقه فيالعلوم الشرعية.

قوله: (وفاق) في الصحاح: فاق أصحابه يفوقهم ، أي علاهم بالشرف [2] .

قوله : (في الصناعات العربية ، والفنون الأدبية)

أحسن المصنف جدا في تفريقه بين العلوم الدينية ، والآلات ، حيث أطلق على الأولى اسم العلوم ، وعلى الأخرى اسم الصناعات والفنون ؛ لشرف تلك وشرف لفظ العلم، بخلاف لفظ الصناعات و الفنّ .

قال في الصحاح: الصناعة حرفة الصانع، وعمله الصنعة. و الفنّ النوع[3].

وقال الشيخ سعد الدين في حاشية الكشاف: معلومات العلم إن حصلت بالتمرن على العمل فربما خصت باسم الصناعة، أو بمجرّد النظر و الاستدلال فبالعلم، وقد يقال: الصناعة لما تدرّبفيه صاحبه وتمكّن ، أو لما يكون المقصود الأصلي منه هو العمل.

وبالجملة الصناعة تعلق بالعمل؛ولذا قالوا : هي ملكة نفسانية يقتدر بها الإنسان على استعمال موضوعات ماّ نحو غرض من الأغراض صادرا عن البصيرة بحسب ما يمكن فيها [4] .

وقال الطيبي- بعد ما حكى القول الأول ممثلا للتمرن بحصول معلومات النحو بمطارحات الأعراب، ومعلومات صناعتي البلاغة والفصاحة بتتبع خواص تراكيب البلغاء إفادة ودلالة وترتيبا -: والحق أن كل علم مارسه الرجل سواء كان استدلاليا أو غيره حتى صار كالحرفة له يسمى صناعة .

في المنقول منها والمفهوم ، طار اسمه فملأ الأقطار ، وحلق على الدنيا، توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة . طبقات الشافعية الكبري ١٠/ ١٣٩و طبقات المفسرين ١/ ٤١٢

(١) في ح: ضلالة

(٢) الصحاح / مادة فوق

(٣) الصحاح/ مادة صنع، وفنن

(٤) حاشية سعد الدين ل٤-٥

قال صاحب "الكشاف" في قوله ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ [سورة المائدة ٦٣] " كل عامل لايسمى صانعا، ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه[١]".

قوله : (بأنواعها)

قال ابن الكمال الأنباري [٢] : أنواع علوم الأدب ثمانية : اللغة ، والنحو ، والتصريف والعروض والقوافي ، وصنعة الشعر ، وأنساب العرب ، وأخبارهم. قال: وألحقنا بها علمين وضعناهما: علم جدل النحو ، وعلم أصول النحو [٣] .

ومعلوم أن الخمسة الأخيرة من الثمانية غير محتاج إليها في التفسير إلا صنعة الشعر، فإنه إشارة إلى علم البلاغة وتوابعها، فإن ذلك كان يسمى قديما صنعة الشعر، ونقد الشعر، ونقد الكلام.

وفيه ألّف العسكري[٤] كتابا سماه" الصناعتين" يعني صناعة النثر ، وصناعة النظم .

وألف قدامة [٥] كتابا سماه" نقد الشعر" وإنما التسمية بالمعاني و البيان والبديع حادثة من المتأخرين .

قوله : (ولطالما) قال الشيخ سعد الدين:" ما" فيه وفي "قلما" قيل: مصدرية، والمصدر فاعل، وقيل: كافة للفعل عن طلب الفاعل ، ولذا [٦] تكتب متصلة ،

---

(١) الكشاف ١/ ٦٢٧ وفتوح الغيب ١/ ٣٥

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله كمال الدين أبو البركات الأنباري النحوي، كان إماما ثقة صدوقا، فقيها مناظرا غزير العلم ، له المؤلفات المشهورة، توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة . إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ١٦٩ وبغية الوعاة ٢/ ٨٦

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٧٦

(٤) هو الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال اللغوي العسكري، كان الغالب عليه الأدب والشعر، له كتاب صناعتي النظم والنثر مفيد جدا . معجم الأدباء ٢/ ٩١٨ طبع كتابه بعنوان كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

(٥) هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج، كان أحد البلغاء، له كتاب نقد الشعر، وكتاب في الخراج وصناعة الكتابة ، توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة. معجم الأدباء ٥/ ٢٢٣٥ طبع كتابه نقد الشعر بتحقيق كمال مصطفى

(٦) في ح :ولهذا

ويجوز الفصل [1] .

قوله : (يحتوي) في الصحاح: حواه يحويه جمعــه، واحتـوى مثلـه، واحتـوى على الشيء ألْمَأَ-يعني اشتمل- عليه [2] .

قوله: (صفوة) فـي الصحـاح : صفـوة الشـيء خالصـه ، مثلـث الصـاد، فـإذا أسقطت التاء قيل : صفو ، بالفتح لا غير [3] .

قوله : (وينطوي) بمعنى يحتوي .

قوله : (نكت) جمع نكتة .

قال الشيخ سعد الدين: النكتة كل نقطة من بياض في سواد، أو عكسه. ونكـت الكلام لطائفه ودقائقه التي تفتقر إلى تفكـر . ونَكَـتَ فـي الأرض، أي ضـرب فيهـا بالقضيب إذا أثّر فيها [4].

قوله : (رائعة) بمهملة ، من راعني الشيء ، أي أعجبني .

قوله : (وأماثل) في الصحاح: أماثل القوم خيارهم، وقد مثُـل الرجـل بـالضم مثالة، أي صار فاضلا [5]، والواحد أمثل .

قوله : (يثبطني) يقال: ثبطه عن الأمر تثبيطا، شغله عنه .

قوله: (فسنح) بمهملتين بينهما نون. في الصحاح : سنح لي رأي في كـذا، أي عرض [6] .

(١) حاشية سعد الدين ل٦

(٢) الصحاح / مادة حوا

(٣) الصحاح / مادة صفا

(٤) حاشية سعد الدين ل٥

(٥) الصحاح/ مادة مثل

(٦) الصحاح / مادة سنح

قوله :(سورة فاتحة الكتاب)

قال الشيخ أكمل الدين: الفاتحة في الأصل إمّا مصدر كالعافية، سمي بها أوّل ما يفتتح به الشيء، من باب إطلاق المصدر على المفعول، والتاء للنقل إلى الاسمية، كما في " النطيحة" وإمّا صفة والتاء للمبالغة، كما في "راوية" نقلت إلى أوّل ما يفتتح به، على معنى الباعث للفتح. قيل: وهذا أشبه ؛لأن " فاعلة"في المصادر قليل.

وإضافتها إلى الكتاب بمعنى " من"؛لأن أوّل الشيء بعضه ، ثم جعلت علَماً للسورة المعيّنة؛لأنها أوّل الكتاب المعجز. وقد تستعمل غير مضافة ، إما اختصارا لعدم اللبس، وإما أن تكون علما لمضاف على سبيل الغلبة .[1]

وقال الشيخ سعد الدين: فاتحة الشيء أوله ، وخاتمته آخره ، إذ بهما الفتح والدخول في الأمر ، والختم و الخروج منه .

ولعدم اختصاصها بالسورة ونحوها كانت التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية دون تأنيث الموصوف في الأصل .

ولكون أوّلِ الشيءِ بعضَهُ والمضافِ إليه كلَه، لاسيما الكتاب المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة، فإنه هو المجموع الشخصي، لا المفهوم الكلي الصادق على الآية والسورة= كانت الإضافة بمعنى اللام، كما في جزء الشيء، دون "من" كما في "خاتم حديد".

وقد يتوهم أن كل ما هو جزء من الشيء فإضافته إليه بمعنى" من" كأنهار دجلة، وفساده بيّن .[2]

وقال الشريف الجرجاني : قال صاحب الكشف [3]: الإضافة في فاتحةا لكتاب

(١) حاشية أكمل الدين ل٧

(٢) حاشية سعد الدين ل٧

(٣) هو عمر بن عبد الرحمن بن عمر سراج الدين الفارسي الغزويني ، كان له حظ وافر من العلوم ، سيما العربية، له الكشف على الكشاف، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/ ٢٤٩ والأعلام ٥/ ٤٩ انظر الكشف على الكشاف ل٥ نسخة مخطوطة أصلية بجامعة أم القري برقم ٢٦٩٩

بمعنى"من" ؛لأن أول الشيء بعضه .

وردّ عليه بأن البعض قد يطلق على ما هو فرد من الشيء ، كما يقال : زيد بعض الإنسان، وعلى ما هو جزء له، كما يقال: اليد بعض زيد، وإضافة الأوّل إلى الشيء بمعنى " من" ، دون الثاني ، ومن ثمّ اشترط في الإضافة بمعنى "من" كون المضاف إليه جنسا للمضاف صادقا عليه، وجعل "من" بيانية كخاتم فضة.[1]

فإن قلت: لعلّه يجعل الكتاب بمعنى القدر المشترك الصادق على سورة الحمد، و غيرها ، أي فاتحة هي الكتاب .

قلت: يأباه أن كونها فاتحةِ وَأَوَّلاً إنما هو بالقياس إلى مجموع المنزل ، لا القدر المشترك.

فإن قلت: جوّز صاحب "الكشاف" في سورة لقمان الإضافة بمعنى" من" التبعيضية، وجعلها قسيمة للإضافة بمعنى " من " البيانية، حيث قال:

معنى إضافة اللهو إلى الحديث التبيين، وهي الإضافة بمعنى "من" كقولك: باب ساج.

والمعنى من يشتري اللهو من الحديث؛لأن اللهو يكون من الحديث، ومن غيره، فبيّن بالحديث .

و المراد بالحديث المنكر كما جاء في الحديث((الحديث في المسجد يأكل الحسنات)) [2]

ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى " من " التبعيضية ، كأنه قيل: ومن الناس من يشتري بعض الحديث ، الذي اللهو منه [3] .

فنقول -على التقدير الثاني-: إن أريد بالحديث مطلقه كان جنسا للهو منه، صادقا عليه كما يصدق عليه الحديث المنكر، فتكون الإضافة بيانية، ولا مقابلة،

---

(١) في ح زيادة جملة هنا: وإضافة الثاني إليه بمعني اللام كيد زيد

(٢) بيض للحديث الحافظ جمال الدين الزيلعي في كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف ٢/ ٥٧ وساقه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبري ٦/ ٢٩٤ في الفصل الذي جمع فيه أحاديث إحياء علوم الدين التي لم يحد لها إسنادا.

وقال الحافظ العراقي: لم أقف له على أصل. المغني عن حمل الأسفار في تخريج مافي الإحياء من الآثار ١/ ١٠٧

(٣) الكشاف ٣/ ٢٢٩

وإن أريد بالحديث العموم و الاستغراق كان لهو الحديث جزءا منه، فقد ثبت إضافة الجزء إلى كلّه، بمعنى " من" التبعيضية وإن كانت غير مشهورة .

قلت: الظاهر أن المراد مطلق الحديث، لكنه دقق النظر في إضافة الشيء إلى ما هو صادق عليه، فما كان فيه المضاف إليه يحسن جعله بيانا وتمييزا للمضاف كالساج للباب، والحديث المنكر للهو جعلها بيانية، وما لم يحسن ذلك فيه كالحديث المطلق للهو جعلها تبعيضية ميلا إلى جانب المعنى .

ثم قال: ولما كانت تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب ظاهرة لم يتعرّض لها، بخلاف تسميتها ب"أم القرآن" ، وسائر الأسماء ، فتعرّض لبيانها[1]. انتهى .

قوله: (وتسمى أمّ القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه)

توجيه تسميتها بذلك ذكره أبو عبيدة[2] في مجازه، وجزم به البخاري في صحيحه، وعبارته : لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، وبقراءتها في الصلاة قبل السورة [3] .

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: وقد استشكل بأن ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب، لا أم القرآن .

وأجيب بأن ذلك بالنظر إلى أن الأمّ مبدأ الولد [4] .

قلت : وهو معنى قول المصنّف : (فكأنها أصله ومنشؤه)

قال الماوردي [5] : سميت بذلك لتقدمها وتأخر ما سواها تبعا لها؛لأنها أمّته، أي تقدمته، ولهذا يقال لراية الحرب: أُمٌّ ؛لتقدمها واتباع الجيش لها .

وقد سألني بعض الأفاضل عن قوله: (لأنها مفتتحه ومبدؤه) هل المراد من

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٢٢

(٢) هو معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري النحوي العلامة ، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولاجماعي أعلم بجميع العلوم منه، و هو أول من صنف في غريب الحديث ، له مجاز القرآن ، توفي سنة تسع ومائتين . إنباه الرواة على أنباه النحاة ٣/ ٢٧٦ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة٢/ ٢٩٤ وانظر في : مجاز القرآن ١/ ٢٠

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٦٢٣

(٤) فتح الباري ٨/ ١٩٥

(٥) هو على بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، كان من وجوه الفقهاء الشافعيين، توفي سنة خمسين وأربعمائة. طبقات الشافعية الكبري ٥/ ٢٦٧وطبقات المفسيرين ١/ ٤٢١ وانظر في : النكت والعيون ١/ ٤٩

اللفظين واحد، وكذا عن قوله : (فكأنها أصله ومنشؤه) أم متغايران ؟

فقلت: يحتمل الاتحاد في الموضعين على ما جرت به عادة البلغاء في الخطابات، ويحتمل التغاير، وإليه تشير عبارة أبي عبيدة السابقة، فكأن المراد ب" مفتتحه" أنها يفتتح بها المصاحف كتابة، وب" مبدئه" أنها يبدأ بها في الصلاة قراءة أو يراد ب"المفتتح" ما ذكر، وب" المبدإ" أنها بدئ بها في النزول ، وعلى هذين يحتمل الاتحاد في قوله: (فكأنها أصله ومنشؤه) لصلاحية ذلك للأمرين، مع تقارب ما بين الأصل والمنشإ ، ويحتمل التغاير، ويكون من باب اللف والنشر المرتب، فليتأمل .

قوله : (أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى ، و التعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده)

قال القاضي بهاء الدين ابن عقيل[1] في تفسيره: بسط هذا أن آيات القرآن العظيم لا تخلو عن أحد أمور ثلاثة:

الثناء على الله تعالى، والتكليف، والحث على الطاعة، وكل من هذه الثلاثة على قسمين:

فالثناء يكون بالرأفة و الرحمة ، والجبروت والعظمة، والتكليف يكون بالأمر والنهي، والحث بالوعد و الوعيد .

وأهمّ المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل التكليف بالإيمان وفروعه؛لما فيه من مصالح العباد وانتظام العالم، فهو كالمقصود لذاته، وكل من القسمين الأخيرين [2] إنما جيء به لأجله ، فالثناء بالرحمة والرأفة والحث بالوعد مرغبان في المأمور به ، والثناء بالجبروت والعظمة والحث بالوعيد محذران عن المنهي عنه .

ولذلك وسط المصنّف - كالزمخشري - التعبد بالأمر والنهي، فأوقع ما هو كالمقصود لذاته مُكتَنَفاً بالأمرين المسوقين لتقريره.

---

(١) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل بهاء الدين ، قال أبو حيان ماتحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، له تصانيف منها التفسير، وصل إلى أواخر سورة آل عمران، وله آخر مختصر لم يكمله، سماه بالتعليق الوجيز على الكتاب العزيز، توفي سنة تسع وستين وسبعمائة. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/ ٤٢ وطبقات المفسرين ١/ ٢٣٣

(٢) في ح: الآخرين

وهكذا وقع الترتيب في الفاتحة ، قدم فيها الثناء ، وهو من أولها إلى قوله ﴿ يوم الدين ﴾

ووسط الدال على التكليف ، وهو من قوله ﴿ إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ إلى قوله ﴿المستقيم﴾ وأتى بعد ذلك بالدال على الحث ، وهو من قوله ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم﴾ إلى آخرها .

قال : وفي الفاتحة لطيفة أخرى، وهي تقديم الدالّ على الرحمة ، وهو﴿ الرحمن الرحيم ﴾على الدالّ على الجبروت، وهو ﴿ مالك يوم الدين﴾ وتقديم الدالّ على الوعد، وهو ﴿ أنعمت عليهم ﴾ على الدالّ على الوعيد ، وهو﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ لأن الترغيب أبعث للنفوس ، ولأن رحمته تعالى سبقت غضبه. انتهى .

الشيخ أكمل الدين: أما الثناء فمن قوله﴿ الحمد لله﴾ إلى ﴿ مالك يوم الدين ﴾

وأما الأمر فمن قوله﴿ إيّاك نعبد﴾ فإن العبادة ما يكون مأمورا به .

وردّ بأنها إذا كانت أول منزل لم يسبق أمر .

وأجيب - على تقدير تسليم أوليتها- أن رأس العبادة التوحيد، وفي إجراء الصفات الكمالية على الله تعالى في صدر السورة ما يرشد إلى ذلك ، لاسيما وقد سبقها تكليف النبي صلى الله عليه وسلّم بالتوحيد، وتبليغ السورة، ويكفي ذلك في السبق .

ومن الناس من قال : الأمر مستفاد من قوله تعالى ﴿ الحمد لله﴾ فإن معناه إحماد الغير، أي جعله حامدا .

وأما النهي فقد قيل : إنه مستفاد من قوله﴿ وإياك نستعين﴾ لأن معناه نستعينك في الاجتناب عما نهيت عنه .

وردّ بأنه يقتضي نهيا سابقا ولم يكن، وتنزيل جواب الأمر المتقدم على النهي متكلف [1].

وقيل: إنه مستفاد من قوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ إذا كان معناه احمدوا؛لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده وإن وقع الاختلاف في كيفية ذلك.

وأمّا الوعد والوعيد فقوله﴿ أنعمت عليهم﴾ يتضمن الوعد، وقوله﴿ غير

---

(١) في ح : بتكلف

المغضوب عليهم﴾ يتضمن الوعيد.

قال: ويجوز أن يقال: وجه اشتمالها على ذلك أن ما في القرآن كله إما أن يكون متعلقا بالألوهية خاصة، أو العبودية كذلك، أو جامعا بينهما، كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلّم بقوله: " إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى:حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين ، قال الله تعالى : مجدني عبدي" وهذا كله ثناء يتعلّق بالألوهية .

ثم قال : " وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي " وهذا كما ترى دخل فيه الأمر والنهي ؛ لأن فيها امتثال الأوامر واجتناب المناهي، فالأمر و النهي من جانب الله تعالى، والامتثال والاجتناب من جانب العبد .

ثم قال : " وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخره ، قال الله تعالى: هذا لعبدي ولعبد ي ما سأل" [(١)] يعني ما يشير إلى الوعد والوعيد [(٢)] . انتهى .

الشريف : أما الثناء أعني إجراء صفات الله تعالى فظاهر، وأما التعبد فقوله تعالى ﴿ إياك نعبد﴾فإن العبادة قيام العبد بحق العبودية وما تعبد به من امتثال الأوامر واجتناب النواهي، أو في قوله ﴿ الصراط المستقيم﴾ إذا أريد به ملة الإسلام المشتملة على الأحكام ، أو في قوله ﴿ يوم الدين﴾ أي الجزاء ، فإنه يتناول الثواب والعقاب .

والوجه في انحصار مقاصد الكتاب المجيد في الأصول الثلاثة : أن القرآن أنزل إرشادا للعباد إلى معرفة المبدإ والمعاد ليعرفوا حق المبدإ بامتثال ما أمر ونهى ، ويدخروا بذلك للمعاد مثوبة كبرى.

وبعبارة أخرى : أنزل القرآن كافلا لسعادة الإنسان ، وذلك بأن يعرف مولاه ، ويتوصل إليه بما يقرّب منه ، ويتنصل عما عداه مما يبعده عنه، ولابد في التوصل من باعث هو الوعد ، وفي التنصل من زاجر هو الوعيد، ولولاه هنا لاستقر الكسل

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ١/ ١٣٦ ح ٢٢٤ ومسلم ١/ ٢٩٦ ح٣٨ وأبو داود ١/ ٥٢٠ ح٨١٧ والترمذي ٥/ ٦٧ ح٢٩٥٣ والنسائي ٢/ ١٣٦ ح٩٠٩ وابن ماجه ٣/ ٥٨٦ ح٣٨٥٢ من حديث أبي هريرة

(٢) حاشية أكل الدين ل ٧

الطبيعي على النفوس ، وتسلط عليها دواعي الهوى، وحجبت عن حضرة النور بظلمات بعضها فوق بعض .

وقد يظن أن هاهنا مقصدا رابعا :هو الدعاء والسؤال في قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط﴾ ويجاب بأنه متفرّع على ما ذكر، فإن المعتد به من الدعاء ما كان في أمر الآخرة أو أداء الطاعة وترك المعصية .

لا يقال : كثير من السور تشتمل على هذه المعاني ولم تسم أم القرآن؛لأنا نقول: لما كانت هذه السورة متقدمة على سائر السور وضعا، بل نزولا - على قول الأكثر [١] - وكانت مشتملة على تلك المعاني مجملة على أحسن ترتيب ، ثم صارت مفصلة في السور ثانية نزلت منها منزلة مكة من سائر القرى، حيث مهدت أرضها أولا ، ثم دحيت الأرض من تحتها ، فكما أن مكة أم القرى كذلك الفاتحة أم القرآن [٢] ، على أن ما ذكرناه وجه التسمية، ولا يجب اطراده[٣]. انتهى .

قوله: (والتعبد) الأساس: تعبدني فلان : صيرني كالعبد له ، وتعبّد فلان تنسك[٤] ، وعدّي بالباء ، لتضمنه معنى التكليف ، أي كلّفه بالأمر و النهي تعبدا، أي بالمأمور و المنهي، ويجوز أن تكون الباء كما في كتبت بالقلم ، والأمر والنهي على حقيقتهما [٥] .

قوله : (أو على جملة معانيه من الحكم النظرية ، والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم ، و الاطلاع على مراتب السعداء ، ومنازل الأشقياء)

هذا تعليل ثالث لتسميتها أم [٦] القرآن مزيد على الكشاف .

وبسطه - على ما ذكره الطيبي- أنها مشتملة على أربعة أنواع من العلوم ، هي مناط الدين :

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : قال صاحب الكشاف (٤ / ٢٧٠) ذهب ابن عباس و مجاهد إلى أن سورة اقرأ أول سورة نزلت ، و أكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب . كذا قال ! و الذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول ، و أما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول . فتح الباري ٨ / ٧١٤ و انظر في : الإتقان ١/ ٩٧

(٢) انظر في : جامع البيان ١/ ١٠٨

(٣) حاشية الشريف ١/ ٢٣

(٤) أساس البلاغة / مادة عبد

(٥) انظر في : فتوح الغيب ١/ ٦٧

(٦) في ح :بأم

أحدها علم الأصول، ومعاقده معرفة الله تعالى وصفاته، وإليها الإشارة بقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ ومعرفة النبوات ، وهي المرادة بقوله ﴿ أنعمت عليهم﴾ ومعرفة المعاد ، وهو المومأ إليه بقوله ﴿ مالك يوم الدين﴾

ثانيها : علم الفروع وأسه العبادات، وهو المراد بقوله ﴿ إياك نعبد﴾

ثالثها : علم التصوف [1] ، وأجله الوصول إلى الحضرة والسلوك لطريقة

---

(١) برز هذا الاسم كمصطلح في القرن الثاني الهجري - حسب علمي - ولم يتفق له على معنى ، ولا على اشتقاق، وأدخل في مفهومه بعض مقامات الدين ، مما عرف الاعتناء به والاهتمام من قبل بعض رجال القرون الفاضلة ، كالزهد والورع والصبر على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقداره ، والرضا به وعنه ، والإخبات إليه ، والتوكل عليه ، والمراقبة له ، والرجاء له ، وأدخل في مفهومه أيضا كثير من الاعتقادات الباطلة ، والسلوكيات الفاسدة ، وكلما تأخر بالتصوف والصوفية الزمن كلما اتسعت مفاهيمه ، حتى أصبح ثوبا فضفاضا يتسع لكل لابسه من ملحد ماكر ، أو حلولي زائغ

فإن كان المقصود بالتصوف تلك المقامات من مقامات الدين فلا إنكار في المعنى ، ولا بدعة ، وإنما يبقى الاختلاف في اللفظ ، فبعض الناس يسميها تصوفا ، وبعض آخر يسميها بأسمائها من الزهد والورع .

وعلى ذلك فمن نسب إلى التصوف ، وسلم من الاعتقادات الفاسدة ، والعبادة الكاسدة ، والتصورات الخاطئة فهو من أهل السنة والاستقامة ولا يضره أن ينسب إلى التصوف ويلصق به ، ككثير من الزهاد في القرن الثاني والثالث أمثال أويس بن عامر القرني ، وهرم بن حيان ، وإبراهيم بن أدهم ، وفضيل بن عياض ، وأمثالهم ، وقد نسب إلى التصوف بهذا المعنى هؤلاء وأمثالهم من خيرة الصالحين .

وإن كان المقصود به ما أدخله أهله في مفهومه من الضلالات العقدية ، والانحرافات السلوكية فلا كرامة في اللفظ ، ولا في المضمون .

وعلى ذلك يحمل ما ورد عن أئمة السنة في ذم التصوف والصوفية ، فمن ذلك ما رواه أبو بكر أحمد بن محمد الخلال موجزا في كتابه : الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل ٧٥ ، وفصله القاضي عياض في ترتيب المدارك ٢/ ٥٣ قال التنيسي : كنا عند مالك وأصحابه حوله ، فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم : الصوفية ، يأكلون كثيرا ، ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون ، فقال مالك : أ صبيان هم ؟ قال : لا ، قال : أ مجانين هم ؟ قال : لا ، هم قوم مشايخ ، وغير ذلك ، عقلاء ، فقال مالك : ما سمعت أن أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا .

ومن ذلك أيضا ما رواه أبو بكر الخلال في الحث على التجارة ٧٢ قال إسحاق بن داود بن صبيح : قلت لعبد الرحمن بن مهدي : يا أبا سعيد إن ببلدنا قوما من هؤلاء الصوفية ، قال : لا تقرب هؤلاء ، فإنا قد رأينا من هؤلاء قوما ، فبعضهم أخرجهم الأمر إلى الجنون ، وبعضهم

=

الاستقامة، وإليه الإشارة بقوله ﴿ اهدنا الصراط ا لمستقيم﴾

رابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية، السعداء منهم والأشقياء ، وما يتصل بها من وعد محسنهم، ووعيد مسيئهم ، وهو المراد بقوله﴿أنعمت عليهم﴾ إلى آخر السورة [1] .

وللإمامين الغزالي[2] و الرازي[3] في تقرير اشتمالها على علوم[4] القرآن كلامان آخَران ذكرتهما في "الإتقان" وفي " أسرار التنزيل" وبينت فيه وجه الجمع بين ذلك ، وبين حديث « إنها ثلثا القرآن[5] »

فليطلب[6] منه[7][8] .

أخرجهم إلى الزندقة .

وما رواه أيضا ٧٥ عن عبد الله بن المبارك قال : ما رأينا أحدا منهم عاقلا ، يعني الصوفيين .

وما رواه أيضا البيهقي في مناقب الشافعي٢/ ٢٠٧ عن يونس بن عبد الأعلى يقول : سمعت الشافعي يقول : لو أن رجلا تصوف من أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق .

وما رواه أيضا ٢ / ٢٠٧ قال الشافعي : لا يكون الصوفي صوفيا حتى يكون فيه أربع خصال : كسول ، أكول ، نؤوم ، كثير الفضول .

وإذا كان الأمر كذلك فمن البعد عن الحقيقة والواقع وإطلاق القول على عواهنه أن يقال : إن التصوف مقتبس من الفاتحة .

(١) انظر المصدر السابق ١/ ٦٧

(٢) انظر في : جواهر القرآن ٩٣

(٣) هو محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي، خاض من العلوم في بحار عميقة ، توفي على طريقة حميدة سنة ست وستمائة . سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠ وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٨ و انظر في : التفسير الكبير ١/ ١٧٣

(٤) في د ، ق : معاني

(٥) رواه عبد بن حميد في مسنده (المنتخب ١/ ٥٧٣) من حديث ابن عباس . ضعف السيوطي سنده في الدر المنثور في التفسير المأثور ١/ ١٥

(٦) في ح: فيطلب

(٧) انظر في : الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٣٦ وقطف الأزهار في كشف الأسرار ١/ ١٠٥

(٨) وللإمام ابن القيم في مدارج السالكين ١ / ٤٣ استنباط ظريف ، واستخراج لطيف ، حيث رجع مطالب الدين كلها إلى الفاتحة بأسلوب ماتع ، وتقرير جامع ، دون التواء مانع ، وتكلف قاطع قال : اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال ، وتضمنتها أكمل تضمن : فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء ، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ، ومدارها عليها ، وهي : الله ، والرب ، والرحمن،

=

قوله (وسورة الكنز ، والوافية ، والكافية لذلك)

أي لاشتمالها على معاني القرآن .

وقيل : إنما سميت الوافية لأنها لا تقبل التنصيف في الصلاة ، بخلاف غيرها . قاله الثعلبي [1] .

وقيل : لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد. قاله المرسي [2] .

وقيل: إنما سميت كافية لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها، ولا يكفي غيرها عنها .

وقال الشيخ أكمل الدين : سميت سورة الكنز لما رويناه عن عليّ رضي الله عنه [3] .

قلت : يشير إلى ما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده عن عليّ رضي الله عنه أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال: حدثنا نبي الله صلى الله عليه وسلّم أنها أنزلت من كنز تحت العرش [4] .

وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة ، فإياك نعبد مبني على الإلهية ، وإياك نستعين على الربوبية ، وطلب الهداية إلى صراط مستقيم بصفة الرحمة ، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة ، فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته ، والثناء والمجد كمالان لحمده .

وتضمنت إثبات المعاد ، وجزاء العباد بأعمالهم ، حسنها وسيئها ، وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق ، وكون حكمه بالعدل ، وكل هذا تحت قوله مالك يوم الدين ، وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة .

ثم أخذ يفصل هذه الجمل ، ويوضح هذه المطالب في الكتاب كله ، فما أوضح أسلوبه ، وما أكثر فرائده ، وما أبعده عن التعقيد !

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، كان أوحد زمانه في علم القرآن، له الكشف والبيان عن تفسير ا لقرآن ، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة . طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٥٨وطبقات المفسرين ١/ ٦٥

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد شرف الدين المرسي، كان محدثا فقيها، صنف تفسيرا حسنا، توفي سنة خمس وخمسين وستمائة . طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٦٩ وطبقات المفسرين ٢/ ١٦٨ والإتقان ٢/ ١٥٣

(٣) حاشية أكمل الدين ل٧

(٤) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر ١٤/ ٤٢٩ حدثنا يحيى بن آدم، ثنا أبوزبيد عبثر، عن العلاء بن المسيب، عن فضيل بن عمر، عن على، ورواه الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/ ٤١٨ وعنه الواحدي في أسباب

=

قوله : (وسورة الحمد، والشكر، والدعاء، وتعليم المسألة لاشتمالها عليها)
على أي الأمور المذكورة ، الحمد وما بعده.

قوله:(و الصلاة) أي ومن أسمائها سورة الصلاة، فيكون مجرورا معطوفا على الحمد وما بعده ، ويجوز أن يكون مراده أن من أسمائها الصلاة من غير تقدير سورة، وهو قول ذكره بعضهم، لحديث ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي))

قال المرسي: لأنها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه، فيكون منصوبا معطوفا على سورة.والأوّل هو الذي في الكشاف [١] .

قوله :(لوجوب قراءتها، أو استحبابها فيها)

"أو " لتنويع الخلاف بين الأئمة في ذلك ، فإن الوجوب مذهب الشافعي[٢] رحمه الله، و الاستحباب مذهب أبي حنيفة[٣] رحمه الله.

قوله (و الشفاء ، والشافية لقوله : ((هي شفاء لكل داء)))

أخرجه الدارمي[٤] في مسنده، و البيهقي[٥] في شعب الإيمان بسند صحيح من مرسل عبد الملك بن عمير [٦] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم في

نزول القرآن ١٧ من طريق مروان بن معاوية ، كلاهما (عبثر، ومروان) عن العلاء بن المسيب . وعند الثعلبي زيادة ... بمكة.

ورجال إسحاق بن راهويه رجال الشيخين ماعدا فضيلا فإنه من رجال مسلم ، غير أن في السند انقطاعا ، فإن فضيلا لم يلق أحدا من الصحابة . انظر في : جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ٢٥٢ وتحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل لأبي زعة العراقي ٤٠٩ قال الشيخ الألباني : ضعيف. ضعيف الجامع الصغير ٥٧٦

(١) الكشاف ١/ ٢٤

(٢) انظر في : الأم ٢/ ١٥٤

(٣)انظر في: كتاب الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن ١/ ١٠٦

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل أبو محمد الدارمي التميمي السمرقندي، أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند ، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٥/ ٢١٠ وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٢٤

(٥) هو أحمد بن الحسين بن على أبو بكر البيهقي، كان أحد ائمة المسلمين ، وهداة المؤمنين ، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٨ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣١٣

(٦) هو عبد الملك بن عمير بن سويد أبو عمر القرشي، كان سفيان الثوري يعجب من حفظ عبد الملك ، توفي سنة ست وثلاثين ومائة. تهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٨

فاتحة الكتاب: ((شفاء من كل داء [1]))

وأخرج أحمد في مسنده ، و البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن جابر[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال له : ((ألا أخبرك بأخير سورة نزلت في القرآن ، قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فاتحة الكتاب ، وأحسبه قال : فيها شفاء من كل داء [3]))

وأخرج الثعلبي من طريق معاوية بن صالح [4] ، عن أبي سليمان [5] قال : مرّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم في بعض غزواتهم على رجل قد صرع ، فقرأ بعضهم في أذنه بأم القرآن ، فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :((هي أم القرآن ، وهي شفاء من كل داء [6]))

وفي سنن سعيد بن منصور، وشعب الإيمان للبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا: ((فاتحة الكتاب شفاء من السُّمِّ [7]))

وأخرجه أبو الشيخ ابن حيّان [8] في " الثواب" من حديث أبي سعيد، وأبي

---

(١) رواه الدارمي في مسنده ٤/ ٢١٢٢ ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٠

(٢) هو عبد الله بن جابر الأنصاري البياضي ، ذكره البخاري في الصحابة ، وقال ابن حبان : له صحبة . التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٢٢ والإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٣

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢٩/ ١٣٩ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٠ . جود السيوطي سنده في الدر المنثور ١/ ١٤

(٤) هو معاوية بن صالح بن حدير أبو عمرو مخضرم، روي عنه الليث بن سعد وهو في سند الثعلبي وهو ثقة ، توفي سنة ثلاث وستين ومائتين. تهذيب الكمال ٢٨/ ١٨٦ وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٥٨

(٥) لعله المترجم له في كتاب الكنى للبخاري ٩/ ٣٧ و كتاب الجرح التعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٣٧٩ أبو سليمان روى عن أبي هريرة ، روى عنه معاوية بن صالح .

(٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢/ ٦١٥

(٧) رواه سعيد بن منصور في سننه ٢/ ٥٣٥ ومن طريقه الثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٤٢٤ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٥٠ ورواه الثعلبي ٢/ ٦١٤ من طريق أبي عمر الحوضي ٢/ ٦١٤ كلاهما (سعيد بن منصور، وأبوعمر الحوضي) عن سلام الطويل، عن زيد العمي ، عن ابن سيرين ، عن أبي سعيد الخدري . وفي سنده سلام الطويل ، قال الحافظ ابن حجر عنه: متروك . التقريب ٤٢٥ وقال الشيخ الألباني : موضوع . ضعيف الجامع الصغير ٥٧٦

(٨) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد المعروف بأبي الشيخ، كان أحد الأعلام ، صنف الأحكام ، والتفسير، له كتاب ثواب الأعمال في خمس مجلدات ، يروي عنه أنه قال: ما عملت فيه حديثا إلا بعد أن استعملته ، توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٧٦ وطبقات المفسرين ١/ ٢٤٠

هريرة معا .

قوله : (والسبع المثاني؛لأنها سبع آيات بالاتفاق)

هو تعليل للسبع فقط، ويأتي تعليل المثاني .

وما ذكره من الاتفاق قد يعترض عليه بما ذكره حسين الجعفي (١) : أنها ست آيات بإسقاط البسملة .

وعن الحسن البصري ، وعمرو بن عبيد (٢) أنها ثمان ، بعد﴿ إياك نعبد﴾

وعن بعضهم أنها تسع بعدّها ، وعدّ﴿ أنعمت عليهم﴾ إلا أنها أقوال شاذة ، لا يعتد بها .

الشريف : المثاني جمع مُثَنًّى، على صيغة المفعول من التثنية مردَّدٌ ومكرر، ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل، من التثنية ، أو مَثْناة مفعلة من الثَّنْي (٣) .

فائدة (٤) : ليس في القرآن سورة هي سبع آيات سوى " الفاتحة "، و " أرأيت " ولا ثالث لهما .

قال جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج البغدادي (٥) في أرجوزته التي نظم فيها النظائر:

فَسُورَةُ الحَمْدِ لَهَا نَظِيْرَهْ ... أَرَأَيْتَ إِنْ أَنْتَ قَرَأْتَ السُّوْرَه

كلاهما إذا عددتَّ سبعُ ... وليس للحق اليقين دفعُ (٦)

قوله : (إلا أن منهم من عدّ التسمية ، دون ﴿ أنعمت عليهم﴾ (٧) ومنهم من عكس)

---

(١) هو حسين بن على بن الوليد أبو عبد الله الجعفي، الإمام القدوة الحافظ المقرئ، توفي سنة ثلاث ومائتين . سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧ وتهذيب الكمال ٦/ ٤٤٩

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري، الزاهد العابد القدري، كبير المعتزلة، توفي سنة أربع وأربعين ومائة. سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٤ وغاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٦٠٢

(٣) حاشية الشريف ١/ ٢٤

(٤) في ح: تنبيه

(٥) هو جعفر بن أحمد بن الحسين أبو محمد السراج البغدادي القارئ ، كان عالما بالقراءات والنحو واللغة ، كثير التصنيف، توفي سنة خمسمائة . سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٨ وبغية الوعاة ١/ ٤٨٥

(٦) أرجوزة في نظائر القرآن العظيم ل٢٠ نسخة مكتبة بلدية الاسكندرية، ومنها نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١١٤٣.

(٧) انظر في : البيان في عد آي القرأن ، لابي عمرو الداني ١٣٩.

أي عدّ ﴿ أنعمت عليهم ﴾ كما عبّره في الكشاف (١)

قال الشيخ أكمل الدين : وظاهره ليس بمراد؛لأن ﴿ أنعمت عليهم﴾ ليس بآية بالاتفاق، وإنما المراد ﴿ أنعمت عليهم﴾ مع قوله ﴿ صراط الذين﴾ لأنه صلة﴿ الذين﴾ وقد أضيف إليه ﴿ صراط﴾ فاستغنى به عن ذكرهما (٢) .

وكذا قال الشريف : أراد ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ إلا انه اختصر لظهور أن الصلة بدون الموصول ، والمضاف إليه بدون المضاف لا يعدّ آية؛ لأن الكل في حكم كلمة واحدة (٣) .

قال الطيبي : قال في " المرشد (٤) " : إن وقفت على﴿ أنعمت عليهم﴾ كان آخر آية على مذهب أهل المدينة ، و البصرة ، وهو جائز، وليس بحسن؛لأن ﴿غير﴾ مجرورا متعلّق به على الوصفية ، أو البدلية ، ومنصوبا على الحالية ، أو الاستثنائية.

وجوازه إنما يكون بالخبر المروي أنه صلى الله عليه وسلّم كان يقف عند أواخر الآيات، وهذ ا آخر آية عند من ذكرت، فهذا وجه جوازه(٥) .

قال الطيبي : وعدّ التسمية أولى ؛لأن ﴿ أنعمت عليهم﴾ لا يناسب وزانه وزان فواصل السور، ولما روى البغوي (٦) في " شرح السنة " عن ابن عباس أنه قال : ((بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة (٧)))

---

(١) الكشاف ١/ ٢٤

(٢) حاشية أكمل الدين ل ٧

(٣) حاشية الشريف ١/ ٢٤

(٤) المرشد: كتاب في الوقف والابتداء، للمقرئ الحسن بن على بن سعيد أبي محمد العماني، قال ابن الجزي: له في الوقوف كتابان: أحدهما: ... والآخر: المرشد، وهو أتم منه وأبسط، أحسن فيه وأفاد. غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٢٣وكشف الظنون ٢/ ١٦٥٤

(٥) كتاب المرشد في الوقف ل ١٨ نسخة المتحف البريطاني ، ولدي صورة منها .

(٦) هو الحسين بن مسعود بن محمد محيي السنة أبو محمد البغوي الشافعي المفسر، كان سيدا إماما، عالما علامة ، زاهدا قانعا باليسير، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩ وطبقات الشافعية الكبري ٧/ ٧٥

(٧) رواه الشافعي في المسند ٧٩ ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٣/ ٥٠ من طريق عبد المجيد، والطبري في جامع البيان ١٤/ ٥٥ من طريق يحيي الأموي ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٧ من طريق حفص بن غياث، والبيهقي في السنن الكبري ٢/ ٤٤ من طريق حجاج بن محمد الأعور، وحفص بن غياث، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٢٠٠ من طريق أبي عاصم ، =

قلت : ورواه الدارقطني [١] ، و البيهقي عن عليّ [٢] وأبي هريرة [٣] أيضا .
ورواه الطبراني، والبيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا .
وقال أبو عبد الله نصر بن علي الشيرازي[٤] في كتابه" الموضح" : ليس قول

كلهم (عبد المجيد ، و يحيى و حفص ، و حجاج ، و أبو عاصم) عن ابن جريج عن أبيه ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس . قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد، و وافقه الذهبي . وصحح السيوطي سنده في الإتقان ١/ ٢٤٦ وفي التصحيح نظر ، فإن في سنده عبد العزيز بن جريج ، قال الحافظ بن حجر عنه : لين، التقريب ٦١١.

(١) هو على بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدار قطني، كان من بحور العلم، ومن أئمة الدنيا، انتهي إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٩ وطبقات الشافعية الكبري ٣/ ٤٦٢

(٢) رواه الدارقطني في السنن ١/ ٣١٣ والبيهقي في السنن الكبري ٢/ ٤٥ من طريق أسباط بن نصر، عن السدي ، عن عبد خير، عن علي موقوفا. صحح السيوطي سنده في الدر المنثور ١/ ١٢وفي الإتقان ١/ ٢٤٧.

قلت : أنى له الصحة ! وفي سنده أسباط بن نصر، قال الحافظ ابن حجر عنه: صدوق كثير الخطأ يغرب .التقريب ١٢٤ وفي سنده أيضا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، قال الحافظ بن حجر عنه : صدوق يهم، ورمي بالتشيع. التقريب ١٤١ وانظر في : الجوهر النقي حاشية السنن الكبرى لعلاء الدين ابن التركماني ٢/ ٤٥

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٢٠٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٥ من طريق علي بن ثابت الجزري، والدارقطني ١/ ٣١٢من طريق أبي بكر الحنفي كلاهما عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعا. قال أبو بكر الحنفي: ثم لقيت نوحا فحدثني عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة بمثله ، ولم يرفعه.

ال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن نوح بن أبي بلال إلا عبد الحميد بن جعفر ، تفرد به علي بن ثابت .

قلت : رواية أبي بكر الحنفي، عن عبد الحميد بن جعفر واردة عليه .

قال البيهقي: روي عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا، والموقوف أصح .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الزائد ٢/ ٢٨٢ رجاله ثقات .

وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٨٣ وهذا إسناد صحيح مرفوعا وموقوفا، فإن نوحا ثقة، وكذا من دونه ، والموقوف لايعل المرفوع، لأن الراوي قد يوقف الحديث أحيانا، فإذا رواه مرفوعا وهو ثقة – فهو زيادة يجب قبولها منه.

(٤) هو نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي الفسوي، له كتاب في القراءات الثمان، سماه "الموضح" يدل على تمكنه في الفن. غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٣٧و بغية الوعاة ٢/ ٣١٤

من قال ﴿أنعمت عليهم ﴾ رأس آية بصحيح؛لأنه ليس بمشاكل لآيات السورة ، ولا مقارب لها، ومقاطع القرآن إما متشاكلة، أو متقاربة .

ثم إن الابتداء ب﴿ غير﴾ في أوّل الآية ليس بمستقيم [1] .

وقال سليم الرازي [2] : ليس في القرآن آية آخرها عليهم ، خصوصا وما بعد ﴿ أنعمت عليهم ﴾ غير مستقل بنفسه .

قوله :(وتُـثَنَّى في الصلاة) هذا تعليل للمثاني، أي تكرر فيها بأن تقرأ في كل ركعة .

وهو مراد الكشاف بقوله: "لأنها تثنى في كل ركعة" أي صلاة، كما فسره الطيبي ، وأكمل الدين، وقالا: كما في قوله ﴿ واركعوا مع الراكعين﴾ [سورة البقرة ٤٣] أي صلوا مع المصلين [3] .

قال الشريف : تسمية للكل باسم الجزء .

قال: وهذه العبارة أعني لأنها تثنى في كل ركعة وردت في صحاح الجوهري[4]، ولعل فائدة المجاز المبالغة في أن كل صلاة فعلة واحدة ، كركعة واحدة ، وقد تعددت الفاتحة فيها فيتضح تكريرها زيادة إيضاح ، وقيل : إنها تكرر في كل ركعة بالقياس إلى أخرى، ففي الثانية لوقوعها مرة في الأولى ، وفي الأولى عند انضمام الثانية إليها .

قال: والأشبه أن يراد بيان محل التكرير، على أن الفاتحة مما تتكرربحسب الركعة ، لا بحسب أركانها كالطمأنينة، ولا بحسب كل صلاة كالتسليم، فإن تعددت الركعة تكررت الفاتحة، وإلاّ فلا. كأنه قيل: لأنها تُثَنّى باعتبار تعدد الركعة .

قال : وهذا المعنى وإن كان واضحا في نفسه إلا أن دلالة هذه العبارة عليه في غاية الخفاء [5]

---

(١) الموضح في وجوه علل القراءات ل٢٦-٢٧ نسخة مكتبة راغب باشا، ومنها نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١٠٠٩ التفسير

(٢) هو سليم بن أيوب بن سليم أبو الفتح الرازي، سكن الشام مرابطا ، ناشرا للعلم احتسابا، له كتاب البسملة ، توفي سنة سبع و أربعين و أربعمائة . سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٥ وطبقات الشافعية الكبري ٤/ ٣٨٨

(٣) الكشاف ١ / ٢٤ و فتوح الغيب ١/ ٦٨ و حاشية أكمل الدين ل ٧

(٤) الصحاح / مادة ثنى

(٥) حاشية الشريف ١/ ٢٤

قلت : وبسبب ذلك عد ل المصنّف إلى عبارة أوضح ، لكن صاحب الكشاف آثر العبارة الأولى ؛لأنها وردت في صحاح الجوهري كما أشار إليه الشريف، بل هي مأثورة عن عمر بن ىالخطاب رضي الله عنه، كما أخرجه ابن جرير في تفسيره بسند حسن عنه قال : ((السبع المثاني فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة)) (١)

وعادة الأئمة المصنفين اتباع اللفظ الوارد في الحديث و الأثر تبركا به ، وليحتمل من التأويل ما احتمله .

قوله : (أو الإنزال) تعليل ثان لتسميتها بالمثاني على تقدير أو ثنيت في الإنزال ، إذ لا يصح العطف على تقدير الفعل الأوّل كما لا يخفى ، وإنما دعاه إلى ذلك إرادة الإيجاز وسهله (٢) وضوح المراد .

قوله : (إن صحت أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ، وبالمدينة حين حولت القبلة) أشار بهذا التشكيك إلى أنه لم يثبت في ذلك حديث ولا أثر ، وإنما هو شيء قاله بعض العلماء اجتهادا ، والوارد (٣) أنها نزلت بمكة أول بدء الوحي .

كذا أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنّف" ، وأبو نعيم (٤) ، والبيهقي كلاهما في "دلائل النبوة (٥) " من مرسل أبي ميسرة (٦) .

وقد علل كونها مثاني أيضا بأنها مشتملة على الثناء على الله تعالى ، وبأن الله تعالى استثناها لهذه ا لأمة ، فلم ينزلها على غيرها .

---

(١) لم أر هذا اللفظ في جامع البيان عن عمر، ولكن رأيت فيه : مالهم رغبة عن فاتحة الكتاب ، وما يبتغى بعد المثاني ١٤/ ٥٤

(٢) في ح: وسهولة

(٣) في ظ : إذ الوارد

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني ، كان في وقته مرحولا إليه ، ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه ، توفي سنة ثلاثين وأبعمائة . سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣ وطبقات الشافعية الكبري ٤/ ١٨

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٤/ ٢٩٢ والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ١٥٨ قال البيهقي: هذا منقطع، فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه " اقرأ باسم ربك" و "ياأيها المدثر". وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٢٤: هو مرسل ، وفيه غرابة ، وهو كون الفاتحة أول ما نزل .

(٦) هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني ، قال أبو وائل: ما اشتملت همدانية على مثل أبي ميسرة ، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد. سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٥ و تهذيب الكمال ٢٢/ ٦٠

فالأولان من التثنية ، و الثالث من الثناء، والرابع من الاستثناء .

وأقوى الأربعة الأوّل؛ لما تقدم عن عمر رضي الله عنه .

قال البلقيني في " كشافه " : وبعضهم يعبر بقوله : السبع من المثاني، ويفسر المثاني بالقرآن؛لأن القصص تُثَنّى فيه وتكرر للإفهام .

قوله : (وقد صحّ أنها مكية)

قلت : أخرجه الواحدي [١] ، والثعلبي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]، وأخرجه أبو بكر ابن الأنباري في كتاب" المصاحف" عن قتادة [٣] .

قوله : (لقوله تعالى﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني ﴾ [سورة الحجر ٨٨]وهو مكي بالنص)

قلت : إن أرد نص المفسرين فقريب، إلا أنه غير المصطلح عليه في إطلاق النص، إذ لايفهم منه عند الإطلاق إلا الكتاب والسنة، وليس فيهما ما يدلّ على مكيته.

وقد يجاب بأن ذلك ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه[٤]، وكلام الصحابي في القرآن - خصوصا في النزول - له حكم المرفوع، فجاز إطلاق النص عليه بهذا الاعتبار .

ثم استدلاله على أن الفاتحة مكية بآية الحجر لهج به الناس كثيرا ، ولكن غيره أقوى منه ؛لأنه موقوف .

أولا : على تفسير السبع المثاني بالفاتحة، وهو وإن كان صحيحا ثابتا في الأحاديث[٥] فقد صح أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه، وغيره تفسيرها بالسبع

---

(١) هو على بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري، صاحب التفسير، إمام علماء التأويل ، صنف التفاسير الثلاثة، البسيط، والوسيط ، والوجيز ، وتوفي سنة ثمان وستين وأربعمائة . سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩ وطبقات الشافعية الكبري ٥/ ٢٤٠

(٢) سبق تخريجه في ص ٤٢

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي ، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين ، توفي سنة ثماني عشرة ومائة. سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩ وتهذيب الكمال ٢٣/ ٤٩٨

(٤) رواه أبو عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس في فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وماأنزل بالمدينة ٣٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٤٢ وانظر في : الإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٩_٣١

(٥) كحديث أبي سعيد بن المعلى ... " الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته " رواه البخاري ٤/ ١٦٢٣ ح ٤٢٠٤ وأبو داود ٢/ ٢٧٠ ح١٤٥٢ والنسائي ٢/ ١٣٩ ح٩١٣ وابن ماجه ٣/ ٥٨٧ ح٣٨٥٣

الطوال [1] .

وثانيا :- بعد ثبوت الأوّل -على أنه يمتنع الامتنان بالشيء قبل إيتائه .

وهذا وإن ذكره كثيرون ففيه نظر واضح، وأيّ مانع من تقدم الامتنان على الإيتاء تعظيما للمؤتى وتفخيما لشأنه؛ لتتشوف النفس إلى حصوله ، ولتتلقى عند حصوله بغاية الإقبال و القبول ، كما امتنّ عليه بأمور قبل إيتائه إيّاها [2] ، كقوله تعالى﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ [سورة الفتح ١] وذلك قبل حصول الفتح بسنتين، و التعبير بالماضي في المقيس والمقيس عليه تحقيقا للوقوع .

فالأولى الاستدلال بالنقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي والتنزيل .

تنبيهان :

الأوّل : حاصل ما ذكره المصنّف لها أربعة عشر اسما، وبقي من أسمائها عشرة أخرى : فاتحة القرآن ، وأم الكتاب ، والقرآن العظيم، والنور، وسورة الحمد الأولى ، وسورة الحمد القصرى ، والرقية ، وسورة السؤال ، وسورة المناجاة،

---

(١) أخرج عنه أبو جعفر الطبري في جامع البيان ١٤/ ٥٢ بسند صحيح ، و قال ١/ ١١٠ وليس في وجوب اسم السبع المثاني لفاتحة الكتاب مايدفع صحة وجوب اسم المثاني للقرآن كله، وماثنى المئين من السور ، لأن لكل وجها ومعنى مفهوما لايفسد بتسمية بعض ذلك بالمثاني تسمية غيره بها.

(٢) في النظر نظر ، فإن الامتنان بالفتح لم يكن قبل إيتائه ، بل الفتح هو صلح الحديبية، وقد نزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية في ا لسنة السادسة من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول إلى البيت والاعتمار فيه . قال البراء رضي الله عنه : "أنتم تعدون الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية" فثبت إذن أن كلتي الآيتين المقيسة والمقسية عليها قررّت منة منجزة، لاموعودة في المستقبل، وعلى ذلك صح الاستدلال بآية الحجر المكية على أن سورة الفاتحة مكية ، وسلم الدليلان من الخدش.

قال السيوطي في الإتقان: الأكثرون على أنها مكية... واستدل لذلك بقوله تعالى"ولقد آتيناك سبعا من المثاني " وفسرها صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما في الصحيح ، وسورة الحجر مكية بالإتفاق، وقد امتن على رسوله فيها بها، فتدل على تقدم نزول الفاتحة عليها ، إذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعد .

وانظر في : صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٥ ح٣٩١٩ وجامع البيان ٢٦/ ٦٩ والمحرر الوجيز ١٣/ ٤٢٧ وزاد المسير ٧/ ٤١٨ والتفسير الكبير ١/ ١٧٧ وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢٥ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٤

وسورة التفويض .

وقد ذكرتها بتوجيهها في " الإتقان [1] " .

الثاني : اسم السورة الذي تشتهر به توقيفي ، وأما الأسماء المتعددة فهل هي توقيفية أيضا ؟ فيه بحث ذكرته في " الإتقان " أيضا [2] .

قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة)

هي من مهمات المسائل، وحق لها أن تكون كذلك ؛ لأنه كلام يتعلّق بإثبات آية من كتاب الله تعالى ، أو نفيها عنه .

وقد أفردها بالتصنيف خلق من الأئمة : منهم الإمام أبو بكر ابن خزيمة صاحب الصحيح [3] ، والحافظ أبو بكر الخطيب [4] ، و الحافظ أبو عمر ابن عبد البر، ومال إلى مذهب الشافعي[5] ، وهو من أئمة المالكية و مجتهديهم ، وحجة الإسلام

---

(١) الإتقان ١/ ١٦٧ و انظر في : الكشف والبيان ٢/ ٦٠٤ فقد ذكر لها أسماء عشرة ، وقال : و كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى .

(٢) الإتقان ١/ ١٦٦

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، عني بالحديث والفقه حتي صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٥ وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٠٩ .

قال ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٢٤٨ : أمليت مسألة قدر جزأين في الاحتجاج في هذه المسألة أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من كتاب الله في أوائل سور القرآن.

(٤) هو أحمد بن علي بن ثابت أبوبكر الخطيب البغدادي ، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ، له كتاب البسملة وأنها من الفاتحة، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠ وطبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٢٩

(٥) ألف الإمام أبو عمر ابن عبد البر رسالة في البسملة سماها "الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف" سرد فيها مذاهب العلماء في البسملة، في قرآنيتها وعدم قرآنيتها، في الجهر بها والإسرار بها ، وساق فيها مااستدل به كل على مذهبه، ولم يمل فيها إلى مذهب الشافعي كماقاله المؤلف، وسبقه إليه عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين أبو محمد المشهور بأبي شامة في كتاب البسملة ل ٢ـ بل مال إلى مذهب إمامه مالك بن أنس، فإنه قال فيها ١٩٢: أجمع علماء المسلمين على أنها سبع آيات ، فدل هذا الحديث على أن أنعمت عليهم آية، وبسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من أول السورة، وهذا عد أهل المدينة والشام والبصرة، وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون بسم الله الرحمن الرحيم أول آية من أم القرآن، وليست أنعمت عليهم بآية عندهم ، فهذا حديث قد رفع الإشكال في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم ، ورجاله ثقات.

أبو حامد الغزالي [1] ، و الفقيه سلطان بن إبراهيم المقدسي[2] ، و أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي ، وأبو المعالي مُجَلِّي صاحب [3] " الذخائر" ، والحافظ أبو شامة[4] .

قوله : (وعليه قراء مكة) كابن كثير [5] (والكوفة) كعاصم [6] وحمزة [7] والكسائي [8] .

قوله : (وخالفهم قراء المدينة) كنافع [9] (والبصرة) كأبي عمرو [10] (

---

(١) سرد العلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي في مقدمة شرح إحياء علوم الدين " إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين " مؤلفات الغزالى ، ثم ألف عبد الرحمن بدوي كتابا حافلا في مؤلفات الغزالى، ولم يرد في واحد من الكتابين كتاب مفرد للغزالي في البسملة، بيد أن الغزالي تعرض لمسألة البسملة في كتابه " المستصفى" ٢/ ١٣ ـ٢٣ وذكر أنه أورد أدلة كون البسملة من القرآن في كتاب حقيقة القولين، فلعله التصنيف الذي عناه السيوطي.

(٢) هو سلطان بن إبراهيم بن المسلم أبو الفتح المقدسي، كان من أفقه الفقهاء بمصر، تفقه عليه صاحب الذخائر، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. طبقات الشافعية الكبري ٧/ ٩٤ وحسن الخاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١/ ٤٠٥

(٣) هو مُجَلِّى بن جميع بضم الجيم بن نجا أبو المعالي المخزومي ، صاحب الذخائر وغيره من المصنفات ، له إثبات الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، توفي سنة خمسين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٥ وطبقات الشافعية الكبري ٧/ ٢٧٧

(٤) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين أبو شامة الدمشقي ، كان أحد الأئمة ، برع في فنون العلم، توفي سنة خمس وستين وستمائة. طبقات الشافعية الكبري ٨/ ١٦٥ وبغية الوعاة ٢/ ٧٧

(٥) هو عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد الكناني المكي المقرئ، انتهت إليه الإمامة بمكة في تجويد الأداء، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/ ١٩٧ وغاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٤٣

(٦) هو عاصم بن أبي النجود بهدلة أبو بكر الأسدي الكوفي المقرئ، واسم أبيه بهدلة على الصحيح، وقيل هي أمه ، وليس ذا بشيء، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة، توفي سنة سبع وعشرين ومائة. معرفة القراء الكبار ١/ ٢٠٤ وغاية النهاية ١/ ٣٤٦

(٧) هو حمزة بن حبيب بن عمارة أبو عمارة القارئ ، كان إماماحجة ، قيما بحفظ كتاب الله ، توفي سنة ست وخمسين ومائة. معرفة ا لقراء ١/ ٢٥٠ وغاية النهاية ١/ ٢٦١

(٨) هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي الكوفي المقرئ النحوي، انتهت إليه الإمامه في القراءة والعربية، توفي سنة تسع وثمانين ومائة. معرفة القراء ١/ ٢٦٩ وغاية النهاية ١/ ٥٣٥

(٩) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المقرئ المدني، قرأ على سبعين من التابعين ، توفي سنة تسع وستين ومائة. معرفة القراء ١/ ٢٤١ وغاية النهاية ٢/ ٣٣٠

(١٠) هو زبان بن العلاء بن عمار أبو عمرو البصري المقرئ النحوي، شيخ القراء بالبصرة، توفي سنة =

والشام) كابن عامر [1] .

قوله: " وفقهاؤهما[2]" كذا في النسخة التي وقفت عليها بضمير التثنية- ونعمّا هي- رجوعا إلى البصرة والشام فقط .

وفي " الكشاف " : وفقهاؤها بضمير جمع المؤنث رجوعا إلى المدينة أيضا .

وقد تعقبه البلقيني في " كشافه" بأنه يقتضي إجماع أهل المدينة عليه ، وليس كذلك ، فإن جماعة من فقهاء المدينة من الصحابة و التابعين ، منهم ابن عمروالزهري ومن غيرهما يرون أنها آية من الفاتحة ومن غيرها .

فكأن المصنّف أصلح العبارة إشارة إلى ذلك .

ثم قوله : (من الفاتحة) يصدق بقول من جعلها آية منها ومن غيرها ، ومن جعلها آية منها وبعض آية من غيرها ، ومن جعلها آية منها وأنها بين السور قرآن مستقل، كسورة قصيرة ، لا آية من السورة ، ولا بعض آية .

وهي أقوال معروفة ، ومقابلها النفي ، فهي أربعة ، وفيها قول خامس أنها آية من الفاتحة ، وليست في سائر السور قرآناً أصلا .

قال الحافظ أبو شامة: سبب الاختلاف في البسملة أنه قد وقع الإجماع على استحباب ذكر الله تعالى عند ابتداء كل أمر له بال حين الشروع فيه ، وقد ورد فيه خبر عن النبي صلى الله عليه وسلّم .

وقد كانت العرب في الجاهلية تفعل ذلك فيقولون: باسمك اللهم، ويدلّ عليه ما في قصة هدنة الحديبية [3] ، ثم إنه شرع للنبي صلى الله عليه وسلّم في ذلك لفظ البسملة. وذكر الله تعالى في كتابه حكاية عن كتاب سليمان عليه السلام أنها

أربع وخمسين ومائة. معرفة القراء ١/ ٢٢٣ وغاية النهاية ١/ ٢٨٨

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد أبو عمران اليحصبي الدمشقي، إمام الشاميين في القراءة، توفي سنة ثماني عشرة ومائة . معرفة القراء ١/ ١٨٦ وغاية النهاية ١/ ٤٢٣

(٢) الكشاف ١/ ٢٤

(٣) بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء اختلفو فيها، فمنهم من شددها، ومنهم من خففها، قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها ، وبين الحديبية ومكة مرحلة، ويقال لها اليوم : الشميسي.معجم البلدان ٢/ ٢٢٩وصحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ٢/ ١٣٩ وانظر هدنة الحديبية في صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٤ وصحيح مسلم ٣/ ١٤١٠

كانت في أوله. ثم أثبتها الصحابة في المصحف خطا في أوّل كل سورة سوى براءة ، فاختلف العلماء هل كان ذلك لأنها أنزلت حيث كتبت ، أو فعل ذلك للتبرك كما في غيره، ولم يكتف بها في أول الفاتحة ، بل أعطيت كل سورة حكم الاستقلال إرشادا لمن أراد افتتاح أيّ سورة منها إلى البسملة في أولها .

ولما فقد هذا المعنى حين التلاوة بوصل السورة اختلف القراء فيه: فمنهم من اتبع المصحف فبسمل مستمرا على ذلك، إذ القراءة في اتباع الرسم شأن يُخَالَفُ لأجله قياس اللغة، على ما قد عرف في علم القراءة، فما الظن بهذا ؟ .

وقد كان تقرر عندهم أن المصحف لم تكتبه الصحابة إلاّ ليرجع إليه فيما كانوا اختلفوا فيه .

ومنهم من فهم المعنى فلم يبسمل إلاّ في أوّل سورة يبتدئ بها [1].

وقد صحّ أن النبي صلى الله عليه وسلّم لما أنزلت الكوثر وتلاها على الناس بسمل في أوّلها[2] .

وكذا لما قرأ سورة حم السجدة على عتبة بن ربيعة[3] ، ولما تلا سورة

---

(١) قال أبو شامة في إبراز المعاني من حرز الأماني ١/ ٢٢٧ في شرح بيت :

وبسمل بين السورتين بسنة   رجال نموها درية وتحملا

لمبسملون من ا لقراء هم الذين رمز لهم في هذا البيت من قوله:بسنة، رجال، نموها، درية [وهم قالون والكسائي، وعاصم، وابن كثير] وعلم من ذلك أن الباقين لا يبسملون ، لأن هذا من قبيل الإثبات والحذف .

(٢) رواه مسلم ١/ ٣٠٠ ح ٥٤ وأبو داود ١/ ٥٠٧ ح٧٨٠ والنسائي ٢/ ١٣٤ ح ٩٠٤ من حديث أنس .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٢٩٥ وعنه عبد بن حميد في مسنده (المنتخب ٣/ ٦٢) وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٣٤٩ من طريق علي بن مسهر ، عن الأجلح، عن الذيال بن حرملة ، عن جابر ابن عبد الله قال . فذكره .

ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ٢٩٩ من طريق منجاب بن الحارث، عن علي بن مسهر، ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٠٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٢ من طريق يحيى بن معين ، عن محمد بن فضيل ، عن الأجلح ، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥٣من طريق جعفر بن العون ، عن الأجلح . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/ ١٧فيه الأجلح ا لكندي ، وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه النسائي وغيره ، وبقية رجاله ثقات . وقال الحافظ ابن حجر : صدوق شيعي . التقريب ١٢٠ قلت: الحديث حسن إذن .

المجادلة على امرأة[1] أوس بن الصامت[2] ، ولما قرأ سورة الروم على المشركين[3] ، ولإيلاف قريش-أخرج البيهقي حديثهما في" الخلافيات[4]"- ولما

(١) هي : خولة بنت ثعلبة ، و يقال:خويلة ، و خولة أكثر ، وقيل : خولة بنت حكيم ، و قيل : خولة بنت مالك بن ثعلبة ، وقيل : جميلة ، و قيل : بل هي خولة بنت دليج ، و لا يثبت شيء من ذلك ، و الله أعلم ، و الذي قدمنا أثبت و أصح إن شاء الله . الاستيعاب ٤/ ١٨٣٠ و الإصابة ٧/ ٦١٨

(٢) هو أوس بن الصامت بن قيس الأنصاري ، أخو عبادة بن الصامت ، شهد بدرا و أحدا و سائر المشاهد مع رسول الله صلى عليه وسلم ، و هو الذي ظاهر من امرأته فوطئها قبل أن يكفر ، مات في أيام عثمان ، وله خمس و ثمانون سنة . الاستيعاب ١/ ١١٨ والإصابة ١/ ١٥٦ . و قصة ظهاره من امرأته رواها أحمد ٤٥ / ٣٠٠ و أبو داود ٣/ ٨٣ ح ٢٢٠٩ و ابن حبان (الإحسان ١٠ / ١٠٧) و الطبري في جامع البيان ٢٨/ ٥ من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن خولة . و ليس فيها البسملة ، و رواها ابن أبي حاتم – و فيها البسملة – في تفسير القرآن العظيم (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٣٨) و البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٣٨٥ عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية مرسلا . و زاد السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٧٧ نسبته إلى عبد بن حميد – و لم أرها في المسند المنتخب – و ابن مردويه .

(٣) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٤٠٤ ومن طريقه البيهقي في الخلافيات ل٤٤ وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٩١ من طريق محمد بن يحيى ، عن سريج بن النعمان ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، عن نيار بن مكرم مرفوعاً . وفيه البسملة .
ورواه البخاري في كتاب التاريخ الكبير ٨/ ١٣٩ من طريق إسماعيل بن أبي أويس ، وأبو الحسن بن قانع في معجم الصحابة ٣/ ١٧٢ والطحاوي في شرح مشكل الآثار٧/ ٤٤٢ من طريق محمد بن سليمان لوين ، والطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٢٠٠ من طريق ابن جريج ، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة ١/ ١٤٣ ومن طريقه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ١/ ٥٨٥ وفي الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ١٠٨ من طريق أبي معمر الهذلي ، عن سريج بن النعمان ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٥/ ٢٧٠٤ من طريق محمد بن العباس المؤدب ، عن سريج بن النعمان كلهم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه به . وليس في هذه الطرق البسملة ، وهي المحفوظة .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٦ وعنه البيهقي في الخلافيات ل٤٤ من طريق يعقوب بن محمد الزهري والبسملة في روايته و البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٣٢١ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٤٠٩ وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٢٦٠ من طريق أبي مصعب الزهري ، كلاهما (يعقوب بن محمد ، وأبو مصعب الزهري) عن إبراهيم بن محمد ، عن عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن سعيد بن عمرو بن جعدة ، عن أبيه ، عن جدته أم هانئ .

=

قرأ سورة الحجر أخرجه ابن أبي هاشم [1] بسنده [2] .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : يعقوب ضعيف ، وإبراهيم صاحب مناكير ، هذا أنكرها . تلخيص المستدرك .

وخالفه سليمان بن بلال فروى البخاري في التاريخ الكبير من طريق سليمان بن بلال ، عن عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن ابن جعدة المخزومي ، عن ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . قال أبو عبد الله : هذا بإرساله أشبه .

قال الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب ٢٣٣ : هذا حديث حسن ، ورجاله كلهم ثقات معروفون إلا عمرو بن جعدة بن هبيرة فلم أجد فيه تعديلاً ولا جرحاً ، وهو ابن ابن أخت علي بن أبي طالب ، وهو أخو يحيى بن جعدة بن هبيرة أحد الثقات .

قلت : هنا وقفات :

الأولى : إن رواية البسملة في الحديث ضعيفة ، تفرد بها يعقوب بن محمد الزهري ، قال الحافظ ابن حجر عنه : صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء . التقريب ١٠٩٠ .

الثانية : إن إبراهيم بن محمد اختلف فيه ، فقال عنه ابن عدي في الكامل : مدني ، روى عنه عمر و بن أبي سلمة وغيره مناكير ، وقال أيضاً : وأحاديثه صالحة محتملة ، ولعله أتي ممن قد روى عنه. وقال عنه الذهبي: ذو مناكير . الميزان ١/ ٥٦ وسبق قوله فيه في تلخيص المستدرك.

ثم إنه خالف سليمان بن بلال الثقة ، فروايته حينئذٍ منكرة ، ورواية سليمان معروفة ، ولهذا رجح البخاري رواية سليمان فقال : هذا بإرساله أشبه .

الثالثة : قول الحافظ العراقي : هذا حديث حسن ورجاله كلهم ثقات معروفون . فيه نظر يعرف مما سبق ، لكن يشهد لمرسل ابن شهاب هذا حديث الزبير الذي رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ٧٦ من طريق عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير نحوه . قال الحافظ العراقي فيه : هذا حديث يصلح أن يخرج للاعتبار والاستشهاد ، فإن عبد الله بن مصعب بن ثابت ذكره ابن حبان في الثقات ، وضعفه ابن معين .

قلت : وخلاصة القول أن رواية البسملة في حديث أم هانئ ضعيفة ، وباقي الحديث حسن لغيره

(١) هو عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي المقرئ ، انتهى إليه الحذق بأداء القرآن ، قرأ بالروايات على ابن مجاهد ، له كتاب البيان ، وكتاب الفصل بين أبي عمرو والكسائي ، ورسالة في الجهر بالبسملة ، توفى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . معرفة القراء الكبار ٢/ ٦٠٣ وغاية النهاية ١/ ٤٧٥ وإيضاح المكنون ٥/ ٥٦٢ .

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ١٤/ ٢ من طريق علي بن سعيد بن مسروق الكندي ، وأبوبكر ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٥٨٢ والطبراني في المعجم الكبير (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٥٢٥) والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٤٢ وعنه البيهقي في كتاب البعث والنشور القسم الثاني ١/ ٢٠٧ من طريق أبي الشعثاء علي بن الحسن كلاهما عن خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى مرفوعاً . وليس فيه البسملة .

=

وصحّ أنه صلى الله عليه وسلّم لما تلا الآيات التي أنزلت في شأن براءة عائشة لم يبسمل ، ففهم من ذلك أمر زائد على ما مضى ، وهو أن البسملة من خواص أوائل السور ، وأن هذا ليس من باب ذكرها للتبرك عند ابتداء كل أمر ذي بال ، وإلا لكانت قضية عائشة رضي الله عنها من أبلغ مقتض لذلك .

ثم الظن بالصحابة رضي الله عنهم أنهم إنما أثبتوها في المصحف حيث أثبتوها لتلقيهم من النبي صلى الله عليه وسلّم النصوصية على أنها من أوّل كل سورة ، أو لظنهم ذلك، وكان هذا عندهم من الأمور الواضحة الجلية ، ولهذا لم يقع بينهم فيها نزاع حين كتبت، ولو كانت من باب التبرك لم تكتب كما لم يكتبوا التعوذ المأمور به قبل البسملة،

ولا " آمين " المأمور بها بعد قراءة الفاتحة ، ولا وقع بينهم نزاع في ذلك ، فحصل ظنّ غالب أنها من القرآن [1] . انتهى .

وقد حكى النووي في " شرح المهذّب" في البسملة [2] وجهين :

أحدهما : - وصححه - أن إثباتها قرآنا على وجه الظن .

والثاني : أنه على وجه القطع [3] .

وقد شنّع القاضي أبو بكر الباقلاني [4] وغيره على الشافعي في ذلك بأن القرآن لا يثبت بالظن ، إنما يثبت بالتواتر [5] .

وأجاب عنه القاضي تاج الدين السبكي في " رفع الحاجب" بأنا لا ندعي تواتر

قال الحافظ ابن كثير : ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به ، وزاد فيه : بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الهيثمي : وفيه خالد بن نافع الأشعري ، قال أبو داود : متروك . مجمع الزوائد ٧/ ١٣١

قال الذهبي : وهذا تجاوز في الحد ، فإن الرجل قد حدث عنه أحمد بن حنبل ، ومسدد ، فلا يستحق الترك . ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٤ .

(١) كتاب البسملة ل ٦٥ .

(٢) في ت، ح، ظ: المسألة

(٣) المجموع شرح المهذب ٣/ ٢٩٤

(٤) هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلاني ، كان إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية ، توفي سنة ثلاث وأربمائة. سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠ والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ٢/ ٢٢٨

(٥) الانتصار للقرآن ١/ ٢٥١ - ٢٥٢

البسملة الآن ، فإنا نحن لم نثبتها ، إنما المثبت لها إمامنا الشافعي، فلعلّها تواترت عنده، ورب متواتر عند قوم دون آخرين، وفي وقت دون آخر .

واستشكل قوم النفي على وجه القطع ، فإن المقطوع بكونه قرآنا يكفر نافيه .

وأجاب جماعة بأن قوّة الشبهة منعت التكفير من الجانبين [(١)] .

قال ابن الصباغ [(٢)] في " الشامل": من أصحابنا من أثبتها قطعا لكونها في المصحف، ولم يكفر جاحدها ، كما لم يكفر مثبتها ، وإنما كان كذلك لحصول ضرب من الشبهة ، كما قامت لابن مسعود في المعوذتين[(٣)].

---

(١) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ٢/ ٨٦

(٢) هو عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد أبو نصر المعروف بابن الصباغ، مصنف كتاب الشامل، كان تقيا صالحا، وشامله من أصح كتب أصحابنا ، وأثبتها أدلة ، توفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة. وفيات الأعيان وأنباء الزمان ٣/ ٢١٧ وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٢٢وقفت من كتابه الشامل على أجزاء متفرقة ليس منها الجزء الذي فيه كتاب الصلاة .

(٣) هنا وقفتان : الأولى : في تخريج الحديث ، فأقول : روى البخاري ٤/ ١٩٠٤ عن قتيبة بن سعيد ، و علي بن عبد الله ، عن ابن عيينة ، عن عبدة بن أبي لبابة ، و عاصم ، عن زر قال : سألت أبي بن كعب قلت : أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا و كذا ، قال أبي : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : قيل لي ، فقلت ، قال : فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الشافعي في السنن ١/ ٢٠٣ – و من طريقه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١/ ١١١- و الحميدي في مسنده ١/ ٣٦٧ – و من طريقه الطحاوي ١/ ١١٢ و البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٩٣ ، ٣٩٤ – و أحمد في مسنده ٣٥ / ١١٤ عن وكيع ، و ١١٥ عن عبد الرحمن بن مهدي ، و أبو عبيد في فضائل القرآن و معالمه و آدابه ٢/ ٨٠ عن عبد الرحمن أيضا كلهم (الشافعي ، و الحميدي ، و وكيع ، و عبد الرحمن) عن عبدة بن أبي لبابة ، و عاصم ، عن زر بنحوه .

ورواه أبو عبيد ٢/ ٨١ و أحمد ٣٥ / ١١٥ عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الزبير ابن عدي ، عن أبي رزين ، عن زر ، عن أبي بن كعب بنحوه .

ورواه أحمد ٣٥ / ١١٨ حدثنا سفيان ، عن عبدة و عاصم ، عن زر قال : قلت لأبي : إن أخاك يحكهما من المصحف – قيل لسفيان : ابن مسعود ؟ فلم ينكر – قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قيل لي ، فقلت ، فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال سفيان : يحكهما : المعوذتين ، و ليسا في مصحف ابن مسعود ، كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن و الحسين ، و لم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته ، فظن أنهما عوذتان ، و أصر على ظنه ، و تحقق الباقون كونهما من القرآن ، فأودعوهما إياه .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٢ ٧: و كأن سفيان تارة يصرح بذلك ، و تارة يبهمه .
و رواه أحمد من طريق حماد بن سلمة ٣٥ / ١١٦ و شعبة ٣٥ / ١١٦ و أبي عوانة ٣٥ / ١١٧ و أبي بكر بن عياش ٣٥ / ١١٣ و أبو داود الطيالسي في مسنده ١/ ٤٣٧ من طريق شعبة ، و أبو عبد الله ابن الضريس في فضائل القرآن ١٢٤ و ابن حبان (الإحسان ٣/ ٧٧ ، ١٠ / ٢٧٤) من طريق حماد بن سلمة ، و منصور ، و عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٤١١ من طريق معمر بن راشد و الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٢٧ من طريق زيد بن أبي أنيسة ، و الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١/ ١١٣ من طريق أبي بكر بن عياش ، و مالك بن مغول كلهم (حماد ، و شعبة ، و أبو عوانة ، و أبو بكر بن عياش ، و معمر بن راشد ، و زيد بن أبي أنيسة ، و مالك بن مغول) عن عاصم ، عن زر ، عن أبي نحوه .
و رواه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ٣٥ / ١١٧ و الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٦٨ من طريق محمد بن أبي عبيدة بن معن ، عن أبيه ، و الطبراني ٩/ ٢٦٨ من طريق سفيان الثوري ، و شعبة كلهم عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال – و اللفظ لعبد الله بن أحمد – : كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه و يقول : إنهما ليستا من كتاب الله .
قال الأعمش : و حدثنا عاصم ، عن زر ، عن أبي بن كعب قال : سألنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قيل لي ، فقلت .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٣١٢ رواه عبد الله بن أحمد ، والطبراني ، و رجال عبد الله رجال الصحيح ، و رجال الطبراني ثقات .
ورواه الطبراني ٩/ ٢٦٨ ، من طريق عبد الحميد بن الحسن ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود أنه كان يقول : لا تخلطوا بالقرآن ما ليس فيه ، فإنما هما معوذتان تعوذ بهما النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ وكان عبد الله يمحوهما من المصحف .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير١٠ / ١٦٣ و المعجم الأوسط ٤/ ١٣ من طريق إسماعيل بن مسلم ، عن سيار أبي الحكم ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هاتين السورتين فقال : قيل لي ، فقلت ، فقولوا كما قلت .
قال الهيثمي ٧/ ٣١٢ فيه إسماعيل بن مسلم المكي ، و هو ضعيف .
وقال الحافظ بن حجر ٨/ ٧٤٣ ووقع عند الطبراني في الأوسط أن ابن مسعود أيضا قال مثل ذلك ، لكن المشهور أنه من قول أبي بن كعب ، فلعله انقلب على راويه .
ورواه البزار في مسنده البحر الزخار ٥/ ٢٩ والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٦٩ و أبو يعلى في مسنده (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٩/ ٩٣) من طريق حسان بن إبراهيم ، عن الصلت بن بهرام ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله أنه كان يحك المعوذتين من المصحف و يقول : إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، و كان عبد الله لا يقرأ بهما .
قال البزار : و هذا الكلام لم يتابع عبد الله عليه أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، =

و قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة ، و أثبتتا في المصحف .
قال الهيثمي ٧/ ٣١٢ رواه البزار و الطبراني ، و رجالهما ثقات .
الوقفة الثانية : استشنع بعض أهل العلم ثبوت إنكار عبد الله بن مسعود أن تكون المعوذتان من القرآن ، و استبشعوا صدرر ذلك منه ، وهو من هو في حفظ كتاب الله و إقرائه والتبحر في وجوهه وأحكامه ، فأنكروا ذلك كله ، و حكموا بوضعه وكذبه واختلاقه وبراءة ساحة عبد الله من إنكار ذلك ، غيرة على كتاب الله أن يختلف في ثبوت بعضه ، ودفاعا عن عبد الله أن يثبت عليه إنكار سورتين من كتاب الله .
والقاضي أبوبكر الباقلاني أقدمهم زمنا ، وأطولهم عرضا ونقدا ، و أكثرهم حجاجا ونقاشا ، قال في بعض تهويلاته لو كان صحيحا عليه – وقد علمنا أنه لم يكن من الصحابة إنكار عليه ، ولا إغلاظ ، ولا عسف ، ولا قتل ، و لا عقوبة ونكال ، و لاحكم مما يجب أن يحكم به على جاحد آية من كتاب الله تعالى ، وكلمة فضلا عن جاحد سورتين منه – لوجب الحكم على جميع الأمة بالضلال والانسلاخ من الدين ؛ لأن ذلك يوجب حينئذ أن يكون عبد الله قد ضل و أخطأ و فسق بأنكاره و حجده سورتين من كتاب الله ، و أن يكون باقي الأمة الذين هم غيره قد ضلوا و فسقوا بترك تكذيبه ، والرد عليه ، وإقامة حد الله فيه ، وكشف حاله للناس ، والعدول إلى تركه ومسامحته والتمكين له من الترؤس والتصدر ، وإقراء ونشر الذكر ، والتوسل إلى الأسباب التي يصير بها إماما متبعا وحجة مقتفى .
فمن ظن أننا نحكم على عبد الله ، وعلى الأمة في تركه وتمكينه من ذلك بهذه الأحكام لأجل خبر واحد ضعيف واه ، يجيء من كل ناحية متهمة يكون معارضا بما هو أثبت و أظهر منه فقد ظن عجزا ، وحل من الجهل محلا عظيما .
و هكذا لو أمكن أن يكون هذا الخبر صحيحا ، فكيف وقد بيننا بغير طريق أنه من أخبار الآحاد التي يجب كونها كذبا لا محالة .
الانتصار للقرآن ١٧/ ٣٠٧ ، وتبعه على ذلك ابن حزم في المحلى ١/ ١٣ والرازي في التفسير الكبير ١/ ٢١٨ والنووي في كتاب المجموع ٣/ ٣٣٢ .
و أجاز الباقلاني أيضا أن تكون هذه الأخبار ثابتة – وتبعه القاضي عياض – حسبما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٧٤٣ – وإن كان الذي في إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٨٢ غير صريح في الذهاب إلى هذا التأويل – و يكون لها جمع من التأويلات والتوجيهات مما لا يسلتزم إنكار عبد الله بن مسعود لقرآنية المعوذتين . انظر في : الانتصار للقرآن ١/ ٣٠٨ – ٣٣٠ ووقع للحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٧٤٣ في رد تأويل هذه الأخبار وقبولها تضارب حيث قال في دفع وردّ التأويل : وهو تأويل حسن ، إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة الذي ذكرتها تدفع ذلك ، حيث جاء فيها : ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله .
ثم قال : والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل الرواية صحيحة ، والتأويل محتمل . فتح الباري ٨/ ٧٤٣ قلت : ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إنكار أن تكون المعوذتان من القرآن ، وهو أمر مشكل ، ولكنه دون التهويل الذي هوّله الذين ينكرون
=

واستشكل آخرون الأمرين معا : الإثبات ، والنفي، فإن القرآن لا يثبت بالظن ، ولا ينفى بالظن، ولاشكّ أنه إشكال قويّ كالجبل .

وقد أخبرني بعض الفضلاء بأنه سمع الحافظ ابن حجر يقرر في درسه في الجواب عنه: أن حكم البسملة في ذلك حكم الحروف المختلف فيها بين القراء السبعة ، فتكون قطعية الإثبات ، و النفي معا ، ولهذا قرأ[1] بعض السبعة بإثباتها ، وبعضهم بإسقاطها، فاستحسنت ذلك جدا .

ثم رأيت تلميذه الشيخ برهان الدين البقاعي[2] حكى ذلك عنه في ترجمته من معجمه[3] .

ثم رأيت خاتمة القراء الشيخ شمس الدين ابن الجزري[4] سبقه إلى ذلك فقال

ثبوت ذلك عن عبد الله ، ويحكمون بوضعه واختلاقه ، ورفع الإشكال لا يكون عن طريق رد صحيح الحديث و إنكاره ، فإن هذا ليس طريقة أهل السنة والجماعة .

و يحمل إنكار عبد الله على أنه لم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في الصلاة ، وسمع يعوذ بهما الحسن والحسين فظن أنهما مما يعوذ به من الأذكار النبوية ، وليستا من القرآن ، و سمع غيره يقرأ بهما في الصلاة كعقبة بن عامر عند مسلم ١/ ٥٥٨ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ١/ ١١٤ ورجل من الصحابة عند الطحاوي أيضا ١/ ١١٧ وعمرو بن عبسة عند أبي يعلى في مسنده (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٩/ ٩٢) و تلك شبهة تمنع من تهويل الأمر وتفظيعه على عبد الله . والله أعلم

قال الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٨/ ٥٣١ وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة كتبوهما في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك . وأنظر في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٢

(١) في ظ: أقرأ

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بضم الراء بعدها موحدة خفيفة أبو الحسن البقاعي ، كان من أوعية العلم ، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٠١/١ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٩/١

(٣) انظر في: عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران ١/ ١٧٣

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد أبو الخير ، يعرف بابن الجزري ، له تصانيف مفيدة كالنشر في القراءات العشر ، تفرد بعلو الرواية ، وحفظ الأحاديث والجرح والتعديل ، ومعرفة الرواة المتقدمين والمتأخرين ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . الضوء اللامع ٩/ ٢٥٥ والبدر الطالع ٢/ ٧٧٥

في كتابه "النشر"- بعد أن حكى الأقوال الخمسة السابقة في البسملة:- وهذه الأقوال ترجع إلى النفي ، والإثبات .

و الذي نعتقده أن كليهما صحيح ، وأن كلّ ذلك حق ، فيكون الاختلاف فيها كالاختلاف في القراءات[١]. هذا لفظه[٢].

ثم رأيت أبا شامة حكى ذلك في كتاب " البسملة" فقال: ونقل عن بعض المتأخرين [٣] أنها آية حيث كتبت في بعض الأحرف السبعة ، دون بعض، قال : وهذا قول غريب، ولا بأس به إن شاء الله تعالى .

وكأنه نزّل اختلاف القراء في قراءتها بين السور منزلة اختلافهم في غيرها، فكما اختلفوا في حركات وحروف اختلفوا أيضا في إثبات كلمات وحذفها كقوله تعالى في سورة الحديد﴿ ومن يتولّ فإن الله هو الغنيّ الحميد﴾ [سورة الحديد ٢٤] اختلف القراء في إثبات ﴿هو﴾ وحذفها ، وكذلك ﴿ من﴾ في آخر سورة التوبة﴿ تجري من تحتها الأنهار﴾ [سورة التوبة ٨٩] فلا بعد أن يكون الاختلاف في البسملة من ذلك، وإن كانت المصاحف أجمعت عليها فإن من القراآت ما جاء على خلاف خط المصحف ك ﴿ الصراط﴾ و﴿ يبصط﴾ و﴿مصيطر﴾ اتفقت المصاحف على كتابتها بالصاد، وفيها قراءة أخرى ثابتة بالسين، وقوله تعالى﴿ وما هو على الغيب بضنين﴾ يقرأ بالضاد وبالظاء ، ولم يكتب في مصاحف الأئمة إلا بالضاد، وقراءة القرآن تكون في بعض الأحرف السبعة أتم حروفا وكَلِماً من بعض ، ولا مانع من ذلك يخشى ، فالبسملة في قراءةٍ صحيحةٍ آيةٌ من أم القرآن ، وفي قراءة صحيحة ليست آية من أم القرآن، والقرآن أنزل على سبعة أحرف ، كلها حق ، وهذا كله من تلك الأحرف لصحته ، فقد وجب – إذ كلّها حقّ - أن يفعل الإنسان في قراءته أيّ ذلك شاء .

قال : وقد تكلّم القاضي أبو بكر على صحة مجيء بعض الأحرف أتم من غيرها، وبيّنه في كتاب " الانتصار" [٤] .

---

(١) في ح ، د، ق: كاختلاف القراءات

(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٧٠

(٣) في كتاب البسملة : عن بعض متأخري الظاهرية

(٤) الانتصار للقرآن ١/ ٣٨٦ و كتاب البسملة ل٤

ثم قال أبو شامة: فإن قلت : يتفرّع على القول بهذا- بعد تقريره- أن المكلف بالصلاة مخير في قراءة البسملة فيها ، إن شاء قرأها، وإن شاء تركها ، كغير هذا الحرف مما اختلف فيه القراء، كلا الأمرين له واسع ، وفي مذهبك تتحتم قراءتها .

قلت : إنما تتحتم قراءتها في مذهب الشافعي في الفاتحة وحدها، ولا ينافي هذا القول ذلك، فإن القراء مجمعون على قراءتها أول الفاتحة[1] إلا ما شذّ روايته عن بعضهم ، فليس فيها في الفاتحة تخيير ، بخلاف غيرها من السور، وإنما وجبت في الفاتحة احتياطا لما أمر به ، وخروجا من عهدة الصلاة الواجبة بيقين لتوقف صحتها على ما سماه الشرع فاتحة الكتاب [2] . هذا كله كلام أبي شامة .

قوله : (ما بين الدفتين كلام الله تعالى) في الصحاح :الدفّ الجنب [3] ، وكذا في "الغريبين" قال : ومنه دفتا المصحف ، لمشابهتهما الجنبين [4] .

قوله : (لنا أحاديث كثيرة) :

منها ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلّم قال:((فاتحة الكتاب سبع آيات ، أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم)))

أخرجه الطبراني في الأوسط ، وابن مرويه في تفسيره، والبيهقي في سننه بلفظ: ((الحمد لله رب العالمين سبع آيات، بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم ، وهي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب))

وأخرجه الدارقطني- وصححه - و البيهقي بلفظ: ((إذا قرأتم الحمد لله فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم)) إنها أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها [5]

قوله : (وقول أم سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلّم الفاتحة ، وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية)

---

(١) قال أبو شامة في إبراز المعاني من حرز الأماني ١/ ٢٣٦ قال بعض العلماء: لا خلاف بين القراء في البسملة في أول فاتحة الكتاب ، سواء وصلها القارئ بسورة أخرى قبلها، أو ابتدأ بها

(٢) كتاب البسملة ل٥

(٣) الصحاح / مادة دفف

(٤) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث / مادة دفف

(٥) سبق تخريج هذا الحديث في ص٤٧ غير أني لم أر التصحيح الذي عزاه السيوطي إلى الدارقطني في السنن للدار قطني المطبوع

قلت : الحديث ليس بهذا اللفظ، وإنما الوارد في كل طرقه أنه عدّ البسملة آية.

فأخرجه أبو عبيد في " فضائل القرآن" وأحمد ، وأبو داود بلفظ : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقطع قراءته آية آية : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين))

وأخرجه ابن الأنباري في كتاب" الوقف و الابتداء " و البيهقي في " الخلافيات" _ وصححه _ بلفظ : ((كان إذا قرأ قطّع قراءته آية آية ، يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويقف ، ثم يقول : الحمد لله رب العالمين ، ويقف، ثم يقول : الرحمن الرحيم ، ويقف ثم يقول: ما لك يوم الدين))

وأخرجه ابن خزيمة ، والحاكم ، والبيهقي في سننه بلفظ : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم، فعدّها آية ، الحمد لله رب العالمين آيتين، الرحمن الرحيم ، ثلاث آيات ، مالك يوم الدين ، أربع آيات وقال هكذا، إيّاك نعبد وإياك نستعين، وجمع خمس أصابعه))

وأخرجه الدارقطني بلفظ : ((كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، إلى آخرها ، فقطّعها آية آية، وعدّها عَدَّ الأعراب ، وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية ، ولم يعدّ عليهم [1]))

---

(١) هذا الحديث رواه عبد الله بن أبي مليكة ، واختلف عليه ، فرواه نافع بن عمر الجمحي عنه ، عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة ، عند أحمد ٤٤/٤٦ .

ورواه ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة ، واختلف على ابن جريج ، فرواه يحيى ابن سعيد الأموي عند أبي عبيد في فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ١/ ٣٢٥ ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ٢٧٨ وأحمد ٤٤/ ٢٠٦ وأبي داود ٤/ ٣٧٩ ح٣٩٩٧ والترمذي ٥/ ٤٧ح٢٩٢٧ وأبي بكر ابن الأنباري في كتاب إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٥٨ والدارقطني١/ ٣١٢ وأبي يعلى في مسنده ١٢/ ٤٥٢ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٤/ ٨ والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٣١ ، ٢٣٢ والبيهقي في الخلافيات ل٤٤ وعمر بن هارون عند الطحاوي١٤/ ٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٤ ، وحفص بن غياث عند ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٥٢٠ ، ١٠/ ٥٢٤ وعنه أبو يعلى في مسنده ١٢/ ٣٥١ وابن أبي داود في كتاب المصاحف ١/ ٣٧٣ وهمام عند أحمد ٤٤/ ٣٢٤ والبيهقي ٢/ ٤٤ كلهم (يحيى بن سعيد ، وحفص ، وهمام ، وعمر بن هارون) عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن أم سلمة .

ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٣٨ وعنه أحمد في المسند ٤٤/ ١٧٠ ومن طريق عبد الرزاق الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ٢٩٢ ومحمد بن بكر عند أحمد أيضاً ٤٤/ ١٧٠ وابن حبان (

=

قال أبو شامة : ومما يجب أن ينبه عليه أن إمام الحرمين قال في "النهاية" : إن هذا الحديث رواه البخاري [1] ، وتبعه في ذلك صاحبه أبو حامد الغزالي في البسيط، والوسيط[2]، وليس ذلك في "صحيح البخاري" ، ولا في "تاريخه" ، ولا في كتاب " القراءة خلف الإمام" له .

وقد اغترّ بذلك جماعة من المتفقهة الذين لا عناية لهم بعلم الحديث .

قال : وأظنّ الإمام بلغه أن ذلك في كتاب محمد بن إسحاق بن خزيمة الصحيح، فلما صنّف " النهاية" سبق لفظه إلى تسمية البخاري ، من جهة اتفاق اسمي الإمامين بمحمد، واسمي الكتابين بالصحيح ، وذلك وهم [3] . انتهى.

وقد نبّه على ذلك أيضا النووي [4] ، وطائفة آخرهم الحافظ أبو الفضل ابن حجر في تخريج أحاديث الشرح الكبير [5] .

الإحسان ٦/ ٣٦٦) كلاهما (عبد الرزاق ، ومحمد بن بكر) عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن يعلى ابن مملك ، عن أم سلمة .

ورواه أبو عاصم عند أبي بكر الفريابي في كتاب فضائل القرآن ٢٠٦ والطبراني في المعجم الكبير = ٢٣/ ٤٠٧ عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن ابن أبي مليكة ، عن يعلى بن مملك ، عن أم سلمة .

ورواه الليث ابن سعد عن ابن أبي مليكة أيضاً ، واختلف على الليث ، فرواه أبو صالح عند الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ٢٩٢ عن الليث ، عن ابن لهيعة ، عن ابن أبي مليكة ، عن يعلى ، عن أم سلمة .

ورواه عبد الله بن المبارك عند أبي عبيد في فضائل القرآن، ١/ ٣٢٥ وقتيبة بن سعيد عند الفريابي في كتاب فضائل القرآن ٢٠٥ والنسائي ٢/ ١٨١ح١٠٢٢ ويزيد ابن موهب عند الفريابي أيضاً ، وشعيب ابن الليث عند ابن خزيمة في الصحيح٢/ ١٨٨ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٤/ ٩ وشرح معاني الآثار ١/ ٢٠١ ويحيى بن بكير عند الحاكم ١/ ٣٠٩ وعنه البيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٣ كلهم (عبد الله ، وقتيبة ، ويزيد ، وشعيب ، ويحيى) عن الليث ، عن ابن أبي مليكة ، عن يعلى ، عن أم سلمة . وهو الصواب .

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب ج٢ ل ٣٧ نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ٩٨٥٧

(٢) كتاب البسيط ل ٩٩ نسخة مصورة بجامعة الإمام محمد بن سعود برقم ١٢٢٧ والوسيط في المذهب ٢/ ٧٢٩

(٣) كتاب البسملة ل٢٤

(٤) التنقيح في شرح الوسيط ٢/ ١١١

(٥) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ١/ ٤٢٢

قال ابن خزيمة في تقرير الاستدلال بهذا الحديث : لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الصلاة عدها آية ، ولا قول لأحد مع النبي صلى الله عليه وسلّم خلاف قوله، إذ الله تعالى لم يجعل لبشر مع قوله صلى الله عليه وسلّم قولا يخالف قوله ، وجعله متبوعا لا تابعا، وفرض على العباد طاعتهن وأمرهم باتباعه .

فيقال لمخالفينا: قد عدّها النبي صلى الله عليه وسلّم آية على ما روينا عن زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، هلمّوا دليلا إمّا بنقل خبر عن النبي صلى الله عليه وسلّم يخالف خبرنا، أو غير خبر يؤيد مذهبكم في إنكاركم آية [1] من القرآن ، وعدم وجود حجة تؤيّد مقالتكم بطلان دعواكم ، وفي بطلان دعواكم صحة مذهبنا[2].

وقال أبو شامة : قد قدح بعض المخالفين فقال: هذا من قول أم سلمة ورأيها ، ولا ننكر[3] الاختلاف في ذلك .

والجواب: أنه من قولها قطعا ، ولكنها مخبرة عما رأت من فعل النبي صلى الله عليه وسلّم ، فإنه لما عدّها بأصابعه على نحو ما عدت من باقي آيات الفاتحة جزمت بما قالت، وهو كما قالت .

وقال الطحاوي: إنما نعتت أم سلمة رضي الله عنها بذلك قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلّم - كسائر القرآن -كيف كانت، وليس في ذلك دليل أنه صلى الله عليه وسلّم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فانتفى أن يكون في حديث أم سلمة رضي الله عنها حجة لأحد [4] .

قال أبو شامة : الظاهر أنها حكت تلاوته للبسملة، وإلا لمثلت بغير ذلك؛لأن الفاتحة هي التي كان يكررها [5]، فعقلت هيئتها وكيفيتها عندها، فكانت لها أشد حفظا من كيفية قراءته لغيرها [6] .

وقال الغزالي : حديث أم سلمة حجة ظاهرة على أن البسملة آية من الحمد .

---

(١) في كتاب البسملة ل٢٢: أنه

(٢) كتاب البسملة ل٢٢

(٣) في ح: ينكر

(٤) شرح معاني الآثار ١/ ٢٠١ و كتاب البسملة ل٣٢

(٥) في كتاب البسملة ل٣٢ : لأنها هي التي كانت تكرر قراءته لها

(٦) كتاب البسملة ل٣٢

فإن قيل: روايتها ليست رواية لفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، بل هي ظن منها ، إذ قالت : عد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها، فلعلّها غلطت في ظنها .

فالجواب إذا جزم الراوي الثقة العاقل في أمر محسوس لا يجوز حمله على الغلط ، وإلا لجاز في أصل الرواية، وهو محال [1] .

قوله :(ومن أجلهما اختلف في أنها آية برأسها ، أو بما بعدها)

أي ومن أجل الحديثين، فإن الأول يقتضي عدها آية مستقلة، والثاني يقتضي أنها مع ما بعدها آية .

وهذا منه بناء على اللفظ الذي أورده ، وقد عرفت أن الأمر بخلافه .

قوله : (و الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى ، والوفاق على إثباتها في المصاحف ، مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب " آمين ")

ذكر البيهقي والغزالي وغيرهما أن هذا أقوى ما يستدلّ به في المسألة .

قال البيهقي في " الخلافيات" : الأصل عندنا إجماع الصحابة ، فإنهم أجمعوا على أن مصحف عثمان رضي الله عنه ، وسائر المصاحف كتاب الله ووحيه وتنزيله، من غير تقييد فيه ولا استثناء ، وكذلك الناقلون عنهم بعدهم لم يختلفوا فيما اتفقوا عليه، ووجدناه مكتوبا في تلك المصاحف كسائر القرآن [2] .

وقال في " المعرفة" : أحسن ما يحتج به في أن البسملة من القرآن ، وأنها في فواتح السور منها سوى براءة = ما روينا من جمع الصحابة كتاب الله في مصاحف، وأنهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة، سوى سورة براءة ، من غير استثناء ولا تقييد ولا إدخال شيء آخر فيها، وهم يقصدون بذلك نفي الخلاف عن القراءة، فكيف يُتوهم عليهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاث عشرة آية ليست من القرآن [3] .

وقال الغزالي : أظهر الأدلّة كونه مكتوبا بخط القرآن مع أوائل السور سوى سورة براءة .

---

(١) كتاب البسملة ل١٣

(٢) الخلافيات ل ٣٩ نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ٣٤٥٦

(٣) معرفة السنن والآثار ٢/ ٣٦٤

ووجه الدلالة : أنه لا يخلو إما أن يكون ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أو بدعة من عثمان رضي الله عنه، أو غيره، لغرض التبرك في البداءة، كذكر اسم السورة، وعدد الآيات، ولما ابتدعت كتبتها في زمن التابعين اشتد الإنكار من جميعهم عليها، حتى أنكروا النقط، و الأعشار، وقالوا: هذه بدعة وزيادة ، وإنما تركها من تركها اعتمادا على أنها تكتب بالحمرة، لا بخط القرآن، فإنها لا تلتبس بالقرآن، ولا ضرر فيها، بل فيها منفعة ليكون ذلك أَعْوَنعلى الحفظ ، وإنما اعتذروا بذلك ولم يعتذر أحد بأنّا أبدعنا ذلك بالاجتهاد، كما أبدع عثمان رضي الله عنه كتبةالبسملة، مع أنه[1] لا بيان فيها، ولا حاجة إليها.

ثم إن كان تجاسر مبدع [2] على إبداعها [3] فكيف سكت[4] كافة المسلمين عنه، من غير إنكار وتبديع، وذلك مما يعلم استحالته قطعا ، إذ النفوس لا تسمح بالسكوت في مثله.

ولو كتب الآن كاتب في القرآن، أو في أوّل السور : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم احتجاجا بقول الله تعالى﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [سورة النحل ٩٩] فهل يتصور أن يسكت الناس عنه، أو يوافقوه عليه.

هذا، والزمان زمان إهمال وتساهل في مهمات الدين ، والوقت وقت فتور وضعف، فكيف يظن ذلك بالصحابة مع تصلبهم في الدين وشدتهم؟ وكيف سكتوا عن إبداع زيادة بخط القرآن شديدة الضرر؛لكونها موهمة أنها من القرآن، خالية عن[5] المنفعة، وإفادة نوع من البيان، وأسامي السور لا ضرر في إثباتها؛إذ لا توهم كونها من القرآن، وفيها فائدة التمييز والتعريف، فينكر التابعون ذلك، مع كونهم دون الصحابة في الصلابة في الدين، ثم تسكت الصحابة عن إنكارما فيه ضرر الاشتباه، وليس فيه فائدة البيان.هذا من المحال الذي لا ينشرح الوهم لقبوله أصلا.

ثم كيف يظن بمسلم أن يستجيز ذلك من غير فائدة، وسبب باعث؟.

فإن قيل : لعل الباعث قوله صلى الله عليه وسلّم: " كل أمر ذي بال لم يبدأ

---

(١) في ت، ظ: مع أنها

(٢) في ح :مبتدع

(٣) في ح : ابتداعها

(٤) في ت: سكتت

(٥) في ت، ح: من

فيه ببسم الله فهو أبتر »[1] وإرادةُ الفصل بين السور .

قلنا : فهلا كتب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم في أول القرآن لقوله تعالى ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ وهذا للقرآن خاصة ، وذاك أمر عام لا يختص بالقرآن ؟.

فإن قلت: إنما أمربالاستعاذة عند القراءة ، لا عند الكتبة.

فنقول: وإنما أمر في بداءة الأمور بذكر اسم الله تعالى ، لا بكتبه .

ثم من أين تقاوم هذه الفائدة ضرر الاشتباه، وجراءة الزيادة في كتاب الله تعالى ، وإثبات ما ليس منه فيه.

وأما غرض الفصل فظاهر البطلان؛إذ كان يمكن بإهمال خط كما في سورة براءة، أو بأن يكتب بالحمرة "سورة أخرى" وعدد آياتها كذلك حتى لا يلتبس، وكيف يعدل عنه إلى ما يلتبس بالقرآن[2]؟

فهذه الاحتمالات كلها فاسدة، ثم هو باطل بسورة براءة ، وإثباتُها في جميع السور دون براءة على الخصوص كالقاطع بأن مأخذه التوقيف فقط.

وعلى الجملة فيعلم أن كتبة ما ليس بقرآن ويشتبه بالقرآن وبخطه من الكبائر، فلا يتصور أن يتجاسر عليه مسلم، وإن تجاسر عليه فلا يتصور أن يسكت عنه المسلمون فضلا عن أن يوافقوه بأجمعهم حتى لا يخالف مخالف.

فإن قلت: سلمنا أنه ليس مبدعا، بل هو مكتوب بالتوقيف، ولذلك لم يكتب في سورة براءة؛لأنه لم يرد به التوقيف ، ولكن هذا يدل على جواز كتبه، لا على كونه قرآنا، وليس يستحيل أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلّم بكتبة ما ليس بقرآن. وهذا السؤال ذكره القاضي [3] .

فالجواب: أن هذا إبعاد في التأويل تستبعده النفوس وتشمئز عن قبوله الطباع.

وعلى الجملة فلا نقول: الإذن في كتبة ما ليس بقرآن مع القرآن محال في نفسه ، ولكنا نقول: هو محال إلا أن يكون مقرونا بذكر أنه ليس بقرآن ذكرا صريحا متواترا حتى ينتفي به الوهم السابق إلى الأذهان.

---

(١) سيأتي تخريجه

(٢) في د: إلى ماليس في القرآن ويشتبه بالقرآن

(٣) هو أبو بكر الباقلاني ، انظر في : الانتصار للقرآن ١/ ٢٥٧

سلمنا أنه ليس بمحال، ولكنه لا يخفى أنه بعيد، وأن الأغلب على الظن أنه لا يكتب مع القرآن ما ليس بقرآن.

فإذن حصل من هذا أن الكتبة ليست إلا بأمر الرسول صلى الله عليه وسلّم، وأمره بها من غير نص متواتر ينفي كونها قرآنا قاطع، أو كالقاطع بأنها من القرآن. انتهى كلام الغزالي[١].

وقال سليم الرازي: الدليل على أن البسملة من القرآن هو أن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوا بسم الله الرحمن الرحيم في المصحف بخط سائر القرآن ، مع قصدهم صيانة القرآن عن الاختلاط بغيره، وتوقيهم أن يثبتوا في المصحف ما ليس منه، فلولا أنه قرآن منزل ما فعلوا ذلك.

ثم ساق الأحاديث في جمع الصحابة القرآن في المصحف ، والأحاديث في قراءةالسور و الآيات ، كحديث ((تعلموا البقرة وآل عمران [٢])) و((اقرأ عليّ سورة النساء[٣])) و((من قرأ الآيتين من آخر البقرة [٤])) و((من حفظ عشر آيات من سورة الكهف[٥])) إلى غير ذلك .

وقال : هذه الأخبار كلها دالة على أن النبي صلى الله عليه وسلّم خرج من الدنيا وسور القرآن معلومة ، وآيات كل سورة مفهومة ذ .

---

(١) نقله أبو شامة في كتاب البسملة ل١٢-١٣ ونقل المؤلف في مباحث البسملة هذه نقولا عن الغزالى ، وسليم الرازي، وابن خزيمة، والذي ظهر لى من صنيعه أنه لم ينقل عن مؤلفات هؤلاء في البسملة مباشرة، ولكنه نقل عنها بواسطة كتاب البسملة لأبي شامة.

(٢) رواه أحمد في المسند ٥/ ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٧ ومسلم ١/ ٥٥٣ح ٢٥٢ من حديث أبي أمامة

(٣) رواه أحمد ١/ ٩٤ والبخاري ٤/ ١٦٧٣ ح ٤٣٠٦ ومسلم ١/ ٥٥١ ح ٢٤٧ والترمذي ٥/ ٢٣٧ ح٣٠٢٤ والنسائي في السنن الكبرى ١٠/ ٦٤ ح ١١٠٣٩ وابن ماجه ٤/ ٢٠٥ ح٤٢٦٩ من حديث ابن مسعود

(٤) رواه البخاري ٤/ ١٩١٤ ح ٤٧٢٢ ومسلم ١/ ٥٥٤ ح ٨٠٧ وأبوداود ٢/ ٢٤٠ ح١٣٩٢ والترمذي ٥/ ١٠ ح ٢٨٨١ والنسائي في السنن الكبري ٥/ ٩، ١٤ ح ٨٠٠٣، ٨٠١٨ وابن ماجه٢/ ٥٤ ح ١٣٨٧ من حديث أبي مسعود

(٥) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند ٤٥/ ٥٢٧ ومسلم ١/ ٥٥٥ ح٢٥٧ من طريق همام، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي الدرداء به ، وفي الحديث بحث تجد استقصاءه في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ١٢٢ والضعيفة ٣/ ٥٠٩

وثبت بما ذكر أن جميع ما في المصحف قرآن منزل، ويؤكد[1] ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلّم شيئا ؟ قال: لا، إلا ما في هذا المصحف، وقول محمد بن عليّ ابن الحنفية[2] لما سئل عن ذلك أيضا: لا، إلا ما في هذين اللوحين[3] .

فهذا نفي وإثبات ، فيقتضي أن جميع ما في المصحف يجري مجرى واحدا، وأن جميعه قرآن منزل ، وأن ما ليس في المصحف مخالف له.

وقد روى أبو طاهر ابن أبي هاشم في كتاب" الفصل[4]" بإسناده عن القاسم[5] ، عن عائشة أنها قالت : ((اقرؤوا ما في المصحف[6]))

وظاهر ذلك تسويتها بين جميع ما في المصحف، والحكم بأنه كله قرآن منزل.

هذا مع أن الرجوع إلى المصحف والائتمام به إجماع، فإن المسلمين من لدن الصحابة إلى زماننا هذا يرجعون فيما ينوبهم مما يتعلّق بالقرآن إليه، ويستدلون به، فيقال للذي يخالف في إثبات الكلمة: هي مكتوبة في المصحف.

ويؤيد ذلك أيضا أنهم لما اختلفوا في كتابة " التابوت" قالت الأنصار: بالهاء، وقال سعيد بن العاصي[7] : بالتاء لم يكتبوه حتى قيل لهم: إنه أنزل بلغة قريش،

---

(١) في ت، ح: ويؤيد

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم القرشي الهاشمي المدني، أمه خولة بنت جعفر الحنفية ، كان ورعا كثير العلم، توفي سنة ثمانين . سير أعلام النبلاء ٤/ ١١٠ والبداية والنهاية ٣١٣/١٢

(٣) روى البخاري ٤/ ١٩١٧ ح٤٧٣١ أثر ابن عباس، وابن الحنفية بنحوه

(٤) هو كتاب الفصل بين أبي عمرو والكسائي . انظر في : غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٧٥ وهدية العارفين ٣/ ٦٣٣

(٥) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو محمد القرشي التيمي ، كان أفضل أهل زمانه ، وكان من أعلم الناس بحديث عائشة ، روي عن عمته عائشة ، توفي سنة ست ومائة . تهذيب الكمال ٢٣/ ٤٢٧ و سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٣

(٦) لم أقف عليه

(٧) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أبو عثمان الأموي ، كان أحد أشراف قريش حمل السخاء والفصاحة ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان ، توفي خلافة معاوية سنة تسع وخمسين . الاستيعاب ٢/ ٦٢١ والإصابة ٣/ ١٠٧

وهو في لغتهم بالتاء، فكتبوه بها[1]، فكيف يظن بهم مع هذا التثبت أن يكتبوا فيه ما ليس بقرآن؟.

ومما يبين أن كتابتهم بسم الله الرحمن الرحيم في المصحف إنما هو بالتوقيف من الرسول صلى الله عليه وسلّم أنهم كتبوها في أوائل سور، وتركوها في أول براءة، فلو كانوا إنما فعلوا ذلك لأجل التبرك والافتتاح بها لوجب لهذه العلة افتتاح براءة بها.

ويبين ذلك أن قوما كرهوا نقط المصاحف، والتعشير فيها، وكتابةعدد آيات السور[2].

روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه[3]، وعن إبراهيم النخعي[4]، ومكحول[5]، ومجاهد، وعطاء[6].

---

(١) يأتي تخريجه قريبا

(٢) في ح، ق:السورة

(٣) روى عبد الرزاق في المصنف ٤/ ٣٢٣ ح٧٩٤٤ وأبو عبيد في فضائل القرآن ٢/ ٢٣٠ ح٨٩٥ وابن أبي داود في كتاب المصاحف ١/ ٤٧٢ ح٤٢١، ٤٢٢ والداني في المحكم في نقط المصاحف ١٠ بلفظ: جردوا القرآن ولا تلبسوابه ماليس منه . وروى عبد الرزاق في المصنف ٤/ ٣٢٢ ح ٧٩٤٢ وأبو عبيد في فضائل القرآن ٢/ ٢٣٢ ح٩٠٠، ٩٠١ وفي غريب الحديث ٥/ ٥٦ وابن أبي داود في كتاب المصاحف ١/ ٤٧٣ ح٤٢٩ والداني في المحكم في نقط المصاحف ١٤ عن عبد الله أنه كره التعشير في المصاحف .

وروي ابن أبي داود في كتاب المصاحف ١/ ٤٧٠ والداني في المحكم ١٦ عن أبي حمزة قال : أتيت إبراهيم بمصحف لى ، مكتوب فيه: سورة كذا، وكذا آية ، فقال إبراهيم : امح هذا ، فإن ابن مسعود كان يكره هذا ، ويقول : لا تخلطوا بكتاب الله ماليس منه.

قلت : وقد فسر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث ٥/ ٥٥ أثر عبد الله بن مسعود تفسيرا جيدا، يوقف عليه في محله .

(٤) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس أبو عمران الكوفي ، فقيه أهل الكوفة ، كان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما ، وكان رجلا صالحا فقيها ، مات وهو مختف من الحجاج سنة ست وتسعين . تهذيب الكمال / ٢٣٣ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠

(٥) هو مكحول أبو عبد الله الشامي ، فقيه الشام ، لم يكن في زمانه أبصر بالفتيا منه ، توفي سنة اثنتي عشرة ومائة . تهذيب الكمال ٢٧ / ٤٧٣ وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥

(٦) هو عطاء بن أبي رباح ، واسمه أسلم أبو محمد المكي ، مولى أل أبي خثيم ، أدرك مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاق أهل مكة في الفتوى ، توفي سنة أربع عشرة ومائة . تهذيب الكمال ٢٠/ ٦٩ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨

هذا مع ظهور الحال في ذكر أسماء السور ، وعدد أعشارها، وأنه لا شبهة على أحد أن ذلك ليس بقرآن ، فلو كانت بسم الله الرحمن الرحيم ليست من القرآن لكان إثباتها بالإنكار أولى ؛لإشكال الأمر فيها ، ولظهر اختلافهم في ذلك وإنكاره والخوض فيه ، فلما لم يكن كذلك صح وثبت أن جميع ما في المصحف الذي كتبه[1] الصحابة رضي الله عنهم قرآن منزل من عند الله تعالى .

ويوضح ذلك أيضا ويكشفه أن الذين استجازوا من التابعين ومن بعدهم أن يكتبوا في المصحف أسماء السور، وعدد آي كل سورة، والتعشير، والنقط، خالفوا في الخط بين هذه الأشياء وبين ما وجدوه في المصحف ، فكتبوا هذه الأشياء بالحمرة ، أو الصفرة ونحوهما ، وخط المصحف بالسواد، واعتذروا عن ذلك بأن الأمر لا يشكل فيه، ولم يحتجوا بكتب السلف بسم الله الرحمن الرحيم في فواتح السور، مع أنها ليست من القرآن، وإشكال الأمر فيها، فثبت أنهم اعتقدوا أنها قرآن منزل ؛لأنهم لو كانوا يعتقدون خلاف ذلك لسارعوا إلى الاحتجاج بما قلنا، ولم يجز على جميعهم إغفال هذا الأمر الظاهر الناقض لقول من خالفهم وبدّعهم.

ومما يوضح ما قلنا أيضا أنه لو ذهب ذاهب في يومنا هذا إلى أن المعوذتين ليستا من القرآن، واحتج بما رُوي عن ابن مسعود ، أو ذهب إلى أن سورتي القنوت من القرآن، واحتج بما روي عن أبيّ بن كعب [2] لم يحتجّ عليه في إثبات المعوذتين قرآنا، وإسقاط سورتي القنوت من القرآن بأبلغ من الرجوع إلى المصحف، فكذلك في بسم الله الرحمن الرحيم.

ومما يبينه أيضا أن مخالفينا في كون البسملة آية من الفاتحة قد أجمعوا معنا على أن قوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [سورة التوبة ١٢٨] إلى آخر

---

(١) في ظ: كتبت

(٢) روي قنوت أبي بالسورتين " اللهم إنا نستعينك " " اللهم إياك نعبد " عبد الرزاق في المصنف ٣/ ١١٢ و ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٣١٤

قال ابن قتيبة : وأما نقصان مصحف عبد الله بحذفه أم الكتاب والمعوذتين ، وزيادة أبي بسورتي القنوت فإنا لا نقول : إن عبد الله وأبياً أصابا ، وأخطأ المهاجرون والأنصار ... وإلى نحو هذا ذهب أبي في دعاء القنوت ، لأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به في الصلاة دعاءً دائماً فظن أنه من القرآن ، وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة . تأويل مشكل القرآن ٤٢ ٤٧ .

السورة، وقوله ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [سورة الأحزاب ٢٣] من القرآن؛لاتفاق المصاحف على ذلك، مع ما روي عن زيد بن ثابت أنه قال: وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري [١]، لم أجدهما مع غيره .

وفي رواية أخرى فقدت آية من الأحزاب: قد كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقرأ بها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فألحقتها في سورتها في المصحف [٢] ، فكذلك يلزمهم أن يحكموا بأن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة؛لاتفاق المصاحف على كتابتها فيه، مع ما يذكرونه من أنه لم يرد فيها ماورد في سائر آيات الفاتحة.

فإن قال قائل: إنا لا نعلم من دين الأمة المتفقة على كتب المصحف أنها وقفت على أن جميع ما فيه من فواتح السور قرآن منزل من عند الله، وإن علمنا أنهم قد أثبتوا بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة للسور[٣].

فالجواب أن يقال: بالذي علمت أنت من دينهم أنهم قد وقفوا على أن المعوذتين، و الآيتين من آخر سورة التوبة ، والآية من الأحزاب قرآن منزل من عند الله= علم خصمك من دينهم أنهم وقفوا على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول الفاتحة.

ثم يقال: كلما كتب في المصحف في[٤] أيام أبي بكر، وأقرّ هو وسائر الصحابة عليه سنة بعد سنة إلى انقراضهم محكوم بأنه قرآن منزل ، وجار مجرى ما ورد به الخبر المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلّم للعلم بأنهم لم يدونوا فيه إلا ما وضح عندهم أنه قرآن منزل.

---

(١) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه أبو عمار الخطمي الأنصاري ، يعرف بذي الشهادتين ، جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد ، وكان مع علي بصفين فلما قتل عمار جرد سيفه فقاتل حتى قتل ، وكان صفين سنة سبع وثلاثين . الاستيعاب ٢/ ٤٤٨ والإصابة ٢/ ٢٧٨

(٢) رواه أحمد ٣٥/ ٥٠١ والبخاري ٤/ ١٧٢٠ ح ٤٤٠٢ والترمذي ٥/ ١٨١ ح ٣١٠٤ والنسائي في السنن الكبرى ٧/ ٢٤٨ من حديث زيد بن ثابت . وانظر في : الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب البغدادي ١/ ٤١٧- ٤٣٢ فقد ساق طرق هذا الحديث ورواياته ، وبيّن الألفاظ المدرجة في بعض طرقه .

(٣) في ظ:للسورة

(٤) في ت، ظ : من

فإن قال: ففي المصحف أسماء السور، وعدد الآي، و الأعشار، والأخماس، وليس شيء من ذلك بقرآن فكذلك بسم الله الرحمن الرحيم.

فالجواب: أن هذه الأشياء حادثة أحدثت في المصحف بعد الصدر الأول من الصحابة، وحين أحدثوها كتبوها بغير القلم و اللون اللذين كتب بهما سائر المصاحف، وبسم الله الرحمن الرحيم بخلاف ذلك.

وجميع ما في "الإمام" كتبه كُتّاب المصحف في أيام أبي بكر رضي الله عنه بقلم واحد، ولون واحد، وأقرّهم سائر الصحابة على ذلك قاصدين به إلى حفظ التنزيل عن أن يضيع شيء منه، أو يختلط غيره به، فلم يجز أن يحكم بأن بسم الله الرحمن الرحيم ليس من جملة التنزيل، كما لا يجوز أن يحكم بمثل ذلك في المعوذتين، و الآيتين من آخر التوبة ، والآية من الأحزاب، فمن ادعى أن سطرا مما تضمنه "الإمام" ليس بقرآن كان كمن ادعى ذلك في المعوذتين، و الآيات الثلاث.

فإن قال قائل: أنا لا أصحح خلاف ابن مسعود في المعوذتين.

قيل: الأمر في ذلك أشهر من أن يتهيأ لك جحده ، ولو جاز لك ذلك -مع شهرة الأمر فيه-لجاز لخصمك أن يقول: وأنا لا أصحح اختلاف السلف في كون بسم الله الرحمن الرحيم قرآنا منزلا.

فإن قال: إنما أثبتت المعوذتان قرآنا مع الاختلاف الذي وجد؛للإعجاز القائم فيهما، و بسم الله الرحمن الرحيم ليس فيه إعجاز، ولا هو متفق عليه.

قيل له: فأثبت سورتي القنوت قرآنا؛لأن كل واحدة منهما قدر يكون فيه الإعجاز، كما أن كل واحدة من المعوذتين كذلك، وأنت لا يمكنك أن تثبت بدعواك هذه أكثر[1] من ذلك.

ثم يقال له: فاحكم بأن قوله ﴿هو﴾ في سورة الحديد في قوله ﴿ ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ ليس من جملة التنزيل؛لحصول الاختلاف ، وعدم الإعجاز فيه، بل هذا أولى من وجهين:

أحدهما: أن كلمة ﴿ هو﴾ غير مكتوبة في مصاحف أهل المدينة والشام، وبسم الله الرحمن الرحيم مكتوبة في جميع المصاحف.

والآخر: أن كلمة ﴿ هو﴾ أبعد من أن يكون فيها إعجاز من بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) في ح: أكبر

فإن قال : المعوذتان لما لم يجز إخراجهما من القرآن باختلاف كذلك لم يجز إثبات غيرهما في القرآن باختلاف.

فالجواب: أن هذا يلزم من يروم إثبات شيء في المصحف بعد الصحابة على أنه قرآن، وبسم الله الرحمن الرحيم قد أثبتتها[١] الصحابة كما أثبتت سائر القرآن.

ثم يقال: أليس قد اتفقنا أنه لا يجوز إخراج المعوذتين عن أن يكونا قرآنا، مع كونهما مكتوبتين في المصحف ، بخلاف من خالف فيهما، فكذلك لا يجوز إخراج بسم الله الرحم الرحيم في أول الفاتحة عن أن تكون قرآنا مع كونها مكتوبة في المصحف، بخلاف من خالف فيها[٢]. انتهى كلام سليم الرازي.

وقال الإمام أبو بكر ابن خزيمة، صاحب الصحيح- وهو أحد الأئمة الجامعين بين الفقه و الحديث، لقي أصحاب الإمام الشافعي ، وأخذ عنهم ـ: الرجوع فيما يختلف فيه من القرآن إلى ما هو مثبت بين الدفتين، كما أنه قد اختلف في المعوذتين، ولا حجة أثبت عند العلماء أنهما[٣] من القرآن من إثبات هاتين السورتين، وكتبهما بين الدفتين باتفاق من جميع من جمع القرآن على عهد الصديق من المهاجرين والأنصار وأمهات المؤمنين ، وهم أهل القدوة الذين شاهدوا التنزيل، وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلّم ، وحفظوا عنه القرآن يقرأ به في الصلاة ، ويعلمهم إياه، وهم الذين حفظوا سنن النبي صلى الله عليه وسلّم ، وبلغوا عنه جميع ما بالمسلمين إليه الحاجة من دينهم ، فكتبوا المعوذتين بين الدفتين باتفاق من جميعهم، لم ينازعهم في ذلك منازع، ولا خالفهم في ذلك بشر ، ولا ترك أحد من المسلمين في شيء من الأقطار إلى يومنا هذا نعلمه كتبة بسم الله الرحمن الرحيم في شيء من أوائل سور القرآن.

قال: فهذه الحجة العظمى عند علمائنا على من خالفنا ونازعنا وادعى أنهما ليستا من القرآن، ومخالفونا من العراقيين مقرون[٤] أنهما من القرآن.

---

(١) في ظ: اثبتها

(٢) نقله أبو شامة في كتاب البسملة ل١٤-١٧ وسمى رسالة سليم الرازي بالمقنعة ، ولا أعرف لها وجودا في عالم المخطوطات

(٣) في ت، ظ:من أ نهما

(٤) في د يقرون

وابن مسعود-مع جلالته وعلمه وفقهه ومكانه[1] من الإسلام -كان ينكر أن المعوذتين من القرآن، وهم معترفون أنه لم يكتبهما في مصحفه ، ولا كان يرى قراءتهما في الصلاة، فحجتنا العظمى على مخالفينا من العراقيين أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن هذه الحجة ، حذو القذة بالقذة.

ولم نر في بلدة من بلاد الإسلام التي وطئناها من الحرمين ، والحجاز، وتهامة، ومدن العراق، و الشام، ومصر، وخراسان، ولا خبرنا أحد عاين، ولا خبر عن غيره أنه رأى مصحفا ، ولا جزءا من أجزاء القرآن كتب فيه قديما وحديثا من لدن جمع القرآن بين الدفتين في عهد الصديق رضي الله عنه إلى زماننا أسقط في شيء من أوائل السور كتبة بسم الله الرحمن الرحيم، فكيف يجوز لعالم أن يتوهم عليهم أنهم كتبوا في المصاحف بين أضعاف القرآن في مائة وبضعة عشر موضعا ما ليس بقرآن بمثل القلم الذي كتبوا به القرآن، وبمثل ذلك السواد والخط ؟.

فمن تدبر ما وصفنا، وعلم موضع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم من دين الله والعلم و الفقه في الدين، وشدة خوفهم من خالقهم ، وورعهم علم واستيقن أنهم لم يكونوا يستحلون ولا يستجيزون لأنفسهم كتبة ما ليس بقرآن بين أضعاف القرآن بمثل خط القرآن، بمثل ذلك السواد، ومثل ذلك القلم ، ولم يميزوا بين كتبة القرآن ، وكتبة ما ليس بقرآن .

ثم قال: قال لي بعض من يحتجّ للعراقيين: أثبت قرآن باختلاف ؟.

فقلت مجيباله: نعم، قد اختلف العلماء[2] في المعوذتين أهما من القرآن أم لا؟، وأنت مقر أنهما من القرآن مع اختلاف العلماء في ذلك ، فلو لم يثبت قرآن باختلاف، بأن كان مسطورا بين الدفتين لوجب أن تنفي المعوذتين من القرآن ، فبهت ولم يحر جوابا.

قال: فهذه إحدى الحجج، وهي أعلاها وأقواها وأثبتها أن بسم الله الرحمن الرحيم من كتاب الله في افتتاح كل سورة من القرآن.

ويقال لمخالفينا: خبرونا ما الحجة على بعض جهّال المعتزلة إن ادعى مدع

---

(١) في ت، ظ: ومكانته

(٢) إن كان يقصد بالعلماء عبد الله بن مسعود وحده فهذا فيه تسامح في العبارة وإلا فلم أقف على قول غير قول ابن مسعود في إنكار أن تكون المعوذتان من القرآن .

منهم أن ما في القرآن مما هو خلاف مذهبهم ليس بقرآن، وقال جاهل منهم مثل مقالة صاحبهم عمرو بن عبيد : إن ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ لم تكن في اللوح المحفوظ ؟

فهل يمكن إقامة الحجة أنها قرآن بخبر عن النبي صلى الله عليه وسلّم ؟

وهل الحجة أنه قرآن إلا أنه مكتوب بين الدفتين ؟

أرأيت لو قالت الغالية من الرافضة: ما الدليل على أن ما تقرؤون في صلاتكم قرآن، فإن عندنا قرآنا مسنونا نظيره، إذا خرج المهدي ظهر العدل و الحق و الإنصاف ؟

فهل يمكن إقامة دليل فيما ينكر هؤلاء أنه قرآن إلا أن يقال: اتفق الجميع من العلماء أن ما كتب في المصاحف و الأجزاء والأسباع بالسواد قرآن ؟ فهذه إحدى الحجج.

الحجة الثانية: أن أهل الصلاة جميعا لم يختلفوا من الأسلاف والأخلاف أن بسم الله الرحمن الرحيم قرآن ووحي أنزله الله على النبي صلى الله عليه وسلّم في قوله ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [سورة النمل٣٠]

وإذا اتفق الجميع أن ذلك في موضع واحد قرآن ووحي كان ما هو مثل حروفه ونظمه[1] ، ولفظه مما هو مكتوب في أوائل السور كلها بمثل كتابته قرآن ووحي مثله، لا فرق، إذا كان قرآنا في موضع فهو قرآن في كل موضع كتب بين الدفتين.

ثم قال: وابن مسعود مع إنكاره أن تكون المعوذتان من القرآن لم ينكر أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن؛لأن في كراهته التعشير في المصحف ، وفي قوله: " جردوا القرآن ، ولا تلبسوا به ما ليس منه" دلالة واضحة على أن بسم الله الرحمن الرحيم لو لم تكن عنده في أوائل كل سورة من القرآن لما كتبت في أوائل السور.

ولم نسمع أحدا من العلماء ، ولا من الجهّال ذكر أن ابن مسعود لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم في أوائل السور.

وقد نظرت في المصحف الذي يذكر أنه مصحف ابن مسعود- وهو خلاف تأليف مصاحف الآفاق- فرأيت في أوائل كل سورة من ذلك المصحف مكتوبا

---

(١) في د، ق: حروف نظمه

بسم الله الرحمن الرحيم ، كما قد كتب في مصاحفنا ، فالعلم محيط عند من سمع قول ابن مسعود: "جردوا القرآن ، ولا تلبسوا به ما ليس منه" أن بسم الله الرحمن الرحيم في أوائل كل سورة من القرآن كان عنده من القرآن ؛إذ لو لم يكن عنده من القرآن لما لبس القرآن بغيره ، ولجرد القرآن، وجرد أصحابه الذين كانوا يرونه قدوة، لا يرون مخالفته واتباع غيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم .

ومحال أن يكره عالم التعشير في المصحف كراهية أن يكون قد ألحق بالقرآن ما ليس منه، ثم يكتب ما ليس بقرآن في مائة موضع، وأكثر من عشرة مواضع حروفا منظومة.هذا ما لا أظنّه يخفى على عاقل[1].

قوله: (والباء متعلقة)

الشريف: الأدوات التي تفضي معاني الأفعال إلى ما بعدها فروع لها ومتعلقة بها، وكذلك المعمول من حيث هو معمول فرع على عامله ومتعلق به ، فلذلك قال:"متعلقة "

وتراهم يقولون: أحوال مُتَعَلِّقاتِ الفعل بكسر اللام.

وإذا نظر إلى جانب المعنى قيل: تعلق الفعل بكذا ، إما بنفسه أو بواسطة حرف[2].

قال: ثم إنه تارة يذكر تعلق الجار وحده ، وتارة تعلق المجرور وحده، وتارة مجموع الجار و المجرور؛ وذلك لأن الجار أداة لإفضاء معنى الفعل ، والمجرور معمول بواسطة الجار، فكل واحد منهما متعلق به ، فكذا المجموع[3].

وقال شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي في " شرح القواعد" له: فإن قلت: الجار له تعلق بمعنى الفعل، والمجرور له تعلق به، فما الفرق بينهما ؟

قلت: تعلق الجار من جهة الإفضاء ، وتعلق المجرور من جهة المعمولية، فمعلوم أن محلّ الإعراب إنما يتصور في الجهة الثانية فقط[4] .

قوله : (بمحذوف)

قال شيخنا العلامة الكافيجي: هذا المحذوف ثابت لغة ، ساقط لفظا وذكرا ،

---

(١) نقله أبو شامة في كتاب البسملة ٢١-٢٤

(٢) حاشية الشريف ١/ ٢٦

(٣) لم أجده في حاشية الشريف

(٤) شرح قواعد الإعراب ٣٣

وإلا فلا يكون الحذف من الأبحاث المتعلقة باللغة[1].

قوله : (تقديره بسم الله أقرأ)

تابع فيه " الكشاف[2]" ، وقد ظن قوم أن الزمخشري تفرد به، وأنه خالف فيه طائفتي البصريين والكوفيين معا.

وليس كما ظنوه، فقد سبقه إلى ذلك إمام المفسرين ابن جرير[3].

قال الإمام ناصر الدين ابن المنير في " الانتصاف": الذي يقدره النحاة -وهو أبتدئ -هو المختار؛لوجوه :

منها: أن فعل الابتداء يصح تقديره في كل تسمية ابتدئ بها فعل من الأفعال، بخلاف فعل القراءة ، والعام لعموم صحة تقديره أولى، ألا تراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا، أو صفة ، أو صلة ، أو حالا بالكون والاستقرار حيثما وقع، ويؤثرونه لعموم صحة تقديره.

ومنها: أن تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض المقصود من التسمية ، فإن الغرض منها أن تقع مبتدأ، فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل، وأنت إذا قدرت "أقرأ "قدرت "أبدأ بالقراءة" لأن الواقع في أثناء القراءة قراءة أيضا ، و البسملة غير مشروعة فيها.

ومنها: ظهور فعل الابتداء في قوله صلى الله عليه وسلّم:((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أقطع [4])) .

وأما ظهور فعل القراءة في قوله تعالى:﴿ اقرأ باسم ربك﴾ فإنما ظهر ثم ؛لأن الأهمّ هو القراءة، غير منظور فيه إلى ابتدائها، ولهذا قدم الفعل فيها على متعلقه؛لأنه الأهمّ ، ولا كذلك في التسمية ، فإن الفعل المقدر كائنا ما كان يقع بعدها ، إذ لو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء ، فدل على أنه الأهمّ ، فوجب تقديره[5] .

(١) المصدر السابق ٣٤

(٢) الكشاف ١/ ٢٦

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن ١/ ١١٥

(٤) سياتي تخريجه

(٥) الانتصاف ١/ ٢٨

وأجاب الإمام علم الدين العراقي في" الإنصاف" بأن قال: ما ذكره الزمخشري أصح؛لأنه أمسّ وأخص بالمقصود ، وأتم شمولا؛فإنه يقتضي أن القراءة واقعة بكمالها مقرونة بالتسمية، مصاحبة لها، أو أن القراءة كلها بالله تعالى على اختلاف المذهبين الآتي ذكرهما، بخلاف تقدير أبدأ ؛فإنه يقتضي مصاحبتها بأول القراءة دون باقيها ، أو أن ابتداء قراءته بالله تعالى غير متعرض إلى تمامها.

وأما استشهاده بتقدير النحاة الكون والاستقرار فليس بجيد؛فإنهم إنما فعلوه تقريبا وتمثيلا.

ولو قلت: زيد على الفرس، أو زيد من العلماء، أو زيد في حاجتك ، أو زيد في البصرة، لقدرت : راكب، ومعدود، ومهتم ، ومقيم، وكان أمسّ من الاستقرار، فقد استبان لك أن تمثيل النحاة بالكون والاستقرار إنما هو حيث لا يقصدون عاملا بعينه، بل يريدون الكلام على العامل من حيث هو عامل، كتمثيلهم بزيد وعمرو ، لا لخصوصيتهما، بل ليقع الكلام على مثال، فيكون أقرب إلى الفهم ، ثم لا يقال: الفاعل إذا أبهم يقدر بزيد وعمرو.

وأما ما ذكره ثانيا من أن فعل البداية مستقل بالغرض لا نسلمه، فالقراءة أمسّ وأشمل كما سبق .

وقوله: الغرض أن تقع التسمية مبتدأ فنقول بموجبه، وأن ذلك يقع بالبداية بها فعلا ، لا بإضمار الابتداء ولا بنيته، فإن ذلك يحصل بالبداية بالتسمية، غير مفتقر إلى شيء ، فإن من صلى فبدأ بتكبيرة الإحرام ، أو توضأ فبدأ بغسل وجهه لا يحتاج في كونه بادئا بذلك إلى إضمار بدأت ، لكنه مفتقر إلى بركة التسمية وشمولها لجميع فعله.

وأما ما ذكره ثالثا من ظهور فعل البداية في الحديث فجوابه : أن كون التيسمية مبتدأ بها حاصل بالفعل ، لا بإضمار فعلها ، ولم يقل في الحديث: كل أمر ذي بال لم يقل أبدأ ، ولم يضمر فيه ، بل طلب وقوعها فعلا.

فإن قلت: الباء في بسم الله في الحديث متعلق بيبدأ بلا خلاف، وهذا وجه الدليل

قلت: لا تغفل عما قررته، فإن الحديث فيه حث على البداية ، وأما امتثال ذلك فهو بنفس البداية، لا بلفظها ، وأما شمول بركة التسمية فذلك بالله ، لا بفعلنا[1] . انتهى.

---

(١) الإنصاف ل١

وقد أورد ذلك الطيبي[1]، ولم يزد عليه، والشريف ، وزاد:

قال الفاضل اليمني[2] -تقوية للمجيب-: النحويون يقدرون في الظرف المستقر فعلا عاما إذا لم توجد قرينة الخصوص، وأما إذا وجدت فلا بد من تقديره؛لأنه أكثر فائدة[3].

قال الشريف: وأقول: تحقيقه أن هذا القسم من الظرف إنما سمي مُسْتَقَرًّا،؛لأنه استقر فيه عامله ، وفهم منه، فإن لم يفهم منه سوى الأفعال العامة كان المقدر منها، وإن فهم منه معها شيء من خصوص الأفعال كان المقدر بحسب المعنى فعلا خاصا كما في الأمثلة السابقة، وذلك لا يخرجها عن كونها ظرفا مستقرا؛لأن معنى ذلك الفعل الخاص استقر فيها أيضا ، وجاز تقدير الفعل العام لتوجيه الإعراب فقط.

ولما كان تقدير الأفعال العامة ضابطا مطردا اعتبره النحاة ، وفسروا المستقرَّ بما عامله محذوف وعام.

هذا .وقد يتوهم من قول "الكشاف" فيما بعد : "فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء[4]" أن المقدر هو أبتدئ ، فكأنه جوز كل واحد من التقديرين. انتهى[5].

وهذا الكلام الأخير سبقه إليه الشيخ سعد الدين فإنه قال: فإن قيل: ينبغي أن يقدر بسم الله أبتدئ، لأن المفهوم من الحديث وجوب الابتداء بها، ولأن الابتداء لعمومه أولى بالتقدير، كما يقدر في الظرف المستقر الحصول و الكون.

قلنا: آثر ذلك لما فيه من الدلالة على تلبس الفعل كله بسم الله ، بخلاف تقدير أبتدئ، ولأن المذكور عند عدم الحذف هو القراءة ، دون الابتداء بها، كما في قوله

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٧٣

(٢) هو يحيى بن القاسم بن عمر عز الدين الصنعاني ، برع في علوم كثيرة ، وأكثر الاشتغال بالكشاف ، له درر الأصداف في حل عقد الكشاف ، وتحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢/ ٨٥٧ وكشف الظنون ٢/ ١٤٨٠

(٣) تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف ل٦ نسخة مصورة بمركز البحوث العلمية برقم ٩٦١التفسير

(٤) الكشاف ١/ ٢٩

(٥) حاشية الشريف ١/ ٢٨

تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك﴾ والنحويون إنما يقدرون متعلق الظرف المستقر عاما إذا لم توجد قرينة الخصوص.

هذا. ولكن قوله بعد ذلك: فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص الله بالابتداء"يشعر بأن المقدر أبتدئ، فكأنه أشار في الموضعين إلى استواء الأمرين[1].

وقال الشريف بعد ذلك: فإن قلت: قوله : اختصاص اسم الله بالابتداء" يدل على أن المقدر أبتدئ [2].

قلت: أراد بالابتداء الفعل الذي يبتدئ به ويشرع فيه كالقراءة ونحوها، لا مفهومه الحقيقي، ولذلك قال عقبه: وتأخير الفعل، ولم يقل: وتأخير الابتداء.

وقال شيخنا العلامة الكافيجي: ما ذهب إليه صاحب "الكشاف" هاهنا هو المختار؛فإن فيه قلة الحذف، ورعاية حق خصوصية المقام، ودلالة على اختصاص القراءة ببسم الله، وتعليما للمؤمنين بأن طريقهم هو الحق والصواب، وتعريضا للكفار بأن سبيلهم هو الخطأ و الطغيان، فمعلوم أن هذه الاعتبارات تناسب نظم القرآن، وتشهد بفصاحته ، وغاية إعجازه .

وأما ما ذهب إليه البصريون والكوفيون فهو خال عما ذكر، بل غاية جل أمره بيان المتعلق من غير رعاية المقام، وأنت خبير بأن التقدير مهما كان أوجز كان أولى، لاسيما مع تلك الدقائق اللطيفة.

فإن قلت :تقدير أبتدئ يلائم مفتتح الكتاب[3] ، ويناسب منطوق الحديث.

قلت: نعم، لكن رعاية مقتضى المقام أمر راجح ، وشاهد يكشف أسرار بلاغة نظم القرآن[4]،[5].

وقال شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في " الكشاف": وأما كون الفعل مضارعا فقدره الطبري[6]، ويعزى إلىالزجاج[7]، ....

---

(١) حاشية سعد الدين ل٨

(٢) حاشية الشريف ١/ ٢٩

(٣) كذا في النسخ ، وفي شرح قواعد الإعراب : الكلام

(٤) في ظ : النظم القرآني.

(٥) شرح قواعد الإعراب ٣٤

(٦) جامع البيان ١/ ١١٥

(٧) لكن الذي في معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٩ تقدير المتعلق فعلا ماضيا حيث قال : الجالب للباء =

وخالف فيه قوم منهم الفراء[1] وقالوا: المقدر فعل أمر؛لأن الله تعالى قدم التسمية حثا للعباد على فعل ذلك في القراءة وغيرها، فيكون التقدير ابتدئوا واقرأوا.

واحتج الطبري للأول بأثر عن ابن عباس فقال: مفهوم أنه أريد بذلك أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك قوله: بسم الله عند نهوضه للقيام ، أو عند قعوده وسائر أفعاله تنبئ عن معنى مراده بقوله: بسم الله ، وأنه أراد أقوم بسم الله، وأقعد بسم الله، وكذلك سائر الأفعال.

وهذا الذي قلناه في تأويل ذلك هو معنى قول ابن عباس الذي :

حدثنا به أبو كريب[2] قال: حدثنا عثمان بن سعيد[3] ، حدثنا بشر بن عمارة[4]، حدثنا أبو روق[5] ، عن الضحاك[6]، عن ابن عباس قال: ((إن أول ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلّم بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول: اقرأ بذكر الله ، وقم واقعد بذكر الله)) [7] وما ذكره الطبري و الفراء [8] أرجح .

وقد استأنس بعضهم لتقديره فعلا خاصا ماضيا مؤخرا بقوله صلى الله عليه وسلّم«باسمك ربي وضعت جنبي » [9] انتهى.

معني الابتداء ، كانك قلت : بدأت بسم الله الرحمن الرحيم ، إلا أنه لم يحتج لذكر بدأت ، لأن الحال تنبئ أنك مبتدئ .

(١) لم يتعرض لمتعلق الباء في كتابه معاني القرآن ، فلعله ذكره في غيره من كتبه .

(٢) هو محمد بن العلاء بن كريب أبو كريب الهمداني، روى عن عثمان بن سعيد الزيات، روى عنه أبو جعفر الطبري. ثقة . تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٤٣ وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عمار الكوفي الزيات ، روى عن بشر بن عمارة ، روى عنه أبو كريب محمد بن العلاء ، لابأس به . تهذيب الكمال ١٩/ ٣٧٩ وتهذيب التهذيب ٧/ ١١٩

(٤) هو بشر بن عمارة الخثعمي ، روى عن أبي روق عطية بن الحارث، روى عنه عثمان بن سعيد الزيات ، ضعيف . تهذيب الكمال ٤/ ١٣٧ وتهذيب التهذيب ١/ ٤٥٥

(٥) هو عطية بن الحارث أبو روق الهمداني ، روى عن الضحاك بن مزاحم ، روى عنه بشر بن عمارة ليس به بأس ، تهذيب الكمال ٢٠/ ١٤٤

(٦) هو الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الهلالي ، روي عن عبد الله بن عباس ، و روى عنه أبو روق ، ثقة مأمون . تهذيب الكمال ١٣/ ٢٩١ و تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٣

(٧) رواه الطبري في جامع البيان ١/ ١١٥ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٤٦

(٨) جامع البيان ١/ ١١٥ ومعاني القرآن ١/ ٢

(٩) رواه أحمد ١٥/ ٢٨٢ والبخاري في ٥/ ٢٣٢٩ ح ٥٩٦١ ومسلم في ٤/ ٢٠٨٤ ح ٢٧١٤ و أبو داود في ٥/ ٣٧٢ح ٥٠١١ والترمذي في ٥/ ٤٠٦ ح ٣٤٠١ والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٢٩١ ح ١٠٥٥ وابن ماجة في ٤/ ٣١ح ٣٩٤٣ من حديث أبي هريرة

قلت: يشير بذلك إلى عبارة الشيخ جمال الدين ابن هشام، فإنه قال في " المغني":

تنبيه: عبارة "الكشاف": "تقديره باسم الله أقرأ، أو أتلو" [١].

قال الشريف : وهو تنبيه على أن المعتبر خصوص المعنى ، لا اللفظ [٢]. انتهى.

وقد أسقط المصنف قوله: "أو أتلو" ففاتته هذه الفائدة.

قوله : (لأن الذي يتلوه مقروء)

قال الطيبي: هذا تعليل لتعيين المقدر؛لأن حروف الجر وإن لم تنفك عن متعلق لأن وضعها لإفضاء معاني الأفعال إلى الأسماء ، غير أنها تدل على مطلق الفعل، ولابد في تخصيصه من قرينة، وفيما نحن فيه القرينة ما يتبع التسمية، وهو قوله﴿ الحمد لله﴾ وهو مقروء ومتلوّ ، فدلّ ذلك على أن المضمر أقرأ، أو أتلو .

وقال : وكان الأنسب أن يقال: الذي يتلو التسمية القراءة ؛لأن الابتداء بالتسمية إنما يكون في الفعل الذي يريد أن يفعله المسمِّي ، يدل عليه قوله: "كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له"و المضمر الفعل لا المفعول، كما أن تسمية الذابح إنما يتلوها الذبح لا المذبوح[٣].

قال الشيخ أكمل الدين: والجواب أن القراءة علة المقروء ، ولا يحصل إلا بها، وهما في الوجود الخارجي معا، فيجوز أن يقال: إن كل واحد منهما يتلو التسمية، إذ المقصود - وهو بيان القرينة الخاصة - حاصل بذلك[٤] .

وبسطه الشريف فقال: أجيب بأن المقصود من تلو المقروء تلو القراءة ؛لاستلزامه إياه، وإنما ترك ذكره ودلّ عليه رعاية للمجانسة بين التالي والمتلو إذا أمكنت.

وبيانه أن المراد بالتسمية من هذه العبارة المخصوصة التي عدت آية ، لا

---

(١) ليست عبارة ابن هشام في المغني هكذا ، بل هكذا : يقدر (الزمخشري) الفعل مؤخرا و مناسبا لما جعلت التسمية مبتدأ له ، فيقدر باسم الله أقرا ، باسم الله أحل ، باسم الله أرتحل . المغني ٤٩٦

(٢) حاشية الشريف ١/ ٢٦

(٣) فتوح الغيب ١/ ٧١

(٤) حاشية أكمل الدين ل٨

المعنى المصدري، ويتلوها هاهنا شيآن:

أحدهما: من جنسها، ويتلو ذكره ذكرها، وهو المقروء، أعني ﴿ الحمد لله ﴾ مثلا.

والثاني: من غير جنسها ويتلو وجوده ذكرها ، وهو القراءة ، وتلو كل واحد منهما يستلزم تلو الآخر، فصرّح بتلو الأول ليفهم الثاني مع المحافظة على التجانس.

وإنما قلنا: "هاهنا" لأن تسمية الذابح مثلا لا يتلوها إلا الذبح ، فإنه يتبع وجودُه ذكرَها، وأما المذبوح فلا يتبع ذِكْرها، لا في الوجود، ولا في الذكر، فلا يستقيم أن يقال: الذي يتلو التسمية مذبوح[1].

ولخص الشيخ سعد الدين العبارة فقال: يعني أن حرف الجر يدلّ على أن له متعلقا، وليس بمذكور، فيكون محذوفا ، وقرينة تعيين المحذوف في بسم الله هو ما يتلوه ويتحقق بعده ، وهو هاهنا القرآن ؛لأن الذي يتلوه في الذكر مقروء مثل ﴿ الحمد لله ﴾ ، فيكون الفعل هو القراءة ، فلما كان للمتلو هاهنا تال من جنسه حسنت هذه العبارة ، بخلاف ما إذا قيل في تسمية الذابح: إن الذي يتلو التسمية مذبوح، فإنه لا يستقيم؛لأن التسمية لا تالي لها هاهنا إلا في الوجود ، وهو الذبح ، وفيما نحن فيه لها تال في الذكر، وهو المقروء، وفي الوجود وهو القراءة[2].

قوله: (وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له)

قال الشيخ أكمل الدين: قيل : وفي هذا الكلام تسامح؛لأن ما جعل التسمية مبدأ له هو فعله ، ولا يضمره، بل يضمر ما اشتق منه.

قال : ويمكن أن يجاب عنه بذلك الجواب بعينه[3] يعني الذي تقدم من قول الطيبي : إن الذي يتلو التسمية القراءة ، لا المقروء .

وقال الشيخ سعد الدين: لا خفاء في أن المضمر هو الفعل النحوي، و التسمية إنما جعلت مبدأ للفعل الحسي، ففي الكلام حذف مضاف ، أي لفظ ما جُعِل . وتابعه الشريف[4].

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٢٧

(٢) حاشية سعد الدين ل٨

(٣) حاشية أكمل الدين ل٨

(٤) حاشية سعد الدين ل٨ وحاشية الشريف ١/ ٢٧

قوله : (أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه)

أي لأنه يحوج إلى تقدير كائن، أو ثابت ، أو نحوه.

والبصريون قالوا: إن إضمار ابتدائي أولى، على أنه من باب حذف المبتدإ ، والمتعلّق به الجار، وهو كائن أو نحوه، ورجحوه بأن فيه بقاء أحد ركني الإسناد ، وبأن الأسماء أصل، وغيرها فرع، و الأصل أحق بالتقدير ، وبأن المحذوف يكون مفردا ، بخلاف تقدير الفعل فإنه يكون المحذوف جملة، وقلة الحذف أولى ، وبأن الاسم المقدر إما مضاف، وإما معرّف بلام التعريف فيفيد العموم ، بخلاف تقدير الفعل .

وما يقع في عبارات المعربين من أن البصريين يقولون:التقدير: ابتدائي بسم الله تعقب ظاهره؛فإنه يوهم أن ابتدائي متعلق الجار ، وليس كذلك، إذ يلزم أن يحتاج بعده إلى خبر ، وهو ثابت أو موجود ، وإنما البصريون يقولون: إن الجار في مثل هذا متعلق بكائن ، أو مستقر، والمبتدأ محذوف ، وهو ابتدائي، على ما تقدمت الإشارة إليه.

قوله: (وتقديم المعمول هاهنا أو قع)

قال البلقيني: وأما كون الفعل متأخرا فهو خلاف ما عليه الأكثرون من تقديره متقدما.

وقد استأنس بعضهم لتقديره فعلا ماضيا مؤخرا بقوله صلى الله عليه وسلّم : ((باسمك ربي وضعت جنبي))

وأما كون المتعلَّق به مقدما على الرحمن الرحيم فقضية البداية بالاسم وإفادة الاختصاص التي ادعاها أن يكون المقدر مؤخرا عن بسم الله الرحمن الرحيم بكمالها، لئلا يقع الفصل بين الموصوف و الصفة بما لم يتعين تقديره في هذا الموضع.

قال : ولم أر من تعرض لها.

وقال ابن المنير : لو قدرنا العامل متقدما لفات الغرض من كون التسمية مبدأ[1] .

وقال الشريف : هذا لا يختص بتسمية القارئ ، بل يتناول تسمية المسافر

(١) الإنصاف ١/ ٢٧

والذابح، وكل فاعل جعل التسمية مبدأ لفعله، فإنه يجعل فيه المقدر مؤخرا[1]،[2].

قوله: (كما في ﴿ بسم الله مجراها ومرساها ﴾) [سورة هود ٤٢]

قال الشيخ أكمل الدين : هذا على تقدير أن يكون ﴿باسم الله مجراها ومرساها﴾ -أي إرجاؤها وإرساؤها - جملة مقتضية من مبتدإ وخبر ، وأما إذا كان معمولَ ﴿ اركبوا﴾ فليس مما نحن فيه [3].

وتابعه الشيخ سعد الدين ، و الشريف[4].

قوله : (لأنه أهم)

قال الشيخ سعد الدين: يشير إلى ما ذكره الشيخ عبد القاهر من أنا لم نجدهم اعتمدوا في التقديم شيأ يجري مجرى الأصل غير العناية و الاهتمام إلا أنه لا يكفي أن يقال: قدم للاهتمام ، بل ينبغي أن تبيّن أنه لم كان أعنى به ، ولم كان أهمّ ، ثم إن بعض وجوه الاهتمام الاختصاص[5] .

قوله: (وأدل على الاختصاص)

الفرق بين الاهتمام والاختصاص أن الثاني يستدعي الرد على مدعي الشركة ، بخلاف الأول فإنه للتبرك ، لا للرد.

وقال الشيخ سعد الدين:معنى اختصاص اسم الله بالابتداء جعله من بين الأسامي منفردا بذلك .

قال: والظاهر أنه قصر إفراد[6] ؛لأن ابتداء المشركين باسم اللات والعزى كان لمجرد الاهتمام، دون الاختصاص ، فعلى الموحد قطع شركة الأصنام[7] .

وقال البلقيني: أما كون الابتداء بالمتعلّق أهمَّ فالمتعلق إنما هو الجار ، و

---

(١) في ح، د، ق: متأخرا

(٢) حاشية الشيريف ١/ ٢٩

(٣) حاشية أكمل الدين ل٨

(٤) حاشية سعد الدين ل٩ وحاشية الشريف ١/ ٣٠

(٥) كتاب دلائل الإعجاز ١٠٨ وحاشية سعد الدين ل٨

(٦) هو التخصيص بشيء دون شيء ، و يخاطب به من يعتقد شركة صفتين في موصوف واحد ، و شركة موصوفين في صفة واحدة ، فالمخاطب بقولنا : ما زيد إلا كاتب من يعتقد اتصافه بالشعر والكتابة ، و يسمى هذا قصر إفراد ؛ لقطع الشركة التي اعتقدها المخاطب .

شرح عقود الجمان ٤٣ و معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/ ٤٥٠

(٧) حاشية سعد الدين ل٨

الاسم إنما هو ذكر المجرور، وأما إفادة الاختصاص في ذلك فممنوع ، ولا يقوم على إفادة الاختصاص دليل من جهة اللفظ ، ولكن حال الموحد يقتضي ذلك ولو كان المتعلَّقُ به مقدما.

وقال الشريف: دلالة التقديم على الاختصاص بالفحوى وحكم الذوق[1].

وقال الشيخ أكمل الدين: اعلم أن صاحب "الكشاف" أشار إلى أن تقديم بسم الله للاهتمام ، ثم أعقبه بذكر الاختصاص، و الشارحون بنوا كلامهم على أن المراد بالاختصاص هو التخصيص ، فتكلموا في كونه قصر إفراد ، أو قصر قلب[2].

ولاشك أن كلا من الاهتمام والاختصاص ينفك عن معنى التخصيص ، فإن علماء المعاني يقولون:إن الحالة التي تقتضي تأخير المسند ما إذا كان ذكر المسند إليه أهم ، كقولك: زيد في الدار، وليس فيه فائدة التخصيص .

واتفقوا على أن قولهم : الجل للفرس يفيد الاختصاص ، ولا تخصيص فيه؛ لأنه ليس على الطرق المذكورة للقصر، ولانتفاء شرطه، وهو ردّ الخطإ إلى الصواب.

فإما أن يكون قد اصطلح على أن الاختصاص بمعنى الاهتمام ، ولا نزاع في جوازه فيكون كلام الشارحين في القصر في غير محله ، وفيما ليس مرادا ، وإما أن يكون قد اصطلح على أن الاختصاص بمعنى التخصيص، والاهتمام مراد فيهما، وهو ملبس وقصور في حفظ الأوضاع ، لا لنكتة [3].

قوله : (كيف وقد جعل آلة لها)

إشارة إلى أن الباء للاستعانة.

قال في" الكشاف": "لما اعتقد المؤمن أن فعله لا يجيء معتدا به في الشرع ، واقعا على السنة حتى يصدر بذكر الله، وإلا كان فعلاً كلا فعلٍ ، جعل فعله مفعولا باسم الله ، كما يفعل الكاتب بالقلم" .

قوله : (لقوله صلى الله عليه وسلّم :((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٣٠

(٢) هو التخصيص بشيء مكان شيء ، و يخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذي أثبته المتكلم ، فالمخاطب بقولنا : ما زيد إلا قائم من يعتقد اتصافه بالقعود دون القيام ، و بقولنا : ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن الشاعر عمرو لا زيد ، و يسمى هذا قصر قلب ؛ لقلبه ما عند المتكلم . شرح عقود الجمان ٤٣ و معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ٢/ ٤٥٠

(٣) حاشية أكمل الدين ل٨

أبتر ›› أخرجه الحافظ عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوِي[1] في كتاب "الأربعين" له قال: أخبرنا محمد بن حمزة بن محمد القرشي[2] قال: أخبرنا هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني[3] قال: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ[4] ، أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق[5] ، ومحمد بن عبد العزيز بن جعفر البرذعي[6] قالا : حدثنا أحمد بن محمد بن عمران[7] ، حدثنا محمد بن صالح البصري[8]، حدثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك[9]، أخبرنا يعقوب بن كعب الأنطاكي[10]، حدثنا مبشر بن

---

(١)هو عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الرهاوي الحنبلي ، كان عالما مأمونا صالحا، عمل "أربعي البلدان" المتباينة الأسانيد ولو احقها ومتعلقاتها ، فجاءت في مجلدين، دلت على حفظه ونبله، وله فيه أوهام، توفي سنة اثنتي عشرة وستمائة. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧١ وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٨٢.

(٢) هو محمد بن حمزة بن محمد أبو عبد الله ، يعرف بابن أبي الصقر، سمع من هبة الله ابن الأكفاني، وروى عنه عبد القادر الرهاوي، محدث ثقة مفيد، توفي سنة ثمانين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٠٩ والعبر ٤/ ٢٣٩.

(٣) هبة الله بن أحمد بن محمد أبو محمد، المعروف بابن الأكفاني ، سمع من أبي بكر الخطيب، كان ثقة ثبتا متيقظا، توفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٧٦ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٥.

(٤) سبقت ترجمته

(٥) لم أعرف عنه سوى أنه شيخ الخطيب البغدادي ، وأنه روى عنه عشرات المرات في كتبه ، منها تاريخ بغداد ١/ ٢٩٦، ٣١٧ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ ومنها الجامع لأخلاق الراوى ١/ ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٦) هو محمد بن عبد العزيز بن جعفر أبو الحسن البرذعي، المعروف بمكي، قال الخطيب: كتبت عنه، توفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . تاريخ بغداد ٢/ ٣٥٣ والأنساب ٢/ ١٤٤

(٧) هو أحمد بن محمد بن عمران أبو الحسن النهشلي البغدادي، روى عنه محمد بن عبد العزيز البرذعي، ومحمد بن علي بن مخلد الوراق، ليس بشي، توفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة. تاريخ بغداد ٥/ ٧٧ وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٥٥.

(٨) لم أعرف عنه سوى أنه ذكره الحافظ ابن حجر في نزهة الألباب في الألقاب تحت لقب فروجه ٢/ ٦٩.

(٩) هو عبيد بن عبد الواحد بن شريك أبو محمد البزار، روى عن يعقوب بن كعب الأنطاكي، صدوق ، توفي سنة ثمان وثمانين ومائتين . تاريخ بغداد ١١/ ٩٩ وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٨٥

(١٠) هو يعقوب بن كعب بن حامد أبو يوسف الأنطاكي، روى عنه عبيد بن عبد الواحد ، روى عن مبشر بن إسماعيل، ثقة ، رجل صالح، صاحب سنة . تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٥٨ و سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٤

إسماعيل[١] ، عن الأوزاعي [٢] ، عن الزهري[٣] ، عن أبي سلمة[٤] ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع)) إسناده حسن.

وقد أخرجه أبو داود، والنسائي ، وابن ماجه ، وأبو القاسم البغوي [٥]، وأبو سعيد ابن الأعرابي [٦] من طرق عن الأوزاعي، عن قرة بن عبد الرحمن بن حَيْوِيل[٧] عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة .

ولفظ ابن ماجه : ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع))

ولفظ ابن الأعرابي((بالحمد لله أقطع))

ولفظ البغوي ((بحمد الله))

---

(١) هو مبشر بن إسماعيل أبو إسماعيل الحلبي ، روى عن الأوزاعي، روى عنه يعقوب بن كعب ، كان ثقة مأمونا، توفي سنة مائتين. تهذيب الكمال ٢٧/ ١٩٠ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٠١

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام في زمانه في الحديث والفقه ، روى عن الزهري وقرة بن عبد الرحمن بن حيويل ، روى عنه مبشر بن إسماعيل ، توفي سنة سبع وخمسين ومائة . تهذيب الكمال ١٧ / ٣٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله أبو بكر القرشي الزهري المدني ، كان من أحفظ أهل زمانه ، و أحسنهم سياقا لمتون الأخبار ، وروي عن أبي سلمة ، روى عنه الأوزاعي ، توفي سنة أربع و عشرين ومائة . تهذيب الكمال ٢٦ / ٤١٩ و سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦

(٤) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري المدني ، كان ثقة فقيها كثير الحديث ، روى عن أبي هريرة ، روى عنه الزهري ، توفي سنة أربع و تسعين . تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧٠ و سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٧

(٥) هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أبو القاسم البغوي ، ثقة إمام من الأئمة ، حدث عنه مسلم و أبو داود و غيرهما ، توفي سنة سبع عشرة و ثلاثمائة ، وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين و شهرا واحدا . سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٤٠ و ميزان الاعتدال ٢/ ٤٩٢

(٦) هو أحمد بن محمد بن زياد أبو سعيد ابن الأعرابي البصري ، نزيل مكة و شيخ الحرم ، كان كبير الشأن بعيد الصيت عالي الإسناد ، خرج معجما كبير ، وحمل السنن عن أبي داود ، توفي سنة أربعين و ثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧ و لسان الميزان ١/ ٣٠٨

(٧) هو قرة بن عبد الرحمن بن حيويل أبو محمد المعافري المصري ، لا بأس به ، روى عن الزهري ، روى عنه الأوزاعي ، توفي سنة سبع و أربعين ومائة . تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٨١ و ميزان الاعتدال ٣/ ٣٨٨

ولفظ أبي داود والنسائي ((كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم [1])) .

---

(١) رواه أحمد ١٤/ ٣٢٩ من طريق ابن المبارك ، وأبو داود ٥/ ٢٨٩ ح٤٨٠٧ والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ١٨٤ والدارقطني ١/ ٢٢٩ من طريق الوليد بن مسلم وابن ماجه ٢/ ٣٢٤ ح١٩٢٤ وابن الأعرابي في كتاب المعجم ١/ ٢٠٦ والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٩٠ وكتاب الدعوات الكبير ١/ ٣ وأبو سعد السمعاني في كتاب أدب الإملاء والاستملاء ١/ ٢٨٣ والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٧٠ وفي كتاب الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٥٣ من طريق عبيد الله بن موسى ، وابن حبان (الإحسان ١/ ١٧٣ ١٧٤) من طريق عبد الحميد بن أبي العشرين ، وشعيب بن إسحاق ، وأبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث ١/ ٤٤٨ من طريق عبد الحميد بن أبي العشرين والدارقطني في السنن ١/ ٢٢٩ من طريق موسى بن أعين ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٢٠٨ من طريق أبي المغيرة كلهم (ابن المبارك ، والوليد ، وعبيد الله ، وعبد الحميد ، وشعيب ، وموسى ، وأبو المغيرة) عن الأوزاعي ، عن قرة بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً .

قال الدارقطني : تفرد به قرة عن الزهري ، عن أبي سلمة ، وأرسله غيره عن الزهري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرة ليس بقوي في الحديث .

وقال الخليلي : هذا حديث لم يروه عن الزهري إلا قرة ، وهذا ليس عند عقيل ، ولا غيره من المكثرين من أصحاب الزهري ، ورواه شيخ ضعيف ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، وهو إسماعيل بن أبي زياد الشامي صاحب التفسير .

ثم ساق بسنده إلى إسماعيل ، عن يونس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

ثم قال : وحديث الأوزاعي عن قرة مشهور ، رواه الكبار عن الأوزاعي : الوليد بن مسلم ، وأبو المغيرة ، وعبيد الله بن موسى ، وابن المبارك عن الأوزاعي ، والمعول عليه ، ولا يعتمد على رواية إسماعيل عن يونس . كتاب الإرشاد ١/ ٤٤٨ ٤٤٩ .

ورواه أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد ٣/ ٩٦٦ من طريق خارجة بن مصعب والخطيب في الجامع ٢/ ٦٩ ومن طريقه السمعاني في كتاب أدب الإملاء والاستملاء ١/ ٢٨٣ والرهاوي في أربعينه ولم أقف عليه سوى أجزاء منه في المكتبة الظاهرية ليس فيها الحديث ومن طريق الرهاوي ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ١/ ١٢ من طريق مبشر بن إسماعيل كلاهما عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً .

قال الخليلي : هذا لم يسمعه الأوزاعي عن الزهري ، وإنما سمعه من قرة بن عبد الرحمن ، هكذا رواه عن الأوزاعي : ابن المبارك ، وأبو المغيرة ، وابن أبي العشرين ، وعبيد الله بن موسى .

ورواه الطبراني في المعجم الكبير١٩/ ٧٢ من طريق صدقة بن عبد الله ، عن محمد بن الوليد الزبيدي ، عن الزهري ، عن عبد الله بن كعب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الدارقطني في السنن : ولا يصح الحديث ، وصدقة ضعيف .

ورواه النسائي في السنن الكبرى ٩/ ١٨٤ ١٨٥ من طريق سعيد بن عبد العزيز ، وعقيل ،

=

والبال الحال والشأن ، وأمر ذوبال ، أي شريف يحتفل به ويهتم ، و البال في غير هذا القلب ، وقيل : إنما قال : ((ذو بال)) لأنه من حيث أنه يشغل القلب كأنه مَلَكَهُ ، وكان صاحب بال .

قال الشريف: وشبه بذي قلب على الاستعارة المكنية.

قال : وفي هذا الوصف فائدتان: إحداهما رعاية تعظيم اسم الله بأن يبتدأ به في الأمور المعتد بها.

والأخرى : التيسير على الناس في محقرات الأمور(١) .

قال الشيخ سعد الدين: وليس معنى يبدأ فيه "بسم (٢)الله " أنه يجب أن يكون ابتداء الأمر اسما من أسماء الله ، بل أن يذكر اسم الله تعالى.

قال :وبهذا يندفع ما خطر ببعض الأذهان أن الابتداء بالتسمية ليس ابتداء بسم الله؛لأن اسمه هو لفظ "الله" لا لفظ "اسم"(٣)" .

وقال الشريف:تصدير الفعل "بسم الله" لا يكون إلا بذكر اسمه ويقع على وجهين:

أحدهما: أن يذكر اسم خاص من اسمائه كلفظ " الله" مثلا.

والثاني : أن يذكر لفظ دالّ على اسمه كما في التسمية فإن لفظ "اسم" مضافا إلى "الله" يراد به اسمه، فقد ذكر هاهنا أيضا اسمه، لكن لا بخصوصه ، بل بلفظ دال عليه مطلقا، فيستفاد أن التبرك أو الاستعانة بجميع أسمائه ، وأن الباء والاسم وسيلة إلى ذكره على وجه يؤذن بجعله مبدأ للفعل، فهي من تتمة ذكره على الوجه المطلوب، فاندفع ما يتوهم من أن الابتداء بالتسمية ليس ابتداء بسم الله؛لأن الباء

والحسن بن عمر عن الزهري مرسلاً .

قال أبو داود ٥/ ٢٨٩ رواه يونس ، وعقيل ، وشعيب ، وسعيد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً .

قال الدارقطني في العلل ٨/ ٣٠ والصحيح عن الزهري المرسل ، وقال في السنن : والمرسل هو الصواب .

(١) حاشية الشريف ١/ ٣٢

(٢) في ح: ببسم

(٣) حاشية سعد الدين ل٩

ولفظ "اسم" ليس شيء منهما اسما لله [١] .

وقال شيخنا العلاّمة محيي الدين الكافيجي: فإن قلت إن حديث الابتداء بالتسمية يعارض حديث الابتداء بالحمد[٢]، فإن الابتداء بأحدهما يفوّت الابتداء بالآخر.

قلت: يحمل حديث التسمية على ابتداء الكلام بحيث لا يسبقه أمر من الأمور، ويحمل حديث الحمد على ابتداء ماعدا التسمية.

فإن قلت: أرى كثيرا من الأمور يبتدأ فيها بسم الله مع أنه لا يتم، وأرى كثيرا بالعكس.

قلت: المراد من الحديث أن لا يكون معتبرا في الشرع، ألا ترى أن الأمر الذي ابتدئ فيه بغير اسم الله غير معتبر شرعا وإن كان تاما حسا[٣].

قوله:(وقيل : الباء للمصاحبة، والمعنى متبركا باسم الله أقرأ)

قال الطيبي: في هذا التعلُّق بحث؛لأن "أقرأ" حينئذٍ ليس بعامل في الجار والمجرور ، فهو إما أن يحمل على اللغوي، فإن للحال تعلقا بعاملها فسلك به طريق المشاكلة، أو على الإفضاء كما نص عليه في قوله تعالى ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما[٤]﴾ [سورة يونس ٢٧].

ونحوه قول ابن عقيل : لما كان المذكور معمولا لفعل القراءة صح أن يجعل مُتَعَلَّقاً به مجازا.

وقال الشيخ أكمل الدين: قوله : "على معنى متبركا باسم الله "يدلّ على أن الباء متعلّق بمحذوف ، وهو"متبركا" ، فإن متبركا ليس معنى المصاحبة، فليس مما نحن فيه[٥].

وقال الشيخ سعد الدين: يعني أن التقدير ملتبسا بسم الله، ليكون المقدر من الأفعال العامة، لكن المعنى بحسب القرينة على هذا، فلهذا يجعل الظرف مستقرا،

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٣١

(٢) هما حديث واحد، يروى تارة بلفظ البسملة ، وتارة بلفظ الحمدلة ، وسبق تخريجه

(٣) شرح قواعد الإعراب ٣٥

(٤) الكشاف ١/ ٣٢ وفتوح الغيب ١/ ٧٧

(٥) حاشية أكمل الدين ل٨

لا لغوا[1].

وقال البلقيني: قوله: "على معنى متبركا باسم الله" شاححه فيه صاحب الحاشية من جهة دلالته على أن الباء تتعلق بمحذوف وهو" متبركا" فإن التبرك ليس معنى الباء، وحيئنذ لا تكون الباء للملابسة.

و الأولى أن تقول: ملتبسا [2]بسم الله ، أي مع اسم الله.

قال البلقيني : ويقال- على ما في[3] الحاشية- قد جمعت بين الحرف والحرف ، وليس هذا بالأولى، بل الأولى أن يقال: على اسم الله أقرأ[4].

تنبيه: ظاهر صنيع المصنف اختيار الوجه الأوّل حيث جزم به، وحكى الثاني بقيل.

و الذي في "الكشاف" ترجيح الوجه الثاني، فإنه قال بعد ذكره: "وهذا أعرب وأحسن".

قال الطيبي: قوله : "أعرب" أي أفصح ، من قولهم: كلام عربي ، أي فصيح، وقيل: أبين، قيل: إنما كان أعرب وأحسن ؛لأن باء المصاحبة تقتضي الاستدامة في قصد المتكلّم ، فمعناه كل حرف مما أتكلّم به بعد التسمية أقدر فيه بسم الله ، ففيه تعميم الفعل مع التسمية، كما في قوله﴿ تنبت بالدهن﴾ [سورة المؤمنون ٢٠] أي تنبت ثمارها وفيها الدهن، ويناسبه ما روي في الحديث:((تسمية الله تعالى في قلب كل مسلم سمى أولم يسم[5]))

وقيل: إنّما كان أحسن؛لأن التبرك مؤذن برعاية حسن الأدب ، واسم الآلة بخلافه، وفيه نظر؛لأن القارئ في قوله تعالى﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إنما يطلب من الله المعونة و التوفيق على عبادته في جميع أفعاله ، ولا يلزم من كون الله معينا ما تصوّر في القلم، كأنه يقول: أقرأ باستظهاره ومكانته عند مسماه، و في الحقيقة الله المعين في كل حرف.

---

(١) حاشية سعد الدين ل٩

(٢) في ظ: متلبسا

(٣) في د: ويقال إن الحاشية

(٤) في ح، ظ: على معنى مع اسم الله ، وفي ت: على معنى مع بسم الله

(٥) لم أقف على تخريجه

وقال صاحب التقريب:إنما كان أحسن لتقدير الموجود حسا في الأول كالمعدوم.

لعلّ مراده منه قوله: "كان فعلا كلا فعل" وفيه نظر؛لأن جعل الموجود كالمعدوم بسبب الجري، لا على المقتضى من محسنات الكلام ولطيف إشاراته[1].

ومما يختص بهذا الموضع من النكتة هي أن شبه اسم الله تعالى -بناء على يقين المؤمن بما ورد من السنة والقطع بمقتضاها- بالأمر المحسوس ، وهو حصول الكتب بالقلم، وعدم حصوله بعدمه ، ثم أخرج مخرج الاستعارة على سبيل التبعية لوقوعها في الحرف.

وقيل: المراد أن بسم الله موجود في القراءة، فإذا جعلت الباء للاستعانة كان سبيله سبيل القلم ، فلا يكون مقروءا والحال أنه مقروء.

فيقال: إنا بينا ضعف التشبيه بالقلم، وقيل: إنما كان أعرب ؛لأن فيه الإيجاز والتوصلبتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى، وهذا أقرب.

وبيانه أن الحال لبيان هيئة الفاعل هنا، وقد ثبت بالدليل أن لابد لكل فعل يتقرّب به إلى الله تعالى من إعانة الله وتسديده ، فدلّ تقدير الحال على أمر زائد، فيكون أبين.

وينكشف هذا المعنى كشفا تاما في قولك: تنبت هذه الشجرة بالماء ، إذا أردت بالباء الصلة، كأن المعنى تنبت بواسطة الماء، وإذا أردت الحال رجع إلى أنها تنبت وهي ملتبسة بالماء، فأفاد أنها طرية ريًّا.

والتحقيق أن يقال- على تقدير الحال- :أقرأ وأنا متبرك باسم الله، ومتوسل بمكانته عند الله ؛لاستزادة التوفيق على إتمام ما شرعت فيه ، وقبول ما تقربت به إليه ، هذا كله يعطيه معنى التبرك المقدر لإرادة الحال.

وقال: البركة كثرة الخير وزيادته.

ولما كان مآل ذلك الوجه في الحقيقة إلى هذا ، وكان هذا أبين منه قال: أعرب وأحسن[2]. انتهى.

وقال الشيخ أكمل الدين: قوله: "أعرب" قيل: أفصح، وقيل: أبين، وقيل:

---

(١) في ظ : اشارته . وانظر في : التقريب في التفسير ل ٢

(٢) فتوح الغيب ١/ ٧٩

أدخل في لغة العرب ، وذُكِرَ لذلك أوجه:

قيل: لأن باء المصاحبة أكثر استعمالا من باء الاستعانة، وهذا يقتضي الاستقراء لأكثر كلامهم.

وقيل :لأن الاستعانة تستدعي جعل اسم الله المقصود بالتقديم آلة غير المقصود، وقيل: لأن المصاحبة معية، وفيها مصاحبة اسم الله من أول الفعل إلى آخره، بخلاف الاستعانة.

وقيل: لأن الاستعانة تقتضي جعل الموجود حسا كالمعدوم، وفيه تعسف.

قال الطيبي: على هذا الوجه يكون مجازا ، وهو أبلغ[١].

وقوله: "أحسن"، قيل: لأن فيه "متبركا"، وفيه رعاية الأدب، وفيه نظر؛لأن تقديره ضعيف، ولعلّ كلما يصح أن يذكر في وجه الأعربية يصح أن يذكر في الأحسنية.

وقال الشيخ سعد الدين : قوله : "أعرب" ، أي أفصح وأبين وأدخل في العربية "وأحسن "أي أوفق لمقتضى الحال؛لأن استعمال الباء في المصاحبة والملابسة أكثر من الاستعانة، ودلالتها على تلبس أجزاء الفعل بالتبرك أظهر، ولأن في التبرك باسم الله من التأدب ما ليس في جعله بمنزلة الآلة التي لا تكون مقصودة بالذات.

وأما الترجيح بأن جعل في الأوّل الموجود كالمعدوم -وهو تكلّف - فليس على ما ينبغي ؛لأن مثل ذلك يعد من المحسنات[٢].

وقال الشريف: أما كونه أعرب، أي أدخل في لغة العرب وأفصح وأبين فلأن باء المصاحبة والملابسة أكثر استعمالا من باء الاستعانة ، لاسيما في المعاني وما يجري مجراها من الأقوال.

وأما كونه أحسن ، أي أوفق لمقتضى المقام فلوجوه :

أحدها : أن التبرك باسم الله تعالى تأدب معه وتعظيم له ، بخلاف جعله آلة فإنها غير مفيدة له ، وغير مقصودة بذاتها .

الثاني : أن ابتداء المشركين بأسماء آلهتهم كان على وجه التبرك بها، فينبغي أن يردّ عليهم في ذلك.

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٨ وليس ما عزاه إلى الطيبي في فتوح الغيب

(٢) حاشية سعد الدين ل٩

الثالث : أن الباء إذا حملت على المصاحبة والمعية كانت أدلّ على ملابسة جميع أجزاء الفعل لاسم الله تعالى منها إذا حملت على الآلة.

الرابع : أن التبرك باسم الله تعالى معنى مكشوف يفهمه كل أحد ممن يبتدئ في أموره ، و التأويل المذكور في كونه آلة لا يهتدى إليه إلا بنظر دقيق .

الخامس : أن كون اسم الله آلة للفعل ليس إلا باعتبار أنه يتوسل إليه ببركته ، فقد رجع بالآخرة إلى التبرك، وليس في اعتباره زيادة معنى يعتد به.

وقد يقال: جعله آلة يشعر بأن له زيادة مدخل في الفعل ، ويشتمل على جعل الموجود- لفوات كماله- بمنزلة المعدوم، ومثله يعد من محسنات الكلام[1].

وقال شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي: معنى الباء هاهنا المصاحبة و الملابسة كما في قوله﴿ تنبت بالدهن﴾

ويجوز أن تكون للاستعانة كالباء في كتبت بالقلم، فالأوّل يناسب الدراية، والثاني يناسب الرواية، لكن الأوّل لما كان أظهر رجح على الثاني[2].

وقال البلقيني في "الكشاف" : قول "الكشاف" في المعنى الأوّل: "جعله مفعولا بسم الله كما يفعل الكتب بالقلم" يقال عليه: القراءة حاصلة وإن لم يسم، وأما الكتابة فلا تحصل إلا بالقلم فأين التسوية.

قال: وقد استؤنس للمعية والمصاحبة بقوله صلى الله عليه وسلّم :((بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم[3]))

وفيه نظر ، إذ المراد الخبر عن أنه لا يضرّ مع ذكر اسم الله شيء مخلوق.

ويقال- على هذا الوجه-: المصاحبة تستدعي أمرا حاصلا عندها، نحو جاءكم الرسول بالحق، أي مع الحق، والقراءة لم تحصل حينئذ فتعذرت حقيقة المصاحبة فيما نحن فيه.

قال: فإن قيل: فإذا كان كل من الوجهين عندك مخدوشا فهل من ثالث ؟

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٣٢

(٢) شرح قواعد الإعراب ٣٢

(٣) رواه أبواداود الطيالسي في المسند ١/ ٧٧ وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٤٤ وأحمد في المسند ١/ ٤٩٨ وأبوداود ٥/ ٣٩٢ ح ٥٠٤٧ والترمذي ٥/ ٣٩٧ ح٣٣٨٨ والنسائي في السنن الكبري ٩/ ١١ ح٩٧٥٩ وابن ماجه ٤/ ٢٧ ح٣٩٣٨ من حديث عثمان. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب

قلت: جوّز بعضهم أن تكون باء الإلصاق ، ويقال عليه: معنى الإلصاق يقع على وجهين:

أحدهما: أن لا يصل الفعل إلى المفعول إلا به كمررت بزيد، وهذا لا يتأتى هاهنا؛لأن الفعل يتوصل إليه هنا بنفسه تقول: أقرأ كذا.

والثاني: ما دخل على المفعول المنتصب بفعله ليفيد المباشرة، نحو أمسكت بزيد ، وهذا لا يتأتى هنا أيضا .

فإن قيل: فإذا كان كل من الأوجه الثلاثة عندك مخدوشا فهل من رابع؟

قلت: في فكري وجه رابع ، وعندي فيه وقفة سأبينها: وهو أن الباء هنا بمعنى "على"ويشهد له قوله تعالى﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ [سورة الأنعام ١١٩] ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [سورة الأنعام ١٢٢] ﴿ فاذكروا اسم الله عليها صوافّ﴾ [سورة الحج ٣٧] والمعنى على اسم الله أقرأ.

فإن قيل : إنما قال " على" في المواضع المذكورة من أجل فعل الذكر.

قلنا : فعل الذكر يتعدى إلى مفعوله الثاني مرة بعلى، ومرة باللام نحو ذكرته لزيد، فلما عداه ب"على" عرف أن المراد أن يكون الذبح على اسم الله تعالى، بأن يقول:بسم الله ، أي على اسم الله أذبح.

قال: فإن قيل: نقلتنا من حرف جر إلى حرف جر يحتاج أن يفسر معناه.

قلنا: ذهب بعض النحاة إلى أن "على" اسم، وليس بحرف، ولئن قلنا: إنها حرف كما هو المشهور فالمعنى على اسم الله أقرأ، وهذا من الاستعلاء الدالّ على التمكن نحو على الله توكلت، ونحو قوله﴿ أولئك على هدى من ربهم﴾ [سورة البقرة ٦] ونحو"أنا على عهدك ووعدك ما استطعت[1] " قال: ولم أر من تعرّض لذلك.

قال: ومن عجيب ما قيل في بسم الله الرحمن الرحيم: إنها قسم في أوّل كل سورة.

ذكره صاحب كتاب الغرائب والعجائب[2] . ...

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢٣٣٠ ح٥٩٦٤ والنسائي في المجتبى ٨/ ٢٧٩ ح ٥٥٢٢ وفي السنن الكبرى ٩/ ١٣ ح٩٧٦٣ من حديث شداد بن أوس

(٢) هو محمود بن حمزة بن نصر تاج القراء أبو القاسم الكرماني ، أحد العلماء النبلاء، صاحب التصانيف، صنف عجائب القرآن ، والبرهان في متشابه القرآن، كان في حدود الخمسمائة ومات بعدها. طبقات المفسرين ٢/ ٣١٢ وكشف الظنون ٢/ ١١٢٦

فعلى هذا تكون باء القسم[١]. انتهى.

و قال أبو الحسن ابن بابشاذ[٢] في شرح مقدمته: الباء من بسم الله الرحمن الرحيم معناها الإلصاق، وهو تارة إلصاق معنى شيء بشيء، وذلك الشيء يكون موجودا مثل تبركت بسم الله، وبدأت بسم الله، وفعلت بسم الله، ويكون تارة محذوفا في حكم الموجود مثل بسم الله الرحمن الرحيم؛لأن هذه الكلمة قد كثر استعمالها عند استفتاح الأذكار و الأفكار والأفعال والأعمال قولا وفعلا واعتقادا ، فأغنت دلالة الحال عن التلفظ بالأفعال، ولذلك تختلف تقدير الأفعال بحسب المقام، فإن ذكرت عند استفتاح قراءة ، فتقديره:أقرأ بسم الله، أو عند ابتداء أكل أوشرب أو ذبح، أو نحر فتقديره: آكل بسم الله، وأشرب وأذبح وأنحر، وكذلك حكمها أبدا مع كل فعل، فالباء ملصقة تلك المعاني بالاسم الذي بعدها[٣].

تذنيب: قال الرضي [٤] : إن الباء لا تكون بمعنى المصاحبة إلا مستقرا [٥].

قال شيخنا الإمام تقي الدين الشمني في حاشية المغني: والظاهر أنه لا منع من كونها لغوا[٦].

تنبيه: قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام [٧] في أماليه: إن قيل: إن كان المراد التبرك كيف يحسن ذلك في القرآن ؛لأن البسملة هي كلام الله في الله، و

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٢٩

(٢) هو طاهر بن أحمد بن بابشاذ أبو الحسن المصري ، أحد الأئمة في علوم العربية وفصاحة اللسان ، له المحسبة ، وشرح المحسبة، توفي سنة تسع وستين وأربعمائة. معجم الأدباء ٤/ ١٤٥٥ وبغية الوعاة ٢/ ١٦

(٣) شرح المقدمة المحسبة ٢/ ٤٧٨

(٤) هو محمد بن الحسن الرضي نجم الدين الاستراباذي صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذي لم يؤلف عليها – بل ولا في غالب كتب النحو – مثلها جمعا و تحقيقا وحسن تعليل ، و قد أكب الناس عليه ، توفي سنة أربع و ثمانين و ستمائة . بغية الوعاة ١/ ٥٦٧ و الأعلام ٦/ ٨٦

(٥) شرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٨٠

(٦) المصدر السابق ٤/ ٢٨٠ وحاشية تقي الدين الشمني على مغني اللبيب ل٥ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٨٨٠ النحو

(٧) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، لقبه شيخ الإسلام ابن دقيق العيد بسلطان العلماء ، صنف التفسير ، و القواعد الكبرى ، و القواعد الصغرى ، توفي سنة ستين و ستمائة . طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢٠٩ وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٠

القراءة هي كلام الله في الله، أو كلام الله في غير الله ، وأيا ما كان فيكون أشرف من البسملة، فكيف يبارك بالمشروف على الشريف ؟ .

فالجواب : أن البركة هاهنا معناها: أن يدفع عنه الشيطان الذي يوسوسه في القراءة حتى يحمل القرآن على غير محمله، أو يلهو عنه، لا أنها توجب للقراءة صفة كمال وشرف، بل ذلك عائد على القارئ[1].

قوله:(وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد)

هي عبارة "الكشاف[2] ".

قال الطيبي: قال الزمخشري: مثاله: ما إذا أمرك إنسان أ ن تكتب رسالة من جهته إلى غيره فإنك تكتب " كتبت هذه الأحرف" وإنما تفعل هذا على لسان آمرك.

الراغب: إن قيل: لم لم يقل: الحمد لي؟

قيل : لأن ذلك تعليم منه لعباده ، كأنه قال :قولوا: ﴿بسم الله﴾ و﴿الحمد لله﴾، وقيل: قولوا: غير مقدر؛لأن الله حمد نفسه ليقتدى به، أو لأن أرفع حمد ما كان من أرفع حامد ، وأعرفهم بالمحمود وأقدرهم على إيفاء حقه[3]؛ولهذا قال:((لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك[4]))

وقيل: كلما أثنى الله على نفسه فهو في الحقيقة إظهاره بفعله ، فحمده لنفسه هو بث آلائه، وإظهار نعمائه بمحكمات أفعاله، وعلى ذلك قوله تعالى﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [سورة آل عمران ١٨] فإن شهادته لنفسه إحداثه الكائنات دالّة على وحدانيته ، ناطقةً بالشهادة له.

قال ذو النون[5]: لما شهد الله لنفسه أنطق كل شيء بشهادته ﴿ وإن من شيء

---

(١) فوائد في مشكل القرآن ٣٨ قلت : وهذا الكلام ظاهر التكلف، واضح التمحل ، بين الفجاجة ، وذلك أن المفاضلة والمشارفة بين آي القرآن وسوره مرجعه التوقيف فحسب، فإذا ورد به الأثر فاضلنا بينها ، وإذا لم يرد بذلك الأثر لا يصح أن يقال هذه الآية أفضل من تلك ، لأن هذه تتحدث عن الله ، وعن غير الله ، وتلك تتحدث عن الله فحسب .

(٢) الكشاف ١/ ٣٢

(٣) مقدمة جامع التفسير ١٢٠

(٤) رواه مسلم ١/ ٣٥٢ ح ٢٢٢ وأبوداود ٢/ ١٠ ح٨٧٥ والترمذي ٥/ ٤٧٤ ح٣٤٩٣ والنسائي في المجتبى ١/ ١٠٢ ح١٦٩ وفي السنن الكبرى ٧/ ١٦٠ ح٧٧٠١ وابن ماجه ٤/ ١١ ح٣٩٠٩ من حديث عائشة

(٥) هو ثوبان بن إبراهيم ، وقيل: فيض بن أحمد ، وقيل : فيض بن إبراهيم أبو الفيض ، النوبي =

إلا يسبح بحمده[1]﴾ [سورة إسراء ٤٤]

تنبيه: قال البلقيني: قول صاحب "الكشاف": "هذا مقول على ألسنة العباد" دسّ فيه دسيسة الاعتزال من جهة القول بخلق القرآن.

قال :والجواب أنه سبحانه يحمد نفسه ويقسم باسمه وبصفته نحو قوله ﴿ فو رب السماء والأرض إنه لحق﴾ [سورة الذاريات ٢٤]وفي الصحيح: ((أنت كما أثنيت على نفسك)) وفي مسند الدارمي عن النبي صلى الله عليه وسلّم ((قرأ الله طه قبل أن يخلق السموات و الأرض بألف عام[2])) وظهر من ذلك الجواب . انتهى.

ولم ينبه أحد من أرباب الحواشي على أن في هذا دسيسة سواه، وهو غير واضح؛ولهذا لم يتجنبه المصنف.

قوله :(ومن حق الحروف المفردة أن تفتح)

الإخميمي، ذو النون المصري، كان عالما فصيحا حكيما، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين. وفيات الأعيان ١/ ٣١٥ وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢

(١) مقدمة جامع التفسير ١٢٠ وفتوح الغيب ١/ ٨٠

(٢) رواه الدارمي في المسند ٤/ ٢١٤٨ وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٤١٦ وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٤٠٢ والعقيلي في كتاب الضعفاء ١/ ٧٩ وابن حبان في كتاب المجروحين ١/ ١٠٥ والطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ١٣٣ وابن عدي في الكامل ١/ ٢١٨ واللا لكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٢٥١ والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٦٦ وابن الجوزي في كتاب الموضوعات ١/ ١٥٦ من طريق إبراهيم بن المنذر، عن إبراهيم بن مهاجر بن مسمار، عن عمر بن حفص بن ذكوان، عن مولى الحرقة ، عن أبي هريرة به .

قلت : حكم عليه ابن حبان وابن الجوزي والسيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ١٠ بالوضع . وقال ابن عدي : وإبراهيم بن مهاجر لم أجد له حديثا أنكر من حديث قرأ طه ويس .

وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٧١ هذا حديث غريب ، وفيه نكارة .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٢ فيه إبراهيم بن مهاجر بن مسمار ، وضعفه البخاري بهذا الحديث ، ووثقه ابن معين .

وقال الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة ١٥/ ٣٠٣ وزعم ابن حبان – وتبعه ابن الجوزي – أن هذا المتن موضوع ، وليس كما قالا ، والله أعلم ، فإن مولى الحرقة هو عبد الرحمن بن يعقوب من رجال مسلم ، والراوي عنه وإن كان متروكا عند الأكثر ، ضعيفا عند البعض فلم ينسب للوضع، والراوي عنه لا بأس به ، وإبراهيم بن المنذر من شيوخ البخاري.

قال الزجاج: أصل الحروف التي يتكلم بها وهي على حرف واحد الفتح أبدا إلا أن تجيء علة تزيله؛لأن الحرف الواحد لاحظ له في الإعراب، فيقع[1] مبتدأ في الكلام، ولا يبتدأ بساكن فاختير له الفتح؛لأنه أخفّ الحركات[2].

وعبارة غيره:لمّا بالغوا في تخفيفها بوضعها على حرف واحد ناسب ذلك بناؤها على الفتح؛لأنه أخفّ الحركات.

تنبيه: عبارة "الكشاف": "من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد[3]" .

وتعقبه البلقيني فقال: الحروف التي هي أحد أقسام الكلمة لا تكون إلا للمعاني، فقوله: "حروف المعاني" يوهم إثبات حروف ليست لمعان ، وليس ذلك بموجود في الحروف التي هي قسيمة الأسماء و الأفعال. انتهى.

فكأن المصنّف حذف هذه اللفظة لعدم الحاجة إليها، ولإزالة الإبهام.

قوله: (لاختصاصها بلزوم الحرفية والجرّ).

قال الطيبي:قيل: ينتقض بواو القسم، فإنها لازمة الحرفية والجر، وبنيت على الفتح.

وأجيب أن هذه الواو إنما تجرّ لنيابتها عن الفعل ، وعن هذه الباء، على ما صرّح به صاحب "الكشاف" في «والشمس» فأجريت على الأصل[4].

وقال الشيخ سعد الدين: كل من الحرفية والجرّ يناسب الكسر.

أما الحرفية فلأنها تقتضي عدم الحركة ، والكسر يناسب العدم لقلته؛ إذ لا يوجد في الفعل ولا في غير المنصرف من الأسماء ، ولا في الحروف إلا نادرا ك"جَيْرِ"

وأما الجر فللموافقة - أي لموافقة حركة الباء أثرها- كما أفصح به الشريف.

وهذا بخلاف كاف التشبيه فإنها لا تلزم الحرفية وإن لزمت الجرّ، وبخلاف الواو فإنها لا تلزم الجر وإن لزمت الحرفية، إذ قد تكون عاطفة.

---

(١) عبارة الزجاج: ولكن يقع

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤١

(٣) الكشاف ١/ ٣٢

(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٨ وفتوح الغيب ١/ ٨٢

ومن اعتذر بأن واو القسم لا تلزم الجرّ في نفسها؛لأنها إنما تجرّ لنيابتها عن الباء ، فقد اعتبر خصوصية القسمية ، وليس بلازم ، وحينئذ لا يحتاج إلى هذا الاعتذار في تاء القسم؛ لأنها بدون الخصوصية، لا تلزم الجرّ ولا الحرفية؛إذ قد تكون اسما كضمير الخطاب. ولا يخفى حينئذ أن الكاف أيضا لا تلزم الجر ما لم تعتبر خصوصية التشبيه . وكلام الزجاج : أن الباء إنما كسرت للفصل بين ما يجرّ وقد يكون اسما كالكاف، وبين ما يجر ولا يكون إلا حرفا كالباء[1] .

ويشبه أن يكون هذا مراد المصنف. انتهى كلام الشيخ سعد الدين[2] .

تنبيهان: الأوّل:المراد بلزوم الحرفية والجر- كما قال الشيخ سعد الدين و الشريف- كونها ملاصقة لهما غير منفكة عنهما، بمعنى أنها لا توجد بدونهما[3] .

وعبار الشريف: أي غير مفارقة لهما، بمعني أنها لا توجد بدونهما، يقال: لزم فلان بيته إذا لم يفارقه، ولم يوجد في غيره، ومنه قولهم: أم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام .

الثاني: قال الشريف: لزوم الحرفية والجر قيل: هما وجهان، ونقض الأوّل بواو العطف وفائه اللازمين للحرفية ، والثاني بكاف التشبيه اللازمة للجرّ، وقيل: المجموع دليل واحد فاندفعا، وبقي النقض بواو القسم وتائه.

وأجيب بأن عملهما بنيابة الباء، وكأن الجرّ ليس أثرا لهما.

لا يقال: اعتبار الحرفية احترازا عن كاف التشبيه مستدرك ؛لأن الكاف إذا كانت

اسما لا تعمل جرا في المضاف إليه، إذ العامل فيه هو الحرف المقدر، على ما ذكره في المفصل[4] ؛لأنا نقول: احترز عنها دفعا للانتقاض بها على مذهب من جعل المضاف عاملا.

ومن الناس من دفع النقض بواو القسم وتائه بأن اعتبار خصوصيته ليس بلازم، فالواو وإن لزمت الحرفية لكن لا تلزم الجرّ ؛إذ قد تكون عاطفة ، و التاء لا تلزم شيئا منهما؛لأنها قد تكون اسما كضمير الخطاب ، فورد عليه أن الكاف أيضا لا

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤١

(٢) حاشية سعد الدين ل٩

(٣) المصدر السابق ل٩

(٤) المفصل في علم العربية ٨٢.

تعتبر فيها خصوصية التشبيه ، فلم تكن لازمة للجر أيضا كضمير المخاطب، فيلغو قيد لزوم الحرفية؛لأنه احتراز عن الكاف اتفاقا، فالتجأ إلى كلام الزجاج : أن الباء بنيت على الكسر فصلا بين ما تجرّ ، وقد تكون اسما كالكاف، وبين ما تجر ولا تكون إلا حرفا كالباء.

وقال : ويشبه أن يكون هذا مراد المصنف. وفيه بعد ؛لأن القوم اعتبروا خصوص المعاني فقالوا: كاف التشبيه إما حرف ، وإما اسم بمعنى مثل، ولم يلتفتوا إلى مجرّد صورة الكاف ، ولم يقولوا : إنها أيضا تكون ضميرا ، أو حرف خطاب[1].

وقول "الكشاف": " نحو كاف التشبيه ولام الابتداء[2]" إلى آخره يدلّ على خصوصيات المعاني ، وكيف لا وبذلك يظهر تعدد اللامين ، وكون أحدهما مفتوحة، و الأخرى مكسورة[3]. انتهى.

يشير بقوله: ومن الناس إلى الشيخ سعد الدين في كلامه السابق .

وقال مكي في إعرابه : كسرت الباء من بسم لتكون حركتها مشبهة لعملها، وقيل: كسرت ليفرق بين ما يخفض، ولا يكون إلا حرفا نحو الباء واللام ، وبين ما يخفض وقد يكون اسما نحو الكاف[4].

وهذا ما أشار إليه الشريف بقوله :قيل : وهما وجهان.

وقال الشيخ أكمل الدين- بعد إيراد النقض و الجواب- : والحق أن التعليلات الصرفية واقعية مستخرجة بعد الوقوع ، فلا تقبل النقض، وإنما هي أمور مناسبة لا بأس بذكرها للتدرب في أوضاع الصرف ، وأما ذكرها في مثل هذا الكتاب وإيراد النقض عليها فليس بمناسب ، و الاعتماد على التوقيف[5] .

قوله :(ولام الإضافة)

قال الزمخشري:" حروف الجر كلها تسمى حروف الإضافة ؛لأنها تضيف

---

(١) حاشية سعد الدين ل٩

(٢) الكشاف ١/ ٣٣

(٣) حاشية الشريف ١/ ٣٣

(٤) كتاب مشكل إعراب القرآن ١/ ٥

(٥) حاشية أكمل الدين ل٩

معاني الأفعال إلى الأسماء[1]".

قوله: (داخلة على المظهر) بخلاف ما إذا دخلت على المضمر فإنها لا تكسر؛لعدم الإلباس؛لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على المضمر المرفوع المتصل.

قوله : (والاسم عند البصريين من الأسماء التي حذفت أعجازها)

زاد في " الكشاف":وصف الأسماء بالعشرة[2]

قال الطيبي: وهي ابن، وابنة، وابنم-بمعنى ابن- واسم ، واست، واثنان، واثنتان، وامرؤ وامرأة، وأيمن الله .

قال: وأما أيم الله فمحذوف فيها نون أيمن[3]

وقال الشيخ سعد الدين: كأنه لم يعتد بأيم الله ؛لأنه منقوص أيمنٌ ، و اعتد بابنم مع أنه مزيد ابن؛لأن الزيادة توجب تعدد الصيغة كضارب من ضرب، بخلاف الحذف كدم في دموٌ، ولا يخفى ضعفه[4].

وقال الشيخ أكمل الدين: عدها في " الكشاف" عشرة ، وفي " المفصل" جعلها أحد عشر، بزيادة أيم الله، قيل: وهو الصواب[5].

وقال الشريف: عدها في " الكشاف" عشرة ، وفي "المفصل": جعلها أحد عشر، فإما أن لا يعتد بأيم الله؛لأنه منقوص أيمن، وإما أن لا يعتد بابنم؛لأنه مزيد ابن، والأوّل أولى؛لأن المنقوص قد يوزن بوزن أصله ، فيقال: أيم أفعل، كأيمن، فكأنه هو، بخلاف المزيد ؛إذ لا يوزن ابنم بوزن ابن أصلا[6]

قوله: (وبنيت أوائلها على السكون)

قال الشيخ أكمل الدين: غير معلل بشيء؛لأن أوائل هذه الأسماء وغيرها من حروف المباني، وحقها السكون، فيحتاج غيرها إلى بيان ما ترك الأصل لأجله ، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح، وما فيه مرجح ، فالاعتماد على التوقيف[7].

---

(١) المفصل في علم العربية ٢٨٣

(٢) الكشاف ١/ ٣٣

(٣) فتوح الغيب ١/ ٨٢

(٤) حاشية سعد الدين ل٩

(٥) الكشاف ١/ ٣٣ والمفصل ٣٥٥ وحاشية أكمل الدين ل٩

(٦) حاشية الشريف ١/ ٣٣

(٧) حاشية اكمل الدين ل٩

وقال الشريف: أي بنوها كذلك تحقيقا واستعمالا وإن كان يعتبر تحرّك أوائلها تقديرا وقياسا، كما قال: أصله سمو، كما يقال: أصل ابن بنوٌ.

ولعلّ الحكمة في وضعها كذلك التفنن في الوضع ، وتطلب الخفة فيها؛لكثرة استعمالها في الدرج[1] .

وقال البلقيني في" الكشاف": ما جزم به من بناء أول الاسم على السكون هو طريقة بعض البصريين، وذهب كثير منهم إلى أنهم أدخلوا الهمزة على المتحرك، ثم سكنوا السين تخفيفا.

قال: ويزاد في العدة إيمن بكسر الهمزة، فإنها ليست جمعا بلا خلاف ، و الهمزة فيه همزة وصل بلا خلاف .

قال: وإذا عددت ما فيها من اللغات مع همزة الوصل كثر العدد .

قوله: (وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل)

قال الشريف: وجه خصوصيتها لينجبر بقوتها، وكونها من أقصى المخارج[2].

قوله : (لأن من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك، ويقفوا على الساكن)

قال الطيبي: هذا يشعر أن الابتداء بالساكن ممكن ، وموجود في اللغة ، لكنه مستكره ، وبه صرّح صاحب "المفتاح" في الصرف قال : دعوى امتناع الابتداء بالساكن فيما سوى حروف المد و اللين ممنوعة، اللهم إلاّ إذا حكيت عن لسانك ، لكن ذلك غير مجد عليك[3].

وقال الشريف: التعليل بذلك دون الامتناع إشارة إلى جواز الابتداء بالساكن ، وهو الحق ، ومن قال بامتناعه لا يسمع منه إلا حكايته عن لسانه .

نعم يمتنع الابتداء بالمدات، إلا أن ذلك لذواتها ، لا لسكونها .

وإذا استقريت لغة العجم وجدت الابتداء بالساكن المدغم .

وقد يستدل على الجواز بأنه لو لم يجز لكان التلفظ بالحرف موقوفا على التلفظ بالحركة فيدور ؛ لأن الحركة موقوفة على الحرف في التلفظ توقف العارض على المعروض .

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٣٣

(٢) حاشية الشريف ١/ ٣٣

(٣) مفتاح العلوم ٧٧ وفتوح الغيب ١/ ٨٣

ويجاب بأن امتناع الابتداء بالساكن يستلزم امتناع انفكاك الحركة عن الحرف المبتدإ به ، وأما توقفه على الحركة فلا ؛ لجواز أن تكون الحركة تابعة له ، غير منفكة عنه .

قال : واعلم أن الحركة والسكون بالمعنى المشهور مختصان بالأجسام ، وأن المراد بالحركة كونه بحيث يمكن أن يتلفظ بعده بإحدى المدات الثلاث، وبسكونه كونه بحيث لا يمكن فيه ذلك[1].

وقال الشيخ سعد الدين: التعليل بذلك مشعر بأنه ليس لامتناع الابتداء بالساكن ، اللهم إلاّ إذا حكيت عن لسانك. صرّح بذلك في صرف " المفتاح[2]".

وأما في المدات فالامتناع لذاتها، لا لسكونها، وإذا نظرت وجدت الابتداء بالساكن غير مرفوض في لغة العجم.

وقد يستدل على الإمكان بأنه لو امتنع لتوقف التلفظ بالحرف على التلفظ بالحركة ابتداء ضرورة تقدم الشرط على المشروط، لكن التلفظ بالحركة موقوف على التلفظ بالحرف ضرورة توقف وجود العارض على وجود المعروض.

وجوابه منع الشرطية ؛لجواز أن تكون الحركة لازما غير متقدم للحرف المبتدإ بها ، لا شرطا سابقا .

على أنك إذا تحققت معنى حركة الحرف لم يكن هناك عارض ومعروض[3].

وقال الشيخ أكمل الدين : في هذا التعليل إشعار بأن الابتداء بالساكن ممكن، وهو قول بعضهم، وذلك لأن نقيضه محال؛لأنه لو لم يمكن توقف التلفظ بالحرف في الابتداء على التلفظ بالحركة، والحركة عارضة للحرف، فيتوقف التلفظ بها على التلفظ بالحرف، وذلك دور.

فإن قيل : الحرف مع الحركة عند التلفظ ، فكان التوقف توقف معية ، ولا دور فيه .

أجيب بأنهما وإن كانا في الوجود عند التلفظ مقارنين، ولكن وجود المعروض بالذات سابق على العارض ، فكان توقف تقدم ، وهو الدور .

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٣٣

(٢) مفتاح العلوم ٧٧

(٣) حاشية سعد الدين ل١٠

وردّ بأن كلامنا في الحروف الملفوظ بها ابتداء ، لا في الحروف المعقولة ، وهما في التلفظ معا بلا خلاف .

وإذا ظهر هذا ثبت قول من يقول بالامتناع .

وهذا ظاهر للمتأمل في الحروف الملفوظ بها ابتداء [١]

وقال شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي: فإن قلت: الابتداء بالساكن ممتنع أو ممكن .

قلت : الحق هاهنا هو التفصيل، بأن يقال: إن كان السكون للساكن لازما لذاته فيمتنع كالألف ، وإلاّ فيمكن، لكنه لم يقع في كلامهم لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة [٢] .

وقال بعض أرباب الحواشي [٣] : من زعم امتناع الابتداء بالساكن يحتج بالاستقراء، وهو -وإن كان تاما- لا يدلّ إلا على عدم الوقوع، وعدم الوقوع لا يستلزم الامتناع.

وقال البلقيني في " الكشاف": ما استدل به من قال بإمكان الابتداء بالساكن قول غير صحيح، وممن حكاه ابن الخطيب في تفسيره[٤].

والصحيح القطع بأن ذلك لا يمكن، ومقابله غلط، ومكابرة للحس.

قلت: وممن صرح بأن الابتداء بالساكن غير ممكن صاحب[٥]" البسيط" في النحو، و الشلوبين[٦] ....

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٩

(٢) شرح قواعد الإعراب ٣٦

(٣) انظر في ص ٣٨٣ .

(٤) التفسير الكبير ١/ ١٠٦

(٥) هو محمد أبو عبد الله ضياء الدين ابن العلج- بكسر العين المهملة وسكون اللام ثم جيم - مؤلف كتاب البسيط في النحو، ذكره أثير الدين أبو حيان في شرح التسهيل ، ونقل عنه في كتاب البسيط كثيرا . قال: كان سكن اليمن وصنف بها . طبقات النحاة واللغويين لتقي الدين ابن قاضي شهبة ٢٩٨ وانظر مقال الكشف عن صاحب البسيط في النحو للدكتور حسن موسى الشاعر . مجلة الجامعة الإسلامية عدد ٧٧ ص ١٤٥-١٦٧

(٦) هوعمر بن محمد بن عمر أبو علي الاشبيلي الأزدي المعروف بالشلوبين ، كان إمام عصره في العربية ، صنف شرحين على الجزولية ، توفي سنة خمس وأربعين وستمائة.إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/ ٣٣٢ وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٤

في " شرح الجزولية[1] "، لكن ذكر ابن يعيش[2] خلافه فقال: في " شرح المفصل ": اعلم أن أصحابنا يقولون: إن الابتداء بالساكن لا يكون في كلام العرب ، وقد أحاله بعضهم ، ومنع من تصوره ، ولا شبهة في الإمكان، ألا ترى أنه يجوز الابتداء بالساكن إذا كان مُدْغَمًا ، نحو اثَّاقلتم في تثاقلتم.

ويؤيد ذلك وأنه من لغة العرب أنهم لم يخففوا الهمزة إذا وقعت أولا بأيّ حركة تحركت نحو أحمد وإبراهيم، ونحو قوله[3]:

أأن رأت رجلا أعشى ... ...

لأن في تخفيفها تضعيفا للصوت ، وتقريبا له من الساكن، فامتناعهم من تخفيف الهمزة مع إمكان تخفيفها والنطق بها دليل على أن ذلك من لغة العرب ، وذلك من قِبَلِ أن المبتدئ بالنطق مُستَجِمٌّ مستريح فيعظم صوته، والواقف تعب حسر يقف للاستراحة فيضعف صوته[4].

تنبيه: قال السهيلي[5]: قولهم حرف متحرك ، وتحركت الواو ، ونحو ذلك تساهل منهم، فإن الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حَيِّزٍ إلى حيز ، و الحرف جزء من الصوت، ومحال أن تقوم الحركة بالحرف ؛لأنه عرض، و الحركة لا تقوم بالعرض ، وإنما المتحرّك في الحقيقة هو العضو من الشفتين ، أو اللسان ، أو الحنك الذي يخرج منه الحرف، فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق، فيحدث من ذلك صوت خفي مقارن للحرف ، إن امتدّ كان واوا ، وإن قصر كان ضمة، والفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف ، وحدوث الصوت الخفي الذي يسمى فتحة، وكذا القول في الكسرة ، والسكون عبارة عن خلوّ

---

(١) شرح المقدمة الجزولية الكبير ٢/ ٤٦١

(٢) هو يعيش بن علي بن يعيش أبو البقاء المشهور بابن يعيش ، كان من كبار أئمة العربية ، ماهرا في النحو والتصريف صنف شرح المفصل ، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة . إنباه الرواة ٤/ ٤٥ وبغية الوعاة ٢/ ٣٥١

(٣) للأعشي ، انظر في : ديوان الأعشى ٩١

(٤) شرح المفصل ٣/ ٨٣

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أبو زيد السهيلى الأندلسى كان عالما بالعربية واللغة والقراءات ، بارعا في ذلك ، جامعا بين الرواية والدراية ، صنف الروض الأنف في شرح السيرة ، وشرح الجمل، توفي سنة إحدى وثمانين وخمسائة . الديباج المذهب ١/ ٤٨٠ وبغية الوعاة ٢/ ٨١

العضو من الحركات عند النطق بالحرف، ولا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك ، أي ينقطع ، فلذلك سمي جزما اعتبارا بانجزام الصوت، وهو انقطاعه ، وسكونا اعتبارا بالعضو الساكن ، فقولهم : فتح ، وضم ، وكسر هو من صفة العضو، وإذا سميت ذلك رفعا ونصبا وجرا وجزما فهي من صفة الصوت؛ لأنه يرتفع عند ضم الشفتين ، وينتصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما ، وينجزم عند سكونهما، وعبروا بهذه عن حركات الإعراب ؛لأنه لا يكون إلا بسبب، وهو العامل كما أن هذه إنما تكون بسبب، وهو حركة العضو ، وعن أحوال البناء بتلك؛لأنه لا يكون بسبب، أعني بعامل ، كما أن هذه الصفات تكون وجودها بغير آلة[1] .

قال ابن القيم: وعندي أن هذا ليس باستدراك على النحاة ، فإن الحرف وإن كان عرضا فقد يوصف بالحركة تبعا لحركة محله ، فإن الأعراض وإن لم تتحرّك بأنفسها فهي تتحرّك بحركة محالها، فاندفع الإشكال جملة[2].

قوله: (ويشهد له تصريفه على أسماءٍ ، وأسامي، وسُمَيٌّ، وسميت)

قال ابن الخباز[3] في" شرح الدرّة": يشهد لقول البصريين وجوهٌ:

الأوّل: أن جمع اسم أسماء، ولو كان من الوسم لقيل: أوسام.

الثاني: تصغيره سُمَيٌّ.

زاد ابن يعيش في " شرح المفصل": وأصله سُمَيْوٌ فقلبوا الواو ياء ، وأدغمت على حدّ سَيِّد ومَيِّت ، ولو كان من الوسم لقيل فيه: وُسَيْمٌ[4] .

الثالث : أنك تقول لمن يساويك في الاسم: هو سَمِيِّيْ، ولو كان من الوسم لقلت: وسِيْمِيْ .

الرابع : أنك تقول في تصريف الفعل منه : تسميت، وأسميت ، وسميت ، وتقول في المصدر: التسمية، ولو كان كما ذكروا لقيل: توسمت.

---

(١) نتائج الفكر في النحو ٨٣

(٢) بدائع الفوائد ١/ ٣٤

(٣) هو أحمد بن الحسين بن أحمد ابن الخباز الموصلي النحوي، كان علامة زمانه في النحو واللغة والفقه ، وله المصنفات المفيدة منها الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، وتوجيه اللمع، توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة. بغية الوعاة ١/ ٣٠٤ والأعلام ١/ ١١٧

(٤) شرح المفصل ١/ ٢٣

الخامس : أنه يقال في بعض لغاته: سُمًى كهدى، وأصله سُمَوٌ، فهذا من نظم السُمُوِ .

السادس: أن همزة الوصل في أوله لا تكون إلاّ لمحذوف اللام ، كابن واست.

السابع: أنه على مذهب البصريين يكون فيه حذف اللام ، وعلى مذهب الكوفيين يكون فيه حذف الفاء، و الأوّل أكثر .

الثامن : أن حذف الفاء يعوض منه أخيرا، بدليل عدة ، وزنة، ولا يعوض منه أوّلاً [(1)] .

قوله:(ومجيء سُمىً كهدى لغة فيه ، قال :

(وَاللهُ أسماكَ سُمًى مباركاً   آثـرَكَ اللهُ بـه إيثاركا)[(2)]

هذا الوجه ذكره ابن الأنباري في كتاب" الإنصاف" فقال :

الوجه الخامس : أنه قد جاء عن العرب أنهم قالوا في اسم: سُمىً على وزن عُلاً ، و الأصل فيه سموٌ إلاّ أنهم قلبوا الواو منه ألفاً ؛لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، فصار سمى، وأنشد البيت [(3)] .

قال ابن يعيش في " شرح المفصل" : ولا حجة في ذلك؛لاحتمال أن يكون على لغة من قال: سُم ، ونصبه ؛لأنه مفعول ثان.

قال: فإن صحت هذه اللغة من جهة أخرى فمجازها أنه تمم الاسم ، ولم يحذف منه شيئا، كما تمم الآخر غدا فقال :

... ...   إنَّ مَعَ اليومِ أخاهُ غَدْواً[(4)].

وقال الخطيب أبو زكريا التبريزي[(5)] في " شرح أبيات إصلاح المنطق" :

---

(١) شرح الدرة الألفية لابن الخباز ل٧ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١٢٤ النحو

(٢) يأتي تخريجه قريباً

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ١٥

(٤) شرح المفصل ١/ ٢٤ والبيت في أمالي ابن الشجري ٢/ ٢٣٠ بدون نسبة ، وقد خرجه محققه تخريجا لا مزيد عليه ، يوقف عليه في محله .

(٥) هو يحيى بن علي بن محمد أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي، كان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب، صنف شرح القصائد العشر ، وتهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت، توفي سنة اثنتين وخمسمائة . معجم الأدباء ٦/ ٢٨٢٣ وبغية الوعاة ٢/ ٣٣٨ وانظر في : تهذيب إصلاح المنطق ٣٣٣ – ٣٣٣٤ وشرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ٣٠٠

المبارك الذي يُتَيَمَّنُ به ويتفاءل، مثل غانم وسعيد. وآثرك: قدمك به واختارك. إيثارك: أي كإيثارك الغير على نفسك في العطاء و البذل.

قال : وأسماك له معنيان: يقال : أسميت الرجل إذا وضعت له اسما في مولده، وأسميته إذا دعوته بالاسم الموضوع له، والذي في البيت من الأول. انتهى.

وفي " شرح الجمل" لابن خروف[1]: أن هذا البيت لأبي خالد القنانِيُّ[2] من مذحج[3].

وقال العيني[4] في " شرح الشواهد الكبير[5] " : أسماك بمعنى سماك .وآثرك :أي بالتسمية الفاضلة كما آثرك بالفضل ، وقيل: إيثارك للمعالي و الذكر الحسن[6].

قوله: (والقلب بعيد غير مطرد)

قال ابن يعيش : إن ادعى القلب فليس ذلك بالسهل ، فلا يصار إليه وعنه مندوحة[7].

وقال السخاوي[8] في" شرح المفصل" : اعتقاد الكوفيين في الاسم أنه مقلوب

---

(١) هو علي بن محمد بن علي أبو الحسن ابن خروف الأندلسي، كان إماما في العربية محققا مدققا، صنف شرح سيبويه ، وشرح الجمل، توفي سنة تسع وستمائة . معجم الأدباء ٥/ ١٩٦٩ وبغية الوعاة ٢/ ٢٠٣

(٢) ذكره المبرد في الكامل ٣/ ١٠٨١ وقال : أبو خالد القناني ، وكان من قعد الخوارج .

(٣) شرح جمل الزجاجي ١/ ٢٤٤ والبيت في : إصلاح المنطق ١٣٤ وشرح الشواهد الكبرى ١/ ١٥٤ منسوبا إلى أبي خالد القناني ، انظر في تخريجه الموسع في حاشية أمالي ابن الشجري ٢/ ٢٨١

(٤) هو محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني ، كان إماما عالما عرفا بالعربية والتصريف وغيرهما، وله مصنفات كثيرة، منها شرح البخاري ، وشرح الشواهد الكبير والصغير ، وشرح معاني الآثار ، توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة . الضوء اللامع ١٠/ ١٣١ وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٥

(٥) في د، ق : الكبرى

(٦) كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ١/ ١٥٤

(٧) شرح المفصل ١/ ٢٣

(٨) هو علي بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن السخاوي الشافعي ، كان إماما في العربية ، بصيرا باللغة ، عالما بالقراءات ، له كتاب جمال القراء ، وشرح المفصل في أربع مجلدات ، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة . سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٢ وغاية النهاية ١/ ٥٦٨

من وسم إلى سمو فجعلت فاؤه لاما ، فوزنه على هذا "علف [1] ".

قوله: (واشتقاقه من السمو)

قال الكمال أبو البركات ابن الأنباري في كتاب" الإنصاف في مسائل الخلاف": والأصل فيه على هذا سِمْوٌ، على وزن فعل بكسر الفاء وسكون العين فحذفت اللام التي هي الواو، وجعلت الهمزة عوضا عنها، ووزنه" افعٌ" بحذف اللام منه[2].

وقال السخاوي في " شرح المفصل": أصله على هذا سِمْو مثل حمل، أو سُمْو مثل قفل، وفِعْل، وفُعْل يجمع على أفعال، وجمع اسم أسماء، ولا يجوز أن يقال: سَمْو يعني بفتح أوله ؛لأن فَعْلا جمعه فعول كفلس وفلوس.

وأجاز قوم أن يكون سَمَواً، كما قيل: أصل ابن بنو.

قال المبرد: فلما اختل وأزيل عن جهته سكن أوله، فدخلت ألف الوصل لذلك، فوزنه على هذا الذي ذكرناه من أصله "افع[3]". انتهى.

قوله : (لأنه رفعة للمسمى) قال الزجاج: جعل الاسم تنويها للدلالة على المعنى؛لأن المعنى تحت الاسم [4] .

وقال السخاوي: معنى السمو فيه عندهم أنك تقول: سما لي شخص إذا ارتفع حتى استثبته وعرفته ، فكأن الاسم رفع لك مسماه حتى كشفته وعرفته، أو لأن الاسم تنويه ورفعة [5] .

وقال الشيخ سعد الدين : احتيج إلى هذا؛لأن مجرد بيان الأصل لا يفيد الاشتقاق من السمو ما لم يبين التناسب في المعنى، فلذا ذكره[6].

وقال الشريف: لما بين أن الاسم يوافق السمو في التركيب، ولم يكن كافيا في اشتقاقه منه، بل لابد معه من التناسب في المعنى أشار إليه بقوله: "لأنه رفعة

---

(١) المفضل في شرح المفصل ل ١٦ نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ج ٢/ ٤٥٠٣

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٧

(٣) المقتضب ١/ ٢٢٩و المفضل في شرح المفصل ل ١٦

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٠

(٥) المفضل ل ١٦

(٦) حاشية سعد الدين ل١٠

للمسمى[1]"

قوله : (ومن السمة عند الكوفيين)

قال مكي في إعرابه: قول الكوفيين أقوى في المعنى، وقول البصريين أقوى في التصريف[2]

وفي "تفسير ابن برجان[3] " اختيار قول البصريين في أسماء الله تعالى، وقول الكوفيين في أسماء المحدثات [4].

قوله: (وأصله وسم حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل)

زاد ابن الانباري: ووزنه "اعل" بحذف الفاء منه.

وذهب قوم إلي أنه لا حذف ولا تعويض، وإنما قلبت الواو همزة كإعاء، وإشاح، ثم كثر استعماله فجعلت همزة وصل، وعلى هذا فوزنه "فِعْلٌ".

قوله: (ورد بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم)

قال الكمال ابن الأنباري: همزة التعويض إنما تقع تعويضا من حذف اللام، لا من حذف الفاء ، ألا ترى أنهم لما حذفوا اللام التي هي الواو من "بنو" عوضوا عنها الهمزة في أوله، فقالوا : ابن ، ولما حذفوا الفاء التي هي الواو من "وعد" لم يعوضوا عنها الهمزة في أوله فلم يقولوا : "اعد"، وإنما عوضوا عنها الهاء في آخره ، فقالوا: "عدة"؛لأن القياس فيما حذف منه لامه أن يُعَوَّضَ بالهمزة في أوله، وفيما حذف منه فاؤه أن يعوض بالهاء في آخره.

والذي يدل على صحة ذلك أنه لا يوجد في كلامهم ما حذف لامه، وعوض بالهاء في آخره، فلما وجدنا في أول الاسم همزة التعويض علمنا أنه محذوف اللام ، لا محذوف الفاء؛لأن حمله على ما له نظير أولى من حمله على ما ليس له نظير،

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٣٥

(٢) كتاب مشكل إعراب القرآن ١/ ٦

(٣) هو عبد السلام بن عبد الرحمن ابن شيخ الصوفية أبي الحكم عبد السلام أبو الحكم اللخمي الاشبيلي، ويقال له : ابن برجان، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث، له تواليف، منها تفسير القرآن ، وشرح الأسماء الحسنى، توفي سنة سبع وعشرين وستمائة. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٤ وطبقات المفسرين ١/ ٣٠٠

(٤) تفسير ابن برحان ل ٦ نسخة مصورة بمكتبة مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف

فدلّ على أنه مشتق من السمو، لا من الوسم. انتهى .

وقال أبو البقاء العكبري [1] في كتاب" التبيين في الخلاف" : لنا في ترجيح قول البصريين ثلاثة مسالك ، المعتمد منها أن المحذوف يعود في التصريف إلى موضع اللام ، فكان المحذوف هو اللام كالمحذوف من ابن .

والدليل على عوده إلى موضع اللام أنك تقول : سَمَّيْتُ وأسميت، وفي التصغير سُمَيٌّ، وفي الجمع أسماء ، وأسام ، وفي فعيل منه سَمِيٌّ ، أي اسمك مثل اسمه ، ولو كان المحذوف من أوله لعاد في التصريف إلى أوله ، وكان يقال : أو سمت وَوَسَمْتُ ، ووسيم وأوسام ، ووسيم .

وهذا التصريف قاطع على أن المحذوف هو اللام .

فإن قيل: هذا إثبات اللغة بالقياس ، وهي لا تثبت به .

و الثاني: أن عود المحذوف إلى الأخير لا يلزم منه أن يكون المحذوف من الأخير، بل يجوز أن يكون مقلوبا، وقد جاء القلب كثيرا عنهم، كما قالوا: لهي أبوك، فأخروا العين إلى موضع اللام ، وقالوا : الجاه وأصله الوجه، وقالوا : أينق، وأصله أنوق، وقالوا : قِسِيٌّ ، وأصله قووس ، وإذا كثر ذلك في كلامهم جاز أن يحمل ما نحن فيه عليه .

فالجواب : أما الأول فغير صحيح ، فإنا لا نثبت اللغة بالقياس ، بل نستدل بالظاهر على الخفي ، خصوصا في الاشتقاق ، فإن ثبوت الأصل و الزائد ، والمحذوف لا طريق له على التحقيق إلا الاشتقاق ، ويدل عليه لفظة ابن ، فإنهم لما قالوا: بُنَيٌّ ، وأبناء ، وتبنيت، و البنوة ، علم أن المحذوف لامه .

وأما دعوى القلب فلا سبيل إليه لأن القلب مخالف للأصل ، فلا يصار إليه ما وجدت عنه مندوحة ، ولا ضرورة هنا تدعو إلى دعوى القلب ، ويدل على ذلك أن القلب لا يطرد هذا الاطراد، ألا ترى أن جميع ما ذكر من المقلوب يجوز إخراجه على الأصل.

المسلك الثاني : أنا قد أجمعنا على أن المحذوف قد عوض منه في أوله ،

---

(١) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العكبري النحوي ، كان ثقة غزير الفضل ، كثير المحفوظ ديناً ، له إعراب القرآن ، وشرح المقامات ، والتبيين ، توفى سنة ست عشرة وستمائة . بغية الوعاة ٢/ ٣٨ والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي١/ ٤٤ .

فوجب أن يكون المحذوف من آخره، كما ذكرنا في ابن ، وإنما قلنا ذلك لوجهين:

أحدهما : أنا قد عرفنا من طريقة العرب أنهم إذا حذفوا من الأول عوضوا أخيرا [1] مثل عدة ، وزنة ، وإذا حذفوا من الآخِر عوضوا أولاً مثل ابن ، وهنا قد عوضوا في أوّله ، فكان المحذوف من آخره .

والثاني : أن العوض مخالف للبدل ، فبدل الشيء يكون في موضعه، والعوض يكون في غير موضع المُعَوَّضِ عنه، فلو كانت الهمزة عوضا من الواو في أوله لكانت بدلا من الواو ، ولا يجوز ذلك ، إذ لو كانت كذلك لكانت همزة مقطوعة، ولمّاً كانت ألف وصل حكم بأنها عوض .

فإن قيل : التعويض في موضع لا يوثق بأن المعوض عنه في غيره ؛ لأن القصد منه تكميل الكلمة ، فأين كملت حصل غرض التعويض ، ألا ترى أن همزة الوصل في اضرب وبابه عوض من حركة أول الكلمة ، وقد وقعت في موضع الحركة .

فالجواب : أن التعويض على ما ذكرنا يغلب على الظن أن موضعه مخالف لموضع المعوض منه ؛ لما ذكرنا من الوجهين .

قولهم : الغرض تكميل الكلمة ليس كذلك ، وإنما الغرض العدول عن أصل إلى ما هو أخف منه ، و الخفة تحصل بمخالفة الموضع ، فأما تعويضه في موضع محذوف لا يحصل منه خفة ؛ لأن الحرف قد يثقل بموضعه ، فإذا أزيل عنه حصل التخفيف .

المسلك الثالث : أن اشتقاق الاسم من السمو مطابق للمعنى ، فكان المحذوف الواو كسائر المواضع .

وبيانه أن الاسم أحد أقسام الكلمة، وهو أعلى من صاحبيه ، إذ كان يخبر به ، وعنه، وليس كذلك صاحباه ، فقد سما عليهما ، ولأن الاسم ينوه بالمسمى ، ويرفعه للأذهان بعد خفائه ، وهذا معنى السمو .

فإن قيل : هذا معارض باشتقاقه من الوسم فإن المعنى فيه صحيح ، كما أن المعنى فيما ذكرتموه صحيح ، فبماذا ثبت الترجيح ؟

قيل : الترجيح معنا لوجهين :

أحدهما : أن تسمية هذا اللفظ اسما اصطلاح من أرباب هذه الصناعة ، وقد

---

(١) في ح : آخراً .

ثبت من صناعتهم علو هذا اللفظ على الآخَرين ، ومثل هذا لا يوجد في اشتقاقه من الوسم .

و الثاني : أنه يترجح بما ذكرناه من المسالك المتقدمة .

أما حجتهم فقد قالوا : الاسم علامة على المسمى، و العلامة تؤذن بأنه من الوسم وهو العلامة ، فيجب أن يكون مشتقا منها .

والجواب عنه : ما تقدم من الأوجه الثلاثة ، على أن اتفاق الأصلين في المعنى، وهو العلامة لا يوجب أن يكون أحدهما مشتقا من الآخر.

ألا ترى أن دمثا ، ودمثراً سواء في المعنى ، وليس أحدهما مشتقا من الآخر، وكذلك سبط وسبطر ، وأبعد من ذلك الأسد ، والليث بمعنى واحد ، ولا يجمعهما الاشتقاق (١) . انتهى .

قوله: (ومن لغاته سم وسم)

بقي منها أُسْمٌ بضم الهمزة ، وسِماً بكسر أوله مقصورا كرضاً ، حكاهما ابن إياز (٢) ، و السخاوي في "شرح المفصل" (٣) فكملت لغاته ستة، وقد نظمتها في قولي:

اسم بضم أول و الكسر   مع همزة وحذفها والقصر

قال الكسائي : العرب تقول : اسم بكسر الهمزة وضمها ، فإذا طرحوا الألف قال الذين لغتهم كسرها : سِمٌ بكسر السين ، و الذين لغتهم ضمها : سُمٌ بالضم .

وقال ثعلب : (٤) من قال : أصله من سَمَى يَسْمِي قال : إِسْمٌ وَسِمٌ ، ومن قال : أصله من سَمَا يَسْمُو قال : أُسْمٌ وسُمٌ .

وقال مكي في إعرابه : الاسم عند البصريين مشتق من سما يسمو ، ولذلك ضمت السين في أصله في سُم، وقيل: هو من سمى يسمي، ولذلك كسرت السين

---

(١) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ١٣٢ ١٣٨ .

(٢) انظر في كتاب شرح فصول ابن معطي لابن إياز ل ٥ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١١٠٢ النحو .

(٣) المفضل في شرح المفصل ل١٦ .

(٤) هو أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس ثعلب النحوي اللغوي : إمام الكوفيين في النحو واللغة والثقة والديانة ، له من الكتب كتاب المعاني القرآن ، وكتاب الفصيح ، توفى سنة إحدى وتسعين ومائتين . معجم الأدباء ٣/ ١٣٥٩ وبغية الوعاة ١/ ٥٨٢ .

في سِمٍ [1] .

قوله: (قال: بِسمِ الذي في كلِّ سُورةٍ سُمُهْ .....)

قال السخاوي في " شرح المفصل" :أنشده أبو زيد [2] بكسر السين وضمها[3] .

قال : وكذلك أنشدوا قول الآخر :

والله أسماك سُماً مباركا [4] ... ...

وكذلك قوله:

وعَامُنَا أعْجَبَنَا مُقَدَّمُهْ يُدْعَى أبا السَّمْحِ وَقِرْضَابٌ سُمُهْ [5] .

بالوجهين في جميع ذلك [6] . انتهى.

والشاهد الذي أورده المصنف لرؤبة ، [7] وبعده :

قَدْ وَرَدَتْ على طَرِيْقٍ يَعْلَمُهْ

وقبله :

أَرْسَلَ فيها بَازِلاً يُقَرِّمُهْ فَهْوَ بِهَا يَنْحُوْ طَرِيْقاً يَعْلَمُهْ [8].

قال الشريف : وجعل الفاضل اليمني هذا البيت مقدما على قوله:

باسم الذي [9] ... ...

---

(١) كتاب مشكل إعراب القرآن ١/ ٦ .

(٢) هو سعيد بن أوس بن ثابت أبوزيد الأنصاري الخزرجي النحوي ، غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك ، له كتاب النوادر ، وكتاب النبات والشجر ، توفى سنة خمس عشرة ومائتين . معجم الأدباء ٣/ ١٣٥٩ وبغية الوعاة ١/ ٥٨٢ .

(٣) كتاب النوادر في اللغة ٤٦٢ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) مجهول القائل ، وقد خرجه محقق أمالي ابن الشجري فانظر فيه ٢/ ٢٨١ .

(٦) المفضل في شرح المفصل ل١٦ .

(٧) هو رؤبة بن العجاج ، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة أبو الجحاف ، من رجاز الاسلام وفصحائهم ، وهو من مخضرمي الدولتين ، مدح بني أمية ، ومدح بني العباس ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة ، وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً ، توفى في أيام المنصور سنة خمس وأربعين ومائة . الشعر والشعراء ٢/ ٥٩٤ وكتاب الأغاني ٢٠/ ٣١٢ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٠٣ .

(٨) نسبها أبوزيد في كتاب النوادر في اللغة ٤٦١ لرجل من كلب ، وأما نسبتها إلى رؤبة ففيها نظر ، فإنها ليست في ديوانه المطبوع .

(٩) تحفة الاشراف في كشف غوامض الكشاف ل٧ .

وأيّاً ما كان فالباء متعلقة بأرسل، أي باسمه أرسل الراعي في الإبل بازلا يقرمه، اي يتركه عن الاستعمال بالركوب والحمل ليتقوى للفحلة ، فالجملة صفة بازلا ، وقد تجعل حالا من المرسل ؛لأن الوصف بصيغة الماضي أولى ، فهو أي البازل يقصد بتلك الإبل طريقا يعلمه، لاعتياده بتلك الفعلة [١] .

وقال الطيبي : الضمير المستتر في "أرسل" للراعي ، والبارز في " فيها" للإبل.

والمقرم: البعير المكرم الذي لا يحمل عليه، ولا يذلل، ولكن يكون للفحلة[٢].

وقال الشيخ أكمل الدين: أي أرسل في الإبل البازل، وهو البعير الذي انشق نابه، وهو في السنة التاسعة ، حال كون المرسل قرمه ، أي تركه عن العمل للفحلة[٣].

قوله : (أو الاسم فيه مقحم، كما في قول الشاعر:

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السلام عليكما ... ...)

هو للبيد بن ربيعة [٤] الصحابي رضي الله تعالى عنه ، قاله حين بلغ مائة وثلاثين سنة، وأوله:

تَمَنَّى ابنَتَايَ أن يعيشَ أَبُوهُما ... وَهَل أنا إلا من رَبيعة أو مُضَرْ

فَقُوْمَا وقُولا بالذي تَعْلَمَانِه ولا ... تَخمِشَا وَجْهاً ولا تَحْلِقَا شَعَرْ

وقولا:

هو المرءُ الذي لا صديقه[٥] أضاعَ ... ولا خانَ الخليلَ ولا غَدَرْ

إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عَليكما ... ومن يبكِ حَولا كاملا فَقَدِ اعتَذَرْ [٦]

وما ذكره من أن الاسم في البيت مقحم ، وأن معناه ثم السلام عليكما نازع فيه

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٣٤ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٨٣ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل٩ .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي أبو عقيل الشاعر المشهور ، كان فارساً شجاعاً شاعراً ، قال الشعر في الجاهلية ، ثم أسلم ، توفى وهو ابن مائة وأربعين في أول خلافة معاوية . الاستيعاب ٣/ ١٣٣٥ والاصابة ٥/ ٦٧٥ .

(٥) رواية الديوان : لا خليله .

(٦) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ٢١٣ .

ابن جرير ، فقال : لو صح ذلك لجاز أن يقال : رأيت اسم زيد ، وأكلت اسم الطعام ، وشربت اسم الشراب .

وفي إجماع جميع العرب على إحالة ذلك ما ينبئ عن فساد تأويل البيت بذلك ، وإنما هو مخرج على وجهين :

أحدهما : أن السلام من أسماء الله ، و الكلام إغراء . ومعنى : ثم اسم السلام عليكما: ثم الزما اسمَ الله وذكرَهُ بعد ذلك، ودَعَا ذِكري ، وقدم المغرى به ، على حد قوله:

يا أَيُّهَا المائحُ دَلْوِي دُونَكَا [1] ... ...

والثاني: أن المراد ثم تسميتي الله عليكما ، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه: اسم الله عليك ، يُعَوِّذه بذلك من السوء، فكأنه قال : ثم اسم الله عليكما من السوء [2]. انتهى.

وقال ابن جني في " الخصائص" : ادعى أبو عبيدة زيادة اسم في البيت ، ونحن نحمل الكلام على أن هناك محذوفا

قال أبو علي[3]: وإنما هو على حذف المضاف ، أي ثم اسم معنى السلام عليكما، و اسم معنى السلام هو السلام ، فكأنه قال: ثم السلام عليكما.

ثم قال: فالمعنى لعمري ما قاله أبو عبيدة ، لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها، ألا تراه اعتقد زيادة شيء، واعتقدنا نحن نقصان شيء.

قال: ونحو من هذا اعتقادهم زيادة مثل في نحو: مثلي لا يأتي القبيح ، ومثلك لا يخفى عليه الجميل، أي أنا كذا، وأنت كذاك.

وذكر مثله ابن يعيش في " شرح المفصل " [4].

وفي " شرح الأندلسي " [5]: لبيد هذا عاش مائة وخمسا وأربعين سنة ، تسعين

---

(١) هو لراجز جاهلي ، انظره في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي ١/ ٢٣ وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ٦/ ٢٠٠ .

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن ١/ ١٢٠ .

(٣) هو أبو علي النحوي الفارسي ، سبقت ترجمته .

(٤) شرح المفصل ٣/ ١٤.

(٥) هو القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الأندلسي اللورقي ، إمام في العربية، عالم بالقراءات ، اشتغل في صباه بالأندلس، ومامن علم إلا وله فيه أوفر نصيب ، شرح المفصل في أربعة =

في الجاهلية ، و الباقي في الإسلام .

ومن شعره حين بلغ السبعين :

با تت تَشَكَّى إليَّ النفسُ مُجْهِشةً ... وقد حَمَلْتُكِ سبعا بعدَ سبعينا

فإن تزيدي ثلاثا تبلغي العُلا أملا ... وفي الثلاث وفاءٌ للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال :

كأني وقد خَلفتُ تسعين حِجَّةً ... خَلَعْتُ بها عن مَنكبي رِدائيا

فلما بلغ مائة وعشرا قال:

أليس في مِائةٍ قد عاشَهَا رَجُلْ ... وَفي تَكَامُلِ عَشْرٍ بَعْدَهَا عُمَرْ

فلما بلغ مائة وعشرين قال:

ولقد سَئِمْتُ من الحياةِ وطولِها ... وسؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبِيد؟

فلما حضرته الوفاة قال لابنتيه:

تمنى ابنتاي .... الأبيات

قوله :(وإنما قال: بسم الله، ولم يقل: بالله ؛لأن التبرك و الاستعانة بذكر اسمه)

قال الراغب : قال بعض العلماء: إنما قال :بسم الله ، ولم يقل بالله ؛لأنه لما استحبت الاستعانة بالله في كل أمر يفتتح به من قراءة وغيرها ، فبعضهم يذكره بقلبه ، وبعضهم يزيد ويقوله بلسانه، ويكون أبلغ ، وألفاظ الاستعانة نحو أستعين بالله، واللهم أعني، ونحو ذلك، وذكر الله مستعمل في كل ذلك، فصار لفظة بسم الله مستغنى بها عن جميعها ، وقائما مقامها، ولو قال: بالله لتوهم الاستعانة بهذه اللفظة فقط.

والاسم هاهنا موضوع موضع المصدر، أي التسمية، فالقائل إذا قال: بالله أبتدئ فمعناه بهذا الاسم، وإذا قال بسم الله فإن المقصود به المسمى(١).

مجلدات ، توفي سنة إحدى وستين وستمائة . إنباه الرواة ٤/ ١٦٧ وبغية الوعاة ٢/ ٢٥٠ وشرحه اسمه " المحصل في شرح المفصل" توجد منه أجزاء متفرقة ، ولا توجد منه نسخة كاملة، ومنه نسخة مصورة من المجلد الأول بمعهد البحوث العلمية برقم ٥٥٢ النحو ولم أجد فيها بغيتي . وانظر شرح المفصل في صنعة الإعراب ١/ ٩٥ .

(١) مقدمة جامع التفسير ١١٠ .

قوله: (ولم تكتب الألف) .

قال الشيخ سعد الدين : عبر عنها هنا بالألف ، وفيما سبق بالهمزة ؛ لأنها في الخط بصورة الألف[1].

وقال البلقيني : التحقيق التعبير بالهمزة ؛ فإنها هي الموجودة هنا ، دون الألف ، ولكن تجوز في ذلك ، فأطلق على الهمزة ألفا .

قوله : (على ما هو وضع الخط) .

قال الشريف: أراد أن وضع الخط على حكم الابتداء ، دون الدرج، إذ الأصل في كل كلمة أن تكتب على صورة لفظها بتقدير الابتداء بها، والوقف عليها ، فكان يجب أن تكتب الهمزة هاهنا ، لثبوتها في الابتداء كما كتبت في ﴿باسم ربك﴾ [2].

قوله : (لكثرة الاستعمال)

قال محمود بن حمزة الكرماني: هذه العلة موجودة في ألف "الله" من بسم الله ، ولم تحذف ، وإنما تتم إذا أضَفْتَ إليها علة أخرى ، فقلتَ : ولاتصال الباء باسم وامتزاجه ، بحيث لا يمكن فصله عنه ، بخلاف اتصال بسم الله ، فإنه يمكن فصله عنه ، والوقف عليه في الإملاء والاستملاء [3].

وقال قوم : لا حذف ، وإنما الباء داخلة على " سم" بكسر أوله ، أو ضمه ، ثم سكن السين فرارا من توالي الكسرات ، أو الانتقال من الكسر إلى الضم.

وفي إعراب مكي : حذفت الألف من الخط في بسم الله ؛ لكثرة الاستعمال ، وقيل: حذفت لتحرك السين في الأصل ؛لأن أصل السين الحركة ، وسكونها لعلة دخلتها، وقيل: حذفت للزوم الباء هذا الاسم، فإن كتبت بسم الرحمن ، أو بسمالخالق حذفت الألف من الخط أيضا عند الأخفش [4]، و الكسائي.

وقال الفراء: لا تحذف إلا في بسم الله فقط، فإن دخلت على اسمٍ غيرُ الباء من حروف الخفض لم يجز حذف الألف عند أحد، نحو قولك: ليس اسم كاسم

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٠ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ٣٥ .

(٣) غرائب التفسير ١/ ٩١ .

(٤) هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير البصري ، أحد أئمة النحاة من البصريين ، أخذ عن سيبويه ، وهو أعلم من أخذ عنه ، له كتاب الإشتقاق ، وكتاب الأوسط في النحو ، توفي سنة خمس عشرة ومائتين . معجم الأدباء ٣/ ١٣٧٤ وبغية الوعاة ١/ ٥٩٠ .

الله ، وقولك: لاسم الله حلاوة [1].

وفي" الكشاف" للبلقيني: يرد على جواب المصنف لفظ" الله" مع اسم ، فإنه كثير الاستعمال ، ولم تحذف الهمزة ، فزيد في التعليل: امتزاج الحرف بالاسم فلا يمكن فصله، ولفظ" اسم" يمكن فصله بالوقف وغيره ، كذا قيل، وفيه نظر؛فإنه لو أسقطت الهمزة من الله لالتبس ذلك بقولك: " لله" مجرورا باللام ، فلذلك لم يسقطوا همزته.

قال : وفي السؤال المذكور جواب آخر عن الخليل:[2] وهو أنه إنما حذفت الهمزة في بسم الله ؛ لأنها إنما أدخلت بسبب أن الابتداء بالسين الساكنة غير ممكن ، فلما دخلت الباء على الاسم نابت عن الألف ، فسقطت في الخط، وإنما لم تسقط في قوله﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ لأنه يمكن حذف الباء مع بقاء المعنى صحيحا، فإنك لو قلت : أقرأ اسم ربك صح المعنى ، أما لو حذفت الباء من بسم الله لم يصح المعنى ، فكان لزوم ذكر الباء في بسم الله يقتضي أن تنوب في الخط عن الهمزة ، ولم تنب الباء عن الألف في﴿ اقرأ باسم ربك﴾ .

هذا جواب الخليل ، وفيه نظر؛لأنه يمكن أن يقول: اسم الله الرحمن الرحيم ابتدائي، أو ابتدائي اسم الله الرحمن الرحيم، وحذف [3]ابتدائي؛ لدلالة الحال عليه.

وقضية ما قال الخليل أن لا تحذف الهمزة في كتابة ﴿ بسم الله مجريها ومرساها﴾ ولا باسم الرحمن ، ولاباسم القاهر[4]، ونحو ذلك ، و المشهور خلافه . انتهى.

قوله : (وطولت الباء عوضا عنها)

قال البلقيني : هو أحد القولين في ذلك .

---

(١) كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٥ ومعاني القرآن للفراء ١/ ٢.

(٢) هو خليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري العروضي، سيد الأدباء في علمه وزهده، قيل : أول من سمي في الإسلام أحمد أبو الخليل، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه ، له كتاب العين ، توفي سنة خمس وسبعين ومائة. معجم الأدباء ٣/ ١٢٦٠ وبغية الوعاة ١/ ٥٥٧

(٣) في ح ، ظ :وحذفت .

(٤) في د ، ق : القادر .

والقول الثاني: أنهم إنما طولوها لأنها مبتدأ [1] كتاب الله تعالى ، فأحبوا أن يبتدئوه على صورة التفخيم تعظيما ، وجرى الحال في بقية السور على ذلك.

قال: وعلى هذا فالتي في سورة النمل ينبغي أن تكتب على الأصل، إلا أن يلاحظ فيها مكان كتابتها في أول الكتاب.

وأما قوله﴿ بسم الله مجريها﴾ فمقتضى هذا القول أن تكتب [2] بالألف ، وعلى قول العوض فكل موضع حذفت فيه [3] الهمزة تطول فيه الباء.

قال : وفي تطويل الباء في البسملة كلام عن الليث بن سعد[4].

أسند الخطيب في جامعه في ترجمة : "كيف يكتب بسم الله الرحمن الرحيم" عن عبد الله بن صالح [5] أنه قال : كتبت بسم الله الرحمن الرحيم ورفعت الباء، فطالت فأنكر ذلك الليث وكرهه وقال : غيرت المعنى . يعني لأنها تصير لاما.

قال الخطيب : فينبغي أن يجعل بين طول الباء وحرف السين فرق يسير للتمييز بينهما[6].

قوله : (و الله أصله إلاه) .

اعلم أن في الاسم الكريم نحو ثلاثين قولا ، وقد رأيت أن أوردها هنا باختصار لتستفاد :

أحدها : أنه سرياني ، أصله لاها ، فعرب بحذف آخره ، وزيادة [7] "ال" في أوله .

الثاني: أنه عربي علم غير مشتق .

---

(١) في د ، ق : مبدأ .

(٢) في د ، ق : تكون .

(٣) في د ، ق : منه .

(٤) هو ليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري الفهمي ، روى عنه كاتبه عبد الله بن صالح ، كان استقل بالفتوى في زمانه ، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، توفى سنة ست وسبعين ومائة . تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٥٥ وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٦ .

(٥) هو عبد الله بن صالح بن محمد أبو صالح المصري ، كاتب الليث بن سعد ، روى عن الليث بن سعد ، استشهد به البخاري في الصحيح ، توفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين . تهذيب الكمال ١٥/ ٩٨ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٥ .

(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع١/ ٢٦٥ .

(٧) في ح : وزيدت .

الثالث: أنه مشتق من أصل لا يعلمه إلاّ الله.

الرابع: أنه من أَلَـهَ: عبد

الخامس: من أَلِـهَ بالمكان : أقام به ؛لبقائه تعالى.

السادس: من أَلِـهَ : تحير.

السابع: من أَلَـهَ: احتاج؛لاحتياج الخلق إليه.

الثامن :من أَلِـهَ: سكن.

التاسع: من أَلِهَ الفصيل: ولِعَ [1] بأمه .

العاشر: من أَلِهَ : فزع ، وَأَلَهَهُ غيرُه ، أجاره.

وأصله على الأقوال السبعة : إلاه، حذفت الهمزة وعوض عنهـا" أل" ، وقيـل : بل أدخلت "أل" بلا حذف ، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام ، ثـم أدغمـت، فهـذه سبعة أخرى على هذا العمل .

وقيل : هو من وَلِهَ : فزع ، وقيـل : مـن الوَلَـه ، وهـو الطـرب ؛ لأن القلـوب تطرب بذكره ، وأصله على القولين وِلاهٌ ، فقلبت الواو همزة ، كإشاح ، ثم يأتي فيه العملان السابقان ، فهذه أربعة أقوال مع السبعة عشر.

الثاني و العشرون : أن أصله لاهٌ ، مصدر لاه يليه ، إذا علا .

الثالث و العشرون : مصدر لاه يلوه ، إذا احتجب .

الرابع والعشرون : أصله هاء الكناية زيد عليها لام الملك ، ثم مـدّ بها الصوت تعظيما ، ثم ألزم اللام .

وقيل: هو من الإلاه بمعنى السـيد، وقيـل: بمعنـى الـذي لـه الإلاهيـة، وقيـل: القدرة على إيجاد الأعيان، وعلى القوليـن يـأتي العمـلان السـابقان ، فهـذه ثمانيـة وعشرون قولا.

قال الشيخ سعد الدين: كما تحيرت الأوهام في ذاتـه وصفاتـه فكـذا تحيرت فـي اللفظ الدال عليه أنه اسم ، أو صفة، مشتق، أو غير مشتق، علم ، أو غير علم إلـى غير ذلك. قال: ولا خلاف في أن الألف و اللام حرف تعريف، لا من أصل الكلمة.

وجوّز سيبويه أن يكون أصله لاهٌ ، من لاهَ يليهُ [2]: تستر واحتجب، إلا أن كثرة

---

(١) في ظ : أولع .

(٢) الكتاب لسيبويه ٣/ ٤٩٨ .

دوران إلاه في الكلام واستعمال إلاه في المعبود ، وإطلاقه على الله رجح جانب الاشتقاق من أَلَهَ قال : والحكم بأن أصله الإلاه ذهب إليه الأكثرون [1].انتهى.

وكذا نقله ابن مالك عن الأكثرين [2]، ورجحه ابن جرير ، و استدل بحديث((إن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لمعلمه: أتدري ما الله؟ الله إلاه الآلهة)) [3].

أخرجه هو، وأبو نعيم في "الحلية "، و ابن مردويه في تفسيره، و ابن عد ي في " الكامل" من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، بسند ضعيف .

ووجهه الشيخ أكمل الدين بأن الحرف الأصلي ما يثبت في تصاريف الكلمة ، و الهمزة موجودة في تصاريف هذه الكلمة ، يقال : أَلِهَ ، وتألّه، واستأله ، وغير ذلك[4].

قوله : (فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام) .

قال ابن جرير: كما حذفت من قوله﴿ لكنا هو الله ربي﴾ [سورة الكهف ٣٨] أي لكن أنا[5]، وهذا هو المسمى بالحذف الاعتباطي ، أي الذي لغير موجب .

---

(١) حاشية سعد الدين ل٩-١٠ .

(٢) شرح التسهيل ١/ ١٧٧ .

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ١٢٥ وابن حبان في كتاب المجروحين ١/ ١٣٤ وابن عدي في الكامل ١/ ٢٩٩ والثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٤٤٠ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٥١ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ٣٧٣ وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٢٩ من طريق إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عمن حدثه ، عن عبد الله بن مسعود، ومسعر بن كدام، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري. قال ابن عدي: هذا حديث باطل بهذا الاسنادن لايرويه غير إسماعيل . وقال ابن حبان عن إسماعيل بن يحيى: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، ومالا أصل له عن الأثبات، لاتحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج به بحال . وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، محال. وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١/ ١١٩ وهذا غريب جدا، وقديكون صحيحا إلى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكون من الإسرائيليات، لا من المرفوعات. وقال السيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٣ سنده ضعيف جدا .

(٤) حاشية أكمل الدين ل٩ .

(٥) جامع البيان ١/ ١٢٥ قال تقي الدين إبراهيم بن الحسين في الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية ٢/ ١/ ٥٩ فالتقدير : لكن أنا هو الله ربي ، فحذف الهمزة ، وأدغم النون في النون ، وإنما دعاهم في الآية إلى هذا التقدير أنهم لو جعلوا ((نا)) من قوله : ((لكنا)) اسم ((لكن)) وهو ضمير الجماعة لوجب أن يقول : ((هو الله ربنا)) فقوله : ((ربي)) بالياء ضمير الواحد المتكلم ، وضمير الواحد لا يعود على الجميع ، بل لابد من مطابقة المضمر للمظهر الذي يعود عليه .

وقال الشريف: حذفت الهمزة من الإلاه حذفا من غير قياس، ويدلّ عليه وجوب الإدغام و التعويض ، فإن المحذوف قياسا في حكم المثبت ، وقولهم : لاه أبوك ، واختار أبو البقاء أنه على قياس التخفيف ، فلزوم الحذف والتعويض ، مع وجوب الإدغام من خواص هذا الاسم التي يمتاز بها عن نظائره امتياز مسماه عن سائر الموجودات بما لا يوجد إلا فيه [(١)].

وقال مكي في إعرابه: الأصل في اسم الله إلاه ، ثم دخلت الألف و اللام، فصار الإلاه، فخففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام الأولى، ثم أدغمت اللام الأولى في الثانية، ولزمالإدغام والحذف للتعظيم و التفخيم.

وقيل: بل حذفت الهمزة حذفا، وعوض منها الألف واللام، ولزمتا للتعظيم. وقيل: أصله لاه ، ثم دخلت الألف واللام عليه فلزمتا للتعظيم ، ووجب الإدغام ؛لسكون الأول من المثلين، وحذفت الألف من اسم الله في الخط استخفافا.

و قيل: حذفت لئلا يشبه هجاء اللات في قول من وقف عليها بالهاء .

وقيل: لكثرة الاستعمال ، وكذلك العلة في حذف ألف الرحمن [(٢)]. انتهى.

وقال الطيبي: قال المالكي [(٣)]: قول من زعم : أن اللام في الله عوض عن الهمزة باطل ؛ لحذفهما معا في لاه أبوك، بمعنى لله أبوك ، و العوض لا يحذف .

جوابه: ما وقع في كلام أبي عليّ [(٤)] أنهم يحذفون من نفس الكلمة في نحو لم يكن، ولا أدري إذا كان في الذي أبقي دليل على ما ألقي [(٥)].

وفي "الصحاح" : الله أصله إلاه ، على فعال بمعنى مفعول ؛لأنه مألوه ، أي معبود، كقولنا : إمام ، فعال بمعنى مفعول ؛لأنه مؤتم به ، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام ، ولو كانتا عوضا منها لما استعملتا مع المعوض منه في قولهم : الإلاه ، وقطعت الهمزة في النداء ؛ للزومها تفخيما لهذا الاسم .

وسمعت أبا عليّ النحوي يقول: إن الألف واللام عوض عن الهمزة .

---

(١) حاشية الشريف١/ ٣٦ .

(٢) كتاب مشكل إعراب القرآن ٦ .

(٣) لم أعرفه .

(٤) هو أبو علي النحوي الفارسي . انظر في المسائل البصريات له ١/ ٢١٧ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٨٥ .

قال :ويدل على ذلك استجازتهم لقطع الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف في القسم، والنداء، وذلك قولهم : أَفَأَللَّهِ ليفعلن ، ويا ألله اغفر لي ، ألا ترى أنها لو كانت غير عوض لم تثبت في غير هذا الاسم .

قال: ولا يجوز أيضا أن يكون للزوم الحرف ؛لأن ذلك يوجب أن تقطع همزة الذي و التي ، ولا يجوز أيضا أن يكون لأنها همزة مفتوحة وإن كانت موصولة، كما لم يجز في" أيم الله"، و"أيمن الله" التي هي همزة وصل ، فإنها مفتوحة، ولا يجوز أيضا أن يكون ذلك لكثرة الاستعمال؛لأن ذلك يوجب أن تقطع الهمزة أيضا في غير هذا الاسم مما يكثر استعمالهم له، فعلمنا أن ذلك لمعنى اختصت به، ليس في غيرها ، ولا شيء أولى بذلك المعنى من أن يكون المعوض من الحرف المحذوف الذي هو الفاء [١].

قوله: (ولذلك قيل: يا ألله ، بالقطع)

قال الطيبي : أي ولأجل أن حرف التعريف عوض عن الهمزة استجيز قطع الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف في النداء، ويعلم منه أنه لو لم يكن عوضا وكان حذفا قياسيا كما نقله أبو البقاء [٢]، أصله الإله، فألقيت حركة الهمزة على لام التعريف، ثم سكنت ، وأدغمت في اللام ا لثانية لم يجز القطع .

وهذا الذي اختاره المصنف أحد قولي سيبويه في هذا الاسم [٣]، على ما نقله عنه أبو عليّ في" الإغفال".

قال : أصله إلاه ، ففاء الكلمة همزة ، وعينها لام، واللام هاء ، والألف ألف فعال ، فحذفت الفاء ، لا على التخفيف القياسي .

قال أبو علي : فإن قيل : هلا حمله على الحذف القياسي ؛ إذ تقدير ذلك سائغ فيه، غير ممتنع ، و الحمل عليه أولى .

قيل له : فلو كان طرح الهمزة على القياس دون الحذف لما لزم أن يكون فيها عوض ؛ لأن المحذوف القياسي ملقى في اللفظ ، مبقى في النية ، كما تقول : في "جَيْأَل" إذا خففته "جَيَل" ، ولو كانت محذوفة في التقدير كما أنها محذوفة في

(١) الصحاح مادة أله .

(٢) التبيان في إعراب القرآن١/ ٤ .

(٣) الكتاب لسيبويه ٢/ ١٩٥ .

اللفظ للزم قلب الياء ألفا ، فلما كانت الياء في نية السكون لم تقلب كما قلبت في" ناب" [(١)].

فإن قيل : ما بال الهمزة قطعت في النداء ، ووصلت في غيره ؟

قلت : قال صاحب [(٢)]" الضوء" : إنما تجردت للتعويض في النداء ؛ لأن التعريف الندائي أغنى عن تعريفها، فجرت مجرى الهمزة الأصلية ، فقطعت ، وفي غير النداء لما لم ينخلع عنه معنى التعريف رأسا وصلوا الهمزة [(٣)].

وقال صاحب" الكشاف" في سورة " مريم": أخلصت الهمزة في " يا أللـه" للتعويض، واضمحل عنها التعريف [(٤)].

قال الطيبي : وكثيرا ما يجرّدون الحرف عن معناه المطابقي ، مستعملين في معناه الالتزامي ، أو التضميني ، نحوا لهمزة في قوله تعالى ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ [سورة يس ١٠] عزلت عن الاستفهام ، وجردت لمعنى الاستواء ، و الواو في قوله﴿ وثامنهم كلبهم﴾ [سورة الكهف٢٢] تجردت لمعنى الجمعية فقط، وسلب عنها معنى المغايرة [(٥)].

وقال الشريف : إنما اختص تعريف القطع بالنداء ؛ إذ هناك يتمحض الحرف للعوضية، ولايلاحظ معها شائبة التعريف أصلا ، حذرا من اجتماع أداتي التعريف.

أما في غير النداء فيجري الحرف على أصله ، ويدلّ على أن قطعها في النداء لكونها عوضا ، لا لمجرد لزومها وصيرورتها جزءاً= أنهم لما جمعوا بينها وبين النداء في نحو" يا التي" على الشذوذ لم يجوزوا قطعها وإن كانت جزءا من الكلمة، مضمحلا عنها معنى التعريف ، وذلك لأن المحافظة على الأصل واجبة ما لم يعارضه موجب أقوى كالتعويض فيما نحن فيه [(٦)].

---

(١) كتاب الإغفال ص١١١٦ مجلة جامعة أم القرى مجلد ١٢ عدد ٢٠ .

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد تاج الدين الإسفراييني ، عالم بالنحو ، له فيه كتب ، منها ضوء المصباح ، لباب الإعراب ، فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة ، توفى سنة أربع وثمانين وستمائة . هدية العارفين ٢/ ١٣٤ والأعلام ٧/ ٣١ .

(٣) الضوء على المصباح ل ٦٦ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٢٩٢ النحو .

(٤) الكشاف ٢/ ٥١٧ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٨٦ .

(٦) حاشية الشريف ١/ ٣٦ .

وقال الشيخ سعد الدين: خص قطع الهمزة بحال النداء لتمحض حرف التعريف هناك للتعويض، مضمحلا عنها معنى التعريف، حذار الجمع بين أداتي التعريف .

قال : وقد يقال في قطع الهمزة :إنه ينوي به الوقف على حرف النداء تفخيما للاسم [1].

وقال الشيخ أكمل الدين : فإن قلت : هذا على تقدير كون المجموع حرف التعريف صحيح ، وأما على تقدير أن اللام وحدها للتعريف فينبغي أن تجعل الهمزة باقية على الأصل ؛ لكونها غير عوض عن الأصل .

قلت: لما كانت اللام الساكنة بدلا عن حرف، ولا يمكن التكلم بها إلا بالهمزة صار للهمزة مدخل في العوضية فقطعت كالأصلية [2].

وقال أبو الحسن ابن خروف في " شرح الجمل" : اختلف في هذا الاسم أمنقول، أم مرتجل ؟ فذهب أكثرهم إلى نقله من إلاه ، منهم سيبويه ، وذهب طائفة إلى أنه علم ، منهم المازني [3]، وأكثر الأشعرية ، وليس من شأنهم .

والألف واللام زائدتان في الكلمة لامحالة، فقد صار الاسم بعد زوالها إلاهاً ، أولاهاً، وكلاهما قول سيبويه ، فإن قدرنا نقله على طريق العلمية كانتا زائدتين لغير معنى ، كزيادتهما في قوله :

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا[4] ... ...

فأدخل الألف واللام على يزيد ، وهو علم، ولا يحمل اسم الله تعالى على الشاذ المنكر مع كون الألف واللام لغير معنى ، فالأولى أن يكون اسما غالبا منقولا من إلاه النكرة ، كغلبة النجم للثريا ، والدبران ، والسماك ، والعيوق، وهي أسماء غالبة ، ودخلت الألف واللام للغلبة ، لما كانت عامة في أجناسها ، ووقعت على مخصوص دل على ذلك لزوم الألف واللام ، فصارت غالبة ، فالألف واللام

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٠ .

(٢) حاشية أكمل الدين ل٩ .

(٣) هو بكر بن محمد بن بقية أبو عثمان المازني النحوي ، كان أبو العباس المبرد يصفه بالحذق بالكلام والنحو توفى سنة تسع وأربعين ومائتين بالبصرة . إنباه الرواة ١/ ٢٤٦ وبغية الوعاة ١/ ٤٦٣ .

(٤) لابن ميادة ، انظر في شعر ابن ميادة ١٩٢ .

للغلبة ، ولا يقدح ذلك في المعنى من جهة الشرع ؛ وذلك أن هـذا اللفـظ عربـي ، ولا خلاف أن الحرف عمل لنا، فهي محدثة ، فإذا حكـم علـى المحـدث بـالنقل - وهو مرادهم بالاشتقاق-لم يقدح في المعنى، مع الجري على قوانين كلام العـرب، والمعنى الواقع عليه اللفظ- وهو المسمى به- هو القديم تعالى.

فمن قال : أصله إلاه حذفت الهمـزة علـى غـير قيـاس؛لكـثرة دوره ، وأدخـل الألف واللام كالعوض ، إما للغلبة كما ذكرنا ، وإما للتعريف في قول الفراء- يريـد تعريف اللفظ- ليطابق اللفظ المعنـى ، إذ لفـظ إلاه نكـرة ، وفخـم اللفـظ تعظيمـا لذكره ، وللفصل بينه وبين اللات، ولزمت الألف واللام ، ولذلك دخلت عليه ياء ، فقيل : يا ألله بقطع الألف [١]. انتهى .

قوله: (إلا أنه مختص بالمعبود بالحق)

قال الشيخ أكمـل الديـن: فيـه بحـث؛لأن المـراد بالاختصـاص المذكـور إمـا الاختصاص بالغلبـة، أو بـالوضع العلمـي، والأول لا يصـح ، وكذلـك الثـاني؛لأن العلمية إنما تتعيّن إذا لم تكن صفة ، وهو ممنوع .

والجواب: أنه يوصف ، ولا يوصف به، فلم يكن صفة [٢].

قال الشيخ سعد الدين : قال هنا" بالحق" وفـي الإلاه " بحـق" إشـارة إلـى مـا بينهما من الفرق بالعلمية ، وعدمها [٣].

قال أبو حيان: الله علم مرتجل ، غـير مشـتق عنـد الأكـثرين ، وقيـل : مشـتق، ومادته قيل: لام وياء وهاء، من لاه يَلِيهُ: ارتفع.

وقيل: لام وواو وهاء، من لاه يَلُوهُ لوها: احتجب، ووزنه إذ ذاك فَعَلَ أو فَعِلَ.

وقيل: الألف زائدة، ومادته همزة ولام وهاء من أله: أي فزع، قالـه أبـو إسـحاق [٤]،

---

(١) شرح جمل الزجاجي ١/ ٢٤٥ .

(٢) حاشية أكمل الدين ل٩ .

(٣) حاشية سعد الدين ل١١ .

(٤) حسبته أبا إسحاق الزجاج ، فبحثت عما عزاه المؤلف إلى أبي إسحاق في معاني القرآن وإعرابه، وتفسير أسماء الله الحسنى ، والإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم لأبي إسـحاق الزجاج ، فلم أظفر بطائل فيها ، فلعله أبو إسحاق الحربي ، وهو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيـم أبو اسحاق الحربي ، كان إماماً في العلم ، رأساً في الزهـد ، عارفـاً بالفقـه ، بصيراً بالأحكـام ، حافظاً للحديث ، قيماً بالأدب ، جماعاً للغة ، وصف كتباً كثيرة ، منهـا غريـب الحديـث ، وهـو

=

أو أله تحير ، قاله أبو عمر[1]، أو أله: عبد ، قاله النضر [2]، أو أله : سكن، قاله المبرد.

وعلى هذه الأقاويل فحذفت الهمزة اعتباطا كما قيل: في ناس: أصله أناس، أو حذفت للنقل ، ولزم مع الإدغام ، وكلا القولين شاذ .

وقيل : مادته واو ولام وهاء ، من وَلِهَ : أي طرب ، وأبدلت الهمزة فيه من الواو ، نحو إشاح ، قاله الخليل ، وهو ضعيف للزوم البدل ، وقَوْلِهِمْ في الجمع : آلهة ، ويكون فعالا بمعنى مفعول ، كالكتاب يراد به المكتوب .

و" أل" في الله إذا قلنا : أصله الإلاه قالوا : للغلبة؛إذ الإلاه ينطلق على المعبود بحق وباطل ، و الله لا ينطلق إلا على المعبود بالحق ، فصار كالنجم للثريا ، ووزنه -على أن أصله فعال ، فحذفت همزته -" عال" .

وزعم بعضهم أن" ال" في الله من نفس الكلمة ، ووصلت الهمزة لكثرة الاستعمال ، وهو اختيار أبي بكر ابن العربي [3]، و السهيلي [4]، وهو خطأ ؛ لأن وزنه إذ ذاك يكون فَعَّالاً ، وامتناع تنوينه لا موجب له ، فدلّ على أن "ال" حرف داخل على الكلمة ، سقط لأجلها التنوين .

ومن غريب ما قيل في الله : إنه صفة، وليس اسم ذات؛لأن اسم الذات يعرف به المسمى ، والله تعالى لا يدرك حسا ولا بديهة ، ولا تعرف ذاته باسمه ، بل إنما تعرف بصفاته ، فجعله اسما للذات لا فائدة فيه ؛ولأن العلم قائم مقام الإشارة ، وهي ممتنعة في حق الله تعالى.

أجلّ كتاب ، وأكبر ما صنف في هذا النوع ، توفى سنة خمس وثمانين . إنباه الرواة ١/ ١٥٥ وبغية الوعاة ١/ ٤٠٨ .

(١) لعله صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي النحوي ، كان ممن اجتمع له مع العلم صحة مذهب وصحة الاعتقاد ، له كتاب الأبنية وكتاب مختصر نحو المتعلمين ، وكتاب غريب سيبويه ، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين . إنباه الرواة ٢/ ٨٠ وبغية الوعاة ٢/ ٨ .

(٢) هو النضر بن شميل بن خرشة أبو الحسن التميمي ، كان عالما بفنون من العلم ، صدوقا ثقة ، صاحب غريب وشعر ، ومن أصحاب خليل بن أحمد ، له كتاب غريب الحديث ، وكتاب المصادر ، توفي سنة ثلاث ومائتين . إنباه الرواة ٣/ ٣٤٨ وبغية الوعاة ٢/ ٣١٦.

(٣) انظر في الأمد الأقصى في أسماء الله الحسنى لابن العربي ل١٦ نسخة مصورة بالمكتبة المركزية برقم ٥١٦٤ .

(٤) نتائج الفكر في النحو ٥١ .

وحذفت الألف الأخيرة من الله تعالى؛لأن لا يشكل بخط" اللاه" اسم فاعل من لها يلهو ، وقيل : طرح تخفيفا ، وقيل : هي لغة فاستعملت في الخط [١]. انتهى.

قوله: (والإلاه في أصله لكل معبود ، ثم غلب على المعبود بحق)

عبارة "الكشاف":" والإلاه من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق ، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا [٢]".

قال البلقيني: هذا ممنوع من وجوه:

أحدها : أن اسم الجنس عبارة عما وضع للدلالة على حقيقة توجد في آحاد متفقة، كالرجل ، والفرس ، والماء ، والعسل ، و الإلاه إنما وضع للمعبود بالحق[٣]، وهو الله تعالى ، وإطلاق الكفرة الإلاه على معبودهم غير الله من تعنتهم وإبطالهم ، فلا يصح أن يقال بمجرد ما جاء من تعنتهم : إن الإلاه اسم جنس.

وقد ذكر صاحب" الكشاف" في الرحمن" أنه من الصفة [٤] الغالبة ، لم يستعمل في غير الله ، كما أن الله من الأسماء الغالبة ، وأما قول بني حنيفة في مسيلمة : رحمان اليمامة فمن تعنتهم في كفرهم" [٥].

وكان ينبغي أن يقول هاهنا: إن الإلاه وضع للمعبود بحق ، وإطلاق الكفرة الإلاه على غير الله من تعنتهم وإبطالهم.

فإن قيل: قد أطلقت عليه العرب.

قلنا: قد رد الله عليهم، وأخبر أنهم أطلقوا إطلاقا باطلا بقوله﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله من سلطان﴾ [سورة يوسف ٤٠].

الوجه الثاني : أن اللغات عند الأشعري وجماعة توقيفية [٦]، ولم يكن الله

---

(١) البحر المحيط ١/ ٧٢ .

(٢) الكشاف ١/ ٣٦ .

(٣) في ت ، ح ، د : الحق .

(٤) كذا في النسخ ، وعبارة صاحب الكشاف : من الصفات .

(٥) الكشاف ١/ ٤٢ .

(٦) قال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ٣١ : إن لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله جل ثنائه " وعلم آدم الأسماء كلها " فكان ابن عباس =

تعالى ينسب إليه شيء مما افترته الكفرة، و الله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

ونفي اسم الإلاهية عن غيره بقوله : لا إله إلا أنا ، فمن أثبتها لغيره فقد كفر ، وقال ما لم يأذن به الله .

الوجه الثالث: ما حكاه الثعلبي [(١)] وغيره عن الخليل : أن لفظتي [(٢)] "الإلاه" و"الله" مخصوصان بالله تعالى ، فقول المصنف : "اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل" ممنوع ، بل لا يقع إلا على المعبود بحق ، فما زال هذا الإطلاق مختصا بالله تعالى ، ومن أطلقه على غيره حكم الله بكفره ، وأرسل الرسل لدعائه إلى الحق ، ورجوعه عن هذه الدعوى الباطلة .

فإن قيل : الكلام في إطلاق اللفظ ، لا في حكم الاعتقاد .

قلنا : واللفظ لا يطلق إلا على ما قررناه ، وإطلاق الكفرة لفظ الإلاه على معبوداتهم الباطلة نظير إطلاق النصارى على عيسى "الله".

وقد اعترف صاحب" الكشاف" أن لفظ "الله" لا يطلق إلا على المعبود الحق. انتهى.

وقال الطيبي : في بعض شروح" المفصل" : الأعلام متى غلبت باللام فلابد من أن تكون مسبوقة بالجنسية ، ثم الجنسية إما أن تكون بالنظر إلى الدليل والأمارة ، أو إلى استعمال العرب ، أما معنى الاستعمال فكما في النجم ، والصعق ، وأما الدليل فهو أن الدبران والعيوق والسماك وإن لم تكن أجناسا بالاستعمال لكنها بالنظر إلى أنها أوزان مخصوصة وحروف مخصوصة ، ومعنى كل واحد منها معلوم كأن كل واحد منها جنس في الأصل بالنظر إلى الدليل [(٣)]، فعلى هذا "الإلاه" من

يقول : علمه الأسماء كلها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وجمل وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . روى خصيف عن مجاهد قال : علمه اسم كل شيء ، وقال غيرهما : إنما علمه أسماء الملائكة ، وقال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين . والذي نذهب إليه في ذلك ماذكرناه عن ابن عباس . وقد كتب السيوطي بحثا مستفيضا في هذه المسئلة في كتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٨ -٢٨ وانظر في الخصائص ١/ ٤٠ - ٤٨ ، ٢/ ٢٨.

(١) الكشف والبيان ١/ ٤٤٦ .

(٢) في ح : لفظي .

(٣) انظر شرح المفصل في صنعة الإعراب لصدر الأفاضل ١/ ١٨٨ ١٩٠ .

القسم الثاني، وأما "الله" و"الرحمن" فمن القسم الأول.

بيان ذلك أن "الإلاه "من حيث إنه كان اسما لكل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بالحق هو مثل النجم والكتاب .

وأما الله من حيث إن المعبود يجب أن يكون خالقا رازقا مدبرا مقتدرا إلى ما لانهاية له، واسم "الله" جامع لهذه المعانى ، ومن لم يجتمع فيه كل ذلك لم يستحق أن يسمى به ، فتكون الغلبة بحسب الدليل، وكذا "الرحمن" صفة لمن وسعت رحمته كل شيء ، ومن لم يكن كذلك لا يسمى رحمانا، وليس كذلك إلا الله، فهو بهذا الاعتبار من الصفات الغالبة .

قال : والحاصل أن الإلاه من حيث الإطلاق والاستعمال من غير اعتبار المعنى من قبيل النجم ، ومن حيث اعتبار المعنى و الاستحقاق من قبيل العيوق والدبران ، ثم فرق بين الصيغتين بالتعويض وتركه[1] .

وقال الشيخ أكمل الدين : فيما ذكره المصنف بحث؛لأن المراد من اسم الجنس إما أن يكون ما يطلق على أفراد متفقة الحقيقة، كالرجل والفرس، كما يدل عليه ظاهر كلامه ، وإما أن يكون ما علق على شيء ، وعلى ما أشبهه ، أعمّ من أن يكون مختلف الحقيقة، أولا ، ولا سبيل إلى شيء منهما.

أما الأوّل فلأن حقيقته تعالى ممتازة عن سائر الحقائق ، لم يشاركه شيء فيها تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

وأما الثاني فلانتفاء المشابهة ؛لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شي﴾ [سورة الشورى ١١]قال : والجواب : أن المراد ما يقع على أفراد أعم من أن تكون متفقة الحقيقة ، أولا يشبه

بعضها بعضا ، أولا ، وحينئذ يجوز أن يقع على المعبود بحق وبغيره بالاشتراك اللفظي [2].

وقال الشيخ سعد الدين : الإلاه اسم لمفهوم كلي، هو المعبود بحق ، و"الله" علم لذات معين ، هو المعبود بالحق، وبهذا الاعتبار كان قولنا: لا إله إلا الله كلمة التوحيد، أي لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق [3].

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٨٧ .

(٢) حاشية أكمل الدين ل٩ .

(٣) حاشية سعد الدين ل١١ .

وقال الفاضل اليمني : جعل "الله "مختصا ، بخلاف الإلاه ، مع أنه غـالب ، و الغالب أيضا مختص بناء على أن الإلاه في أصل وضعه قبل غلبته كان يستعمل في المعبود مطلقا، وأما الله فلم يستعمل إلا في المعبود بحق [(١)].

وقال الشريف : اختار الزمخشري في اسم الله أنه عربي ، وأنه كان في الأصـل اسم جنس، ثم صار علما لذات المعبود بالحق ، وأن أصله الإلاه ، وأنه مشتق مـن أله : بمعنى تحير، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ، ثم غلـب معرفـا بـاللام على المعبود بحق، أي على الذات المخصوصة ، فصار علما لـه بالغلبـة، ينصـرف إليه عند الإطلاق كسائر الأعلام الغالبة، ثم أريد تأكيد الاختصاص بالتغيير فحذفت الهمزة ، وصار " الله" بحذف الهمزة مختصا بالمعبود بالحق، فـالإلاه قبـل حـذف الهمزة وبعدها علم لتلك الذات المعينة، إلا أنه قبل الحذف أطلق على غيره إطلاق النجم على غير الثريا، وبعده لم يطلق على غيره أصلا [(٢)].

فائدة : حكى الإمام في معنى الإلاه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه المعبود .

والثاني : أنه المستحق للعبادة .

والثالث : أنه القادر على أفعال يفعلها [(٣)] .

---

(١) تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف ل٧ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ٣٦ .

(٣) التفسير الكبير ١/ ١٥٨ – ١٥٩ قلت : هذان المعنيان الأولان صحيحان ، غـير أنـه يضـاف إلـى المعنى الأول كلمة : بالحق ، وهما متلازمـان ، فـلا يعبـده خلقـه إلا بعـد اعتقـادهم استحقاق العبادة له ، فهم يعتقدون أن الله مستحق للعبادة، ثـم يعبـدون ، واللـه هـو المسـتحق للعبـادة ، المعبود بحق ، ولهذا نري المحققين من أهل العلم يفسرون تارة الإله بأنـه المسـتحق للعبـادة ، وتارة بأنه المعبود بالحق ، وينكرون تفسير الإلاه بالمعنى الثالث .

قال الشيخ الإسلام بن تيميه في التسعينية ٣/ ٨٠٠ و الإلاه هو المستحق للعبادة ، فأما من اعتقد في الله أنه رب كل شيئ وخالقه ، وهو مع هذا يعبد غيره فإنه مشرك بربه ، متخذ من دونه إلاها آخر ، فليست الإلاهيـة هـي الخلـق ، أو القـدرة علـى الخلـق ، أو القـدم ، كمـا يفسـر هـؤلاء المبتدعون في التوحيد من أهل الكلام ، إذ المشركون الذين شهد الله ورسـوله بـأنهم مشـركون من العرب وغيرهم لم يكونوا يشكون في أن الله خالق كل شـيئ ، وربـه ، فلوكـان هـذا إلاهيـة لكانوا قائلين : إنه لا إله إلا هو . وقال أيضا في قاعدة جامعة في توحيد الله ٣١ الإلاه هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما .

قوله : (واشتقاقه من أَلَهَ إلاهَةً وألوهة وألوهية: بمعنى عبد)

قال أبو البقاء: فإلاه مصدر في موضع المفعول ، أي المألوه ، وهو المعبود[1].

وفي الصحاح : أَلَهَ بالفتح إلاهة : أي عبد عبادة [2].

وقول المصنف : (إن الإلاه مشتق من أله إلاهة) أصوب من قول "الكشاف": "إن أَلَهَ مشتق من الإلاه، كاستنوق، واستحجر ، من الناقة والحجر " [3]؛ لأنه -كما قال الشيخ سعد الدين- : أوفق للقواعد [4]، وكما قال البلقيني : إنما يصار إلى الاشتقاق من اسم العين عند تعذر الاشتقاق من اسم المعنى ، وهو المصدر ، ولا تعذر هنا.

قوله : (ومنه تأله) أي تنسك وتعبد (و استأله) أي استعبد من مادة أله ، فهو أصوب من قول " ا لكشاف" كما تقدم .

قوله : (وقيل: من أله : إذا تحيَّرَ) .

هذا بكسر اللام . في الصحاح : أله يأله ألها : أي تحير ، وفي القاموس : أله كفرح تحَيَّرَ [5].

قوله : (وقيل: أصله لاه) .

قال ابن خروف : فيكون منقولا من لفظ متوهم ، ودخلت الألف و اللام ، فيكون فَعْلاً ، كباب وناب ، على أنه مقلوب من وَلِهَ؛لأن باب لَوَهَ ليس في الكلام ، ولا لَيَهَ ، وهو من قولهم : ولهت المرأة إذا ذهب عقلها لفقد حميمها، فالوله من العباد إليه تعالى ، تعلق نفوسهم به ، وذهاب عقولهم في النظر في مخلوقاته ، وعظيم سلطانه [6].

قوله : (ويشهد له قول الشاعر :

كحلفة من أبي رباح يشهدها لاهه الكبار)

هو من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس ، أولها :

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤ .

(٢) الصحاح/ مادة أله .

(٣) الكشاف ١/ ٣٧ .

(٤) حاشية سعد الدين ل١١ .

(٥) الصحاح ، والقاموس / مادة أله .

(٦) شرح جمل الزجاجي ١/ ٢٤٨ .

أَلَـمْ تَـرَوْا إرَمَـا وَعَـادا ... أفنـاهُمُ [١] اللَّيـلُ والنهـارُ

أَوْدَوْا فَلَـمْ يَعْـدُ [٢] أنْ تَـآدَوْا ... قَفَّـى عَلَـى إثْـرِهِمْ قُـدَارُ

وقَبْلَهُـم غَـالَتِ المَنَايـا ... طَسْـماً فَلَـمْ يُنْجِهَـا الحِـذَارُ

وحَـلَّ بـالحَيِّ مِـن جَدِيـسٍ ... يَـوْمٌ مِـنَ الشَـرِّ مُسْتَـطارُ

وَأَهْـلُ غُمْـدانَ جَمَّعُـوْا ... لِلدَّهْـرِ مـا يَجْمَـعُ الخِيَـارُ

وَأَهْـلُ جَـوٍّ أَتَـتْ عَلَيْـهِمْ ... فَأَفْسَـدَتْ عَيْشَـهُمْ فَبَـارُوْا

فَصَبَّحَتْهُـمْ مِـنَ الدَّوَاهِـيْ ... نَائِحَـةٌ [٣] عَقبُهَـا الدَّمَـارُ

وَقَـدْ غَنُـوْا فِـيْ ظِـلالِ مُـلْكٍ ... مُؤَيَّـدٍ عَقْلُهُـم جُبَـارُ [٤]

وَمَـرَّ دَهْـرٌ [٥] عَلَـى وَبَـارِ ... فَهَلَكَـتْ جَهْـرَةً وَبَـارُ

بَـلْ لَيْـتَ شِـعْرِيْ وَأَيْـنَ لَيْـتٌ ... هَـلْ يُسْـتَفَاءَنَّ [٦] مُسْتَـعَارُ

أَمْ هَـلْ [٧] يَعُـوْدَنَّ بَعْـدَ عُسْـرٍ ... عَـلَى أَخِـيْ شِـدَّةٍ [٨] يسـارُ

أَمْ هَـلْ [٩] يُشَـدَّنَّ مِـنْ لَقُـوحٍ ... بِالشَّـخْبِ مِـنْ ثَـرَّةٍ صِـرارُ

أَقْسَـمْتُمُوْا حَلِفـاً جِهَـاراً ... وَنَحْـنُ مـا عندنـا غِـرَارُ [١٠]

نَحْيَـى جَمِيعـاً وَلَـمْ يُفِدْكُـمْ ... طَعْـنٌ لَنَـا فـي الكُلَـى فَـوَارُ

تاللـه لا نُعْطِيْـكُمْ [١١] ... إلا عِـرَاراً فَـذَا عِـرَارُ

كَحَلْفَـةٍ مِـن أَبِـيْ رِبَـاحِ ... يَسْـمَعُهَا لا هُـهُ الكُـبَارُ [١٢] .

---

(١) رواية الديوان : أودى بها .

(٢) رواية الديوان : بادوا فلما أن .

(٣) رواية لديوان : جائحة.

(٤) في رواية الديوان : جفار .

(٥) رواية الديوان : حد .

(٦) رواية الديوان : وهل يفيئن .

(٧) رواية الديوان : وهل .

(٨) رواية الديوان : فاقة .

(٩) رواية الديوان : وهل .

(١٠) ليس هذا البيت في الديوان .

(١١) رواية الديوان : أقسمتم لا نعطيكم .

(١٢) ديوان الأعشى الكبير ٢٨١ وانظر في الإسعاف في شرح أبيات القاضي والكشاف لخضر بن عطا الله الموصلي ل٧ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٦٩٤ التفسير .

الحلفة بالفاء المرة من الحلف ، وهو القسم.

وأبو رباح ضبط في "ديوان الأعشى" بخط أبي الغنائم الخلال [1] بالراء المفتوحة ، والباء الموحدة . ولاهه أي إلاهه ، أتى به على الأصل .

والكبار بضم الكاف ، وتخفيف الموحدة ، بمعنى الكبير ، وهو صفة لاهه .

ورأيته في "ديوان الأعشى" بخط أبي القاسم الآمدي اللغوي [2] بلفظ :

... ... يسمعها اللهم الكبار .

وكذا أورده الصغاني [3] في " العباب" ولا شاهد فيه على هذا ، ولكن فيه استعمال" اللهم" فاعلا غير منادى شذوذا.

تنبيه: استشهد المصنف على هذا القول بالشعر ، وأحسن منه صنع محمود بن حمزة الكرماني ، فإنه استشهد عليه بقراءة ﴿ وهو الذي في السماء لاه وفي الأرض لاه﴾ وإن كانت شاذة .

قوله : (ولأنه لو كان وصفا لم يكن قول لا إله إلا الله توحيداً ، مثل لا إله إلا الرحمن ، فإنه لا يمنع الشركة) .

قال الطيبي : كتب القاضي في حاشيته : الرحمن وإن خص بالبارئ تعالى إلا أن ذلك قد حصل بدليل منفصل ؛ لأنه من حيث اللغة الذي يبالغ في الرحمة[4] .

قوله : (والأظهر أنه وصف في أصله) .

(١) هو محمد بن أحمد بن عمر الخلال أبو الغنائم اللغوي : إمام عالم جيد الضبط ، صحيح الخط ، معتمد عليه . معجم الأدباء ٥/ ٢٣٤٦ وبغية الوعاة ١/ ٣٧ .

(٢) هو الحسن بن بشر بن يحيى أبو القاسم الآمدي النحوي ، كان حسن الفهم ، جيد الرواية والدراية ، توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة . إنباه الرواة ١/ ٢٨٥ وبغية الوعاة ١/ ٥٠٠ .

(٣) هو الحسن بن محمد بن الحسن أبو الفضائل رضي الدين الصغاني ، حامل لواء اللغة في زمانه ، وكان إليه المنتهى في اللغة ، له من التصانيف التكملة على الصحاح ، العباب ، وصل فيه إلى فصل بكم ، توفي سنة خمسين وستمائة . الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٤٠ وبغية الوعاة ١/ ٥١٩ طبع من كتاب العباب قطع من حروف الهمزة ، والطاء والغين ، والفاء ، ولم أر فيها ما عزاه إليه المؤلف .

(٤) عرفت من طريقة الطيبي في كتابه "فتوح الغيب" أنه إذا قال: قال القاضي يقصد به البيضاوي ، ومعنى هذا أللبيضاوي حاشية على تفسيره أنوار التنزيل ، بيد أن المترجمين له لم يذكروا له هذه الحاشية .

الصواب نقلا ودليلا أنه علم من أصله ، أما النقل فإن أكابر المعتبرين عليه كالشافعي ، ومحمد بن الحسن [(١)] ، والخطابي [(٢)] ، وإمام الحرمين ، والغزالي، والإمام فخر الدين ، ونسبه لأكثر الأصوليين ، والفقهاء ، ونقل عن اختيار الخليل، وسيبويه ، و المازني ، وابن الكيسان [(٣)] ، وأبي زيد البلخي [(٤)] ، وغيرهم .

وعزاه أبو حيان للأكثرين ،وابن خروف لأكثر الأشعرية.

قال الجنزي [(٥)] : إذا لم يكن الله اسما، وكان صفة، وسائر أسمائه صفات لم يكن للبارئ تعالى اسم،ولم تبق العرب شيئا من الأشياء المعتبرة إلا سمته، ولم تسم خالق الأشياء وبارئها ومبدعها، هذا محال .

وفي " شرح الكوكب الوقاد "[(٦)] للعلامة عز الدين ابن جماعة [(٧)] : حكي أن

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني، الإمام صاحب الإمام، صنف الكتب ونشر علم أبي حنيفة ، توفي سنة سبع وثمانين ومائة . وفيات الأعيان ٤/ ١٨٤ والجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣/ ١٢٢ .

(٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطابي ، رحل في الحديث وطوف ، ثم ألف في فنون من العلم وصنف ، وفي شيوخه كثرة ، له شرح الأسماء الحسنى ، ومعالم السنن ، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣ وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٨٢ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي، كان يحفظ مذهب البصريين في النحو والكوفيين ، وصنف كتبا كثيرة ، توفي سنة تسع وتسعين ومائتين ، إنباه الرواة ٣/ ٥٧ وبغية الوعاة ١/ ١٨ .

(٤) هو أحمد بن سهل أبو زيد البلخي ، كان فاضلا قائما بجميع العلوم القديمة والحديثة ، له كتاب نظم القرآن ، وكتاب ما أغلق من غريب القرآن ، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . معجم الأدباء ١/ ٢٧٤ وبغية الوعاة ١/ ٣١١ .

(٥) لعله : عمر بن عثمان بن الحسين أبو حفص الجنزي ، أحد أئمة الأدب ، وله باع طويل في الشعر والأدب ، صنف التصانيف ، وشرع في إملاء تفسير لوتم لم يوجد مثله ، توفي سنة خمسين وخمسمائة . معجم الأدباء ٥/ ٢٠٩٤ وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٠ .

(٦) الكوكب الوقاد في تصحيح الاعتقاد" أرجوزة في أصول الدين ، نظمها على بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن السخاوي ، ذكرها الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٢/ ٦٦ وحاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٥٢٣ وإسماعيل باشا في هدية العارفين ١/ ٧٠٨ ومن شرح ابن جماعة نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية بالقدس . انظر في تاريخ الأدب العربي ٦/ ٣٧٧ .

(٧) هو محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز عز الدين ابن جماعة الكناني الحموي ، بحر في العلوم الآلية من النحو والمنطق والمعاني والبيان ، وتوغل في الكلام والطب والتشريح ، وكان يقول: أعرف خمسة عشر علما لايعرف علماء عصري أسماءها ، توفي سنة تسع عشرة وثمانمائة . ذيل الدرر الكامنة ٢٤٧والضوء اللامع ٧/ ١٧١.

الأشعري رئي في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قيل : بماذا؟ قال : بقولي: بعلمية "الله" (١) .

قوله : (ولأنه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله ﴿ وهو الله في السموات ﴾ [سورة الأنعام ٣]معنى صحيحا) .

أي من حيث الظرفية المستحيلة على ذاته، فتعيّن أن يكون فيه معنى الوصفية، أي المعبود في السموات وفي الأرض

قال الطيبي وفيما ذكره نظر (٢) .

وقال الإمام في توجيه التعليل: لو كان علما لم يجز هذا التركيب، كما لا يجوز أن يقال : هو زيد في البلد، وهو بكر، ويجوز أن يقال: هو العالم الزاهد في البلد.

قال : والجواب أنه جار مجرى قولنا : هو زيد الذي لا نظير له في العلم والزهد (٣) .

فائدة : الفرق بين الصفة وبين ما هو اسم للصفة- كما قال الشيخ سعد الدين- أن الاسم قد يوضع للشيء باعتبار بعض معانيه وأوصافه ، من غير ملاحظة لخصوصية الذات،حتى إن اعتبار الذات عند ملاحظته لا يكون إلا لضرورة أن المعنى لا يقوم إلا بالذات ، وذلك صفة كالمعبود ، ولذلك فسروا الصفة بما يدلّ على ذات باعتبار معنى هو المقصود ، أو على ذات مبهم ومعنى معين، والتزموا ذكر الموصوف معه لفظا أو تقديرا لتبيين الذات ، وقد يوضع للشيء بدون ملاحظة ما فيه من المعاني ، كرجل وفرس ، أو مع ملاحظة لبعض الأوصاف و المعاني كالكتاب للشيء المكتوب ، و النباب للجسم النابت ، وكجميع أسماء الزمان والمكان والآلة ، ونحو ذلك مما لا يحصى ، وذلك اسم غير صفة ، ويستدل على أن المقصود هو المعنى ، أو الذات بأن الأول لا يوصف ، ويوصف به ، والثاني

---

(١) هذه الرؤية لم يضبطها الرائي المحكي عنه- إن رآها- ، أولها تعبير آخر غير الظاهر منها ، فليس بلازم أن يكون تعبير الرؤيا طبق ما رؤي كما قرره ابن قتيبة في كتاب تعبير الرؤيا ٢٦ وذلك أن علمية لفظ الجلالة ، أو وصفيته أمر اصطلاحي حادث ، ولم يجعل الله القول بالعلمية أو الوصفية عملا صالحا في دينه ، فضلا عن أن يعدها أفضل الأعمال وأزكاها وأوفاها عند الله حتى ينيط بها غفران الذنوب دون سائر الأعمال الصالحة .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٩١ .

(٣) التفسير الكبير ١/ ١٥٨ .

بالعكس [1] .

قوله : (وقيل أصله لاها بالسريانية)

عبارة الإمام: وزعم بعضهم أنها عبرية ، أو سريانية ، فإنهم يقولون : لاها رحمانا مرحانا،فلما عرب جعل" الله الرحمن الرحيم".

قال : وهذا بعيد ، ولا يلزم من المشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن في كون هذه اللفظة عربية [2] .

وفي " الكشاف" للبلقيني: قال أبو زيد البلخي: هو أعجمي، فإن اليهود و النصارى يقولون: لاها، فأخذت العرب هذه اللفظة وعرّبتها .

وهذا يوافق قول من قال: إن أصله لاها بالسريانية،فإنهم يقولون ذلك ممدودا ، كما يقولون في الروح: روحا، وفي القدس قدسا، ثم تلقته العرب فحذفت المدة وعرّبته ، وأدخلت عليه" ال" ،وجعلته بهذه الصيغة ، فلا اشتقاق له على هذا ؛لأنه أعجمي معرّب.

قال البلقيني: وهذا القول لا يلتفت إليه ، ولا دليل عليه؛إذ لا يصار إلى إثبات العجمة بغير دليل.

قوله : (و تفخيم لامه)

قال الشيخ سعد الدين : معنى التفخيم هاهنا التغليظ، على ما هو ضد الترقيق ، وقد يجيء بمعنى ترك الإمالة ، وبمعنى إمالة الألف إلى مخرج الواو [3] .

زاد الشريف: كما في الصلاة و الزكاة.

وقال الشيخ أكمل الدين: التفخيم يطلق على ضد الترقيق ، وهو التغليظ ، وعلى ضد الإمالة بالاشتراك ، و المراد هو الأوّل [4] .

قوله : (سنة)

قال الشريف : أي طريقة مسلوكة [5] .

---

(١) حاشية سعد الدين ل١١ وفيه: ولا خفاء في أن الإلاه من قبيل الثاني ، لأنه ثبت في الاستعمال إلاه واحد ، ولم يثبت شيىء إلاه ، فيكون اسماً .

(٢) التفسير الكبير١/ ١٦٣ .

(٣) حاشية سعد الدين ل١٢ .

(٤) حاشية أكمل الدين ل١٥ .

(٥) حاشية الشريف ١/ ٤٠ .

قوله : (وقيل: مطلقا) .

أي ولو انكسر ما قبله ، وهذا ينافيه قول الشيخ سعد الدين : أطبقوا على أن لا تفخيم عند كسر ماقبله [١] .

وقال الشريف : ولا تفخيم بعد الكسر اتفاقا؛ لاستثقال علوّ التفخيم بعد استفال الكسرة [٢] .

وقال الشيخ أكمل الدين : إنما يجري فيه التفخيم إذا كان ما قبله ضمة ، أو فتحة ، فأما إذا كان ما قبله كسرة فقد اتفق القراء على ترقيق اللام كما في بسم الله؛ لأن الانتقال من الكسرة إلى اللام المفخمة ثقيل؛لاقتضاء الكسرة التسفل ، وذاك الاستعلاء[٣] .

قوله : (وحذف ألفه لحن) .

نازع فيه النووي ، كما سنذكره .

قوله : (ولا ينعقد به صريح اليمين) .

ظاهره أنه تنعقد به الكناية ، بأن ينوي به اليمين ، فيصح ، وهو ما ذكره الجويني، والإمام ، والغزالي، حملا لحذف الألف على اللحن ، وسكت عليه الرافعي [٤] .

وقال النووي في "الروضة" : ينبغي أن لا يكون يمينا ؛لأن اليمين لا تكون إلا باسم الله، أو صفة له.

ولا نسلم أن هذا لحن ؛ لأن اللحن مخالفة صواب الإعراب ، بل هذه كلمة أخرى ، إذ البِلَّةُ هي الرطوبة[٥] .

ونازعه الإسنوي في " المهمات": فقال ليس كذلك ، بل هي لغة أخرى ، حكاها الزجاجي [٦] فيما حكاه عنه ابن الصلاح [٧] .

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٢ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ٤٠ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل١٥ .

(٤) العزيز شرح الوجيز١٢/ ٢٤٠ .

(٥) روضة الطالبين ١١ / ١٠ .

(٦) هو عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي ، صاحب الجمل ، منسوب إلى شيخه إبراهيم الزجاج، نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع في النحو ، توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١١٩ ، وبغية الوعاة ٢ / ٧٧ .

(٧) شرح مشكل الوسيط ٧ / ٢٠٨ .

قوله : (اسمان بنيا للمبالغة)

قال البلقيني : يخالفه قول جميع العلماء أن فَعَّالا ، وفَاعِلاً ، ونحوهما في صفات الله تعالى سواء .

قوله: (من رحم)

قال البلقيني: لا يجري ظاهره على طريقة البصريين، فإما أن يكون جرى على طريقة الكوفيين ، وإما أن يكون أراد أنه من مادة رحم، لا أنه مشتق منه، ولو قيل: إنه من رَحَم المصدر لم يبعد ؛لأنه يقال: رحم يرحم رحمة ومرحمة وَرَحَماً، فهو راحم ورحيم ورحمان، وليس لنا فعل متعد جاء منه فاعل ، وفعيل ، وفعلان إلا رحم [1] ، وهذا دليل على عظم هذه الصفة واتساعها.

وقال الشريف : فإن قلت : الرحمن صفة مشبهة ، فلا تشتق إلا من فعل لازم، فكيف اشتق من رحم، وهو متعد.

وأما الرحيم فإن جعل صيغة مبالغة- كما نص عليه سيبويه في قولهم: هو رحيم[2] فلانا- فلا إشكال فيه، وإن جعل صفة مشبهة – كما يشعر به تمثيل صاحب" الكشاف" بمريض وسقيم- توجه عليه السؤال أيضا.

قلت : الفعل المتعدي قد يجعل لازما بمنزلة الغرائز ، فينقل إلى فَعُل بضم العين، ثم تشتق منه الصفة المشبهة، وهذا مطرد في باب المدح والذمّ ، نص عليه في" تصريف المفتاح" وذكره الزمخشري في" الفائق"في فقير، ورفيع ، ألا ترى أن قوله تعالى﴿ رفيع الدرجات﴾ [سورة غافر: ١٤] معناه رفيع درجاته، لا رافع للدرجات [3]. انتهى.

ومشى عليه شيخنا العلاّمة محيي الدين الكافيجي فقال: الرحمن فعلان من فعل بالكسر صفة مشبهة، لكن بعد النقل إلى فعُل، أو بعد تنزيل المتعدي منزلة

---

(١) يرد عليه ما حكاه ابن خالويه ، فقد جاء في : كتاب نتائج المذاكرة ٣٨ : وقد حكي أن سيف الدولة قال لابن خالويه : لم يأت على تصريف : رحم فهو راحم ، ورحيم ، ورحمان إلا قولهم : سلم فهو سالم ، وسليم ، وسلمان ، وندم فهو نادم ، ونديم ، وندمان ، فقال ابن خالويه : أنا أعرف رابعا في نسب الأمير ، وهو : حمد ، فهو حامد ، وحميد ، وحمدان .

(٢) الكتاب ١/ ١١٠ .

(٣) الكشاف ١/ ٤١ وحاشية الشريف ١/ ٤١ ولم أر ما نقله الشريف عن تصريف المفتاح للسكاكي، والفائق للزمخشري فيهما .

الفعل اللازم، كما في قولك: فلان يعطي[1] .

قوله: (كالغضبان من غَضِبَ)

قال البلقيني: يقال عليه باب فعلان في نحو غضبان مخالف لرحمان، فإن فعل غضبان ونحوه لازم، وهو المطرد في فعلان ، وأما رحمان ففعله متعد، وفعلان من المتعدي نادر، وأيضا فإن باب فعلان في غضبان ونحوه للأمور التي تتحول وتهجم في كثير من الأحوال على صاحبها من غير اختياره، ولا كذلك رحمان، وأيضا فليس من الأدب التشبيه الذي ذكره، ولو قال: الرحمان فعلان من رحم أو رحمة، كمنان من المن، وحنان من الحنان لكان أولى.

قوله : (والرحمة في اللغة رقة القلب) إلى آخره.

حاصله أن حقيقة الرحمة يستحيل إطلاقها على الله تعالى، فتفسر بلازمها، كسائر ماورد وصفه به مما استحالت حقيقته، كالرضا ، و الغضب، والضحك.

وهل تفسر الرحمة بإرادة الخير ، أو بالإنعام على العباد قولان، فعلى الأوّل هي من صفات الذات ، وعلى الثاني هي من صفات الأفعال .

قال بعض أصحاب الحواشي: منشأ الخلاف أن من رحم شخصا أراد به الخير، ثم فعله به ، فأبو الحسن الأشعري أخذ المجاز الأقرب ، وهو الإرادة ، و القاضي أبو بكر أخذ المجاز المقصود ، وهو الفعل[2] .

---

(١) شرح قواعد الإعراب ٣٩ .

(٢) هنا وقفات : الأولى : ما نقله السيوطي عن بعض أصحاب الحواشي فيه نظر ، فإني رأيت في كتابي أبي الحسن الأشعري ، وأبي بكر الباقلاني اتفاق تأويلهما لصفة الرضا والغضب بالإرادة ، قال أبو الحسن الأشعري في : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ١٣٠: وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له ، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم ، وأنه يحب التوابين ، ويسخط على الكافرين ، ويغضب عليهم ، وأن غضبه إرادته لعذابهم . وقال أبو بكر الباقلاني في : كتاب التمهيد ٢٧ : فهل تقولون : إنه تعالى غضبان راض ، وأنه موصوف بذلك ؟ قيل له : أجل ، وغضبه على من غضب عليه ، ورضاه عمن رضي عنه هما إرادته لإثابة المرضي عنه ، وعقوبة المغضوب عليه ، لا غير ذلك .

الوقفة الثانية : تفسير الصفات بآثارها غير صحيح ، فالصفات شيء وآثارها شيء آخر ، فالرحمة صفة اختيارية قائمة بالله ، وأثرها الإنعام والإحسان إلى خلقه ، والغضب صفة اختيارية قائمة بالله ، وأثرها عقوبة العاصين ، وقد اقتبس الإمام ابن القيم الصفات وآثارها في : مدارج السالكين ١ / ٢٦٥ من حديث : "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من

=

قوله : (و الرحمان أبلغ من الرحيم)

قال الراغب : لأن فعيلا لمن كثر منه الفعل ، وفعلان لمن كثر منـه وتكـرر [1]، وذهب قطرب إلى أنهما سواء في المبالغة ، وقرره الجويني بأن فعلان من تكرر منه الفعل وكثر، وفعيل من ثبت منه الفعل ودام .

وقال الشيخ سعد الدين : هذا مـا ذكـر فـي كتـب اللغـة أن الرحمـان أرق مـن الرحيم. وحاصله أن معنى الرحيم ذو الرحمة ، ومعنى الرحمان كثير الرحمة جدا.

قوله : (لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى) .

قال صاحب" الإنصاف" : هو منقوض بحذر ، فإنه أبلغ من حاذر [2] .

وأجاب صاحب " الانتصاف" بأن الأغلب ما ذكره المصنـف، وبـأن حـذرا لـم تقع المبالغة فيه لنقص الحـروف، بـل لإلحاقـه بـالأمور الجبليـة، كالشَـرِه والنَهِـم والفَطِنِ، ولانقض مع اختلاف العلة [3] .

قال الشيخ سعد الدين: وقع في الرحمان زيادة على الحروف الأصول فوق مـا

عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت علـى نفسـك " قـال : فتـأمل ذكر استعاذته صلى الله عليه وسلم بصفة الرضا من صفـة السـخط ، وبفعـل المعافـاة مـن فعـل العقوبة فالأول للصفة ، والثاني لأثرها المترتب عليها .

الوقفة الثالثة : هذه المسألة هي المسألة المعروفة بقيام الصفات الاختيارية بالله تعالى ، ويسميها المتكلمون بحلول الحوادث بالله ، وهي الصفات التي تقوم بذات الله بمشـيئته واختيـاره ، مـن الصفات اللازمة مثل استوائه على العرش ، ومجيئة ، ونزوله ، والصفات المتعديـة مثـل محبته ورضاه ، ورحمته ، وغضبه ، وسخطه ، فمذهب السلف فـي هـذه الصفـات وآثارهـا الإثبـات ، وأنها قائمة بالله تعالى ، وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في ذلك . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع ، وأما الأحـاديث الصحيحـة فـلا يمكن ضبطها في هذا الباب . انظر في : رسالة في الصفات الاختيارية ٢٣

وأما المتكلمون فقد أنكروا قيام هذه الصفات بالله تعالى ، وقامت في أنفسهم شبه منعتهـم مـن إثباتها ، وأشهر هذه الشبه هي : أنه لو قامت به الحوادث (الصفات الاختيارية) لم يخل منهـا ، وما يخل من الحوادث فهو حادث ، ومقدمتا هذه الشـبهة منقوضتـان ، نقـض الأولـى أسـاطين المتكلمين ، كالرازي والآمدي ، ونقض الثانية الفلاسفة . انظر في كتـاب الـرد علـى المنطقييـن ٤٦٣ .

(١) مقدمة جامع التفسير ١١٥ .

(٢) الانتصاف ١/ ٤١ .

(٣) الإنصاف ل٢ .

وقع في الرحيم، وأهل العربية يقولون: إن الزيادة في البناء تفيد الزيادة في المعنى.

ونوقض بحذر فإنه أبلغ من حاذر.

وأجيب : بأن ذلك أكثري لا كلي ، وبأن ما ذكر لا ينافي أن يقع في البناء الأنقص زيادة معنى بسبب آخر، كالإلحاق بالأمور الجبلية مثل شره ونهم ، وبأن ذلك فيما إذا كان اللفظان المتلاقيان في الاشتقاق متحدي النوع في المعنى ، كغَرِثٍ وغرْثَان ، وصَدِ وصديان ، لا كحذر وحاذر للاختلاف [1] .

وقال الشيخ أكمل الدين: ذكر صاحب" المفتاح" في تصريفه ما معناه : إن الشرط في أن الزيادة في البناء لزيادة في المعنى- بعد الرجوع إلى أصل واحد في الاشتقاق- الاتحاد في النوع ،فلا ينتقض بنحو حاذر وحذر ؛ لأنهما نوعان ، وكفاك دليلا نحو غرث وغرثان وصد وصديان ، فإن ذلك راجع إلى أصل وا حد ، وهو اسم الفاعل ، كالرحمان والرحيم ، بخلاف حذر وحاذر ، فإن أحدهما اسم فاعل ، و الآخر صفة مشبهة [2] .

قوله : (تارة باعتبار الكمية، وأخرى باعتبار الكيفية) إلى آخره.

تقريره ما ذكره صاحب [3] " المطلع" : أن الواصل في الدنيا كثير الكمية، باعتبار كثرة من يصل إليه من مؤمن وكافر وحيوان ، قليل الكيفية لقلتا لدنيا وسرعة انصرامها وكثرة شوائبها ، و الواصل في الآخرة قليل الكمية بالإضافة إلى من يصل إليه ، وهم المؤمنون ، كثير الكيفية ؛ لوجود الملك المؤبد ، والنعيم المخلد .

قوله : (قيل: يارحمان الدنيا ورحيم الآخرة) ثم قال :

(قيل : يارحمان الدنيا و الآخرة ، ورحيم الدنيا) .

تابع في ذلك "الكشاف"[4] .

قال الطيبي : هذا دليل على أن الرحمان أبلغ من الرحيم [5] .

وقال البلقيني :هذان الأثران لا يُعرفان ، بل الوارد ((رحمان الدنيا و الآخرة

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٢ .

(٢) المفتاح ٩٧ وحاشية أكمل الدين ل١١ .

(٣) لم أعرفه .

(٤) الكشاف ١/ ٤١ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٩٣ .

ورحيمهما))[1] أخرجه الحاكم في " المستدرك" مرفوعا.

قوله: (وإنما قدم، و القياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلا) .

قال الشيخ علم الدين العراقي : لأنك إذا ذكرت الأعلا أولا ، ثم الأدنى لم يتجدد بذكر الأدنى فائدة ، بخلاف عكسه [2] .

قال ابن المنير : وهذا في الإثبات ، وأما في النفي فعلى العكس يقدم الأعلا ، وعلته واحدة ، إذ يلزم من نفي الأدنى نفي الأعلا ؛ لأن ثبوت الأخص يستلزم ثبوت الأعمّ ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص [3] .

وقال الشيخ جمال الدين ابن هشام : هذا السؤال الذي سأله الزمخشري وغيره: لم قدم الرحمان مع أن عادتهم تقديم غير الأبلغ غير متجه؛لأن هذا خارج عن كلام العرب من وجهين ؛ لأنه لم يستعمل صفة ، ولا مجردا من"ال"، وينبني على علميته أنه في البسملة ونحوها بدل ، لا نعت ، وأن الرحيم بعده نعت له ، لا نعت لاسم الله سبحانه ؛ إذ لا يتقدم البدل على النعت .

قال : ومما يوضح لك أنه غير صفة مجيئه كثيرا غير تابع نحو﴿ الرحمن علم القرآن﴾ [سورة الرحمن ١] ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [سورة الإسراء ١١٠] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ [سورة الفرقان ٦٠] انتهى.

---

(١) رواه أبو بكر أحمد بن علي المروزي في مسند أبي بكر الصديق ٩٣ والبزار في المسند (البحر الزخار ١/ ١٣١) والطبراني في كتاب الدعاء ٢/ ١٢٨٢ والحاكم في المستدرك ١/ ٥١٥ والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٧١ وأبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب ٢/ ٥٢٢ من طريق الحكم بن عبد الله الأيلي، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، عن أبي بكر . قال البزار: الحكم بن عبد الله ضعيف جدا . وقال الحاكم : وهذا حديث صحيح ، غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبد الله الأيلي . وقال الذهبي : الحكم ليس بثقة . وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٦٠٠ قال الحاكم: صحيح الإسناد ، كيف والحكم متروك متهم ، والقاسم مع ماقيل فيه لم يسمع من عائشة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٩٩ وفيه الحكم بن عبد الله الأيلي ، وهو متروك . وقال السيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٤ سنده ضعيف. قلت : ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٤١ عن الفضل بن دكين ، عن فطر ، عن عبد الرحمن بن سابط مرفوعا مرسلا . وهو مرسل صحيح .

(٢) الانصاف ل٣ .

(٣) الانتصاف ١/ ٤٥ .

قوله : (ولأنه صار كالعلم من حيث أنه لا يوصف به غيره) .

قال الكرماني: بالإجماع [١] .

وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : "الفرق بين لفظ " اللـه" و" الرحمـان " وإن كان كل واحد منهما لم تقع المشاركة فيه أن المنع في اسـم الرحمـان شـرعي طرأ بعد الإسلام، بخلاف الآخر فإنه لم يتجرأ عليه أحد قبل الإسلام ولا بعده [٢].

تنبيه: ظاهر كلامه أن الرحيم يوصف به غيره ، وهو المعروف ، لكن أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أنه قال: الرحيم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه [٣] .

وظهر لي أن مراده المعرّف باللام ، دون المنكر و المضاف.

قوله : (فيكون كالتتمة والرديف) .

قال الطيـبي : حاصله أنه من باب التتميـم ، لا مـن بـاب الـترقي ، والتتميم تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة .

قال : وظاهر كلام الإمام أنه من باب التكميل ، وهو أن يؤتـى بكـلام فـي فـنّ فَيُرَى أنه ناقص فيه ، فيكمل بآخر ، فإنه لما قال : الرحمان يوهم أن جلائـل النعـم منه ، وأن الدقائق لا يجوز أن تنسب إليه لحقارتها ، فكمل بالرحيم .

وينصره حديث ((ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله [٤])) .

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٩٦ .

(٢) لم أره في الفوائد في مشكل القرآن ، ولا في تفسير القرآن العظيم لعز الدين بن عبد السلام .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم١/ ٢٨ .

(٤) التفسير الكبير ١/ ٢٣٤ وفتوح الغيب ١/ ١٠٠ والحديث رواه الـترمذي ٥/ ٥٦٠ ح ٣٦٠٤ مـن طريق أبي داود سليمان بن الأشعث ، وأبو يعلى في مسـنده ٦/ ١٣٠ - ومـن طريقـه ابـن حبـان (الإحسان ٣/ ١٤٨) والضياء المقدسى فـي المختـارة ٥/ ٩-والطـبراني فـي المعجـم الأوسـط ٥/ ٣٧٣ وفي كتاب الدعاء ٢/ ٧٩٧ من طريق محمد بن عبد الله الحضرمـي ، وابـن عـدي فـي الكامل ٦/ ١٠٧٦ من طريق إبراهيم بن يوسف ، وعبد الله بن محمد ، والضيـاء المقدسـي فـي المختارة ٥/ ١٠ من طريق يعقوب بن سفيان ، كلهم (أبو داود ، وأبو يعلى ، ومحمد بن عبدالله الحضرمي ، وإبراهيم بن يوسف ، وعبد الله بن محمد ، ويعقوب بن سفيان)عن قطن بن نسـير ، عن جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس .

ورواه البزار (كشف الأستار ٤/ ٣٧) عن سيار بن حاتم ، وابن عدي عن القواريري كلاهما عن جعفر بن سليمان به .

وعند ابن عدي ... فقال رجل للقواريري : إن لي شيخا يحد ث به عن جعفر، عـن ثـابت ، عـن أنس ، فقال القواريري : باطل ، وهذا كما قال. قال الترمذي : وروى غير واحـد هـذا الحديث =

قوله : (والأظهر أنه غير مصروف) إلى قوله : (إلحاقا له بالأعم الأغلب)[1].

وجه مُقَابِلِهِ الإلحاقُ بالأصل في الأسماء، وهو الصرف.

وهذه المسألة مما تعارض فيها قولا الأصل و الغالب في العربية ، وهي نادرة فيها مشهورةفي الفقه، وقد أوردتها في " الأشباه والنظائر " النحوية [2] .

ومال الشيخ سعد الدين إلى جواز الصرف وعدمه عملا بالأمرين .

قال : و الإعمال في الجملة أولى من الإهمال بالكلية [3] .

قوله : (على فعلى أو فعلانة)

قال صاحب" البسيط" : الأوزان وضعها النحويون أعلاما على موزوناتها اختصارا وإيجازا ، فإن كانت أوزانا للأفعال ، خاصة بها فحكمها حكم موزوناتها ، كقولك : فَعَل ماضٍ ، ويَفْعَلُ مضارعٌ ، وانفعل خماسي ، واستفعل سداسي ، أو لغيرها فإن وضعت لجنس ما يوزن بها سواء كانت للأسماء كفعلان ، وفاعلة ، وفعلة ، أو للأسماء و الأفعال كأفعل فحكمها حكم نفسها في منع الصرف وعدمه ؛ لأنها تصير مقصودة ، إذ مسماها للجنس ، كأسامة ، فلا يقصد بها مسمى معين ، فتقول : أفعل إذا كان اسما نكرة مصروف ، فلا ينصرف أفعل للتعريف ووزن الفعل، وإن كان موزونه مصروفا كأرنب ، وفعلان صفة لا ينصرف ، فلا ينصرف فعلان للتعريف و الألف والنون المشبهتين لألفي التأنيث ، وإن كان بعض موزونه

عن جعفر بن سليمان ، عن ثابت البناني ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكروا فيه عن أنس .

قال الترمذي: حدثنا صالح بن عبد الله ، قال أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت البناني ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره . قال الترمذي : وهذا أصح من حديث قطن ، عن جعفر بن سليمان .

قلت ظهر أن الحديث وصله قطن ، وسيار بن حاتم ، وأرسله صالح بن عبد الله ، وأما القواريري فوصله في النسخة المطبوعة من الكامل ولكن الشيخ الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضغيفة حديث ١٣٦٢ يري أن القواريري أرسله أيضا ، وأن الوصل خطأ من الناسخ . وعليه أرسل الحديث ثقتان هما صالح ، والقواريري ، ووصله ضعيفان ، وهما قطن ، وسيار ، فالصواب أنه مرسل .

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات أنوار التنزيل : إلحاقاً له بما هو الغالب في بابه .

(٢) الأشباه والنظائر في النحو١/ ٢٥٦ .

(٣) حاشية سعد الدين ل١٢ .

مصروفا نحو ندمان ، وإذا نكر انصرف ؛ لزوال علميته ، كقولك : كل أفعل صفة لا ينصرف فيصرف أفعل؛لأن دخول كل عليه سلب علميته وأوجب له التنكير،وليس بصفة،فليس فيه إلا وزن الفعل ، وإن لم توضع لجنس ما يوزن بها ، فإن وضعت كناية عن موزونها نحو مررت برجل أفعل لم ينصرف عند سيبويه ؛ لأنه كنا ية عن الوصف بمنزلة رجل أكرم، وصرفه المازني ؛ لأنه لامعنى للوصف فيه ، وإن كان موزونها مذكورا معها كقولك : وزن ضاربة فاعلة، ووزن طلحة فعلة ، ووزن أصبع أفعل ففيه مذهبان :

أحدهما : أن حكم الوزن حكم نفسه ، فلا ينصرف فاعلة ، وفعلة ؛ للعلمية والتأنيث ، ولا أفعل ؛ للعلمية ووزن الفعل .

و الثاني : حكمه حكم موزونه فإن كان مصروفا انصرف الوزن ، وإلا فلا ، وعلى هذا تصرف فاعلة وأفعل ؛ لانصراف ضاربة وأصبع ، دون فعلة لعدم انصراف طلحة .

حجة الأوّل : أن حكمه حكم علم الجنس .

وحجة الثاني : أن علم الجنس خارج عن القياس في الأعلام ، ولذلك احتيج إلى تأويله للدخول في حد[1] العلم؛لكونه نكرة في المعنى ، وإنما حكم لمفرداته بالعلمية ؛ لوجود الحقيقة في المفرد ، كوجودها في الجنس .

وأما أعلام الأوزان فإذا خرج مفرد منها إلى الوجود وجب اعتباره بنفسه؛لعدم مشاركته للجنس في حقيقته حتى تعتبر تلك الحقيقة فيه.

وزعم بعضهم أن التنوين في قولك: فاعل مفاعلة ، وفعلل فعللة مع وجود العلمية والتأنيث في المصدر تنوين المماثلة ، وليس بتنوين الصرف، ومعنى تنوين المماثلة أنه مماثل لموزونه في التنوين ، فإن موزونه منون.

ودليل علمية هذه الأوزان معاملتها معاملة المعارف في وصفها بالمعارف ، ونصب الحال عنها ، كقولك : فعلان الذي مؤنثه فعلى لا ينصرف ، وأفعل صفة لا ينصرف . انتهى.

وهذه فائدة مهمة يكثر دورانها في هذا الكتاب وغيره ، فقررتها هنا لتستفاد .

قوله : (فيتوجه بشراشره) .

---

(١) في د ، ق : حكم .

بتكرير المعجمة والراء .

في "الصحاح": يقال : ألقى عليه شراشره ، أي نفسه ، حرصا ومحبة [1] .

قال الكميت :[2]

وتُلْقَـى عليـهِ عِنـدَ كُـلِّ عَظِيمَـةٍ شراشـرُ مـن حَيَّـيْ نِـزَارٍ وَأَلْبُـبِ[3]

وفي القاموس : الشراشر النفس ، والأثقال ، والمحبة ، وجميع الجسد [4] .

وفي الأمثال للقمي [5] : قال الأصمعي : من أمثالهم : "ألقى عليه شراشره [6] " أي ألقى عليه نفسه من حبه.

والشراشر البدن ، وكل ما عليه من الثياب ، الواحدة شرشرة، ويقال: الشراشر ما تذبذب من الثياب.

قال ذو الرمة [7] :

وكَائِن تَـرَى مِـن رَشْـدَةٍ فـي كَرِيْهَـةٍ وَمِـنْ غَيَّـةٍ يُلْقَـى عَلَيهَـا الشَّرَاشِـرُ[8]

قوله : (الحمد هوالثناء على الجميل الاختياري)

قال الشريف : إذا خص الحمد بالأفعال الاختيارية يلزم أن لا يحمد الله على صفاته الذاتية ، كالعلم والقدرة و الإرادة ، سواء جعلت عين ذاته ، أو زائدة عليها ،

---

(١) الصحاح / مادة شرشر .

(٢) هو كميت بن زيد بن خنيس أبو المستهل ، كان رافضياً ، وكان شديد التكلف في الشعر ، كثير السرقة ، توفى سنة ست وعشرين ومائة . الشعر والشعراء ٢/ ٥٨١ وكتاب الأغاني ١٧/ ١ .

(٣) شعر الكميت بن زيد الأسدي ١/ ١/ ١٠٤ .

(٤) القاموس المحيط/ مادة شرشر .

(٥) هو أحمد بن إبراهيم بن سمكة القمي ، كان إماما فاضلا، صاحب تصانيف حسان، فمن تصانيفه الحسان كتابه في الأمثال، وهو كتاب جامع على الأبواب ككتاب أبي عبيد القاسم بن سلام ، إلا أنه أكبر وأكثر شرحا وبيانا ، توفي سنة خمسين وثلاثمائة . إنباه الرواة ١/ ٢٩ ومعجم المؤلفين ١/ ١٣٩.

(٦) كتاب الأمثال للأصمعي مفقود ، ولكن المثل ورد في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري١/ ١٧٤ .

(٧) هو غيلان بن عقبة بن بهيش أبو الحارث ، كان أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته مية بنت فلان ابن طلبة ، توفي في خلاف هشام بن عبد الملك ، وله أربعون سنة. الشعر والشعراء ١/ ٥٢٦ وكتاب الأغاني ١٨/ ١.

(٨) ديوان ذي الرمة٢/ ١٣٧ .

بل على إنعامه ، اللهم إلا أن تجعل تلك الصفات - لكون ذاته كافيه فيها- بمنزلة أفعال اختيارية ، يستقل بها فاعلها . قال : و الثناء هو الذكر بالخير [١] .

قوله : (من نعمة)

قال الشريف : أي إنعام بنعمة [٢] .

قوله : (و المدح هو الثناء على الجميل مطلقا)

حاصل ما فرّق به الناس بين الحمد و المدح أمور :

أحدها :- وعليه اقتصر المصنف- أن الحمد على الجميل الاختياري ، و المدح على ما لا اختيار فيه للعبد ، كالحسن .

ثانيها ، وثالثها : أن الحمد يشترط صدوره عن علم ، لا ظن ، وأن تكون الصفات المحمودة صفات كمال ، وا لمدح قد يكون عن ظنّ ، وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص مّا .

رابعها : أن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح ، وهو أخص بالعقلاء والعظماء ، وأكثر إطلاقا على الله .

قوله : (وقيل : هما أخوان) .

قال الطيبي : أي متشابهان ، لا مترادفان ، فإن الأخ يستعمل في المشابهة .

قال في "الفائق"في قوله : "كأخ السرار" أي كلاما كمثل المسارة ، وشبهها به لخفض صوته [٣] .

وقال الشريف : أي هما مترادفان ، ويدل على ذلك أنه قال في " الفائق" : الحمد هو المدح ، و الوصف بالجميل ، وأنه جعل هاهنا نقيض المدح ، أعني الذمّ نقيضا للحمد .

وقيل : أراد أنهما أخوان في الاشتقاق الكبير أو الأكبر ، أما الكبير فبأن يشتركا في الحروف الأصول من غير ترتيب ، مع اتحاد في المعنى ، أو تناسب فيه كالجذب و الجبذ ، وكالحمد والمدح ، وأما الأكبر فبأن يشتركا في أكثر تلك الحروف فقط ، مع الاتحاد ، أوالتناسب كَأَلَهِ ، ووله ، وكالفلق و الفلج [٤] .

---

(١) حاشية الشريف١/ ٤٦ .

(٢) حاشية الشريف١/ ٤٦ .

(٣) الفائق في غريب الحديث ١/ ٢٧ وفتوح الغيب١/ ١٠٠ .

(٤) حاشية الشريف١/ ٢٦ .

وقال الشيخ أكمل الدين : المراد بالأخوة تلاقيهما في الاشتقاق ؛ لتناسبهما في الحروف الأصلية -وهو ظاهر- مع الاشتراك في المعنى ، وهو الثناء المطلق ، أي الذكر بالجميل ، وليس المراد ترادفهما ؛ لأن الأخوة لا تقتضي الترادف .

وقيل : المراد بالأخوة الاستلزام ؛ وذلك لأن الحمد لا يكون إلا على الأفعال الاختيارية ، والمدح يستعمل في الأفعال الاختيارية وغيرها ، فكان بينهما عموم وخصوص مطلقا ، وإليه ذهب أكثر العلماء [(١)] .

قوله : (والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا) .

قال الطيبي : هذا عرف أهل الأصول، فإنهم يقولون : شكر المنعم واجب ، ويريدون به وجوب العبادة ، والعبادة لا تتم إلا بهذه الثلاثة ، وإلا فالشكر اللغوي ليس إلا باللسان [(٢)] .

قلت : وفيما ذكره نظر، فإن ظاهر القرآن و الحديث إطلاق الشكر على غير اللساني، قال الله تعالى﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ [سورة سبأ ١٣] وقال صلى الله عليه وسلّم: ((الحمد رأس الشكر [(٣)])) فإنه دال على إطلاق الشكر على غير الحمد أيضا .

وروى الطبراني في "الأوسط" عن النواس بن السمعان أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلّم الجدعاء سرقت ، فقال : ((لئن ردها الله عليّ لأ شكرن ربي)) فلما ردت قال : ((الحمد لله)) فانتظروا هل يحدث صوما أو صلاة ، فظنوا أنه نسي ، فقالوا له ، فقال : ((ألم أقل : الحمد لله [(٤)])) .

ووجه الدلالة : أن الصحابة لولا فهموا إطلاق الشكر على العمل لم ينتظروه .

تنبيه : أطبق الناس على جعل أقسام الشكر ثلاثة .

وزاد بعضهم رابعا ، وهو شكر الله بالله ، فلا يشكره حق شكره إلا هو. ذكره صاحب التحرير [(٥)] ، وأنشد :

---

(١) حاشية الشيخ أكمل الدين ل١٢ .

(٢) فتوح الغيب١/ ١٠٢ .

(٣) يأتي تخريجه قريباً .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ١٤قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٣٣٧ فيه عمرو بن واقد القرشي وقد وثقه محمد بن المبارك الصوري ، وردعليه ، وقد ضعفه الأئمة وترك حديثه .

(٥) لعله: التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير للعلامة محمد بن =

وَشُكْرُ ذَوِي الإحسانِ بالقلبِ تارةً وبالقولِ أخرى، ثم بالعمل لا يُنْسى
وَشُكْرِي لِرَبِّي لا بقلبي وطاعتي ولا بلساني،بل به شُكْرُهُ عنا

قوله: (أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثلاثةً يدي ولساني والضميرَ المُحَجَّبَا)

رأيت بخط الشيخ جمال الدين ابن هشام في بعض تعاليقه ما نصه : في استدلال الزمخشري وجماعة بهذا البيت نظر ؛ إذ لم يسم الشاعر هذه الأشياء شكرا ولا حمدا .

وقال الشيخ سعد الدين : عبارة " الفائق": وأما الشكر فلا يكون إلا على النعمة ، وهو مقابلتها قولا وفعلا ونية ، وذلك أن يثني على المنعم بلسانه ، ويدئب نفسه في الطاعة له ، ويعتقد أنه ولي النعمة، وقد جمعها الشاعر في قوله :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة[1] ... ... البيت

قال : فظهر أن المراد التمثيل لجميع شعب الشكر ، لا الاستشهاد والاستدلال على أن لفظ الشكر يطلق عليها.

ومعنى البيت : أفادتكم إنعاماتكم عليّ ثلاثة أشياء مني : المكافأة باليد، ونشر المحامد باللسان ، ووقف الفؤاد على المحبة والاعتقاد [2] .

وقال الشريف : الشكر إما بالقلب بأن يعتقد اتصاف المنعم بصفات الكمال ، وأنه وليّ النعمة ، وإما باللسان بأن يثني عليه بلسانه ، وإما بالجوارح بأن يدئب نفسه في طاعته وانقياده .

وقوله : أفادتكم النعماء... ....

استشهاد معنوي على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة .

وبيان ذلك أنه جعلها بإزاء النعمة جزاء لها ، متفرعا عليها ، وكلما هو جزاء النعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة .

ومن لم يتنبه لذلك زعم [3] أن المقصود مجرد التمثيل لجميع شعب الشكر ،

سليمان بن الحسن جمال الدين أبي عبد الله الحنفي المعروف بابن النقيب ، كان أحد الأئمة العلماء الزهاد ، صرف همته أكثر دهره إلى التفسير ، وتفسيره مشهور في نحو مائة مجلد ، توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة. طبقات المفسرين ٢/ ١٤٤ وكشف الظنون ١/ ٣٥٨ .

(١) الفائق في غريب الحديث١/ ٣١٤ .

(٢) حاشية سعد الدين ل١٢ .

(٣) يقصد سعد الدين .

لا الاستشهاد على أن لفظ الشكر يطلق عليها ، فإنه غير مذكور.

فإن قلت: الشاعر جعل المجموع بإزاء النعمة، فالشكر يجب أن يطلق عليه، وأما على كل واحد من الثلاثة فلا .

قلت : الشكر يطلق على فعل اللسان اتفاقا ، وإنما الاشتباه في إطلاقه على فعل القلب والجوارح ، حتى توهم كثير من الناس أن الشكر في اللغة باللسان وحده ، ولما جمعه الشاعر مع الآخَرِين ، وجعلها ثلاثة علم أن كل واحد شكر للنعمة ، وأنه أراد أن نعماءكم كثرت عندي وعظمت ، فاقتضت استيفاء أنواع الشكر ، وبالغ في ذلك حتى جعل موارده واقعة في مقابلة النعماء ملكا لأصحابها ، مستفادا منها ، كأنه قال : يدي ولساني وقلبي لكم ، فليس في القلب إلا نصيحتكم ومحبتكم ، ولا في اللسان إلا ثناؤكم ومحمدتكم ، ولا في اليد و الجوارح إلا مكافأتكم وخدمتكم .

وفي وصف الضمير بالمحجب إشارة إلى أنهم ملكوا ظاهره وباطنه [(١)] . انتهى.

وقال الشيخ أكمل الدين : معنى قوله :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... ... البيت

النعم التي أنعمتم بها عليّ أفادتكم يدي ، أعينكم بها ، ولساني أثني عليكم به ، وقلبي أشغله في محبتكم .

وهذا كما ترى ليس فيه سوى أن النعم المنعم بها على ا لمثني أورثت اشتغال هذه الأعضاء بما ينفع المنعم، وأما أن الشكر شيء تكون هذه الأشياء شعبا له فليس فيه دلالة على ذلك [(٢)] ، وهو واضح ، فما ذكره العلماء قاطبة في معرض

---

(١) حاشية الشريف١/ ٤٧ .

(٢) كلا ، بل يدل هذا البيت على أن الاعتقاد بالقلب ، والثناء باللسان ، والعمل بالجوارح هي شعب الشكر ، قال الإمام الخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٦ الحمد نوع ، والشكر جنس ، فكل حمد شكر، وليس كل شكر حمداً ، وهو على ثلاث منازل : شكر القلب ، وهو الاعتقاد بأن الله ولي النعم ، قال الله "ومابكم من نعمة فمن الله " وشكر اللسان ، وهو إظهار النعمة بالذكر لها ، والثناء على مسديها ، قال الله " وأما بنعمة ربك فحدث" هو رأس الشكر المذكور في الحديث ، وشكر العمل ، وهو إدآب النفس بالطاعة ، قال الله " اعلموا آل داود شكرا" وقد جمع الشاعر أنواعه الثلاثة فقال :

=

بيان أن الشكر هذه الأشياء ، وأن الحمد بعضه مستشهدين به ليس بمستند إلى أصل .

ويمكن أن يقال : إن ثبت عند العلماء أن مقابلة النعمة باللسان وحده هو الحمد فمقابلتها بالأعضاء الثلاثة لا تكون الحمد ، وإلا كان الشيء مع غيره كالشيء ، لامع غيره ، وهو محال ، فلا بد وأن يكون شيئا آخر ، وليس في هذا الباب بالاستقراء ما يدل على هذا المعنى إلا المدح و الشكر ، وقد تقدم أن المدح يؤاخي الحمد في المساواة في المفهوم ، فلم يبق إلا الشكر.

ويمكن أن يقال : الجزاء من جنس العمل ، فإذا كانت النعمة ا لواصلة إلى المثني صادرة عن لسان المنعم تقابل باللسان ، وهو الحمد ، وإذا كانت صادرة عن يده بكف شره أو شر غيره تقابل بمثلها ، وإذا كانت صادرة عن قلبه كذلك ، وتسمى مكافأة ، لا حمدا ولا شكراً .

وأما إذا كانت صادرة عن الأعضاء الثلاثة فتقابل بمثلها ، وتسمى شكرا ، من شكرت الناقة إذا غزر درها ، فظهر أن في كل شكر حمدا ، ولا ينعكس [1] . انتهى.

قوله :(ولما كان الحمد من شعب الشكر) .

قال الشريف : أي باعتبار المورد وإن كان أعمّ منه باعتبار المُتَعَلَّقِ ، فيكون الشكر باعتباره أحد شعب الحمد، وعبر عن الأقسام بالشعب ؛ لأنها متشعبة عن مَقْسِمِهَا [2] .

قوله : (كان أشيع) : أي أكثر إشاعة .

وقال الشيخ اكمل الدين : هو أفعل من الإشاعة ، وهو شاذ .

قال : و الأولى أن يكون من الشيوع ، من شاع الخبر [3] .

قوله : (في إِدْآبِ الجوارح) أي إتعابها .

قال في"النهاية" : دأب في العمل : إذا جدّ وتعب ، إلا أن العرب حولت معناه

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا .

وانظر في معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي ٤ ١٢ فقد أجاد وأفاد وأفاض في بيان وشرح أنواع الشكر الثلاثة .

(١) حاشية أكمل الدين ل١٢ .

(٢) حاشية الشريف١/ ٤٧ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل١٢ وفيه : من شاع الخبر ، والأول أوفق للمعنى .

إلى العادة والشأن [١] .

قوله: و العمدة فيه قوله صلى الله عليه وسلّم : ((الحمد رأس الشكر ، ما شكر الله من لم يحمده)) .

قال الطيبي: لم أجده في الأصول ، لكن ذكره ابن الأثير في " النهاية [٢] ".

قلت : أخرجه عبد الرزاق في " المصنف" عن معمر [٣] ، عن قتادة قال : تحدث به عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال : ((الحمدلله رأس الشكر ، ما شكر الله عبد لا يحمده [٤])) ورجاله ثقات ، إلا أنه منقطع بين قتادة وعبد الله بن عمرو.

وقد أخرجه من طريق عبد الرزاق الحكيم الترمذي [٥] في" نوادر الأصول" والبيهقي في" شعب الإيمان" والخطابي في " غريب الحديث" و الواحدي في " البسيط" و الديلمي[٦] في " مسند الفردوس".

قال في " النهاية": إنما كان رأس الشكر لأن فيه إظهار النعمة و الإشادة بها[٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر / مادة دأب .

(٢) النهاية / مادة حمد ، وفتوح الغيب ١/ ١٠٢ .

(٣) هو معمر بن راشد أبو عروة الأزدي مولا هم البصري ، نزيل اليمن شيخ الاسلام ، كان من أوعية العلم مع الصدق والتحري ، والورع والجلالة وحسن التصنيف ، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة. سير أعلام النبلاء ٧/ ٥ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٣ .

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف ١٠/ ٤٢٤ والخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٦ والبيهقي في شعب الإيمان ٨/ ٣٤٧ والواحدي في البسيط ١/ ٢٧٧ والديلمي في الفردوس ٢/ ١٥٥ (غير مسند) والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٩٦ (غير مسند)من طريق معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو . قال المناوي في الفتح السماوي ١/ ١٠٠ ورجاله ثقات ، لكنه منقطع بين قتادة وابن عمرو . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٤١١ .

(٥) هو محمد بن على بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي ، كان ذا رحلة ومعرفة ، قال أبو عبد الرحمن السلمي : أخرجوا الحكيم من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر ، وذلك بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية ، وكتاب علل الشريعة ، وقالو ا : إنه يقول : إن للأولياء خاتما كالأنبياء لهم خاتم. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٣٩ وطبقات الصوفية ٢١٧.

(٦) هو شهر دار بن شيرويه بن شهردار بن شيرويه أبو منصور الديلمي ، كان حافظا عارفا بالحديث ، وكان يجمع أسانيد كتاب الفردوس لوالده ، توفي سنة ثمان وخمسين وخمسائة . سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٧٥ والتحبير في المعجم الكبير للسمعاني ١/ ٣٢٧ .

(٧) النهاية / مادة حمد .

وقال الشيخ سعد الدين : في قوله : ((ما شكر الله عبد لا يحمده)) يعني أن من لم يعترف بالمنعم ولم يجهر بالثناء عليه لم يعد شاكرا ، ولم يظهر منه ذلك وإن أتى بالعمل و الاعتقاد ، وذلك لأن المنبئ عن ما في الضمير وضعا ، و المظهر له حقا هو النطق .

وحقيقة معنى الشكر إشاعة النعمة والإبانة عنها ، ونقيضه — وهو الكفران- ينبئ عن الستر والتغطية [1] .

وبسطه الشريف فقال : لأنه إذا لم يعترف العبد بالنعم وإنعام المولى ولم يثن عليه بما يدلّ على تعظيمه وإكرامه لم يظهر منه شكر ظهورا كاملا وان اعتقد وعمل فلم يعد شاكراً ؛ لأن حقيقة الشكر إشاعة النعمة و الكشف عنها ، كما أن كفرانها إخفاؤها وسترها ، و الاعتقاد أمر خفي في نفسه ، وعمل الجوارح وإن كان ظاهرا إلا أنه يحتمل خلاف ما قصد به ، فإنك إذا قمت تعظيما لأحد احتمل القيام أمرا آخر إذا لم يعتبر للتعظيم[2] .

وأما النطق فهو الذي يفصح عن كل خفي ، فلا خفاء فيه ، ويجلي كل مشتبه ، فلا احتمال له ، بل هو ظاهر في نفسه ، وتفسير لما أريد به وضعا ، فكما أن الرأس أظهر الأعضاء وأعلاها ، وهو أصل لها وعمدة لبقائها كذلك الحمد ، أظهر أنواع الشكر وأشهرها وأشملها على حقيقة الشكر والإبانة عن النعمة ، حتى إذا فقد كان ماعداه بمنزلة العدم [3] .

قوله : (والذم نقيض الحمد) .

قال الطيبي : أي مقابله ؛ لاختصاصه باللسان أيضا [4] .

قوله : (و الكفران نقيض الشكر) .

قال الطيبي : لحصوله بالقلب و اللسان و الجوارح [5] .

قال الراغب : الكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا ، و الكفر في الدين

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٢ .

(٢) كذا في النسخ ، وفي حاشية الشريف : إذ لم يتعين للتعظيم .

(٣) حاشية الشريف١/ ٤٧ .

(٤) فتوح الغيب١/ ١٠٣ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ١٠٣ .

أكثر ، و الكُفُور فيهما جميعا ، قال الله تعالى ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفورا[١] ﴾ [سورة الإسراء ٩٩]

تتمة [٢] : زاد الطيبي : و الهجو يقابل المدح ؛لما فيه من الثلب الذي هو نقيض التحسين [٣] .

قوله : (ورفعه بالابتداء) .

قال الشيخ سعد الدين : تعرّض لذلك مع ظهوره ليفرع عليه قوله : " وأصله النصب [٤] " .

وقال الشريف : ربما يتوهم أن المجرور معمول للمصدر ، و اللام لتقويته ، كما في قولك : أعجبني الحمد لله ، فذكر ارتفاعه بالابتداء مع ظهوره ، ليبين أن الظرف هاهنا مستقر ، وقع خبرا له ؛ وليربط به بيان أصله ، أعني النصب [٥] .

قوله : (وأصله النصب وقرئ به) .

قال الشريف : المصادر أحداث متعلقة بمحالها ، فكأنها تقتضي أن تدل على نسبتها إليها ، والأصل في بيان النسب والتعلقات هو الأفعال ، فهذه مناسبة تستدعي أن يلاحظ مع المصادر أفعالها الناصبة لها ، وقد تأيدت هذه المناسبة في مصادر مخصوصة بكثرة استعمالها منصوبة بأفعال مضمرة ، فلذلك حكم بأن أصله النصب ، وأيده بأنه قراءة بعضهم [٦] .

قال الطيبي : وهذه القراءة ما ذكرها ابن جني في" المحتسب [٧] "- يعني مع أن موضوعه ذكر القراءات الشاذة وتوجيهها- .

قوله : (وإنما عدل به إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له ، دون تجدده وحدوثه) .

قال في " الإنصاف" : يدل على ذلك أن سيبويه اختار في قول القائل: "فإذا له

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٧١٤ .

(٢) في ح : قال :

(٣) فتوح الغيب١/ ١٠٣ .

(٤) الكشاف ١/ ٤٨ وحاشية سعد الدين ل١٢ .

(٥) حاشية الشريف١/ ٤٨ .

(٦) حاشية الشريف ١/ ٤٨ .

(٧) فتوح الغيب١/ ١٠٣ .

علم علم الفقهاء" الرفع ، وفي قوله :" فإذا له صوت صوت حمار [١] " النصب ؛ لإشعار النصب بالتجدد [٢] المناسب للأصوات [٣] ، وإشعار الرفع بالثبوت الذي هو في العلم أمدح [٤] .

وقال شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي : فإن قلت : ما معنى كون حمد العباد لله مع أن حمدهم حادث ، ولا يجوز قيام الحادث بالله تعالى .

قلت : المراد منه تعلق الحمد به ، ولا يلزم من التعلق القيام به ، كتعلق العلم بالمعلومات ، فلا يتوجه الإشكال أصلا .

قال : وقد أجاب عنه بعض الفضلاء بأن الحمد مصدر بناء المجهول ، فيكون الثابت له هو المحمودية .

وقيل : إن اللام هنا للتعليل ، بمعنى أن الحمد ثابت لأجل الله [٥] . انتهى.

قوله : (وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة) .

زاد في " الكشاف" :" و المعنى نحمد الله حمدا [٦] " .

وقال أبو البقاء : تقديره هنا أحمد الحمد [٧] .

وقال أبو حيان : تقد يره أحمد الله ، أو حمدت الله ، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه .

قال : وقدر بعضهم العامل للنصب فعلا غير مشتق من الحمد ، أي اقرءوا الحمد لله ، أو الزموا الحمد لله ، كما حذفوه من نحو اللهم ضبعا وذئبا .

قال : و الأوّل هو الصحيح ، لدلالة اللفظ عليه.

قال : وفي قراءة النصب اللام للتبيين ، كأنه قال : أعني لله ، فلا تكون مقوية للتعدية ، فيكون لله في موضع نصب بالمصدر؛ لامتناع عمله فيه ، قالوا : سقيا لزيد ، ولم يقولوا: سقيا زيدا ، فيعملونه فيه ، فدل على أنه ليس من معمول

---

(١) الكتاب١/ ٣٥٥ ، ٣٦١ .

(٢) في ت ، د ، ظ ، ق : التجديد .

(٣) في ظ : للصوت .

(٤) الإنصاف١/ ٤٦ .

(٥) شرح قواعد الإعراب ٤٠ .

(٦) الكشاف١/ ٤٨ .

(٧) التبيان في إعراب القرآن١/ ٥ .

المصدر ، بل صار على عامل آخر [1] .

قوله : (والتعريف فيه للجنس ، ومعناه الإشارة إلى ما يعرف [2] كل أحد أن الحمد ما هو، وقيل : للاستغراق؛إذ الحمد في الحقيقة كله له، إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط، أو بغير وسط)

حاصله أنه ردد بين كون اللام للجنس والاستغراق، منكرا بالمعنى على الزمخشري، حيث قصرها على الأول ، وَوَهَّمَ من ذهب إلى الثاني.

وقد قيل : إن ذلك منه نزعة اعتزالية[3] ، بناء على أن العبد موجد لأفعاله بالاستقلال ، فيستحق بذلك بعض الحمد ، فلا يكون كل الحمد لله .

وقد أشار المصنف إلى رده بأن كل خير فهو تعالى موليه بواسطة أو بغيرها، فالحمد في الحقيقة كله له، ثم إن المحققين ذهبوا إلى الاستغراق ، فكان ينبغي للمصنف تقديمه.

قال الإمام فصيح الدين [4] في " الفرائد": كَأَنَّ الزمخشري أراد بما قاله أن بعض الحمد لله، بناء على مذهبه ، وليس كذلك ؛فإنه لا حمد إلا لله تعالى .

نعم تعريف الجنس ليس مما يقتضي الاستغراق ، ولكنه يحتمله ، فإن لم يمنع مانع واقتضاه المقام كان مرادا منه ، و الحمد لما كان هو الوصف بالجميل على

---

(١) البحر المحيط١/ ١٠٠ .

(٢) كذا في النسخ ، وفي طبعات أنوار التنزيل : يعرفه .

(٣) نعم ، قد يكون في هذا دسيسةٌ اعتزالية ، وإشارة إلى مذهب كلامي ، وهو أن الأفعال الاختيارية خيرها وشرها يخلقها العبد ، فله من جنس الحمد عليها قدر ، لخلقه الأفعال ، كما أن لله من جنس الحمد قدر ، لخلقه الذوات والنعم الوافرة ، فللعبد قدر من جنس الحمد ، ولله قدر من جنس الحمد ، وليس كل الحمد لله . قال شيخ الإسلام مبيناً هذه الدسيسة : إذا أثبت جنس الحمد من غير استغراق فإن هذا لا يثبت خصائص الرب التي بها يمتاز عن غيره ، فإن الحمد إذا كان للجنس أوجب أن يكون لغيره أفراد من أفراد هذا الجنس كما تقوله القدرية ، وأما أهل السنة فيقولون : الحمد لله كله . قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ٤١ .

(٤) قال حاجي خليفة : فرائد التفسير لأبي المحامد فصيح الدين محمد بن عمر المابرناباذي ، اختصر فيه الكشاف وزيادات بحثية نحوية وكلامية وأدبية. كشف الظنون ٢/ ١٢٤٢ ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة طوبقبي سراي ، انظر في فهرس مكتبة طوبقبي سراي ١/ ٣٧٦ وفيه : أبو محامد فصيخ الدين محمد بن عمر المابرناباذي. فرائد التفسير ، نسخ في المدينة المنورة ٧٢٠ وهو مختصر الكشاف مع إضافة مسائل كلامية ونحوية .

جهة[1] التعظيم ، و الله تعالى خالق كل جمال وكمال، وخالق كل من لـه الجمال والكمال ، وخالق كل ما يستحق به الحمد من الأفعال فله الحمد في الحقيقة وإن أضيف في الظاهر إلى غيره.

وقال صاحب [2] " اللباب" في تفسير الفاتحة[3] : توجيه ما قاله الزمخشري أن اللام لا تفيد شيئا سوى التعريف ، و الاسم لا يدل إلا على نفس الماهية المعبر عنها بالجنسية ، فإذن لا يكون ثم استغراق .

قال الطيبي : وهذا ذهول عن قول صاحب" المفتاح" : إن الحقيقة من حيث هي هي صالحة للتوحد و التكثر ؛ لاجتماعها مع كل واحد منهما ، فإذا اجتمعت مع المفرد والجمع في المقام الخطابي حملت على الاستغراق [4] .

قال الطيبي : و الحق أن الحمل على الجنس أو على الاستغراق إنما يظهر بحسب المقام .

وبيانه هنا أن في تعقيب هذه الصفات للحمد إشعارا بأن الحمد إنما استحقه لما أنه متصف بها ، كما صرّح به في قوله : " وهذه الأوصاف دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء [5] " .

وقد تقرر في الأصول أن في اقتران الوصف المناسب بالحكم إشعارا بالعلية ، وهاهنا الصفات بأسرها تضمنت العموم ، فينبغي أن يكون العموم في الحمد ثابتاً .

وبيانه أن الشكر يقتضي المنعم والمنعم عليه والنعمة ، والمنعم هو الله ، وخص اسمه المقدس لكونه جامعا لمعاني الأسماء الحسنى، ما عُلم وما لم يُعلم، و المنعم عليهم العالمون، وقد اشتمل على كل جنس مما سمي به ، وموجب النعم الرحمن الرحيم ، وهو قد استوعب[6] جميع النعم، فإذن ما الذي يستدعي تخصيص الحمد بالبعض سوى التحكم والتوهّم [7] .

---

(١) د ، ق : وجه .

(٢) هو محمد بن محمد تاج الدين الإسفراييني ، سبقت ترجمته .

(٣) " اسمه فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة " ومنه نسخة محفوظة في المكتبة الخديوية . انظر في فهرس الكتب العربية المحفوظة في الكتبخانة الخديوية المصرية ٤/ ٨٠ .

(٤) مفتاح العلوم ٣١٧ ٣١٨ .

(٥) الكشاف١/ ٦٠ .

(٦) في ت ، ظ : استوعب .

(٧) فتوح الغيب١/ ١٠٦ ، ١٠٩ ١١٠ .

وفي " اللطائف القشيرية" : واللام في الحمد للجنس ، ومقتضاها الاستغراق لجميع المحامد لله تعالى إما وصفا ، وإما خلقا، فله الحمد لظهور سلطانه ، وله الشكر لوفور إحسانه [١] .

الإمام : لو قال : أحمد الله كان قد ذكر حمد نفسه فقط ، وإذا قال : الحمد لله فقد دخل فيه حمده ، وحمد غيره جميعا من لدن خلق العالم إلى انتهاء دخول أهل الجنة الجنة﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين [٢] ﴾[سورة يونس ١١] .

" الإنصاف" : تعريف النكرة باللام إما للعهد ، وإما للجنس ، و الذي للعهد إما أن ينصرف العهد فيه إلى فرد معيّن من أفراد الجنس نحو﴿ فعصى فرعون الرسول﴾ [سورة مزمل ١١] وإما أن ينصرف إلى الماهية باعتبار تميزها عن غيرها، كقولك : أكلت الخبز .

والجنس هو الذي ينضم إليه شمول الآحاد ،كقولك : الرجل خير من المرأة .

وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقاً ، إنما يوجبه الجنس ، والزمخشري جعل تعريف الحمد من النوع الثاني من نوعي العهد ، وعبر عنه بتعريف الجنس ، لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه، وغير الزمخشري جعله للاستغراق، وليس ببعيد[٣] .

الطيبي : ليس المراد من تعريف الجنس في الحمد الماهية من حيث هي هي، نحو الرجل خير من المرأة ، بل المراد منه فرد غير معيّن بحسب الخارج ، نحو دخلت السوق في بلد كذا [٤] .

الشيخ أكمل الدين : تعريف الجنس هو الذي يقال فيه : العهد الذهني عند المحققين ، فإنهم قالوا : لام التعريف هو الدال على الحاضر في ذهن السامع ، وهو إما أن يكون كليا أو جزئيا ، والأول يسمى عهدا ذهنيا ، ويعبر عنه أيضا بتعريف الجنس ، والثاني يسمى عهدا خارجياً ، والتعرض للأفراد المعني بقولهم : الاستغراق ليس للام دلالة عليه ، وإنما هو بحسب المقام ، فإذا كان خطابيا مثل

---

(١) لطائف الإشارات١/ ٥٧ .

(٢) التفسير الكبير١/ ٢١٩ .

(٣) الإنصاف١/ ٨ .

(٤) فتوح الغيب١/ ١٠٧ .

((المؤمن غر كريم [1])) حمل المعرف باللام مفردا كان أو جمعا على الاستغراق بعلة إيهام أن القصد إلى فرد ، دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما يعود إلى ترجيح أحد المتساويين بلا مرجح .

قال : وفسر المصنف تعريف الجنس بقوله :" ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد ما هو [2] " أي إلى حقيقة من الحقائق ، و المراد بها الإشارة العقلية؛لأن الكليات لا تدرك إلا بالعقل.

قال : ونسب من ذهب إلى أنها للاستغراق إلى الوهم ، فاختلف الناس في بيان ذلك .

فمنهم من قال : إنما فعل ذلك بناء على مذهبه ، وليس في كلامه ما يشعر بذلك ، على أن هذا لا يصح إلا إذا كان نفيه الاستغراق في هذه المادة خاصة ، وأما إذا كان مراده أن الاستغراق لا يستفاد من اللام أينما كانت فليس بصحيح ، لعدم وجوده في غير هذه المادة .

ومنهم من قال : إنما نسبه إلى الوهم، لأنه قدم أن أصل الكلام نحمد الله حمدا ، فيكون الحمد منزلا منزلة حمدا ، ومفهومه ماهية الحمد ؛لأنه مفعول مطلق للتأكيد، فيكون المراد بالحمد ماهيته .

وفيه نظر ؛ لأنه يفيد الاختصاص بالمادة ، وتشبيهه ب"أرسلها العراك" ينافيه ، ولأنه منزل منزلة حمدا في تقدير الناصب ، لا في كونه نكرة .

ومنهم من قال : إنما فعل ذلك بناء على ما ذكرنا أن اللام للعهد ، والاستغراق ناشئ عن المقام ، وهذا المقام آبٍ عن الاستغراق ؛ لأن اختصاص حقيقة الحمد به

---

(١) رواه البخاي في الأدب المفرد ١٤٥ ح٤١٨ وأبوداود ٥/ ٢٧٢ ح٤٧٥٧ والترمذي ٣/ ٥١٢ ح ١٩٦٤ والعقيلي في كتاب الضعفاء ١/ ١٥٩ وابن عدي في الكامل ٢/ ٤٤٥ والحاكم في المستدرك ١/ ٤٣ من طريق بشر بن رافع ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . قال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

ورواه أحمد في المسند ١٥/ ٥٩ وأبو داود ٥/ ٢٧٢ ح ٤٧٥٧ وأبو يعلى في مسنده ١٠/ ٤٠٣ والطحاوي في مشكل الآثار ٨/ ١٥٠ والحاكم في المستدرك ١/ ٤٣ وفي معرفة علوم الحديث ١١٧ من طريق الحجاج بن فرافصة ، عن رجل ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ، وفي رواية أبي يعلى : عن الحجاج بن فرافصة ، عن يحيى ابن أبي كثير. حسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٤٥ .

(٢) الكشاف١/ ٤٩ .

تعالى أبلغ من اختصاص أفراده جمعا وفرادى ، وفيه إشعار بأن حمد كل حامد ، لكل محمود ، حمد لله تعالى على الحقيقة ؛ لأن الحمد إنما يكون على الفعل الاختياري بالجميل ، وكل ما يصدر من الفعل من كل محمود فإنه فعل خلقه الله تعالى ، فيكون الحمد المقابل الله خالقه .

وردّ بأن إباء المقام عن الاستغراق ممنوع ؛ لأنه مقام خطابي يستدعي الحمل على الاستغراق ، وبأن كون اختصاص حقيقة الحمد أبلغ ممنوع ، فظهر من ذلك كله أن جعل اللام للحقيقة ليس أولى من الاستغراق إلا إذا كان مراده بكلامه ذلك أن جعل اللام موضوعة للاستغراق وهم ، فإنها موضوعة للعهد [1] . انتهى.

وقال الشريف : قوله : " ومعناه الإشارة" إلى آخره تصريح بأنِ معنى تعريف الجنس الإشارة إلى حضور الماهية في الذهن ، وتميزها هناك من سائر الماهيات ، فإن المُنكَّرَ وإن دلّ على ماهية معقولة متميزة في الذهن حاضرة عنده إلا أنه لا إشارة فيه إلى تعينها وحضورها ، فإذا عرف بلام الجنس فقد أشير إلى ذلك ، و الفرق بين حضورها وتعينها في الذهن ، وبين الإشارة إلى حضورها وتعينها هناك مما لا خفاء فيه .

وتوهّم كثير من الناس أن معنى تعريف الجنس هو الاستغراق ، ويبطله أن الاستغراق قد يتحقق في النفي و الإثبات كما في لارجل في الدار ، وتمرة خير من جرادة ، وليس معه تعريف أصلاً .

فإن قيل : قد حمل صاحب" الكشاف" المعرّف بلام الجنس في مواضع على الشمول و الإحاطة ، وهو معنى الاستغراق بعينه ، فكيف جعله هنا وهما ؟ .

قلنا : الوهم كون الاستغراق معنى تعريف الجنس ، لا كونه مستفادا من المعرّف باللام بمعونة المقام ، وما نُقِلَ عنه من أن اللام لا تفيد سوى التعريف والإشارة ، والاسم لا يدلّ إلا على مسماه ،فإذن لا يكون ثَمَّة استغراق ، أراد به أن ليس ثَمَّ استغراق هو مدلول الاسم ، أو اللام ، لا أنه لا يستفاد من القرائن الخارجية .

وتحقيق الكلام أن معنى التعريف مطلقا هو الإشارة إلى أن مدلول اللفظ معهود، أي معلوم متعين حاضر في ذهن السامع ، يرشدك إلى ذلك ما فسر به

---

(١) حاشية أكمل الدين ل١٣ .

المصنف تعريف الجنس هاهنا ، وما صرّح به ابن الحاجب في " إيضاح المفصل" من أن زيدا موضوع لمعهود بين المتكلم و المخاطب ، ومن أن غلام زيد لمعهود معين بينهما بحسب تلك النسبة المخصوصة [1] .

وما ذكره بعض الأدباء من أن المعرفة ما يعرفه مخاطبك ، والنكرة ما لا يعرفه، وما أجمعوا عليه من أن الصلة يجب أن تكون معلومة الانتساب للسامع .

وإذا استقريت كلامهم وتحققت محصوله استوثقت بما ذكرنا.

وقد صرّح به بعض الأفاضل فقال : التعريف يقصد به معهود معين عند السامع من حيث هو معين ، كأنه أشار إليه بذلك الاعتبار.

وأما النكرة فيقصد بها التفات النفس إلى المعين من حيث ذاته ، ولا يلاحظ فيها تعينه وإن كان معينا في نفسه .

وحينئذ نقول : اللام إذا دخلت على اسم فإما أن يشار بها إلى حقيقة معينة من مسماه فردا كانت أو أفراداً ، مذكورة تحقيقا أو تقديراً ، وتسمى لام العهد ، ونظيره العلم الشخصي ، وإما أن يشار بها إلى مسماه ، وتسمى لام الجنس ،فإن قُصد المسمى من حيث هو كما في التعريفات ، ونحو قولنا : الرجل خير من المرأة تسمى اللام حينئذ لامَ الحقيقة والطبيعة ، ونظيره العلم الجنسي ، وإن قصد المسمى من حيث هو في ضمن الأفراد بقرينة الأحكام الجارية عليه الثابتة له في ضمنها ، فإما أن يقصد إليه من حيث هو في ضمن جميع أفرادها ،كما في المقام الخِطابي بعلة إيهام أن القصد إلى بعضها دون بعض ترجيح بلا مرجح ، وتسمى لامَ الاستغراق ، ونظيره كلمة كل مضافة إلى النكرة ، أو في ضمن بعضها كما في المقام الاستدلالي ، وتسمى لام العهد الذهني كقولك : ادخل السوق ، حيث لا عهد ، ومؤداه مؤدى النكرة ، ولذلك تجري عليه أحكامها ، فظهر أن اللام إما لتعريف العهد ، أو لتعريف الجنس ، كما ذكر في " المفصل [2] " وأن الاستغراق والعهد الذهني راجعان إلى التعريف الجنسي ، ومستفادان من الأمور الخارجة عن مدلول اللام و المعرّف بها ، وهو مراد الزمخشري .

وقد قيل : اختياره الجنس على الاستغراق مبني على مسألة خلق الأفعال ،

---

(١) الإيضاح شرح المفصل١/ ٩٨ .

(٢) المفصل في علم العربية٣٢٦ .

فإن أفعال العباد لما كانت مخلوقة لهم عند المعتزلة كانت المحامد عليها راجعة إليهم،فلا يصح تخصيص المحامد كلها لله تعالى .

وفساده ظاهر؛ لأن اختصاص الجنس به تعالى يستلزم اختصاص جميع أفراده أيضا ؛ إذ لو وجد فرد منه لغيره ثبت الجنس له في ضمنه .

وقيل : مبني على أن هذه المصادر نائبة مناب أفعالها ، سادة مسادها ، والأفعال لا تعدو دلالتها على الحقيقة إلى الاستغراق .

وَرُدَّ بأن ذلك لا ينافي قصد الاستغراق بمعونة قرائن الأحوال .

وقيل : إنما اختاره بناء على أن الجنس هو المتبادر إلى الفهم الشائع في الاستعمال ، لاسيما في المصادر ، وعند خفاء قرائن الاستغراق .

وهو أيضا مردود بأن المحلى بلام الجنس في المقامات الخِطابية يتبادر منه الاستغراق ، وهو الشائع في الاستعمال هناك مصدرا كان أو غيره ، وأيّ مقام أولى بملاحظة الشمول والاستغراق من مقام تخصيص الحمد بالله تعالى تعظيما له ، فقرينة الاستغراق فيما نحن فيه كنار على علم .

والحق أن سبب الاختيار هو أن اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام ، ومستلزم لاختصاص جميع الأفراد ، فلا حاجة في تأدية المقصود- الذي هو ثبوت الحمد له تعالى، وانتفاؤه عن غيره - إلى أن يلاحظ الشمول و الإحاطة ، ويستعان فيه بالأمور الخارجة ، بل نقول - على ما اختاره- : يكون اختصاص جميع الأفراد ثابتا بطريق برهاني ، فيكون أقوى من إثباته ابتداء [(١)] .

وقال الشيخ بهاء الدين السبكي [(٢)] في " عروس الأفراح" : العهد قد يكو شخصيا كقوله ﴿ فعصى فرعون الرسول﴾ وقد يكون جنسياً ، بمعنى إرادة جنس ، هو نوع لما فوقه ، كقولك : الرجل ، تريد به فردا من أفراد الرجال الحجازيين دون غيرهم ، وهذا يقع كثيرا في الكلام .

ولعل منه قوله تعالى ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ [سورة الأنعام ٨٩] فإن

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٥٠ ٥٢ .

(٢) هو أحمد بن على بن عبد الكافي بهاء الدين أبو حامد السبكي ، كانت له اليد الطولى في علوم اللسان العربي والمعاني والبيان ، وله عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، أبان فيه عن سعة دائرة في الفن ، توفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. المعجم المختص ٢٩ والدرر الكامنة ١/ ٢١٠ .

المراد جنس كتب الله تعالى ، ليكون صالحا للتوراة و الإنجيل و الزبور التي أوتيها من تقدّم ذكره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فاللام فيه عهدية جنسية .

وكذلك قوله تعالى﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [سورة البقرة ١٧٧] .

قال الزمخشري :" أي جنس كتب الله [١] " المنزلة ، وتصير هذه الألف واللام عهدية جنسية استغراقية

قال :" واللام على أقسام :

أحدها : جنسية فقط ، كقولك : الرجل خير من المرأة ، أي حقيقة الرجولية خير من حقيقة الأنوثة [٢] .

الثان ي: عهدية عهدا خارجيا كالرجل لمعين .

الثالث : عهدية ذهنا .

ونعني بالخارجي ما كان السامع يعرفه ، وبالذهني ما انفرد المتكلم بمعرفته ، وإلا فالعهد لا يكون إلا في الذهن .

الرابع : عهدية جنسية ، كقولك: أكرم الرجل ، تريد جنس الحجازي في جواب من قال : حضر حجازي .

الخامس : كذلك وهو معهود ذهني ، لا خارجي كالمثال المذكور ، حيث لم يكن في جواب .

السادس : استغراقية جنسية مثل الرجل الجاهل خير من المرأة .

السابع : استغراقية جنسية عهدية كالمثال المذكور مريدا به الحجازي .

الثامن : كذلك ، و المعهود ذهني .

التاسع : جنسية ، ولكن يريد جملة ذلك الجنس ، لا باعتبار العموم ، ليفيد علم الأفراد والمجموع معاً ، فإن المجموع في الإثبات يستلزم الأفراد ، بل يكون المدلول الحقيقة كلها ، وهو بمعنى العموم المجموعي .

وينبغي أن يجعل منه قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب و الشهادة [٣] ﴾" [سورة الرعد ٩] .

---

(١) الكشاف١/ ٣٣٠ .

(٢) ف د ، ظ : الأنوثية .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح١/ ٣٢٧ .

فوائد:

الأولى : قال الشريف : إنما قال : "والتعريف فيه للجنس" ولم يقل : واللام تنبيها على أن اللام للتعريف اتفاقا وإن وقع اشتباه في معنى التعريف [١] .

الثانية : حكى الكرماني في غرائبه ، ثم السمين في إعرابه قولا ثالثا : أنها للعهد[٢] . وعندي أنه عين القول بأنها للجنس ، كما تقدم تقريره في كلام صاحب "الانتصاف" وغيره .

ثم رأيت أبا حيان قال في كتابه إعراب القرآن الذي لخصه من بحره : الحمد مصدر معرّف ب"أل" إما للعهد ، أي الحمد المعروف بينكم لله ، أو لتعريف الماهية كالدينار خير من الدرهم ، أي أيُّ دينار كان فهو خير من أي درهم كان، فيستلزم إذ ذاك الأَحْمُدَ كلها ، أو لتعريف الجنس فتدلّ على استغراق الأحمد كلها بالمطابقة [٣] .

ثم رأيت في " شرح الرسالة" للفاكهي [٤] : قال : سمعت شيخنا أبا العباس المرسي[٥] يقول : قلت لابن النحاس النحوي [٦] - يعني الشيخ بهاء الدين شيخ أبي حيان- : ما تقول في الألف واللام في الحمد لله ، أجنسية هي أم عهدية ؟ فقال : يا سيدي قالوا : إنها جنسية ، فقلت له : الذي أقول : إنها عهدية ، وذلك أن

---

(١) حاشية الشريف١/ ٤٩ .

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٩٧ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ٣٨ .

(٣) هذا العزو وهم ، فليس ما نقله المؤلف في النهر الماد من البحر المحيط، وإنما هو في البحر المحيط ١/ ٩٩ .

(٤) هو عمر بن على بن سالم تاج الدين الفاكهي اللخمي الإسكندري النحوي، مهر في العربية والفنون ، صنف شرح العمدة ، وشرح الأربعين النووية ، وشرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه المالكي ، سماه التحرير والتحبير ، توفي سنة واحد وثلاثين وسبعمائة . بغية الوعاة ٢/ ٢٢١ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٩٩ ومن التحرير والتحبير نسخ مخطوطة ، انظر في الفهر س الشامل للتراث الإسلامي المخطوط ، الفقه وأصوله ٢/ ٣٣٦ .

(٥) هو أحمد بن عمر بن محد أبو العباس الأنصاري المرسي الصوفي ، وارث شيخه الشاذلي تصوفا ، الأشعري معتقدا ، وللناس فيه اعتقاد، توفي سنة ست وثمانين وستمائة. كتاب الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٤ وكتاب المقفى الكبير ١/ ٥٤٨ .

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بهاء الدين أبو عبد الله ابن النحاس الحلبي النحوي، مشهور بالدين والصدق والعدالة ، فيه ظرف النحاة وانبساطهم، اقتنى كتبا كثيرة ، توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة . بغية الوعاة ١/ ١٣ ومعجم المؤلفين ٨/ ٢١٩ .

الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه في أزله ، نيابة عن خلقه قبل أن يحمدوه ، فقال : أشهدك أنها للعهد .

الثالثة : حكى الكرماني قولا آخر أنها للتفخيم و التعظيم [١] ، فإن أراد الاستغراق فعبارة غريبة فيه ، وإلا فلا يعرف ذلك في أقسام اللام .

الرابعة : ألف الشيخ علاء الدين البخاري [٢] من شيوخ شيوخنا رسالة في تقرير أن الحمد لله جملة خبرية ، لا إنشائية قال فيها : أجمعت الأمة على إمكان كون اللام فيه للاستغراق لأن أهل السنة حملوها على الاستغراق ، والحكم بثبوت الشيء فرع إمكانه، وغيرهم من المعتزلة ومن يجري مجراهم افتقروا في حملها على الجنس إلى ما يرجحه على الاستغراق ، وذلك دليل على الاعتراف[٣] بإمكانه ؛إذ ترك الممتنع و الأخذ بالممكن لا يفتقر إلى المرجح ، فثبت[٤] بالإجماع المركب إمكان استغراقه .

الخامسة قال بعض أرباب الحواشي : اختلف الناس في الحمد لله ، فاختار الزمخشري أنه خبر عدل به عن الأمر، و اختار آخرون أنه خبر على حقيقته ، وأن المراد به الإخبار بأن الله تعالى مستحق الحمد ،كما قال تعالى ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة﴾ [سورة القصص ٧٠] .

وبنى الزمخشري على مذهبه أن الألف واللام في الحمد لتعريف الحقيقة ، فإنه يستحيل الاستغراق ، فإنه لا يؤمر العبد بأن يحمد كل حمد في العالم ، وأصحاب القول الثاني جعلوها للاستغراق؛لأنه إخبار بما يستحقه الله تعالى من جميع المحامد .

قوله : (وقرئ الحمدِ للهِ باتباع الدال اللام ، وبالعكس تنزيلا لهما من حيث إنهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة) .

قال ابن جني في كتابه " المحتسب في توجيه شواذ القراءات" : قراءة أهل

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٩٧ .

(٢) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري ، الإمام البحر في الفقه والأصول ، من تصانيفه شرح أصول الفقه للبزدوي ، توفي سنة ثلاثين وسبعمائة . الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٢٤٨ وتاج التراجم في من صنف من الحنفية ١٢٧ ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٤٢ .

(٣) في د : دليل على أن الاستغراق .

(٤) في ظ : فيثبت .

الباديةِ الحمدُ ُلله مضمومة الدال واللام ، ورواها لي بعض أصحابنا قراءة إبراهيم ابن أبي عبلة الحمد لله مكسورتان ، ورواها أيضا لي قراءة لزيد بن علي ، وللحسن البصري .

وكلاهما شاذ في القياس والاستعمال ، إلا أن من وراء ذلك ما أذكره لك ، وهو أن هذا اللفظ كثر في كلامهم ، وشاع استعماله ، وهم لما كثر في استعمالهم أشد تغييرا، كما جاء عنهم لذلك لم يَكُ ، وَلا أَدْرِ، وَلَمْ أُبَلِ ، وأيشٍ تقول ، وجا يجِي ، وسا يَسُوْ، بحذف همزتيهما .

فلما اطرد هذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر ، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدإ وخبر ، فصارت الحمدُ لُله ،كَعُنُقٍ وَطُنُبٍ ، والحمدِ لِلّهِ كَإِبِلٍ وَإِطِلٍ إلا أن الحمد لله بضم الحرفين أسهل من الحمد لله بكسرهما من موضعين :

أحدهما : أنه إذاكان إتباعا فأقيس الإتباع أن يكون الثاني تابعا للأول ، وذلك أنه جار مجرى السبب و المسبب ، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب ، فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال كما تقول :مُدُّ وشُدُّ، فتتبع الثاني الأول، فهذا أقيس من إتباعك الأول الثاني في نحو أُقْتُلْ وأُدْخُلْ ، فكذلك الحَمْدُ لُله أسهل مأخذا من الحمدِ لِلَّه .

والآخر : أن ضمة الدال في الحمد إعراب ، وكسرة اللام في لله بناء ، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء ، فإذا قلت : الحمد لله فقريب أن تغلب الأقوى الأضعف ، وإذا قلت: الحمد لله غلبت البناء الأضعف على الإعراب الأقوى، مضافا ذلك إلى حكم تغيير الآخر للأول ، وإلى كثرة باب عنق وطنب في قلة باب إبل وإطل ،ومثلُ هذا في إتباع الإعرابِ البناء قوله :

وقال : اضْربِ السَاقَينِ إِمِّكَ هابِلُ .

كسر الميم لكسرة الهمزة.

ثم من بعد ذلك إنك تفيد من هذا الموضع ما تنتفع به في موضع آخر ، وهو أن قولك :" الحمد لله" جملة ، وقد شبه جزءاها معا بالجزء الواحد ، وهو مُدٌّ ، أو عُنُقٌ فيمن أسكن ثم أتبع ، أو السُلُطَان دل ذلك على شدة اتصال المبتدإ بخبره ؛ لأنه لو لم يكن الأمر عندهم كذلك لما أجروا هذين الجزئين مجُرى الجزء الواحد.

وقد نحوا هذا الموضع في قولهم في تأبط شرا : تأبطي ، وفي رجل اسم زيد أخوك : زيدي ، فحذفوا الجزء الثاني ، كما يحذفونه من المركب في قولهم في

حضرموت : حضرمي ، وفي رامهرمز : رامي ، وكما يقولون في طلحة : طلحي ، فدل ذلك على شدة اتصال المبتدإ بخبره .

ومثله في الدلالة على هذا المعنى قراءة ابن كثير﴿ فإذا هِيَ تَّلَقَّفُ﴾ [سورة أعراف ١١٨] بتسكين حرف المضارعة من ﴿تلقف﴾ فلولا شدة اتصاله بما قبله للزم منه تصور الابتداء بالساكن ،بل صار في اللفظ ﴿ هِيَ تَّ ﴾كالجزء الواحد الذي هو خِدَبٌّ ، وهِجَفٌّ ، وهذا أقوى دلالة على قوة اتصال المبتدإ بخبره مما تقدم ؛ لما فيه من وجوب تصور الابتداء بالساكن .

ومن ورائه أيضا ما هو ألطف مأخذا ، وهو أن ﴿ تلقف﴾ جملة ، ومشفوعة أيضا بالمفعول الموصول الذي هو ﴿ ما يأفكون﴾ .

وأصل تصور الجمل في هذا المعنى أن تكون منفصلة قائمة برؤوسها ، وقد ترى هاهنا كيف تصورت شديدة الحاجة إلىا لمبتدإ قبلها ، فإذا جاز هذا الخلطُ لهَ وكَادَةُ الصلة بينه وبين ما قبله فما ظنك بخبر المبتدإ إذا كان مفردا ، لا يشك أنه به أشد اتصالا ، وإليه أقوى تساندا وانحيازا ، فاضمم ذلك إلى ما قبله .

ونحوٌ منه حكاية الفراء عن بعضهم – وجرى ذكر رجل ، فقيل : هاهو ذا ، فقال مجيباً : نِعْمَ الهَا هُوَ ذَا هُوَ ، فإلحاقه لام المعرفة بالجملة المركبة من المبتدإ والخبر من أقوى دليل على تنزلها عندهم منزلة الجزء الواحد .

نعم ، وفي صدر هذه الجملة حرف التنبيه، وهو يكاد يفصلها عن لام التعريف بعض الانفصال ، وهما مع ذلك كالمتلاقيين(١) المتعاقبين مع حجزه بينهما ، واعتراضه على كل واحد منهما (٢) . انتهى كلام ابن جنى .

قوله : (الرب في الأصل بمعنى التربية) إلى آخره .

لم يصرح بما هو المراد به هنا ، إلا أن كلامه في حكاية القول الأول يشعر باختيار أن المراد به هنا المربي ، وفي حكاية الثاني يشعر بأن المراد به المالك ، وهو لغة يطلق عليهما، وعلى الخالق ، والسيد ، والثابت ، والمعبود ، و المصلح ، وكل ذلك تحتمله الآية .

قال الماوردي وغيره : فإن فسر بمعنى المالك ، أو السيد ، أو الثابت فمن

---

(١) في ظ كالمتلاقيتين مع ، وفي ت : كالمتلاتيتين المتعاقبتين .

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١/ ٣٧ -٣٩ .

صفات الذات أو بالباقي فمن صفات الفعل [1] .

وقال الشيخ بهاء الدين ابن عقيل في تفسيره : إن فسر بالمعبود على معنى مستحق العبادة فصفة ذات ، أو على معنى الذي يعبده الخلق فصفة فعل .

وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : الأولى أن يحمل هنا على المصلح لعمومه [2] .

وساق الطيبي كلام القاضي فاهما منه أنه فسره بالمربي ، ثم قال : وهذا التفسير أولى ؛ لأنه أعم وأنسب للحمد ؛ فإن من شأن المالك إصلاح ما تحت سياسته ، وإتمام أمر معاشه .

ثم ذكر قول الجوهري : رب كل شيء مالكه ، وربيت القوم : سستهم ، ورب الضيعةَ : أي أصلحها وأتمها ، وَرَبَّ فلانٌ وَلَدَهُ يَرُبُّهُ رَبًّا .

وقال : فالواجب حمل الرب على كلا مفهوميه ، بأن يفسر الرب بالقدر المشترك المتصرف التام ، وسبيل إعمال المشترك في كلا مفهوميه إذا اتفقا في أمرٍ سبيلُ الكناية في أنها لا تنافي إرادة التصريح مع إرادة ما عبر عنه ، وإذا اختلفا سبيلُ الحقيقةِ والمجاز [3] .

وقال الأصبهاني [4] : يصح أن يراد به هنا جميع معانيه ، ولهذا أتى به هنا دون المالك ونحوه .

قوله : (وقيل : هو نعت من ربه يربه ، فهو رب ، كقولك : نم ينم فهو نم) .

قال الشريف : قوله " فهو رب" يدل على أنه صفة مشبهة من فعل متعد ، لكن بعد جعله لازما بالنقل إلى فعل بالضم ، كما سلف تحقيقه .

ولما كان مجيء الصفة على فعل من باب فعل بالفتح ، يفعل بالضم عزيزا استشهد له بمثال ، يقال : نم الحديث ينمه وينمه بالضم والكسر فهو نم ، ولابد فيه

---

(١) النكت والعيون١/ ٥٤ .

(٢) فوائد في مشكل القرآن ٤٨ .

(٣) الصحاح / مادة رب ، وفتوح الغيب ١/ ١١٣.

(٤) جوزت أن يكون محمود بن عبد الرحمن بن أحمد أبا الثناء الأصبهاني أو إسماعيل بن محمد بن الفضل أبا القاسم الأصبهاني فراجعت تفسير أبي الثناء أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية فلم أجد فيه الإحالة ، ثم راجعت إعراب القرآن المنسوب لأبي القاسم فلم أجد فيه الإحالة أيضاً ، فلا أدري أي أصبهاني هو .

من النقل أيضاً ، وكان في ترك المفعول نوع إشارة إليه [1] .

وقال أبو حيان : "رب "على هذا القول اسم فاعل حذفت ألفه ، فأصله راب ، كما قالوا : رجل بار وبر [2] .

قوله : (ولا يطلق على غيره تعالى) .

قال الشريف وغيره : يعنى به غالباً ، وإلا فقد جاء في شعر الحارث بن حلزة[3] يمدح ملكا :

وَهُــوَ الــرَّبُّ وَالشَّــهِيدُ عَلَــى يــو مِ الحِيَــارَيْنِ وَ البَــلاَءُ بَــلاَءُ[4] .

قلت : الظاهر أن مراد المصنف نفي إطلاقه شرعا ، و الحارث من شعراء الجاهلية .

وقال الشيخ سعد الدين : المراد أن لفظ الرب بدون الإضافة لا يذكر إلا في حق الله تعالى ، بخلاف الجمع ك "الأرباب" كما يقال : رب الأرباب ، وفي التنزيل ﴿ أأرباب متفرقون﴾ [5] [سورة يوسف ٣٩] .

قوله : (إلا مقيدا كقوله﴿ ارجع إلى ربك﴾) [سورة يوسف ٥٠] .

قال الطيبي : هذا يرده ما رواه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً ((لا يقل أحدكم أطعم ربك ، ولا وضئ ربك ، ولا اسق ربك ، ولا يقل أحدكم : ربي ، وليقل :سيدي)) .

قال : وأما قول يوسف عليه السلام﴿ ارجع إلى ربك﴾ و﴿ إنه ربي﴾ ونحوه فهو ملحق بقوله تعالى ﴿ وخروا له سجدا ﴾ [سورة يوسف ١٠٠] في الاختصاص بزمانه .

قلت : جوابه أن النهي في الحديث للتنزيه .

قوله : (و العالم اسم لما يعلم به كالخاتم) .

قال الشريف : يريد كما أن الخاتم- مع كونه مشتقا من الختم- اسم لما يختم

---

(١) حاشية الشريف١/ ٥٣ .

(٢) البحر المحيط ١/ ١٠٢ .

(٣) هو الحارث بن حلزة بن مكروه اليشكري ، وهو من بني يشكر من بكر بن وائل . الشعر والشعراء ١/ ١٩٧ وكتاب الأعاني ١١/ ٤٢ .

(٤) شرح القصائد التسع المشهورات صنعة أبي جعفر النحاس٢/ ٥٧٧ وحاشية الشريف١/ ٥٣ .

(٥) حاشية سعد الدين ل١٣ .

به كذلك العالم – مع اشتقاقه من العلم- اسم لكل ما علم به الخالق .

قوله : (غلب فيما يعلم به الصانع) .

قلت : اشتهر عند المتكلمين إطلاق الصانع عليه تعالى ، وقد اعترض بأنه لم يرد ، وأسماؤه تعالى توقيفية .

وأجاب الشيخ تقي الدين السبكي بأنه قرئ شاذا ﴿ صَنَعه الله﴾ بلفظ الماضي ، فمن اكتفى في الاطلاق بورود الفعل اكتفى بذلك .

وأجاب غيره بأنه مأخوذ من قوله﴿ صنع الله﴾ وهو أيضا جار على طريقة من يكتفي في لإطلاق بورود المصدر .

أقول : وقد ظفرت بحديث صحيح ورد فيه إطلاقه عليه تعالى ، وهو ما أخرجه الحاكم في " المستدرك" وصححه ، و البيهقي في كتاب" الأسماء و الصفات" من حديث حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ((إن الله صانع كل صانع وصنعته)) (1)

---

(1) هنا وقفات : الوقفة الأولى : روى الحديث البخاري في : خلق أفعال العباد ٤٦ ، وابن أبي عاصم في : السنة ١ / ٢٥٦ ، والبزار في البحر الزخار (مسند البزار) ٧ / ٢٥٨ ، وابن منده في : كتاب التوحيد ١ /٢٦٧ ، وابن عدي في : الكامل ٦ / ٢٠٤٦ ، والمحاملي في : الأمالي (رواية ابن يحيى البيع) ٣٠٩ ، وأبو بكر القطيعي في : جزء الألف دينار ٣٤٥ ، واللالكائي في : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣ / ٥٣٩ ، والخطيب البغدادي في : تاريخ بغداد ٢ / ٣١ ، والحاكم في : المستدرك ١ /٣١ ، والبيهقي في : كتاب الأسماء والصفات ٢/ ٦ ، ٢٦٣ ، وفي : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ١٦٣ ، وأبو القاسم الأصبهاني في: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ٢ / ٣٠٧ من طرق عن أبي مالك عن ربعي عن حذيفة مرفوعا . قال الحافظ ابن حجر في مختصر زوائد مسند البزار ٢ / ١٥٣: إسناده صحيح . ورواه اليخاري في : خلق أفعال العباد ٤٦ عن شقيق عن حذيفة موقوفا .

الوقفة الثانية : عد السيوطي اسم " الصانع " من أسماء الحسنى ، واستدل على ذلك بهذا الحديث ، وقد سبقه إلى ذلك البيهقي في : كتاب الأسماء والصفات ١ / ٧٤ وقال : ومنها الصانع ، ومعناه المركب المهيء قال الله عز وجل ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ وقد يكون الصانع الفاعل ، فيدخل فيه الاختراع والتركيب معا .

الوقفة الثالثة : فرق بعض أهل العلم بين إطلاق هذا الاسم الصانع على الله من باب الإخبار عنه به ، وبين جعله اسما من أسماء الله الحسنى ، فأجاز الأول ومنع الثاني .

قال الإمام ابن القيم في : شفاء العليل ١ / ٣٩٢ وهذه الألفاظ ثلاثة أقسام : قسم لم يطلق إلا على الرب كالبارئ والبديع ، وقسم لا يطلق إلا على العبد كالكاسب والمكتسب ، وقسم وقع

=

ثم ظفرت بحديث ثان صحيح ، وهو ما أخرجه الطبراني في " الكبير" والحاكم في " المستدرك" عن خباب قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو مضطجع تحت شجرة ، واضع يده تحت رأسه، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله على هؤلاء القوم الذين قد خشينا أن يصرفونا عن ديننا ، فصرف وجهه عني ، ثلاث مرات ، في كل ذلك أقول له ، فيصرف وجهه عني ، فجلس في الثالثة ، ثم قال : ((أيها الناس اتقوا الله ، فوالله إن كان الرجل من المؤمنين قبلكم ليوضع المنشار على رأسه فيشق باثنين ، وما يرتد عن دينه ، اتقوا الله فإن الله فاتح لكم وصانع)) [1] .

قوله : (وإنما جمع ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة) .

قال في " الانتصاف" : تعليله الجمع بإفادة الاستغراق فيه نظر ، فإن العالم – كما ذكر- اسم جنس ، وعرف بلام الجنس ، فصار مفردا أدل على الاستغراق منه جمعا .

قال إمام الحرمين : التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور ؛ فإن اسم التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية ، و التمور ترده [2] إلى تخيل الوحدان ، ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع ، وفي صيغة الجمع مضطرب .

قال صاحب " الانتصاف" : والتحقيق فيه وفي كل ما يجمع من أسماء الأجناس[3] ، ثم يعرف تعريف الجنس أنه يفيد أمرين :

إطلاقه على الرب والعبد كاسم صانع ، وفاعل ، وعامل . وقال أيضا ١ / ٣٩٤ وأما لفظ الصانع فلم يرد في أسماء الرب ، ولا يمكن ورودها ، فإن الصانع من صنع شيئا عدلا كان أو ظلما ، سفها أو حكمة ، جائزا أو غير جائز ، ومما انقسم مسماه إلى مدح وذم لم يجئ اسمه المطلق في الأسماء الحسنى كالفاعل ، والعامل ، والصانع ، لانقسام معاني هذه الأسماء إلى محمود ومذموم .

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤ / ٧٥ ، والمعجم الأوسط ٣ / ١١٩ ، والحاكم في المستدرك ٣ / ٣٨٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
قلت : يستدرك على المؤلف ما رواه أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده في كتاب التوحيد ١ / ٢٦٧ ، وأبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ٢ / ٣٠٧ من حديث أبي هريرة بلفظ " إن الله عز وجل صانع ما شاء لا مكره " .

(٢) في ظ : يرده .

(٣) في ظ : الجنس .

أحدهما : أن ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة .

والآخر : أنه مستغرق لجميع ما تحته منها ، فالمفيد لاختلاف الأنواع الجمع، والمفيد للاستغراق التعريف ، إذ لو جمع مجردا [1] عن تعريف أفاد اختلاف الأنواع، ولو عرف مجردا عن الجمع أفاد الاستغراق ، فظهر ضعف قوله : (جمع ليشمل) إذ الشمول من التعريف، لا من الجمع، وضعف قول الإمام: إن الجمع يوهي الإشعار بالاستغراق ، فإن اختلاف الأنواع الذي قصد به الجمع لا ينافيه .

وقال صاحب" الانتصاف" : بنى كلامه على أن المفرد المعرف باللام يفيد الاستغراق ، وهو مذهب المبرد ، والمختار أنه لا يفيده ، وأن الجمع المعرف يفيده.

وقال الطيبي : فإن قلت : أليس هذا مخالفا لقولهم : الاستغراق في المفرد أشمل .

قلت : لا ، لأنهم يريدون أن الجمع قد يحتمل غير الشمول في بعض المقامات ، والمفرد وإن دل على الشمول و الاستغراق لكن الغرض استغراق الأجناس المختلفة ، فلو أفرد وقيل : رب العالم لاحتمل الاستغراق شمول أفراد كل ما يصح عليه إطلاق اسم العالم ، فلا تعلم نصوصية تعدد الأجناس وكثرتها كالجن والإنس والملائكة وغيرها كما تعلم من الجمعية ، فجمع ليشمل ذلك المعنى .

قال : وأما ما ذكره صاحب" الانتصاف" فمندفع ؛لأن السؤال وارد على الجمع المحلى باللام ، وتقريره ما سبق [2] .

وقال الشيخ أكمل الدين : ليس المراد بالجنس في قوله :(ليشمل كل جنس) ما هو المصطلح ؛ لأنه إن أراد الأجناس العالية التي حصرها المقولات العشرة لا يكون العالمين شاملا للأجناس المتوسطة ، وهي الأنواع الإضافية ، ولا للأنواع السافلة ؛لعدم دلالة الأعم على الأخص ، وإن أراد الأجناس المتوسطة لم يشمل الأنواع السافلة ، و الأصناف، و الأفراد، فلا بد من شيء يصح به الكلام ، فقال بعضهم : لما فسر العالم بمجموع الموجودات العالمة ، أو بمجموع الموجودات

(١) في س : مفرداً .

(٢) الانتصاف ١/ ٥٤ وفتوح الغيب١/ ١١٤ .

المعلومة ، وذلك لا يتعدد توجه أن يقال : فلم جمع ؟ فقال : ليشمل كل جنس من أجناس الموجودات المسماة بالعالم ، نحو عالم الأجسام ، عالم الأعـراض ،عـالم الحيوان ، إلى غير ذلك، وهذا غير مفيد ما هو المراد مـن الجنـس علـى مـا ذكرنـا على أن العالم إن كـان أحـد المجموعيـن لـم يحتمـل الجمـع ؛ إذ ليـس مـا وراء المجموع شيء ، على أنه اعترض عليه بأمور :

منها أن الجمع يقتضي اتفاق الأفراد في الحقيقة ، وهاهنا ليس كذلك.

ومنها : أنه لا حاجة إلى الجمع ؛ لأن استغراق المفرد أشمل.

ومنها : أن الشمول مقتضى اللام ، لا الجمعية ، فإن اسم الجنس إذا جمـع دل على إرادة الأنواع كزيوت ، أو الأفراد كرجال ، لا على الشمول .

وقال بعضهم : أراد بقوله : (كل ما علم به الصانع) أن العالم يطلق علـى كـل واحد واحد من أنواع ما يعلم به الخالق ، وعلى للمجموع ؛ إذ لـو كـان المجمـوع فقط لاستحال جمعه ، وإذا صح إطلاقه على كل واحد واحد من الأنواع ، فلو أفرد لأوهم أن المراد استغراق أفراد نوع مما يطلق عليه ، لا الأنواع كلها مع أفرادها .

وأما إذا جمع واستغرق الأنواع بالتعريف فقد ارتفع ذلك الوهم .

هذا حاصل كلامه ، وهو ليس شرحا لكلام المصنف ، أما

أولاً : فلأنه فسر الجنس بالنوع ، ولا دلالة للأعم على الأخص ، وأما

ثانيا : فلأنه جعل اللام مفيدة لاستغراق الأنواع ، و الجمع لاستغراق الأفراد ، واللام لا تفيـد الاسـتغراق عنـد الزمخشـري ، والجمـع لا يفيـد اسـتغراق الأفـراد بالاتفاق .

ولعل الصواب أن يقال : المراد بالجنس الحقيقة ، ومعناه رب هـذه الحقيقـةِ ، أي حقيقة ما يعلم به الخالق ، ولما كانت ذات أفراد جمع ليشمل كل واحـد واحـد بالمطابقة .

وما قيل : لو قيل : إن العالم والعالمين كعرفة وعرفات لم يبعد ، ليس بشيء ؛ لأنه قياس فيما يعرف بالسماع [1] . انتهى كلام الشيخ أكمل الدين.

وقال الشيخ سعد الدين : معنى الكـلام أن العـالم اسـم لكـل جنـس يعلـم بـه الخالق ، يقال: عالم الملك ، وعالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الأفلاك، وعـالم

---

(١) حاشية أكمل الدين ل١٣ .

النبات ، وعالم الحيوان ، وليس اسما لمجموع ما سوى الله تعالى بحيث لا يكون له أفراد ، بل أجزاء فيمتنع جمعه[1] .

وقال أبو حيان : جمع العالم شاذ ، وجمعه بالواو و النون أشذ للإخلال ببعض الشروط التي لهذا الجمع [2] .

قوله : (وغلب العقلاء منهم فجمع بالياء و النون) .

أحسن من قول "الكشاف" :" وجمع بالواو والنون إشعارا بالصفة ؛لما قيل من أن الجماد يعلم به أيضا [3] " .

قال صاحب" الفرائد" : لا يلزم من الوصفية جواز الجمع بالواو و النون؛لما عرف من اختصاصه بصفات أولي العلم ، فالوجه التغليب بعد اعتبار الوصفية ؛ لأن كل عالم يعلم من حيث إنه دل على الخالق تعالى وتقدس .

وقال الطيبي : إنما جمع بالواو و النون جمع قلة ، و الظاهر مستدع للإتيان بجمع الكثرة تنبيها على أنهم وإن كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه [4] .

قوله : (كسائر أو صافهم) .

تقرير لكونه وصفا بعد جعله اسما ، وذلك بتأويل كونه دالا على صانعه .

قوله : (وقيل : اسم وضع لذوي العلم) .

هو على هذا مشتق من العِلْم ، وعلى الأول من العلامة .

قوله : (و الثقلين) أي الجن و الإنس ، سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض.

قال الطيبي : فيستدل به على أن الجن أجسام [5] .

قوله : (وقيل : عني به الناس هاهنا ، فإن كل واحد منهم عالم من حيث إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر و الأعراض) إلى آخره .

قال الغزالي في كتابه " الانتصار لما في الإحياء من الأسرار" : اعلم أن آدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر ، لكنه مختصر صغير ، فإن العالم إذا فصلت أجزاؤه وفصلت أجزاء آدم بمثله وجدت أجزاء آدم مشابهة للعالم الأكبر .

---

(١) حاشية الشيخ سعد الدين ل١٣ .

(٢) البحر المحيط١/ ١٠٣ .

(٣) الكشاف١/ ٥٦ .

(٤) فتوح الغيب١/ ١١٣ .

(٥) فتوح الغيب١/ ١١٣ .

فمن ذلك أن العالم ينقسم قسمين :

أحدهما : ظاهر محسوس كعالم الملك .

والثاني : باطن معقول كعالم الملكوت ، والإنسان كذلك انقسم إلى ظاهر محسوس كاللحم و العظم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة ، وإلى باطن كالروح و العقل و العلم و الإرادة و القدرة ، وأشباه ذلك .

وقسمة أخرى : وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم إلى عالم الملك ، وهو الظاهر للحواس ، وإلى عالم الملكوت ، وهو الباطن في العقول ، وإلى عالم الجبروت ، وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منها ، و الإنسان كذلك انقسم إلى ما يشابه هذه القسمة، فالمشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة ، وقد علمتها ، والمشابه لعالم الملكوت مثل الروح والعقل والقدرة والإرادة وأشباه ذلك، و المشابه لعالم الجبروت كالإدراكات الموجودة بالحواس ، والقوى الموجودة بأجزاء البدن [1] .

وقسمة أخرى : وذلك أن العالم إن حلل إلى ما علم به من أجزائه بالاستقراء فرأس الإنسان يشبه سماء العالم من حيث إن كل ما علاك فهو سماؤك ، وحواسه تشبه الكواكب والنجوم من حيث إن الكواكب أجسام مشعة تستمد من نور الشمس، فتضيء بها ، والحواس أجسام لطيفة مشفة تستمد من الروح فتضيء بذلك المدركات وروح الإنسان مشابهة للشمس ، فضياء العالم ، ونمو نباته، وحركة حيوانه وحياته فيما يظهر بتلك الشمس ، وكذلك روح الإنسان به حصل في الظاهر نمو أجزاء بدنه ونبات شعره، وخلق حيوانه ، وجعلت الشمس وسط العالم، وهي تطلع بالنهار، وتغرب بالليل ، وجعلت الروح وسط جسم الإنسان ، وهي تغرب بالنوم ، وتطلع باليقظة ، ونفس الإنسان تشابه القمر من حيث إن القمر يستمد من الشمس ، و نفسه تستمد من الروح ، و القمر خالف الشمس ، و الروح خالف النفس ، و القمر آية ممحوة ، و النفس مثلها ، ومحو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه ، ومحو النفس في أن ليس عقلها منها ، ويعتري الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف ، ويعتري النفس و الروح وسائر الحواس غيب وذهول .

وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان ، وفي الإنسان نبات ، وهو

---

(١) كتاب الإملاء في إشكالا ت الإحياء٥٦ .

الشعر ، ومياه ، و هو العرق والدموع و الريق و الدم ، وفيه جبال وهي العظام ، وحيوان ، وهي هوام الجسم فحصلت المشابهة على كل حال .

ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ، ومنها ما هي لنا غير معروفة ، ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل ، وفيما ذكرناه يحصل به لذوي العقول تشبيه وتمثيل .

ثم قال : ولا يناقض ما ذكرناه هنا من التفرقة بين الروح و النفس قولنا في " الإحياء [1] ": إنهما شيء واحد ؛ لأن لها معنى يسمى بالروح تارة ، وبالنفس أخرى، وبغير ذلك [2] . انتهى .

وقال بعضهم: سمي الإنسان بالعالم الصغير؛لأن الله تعالى أوجد المخلوقات خمسة ضروب: الجماد ، و النبات، و الحيوان، والشيطان، و الملك ، وكلها مجموعة في الإنسان، فهو جماد حيث يكون نطفة لا حركة فيه ولاحس، وهو نبات حيث ينمي ويغتذي،وهو حيوان حيث يلذ ويتألم ، وهوشيطان حيث يغوي ويضل،

---

(١) إحياء علوم الدين٨/ ٧ .

(٢) كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء ٤٢ قلت: إن التفريق بين الروح والنفس فيه نظر ، فإن الروح هي النفس ، والنفس هي الروح في اللغة ، وفي الكتاب والسنة ، قال الجوهري في الصحاح / مادّة نفس : النفس الروح يقال : خرجت نفسه ، وقال الأزهريّ في تهذيب اللغة / مادّة نفس : قال أهل اللغة : النفس في كلام العرب على وجهين : أحدهما : خرجت نفس فلان ، أي روحه ، و الضرب الآخر : معنى النفس حقيقة الشيء و جملته ، يقال : قتل فلان نفسه ، و المعنى أنه أوقع الهلاك بذاته كلها . وقال ابن قتيبة في كتاب تعبير الرؤيا ٢٩ والعرب تضع النفس موضع الروح ، والروح موضع النفس ، فيقولون : خرجت نفسه وفاضت ، وخرجت روحه منه . و قال الله تعالى " ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي " فالنفس عند الاحتضار هو التي تخاطب وتؤمر بالرجوع إلى الله ، والدخول في عباده . وقال الله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " فالنفس هي التي يتوفاها الله ويقبضها حين الموت ، وحين النوم، فيمسك التي قضى عليها الموت سواء ماتت قبل النوم ، أوفي النوم ، ويرسل التي لم تمت . وروى البخاري ١/ ٢١٤ ح٥٧٠ من حديث أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله قبض أرواحكم حين شاء ، وردها عليكم حين شاء". وروى مسلم ٢/ ٦٣٤ ح ٩٢٠ من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر " وروى أيضا ٤/ ٢٢٠٢ ح ٢٨٧٢ من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها" فسمى الله ورسوله المقبوضة تارة روحاً ، وتارة نفسا ، وهي هي .

وهو ملك حيث يعرف الله تعالى ويعبده .

ومنها أنه يصور كل شيء بيده ، ويحكي كل صوت بفيه ، وينهش اللحم كما تنهشه السباع ، ويأكل البقول كما تأكله البهائم ، ويقضم الحبّ كما يقضمه الطير[1] ، ولهذا قالوا : لا متفرق لو جمع كان منه إنسان إلا العالم ، ولا مجتمع لو فرق كان منه العالم إلا الإنسان ، فهو إنسان بالفعل، عالم أكبر بالقوة ، و العالم الأكبر عالم أكبر بالفعل، إنسان بالقوة .

ومنها أن الله خلق المخلوقات في عالم الأجسام على أربعة أصناف : قائم كالأشجار، وراكع كالبهائم ، وساجد كالحيات والحيتان ، وقاعد كالجبال ، والإنسان له الصفات الأربع .

ويقال : إنما لقب بالعالم الصغير؛لأنهم مثلوا رأسه بالفلك ، وروحه بالشمس- إذ لا قوام للعالم إلا بها كما لا قوام للجسد إلا بالروح- وعقله بالقمر؛لأنه يزيد وينقص ويذهب ويعود ، وحواسه ببقية الكواكب السيارة ، وآراءه بالنجوم الثابتة[2]، ودمعه بالمطر ، وصوته بالرعد ، وضحكه بالبرق ، وظهره بالبر ، وبطنه بالبحر ولحمه بالأرض، وعظامه بالجبال ، وشعره بالنبات ، وأعضاءه بالأقاليم ، وعروقه بالأنهار ، وصغار عروقه بالعيون [3] .

---

(١) في ظ : الطائر .

(٢) في ظ : الثاقبة .

(٣) إن تشبيه الإنسان وأجزائه بالعالم الأكبر وأجزائه لهو التكلف بعينه ، والتمحل بنفسه ، وليس من علوم الدين ، ولا من علوم اللسان فضلا عن علم تفسير كتاب الله ، وكان الأولى بأبي حامد – رحمه الله – أن ينزه كتابه الملحق بكتاب سماه إحياء علوم الدين عن هذا الفضول ، وبجلال الدين أن ينأى بنفسه عن نقله في كتاب محسوب في جملة كتب التفسير ، ورحم الله أبا حيان الذي أراد أن يلمح إلى ما كان ينبغي أن تكون عليه كتب تفسير كتاب الله ، وأنه ينبغي أن تصان عن الاسترسال في علوم أخرى ، والاستطراد لقضايا بعيدة عن تفسير كتاب الله ، فكيف لو رأى هذا الفضول وهو في كتاب محسوب في كتب التفسير .

قال : وكثيرا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلل النحو ، ودلائل مسائل أصول الفقه ، ودلائل أصول الدين ، وكل هذا في تآليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلما في علم التفسير دون استدلال عليه ، وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح : من أسباب نزول ، وأحاديث في الفضائل ، وحكايات لا تناسب ، وتواريخ اسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير . البحر المحيط ١ / ١٢ .

قوله : (وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح) .

قال أبو حيان : وهي فصيحة لولا خفض الصفات بعدها ، فضعفت إذ ذاك ، على أن الأهوازي [1] حكى في قراءة زيد بن علي[2] ﴿ رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ بنصب الثلاث ، فلا ضعف ، وإنما الضعف في قراءة نصب رب ، وخفض الصفات بعدها ؛ لأنهم نصّوا على أنه لا اتباع بعد القطع في النعوت ، لكن تخريجها على أن يكون الرحمن بدلا ، ولاسيما على مذهب الأعلم [3] ، إذ لا يجيز في الرحمن أن يكون صفة ، وحَسَّنَ ذلك [4] - على مذهب غيره - كونه وصفا خاصا ، وكون البدل على نية تكرار العامل ، فكأنه مستأنف من جملة أخرى، فحسن النصب [5] .

قوله : (أو النداء) .

قال أبو حيان : هذا ضعيف للفصل بقوله ﴿ الرحمن الرحيم [6]﴾ .

---

(١) هو الحسن بن علي بن إبراهيم أبو علي الأهوازي ، مقرئ الشام ، عني بهذا الفن من صغره ، ورأس فيه ، وانتهى إليه علو الإسناد ، على ضعف فيه ، توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ٢/ ٧٦٦ وغاية النهاية ١/ ٢٢٠ .

(٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين الهاشمي، كان ذا علم وجلالة وصلاح، قتل سنة خمس وعشرين ومائة. سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٩ وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٢٠.

(٣) هو يوسف بن سليمان بن عيسى أبو الحجاج النحوي المعروف بالأعلم الشنتمري، كان عالما بالعربية واللغة ومعاني الأشعار حافظا لجميعها ، شرح الحماسة، توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة. وفيات الأعيان ٧/ ٨١ وبغية الوعاة ٢/ ٣٥٦ .

(٤) أي القطع في رب العالمين .

(٥) البحر المحيط ١/ ١٠١ ١٠٢ .

(٦) البحر المحيط ١/ ١٠٢ . قلت : في هذا الإعراب خلط وإشكال ، أما الخلط فهو أن البيضاوي أعرب الآية هكذا ((وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح ، أو النداء ، أو بالفعل الذي دل عليه الحمد)) وأعرب أبو حيان هكذا ((وقرأ زيد بن علي وطائفة ((رب العالمين)) بالنصب على المدح ... وقول من زعم أنه نصب ((رب)) بفعل دل عليه الكلام قبله ، كأنه قيل : نحمد الله رب العالمين ضعيف ... ومن زعم أن نصبه على البدل فضعيف ؛ للفصل بقوله : الرحمن الرحيم)) .

فتعليل أبي حيان مبني على تقدير نصب ((رب)) بدلاً فنقله المؤلف إلى تقدير نصب ((رب)) نداء وأما الإشكال فهو في إعراب أبي حيان فأين المبدل منه المنصوب ، حتى يصح =

قوله : (أو بالفعل الذي دل عليه الحمد)

قال أبو حيان : كأنه قيل : نحمد الله رب العالمين، قال : وهذا ضعيف ؛ لأنه من مراعات التوهم ، وهو من خصائص العطف ، ولا ينقاس فيه .

قوله : (وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها، فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها)

هذا مأخوذ من كلام الإمام ، فإنه قال : إنما قال : رب العالمين ، ولم يقل: خالق العالمين؛لأن الناس أطبقوا على أن الحوادث مفتقرة إلى الموجد حال حدوثها ، و اختلفوا في أنها حال بقائها هل تبقى محتاجة إلى المبقي، أم لا ؟

والمربي هو القائم بإبقاء الشيء ، وإصلاح حاله حال بقائه فقوله﴿ رب العالمين﴾ تنبيه على أن جميع العالمين مفتقرة إليه في حال بقائها ، فخصه بالذكر؛ لأنه الذي وقع الخلاف فيه، بخلاف افتقارها إليه حال حدوثها ، فإنه أمر متفق عليه[1] .

قوله : (وقرأ الباقون ملك ، وهو المختار) .

عبارة غير حسنة ؛ لأن كلتا القراءتين متواترة [2]، فلا يحسن أن يقال في إحداهما: إنها المختارة ؛ لما يشعر به من أن الأخرى بخلاف ذلك.

وقد أنكر جماعة من الأئمة على من رجح قراءة على قراءة .

قال السمين : ما ذكر في ترجيح مالك على ملك ، وبالعكس غير مرضي؛لأن كلتا القراءتين متواترة ، وقد روى أبو عمر الزاهد [3] عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف

توجيه قراءة نصب ((رب)) بأنه بدل ، ثم أين الفصل بين لفظ ((لله)) وبين ((رب العالمين)) بـ ((الرحمن الرحيم)) والذي يظهر لي أن في إعراب أبي حيان سبق قلم ، وأن صواب الإعراب ما جاء في الدر المصون لتلميذ أبي حيان أحمد بن يوسف الحلبي١/ ٤٥ : ((وقرئ منصوباً ، وفيه ثلاثة أوجه : إما منصوب بما دل عليه الحمد ، تقديره : أحمد رب العالمين ، أو على القطع من التبعية ، أو على النداء ، وهذا أضعفها ؛ لأنه يؤدي إلى الفصل بين الصفة والموصوف)) ..

(١) التفسير الكبير ١/ ٢٢٩ .

(٢) في ت ، ح ، د ، ق : متواترتان .

(٣) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد، غلام ثعلب اللغوي، من أئمة اللغة ، وأكابر أهلها وأحفظهم لها، له كتاب شرح الفصيح لثعلب ، وكتاب اليواقيت ، توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. معجم الأدباء ٦/ ٢٥٥٦ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٨ .

الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعرابا على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى [1].

وقال أبو شامة : أكثر المصنفون من الترجيح بين هاتين القراءتين حتى إن بعضهم يبالغ [2] في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذ[3] بمحمود بعد ثبوت القراءتين ، وصحة اتصاف الرب تعالى بهما . والأولى أن يعبر بدل الاختيار بالأمدح والأبلغ [4].

قوله : (ولقوله تعالى ﴿لمن الملك اليوم﴾) [سورة غافر: ١٥] .

قال الشيخ أكمل الدين : وجهه أن المراد باليوم يوم الدين، وقد ذكر فيه الملك والملك يؤخذ منه .

قوله : (و المالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من المِلْكِ ، والمَلِكُ هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من المُلْك) .

حاصله أن بين المِلْكِ بالكسر والمُلكِ بالضم عموما وخصوصا مطلقاً ، فكل ملك مالك، وليس كل مالك ملكا، وهو ما جنح إليه الراغب والزمخشري ، و قيل : إن بينهما عموما وخصوصا من وجه ، فالمضموم التسلط على من يتأتى منه الطاعة ، ويكون باستحقاق وغيره ، و المكسور التسلط على من يتأتى منه الطاعة وغيره ، ولا يكون إلا باستحقاق ، وفي ثالث : هما بمعنى ، كحاذر وحذر ، وفاره وفره .

قوله : (وقرئ ملك بالتخفيف) أي بسكون اللام .

قوله : (وملك بلفظ الفعل) أي الماضي .

قال أبوحيان : وهي على هذه القراءة جملة خبرية ، لا موضع لها من الإعراب[5].

قوله : (ومالك بالنصب على المدح أو الحال) .

قال أبو حيان : أو على النداء ، قال : و القطع أعرب؛لتناسق الصفات .

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون١/ ٤٨ .

(٢) في د ، ق ، ظ ، بالغ .

(٣) في ظ : هو .

(٤) إبراز المعاني من حرز الأماني ١/ ٢٣٨ .

(٥) البحر المحيط١/ ١٩٩ ١٢١ .

قوله : (ومليك مضافا)

زاد أبو حيان: وملاّك، قال: وهو محول من مالك للمبالغة، قال: وكذا مليك ، أو يكون بمعنى ملك ، فعلى الأوّل يأتي في إضافته ما في مالك ، وعلى الثاني لا إشكال؛لأنه وصف معرفة .

قال : وإضافة الملك إلى يوم الدين على معنى اللام ، لا على معنى "في " ، خلافا لمن أثبت الإضافة بمعنى "في"

قوله :(ويوم الدين يوم الجزاء)

قال الخويي [1] في تفسيره: بين الدين والجزاء فرق لطيف ، فإن الدين اسم للجزاء المحسوب المقدر بقدر ما يقتضيه الحساب إذا كان ممن معه وقع الأمر المجزي به، فلا يقال لمن جازى [2] عن غيره ، أو أعطى كثيرا في مقابلة قليل : دين، ويقال : جزاء .

قوله : (ومنه كما تدين تدان)

قلت: هو مثل مشهور، وحديث مرفوع، أخرجه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف من حديث ابن عمر مرفوعاً [3]، وله شاهد مرسل .

قال عبد الرزاق في المصنف : أنبأنا معمر [4]، عن أيوب [5]، عن أبي قلابة [6] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ((البر لا يبلى، والإثم لا ينسى،

---

(١) هو أحمد بن خليل بن سعادة أبو العباس الخويي ، كان فقيها أصولياً ، ذاهمة عالية ، حفظ القرآن على كبر ، من آثاره تتمة تفسير القرآن لشيخه فخر الدين الرازي ، توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة . طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٦ ومعجم المفسرين ١/ ٣٥ .

(٢) في ح : جزى .

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٢١٦٨ وفي سنده محمد بن عبد الملك الأنصاري، قال ابن عدي: كل أحاديثه مما لا يتابعه الثقات عليه ، وهو ضعيف جداً .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) هو أيوب بن أبي تميمة – واسمه كيسان – أبو بكر السختياني البصري، رأى أنس بن مالك ، روى عن أبي قلابة ، روى عنه معمر بن راشد ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة ، روى له الجماعة . تهذيب الكمال ٣/ ٤٥٧ وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٥ .

(٦) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أبو قلابة الجرمي البصري ، روى عن أنس بن مالك ، روى عنه أيوب السختياني ، توفي سنة أربع ومائة ، روى له الجماعة . تهذيب الكمال ١٤/ ٥٤٢ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٨ .

والديان لا يموت ، فكن كما شئت ، كما تدين تدان[1])).

أخرجه البيهقي في كتاب " الأسماء و الصفات" من طريقه ، وشاهد موقوف ، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب" الزهد" عن مالك بن دينار[2] قال : مكتوب في التوراة : كما تدين تدان ، وكما تزرع تحصد [3] .

وأخرج الديلمي في " مسند الفردوس" عن فضالة ابن عبيد [4] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ((مكتوب في الإنجيل كما تدين تدان،وبالكيل الذي تكيل تكتال [5])) .

قال الميداني في " الأمثال" : معناه كما تعمل تجازى، فسمى العمل المبتدأ دينا وجزاء ، للمطابقة ، على حد ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [سورة البقرة ١٩٤] .

قال : ويجوز أن يجري على ظاهره ، أي كما تجازي أنت الناس على صنيعهم

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٧٨ والبيهقي من طريقه في كتاب الأسماء والصفات ١/ ١٩٧ وفي كتاب الزهد الكبير ٢٩٦ ، ورواه أحمد في كتاب الزهد ٢٠٦ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال : قال أبو الدرداء ... فذكره .

قلت: ولعل الاختلاف من عبد الرزاق نفسه ، أومن الإمام أحمد . قال السخاوي في المقاصد الحسنة ٣٢٦ هو منقطع مع وقفه .

(٢) ستأتي ترجمته في ٢٥٤ .

(٣) ليس هذا الأثر في كتاب الزهد لأحمد المطبوع ، وعدم وجوده فيه من أدلة النقص الكبير في مطبوعة كتاب الزهد ، " فإنه كتاب كبير يكون في قدر ثلث المسند مع كبر المسند ، وفيه من الأحاديث ولآثار مما ليس في المسند شيء كثير " تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة للحافظ ابن حجر ١/ ٢٤٣ وصلت أحاديث المسند في طبعة مؤسسة الرسالة إلي ٢٧٦٤٧ وأحاديث كتاب الزهد إلى ٢٣٧٩ فالمطبوع إذن أقل من عشر المسند ، وهذا يقتضي من طلاب العلم البحث عن نسخ كتاب الزهد وتحقيقه حتي تتم الاستفادة منه .

(٤) هو فضالة بن عبيد بن ناقد أبو محمد الأنصاري الأوسي، أول مشاهده الأحد ، ثم شهد المشاهد كلها ، ثم انتقل إلى الشام ، وسكن دمشق ومات بها سنة ثلاث وخمسين . الاستيعاب ٣/ ١٢٦٢ والإصابة ٥/ ٣٧١ .

(٥) الفردوس بماثور الخطاب (غير مسند) ٤/ ١٢٤ ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٧٦٢ .

كذلك تجازى أنت على صنيعك ، و الكاف في " كما" في محل نصب نعتا للمصدر ، أي تدان دينا مثل دينك[١] .

وأخرج الخرائطي[٢] في كتاب" اعتلال القلوب" من طريق ابن الأعرابي[٣] ، عن بعض شيوخه قال : كان الحارث بن أبي شمر الغساني[٤] إذا أعجبته امرأة بعث إليها ، فاغتصبها نفسها ، فبعث إلى الزاهرية بنت خويلد بن نفيل [٥] بن عمرو بن كلاب فاغتصبها ، فأتاه أبوها ، فقال في ذلك :

يَأْ أيّها الملكُ المخوفُ أما ترى ليلا وصبحا كيف يختلفانِ
هل تستطيع الشمسَ أن تأتي بها ليلا وهل لك بالمليك يدانِ
فاعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأنَّ كما تدين تدانُ

فتذمم وخاف العقوبة ، فردها وأعطاه ثلاثمائة بعير [٦] .

قوله : (وبيت "الحماسة":

ولم يَبقَ سِوَى العُدْوا ن دِنَّاهم كما دانوا

" الحماسة " كتاب لأبي تمام الطائي [٧] جمع فيه أشعارا انتقاها من كلام

---

(١) مجمع الأمثال٣/ ٤٣ .

(٢) هو محمد بن جعفر بن محمد أبو بكر السامراني الخرائطي، صنف الكثير ، وكان من الأعيان الثقات ، صاحب كتاب مكارم الأخلاق ، وكتاب مساوئ الأخلاق ، وكتاب اعتلال القلوب ، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٧ والعبر ٢/ ٢٠٩ .

(٣) هو محمد بن زياد أبو عبد الله المعروف بابن الأعرابي ، كان من أكابر أئمة اللغة ، المشار إليهم في معرفتها ، وكان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب ، توفي سنة ثلاثين ومائتين . معجم الأدباء ٦/ ٢٥٣٠ وبغية الوعاة ١/ ١٠٥.

(٤) هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، من أمراء غسان في أطراف الشام ، كانت إقامته بغوطة دمشق أدرك الإسلام فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا مع شجاع بن وهب ، ومات في عام الفتح ، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٦٨ والأعلام ٢/ ١٥٥ .

(٥) في اعتلال القلوب : نوفل .

(٦) اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين ١١٤ والأبيات الثلاثة في اللسان/ مادة دين / منسوبة إلى خويلد ، وفي كتاب الجمهرة / مادة دين / منسوبة إلى يزيد بن الصعق الكلابي في قصة مشابهة لقصة خويلد .

(٧) هو حبيب بن أوس أبو تمام الطائي ، شاعر مطبوع ، دقيق المعاني ، غواص على ما يستعصب منها ويعسر متناوله على غيره ، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين . كتاب الأغاني ١٦/ ٣٠٣ وكتاب الوافي بالوفيات ١١/ ٢٩٢ .

العرب ، وصدره بما يتعلق بالحرب ، ثم أتى بالنسيب، و المدح ، والهجو ، والأدب ، وغلبت التسمية بالمُصَدَّرِ به ، والحماسة هي الشدة والشجاعة ، يقال : حَمِسَ الرجل يحمس حماسة إذا تشدد .

قال بعض شراح " الحماسة" : لما قفل أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من نيسابور متوجها نحو[1] العراق دخل همذان و الزمان شتاء [2] ، فحال الثلج بينه وبين المصير، فأضافه أبو الوفاء محمد بن عبد العزيز بن سهل [3] ، وكان أديبا من أولاد الرؤساء، وله شعر ترتضيه الشعراء ، فلما طال مقام أبي تمام عنده أحضره كتبه ، فاختار أبو تمام منها هذا الاختيار ، وشخص أبو تمام ، وبقية الكتب عند أبي الوفاء لا يمكن أحدا منها إلى أن مات، ووقعت[4] كتبه إلى رجل من أهل الدينور يعرف بأبي العواذل ، فنسخ هذه الكتب الثلاثة ، وحملها إلى أصبهان فانتشرت النسخ بها، وعني أهل أصبهان بتصحيحها ، وصار هذا ا لكتاب في الآفاق ، فلهذا لا تجد أحدا يرويه مسندا إلى أبي تمام.

قلت : قد وقع لنا مرويا بالإسناد من طريق أبي غالب محمدبن أحمد بن سهل الواسطي المعروف بابن بشران [5] ، عن أبي عبد الله الحسين بن علي النمري [6] ، عن أبي رياش أحمد

ابن أبي هاشم بن شبيل[7] ، عن أبي المطرف الحسن بن يوسف الأنطاكي[8] ،

---

(١) في ح : إلى .

(٢) في ت ، ح ، د ، ق : شات .

(٣) لم أعرفه ، وفي شرح ديوان الحماسة لأبي زكريا التبريزي ١/ ٥ فلما دخل - أي أبو تمام - همذان اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه .

(٤) في ظ : ودفع .

(٥) هو محمد بن أحمد بن سهل أبو غالب يعرف بابن بشران، وبشران جده لأمه ، صاحب نحو ولغة وحديث وأخبار ودين وصلاح ، وكانت إليه الرحلة في زمانه ، توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة . معجم الأدباء ٥/ ٢٣٥٠ وبغية الوعاة ١/ ٢٦ .

(٦) هو الحسين بن علي أبو عبد الله النمري ، كان من أصحاب أبي رياش ، وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. معجم الأدباء ٣/ ١٠٩٢ وبغية الوعاة ١/ ٥٣٧.

(٧) هو أحمد بن أبي هاشم أبو رياش القيسي ، كان باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . معجم الأدباء ١/ ١٨١ وبغية الوعاة ١/ ٤٠٩ .

(٨) جاء في بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ١٠/ ٤٦٢٨ أبو المطرف الأنطاكي ، روى الحماسة عن أبي تمام الطائي ، رواها أبو عبد الله النمري ، عن أبي رياش ، عنه .

عن أبي تمام .

وقد رواها من وجه آخر عن أبي رياش أبو بكر محمد بن علي ابن الفخار الجذامي[1] في فهرسته المسمى" صوان النخب في أسماء الشيوخ والكتب"

والبيت المذكور لِلفِنْدِ ، واسمه شهل- بالشين المعجمة – بن شيبان بن ربيعة بن زمان الزماني ، قالها في حرب البسوس .

قال الخطيب التبريزي : وإنما سمي فندا لأن بكر بن وائل بعثوا إلى بني حنيفة في حرب البسوس يستنصرونهم ، فأمدوهم به ، فلما أتى بَكْراً وهو مسن جدا قالوا : وما يغني هذه العَشَبَةُ [2] عنا؟ قال: أو ما ترضون أن أكون لكم فندا تأوون إليه.

قال الخطيب : و الفند القطعة من الجبل [3] .

وقال غيره من شراح " الحماسة" : الفند شمراخ من الجبل ، وقد لقب به لعظم خلقه تشبيها بالجبل ، وأول القصيدة :

صَفَحْنَـا عـن بَنـي ذُهْـلٍ ... وقلنـا: القـوم إخـوانُ

عسـى الأيّـامُ أن يرجعـ ... ـن قومـا كـالذي كـانوا

فلمـا صـرح الشـر ... فأمسـى وهـو عريـان

ولـم يبـق سـوى العـدوا ... ن دِنَّـاهم كمـا دانـوا

مشـينا مشـية الليـث غـداً ... والليـث غضبـان

بضـرب فيـه تفجيـع ... وتخضيـع وإقـران

وطعـن كفـم الـزِّقّ ... غـذا و الـزق مـلآن

وبعـض الحلـم عنـد الجهـ ... ـل للـذلة إذعـان

وفـي الشـر نجـاة حيـ ... ـن لا ينجيـك إحسـان[4]

---

(١) هو محمد بن علي بن محد بن أحمد بن الفخار أبو بكر الجذامي ، كان كثير العكوف على العلم والملازمة ، مغرما بالتأليف ، ألف نحو الثلاثين تأليفا في فنون مختلفة، منها تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن ، والجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم ، توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة. الديباج المذهب ٢/ ٢٨٨ والدرر الكامنة ٤/ ٨١ .

(٢) قال الخطيب التبريزي: والعشبة : الشيخ الكبير

(٣) شرح ديوان الحماسة ١/ ٢٠ .

(٤) شرح ديوان الحماسة ١/ ٢١ -٢٦ .

قوله : صرح الشر، أي ظهر كل الظهور ، وأكد ذلك بقوله : فأمسى وهو عريان، أي مكشوف . ودناهم كما دانوا ، أي جازيناهم مثل ما ابتدءونا به .

قوله : (أضاف اسم الفاعل إلى الظرف) أي على قراءة مالك .

قال الشريف : وأما إضافة ملك فلا إشكال فيها ؛ لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى غير معمولها ، كما في رب العالمين ، فتكون حقيقية ، لا لفظية ، فإنها إضافتها إلى الفاعل.

قال : فإن قيل : المضاف إليه فيهما مفعول به في المعنى ، فتكون إضافتهما غير محضة .

قلنا : الصفة المشبهة لا تعمل النصب أصلاً [1] .

وقال أبو حيان : من قرأ بلفظ ملك ، على فعل مكسور العين أو ساكنها ، أو مليك بمعناه فظاهر ؛ لأنه وصف معرفة ، ومن قرأ مالك ، أو ملاك ، أو مليك محولين من مالك للمبالغة فإن كان بمعنى الماضي كانت إضافته محضة، فيكون إذ ذاك من وصف المعرفة بالمعرفة ، ويدل عليه قراءة من قرأ ﴿ ملك يوم الدين﴾ فعلا ماضيا ، وإن كان بمعنى الاستقبال- وهو ظاهر ، لأن اليوم لم يوجد- فهو مشكل ؛ لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال فإنه تكون إضافته غير محضة فلا يتعرف بالإضافة ، وإن أضيف إلى معرفة فلا يكون إذ ذاك صفة ؛ لأن المعرفة لا توصف بالنكرة ، ولا بدل نكرة من معرفة ؛ لأن البدل بالصفات ضعيف.

قال : وحل هذا الإشكال أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال جاز فيه وجهان :

أحدهما : ما قدمناه من أنه لا يتعرف بما أضيف إليه إذ يكون منويا فيه الانفصال من الإضافة ، وكأنه عمل النصب لفظا .

الثاني : أن يتعرف به إذا كان معرفة ، فيلحظ فيه أن الموصوف صار معروفا بهذا الوصف ، وكان تقييده بالزمان غير معتبر .

قال : وهذا الوجه غريب النقل لا يعرفه إلا من له اطلاع على كتاب سيبويه .

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٥٧ .

قال سيبويه : وزعم [1] يونس [2] و الخليل أن الصفات المضافة التي صارت صفة للنكرة قد يجوز فيهن كلهن أن يكن معرفة [3] . انتهى .

قوله : (إجراء له مجرى المفعول به)

قال الطيبي : روي بضم الميم من المزيد، و الرواية الصحيحة بالفتح ، بمعنى الإجراء ، كقوله ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ [سورة نوح١٧] أو بمعنى المكان [4] .

وقال الشريف : يروى بالضم و الفتح إما مصدرا ، وإما مكانا [5] .

وما ذكره المصنف من أنه على إجرائه مجرى المفعول هو المشهور في الآية ، وقد قيل : إنه مضاف إلى المفعول به حقيقة ، و المعنى أنه تعالى يملك يوم الدين، أن[6] يأتي به ، ويؤيده قراءة مالك- منونا- يوم بالنصب ، وعلى هذا مشى ابن السراج [7] ، فقال : هي إضافة حقيقية ، و المراد مالك نفس اليوم ، لا يقدر على الإتيان به إلا الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ [سورة الأعراف ١٨٧] .

قال : وحمله على الحقيقة أولى من حمله على المجاز.

قوله : (على الاتساع) .

قال الطيبي :أي جعل المفعول فيه بمنزلة المفعول به [8] .

---

(١) قال جمال الدين ابن هشام في شرح قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير ٣٩ وقول سيبويه : وزعم الخليل ، وإنما يقول سيبويه ذلك إذا كان الخليل قد خولف في ذلك القول ، وكان الراجح قوله .

(٢) هو يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي النحوي ، كان بارعاً في النحو ، وسمع من العرب كما سمع من قبله ، أخذ عن أبي عمرو ، وروى عنه سيبويه وأكثر ، توفى سنة أثنتين وثمانين ومائة . إنباه الرواة ٤/ ٧٤ وبغية الوعاة ٢/ ٣٦٥ .

(٣) الكتاب ١/ ٤٢٨ والبحر المحيط ١/ ١١٩ ، ١٢٠ .

(٤) فتوح الغيب١/ ١١٧ .

(٥) حاشية الشريف١/ ٥٧ .

(٦) في ح : أي .

(٧) هو محمد بن السري السراج أبو بكر ، له كتب في النحو مفيدة ، منها كتاب في أصول النحو ، هو غاية من الشرف والفائدة ، توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة . طبقات النحويين واللغويين ١١٢ وبغية الوعاة ١/ ١٠٩.

(٨) فتوح الغيب ١/ ١١٦.

وقال الشريف : الاتساع في الظرف أن لا يقدر معه "في" توسعا، فينصب نصب المفعول به، كقوله :

ويـوم شـهدناه سـليما وعـامراً [1] . ...

قوله : (يا سارق الليلة أهل الدار) .

وجه الاستشهاد أنه جعل الليلة مسروقة ، وإنما هي مسروق فيها .

قال الشريف : وأهـل الـدار منصـوب بسـارق؛لاعتمـاده علـى حـرف النـداء ، كقولك : ياضاربا زيدا ، وياطالعا جبلاً [2] .

قوله: (ومعناه مالك الأمور يوم الدين)

قال الشريف : يعني أن الظرف وإن قطع في الصـورة عـن تقديـر" فـي" وأوقـع موقع المفعول به إلا أن المقصود الذي سيق الكلام لأجله على الظرفية ؛ لأن كونه مالكا ليوم الدين كناية عن كونه مالكا فيه للأمر كلـه ، فـإن تملـك الزمـان كتملـك المكان يستلزم تملك جميع ما فيه [3] .

قوله : (أوله الملك في هذا اليوم على جهة الاستمرار لتكون الإضافة حقيقيـة بعده، لوقوعه صفة للمعرفة) .

قال الشيخ سعد الدين : فإن قيل : قد ذكر في " الكشاف" فـي قولـه ﴿ وجعـل الليل سكنا﴾ [سورة الأنعام ٩٦] أنه إذا قصد باسـم الفـاعل زمـان مسـتمر كـانت الإضافة لفظية .

قلنا : الاستمرار يحتوي على الأزمنة الماضيـة والآتيـة والحـال ، فتـارة يعتـبر جانب الماضي فتجعل الإضافة حقيقية ، وتارة جانب الآتي و الحال فتجعل لفظية، والتعويل على القرائن و المقامات .

فإن قيل : التقييد بيوم الدين ينافي الاستمرار لكونه صريحا في الاستقبال .

قلنا : معناه الثبوت و الاستقرار من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة ، ومثـل هذا المعنى لا يمتنع أن يعتبر بالنسبة إلى يوم الدين ، كأنه قيل : هو ثـابت المالكيـة في يوم الدين ، أو المراد أنـه يجعـل يـوم الديـن لتحقـق وقوعـه بمنـزلة الواقـع ،

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٥٧ والشطر لرجل من بني عامـر ، وهـو مـن شواهـد سـيبويه انظـر فـي : الكتاب ١/ ١٧٥ وخزانة الأدب ٨/ ٢٠٢ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ٥٨ .

(٣) حاشية الشريف ١/ ٥٨ .

فتستمر مالكيته في جميع الأزمنة .

فإن قيل : ما ذكر من الاتساع وجعل الظرف يجري مجرى المفعول به صريح في أن هذه إضافة الصفة إلى معمولها ،فتكون لفظية قطعاً .

قلنا : المراد أنه إضافة إلى ما هو مفعول من جهة المعنى ، كما يقال : في مالك عبيده أمس : إنه إضافة إلى المفعول ، أي إلى ما يتعلق به تعلق المملوكية بحيث لو كانت الصفة على شرائط العمل كانت عاملة فيه [1] . انتهى .

قوله : (وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه ، أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه) .

قال الطيبي : في اختصاص يوم الدين دون يوم القيامة وغيره من أساميه فائدتان :

إحداهما : مراعاة الفاصلة .

وثانيتهما : العموم المطلوب في الألفاظ ، فإن الجزاء يشتمل على جميع أحوال ، القيامة، من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم ، بل يكاد يتناول أحوال النشأة الأولى بأسرها ، فظهر من هذا الاختصاص ومن مآل معنى القراءتين في الصورتين إفادة التعميم المطلوب من ألفاظ هذه السورة الكريمة ، و الدلالة على التسلط والغلبة و التصرف والملكة ، فسبيل ملك يوم الدين ومالك يوم الدين ، سبيل رب العالمين في الحمل على المفهومين ، فانظر إلى حسن هذا الترتيب السري ، وهذا النظم الأنيق تدهش منه .

وذلك أن رب العالمين آذن بالتصرف العام في الدنيا ملكا وتربية ، ومالك يوم الدين دل على ذلك في العقبى تسلطا وقهراً ، وتوسيط الرحمن الرحيم بينهما مناد بترجيح جانب الرحمة ، وأنه تعالى رحمن الدنيا ، ورحيم الآخرة [2] .

قوله : (وإجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين) إلى آخره.

قال الشريف : أي لما دل بلامي التعريف و الاختصاص على أن جنس الحمد مختص به تعالى، وحق له أجري عليه تلك الأوصاف العظام ليكون حجة واضحة،

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٤ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ١١٧ .

ودلالة قاطعة على انحصار الحمد فيه واستحقاقه إياه ، فذكر أولا ما يتعلق بالابتداء من كونه ربا مالكا للأشياء كلها لا يخرج شيء منها من ملكوته ، أي سلطنته الشاملة ، ومن ربوبيته الكاملة، يتصرف فيها على وفق مشيئته ويربيها ، أي يرقيها في مدارج الكمال على مقتضى عنايته بإفاضة الجود ، وإعداد أسباب الكمالات .

وثانيا : ما يتعلق بالبقاء من إسباغه علينا نعما ظاهرة وباطنة جليلة ودقيقة .

وثالثا : ما يتعلق بالإعادة من كونه مالكا للأمر كله يوم الجزاء ، كأنه قيل : الحمد لله الذي منه الابتداء و الانتهاء ، فهو الحقيق بالثناء (١) .

قوله : (لا يستأهل لأن يحمد)

قلت : وقد عد الحريري (٢) في " درة الغواص" هذه الكلمة من جملة أوهام الخواص فقال : يقولون : فلا ن يستأهل الإكرام ، وهو مستأهل للإنعام ، ولم تسمع هاتان اللفظتان في كلام العرب ، ولا صوّب التلفظ بهما أحد من أعلام الأدب، ووجه الكلام أن يقال: فلان يستحق المكرمة ، وهو أهل لإسداء المكرمة.

وأما قول الشاعر:

لا ، بل كلي يا أم واستأهلي ... إن الذي أنفقت من ماليه (٣) .

فإنه عنى بلفظ استأهلي اتخذي الإهالة ، وهي ما يؤتدم به من السمن (٤) .

وقال الجوهري في "الصحاح" : تقول : فلان أهل لكذا ، ولا تقل : مستأهل،

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٦٠ وعبارته : الذي منه الابتداء ، وإليه الانتهاء ، وبه البقاء ، فهو الحقيق بالثناء .

(٢) هو القاسم بن علي بن محمد أبو محمد الحريري ، كان أديبا فاضلاً ، بارعا فصيحا بليغا، صنف كتبا حسنة ، عذبة العبارة ، منها كتاب المقامات الشهيرة في أيدى الناس ، ومنها كتاب درة الغواص فيما يلحن فيه الخواص ، توفي سنة ست عشرة وخمسمائة. نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٣٧٩ وبغية الوعاة ٢/ ٢٥٧ .

(٣) اختلف في قائله ، فعزاه أبو منصور الجواليقي في شرح أدب الكاتب ٢١٨ لعمرو بن أسوى ، وتبعه ابن منظور في لسان العرب / مادة أهل / وعزاه الزمخشري في أساس البلاغة / مادة أهل / إلى حاتم ، وهو في ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره ٢٨١ وقال أبو محمد ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/ ٢٥٦ هذا البيت لا أعلم قائله .

(٤) درة الغواص في أوهام الخواص ١١ قال عبد الله بن بري في حاشيته على درة الغواص ٢٢ قالوا : هو أهل لكذا ، وقد تأهل له فاستأهل، استفعل من هذا ، أصله الهمز ، وتسهيل الهمز جائز ، فإذا استعمل مستأهل بمعنى أنه صار أهلا له كان جائزاً .

والعامة تقوله [١] .

لكن في " القاموس" استأهل كذا ا ستوجبه ، لغة جيدة ، وإنكار الجوهري باطل [٢] .

وفي " الأساس" فلان أهل لكذا ، واستأهل لذلك، وهو مستأهل له ، وقد سمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعاً [٣] .

قوله : (فضلا عن أن يعبد) .

قال أبو حيان : سئلت عن قولهم : إن زيدا لا يملك درهما ، فضلا عن دينار، بم انتصب " فضلا"، وما المعنى في ذلك؟

فقلت : الذي نقول في ذلك- بعد تسليم أن هذا الكلام من لسان العرب- : إن[٤] بعض الناس قد نسب [٥] ذلك إلى العرب ، فأما أبو علي الفارسي فقال في تعليق جمع فيه مسائل من المشكلات : إن قول القائل : إن زيدا لا يملك درهما فضلا عن دينار، ثم وجه النصب بما سنذكره ، فقوله : إن قول القائل كذا ليس بنص أنه من كلام العرب .

وقد طالعت من دواوين العرب جاهليتها وإسلاميتها الجملة الكثيرة فلم أر مثل هذا وقع في كلامها ، وقد جرت بيني وبين بعض فضلاء أصحابنا هذه المسألة فقال : كان الأستاذ أبو الرضي مساعد بن محمد بن عبد الواحد الأنصاري المرسي[٦] قد جرت عنده هذه المسألة ، فأنشدنا عن بعض النحاة ، فيها ما يدل على أنها مسموعة ، وهو قول الشاعر :

قَلَّمَا يَبْقَى عَلَى هَذَا القَلَقِ   صَخْرَةٌ صَمَّاءُ فَضْلاً عَنْ رَمَقِ [٧]

---

(١) الصحاح / مادة أهل .

(٢) القاموس المحيط / مادة أهل .

(٣) أساس البلاغة / مادة أهل / وانظر في تهذيب اللغة / مادة أهل / فقد أجاز استعمال يستأهل أن يكرم بمعنى يستحق الكرامة ، بل سمع هذا الاستعمال من أعرابي بحضرة جماعة من الأعراب ، وما أنكروا قوله .

(٤) في ح : إذ .

(٥) في ظ : ينسب .

(٦) لم أعرفه .

(٧) لم أعرف قائله .

فظاهر هذا البيت يقتضي أن ذلك من لسان العرب.

وينبغي في إثبات مثل هذا إلى صحة نقل ، ولا تغتر بكلام من قدمنا ذكره أن ذلك من لسان العرب ، فليس بقول من هو ضابط في هذه الصناعة .

ونتكلم عليها- على تقدير أنها من كلام العرب- فنقول : القول على الإعراب مترتب على فهم المعنى، ومعنى هذا الكلام الإخبار أنه لا يملك درهما ولا ديناراً، وأن عدم ملكه للدينار[1] أولى ، وكأنه قال : لا يملك درهما، فكيف يملك دينارا ، أي إذا انتفى ملكه لدرهم كان أحق أن ينتفي ملكه لدينار؛ لأن من قدر على دينار كان في العادة قادرا على درهم ؛ لأن القليل مندرج في الكثير ، وكذلك إذا انتفى بقاء الصخرة الصماء على هذا القلق فكيف يبقى الرمق الذي عادته أن يفنى بأدنى شيء .

هذا شرح المعنى الذي يريده من يتكلم بهذا الكلام .

وأما الإعراب فنقل عن الفارسي أن "فضلا" يجوز نصبه على المصدر ، أو الحال . انتهى ما نقل عنه .

ونحن نقرر ذلك فنقول : "فضلا" ظاهره أنه من الفضلة ، التي هي البقية ، ومنه الفضالة ، وهي الباقي من الشيء ، يقال : فضل منه شيء ، أي بقي ، أو من فضل على زيد ، أي زاد عليه في الخير .

قال الشاعر:

فكفى بنا فضلا على مَنْ غَيْرُنا ... حب النبي محمد إيّانا[2]

أي زيادة على ناس غيرنا ، ويقال منه لمن صار ذلك سجية له : فضل الرجل ، بضم الضاد .

ويحتمل أن يخرج [3] على هذين الاشتقاقين ، وهما معنى البقية ، ومعنى الزيادة ، فإذا جعلناه مصدرا فلابد له من عامل ، ولم يتقدمه ما يصلح أن يكون عاملا فيه ، فيحتاج إلى إضماره ، وتقديره : يفضل فضلا عن دينار، ففي "يفضل" ضمير يعود إلى الدرهم ، ويفضل في موضع الصفة ، ويصير المعنى أنه لا يملك

---

(١) في ح : الدينار .

(٢) لكعب بن مالك الأنصاري ، انظر في ديوان كعب بن مالك الأنصاري ٢٨٩ وخزانة الأدب ٦/ ١٢٠ .

(٣) في ت ، ح : يتخرج .

درهما فاضلا عن دينار، أي باقيا عن دينار ، أو زائدا عن دينار ، بل يملك الدرهم ، ولا يكون فاضلا عن دينار ، وإنما كان كذلك لأن النفي إذا دخل على شـيء مقيد إنما يتسلط على ذلك القيد ، فإذا قلت : ما قام رجل عاقل ، فمنطوقه انتفـاء القيـام عن رجل عاقل ، ومفهومه أنه قـام رجل غير عاقل ، وكذلك ما جاء زيد ضاحكـاً ، منطوقه انتفاء مجيء زيد في حال ضحك [(١)] ، ومفهومه أنه جاء غير ضاحك .

وقد تقدم شرح المعنى في هذا الكلام ، وأن المقصود بـه نفـي ملكـه الدرهـم والدينار، وأن عدم ملكه للدينار أولى، لكن يتخرج ذلك على قاعدة للعرب ، وهـي أنه متى نفي شيء مقيد [(٢)] فقد قدمنا أن النفي يتسلط علـى ذلـك القيـد ، هـذا هـو الأكثر في كلامهم.

ولهم طريقة أخرى ، وهي أنهم يقصدون نفي المحكـوم عليـه بانتفـاء صفتـه ، فيقولون : ما قام رجل عاقل ، أي لا رجل عاقل فيقوم ، وهـي طريقة معروفة لهم ، قال امرؤ القيس :

علـى لاحـب لا يهتـدى بمنـاره [(٣)] ... ...

لا يريد أن يثبت لهذا الطريق مناراً ، وينفي عنه الاهتداء ، إنما يريد نفي المنار، أي فتنتفي الهداية به ، أي لا منار لهذا الطريق فيهتدى به .

وقال الأَفْوَهُ الأَوْدِيُّ [(٤)] :

بِمَهْمَـــهٍ مَـــا لِأَنِيـــسٍ بِـــهِ   حِسٌّ فَمَا فِيْهِ لَهُ مِنْ رَسِـيْسِ [(٥)]

لا يريد أن بهذا القفر أنيسا لاحس له ، إنما يريد لا أنيس به ، فيكون له حس ، وعلى هذه الطريقة يخرج قولـه تعـالى ﴿ فمـا تنفعهـم شـفاعة الشـافعين﴾ [سـورة المدثر٤٩] أي لا شافع فتنفعهم شفاعته ، وكذلك قوله تعالى ﴿ لا يسألون النـاس إلحافا﴾ [سورة البقرة ٢٧٤] أي لا سؤال فيكون إلحافاً .

---

(١) في د ، ق : ضحكة .

(٢) في ت ، ح : بقيد .

(٣) ديوان امرئ القيس ٦٦ .

(٤) هو صلاءة بن عمرو بن مالك الأفوه الأودي ، كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصـدرون عـن رأيـه . كتـاب الأغـاني ١٢/ ١٦٥ والشعر والشعراء ١/ ٢٢٣ .

(٥) ديوان الأفوه الأودي ١٨.

وإذا تقررت هذه الطريقة فيتخرج قولك : هذا لا يملك درهما فضلا عن دينار، على هذه الطريقة ، أي لا درهم له ، فيفضل عن دينار له ، وإذا انتفى ملكه للدرهم كان انتفاء ملكه للدينار أولى .

وإنما جعله أبو عليّ منصوبا على المصدر ، فاحتيج في ذلك إلى إضمار فعل ، وذلك الفعل في موضع الصفة ، ولم يجعل "فضلا" صفة للدرهم ؛ لأنه لا يكون المصدر صفة إلا إذا كان فيه معنى المبالغة ، فلكثرة وقوع المصدر من الموصوف جعل كأنه وصف له ، نحو قولهم : رجل صوم ، أي كثير الصوم ، ورجل زور ، أي كثير الزيارة ، وهذا المعنى مفقود هاهنا .

وأما من تأوّل المصدر بمعنى مطلق اسم الفاعل ، أو على حذف ذي ، أي صائم ، وزائر ، أو ذو صوم ، وذو زور فإنه يجوّز في هذه المسألة أن يكون التقدير في" فضلا" فاضلاً ، أو ذا فضل ، وليس ذلك قول من تحقق في العربية ، بل الصحيح أن المصدر لا يوصف به إلا إذا أريد به المبالغة .

وإذا جعلنا " فضلا" منصوبا على الحال فلا يكون حالا من زيد ؛ لأن فضلا عن دينار ليس من أحوال [1] زيد ، ولا من صفاته ، إنما يكون من أوصاف الدرهم، ويحتمل تخريجه على الحال وجهين :

أحدهما : أن يكون حالا من درهم وإن كان نكرة؛لأن الحال قد تأتي من النكرة ، وخصوصا إذا قبح الوصف بها ، وقد قبح بما قدمناه من أن المصدر في أجود الأقوال لا يوصف به حتى يراد به المبالغة ، وقد جاءت الحال من النكرة في قولهم : مررت بماء قعدة رجل ، وقوله تعالى ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ [سورة البقرة ٢٦٥] وقد قاس سيبويه ذلك في كتابه [٢] .

والوجه الثاني: أن يكون حالا من المصدر المضمر في الفعل، على ما قرره سيبويه في قولهم: ساروا سريعا ، لم يجعل سريعا نعتا لمصدر محذوف ، أي سيرا سريعا، إنما جعله حالا من الضمير الذي للمصدر ، كأنهم قالوا: ساروه ، أي ساروا السير سريعا، أي في حال سرعته، فكذلك لا يملك درهما ،أي لا يملكه ،أي الملك في حال كونه فاضلا عن دينار، أي عن ملك دينار .

---

(١) في هامش نسخة ح إشارة إلى أن في نسخة أخرى : أوصاف .

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/ ١١٢ .

وهذا التخريج الثاني قل من يعرفه ، وإنما يذهب معربوا النحاة في قولهم : ساروا سريعا إلى أن سريعا نعت لمصدر محذوف ، أي سيرا سريعا ، وإضمار المصدر لدلالة الفعل عليه كثير في لسان العرب قال الله تعالى ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [سورة المائدة ٩] أي العدل ، وقالت العرب : من كذب كان شراله ، أي كان هو،أي الكذب [١] .

وتقرير اختيار سيبويه هذا التخريج على تخريج النحاة له مكان غير هذا ، والمعنى الذي قررناه حالة إعرابه مصدرا يجري فيه حالة إعرابه حالا ، وهو أن المقصود بذلك انتفاء الحال ، وذي الحال ،كما كان المعنى انتفاء الصفة والموصوف .

وقد صنف بعض معاصرينا في هذه المسألة جزءاً وهو شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي [٢] ، وجوز في إعراب " فضلا" نيفا وأربعين وجهاً ، يوقف عليها من كتابه ، وفيها [٣] غاية التمحل ، والفضلاء لا يذكرون من الأعاريب إلا ما سهل مأخذه في [٤] لسان العرب . انتهى كلام أبي حيان .

وقال الشيخ جمال الدين ابن هشام في رسالة ألفها في إعراب ألفاظ ، منها هذا اللفظ :

أما قوله : فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار، فمعناه أنه لا يملك درهما ولا ديناراً ، وأن عدم ملكه الدينار أولى من عدم ملكه الدرهم ، وكأنه قال : لا يملك درهما ، فكيف يملك ديناراً .

وهذا التركيب زعم بعضهم أنه مسموع ، وأنشد عليه:

قَلَّمَا يَبْقَى عَلَى هَذَا القَلَقِ ... صَخْرَةٌ صَمَّاءُ فَضْلاً عَنْ رَمَقِ

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢/ ٣٩١ .

(٢) هو أحمدبن إدريس بن عبد الرحمن شهاب الدين أبو العباس القرافي ، كان إماما بارعا في الفقه والأصول والعلوم العقلية ، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك ، ألف كتبا مفيدة ، منها كتاب الذخيرة ، وكتاب شرح محصول الإمام فخر الدين الرازي ، توفي سنة أربع وثمانين وستمائة . الديباج المذهب ١/ ٢٣٦ وكتاب الوافي بالوفيات ٦/ ٢٣٣ وجزؤه في عداد المفقودات .

(٣) في ت ، ق : وفيه .

(٤) في ظ : من .

الرمق بقية الحياة ، ولا تستعمل "فضلا" هذه [1] إلا في النفي ، وهو مستفاد في البيت من "قلما" .

قال بعضهم : حدث ل"قلّ" حين كفت ب"ما" إفادة الاختصاص.

قال ابن هشام : وهذا خطأ: فإن قلّ تستعمل للنفي قبل الكفّ ، يقال : قلّ أحد يعرف هذا إلا زيد ، يعني لا يعرف هذا إلا زيد، ولهذا استعمل أحد ، وصح إبدال المستثنى ، وهو بدل إما من أحد، أو من ضميره، و"على" في البيت للمعية ، مثلها في قوله تعالى ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ [سورة الرعد ٧] ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾ [سورة إبراهيم ٤٠] .

وانتصاب " فضلا" على وجهين محكيين عن الفارسي :

أحدهما : أن يكون مصدرا لفعل محذوف ، وذلك الفعل نعت للنكرة .

الثاني : أن يكون حالا من معمول الفعل المذكور.

هذا خلاصة ما نقل عنه ، ويحتاج إلى بسط يوضحه .

اعلم أنه يقال : فضل عنه ، و عليه ، بمعنى زاد ، فإن قدرته مصدرا بتقدير لا يملك درهما يفضل فضلا عن دينار ، فذلك الفعل المحذوف صفة لدرهما . كذا حكي عن الفارسي .

ولا يتعيّن كون الفعل صفة ، بل يجوز أن يكون حالا ، كما جاز في " فضلا" أن يكون حالا ، على ما سيأتي تقريره .

نعم ، وجه الصفة [2] أقوى ؛ لأن نعت النكرة كيف كانت أقيس من مجيء الحال منها.

وإن قدرته حالا فصاحبها يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون ضمير المصدر محذوفاً ، أي لا يملكه ، أي لا يملك الملك ، على حد قوله :

هذا سراقة للقرآن يدرسه [3] ... ...

أي يدرس الدرس ؛ إذ ليس الضمير للقرآن ، لأن اللام متعلقة ب"يدرس"

---

(١) في ح : ولا يستعمل فضلاً هذا .

(٢) في د ، ق : الوصف .

(٣) قائله مجهول ، وهو من شواهد سيبويه ، انظر في الكتاب ٣/ ٦٧ وخزانة الأدب ٢/ ٣ .

ولايتعدى الفعل إلى ضمير اسم ، وإلى ظاهره جميعا ، ولهذا وجب في" زيدا ضربته" تقدير عامل على الأصح ، وعلى هذا خرّج سيبويه والمحققون نحو قوله : "ساروا سريعا" أي ساروه ، أي ساروا السير سريعاً ، وليس سريعا عندهم نعتا لمصدر محذوف ؛ لالتزام العرب تنكيره ولأن الموصوف لا يحذف إلا إذا كانت الصفة [(١)] مختصة بجنسه ، كما في "رأيت كاتبا ،أو حاسبا، أو مهندسا" فإنها مختصة بجنس الإنسان، ولا يجوز رأيت طويلا، ورأيت أحمر، وفي هذا الموضع بحث ليس هذا موضعه.

الثاني : أن يكون قوله : "درهما [(٢)] "

فإن قلت : كيف جاز مجيء الحال من النكرة ؟

قلت : أما على قول سيبويه فلا إشكال ؛ لأنه يجوز عنده مجيء الحال من النكرة وإن لم يمكن الابتداء بها [(٣)] ، ومن أمثلته : فيها رجل قائما ، ومن كلامهم : عليه مائة بيضا ، وفي الحديث : ((وصلى وراءه قوم قياما [(٤)])) .

وأما على المشهور من أن الحال لا تأتي من النكرة إلا بمسوغ فلها هنا مسوغان :

أحدهما : كونها في سياق النفي، والنفي يخرج النكرة من حيز الإبهام إلى حيز العموم فيجوز حينئذ الإخبار عنها ، ومجيء الحال منها .

الثان ي: ضعف الوصف ، ومتى امتنع الوصف بالحال ، أو ضعف ساغ مجيئها من النكرة ، فالأول كقوله تعالى: ﴿ أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ وقول الشاعر :

مضى زمن والناس يستشفعون بي [(٥)] ... ...

فإن الجملة المقرونة بالواو لا تكون صفة ، خلافا للزمخشري ،وكقولك :هذا خاتم حديدا عند من أعربه حالا ؛ لأن الجامد المحض لا يوصف به.

---

(١) في ح : صفته ، وفي د ، ق : إلا إن كانت الصفة .

(٢) في جميع النسخ ، ونسختان من رسالة في توجيه النصب ٢١ : أن يكون قوله درهماً حالاً . وهو خطأ ، والعجب توارد النسخ على الخطأ .

(٣) الكتاب ٢/ ١١٢ .

(٤) رواه البخاري ١/ ٢٤٤ ح ٦٥٦ بهذا اللفظ ومسلم ١/ ٣٠٩ ح ٤١٢ بنحوه من حديث عائشة.

(٥) لمجنون ليلى ، انظر في ديوان مجنون ليلى ١٩١ .

و الثاني : كقولهم : مررت بماء قعدة رجل ، فإن الوصف بالمصدر خارج عن القياس.

فإن قلت : هلا أجاز الفارسي في " فضلا" كونه صفة ل"درهما"؟

قلت : زعم أبو حيان أن ذلك لأنه لا يوصف بالمصدر، إلا إذا [1] أريدت المبالغة؛ لكثرة وقوع ذلك الحدث من صاحبه ، وليس ذلك بمراد هنا.

قال : وأما القول بأنه يوصف بالمصدر على تأويله بالمشتق ، أو على تقدير المضاف فليس قول المحققين .

قال ابن هشام : هذا كلام عجيب ، فإن القائل بالتأويل الكوفيون ، ويؤولون عدلا بعادل ، ورضى بمرضي ، وكذا يقولون في نظائرهما ، و القائل بالتقدير البصريون ، يقولون : التقدير ذو عدل ، وذو رضى ، وإذا كان كذلك فمن المحققون؟

ثم اختلف النقل عن الفريقين ، والمشهور أن الخلاف مطلق.

وقال ابن عصفور [2] : وهو الظاهر ، إنما الخلاف حيث لا تقصد المبالغة ، فإن قصدت فالاتفاق على أنه لا تأويل ولا تقدير [3] .

وهذا الذي قاله ابن عصفور هو الذي في ذهن أبي حيان، ولكنه نسي فتوهم أن ابن عصفور قال : إنه لا تأويل مطلقا ، فمن هنا- و الله أعلم — دخل عليه الوهم.

والذي ظهر لي أن الفارسي إنما لم يجز في " فضلا" الصفة؛لأنه رآه منصوبا أبدا سواء كان ما قبله منصوبا، كما في المثال ، أم مرفوعا ، كما في البيت ، أم مخفوضاً ، كما في قولك : فلان لا يهتدي إلى ظاهر النحو فضلا عن دقائق البيان .

---

(١) في ح : إن .

(٢) هو علي بن مؤمن بن محمد أبو الحسن ابن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي حامل لواء العربية بالاندلس ، أخذ عن أبي علي الشلوبين ، وكان أصبر الناس على المطالعة لا يمل ذلك ، من تصانيفه شرح الجمل ، والمقرب ، وشرح المقرب ، توفى سنة تسع وستين وستمائة . فوات الوفيات ٣/ ١٠٩ وبغية الوعاة ٢/ ٢١٠ .

(٣) قال ابن عصفور في شرح جمل الزجاجي ١/ ١٩٨ والوصف بالمصدر – عندنا – من قبيل ماهو في حكم المشتق ، وله في الوصف طريقان : أحدهما : أن تريد المبالغة ، والثاني: أن لا تريدها ، فإن لم ترد المبالغة فهو – عندنا – على حذف مضاف ، نحو : مررت برجل عدل ، تريد : ذي عدل ، فإن أردت المبالغة فعلى جعل الموصوف هو المصدر مجازاً ، لكثرة وقوعه منه ، نحو: مررت برجل ضرب ، تريد أن الرجل نفسه هو الضرب ، لكثرة وقوعه منه .

فهذا منتهى القول في توجيه إعراب الفارسي .

وأما تنزيله على المعنى المراد فعسير [1] ، وقد خرّج على أنه من باب قوله :

على لاحب لا يهتدى بمناره ....

ولم يذكر أبو حيان سوى ذلك، وقال :وقد يسلطون النفي على المحكوم عليه بانتفاء صفته، فيقولون: ما قام رجل عاقل، أي لا رجل عاقل فيقوم، ثم أنشد بيت امرئ القيس المذكور ، وقال : ألا ترى أنه لا يريد إثبات منار للطريق، ونفي الاهتداء به، إنما يريد نفي المنار، فتنتفي الهداية به ، أي لا منار لهذا الطريق فيهتدى به ، وقال الأفوه :

بمهمه ما لأنيس به حس فما فيه له من رسيس

لا يريد أن بهذا القفر أنيسا لاحس له، إنما يريد لا أنيس به ، فيكون له حس ، وعلى هذا خرّج ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ أي لا شافع لهم فتنفعهم شفاعته و﴿ لا يسألون الناس إلحافا﴾ أي لا سؤال فيكون إلحافا ، قال : وعلى هذا يتخرّج المثال المذكور أي لا يملك درهما فيفضل عن دينار ، وإذا انتفى ملكه للدرهم كان انتفاء ملكه للدينار أولى .

قال ابن هشام : وهذا الكلام الذي ذكره لا تحرير فيه ؛ فإن الأمثلة المذكورة من بابين مختلفين ، وقاعدتين متباينتين ، أميز كلا منهما عن الأخرى ، ثم أذكر أن التخريج المذكور لا يتأتى على شيء منهما .

القاعدة الأولى : أن القضية السالبة لا تستلزم وجود الموضوع ، بل كما تصدق مع وجوده تصدق مع عدمه ، فإذا قيل : ما جاءني قاضي مكة ، ولا ابن الخليفة صدقت القضية وإن لم يكن بمكة قاض ، ولا للخليفة ابن ، وهذه القاعدة هي التي تتخرج عليها ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ وبيت امرئ القيس ، فإن شفاعة الشافعين بالنسبة إلى الكافرين غير موجودة يوم القيامة؛لأن الله تعالى لا يأذن لأحد في أن يشفع لهم ؛ لأنه لا يأذن فيما لا ينفع ؛ لتعاليه عن العبث ، ولا يشفع أحد عند الله إذا لم يأذن الله له﴿ من ذا الذي يشقع عنده إلا بإذنه﴾[سورة البقرة ٢٥٦] وكذلك المنار غير موجود في اللاحب المذكور؛ لأن المراد التمدح بأنه يقطع الأرض المجهولة من غير هاد يهتدي به ، فغرضه إنما تعلق بنفي وجود

---

(١) في ح ، د : فعسر ، وفي ت : يعسر .

ما يهتدي به في تلك الطريق التي سلكها ، لا بنفي وجود الهداية عن شيء نصب فيها للاهتداء به .

وأما قول أبي حيان وغيره : المراد لا شافع لهم فتنفعهم شفاعته ، ولا منار فيهتدى به فليس بشيء ؛ لأن النفي إنما يتسلط على المسند لا على المسند إليه ، ولكنهم لما رأوا الشفاعة ، و المنار غير موجودين توهموا أن ذلك من اللفظ ، فزعموا ما زعموا .

وفرق بين قولنا : الكلام صادق مع عدم المسند إليه ، وقولنا : إن الكلام اقتضى عدمه .

القاعدة الثانية: إن القضية السالبة المشتملة على مقيد نحو ما جاءني رجل شاعر تحتمل وجهين:

أحدهما : أن يكون نفي المسند باعتبار القيد، فيقتضي المفهوم في المثال المذكور وجود مجيء رجل ما غير شاعر ، وهذا هو الاحتمال الراجح المتبادر ، ألا ترى أنه لوكان المراد نفيه عن الرجل مطلقا لكان ذكر الوصف ضائعا ، ولكان زيادة في اللفظ ، ونقصا في المعنى المراد .

الثاني : أن يكون نفيه باعتبار المقيد ، وهو الرجل ، وهذا[1] احتمال مرجوح،لا يصار إليه إلا بدليل[2] ، فلا مفهوم حينئذ للقيد ؛ لأنه لم يذكر للتقييد، بل ذكر لغرض آخر، كأن يكون المراد مناقضة من أثبت ذلك الوصف ، فقال : جاءك رجل شاعر ، فأردت التنصيص على نفي ما أثبته ، وكأن يراد التعريض ، كما إذا أردت في المثال المذكور أن تعرّض بمن قال : جاء رجل شاعر ، وهذه هي القاعدة التي يتخرّج عليها﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ فإن الإلحاف قيد في السؤال المنفي .

و المراد من الآية – والله أعلم- نفي السؤال البتة ، بدليل ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ و التعفف لا يجامع المسألة ، ولكن أريد بذكر الإلحاف – و الله أعلم – التعريض بقوم ملحفين ، توبيخا لهم على صنيعهم ، أو التعريض بجنس الملحفين ، وذمهم على الإلحاف ؛ لأن النقيض للوصف الممدوح مذموم .

---

(١) في ح : وهو .

(٢) في ت ، ح ، ظ : لدليل .

والمثال المبحوث فيه يتخرّج على هذه القاعدة – فيما زعموا – فإن " فضلا" مقيد للدرهم ، فلو قدر النفي مسلطا على القيد اقتضى مفهومه خلاف المراد ، وهو أنه يملك الدرهم ، ولكنه لا يملك الدينار، ولما امتنع هذا تعيّن الحمل على الوجه المرجوح ، وهو تسليط النفي على المقيد ، وهو الدرهم، فينتفي الدينار ؛ لأن الذي لا يملك الأقلّ لا يملك الأكثر ، فإن المراد بالدرهم ليس الدرهم العرفي ؛ لأنه يجوز أن يملك الدينار من لا يملكه ، بل المراد ما يساوي من النقود درهما ، فهذا توجيه التخريج .

وأما الاعتراض عليه فمن جهة أن القيد ليس نفس الدينار ، حتى يصير المعنى لا يملك درهما فكيف ديناراً ، وإنما القيد قوله " فضلا عن دينار" و الكلام لم يسق لنفي ملك الزائد على الدينار ، بل لنفي ملك الدينار نفسه ، ثم يلزم عن ذلك انتفاء ملك مازاد عليه.

والذي يظهر لي في توجيه هذا الكلام أن يقال : إنه في الأصل جملتان مستقلتان ، ولكن الجملة الثانية دخلها حذف كثير وتغيير ، حصل الإشكال بسببه .

وتوجيه ذلك : أن يكون هذا الكلام في اللفظ أو في التقدير جوابا لمستخبر قال : أيملك فلان ديناراً ؟ أو ردا على مخبر قال : فلان يملك دينارا ، فقيل في الجواب : فلان لا يملك درهماً ، ثم استأنف كلاما آخر ، ولك في تقديره وجهان :

أحدهما : أن يقال : أخبرتك بهذا زيادة عن الإخبار عن دينار استفهمت عنه ، أو زيادة عن دينار أخبرتَ بملكه له ،ثم حذفت جملة أخبرتك بهذا ، وبقي معمولها، وهو" فضلا" كما قالوا : حينئذ ، الآن ، بتقدير: كان ذلك حينئذ ، واسمع الآن ، فحذفوا الجملتين ، وأبقوا من كل منهما معمولها ، ثم حذف مجرور "عن" وجار "دينار"وأدخلت "عن" الأولى على الدينار ، كما قالوا : ما رأيت رجلا أحسن في عينيه الكحل من زيد ، و الأصل منه في عين زيد ، ثم حذف مجرور" من" وهو الضمير ، وجار العين ، وهو "في" ودخلت" من" على العين .

الثاني : أن يقدر فضل انتفاء الدرهم عن فلان عن [1] انتفاء الدينار عنه .

ومعنى ذلك أن يكون حال هذا المذكور في الفقر معروفة عند الناس ، والفقير إنما ينفى عنه في العادة ملك الأشياء الحقيرة ، لا ملك الأموال الكثيرة ، فوقوع

---

(١) كذا في النسخ ، وفي رسالة توجيه النصب ٣٠ : على .

نفي ملك الدرهم عنه في الوجود فاضل عن وقوع نفي الدينار عنه ، أي أكثر منه ، و"فضلا"على التقدير الأول حال ، وعلى الثاني مصدر ، وهما الوجهان اللذان ذكرهما الفارسي ، لكن توجيه الإعرابين مخالف لما ذكر ، وتوجيه المعنى مخالف لما ذكروا ؛ لأنه إنما يتضح تطابق اللفظ و المعنى على ما وجهت ، لا على ما وجهوا .

ولعل من لم يَقْوَ أُنسه بتجوزات العرب في كلامها يقدح فيما ذكرت ؛ بكثرة الحذف وهو كما قيل :

إِذا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ الأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ فَلاَ رَأْيَ لِلْمُحْتَاجِ إِلاَّ رُكُوبُهَا[1]

وقد بينت في التوجيه الأول أن مثل هذا الحذف والتجوز واقع في كلامهم .

قال أبو الفتح : قال لي أبو علي : من عرف ألف ، ومن جهل استوحش[2] . انتهى كلام ابن هشام[3] .

وقال الشيخ سعد الدين : "فضلا" مصدر فعل محذوف ، يقع متوسطا بين نفي وإثبات لفظا ، نحو فلان لا ينظر إلى الفقير فضلا عن إعطائه ، أو معنى نحو تقاصرت الهمم عن أدنى العدد فضلا عن أن تترقاه ، أي لم تبلغه فضلا عن الترقي، و القصد فيه إلى استبعاد الأدنى، أعني ما دخله النفي ، بمعنى عده بعيدا عن الوقوع، كالنظر إلى الفقير، وبلوغ الهمم، واستحالة ما فوقه ، أعني ما دخلته " عن" بمعنى عده بمنزلة المحال الذي لا يمكن وقوعه ، كالإعطاء و الترقي ، وهو من قولك : أنفقت الدرهم ، والذي فضل منه كذا ، أي بقي ، وفاعل الفعل ضمير النفي ، أي انتفى العطاء بالكلية ، والذي بقي منه عدم النظر ، وهكذا انتفى الترقي ، وبقي التقاصر.

والأحسن أنه لا محل لهذه الجملة وإن جعلها بعضهم حالا.

ومن الخطأ في حل هذا التركيب ما يقال : إن" فضلا" بمعنى تجاوزا ، وأن المستبعد هو عدم النظر وقصور الهمم[4] . انتهى .

قوله : (نخصك بالعبادة و الاستعانة)

---

(١) لكميت بن زيد الأسدي ، انظر في شعر الكميت بن زيد الأسدي ١/١/١١٩ .

(٢) الخصائص ٢/١٥٢ .

(٣) رسالة في توجيه النصب في إعراب فضلاً ولغة وخلافاً وأيضاً وهلم جرا ٣١ .

(٤) حاشية سعد الدين ل٦ .

قال الشيخ أكمل الدين : اعترض عليه بأن المعنى نخص العبادة ، ونخص طلب المعونة بك .

وكأن هذا المعترض إنما نظر إلى سياق الكلام بأن المعنى أنهم علموا أن العبادة لابد منها ، وأنها ينبغي أن تكون لغير الله ، أوله ولغيره ، فقال : نخص العبادة بك ،قصر قلب على الأول ، وإفراد على الثاني ، فوجب أن يحمل كلام المصنف على القلب .

وفيه نظر ؛ لأن رد الخطأ في باب القصر إنما يكون على المخاطب ، وذلك فيما نحن فيه محا ل .

وأجيب بأنه على سبيل التعريض .

ورد بأنه ليس بصحيح على ما سيظهر .

وقيل : معنى ﴿ إياك نعبد﴾ نخصك بالعبادة ،كما عبر عنه ا لمصنف ، لأن تقديره نعبدك ، وتقديم المفعول أفاد أن يجعل المعنى نخصك بالعبادة ، لا بغيرها من أفعالنا ؛ لأن غيرها منها ما لا يصلح لك .

وليس بصحيح ؛ لأنه من باب قصر الفعل على المفعول ، دون عكسه ، فليس لكلامه محمل صحيح سوى القلب ، لكن النظر في دفع الخطأ لم يندفع [(١)] . انتهى.

وقال الشيخ سعد الدين : قوله :" نخصك بالعبادة" أي نجعلك منفردا بها ، لا نعبد غيرك ، وهذا هو الاستعمال العربي ، ولو قيل : نخص العبادة بك لكان استعمالا عرفيا[(٢)] .

قوله : (ليكون أدلّ على الاختصاص) .

قال الشريف : تصريح بأنه الغيبة لها دلالة ما على ذلك ؛ لتقدم ذكر الصفات المشعرة بذلك [(٣)] .

الشيخ أكمل الدين : لم يفرق بين التخصيص والاختصاص ، ولا نزاع في الاصطلاح [(٤)] .

---

(١) حاشية أكمل الدين ل١٥ .

(٢) حاشية سعد الدين ل١٤ .

(٣) حاشية الشريف ١/ ٦٥ .

(٤) حاشية أكمل الدين ل١٤ .

قوله : (ومن عادة العرب التفنن في الكلام ، والعدول من أسلوب إلى آخر) .

لم يصرح باسم هذا ، وسماه في " الكشاف" بالالتفات [1] ، فأفاد وأجاد ؛ لأن هنا ثلاثة أنواع متقاربة ، ينبغي التمييز بينها ؛ لئلا تلتبس .

قال الشيخ بهاء الدين السبكي : في " عروس الأفراح" : اعلم أني لم أر من أوضح العبارة عن حقيقة الالتفات ، وربما توهم قوم أنه لفظي ، وربما أشكل التمييز بين حقيقته وحقيقة التجريد ، وحقيقة وضع الظاهر موضع المضمر ، وعكسه ، ثم كونه حقيقة أو مجازا ، فالكلام في أربعة أمور :

الأول : في كشف الغطاء عن حقيقته .

اعلم أن الالتفات نقل الكلام من أسلوب لغيره ، وهو نقل معنوي ،لا لفظي فقط، وشرطه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتف عنه، يحترز عن مثل أكرم زيدا ،وأحسن إليه، فضمير" أنت" الذي هو فاعل أكرم غير الضمير في " إليه " وليس التفاتا.

وإنما قلت: "في نفس الأمر" لأنه بطريق الادعاء، يعود لغيره، فحينئذ إذا كان الضمير الأول في محله باعتبار الواقع في نفس الأمر ، فقلت: إني أخاطبك ، فأجب المخاطب ، كنتَ أعدت الضمير في المخاطب ، وهو ضمير غيبة على نفسك، وليس ذلك وضعا لضمير الغائب موضع ضمير المتكلم ،بل جردت منك مثل نفسك، وأمرته بأن يجيبه، فضمير الغيبة واقع موقعه [2] ، وكذلك﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ [سورة يس ٢٢]جرد من نفسه حقيقة مثلها وخاطبها ، وفي قوله:

طحا بِكَ قَلْبٌ فـي الحِسَانِ طَـرُوْبُ ... ...

على رأي السكاكي جرد من نفسه حقيقة مثلها وخاطبها ، فالضمير واقع في محله، فهو التفات وتجريد ، وعلى رأي غيره هو تجريد فقط .

وفي قوله بعده:

تكلفني ليلى ... ...

التفات على القولين، ولا نقول: إنه أعاد الضمير على غير الأول ، فيلزم أن

---

(١) الكشاف ١/ ٦٢ .

(٢) في ت ،ح : موضعه .

يكون الضميران ، وهما الكاف والياء لشيئين ،بل أعاده على الأول مدعيا أنه غير الثاني، فإن الحقيقة المجردة هي باعتبار الحقيقة عين المجرد عنها، وباعتبار التجريد غيرها، فذلك الذي جرده في قوله: "بك" هو في نفس الأمر نفسه، فالتفت له بهذا الاعتبار.

وبهذا علمنا أن الالتفات في " بك" على رأي السكاكي أوضح من الالتفات الذي في " تكلفني" لأن في "بك" خروجا عن ضمير المتكلم إلى شيء لاوجود له بالكلية، وفي " تكلفني" خروج عن الحقيقة المجردة إلى الحقيقة المجرد عنها ، فهو عدول إلى الأصل، و"بك" عدول إلى الفرع .

وفي قوله تعال ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ [سورة يونس ٢٢]جرد من المخاطبين مثلهم ، وعاد[1] الضمير عليهم، فهو تجريد و التفات، فالضميران في نفس الأمر لشيء واحد، وبالادعاء لشيئين.

وقوله تعالى﴿ والله الذي أرسل الرياح﴾ [سورة فاطر ٩] في لفظ الجلالة- على رأي السكاكي- التفات، وتجريد، وعلى رأي غيره تجريد فقط .

وقوله تعالى ﴿ فسقناه﴾ التفات على رأيهما؛لأنه عائد على الله تعالى حقيقة، والكلام فيه كالكلام في:

تكلفني ليلى ... ...

وقوله تعالى ﴿ الحمد لله ﴾ التفات على رأي السكاكي وتجريد، و﴿إياك﴾ التفات لا تجريد.

الثاني : في الفرق بين التجريد والالتفات .

وقد علم مما سبق أن بينهما عموما وخصوصا من وجه، فيوجد التجريد دون الالتفات كقولك: رأيت منه أسدا، ومثل :

تطاول ليلك ... ...

على رأي الجمهور ، والتفات دون تجريد نحو:

تكلفني ليلى ... ...

ونحوه ﴿فسقناه﴾ والتفات وتجريد نحو﴿فصل لربك﴾ ولا واحد منهما كغالب القرآن.

---

(١) في س: وأعاد

الثالث: وضع الظاهر موضع المضمر،وعكسه بالنسبة إلى الالتفات .

فعند السكاكي قد يجتمع وضع الظاهر موضع المضمر مع الالتفات في نحو ﴿ و الله الذي أرسل الرياح﴾ وأمير المؤمنين يأمرك بكذا ، وقد ينفرد الالتفات نحو:

تطاول ليلك ... ...

وليس فيه وضع الظاهر موضع المضمر، بل وضع مضمر موضع مضمر، وقد ينفرد وضع الظاهر عن الالتفات كقوله تعالى ﴿ إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ [سورة يوسف ٨] فإن أصله "إنه " لتقدمه في قوله﴿ أحبّ إلى أبينا منا ﴾

وأما وضع المضمر موضع الظاهر فينفرد عن الالتفات في نحو : نعم رجلا زيد" و" ربه رجلا" لأن الضمير والظاهر كلاهما على أسلوب الغيبة ، وينفرد الالتفات عنه كثيرا ، نحو﴿ إياك نعبد﴾ ونحو : وبات وباتت له ليلة ....

ويجتمعان في نحو قول الخليفة: نعم الرجل أمير المؤمنين.

وأما على رأي السكاكي فوضع الظاهر موضع المضمر و الالتفات قد يجتمعان ، مثل﴿ فصل لربك وانحر﴾ وقد ينفرد الالتفات، وهو الغالب،مثل ﴿ إياك نعبد﴾ وقد ينفرد وضع الظاهر ،مثل ﴿ الحمد لله ﴾ ونحو﴿ والله الذي أرسل الرياح﴾ ووضع المضمر[1] موضع الظاهر لا يجتمع مع الالتفات ؛لأن الالتفات لابد فيه من ضمير سابق يلتفت عنه، ومع ذلك فلا موقع للظاهر ، ولكن ينفرد وضع المضمر في نحو: نعم رجلا زيد" وينفرد الالتفات في غير ذلك.

الرابع:في أن الالتفات حقيقة أو مجاز.

إذا تأملت ما سبق علمت أنه حقيقة حيث كان معه تجريد وحيث لم يكن ، وقد صرح

الخطيبي [2] بأن الالتفات تجريد ، و التحقيق ما تقدم من التفصيل [3]. انتهى.

تنبيه: قال الشيخ بهاء الدين : قوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ وقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ اتفقوا على أنه التفات واحد .

---

(١) في ظ: الضمير

(٢) إذا كان المقصود بالخطيبي جلال الدين الخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح ، والإيضاح في علوم البلاغة ، فهذا العزو فيه نظر ، وذلك أن الخطيب لا يرى ترادف الالتفات والتجريد . انظر في : الإيضاح ٢/ ٨٦ ، ٦/ ٥٤ .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١/ ٤٧٧ .

وفيه نظر؛لأن الزمخشري ومن تابعه على أن الالتفات خلاف الظاهر مطلقا، يلزمهم أنه إن كان التقدير قولوا:﴿ الحمد لله ﴾ ففيه التفاتان- أعني في الكلام المأمور بقوله-

أحدهما: في لفظ الجلالة، فإن الله تعالى حاضر، فأصله الحمد لك.

و الثاني: ﴿ إياك﴾ لمجيئه على خلاف الأسلوب السابق، وإن لم يقدر قولوا كان في ﴿ الحمد لله ﴾ التفات عن التكلم إلى الغيبة ، فإن الله كأنه حمد [1] نفسه، ولا يكون في ﴿ إياك نعبد ﴾ التفات؛لأن قولوا مقدرة معها قطعا، فأحد الأمرين لازم للزمخشري والسكاكي،إما أن يكون في الآية التفاتان،أو لا يكون فيها التفات بالكلية.

هذا إن فرعنا على رأي السكاكي، وهو مقتضى كلام الزمخشري؛لأنه جعل في أبيات امرئ القيس ثلاثا، وإن فرعنا على رأي الجمهور، ولم نقدر قولوا :﴿ الحمد لله﴾ فلا التفات،؛لأنا نقدر قولوا ﴿ إياك نعبد ﴾ وإن قدرنا قولوا قبل ﴿ الحمد لله ﴾ كان فيه التفات واحد في ﴿إياك﴾ وبطل قول الزمخشري أن في أبيات امرئ القيس ثلاث التفاتات [2] انتهى .

قوله : (تطرية له)

قال الشيخ بهاء الدين : أي إنه أشهى للقلب؛لأن لذات النفوس في التنقلات ؛ لما جبلت عليه من الضجر[3] .

قوله : (وتنشيطا للسامع)

أي فيكون أكثر إصغاء.

وقال في "المثل السائر": قول الزمخشري: إن الالتفات يحصل به الفرار من الملل لا يصح؛لأن الكلام الحسن لا يملّ [4] .

ورده صاحب [5] " الفلك الدائر" بأن المستلذ قد يملّ ....

---

(١) في عروس الأفراح : فإن الله حمد .

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح١/ ٤٧٨ .

(٣) عروس الأفراح ١/ ٤٧٢ .

(٤) الكشاف١/ ٦٤ والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢/ ١٣٦ .

(٥) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد أبو حامد عز الدين المدائني المعتزلي ، معدود في أعيان الشعراء ، ومن تصانيفه الفلك الدائر على المثل السائر ، صنفه في ثلاثة عشر يوماً ، وله شرح =

لكثرته[1] .

قوله : (فيعدل من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم، وبالعكس)

قال الشيخ بهاء الدين السبكي: قد قسموا الالتفات إلى ستة أقسام:

الأوّل: الالتفات من التكلم إلى الخطاب، ومثلوه بقوله تعالى ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ والأصل وإليه أرجع.

الثاني : التفات من التكلم إلى الغيبة ،كقوله تعالى﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك﴾ [سورة الكوثر ١ ، ٢] .

الثالث : التفات من الخطاب إلى التكلم كقوله :

طحا بكَ قَلْبٌ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيدَ الشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

تُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَد شَطّ وَلْيُهَا ... وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَحُرُوبُ [2]

فالتفت في قوله :" تكلفني" عن قوله: " بك" من الخطاب إلى التكلم .

الرابع: من الخطاب إلى الغيبة ،كقوله تعالى ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾

الخامس: من الغيبة إلى الخطاب ،كقوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين إياك نعبد ﴾

السادس من الغيبة إلى التكلم نحو ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه﴾ وقول امرئ القيس :

تَطَاوَلَ لَيلُكَ بِالأَثْمُدِ ... وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِيْ العَائِرِ الأَرْمَدِ

وَذَلِكَ مِن نَبَإٍ جَاءَنِيْ ... وَخُبِّرْتُهُ عَن أَبِيْ الأَسْوَدِ[3]

هذه الأبيات مطلع قصيدة رواها الأصمعي، وأبو عمرو الشيباني، [4]

نهج البلاغة في عشرين مجلداً ، توفي سنة خمس وخمسين وستمائة . فوات الوفيات ٢/ ٢٥٩ والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٩ .

(١) الفلك الدائر على المثل السائر ٤/ ٢٢٥ .

(٢) البيتان لعلقمة بن عبدة الفحل ، انظر في ديوان علقمة الفحل ٣٣ .

(٣) عروس الأفراح ١/ ٤٧٠ .

(٤) هو إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيباني اللغوي ، كان من أعلم الناس باللغة ، جمع أشعار العرب ودونها ، صنف كتاب الجيم ، توفي سنة ست ومائتين . إنباه الرواة ١/ ٢٢١ وبغية الوعاة ١/ ٤٣٩ .

وأبو عبيدة، وابن الأعرابي لامرئ القيس بن حجر الكندي .

وقال الشيخ جمال الدين ابن هشام في " شرح الشواهد": وهو الثابت في كتاب" أشعار الشعراء الستة [١] .

ورواها ابن الكلبي لعمرو بن معديكرب [٢] في قتله بني مازن بأخيه عبد الله، وإخراجهم من بلادهم ، ورواها ابن دريد[٣] لامرئ القيس بن عانس-بالنون- الصحابي [٤] ،وبعد هذه الأبيات:

وَلَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِيْ	وَجُرحُ اللِسَانُ كَجُرْحِ اليَدِ
لَقُلْتُ مِنَ القَوْلِ مَالاَ يَزَا	لُ يُؤْثَرُ عَنِّيْ يَدَالمُسْنَدِ
بِأَيِّ عَلاَقَتِنَا تَرْغَبُوْ	ن عَنْ دَمِ عَمْروٍ عَلَي مَرْثَدِ
فَإِنَّ تَدْفِنُوْا الدَاءَ لاَ نَخْفِهِ	وَإِن تَبْعَثُوا الحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ
وَإِنْ تَقْتُلُوْنَا نُقَتِّلْكُمْ	وَإِنْ تقصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ[٥]

قوله :

تطاول ليلك	... ...

كناية عن السهر

قال ابن هشام : وهو خطاب لنفسه ، والأصل ليلي . والأثمد بفتح الهمزة ، وسكون المثلثة ، وضم الميم ، ودال مهملة ، اسم موضع . والخلي : الخالي [٦] من الهموم . والعائر بمهملة وهمزة .

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم ١٢٩ وتخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ٢٤٣ .

(٢) هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله أبو ثور ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد زبيد فأسلم ، وذلك سنة تسع ، أقام بالمدينة برهة ، ثم شهد عامة الفتوح بالعراق ، توفي سنة إحدى وعشرين بعد أن شهد وقعة نهاوند مع النعمان بن مقرن وشهد فتحها . الاستيعاب ٣/ ١٢٠٢ والإصابة ٤/ ٦٨٦ .

(٣) جمهرة اللغة ٢/ ٣٩٠ .

(٤) هو إمرؤ القيس بن عابس بن المنذر الكندي الشاعر ، له صحبة ، وشهد فتح النجير باليمن ، وكان ممن ثبت على الإسلام وأنكر على الأشعث ارتداده ، وكان له غناء في الردة . المؤتلف والمختلف للآمدي ٥ والاستيعاب ١/ ١٠٤ والإصابة ١/ ١١٢ .

(٥) ديوان امرئ القيس وملحقاته ٢/ ٦٤٣ وانظر في سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري ١/ ٥٣٠ .

(٦) في النسخ : الخلو ، والتصويب من تخليص الشواهد .

قال ابن هشام : هو قذى العين ، وقيل : العائر الرمد، قال : والأوّل أولى ليكون أشق للجمع بينهما، ويحصل الترقي أيضا ، فإن الرمد أبلغ من قذى العين، ولعدم تكرره.

قال : واشتقاق العائر من العُوَّار بضم العين وتشديد الواو : قذى العين .

قال: والضمير في "بات" وفي " له" ملتفت بهما عن الخطاب إلى الغيبة، و الواو في " وبات" للعطف ، وفي " وباتت له ليلة" للعطف، أو للحال، وهو أولى ، أي وبت والحال أن بيتوتتي كانت شديدة، ودلّ على شدتها بالتشبيه المذكور، وإسناد البيتوتة إليها مجازي و" بات" فيهما تامة، فالجار والمجرور يتعلق بالثانية، لا باستقرار محذوف، هو خبر ،فإن ذلك لا يحسن لزوال التطابق، ولأنه لو قيل: باتت ليلته كان كافيا "وذلك "إشارة إلى المذكور كله، و"من" لابتداء الغاية .

و "النبأ" قال الراغب : خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر : نبأ حتى يتضمن ما ذكر [(١)] ، فهو أخص من مطلق الخبر.

وأبو الأسود كنيته ، واسمه ظالم بن عمرو، من بني الجون ،آكل المرار،وهو ابن عم امرئ القيس، رثاه بهذه القصيدة، وقيل: بل "أبي" مضاف ومضاف إليه، و" الأسود" صفة للأب، وهو أفعل من السؤدد، أو من السواد[(٢)] .

والنثا ما نثي عن الرجل من قبيح فعله ، و"يؤثرعني " يُحَدَّثُ به، و"يد المسند" آخر الدهر .

قال القالي :[(٣)] لم يعرف الأصمعي ، وأبوعمرو معنى " بأيّ علاقتنا ترغبون" .

وقال أبو عمرو : ولم يعرفه [(٤)] أحد ممن سألته[(٥)] .

وقد اختلف في عدد الالتفات الذي وقع في هذه الأبيات ، فذكر الزمخشري

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٧٨٨ .

(٢) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ٢٤٥ .

(٣) هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون أبو علي المعروف بالقالي ، كان إماماً في علم العربية ، متقدماً فيها ، متقناً لها ، ألف كتاب النوادر ، وكتاب الممدود والمقصور ، وكتاب البارع ، توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة . معجم الأدباء ٢/ ٧٢٩ وبغية الوعاة ١/ ٤٥٣ .

(٤) في ح : لم يعقله .

(٥) جاء في أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١٣٠ العلاقة : الظلامة والتباعة ، تتمسك بها في الخصومة ، وتطالب بها . والمراد هنا : ما تعلق به القوم الذين يخاطبهم الشاعر من مبررات لطلب الثأر بالحرب ، وعدم الرضا بالصلح .

أن فيها ثلاث التفاتات [١] ، في " ليلك" لأن حقه أن يقول " ليلي، وفي " بات" لعدوله إلى الغيبة بعد الخطاب، وفي " جاءني" لعدوله بعدها إلىا لتكلم.

والمحققون على أن فيها التفاتين فقط، وأن الأول ليس بالتفات، بل هو تجريد، وقيل: إن الثاني والثالث "ذلك" و"جاءني"، ورجحه صاحب [٢] " الإيضاح [٣] "، أو"ذلك"

"وخبرته"، ورجحه الشيخ بهاء الدين السبكي في " عروس الأفراح [٤] "، وقيل: فيها أربع التفاتات" ليلك" و"ذلك" و"وجاءني" و"خبرته".

وقد بالغ قوم فقالوا : إن فيها سبع التفاتات "ليلك" و"ترقد" و "بات" و"له" و"ذلك" و"جاءني" و" خبرته".

قوله : (وإيّا ضمير) إلى آخره.

قال صاحب " البسيط" : اختلف العلماء في " إياك" على سبعة أقوال : فذهب سيبويه ، والأخفش ، وجمهور البصريين ، وأبو علي من المتأخرين إلى أن الاسم المضمر هو" إيا" وما يتصل بها حروف تدل على أحوال المرجوع إليه من التكلم ، و الخطاب ، و الغيبة .

وذهب الخليل إلى أن " إيا" اسم مضمر،وما بعدها مضمر مضاف إليه.

وذهب المبرد ، وابن درستويه[٥] ، والسيرافي [٦] ، إلى أنه اسم مبهم أضيف

---

(١) الكشاف ١/ ٦٣ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، كان فاضلاً متفنناً ، له مكارم وسؤدد ، صنف كتاب التلخيص في المعاني والبيان ، وكتاب الإيضاح ، توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٤/ ٣ وطبقات الشافعية الكبرى ٩/ ١٥٨ وانظر في الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ٩٠ .

(٣) في د ، ق : ... صاحب الإيضاح ، وقيل : فيهما أربع التفاتات ، ليلك ، وذلك ، وجاءني ، وخبرته ، أو ذلك ، وخبرته ، ورجحه الشيخ بهاء الدين السبكي في "عروس الأفراح ، وقد بالغ ...

(٤) عروس الأفراح ١/ ٤٧٠ .

(٥) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه أبو محمد الفارسي النحوي، أحد من اشتهر اسمه ، وعلا قدره ، وكثر علمه ، توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة . معجم الأدباء ٤/ ١٥١١ وبغية الوعاة ٢/ ٣٦ .

(٦) هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد النحوي القاضي ، كان يدرس في بغداد القرآن والقراءات ، وعلوم القرآن ، والنحو ، واللغة ، والفقه ، والفرائض ، صنف كتباً منها ، شرح كتاب سيبويه ، توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة . معجم الأدباء ٢/ ٨٧٦ وبغية الوعاة١/ ٥٠٧ .

للتخصيص .

وذهب الزجاج إلى أنه اسم ظاهر خص بالإضافة إلى المضمرات .

وذهب قوم من الكوفيين ، وأبو الحسن ابن كيسان ،من البصريين إلى أن الضمير ما بعد " إيا" ، و"إيا" دعامة لها تعتمد عليها.

وذهب آخرون من الكوفيين إلى أن ا لكلمة بكمالها اسم مضمر.

وذهب الخليل – في قول آخر- إلى أنه اسم مظهر ناب مناب الضمير .[1]

حجة القول الأول من وجهين:

أحدهما : أنها بمنزلة الضمير المنصوب المتصل في الدلالة على المفعول به[2] ، في قولك:ما أكرمني إلا أنت ، وما أكرمتَ إلا إياي، فإذا ثبتت اسميتها لم يجز إضافتها؛لأن الضمائر لا تضاف، وإذا امتنعت إضافتها تعين حرفية ما بعدها .

الثاني: أنها لازمة للنصب، وليست ظرفا غير متمكن، ولا مصدرا غير متصرف،ولو كانت اسما ظاهرا لما لزمت النصب.

وحجة القول الثاني: أنه جاءت إضافته إلى الظاهر في قول العرب: "إذا بلغ الرجل الستين فإِيَّاهُ وَإِيَّا الشَّوَابِّ" وإذا ثبتت إضافته إلى الظاهر الذي يظهر فيه الإعراب وجب الحكم بإضافته إلى الضمير الذي لا يظهر فيه الإعراب.

وأما كون الضمائر لا تضاف فغير مانع من إضافة هذا النوع ؛لأن الأحكام العامة قد تتخلف في بعض الصور ، بدليل تخلف " لدن" عن جر " غدوة"،وتخلف" لولا" عن وقوع ضمير المرفوع بعدها، وتخلف " عسى" عن اتصال ضمير المرفوع بها ، فكذلك هذا النوع من المضمرات ، تخلف عن حكم المضمرات في منع الإضافة .

وحجة القول الثالث : أنه مع إبهامه الغالب عليه الإظهار، فلا تمتنع إضافته ، ولذلك تكلم في اشتقاقه.

وحجة القول الرابع :أنه ظاهر بدليل تحقق اشتقاقه،والظاهر لا تمتنع إضافته.

وأما لزومه للنصب فغير مستنكر ، بدليل أن من الأسماء ما يلزم النصب ، وهذا منها . وحجة القول الخامس : أن الياء والكاف و الهاء في " إياي" و" إياك" ،

---

(١) في ظ : المضمر .

(٢) في د ، ق : على المفعولية .

و" إياه" هي الضمائر المتصلة بالفعل في " أكرمني" و" وأكرمك " و" وأكرمه" فوجب أن تكون هي الضمائر؛لتحققها بالاسمية عند الاتصال بالفعل، إلا أنه لما لم يمكن قيامها بنفسها جعل قبلها ما تعتمد عليه ،وتتصل به.

وأما كون "إيا" هي الضمير دون ما بعدها فضعيف؛لأنه لم يعهد لها حالة يمكن حملها عليها ،وقد عهد لهذه الضمائر الدلالة على الإضمار، فوجب الحمل على ما عهد ، دون ما لم يعهد .

وأما كون ما تتصل به أكثر منها فغير مانع بدليل اتصالها بالفعل،وهو أكثر منها؛لأن الغرض التوصل إلى جعلها منفصلة من الفعل ، وهذا القول ليس ببعيد عن الصواب.

وحجة القول السادس: أن الحكم على بعض الكلمة بالاسمية ،وعلى بعضها بالحرفية محض التحكم ، لأنه لم يعهد كلمة واحدة بعضها اسم ،وبعضها حرف ، فوجب الحكم على جميع الكلمة بالاسمية .

وأما اختلافها فبحسب اختلاف الإضمار إلى التكلم والخطاب والغيبة ، لأنه جعل ما يدل على كل نوع من المضمرين في آخر الكلمة.

وأما القول السابع فهو يناسب قول من قال بالإظهار . انتهى.

قوله : (واحتج بما حكاه عن بعض العرب : " إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشوابّ") .

قال سيبويه: حدثني من لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابيا يقول: فذكره [١] .

قال الطيبي: الشوابّ جمع شابة، كدواب جمع دابة ، أي فليحذر نفسه أن يتعرض للشواب ، وليحذر الشواب أن يَفْتِنَّهُ [٢] .

قال صاحب " البسيط" في النحو : وروي : "فإياه وإيا السوآت " قال : وهذا أبلغ في التحذير من الجماع عند الكبر.

قال الزركشي [٣] في حاشية كتبها على هذا الموضع : هذا يرد على من ادعى

---

(١) الكتاب١/ ٢٧٩ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ١٢٣ .

(٣) هو محمد بن بهادر بن عبد الله بدر الدين الزركشي التركي الأصل المصري ، عني بالاشتغال من صغره ، فحفظ كتباً ، وله تصانيف كثيرة ، منها تفسير القرآن العظيم ، وصل فيه إلى سورة مريم ، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٤/ ١٧ وطبقات المفسرين ٢/ ١٥٧ .

أن هذا تصحيف .

قوله : (وهو شاذ لا يعتمد عليه)

قال الشيخ سعد الدين : هو وإن كان شاذا من حيث الإضافة إلى المظهر، لكن فيه دلالة على أن بين" إيا" واللواحق إضافة [1] .

قوله : (و العبادة أقصى غاية الخضوع و التذلل)

هو كلام الراغب،وزاد أنها ضربان:

عبادة بالتسخير، كما في قوله تعالى ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾

[سورة الإسراء ٤٤] وعبادة بالاختيار ،وهي لذي النطق،وهو المأمور به في نحو قوله تعالى﴿ اعبدوا ربكم ﴾[2] [سورة البقرة ٢١] .

قوله: (والمراد طلب المعونة في المهمات كلها،أوفي أداء العبادات)

الأول هو الصواب،فإنه الوارد عن ابن عباس [3] ، و الأوفق للعموم المراد في ألفاظ الفاتحة.

قوله : (في ذ عبادتهم) أي أثنائها

قوله : (وقدم المفعول للتعظيم ، و الاهتمام به والدلالة على الحصر)

نازع أبو حيان في دلالة التقديم على الحصر[4] مستندا إلى قول سيبويه: إذا

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٤ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٥٤٢ .

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ١٦٢ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٥٨ .

(٤) تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر ، أو الاهتمام به دون الحصر ، والمرجع في ذلك إلى السياق ، وقد أفاض ابن القيم في بيان إفادة التقديم الحصر، و الاهتمام في قوله تعالى "إياك نعبد " فقال في مدارج السالكين ١/ ١١٠: وفيه الاهتمام وشده العناية به ، وفيه الإيذان بالاختصاص المسمى بالحصر ، فهو في قوة :لانعبد إلا إياك، ولا نستعين إلابك ، والحاكم في ذلك ذوق العربية والفقه فيها ، واستقراء موارد استعمال ذلك مقدما، وسيبويه نص على الإهتمام ، ولم ينف غيره، ولأنه يقبح من القائل أن يعتق عشرة أعبد مثلا ، ثم يقول لأحدهم : إياك أعتقت . ومن سمعه أنكر ذلك عليه ، وقال: وغيره أيضا أعتقت . ولولا فهم الاختصاص لما قبح هذا الكلام ، ولا حسن إنكاره ، وتأمل قوله تعالى " وإياى فارهبون " "وإياى فاتقون " كيف تجده في قوة: لا ترهبوا غيرى ، ولا تتقوا سواي، وكذلك " إياك نعبد وإياك نستعين " هو في قوة: لا نعبد غيرك ، ولا نستعين بسواك ، وكل ذى ذوق سليم يفهم هذا الاختصاص من هذا

=

قلت: ضربت زيدا ،و زيدا ضربت فالتقديم و التأخير فيه سواء[1] .

وتعقبه الشيخ ولي الدين العراقي في " حاشيته على الكشاف" بأنه ليس في كلام سيبويه ما يرد ذلك ،بل هو أمر مسكوت عنه، زاده البيانيون،وكم في كلام أهل البيان من دقائق العربية مما لم يصرح بذكره النحاة .

وعبر الزمخشري بدل الحصر بالاختصاص.

قال الشيخ ولي الدين : و المتبادر إلى الفهم من الاختصاص هو الحصر[2] .

وقال الإمام تقي الدين السبكي : إنه غيره، فإن صح لم يكن بين كلام الزمخشري وأبي حيان تعارض .

وقال الشيخ بهاء الدين السبكي في " عروس الأفراح" : سلك الوالد في الاختصاص حيث وقع ، إما بتقديم الفاعل المعنوي ، أو بتقديم المعمول مسلكا غير ما هو ظاهر كلام البيانيين ، وألف في ذلك تصنيفا لطيفا سماه" الاقتناص في الفرق بين الحصر و الاختصاص[3] ".

قال فيه: قد اشتهر كلام الناس في أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، ومن الناس من ينكر ذلك ، ويقول : إنما يفيد الاهتمام.

وقد قال سيبويه في كتابه : "وهم يقدمون ما هم به أعنى "[4] .

والبيانيون على إفادته الاختصاص.

ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر، فإذا قلت : زيدا ضربت، يقول: معناه ما ضربت إلا زيدا ، وليس كذلك، وإنما الاختصاص شيء و الحصر شيء آخر، والفضلاء لم يذكروا في ذلك لفظة الحصر، وإنما قالوا: الاختصاص.

قال الزمخشري- في تفسير قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ - : " وتقديم المفعول لقصد الاختصاص ، كقوله تعالى﴿ أفغير الله تأمرونّي أعبد﴾

السياق ، ولا عبرة بجدل من قل فهمه ، وفتح عليه باب الشك والتشكيك ، فهؤلاء هم آفة العلوم ، وبلية الأذهان والفهوم .

(١) الكتاب ١/ ٨٠ والبحر المحيط ١/ ٨٢ .

(٢) حاشية ولي الدين العراقي ل٥ .

(٣) هو في علم البيان . انظر في طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ٣١٥ ولا أعلم لها وجوداً في عالم المخطوطات .

(٤) الكتاب ١/ ٣٤ .

[سورة الزمر ٤٦] ﴿قل أغير اللـه أبغـي ربـا﴾ [سـورة الأنعـام ١٦٤] والمعنـى نخصك بالعبادة ، ونخصك بطلب المعونة" [١] .

وقال في قوله تعالى ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد ﴾ :"معنـاه أفغـير اللـه أعبـد بأمركم"[٢] وقال في قوله تعالى ﴿ قل أغير الله أبغـي ربـا﴾: "الهمـزة للإنكـار، أي منكرا أن أبغي ربا غيره"[٣]

وقال في قوله تعالى ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ [سـورة الزمـر ١٤] : " إنه أمر بالإخبار بأنه يختص الله تعالى وحده دون غيره بعبادته، مخلصا له دينه"[٤].

وقال في قوله تعالى ﴿ أفغير دين الله يبغون ﴾ [سورة آل عمران ٨٣] :" قـدم المفعول الذي هو﴿ غير دين الله﴾ على فعله؛لأنه أهمّ من حيـث إن الإنكـار الـذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل" [٥] .

وقال في قوله تعالى ﴿ أإفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ [سورة الصافـات ٨٦]: "إنما قدم المفعول على الفعل للعناية به، وقدم المفعول له على المفعول بـه ؛لأنـه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم؛لأنهم على إفك وباطل في شركهم ،ويجوز أن يكـون إفكا مفعولا به، يعني أتريدون إفكا ، ثم فسر الأوّل بقوله﴿ آلهة دون الله﴾ على أنها إفك في أنفسها ، ويجوز أن يكون حالا" [٦] .

فهذه الآيات كلها لم يذكر الزمخشري لفظ الحصر في شيء منها، ولا يصح إلا في الآية الأولى فقط، و القدر المشترك في الآيات الاهتمام، ويأتي الاختصاص في أكثرها.

ومثل قوله تعالى﴿ أإفكا آلهة﴾ قوله تعالى﴿ أهـؤلاء إيّـاكم كـانوا يعبـدون﴾ [سورة سبأ ٤٠] وما أشبههما لا يـأتي فيـه إلا الاهتمـام؛لأن ذلـك منكـر مـن غـير اختصاص، وقد يتكلف لمعنى الاختصاص في ذلـك كمـا فـي بقيـة الآيـات، وأمـا الحصر فلا.

---

(١) الكشاف ١/ ٦١ .

(٢) الكشاف ٣/ ٤٠٧ .

(٣) الكشاف ٢/ ٦٤ .

(٤) الكشاف ٣/ ٣٩٢ .

(٥) الكشاف ١/ ٤٤٢ .

(٦) الكشاف ٣/ ٣٤٤.

فإن قلت: ما الفرق بين الاختصاص والحصر؟

قلت : الاختصاص افتعال من الخصوص،والخصوص مركب من شيئين:

أحدهما : عام مشترك بين شيئين ، أو أشياء.

والثاني: معنى منضم إليه ، يفصله عن غيره ، كضرب زيد، فإنه أخص من مطلق الضرب، فإذا قلت: ضربت زيدا، أخبرت بضرب عام وقع منك ، على شخص خاص، فصار ذلك الضرب المخبر به خاصا لما انضم إليه منك ، ومن زيد، وهذه المعاني الثلاثة: أعني مطلق الضرب ، وكونه واقعا منك ، وكونه واقعا على زيد، قد يكون قصد المتكلم بها ثلاثتها على السواء ، وقد يترجح قصده لبعضها على بعض، ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه، فإن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به ، وأنه هو الأرجح لغرض المتكلم .

فإذا قلت : زيدا ضربت، علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود ، ولاشك أن كل مركّب من خاص وعام له جهتان، فقد يقصد من جهة عمومه ، وقد يقصد من جهة خصوصه ، فقصده من جهة خصوصه هو الاختصاص، وأنه هو الأهم عند المتكلم، وهو الذي قصد إفادته للسامع من غير تعرض ولا قصد لغيره بإثبات ولا نفي.

وأما الحصر فمعناه نفي غير المذكور ، وإثبات المذكور،ويعبر عنه ب"ما"،و"إلا"، أو ب"إنما".

فإذا قلت : ما ضربت إلا زيدا كنت نفيت الضرب عن غير زيد ، وأثبته لزيد، وهذا المعنى زائد على الاختصاص .

وإنما جاء هذا في﴿ إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ للعلم بأنه لا يعبد غير الله ، ولا يستعان بغيره ، ألا ترى أن بقية الآيات لم يطرد فيها ذلك،فإن قوله تعالى ﴿ أفغير دين الله يبغون﴾ لو جعل غير دين الله يبغون في معنى ما يبغون إلا غير دين الله ، وهمزة الإنكار داخلة عليه، لزم أن يكون المنكر الحصر ، لا مجرد بغيهم غير دين الله،ولاشك أن مجرّد بغيهم غير دين الله منكر، وكذلك بقية الآيات إذا تأملتها،ألا ترى أن ﴿ أفغير الله تأمرونّي أعبد﴾ وقع الإنكار فيه على عبادة غير الله من غير حصر، وأن ﴿ أبغي ربا﴾ غيره منكر من غير حصر، ولكن الخصوص،وهو غير الله هو المنكر وحده ، ومع غيره .

وكذلك﴿إياكم كانوا يعبدون﴾ عبادتهم إياهم منكرة من غير حصر، وكذلك قوله تعالى﴿ آلهة دون الله تريدون﴾ المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر.

فمن هذا كله يعلم أن الحصر في ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ من خصوص المادة، لا من موضوع اللفظ . بل أقول: إن المصلي قد يكون مقبلا على الله وحده، لا يعرض له استحضار غيره بوجه من الوجوه، و غيره أحقر في عينه من أن يشتغل ذلك الوقت بنفي عبادته ، وإنما قصد الإخبار بعبادة الله .

وأول ما حضر في ذهنه عظمة من هو واقف بين يديه فقال ﴿إياك نعبد﴾ ليطابق اللفظ المعنى ، ويتقدم ما تقدم حضوره في القلب، و هو الرب سبحانه وتعالى، ثم بنى على ما أخبر به من عبادته.

فمعنى اختصاصه بالعبادة اختصاصه بالإخبار بعبادته، وغيره من الأكوان لم يخبر عنه بشيء ، بل هو معرض عنها.

وإذا تأملت مواقع ذلك في الكتاب و السنة،وأشعار العرب تجده كذلك ، ألا ترى قول الشاعر[1] :

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحَسَبِيْنَ امرءًا ونَارٍ تَوَقَّدُ بِالليلِ نَارًا

لوقدرت فيه الحصرب"ما"و"إلا" لم يصح المعنى الذي أراده.

وقد قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿ وبالآخرة هم يوقنون﴾ :"وفي تقديم الآخرة ،وبناء ﴿يوقنون﴾ على ﴿هم﴾ تعريض بأهل الكتاب، وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك" [2] .

وهذا الذي قاله الزمخشري في غاية الحسن.

وقد اعترض عليه بعض الناس فقال : تقديم الآخرة أفاد أن إيقانهم مقصور على أنه إيقان بالآخرة ،لا بغيرها.

وهذا الذي قاله هذا القائل بناه على ما فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر،وليس كذلك؛ لما بيناه.

ثم قال هذا القائل: وتقديم﴿ هم﴾ أفاد أن هذا القصر مختص بهم، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيمانا بغيرها ،حيث قالوا ﴿ لن يدخل﴾ [سورة البقرة ١١١] و ﴿ لن تمسنا﴾ [سورة البقرة ٨٠] .

---

(١) هو أبودؤاد الإيادي ، انظر في شعر أبي دؤاد الإيادي ٣٥٣ .

(٢) الكشاف ١/ ١٣٧ .

وهذا من هذا القائل استمرار على ما في ذهنه من الحصر، أي أن المسلمين لا يوقنون إلا بالآخرة ، وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها ، وهذا فهم عجيب .

ثم قال هذا القائل: ثم إن التعريض في قوله : " بأهل الكتاب" " وبما كانوا " "وأن قولهم" ظاهر معني قول الزمخشري .

قال هذا القائل : وأما في قوله : "وأن اليقين" فمشكل؛لأنه ليس فيه تعريض بأن اليقين ما عليه من آمن ، بل تصريح.

قلت : مراد الزمخشري أن التصريح بأن من آمن يوقنون تعريض بأن أهل الكتاب لايوقنون ، فكيف يرد عليه هذا ؟

ثم قال هذا القائل : فالوجه أن يقال: "وأن اليقين" عطف على قوله :" تعريض" لا على معمولاته من" بأهل الكتاب" إلى آخره ، فكأنه قال : وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على ﴿ هم ﴾ تعريض ، وأن اليقين....

قلت : مراد الزمخشري أنه تعريض بنفي اليقين عن أهل الكتاب ، وكأنه قال : دون غير من آمن، فلا يرد عليه ،ولا يحتاج إلى تقدير العطف على ما ذكره هذا القائل، وهو إما أن يقدر:" دون غيرهم" أولا، فإن قدر فهو تعريض، لا تصريح، وإن لم يقدر فلا يحتاج إلى بناء ﴿ يوقنون﴾ على ﴿هم﴾ .

فحمل كلام الزمخشري على ما زعمه هذا القائل لا يصح بوجه من الوجوه ، وهذا القائل فاضل ، وإنما ألجأه إلى ذلك فهمه الحصر ، وهو ممنوع ، وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام :

أحدها : ب"ما" و" إلا" كقولك :ما قام إلا زيد، صريح في نفي القيام عن غير زيد،ويقتضي إثبات القيام لزيد، قيل: بالمنطوق، وقيل : بالمفهوم ، وهو الصحيح ، لكنه أقوىا لمفاهيم؛لأن " إلاّ" موضوعة للاستثناء ، وهو ا لإخراج ، فدلالتها على الإخراج بالمنطوق، لا بالمفهوم ، ولكن الإخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام، بل قد يستلزمه ، فلذلك رجحنا أنه بالمفهوم، والتبس على بعض الناس لذلك ، فقال: إنه بالمنطوق.

والثاني: الحصر ب"إنما" وهو قريب من الأول فيما نحن فيه وإن كان جانب الإثبات فيه أظهر، فكأنه يفيد إثبات قيام زيد- إذا قلت: إنما قام زيد- بالمنطوق ، ونفيه عن غيره بالمفهوم.

و القسم الثالث : الحصر الذي قد يفيده التقديم ، وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين، بل هو في قوة جملتين:

إحداهما : ما صدر به الحكم نفيا كان أو إثباتا ، وهو المنطوق

والأخرى : ما فهم من ا لتقديم ، و الحصر يقتضي نفي المنطوق فقط ، دون ما دل عليه من المفهوم؛لأن المفهوم لا مفهوم له ، فإذا قلت : أنا لا أكرم إلا إياك، أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ، ولا يلزم أنك لا تكرمه.

وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ [سورة النور ٣] أفاد أن العفيف .

قد ينكح غير الزانية ، وهو ساكت عن نكاحه الزانية فقال سبحانه وتعالى بعده ﴿والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ بيانا لما سكت عنه في الأولى.

فلو قال﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ أفاد منطوقُهُ إيقانهم بها ، ومفهومُهُ عند من يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها، وليس ذلك مقصودا بالذات ، و المقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة ، حتى صار غيرها عندهم كالمدحوض، فهو حصر مجازي ، وهو دون قولنا: يوقنون بالآخرة، لا بغيرها، فاضبط هذا ، وإياك أن تجعل تقديره: لا يوقنون إلا بالآخرة.

إذا عرفت هذا فتقديم ﴿ هم ﴾ أفاد أن غيرهم ليس كذلك ، فلو جعلنا التقدير لا يوقنون إلا بالآخرة كان المقصود المهم ا لنفي ، فيتسلط المفهوم عليه، فيكون المعنى إفادة أن غيرهم يوقن بغيرها ،كما زعم هذا القائل، ويطرح إفهام أنه لا يوقن بالآخرة .

ولاشك أن هذا ليس بمراد [(١)] ، بل المراد إفهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة، فلذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة، ليتسلط المفهوم عليه، وأن المفهوم لا يتسلط على الحصر ؛ لأن الحصر لم يدل عليه بجملة [(٢)] واحدة ، مثل " ما" و" إلا" ومثل " إنما" وإنما دل عليه بمفهوم مستفاد من منطوق ، وليس أحدهما متقيداً بالآخر حتى نقول: إن المفهوم أفاد نفي الإيقان المحصور ، بل أفاد نفي الإيقان مطلقا عن غيرهم .

وهذا كله إنما احتجنا إليه على تقدير تسليم ما ادعاه هذا القائل من الحصر، وقد سبق إلى فهم كثير من الناس ، ونحن قد منعنا ذلك أولا ، وبينا أنه لا حصر

---

(١) في ح : مراداً .

(٢) في ح ، ظ : جملة .

في ذلك، وإنما هو اختصاص، وفرقنا بين الاختصاص والحصر.

وقول هذا القائل : تقديم ﴿هم﴾ من أين له أن هذا تقديم، فإنك إذا قلت : هو يفعل ، احتمل أن يكون مبتدأ خبره يفعل ، واحتمل أن يكون أصله يفعل هو ، ثم قدمت وأخرت ، و الزمخشري لم يصرح بالتقديم ، وإنما قال : "بناء ﴿ يوقنون ﴾ على ﴿هم﴾ " ولكنا مشينا مع هذا الفاضل على كلامه ، وكل ذلك أوجبه [١] الوهم والتباس الاختصاص بالحصر [٢] . انتهى كلام الشيخ تقي الدين .

وقال الشيخ بهاء الدين السبكي :قال ابن الحاجب في " شرح المفصل" : الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم.

واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ ثم قال تعالى ﴿ بل الله فاعبد﴾ .

قال : وهو استدلال ضعيف ؛لأن﴿ مخلصا له الدين ﴾ أغنى عن إرادة الحصر في الآية الأولى ، ولو لم يكن فما الذي يمنع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر، كما تقول: عبدت الله ، وتقول : ما عبدت إلا الله، كل سائغ .

قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾ [سورة الحج ٧٧] وقال تعالى﴿أمر أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ [سورة يوسف ٤٠] بل قوله تعالى﴿ بل الله فاعبد﴾ من أقوى أدلة الاختصاص ؛ فإن قبلها﴿ لئن أشركت﴾ فلو لم تكن للاختصاص ، وكان معناها: اعبد الله لما حصل الإضراب الذي هو معنى ﴿بل﴾ .

قال : وقد رد الشيخ أبو حيان على مدعي الاختصاص ، ونقل عن سيبويه أنه قال:" يقدمون ما هو الأهم من كلامهم ، وهم به أعنى"

قال : وربما يعترض على مدعي الاختصاص بنحو قوله تعالى﴿ أفغير الله تأمروني أعبد ﴾ .

وجوابه : أنه لما كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله، كان أمرهم بالشرك كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة.

---

(١) في ح : أوقعه .

(٢) عروس الأفراح ٢/ ١٥٤ ١٥٩ .

قال : ورد صاحب الفلك الدائر" بقوله [1] تعالى ﴿ كلا هـــدينا ونوحـا هدينـا من قبل﴾[2] .

وجوابه : أنا لا ندعي اللزوم ، بل الغلبة، وقــد يخـرج الشـيء عـن الحقيقـة ، وعن الغالب [3] . انتهى.

قوله :(ولذلك قال ابن عباس: معناه نعبدك ،ولا نعبد غيرك)

أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم [4] من طريق الضحاك عنه.

قوله : (ولا يستتب له)

في الصحاح : استتب له الأمر: تهيأ واستقام .

الشيخ سعد الدين: يستتب ، أي يتم، من التبات ، وهو الهلاك [5] .

قال في " الأساس": والتبات يتبع التمام[6] .

قوله : (وأصله أن يعدى باللام) إلى آخره

قال الزمخشري في غير " الكشاف": "يقال: هداه لكذا ، أو إلى كذا،إذا لم يكن في ذلك ،فيصل إليه بالاهتداء،وهداه كذا بغير حرف محتمل للحالين، بين أن يكون فيه ، وبين أن لا يكون ، حتى لا يجوز أن يقـال فـي قولـه﴿ و الذيـن جـاهدوا فينـا لنهدينهم سبلنا﴾ [سورة العنكبوت ٦٩] لسبلنا ، أو إلى سبلنا" انتهى [7] .

---

(١) في عروس الأفراح : ... الفلك الدائر الاختصاص بقوله .

(٢) الفلك الدائر على المثل السائر ٢٢٩ وفيه : فإن ذلك لا يدل على اختصـاص إسحاق ويعقـوب بالهداية ، لأنه قد هدى غيره ممن كان في زمانه .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٢/ ١٥٢ ١٥٣ .

(٤) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ١٦٠ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٥٧ .

(٥) حاشية سعد الدين ل١٨ .

(٦) أساس البلاغة / مادة تبت .

(٧) هدى فعل لازم ومتعد ، والمتعدي يتعدى إلى مفعولين فيتعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسـه ، وتارة بإلى ، وتارة باللام ، وكلها في القرآن ، قال الله تعالى " ويهديك صراطاً مستقيما " وقـال" وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم " وقال " قل الله يهدي للحق " ولكن هل المعنى واحد في هذه الاستعمالات الثلاثة ، أم مختلف ؟ ذهـب كثير من اللغويين إلى أن الاستعمالات الثلاثة معناهـا واحد ، وإنما هي لغات قبائل ، منهم أبو الحسن الأخفش في معاني القرآن ١/ ١٦ وابن خالويـه كتاب إعراب ثلاثين سورة مــن القرآن الكريـم ٢٨ والأزهـري تهذيـب اللغـة / مـادة هـدى / والجوهري الصحاح/ مادة هدى / وابن منظور لسـان العـرب / مـادة هـدى / والزبيـدي تـاج العروس / مادة هدى .

=

وللخويِّي فرق آخر ذكرته في " أسرار التنـزيل "[1]

قوله : (وهداية الله تتنوع أنواعا) إلى آخره

نوعها الراغب إلى أربعة غير هذه:

الأولى: الهداية التي عم بها كل شيء ، بحسب حاله، كما قال﴿ أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [سورة طه ٥٠] .

الثاني : الهداية التي جعلها للناس، بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء ، وإنزال القرآن ، وهو المقصود بقوله ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ [سورة الأنبياء ٧٣] .

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى ، وهو المعني بقوله ﴿ و الذين اهتدوا زادهم هدى﴾ [سورة محمد ١٧] ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [سورة التغابن ١١] .

الرابع : الهداية في الآخرة إلى الجنة ، وهو المعني بقوله ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ [سورة الأعراف ٤٣] ﴿ سيهديهم ويصلح بالهم[2] ﴾ [سورة محمد ٥] .

قوله : (﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾)

قال الطيبي : تقرير الاستشهاد به أنه تعالى أثبت لهم الجهاد على لفظ الماضي ، وأوقع ضمير التعظيم ظرفا له،على المبالغة، أي في سبيلنا ووجهنا مخلصين لنا ، ولا يكون مثل هذا الجهاد إلا هداية، لا غاية بعدها ، ثم قال ﴿ لنهدينهم سبلنا﴾ على الاستقبال .

وصرّح بلفظ﴿ سبلنا﴾ ولا يستقيم تأويله إلا بما ذكر من طلب الزيادة بمنح الألطاف[3] .

قوله : (ويميط) بضم أوله ، أي تبعد وتنحي .

وأبدى العلامة ابن القيم معنى لطيفاً وفرقاً دقيقاً بين هذه الاستعمالات الثلاثة ، فانظر في بدائع الفوائد ٢/ ٣٠ ٣٢ .

(١) قطف الأزهار في كشف الأسرار ١/ ١٤٣ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٨٣٥ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ١٣٥ .

قوله : (غواشي) جمع غاشية .

قوله : (و الأمر و الدعاء يتشاركان لفظا)

أي صيغة ومعنى، أي فإن كلا منهما دال على الطلب

قوله : (ويتفاوتان بالاستعلاء و التسفل، وقيل : بالرتبة)

في مغايرة القول الثاني للأول نظر لا يخفى

قوله :(السابلة) هم المختلفون[١] في الطرقات لحوائجهم

قوله : (وهو كالطريق في التذكير و التأنيث)

أما في المعنى فبينهما فرق لطيف ، أشار إليه الخُوَيِّي قال: الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان أم [٢] غيره، والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك، والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج ،فلا يذهب يمنة ولا يسرة ، بل يكون على سمت القصد[٣] ، فهو أخص الثلاثة.

قال :فإن قيل : فما فائدة وصفه بالمستقيم حينئذ؟

أجيب بأن الصراط يطلق على ما فيه صعود أو هبوط، و المستقيم ما لا ميل فيه إلى شيء من الجوانب الأربعة، وأصل الاستقامة في قيام الشخص أن لا يكون منحنيا ولا مُقْعَنْسِاً،ولا مائلا إلى يمين أو يسار.

قوله : (و المراد به طريق الحق، وقيل: ملة الإسلام)

القولان مرويان عن ابن عباس ، أخرجهما ابن جرير [٤] ، وليسا متغايرين [٥] كما يفهمه إيراد المصنف ، بل مؤداهما واحد .

قال ابن تيمية: الخلاف بين السلف في التفسير قليل جدا،وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير ،وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد، وذلك كأن يعبر أحدهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى، غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى ، مثال ذلك تفسير هم ﴿الصراط المستقيم﴾ فقال بعضهم : هو القرآن، أي اتباعه،

---

(١) في ح : يعني المختلفين .

(٢) في ح : أو .

(٣) في ظ : المقصد .

(٤) جامع البيان ١/ ١٧٤ .

(٥) من هنا سقطت لوحة من نسخة د .

وقال بعضهم : هو الإسلام، فهذان القولان متفقان؛لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر ،كما أن لفظ صراط يشعر بوصف ثالث،وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة، وقول من قال : هو طريق العبودية ، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله، كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها[1] . انتهى.

ولاشك أن ملة الإسلام هي طريق الحق.

قوله : (وفائدته التوكيد) إلى آخره.

قال الطيبي: يعني أن البدل فيه معنى التكرير، ومعنى التوضيح ، فالتوضيح يرفع الإبهام عن نفس المتبوع، والتوكيد يرفع إبهام ما عسى أن يتوهم في النسبة، فهو في توضيح المتبوع كالبيان ، وفي تأكيد أمر المتبوع في النسبة كالتأكيد، ويزيد بأنه توكيد لنفس النسبة[2] .

قوله : (طريق المؤمنين) إلى آخره.

حكي في تفسير ﴿ الذين أنعمت عليهم ﴾ ثلاثة أقوال ، كلها قاصرة.

و الذي أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أن المراد ب﴿ الذين أنعمت عليهم ﴾ الأنبياء والملائكة والصديقون والشهداء ومن أطاعه وعبده [3] .

هذا لفظ ابن عباس، وهو يشمل الأقوال الثلاثة، ويزيد عليها، وهو الموافق لقوله تعالى ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ الآية

قال الطيبي: وهو الأنسب للعموم المقصود في ألفاظ السورة[4] .

قوله : (وقرئ﴿ صراط من أنعمت عليهم﴾)

أخرجه أبو عبيد في "فضائله" عن ابن الزبير[5] .

قوله : (و الإنعام إيصال النعمة)

هو كلام الراغب، وزاد: ولا يقال: إلا إذا كان الواصل إليه من العقلاء ، لا يقال: أنعم على فرسه[6] .

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ٣٨ ٤٣ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ١٣٨ .

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١/ ١٧٨ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٦٢ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ١٣٩ .

(٥) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ٢/ ١٠٦ .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ٨١٥ .

وقال الخويي: الإنعام نفع العالي من دونه بأمر عظيم، خاليا عن العوض والتبعة.

قوله : (و المراد هنا القسم الأخير)

قال الطيبي: الأشبه الحمل على الإطلاق، كما قال في " الكشاف": " أطلق ليشمل كل إنعام، فإن من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته، واشتملت عليه[1] .

قوله : (بدل من ﴿ الذين﴾)

قال أبو حيان : هوضعيف ؛لأن "غير " أصل وضعه الوصف ، و البدل بالوصف ضعيف [2] .

قوله : (على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلالة).

قال الطيبي : يعني إنما يصح إبدال هذا من ذاك إذا اعتبر مفهوم أحدهما مع منطوق الآخر ليتفقا .

قوله : (أوصفة)

قال أبو حيان : هو قول سيبويه[3]

قوله : (وَلَقَدْ أَمُرُّ على اللَّئِمِ يَسُبُّنِيْ ....)

هو لرجل من بني سلول، وتمامه

.... فَأَعِفُّ ثُمَّ أَقُوْلُ: لا يَعْنِيْـنِيْ

وأورده طائفة بلفظ فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ :لا يَعْنِيني[4]

وبعده قوله :

غَضْبَانَ مُمْتَلِئاً عَلَيَّ إِهَابُهُ   إِنِّيْ وحَقِّكَ سَخْطُهُ يُرْضِيْنِيْ

قال الطيبي : لم يرد باللئيم لئيما بعينه ، ولا كل اللئام لاستحالته ،ولا الحقيقة لاستحالة أن يمر على مجرد الحقيقة لعدمها في الخارج، بل لئيما من اللئام ،واللام للعهد الذهني المعبر عنه بتعريف الجنس [5] .

---

(١) الكشاف ١/ ٦٩ وفتوح الغيب ١/ ١٣٩ .

(٢) البحر المحيط ١/ ١٦٧ .

(٣) الكتاب ١/ ٤٣١ والبحر المحيط ١/ ١٦٧ .

(٤) البيت من شواهد سيبويه . انظر في الكتاب ٣/ ٢٤ وخزانة الأدب ١/ ٣٥٧ ٣٥٨ .

(٥) فتوح الغيب١/ ١٤٠ .

قال ابن الحاجب: الحقيقة الذهنية معرفة في الذهن ، نكرة في الخارج [1] .

وفي " الخصائص" لابن جني قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبني ... ...

أي : ولقد مررت[2] ، أو قع المستقبل موقع[3] الماضي .

وقال في موضع آخر : إنما حكى فيه الحال الماضية ، و الحال لفظها أبدا بالمضارع [4] .

وفي بعض حواشي " الكشاف": فإن قيل : فهلا جعلت جملة"يسبني" حالا ، لكونها جملة بعد معرفة،والتقدير: ولقد أمر عليه في حال سبه لي.

قيل: ما ذكرته محتمل ، لكن الأحسن أن يكون المراد: ولقد أمر على اللئيم السابّ لي، سواء كان في حال المرور سابا ، أم لا، فيكون أعم وأشمل .

وقال الطيبي: أجيب أنه لا يحتمل الحال ؛ لأن[5] القائل يمدح نفسه، ويصف أناته وتُؤَدَتَهُ وأن الحلم دأبه وعادته، لا أنه مر على لئيم مُعيَّن مرة ، وأنه احتمل مساءته ومسبته، ودل عطف" فمضيت" و"قلت" وهما ماضيان على" أمر" وهو مضارع على إرادة استمرار المورث للعادة، وعلى أن المسبة والتغافل إنما يحدثان منه عند مروره عليه[6] .

ومما يشبه هذا البيت ما أنشده الأصمعي لبعض الأعراب:

لا يَغْضَبُ الحُرُ على سِفْلَةٍ والحُرُ لا يُغْضِبُهُ النَذْلُ

إذا لَئِيمٌ سَبَنِي جَهْدَهُ أَقولُ :زِدْنِي فَلِيَ الفَضْلُ[7]

قوله :(وقولهم: إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني)

قال الطيبي: وهذا المثال أظهر من البيت؛لأن البيت يحتمل الحال وإن كان الوصف فيه ظاهراً [8] .

---

(١) الإيضاح في شرح المفصل ١/ ٨٣ .

(٢) الخصائص ٣/ ٣٣١ .

(٣) في ت ، ظ : موضع .

(٤) الخصائص ٣/ ٣٣٢ .

(٥) إلى هنا انتهى السقط الذي في نسخة د .

(٦) فتوح الغيب ١/ ١٤١ .

(٧) البيتان بلا عزو في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب١/ ٣٥٨ .

(٨) فتوح الغيب ١/ ١٤٠ .

وقال ابن جني في " الخصائص : وكان أبو علي يقوي قول أبي الحسن في قولهم: إني لأمر بالرجل مثلك : إن اللام زائدة، حتى كأنه قال: إني لأمر برجل مثلك، لما لم يكن الرجل هنا مقصودا معينا على قول الخليل : إنه تراد اللام في المثل، حتى كأنه قال : إني لأمر بالرجل المثل لك .

قال: لأن الدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية ، أي أن اللام [1] ملفوظ بها، وهي في قول الخليل مرادة مقدرة .

قال : وهذا القول من أبي عليٍّ غير مرضي عندي ، وذلك أنه جعل لفظ اللام دلالة على زيادتها ، وكيف يكون لفظ اللام دليلا على زيادتها؟ وإنما جعلت الألفاظ أدلة على إثبات معانيها، لا على سلبها.

وإنما الذي يدل على زيادة اللام هنا هو كونه مبهما ، لا مخصوصا ، ألا ترى أنك لا تفصل بين معنيي قولك : إني لأمر برجل مثلك ، وإني لأمر بالرجل مثلك في كون كل واحد منهما منكورا غير معروف، ولا مُومَأً به إلى شيء بعينه، فالدلالة أيضا من هذا الوجه- كما ترى- معنوية ، كما أن إرادة الخليل اللام [2] في مثلك إنما دعا إليها جريه صفة على شيء ، هو في اللفظ معرفة، فالدلالة [3] إذن كلتاهما معنويتان[4] انتهى.

وقد جعل صاحب " الكشاف" هذا المثال لغزاً فقال في " أحاجيه":

أخبرني عن مُعَرَّفٍ في حكم التنكير .

وقال في شرحه: تقول ما دخلت على الرجل مثلك إلا أكرمني ،كأنك قلت: على رجل مثلك.

والذي سوغ ذلك ما فيه من الإبهام ؛ لوقوعه على غير معين، ألا ترى أن النكرة والمعرفة في نحو هذا الموقع لا يكاد يبين الفرق بينهما ، ولا يتفاوت المعنيان تفاوتا ظاهرا ،وذلك أن معنى على رجل مثلك :على واحد غير معين من جنس الرجال ، ومعنى على الرجل مثلك: على الواحد من آحاد هذا الجنس، مشارا

---

(١) أي إن اللام في قول أبي الحسن ملفوظ بها .

(٢) في ح : للام .

(٣) في الخصائص : فالدلالتان .

(٤) الخصائص ٣/ ٩٩ .

باللام إلى معلوم المخاطب الثابت عنده ، أن [1] الواحد من الرجال ما هو ،ولا إشارة في الأول.

ومنه ﴿ غير المغضوب عليهم﴾ لما كان المنعم عليهم مبهمين جرى عليهم ﴿غير﴾الذي توصف به النكرات ، وقال:

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

وقال :

لَعَمْرِيْ لأنتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ   وَأَقْعُدُ في أَفْنَائِهِ بِالأَصَائِلِ [2]

كأنه قال: لأنت بيت [3] .انتهى .

قوله: (أو جعل غير معرفة بالإضافة؛ لأنه أضيف إلى ما له ضد واحد) إلى آخره.

وفي " شرح المفصل" للأندلسي: قال صدر الأفاضل [4] : اعلم أن " غيراً " لها ثلاثة مواضع :

أحدها : أن تقع موقعا لا تكون فيه إلا نكرة ، وذلك إذا أريد به النفي الساذج في نحو مررت برجل غير زيد، تريد أن الممرور به ليس بهذا .

الثاني: أن تقع موقعا لا تكون فيه إلا معرفة ، وذلك إذا أريد به شيء قد عرف بمضادة المضاف إليه في معنى لا يضاده فيه إلا هو ، كما إذا قلت: مررت بغيرك،أي المعروف بمضادتك ،إلا أنه في هذا لا يجري صفة ، فيذكر غير جار على الموصوف .

وأما قولهم : الحركة غير السكون فمستكره ؛لأن غيراً هاهنا يجري مجرى الكناية ، فلذلك يتعرّف ، و المثال الجيد قول أبي الطيب [5] :

---

(١) في الأحاجي : أي .

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، انظر في كتاب شرح أشعار الهذليين١/ ١٤٢ .

(٣) الأحاجي النحوية ٤١ .

(٤) هو القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد الخوارزمي النحوي ، صدر الأفاضل حقاً ، وأوحد الدهر في علم العربية صدقاً ، صنف التخمير في شرح المفصل بسيط ، توفي سنة سبع عشرة وستمائة البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١٩٠ وبغية الوعاة ٢/ ٢٥٢ .

(٥) هو أحمد بن الحسين بن الحسن أبو الطيب الكندي المتنبي ، الشاعر المشهور ، واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، سار ذكره سير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، قتلته سرية من الأعراب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ١/ ١٣٩ ووفيات الأعيان ١/ ١٢٠ .

قوله : (على الحال من الضمير المجرور) زاد غيره: أومن ﴿ الذين﴾

قال أبو حيان : وهو خطأ ؛ لأن الحال من المضاف إليه الذي لا موضع له لا يجوز[1] .

قوله : (و العامل﴿ أنعمت﴾)

قال الشيخ سعد الدين : يشير إلى أن مثل هذا ليس من اختلاف العامل في الحال ، وذي الحال ؛إذ العمل في مجموع الجار والمجرور عمل في المجرور، بمعنى أنه غير خارج عن المعمولية، على أن التحقيق أن المنصوب المحل، و المرفوع المحل هو المجرور فقط؛لأن أثر الجار إنما هو في تعدية الفعل وإفضائه إلى الاسم، وبهذا يندفع ما يقال: إن الإسناد إليه من خواص الاسم، و الجار مع المجرور ليس باسم[2] .

قوله : (أو بإضمار أعني)

قال أبو حيان : عزي إلى خليل ، وهو تقدير سهل[3] .

قوله : (أو بالاستثناء)

قال الطيبي : منعه الفراء ؛لأنه حينئذ بمعنى سوى، فلا يجوز أن يعطف عليه ب"لا"؛لأنها نفي، فلا يعطف بها إلا على نفي[4] ، فلا يجوز جاءني القوم إلا زيدا، ولا عمراً ، وأجازه الأخفش،وقال : معناه لا زيدا[5] ، فجاز العطف عليه ب"لا" حملا على المعنى[6] .

وقال أبو حيان : النصب على الاستثناء ، قاله الأخفش ، والزجاج وغيرهما ، وهو استثناء منقطع، ؛إذ لم يتناوله اللفظ السابق ، و"لا "على هذا القول صلة،أي زائدة، مثلها في قوله تعالى﴿ ما منعك ألا تسجد[7] ﴾ [سورة الأعراف ١٢] انتهى.

---

(١) البحر المحيط ١/ ١٦٧ .

(٢) حاشية سعد الدين ل ١٦ .

(٣) البحر المحيط ١/ ١٧٠ .

(٤) في فتوح الغيب : ولا يعطف الجحد إلا على الجحد .

(٥) في فتوح الغيب: وقال: جاءني القوم إلا زيدا معناه ...

(٦) فتوح الغيب ١/ ١٤٣ .

(٧) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٨ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٥٣ والبحر المحيط ١/ ١٦٨ .

قوله : (و الغضب ثوران النفس إرادة الانتقام ، فإذا أسند إلى الله تعالى أريد المنتهى و الغاية)

قال الطيبي : الغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب لإرادة الانتقام ، وهو على الله تعالى محال، فيحمل على إرادة الانتقام

و القانون في أمثاله هو أن جميع الأعراض النفسانية مثل الرحمة ، والفرح ، والسرور، والغضب، و الحياء، و المكر ، و الخداع،والاستهزاء ،لها أوائل ، وغايات، فإذا وصف الله تعالى بشيء منها يكون محمولا على الغايات ، لا على البدايات .

مثاله الغضب ابتداؤه غليان دم القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ،

فلفظ الغضب في حق الله تعالى يحمل على إرادة الانتقام- كما قاله- لا على غليان دم القلب[1] .

وقال الشيخ أكمل الدين لهم : في الجواب عن مثل هذا وجهان:

أحدهما: أنه من باب إطلاق لفظ موضوع لأمر مع غايته على غايته فقط ؛ فإن لفظ الغضب موضوع لغليان الدم لإرادة الانتقام ، فاستعمل لإرادة الانتقام خاصة ، وهو مطرد في أكثر الكيفيات النفسانية.

والثاني: أنه من باب التمثيل البياني.

قال : وأقول : يجوز أن يكون من باب الاشتراك اللفظي ،بأن يكون الغضب موضوعا للأمرين جميعا ، وللثاني خاصة ، و استعماله فيمن يستحيل عليه غليان الدم قرينة لإرادة أحد المعنيين ، كما يقال : الحي مشترك بين الله تعالى وبين غيره اشتراكا لفظيا ، فيكون موضوعا لمن قامت به قوة يفيض عنها سائر القوى الحيوانية، ولباق لا سبيل للفناء عليه .

قال : ولقائل أن يقول : إذا دار اللفظ بين المجاز و الاشتراك فالمجاز أولى ؛ لأن الاشتراك يخل بالمقصود ، و المرجوح عند الراجح كالمعدوم ، فلا معنى لهذا الوجه.

و الجواب –بعد إبطال دلائل ترجيح المجاز-: أن الترجيح موقوف على

---

(١) فتوح الغيب ١/ ١٤٤ سبق التعليق على مسألة تأويل الصفات الاختيارية .

وقوع التعارض بين كون اللفظ مجازا أو مشتركا ، وذلك فاسد لا تحقق له ،و البناء على الفاسد فاسد؛وذلك لأن ذلك لا يتحقق إلا إذا تعذر المدلول ولا قرينة ثمت، وحينئذ إن تردد الذهن كان مشتركا ليس إلا ، وإن سبق إلى خلاف ما وضع له كان مجازا ليس إلا، وإن سبق إلى خلاف ما وضع له لا يكون مشتركا، لانتفاء لازمه، وهو تردد الذهن ، ولا مجازا ؛ لأنه إذ ذاك حقيقة.

نعم أطبق علماء البيان على أن المجاز لكونه دعوى الشيء ببينة أبلغ من الحقيقة ، لكن لا يمنع أن يكون غيره بليغا ، على أن كلامنا في المشترك، وقد يكون الفهم الإجمالي مرادا، فيكون استعمال المجاز خطأ ؛ لكونه على خلاف مقتضى الحال [1] .

قوله : (على ما مر) أي في الرحمن الرحيم

قوله : (و﴿عليهم ﴾ في محل رفع ؛لأنه نائب مناب الفاعل ، بخلاف الأولى)

أي فإنها في محل نصب على المفعولية، كما أفصح به في " الكشاف"[2]

قال الشيخ أكمل الدين : اعترض عليه بأن الذي في محل الرفع والنصب هو المجرور،وأما الجار فهو آلة التعدية ، كالتضعيف والهمزة ، وليس لها في إعراب ما بعدها مدخل .

وأجيب بأن المصنف لعله اختار ما ذكره أبو عليّ في " الحجة" من تعلقه بالجانبين، حيث قال : كثيرا ما يجتمع في الشيء الواحد الشبه من وجهين، ومن أصلين ، فمن ذلك حروف الجر في مررت بزيد ونحوه،هو من جهة بمنزلة جزء من الفعل ، ومن أخرى بمنزلة جزء من الاسم .

أما الجهة الأولى فلأنه قد أنفذ الفعل إلى المفعول وأوصله ، كما أن الهمزة في نحو أذهبت قد فعلت ذلك ، وكما أن تضعيف العين في خَرَّجْتُهُ قد فعل ذلك.

وأما الثاينة فلأنه قد عطف عليه بالنصب في مررت بزيد وعمرا لما كان موضع الجار والمجرور نصبا، ومن ثم قدم الاسم[3] في بمن تمرر أمرر به[4] .

واعترض عليه بأن العطف بالنصب لا دلالة له على أن الجار و المجرور

---

(١) حاشية أكمل الدين ل١٧ .

(٢) الكشاف ١/ ٧٢ .

(٣) في الحجة : قدمت على الاسم .

(٤) الحجة للقراء السبعة ١/ ١٥٧ .

معطوف عليه؛ لجواز أن يكون العطف على محل المجرور خاصة.

وأقول : لعله غير صحيح ؛ لأن الإعراب المحلي إنما يستعمل فيما لم يكن لـه إعراب لفظي ، و المجرور ليس كذلك ، والجار والمجرور كذلك[1] . انتهى.

قوله : (و﴿لا﴾ مزيدة لتأكيد ما في ﴿ غير﴾ مـن معنـى النفـي، فكأنـه قـال: لا المغضوب عليهم ،ولا الضالين، ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب، كما جاز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب)

قال أبو حيان في إعرابه:و﴿ لا﴾ في قوله﴿ ولا الضالين﴾ لتـأكيد معنـى النفـي ؛لأن غيرا فيه معنى النفي ، كأنه قيـل: لا المغضـوب عليهـم، ولا الضـالين،وعيـن دخولها العطف على قوله﴿ المغضوب عليهم ﴾ لمناسبـة "غيرِ " ولئلا يتوهم بتركها عطـف ﴿الضالين﴾ على ﴿ الذين ﴾

ولتقارب معنى "غير" من معنى " لا " أتى الزمخشري بمسألة ليبين بها تقاربهما فقال: "وتقول : أنا زيدا غير ضارب ، مع امتناع قولك : أنا زيدا مثل ضارب ؛ لأنـه بمنـزلة قولك: أنا زيدا لا ضارب"

يريد أن العامل إذا كان مجرورا بالإضافة فمعموله لا يجوز أن يتقدم عليه ، ولا على المضاف ، لكنهم تسمحوا في العامل المضـاف إليـه "غـيرٌ " وأجـازوا تقديـم معموله على "غير" إجراء ل"غير" مجرى "لا" فكما لا يجوز تقديم معمول ما بعدها عليها فكذلك "غير".

وأورد الزمخشري هذه المسألة على أنها مسألة مقررة مفروغ منها ليقـوي بهـا التناسب بين "غير" و"لا" إذ لم يذكر فيها خلافا .

وهذا الذي ذهب إليه الزمخشري مذهب ضعيف جدا ، وبناه على جواز أنـا زيدا لا ضارب ، وفي تقديم معمول ما بعد "لا" عليها ثلاث مذاهب، وكـون اللفـظ يقارب اللفظ في المعنى لا يقضي له بأن تجري أحكامه عليه ،ولا نثبـت تركيبـا إلا بسماع من العرب، ولم نسمع أنا زيدا غـير ضـارب ، وذكـر الأصحـاب قـول مـن جوزه، وردوه[2] . انتهى كلام أبي حيان .

وفي حاشية الطيبـي: قال الزجاج: النحويون يجوزون أنت زيدا غير ضـارب ،

---

(١) حاشية أكمل الدين ل١٧ .

(٢) البحر المحيط ١/ ١٧٢ .

ولا يجوزون أنت زيدا مثل ضارب؛ لأن زيدا من صلة ضارب، فلا يتقدم عليه [1].

قال الطيبي : وذلك أن وقوع ا لمعمول فيما لا يقع فيه عامله ممتنع ، فامتنع قولك: أنا زيدا مثل ضارب ؛ لأن "مثل " مضاف إلى ضارب ، و"زيدا " معموله ، فكما لا يجوز تقديم "ضارب "على المثل ؛لأنه مضاف إليه للمثل لا يجوز تقديم "زيدا" عليه ، وقولك : أنا زيدا غير ضارب إنما يجوز لأن غير لما كان متضمنا معنى النفي كان بمنزلة أنا زيدا لا ضارب ، والإضافة في "غير" كلا إضافة.

وقال الشيخ أكمل الدين : قالوا إن من الأصول المقررة عند النحاة أن وقوع المعمول في موضع لا يقع فيه عامله ممتنع ، ففي قولك أنا زيدا مثل ضارب لا يجوز تقديم "ضارب" على "مثل" ؛ لئلا يلزم تقديم المضاف إليه على المضاف ، وفي قولك : أنا زيدا غير ضارب جاز ؛ لأن "غيرا "بمعنى "لا" ، وجاز أنا زيدا لا ضارب .

واعترض عليه بأنه مخالف للأصل المذكور ؛ لوقوع المعمول في موضع لا يقع فيه عامله ، حيث لا يجوز أنا زيدا ضارب لا ، وهو غلط؛لأن "لا" ليس بعامل في ضارب.

ومعنى قولهم : لا يقع فيه عامله ، عامله الذي هو معمول [2] .

وقال الشيخ سعد الدين : قدم في المثال مفعول اسم الفاعل المنفي عليه ، و امتناع تقديم ما في حيز النفي عليه إنما هو في "ما" و"إن"، دون"لا" و"لم"و"لن" وذلك لأن "ما" تدخل على القبيلتين،فتشبه الاستفهام ، و"لم" و"لن" يختصان بالفعل، ويكونان كالجزء منه ،وأما "لا" وإن دخلت على القبيلتين إلا أنها حرف متصرف فيها جاز عمل ما قبلها فيما بعدها ، مثل جئت بلا شيء ، وأريد أن لا تخرج، فجاز العكس أيضا[3] .

وقال بعض أرباب الحواشي: قول الزمخشري:" لما في غير من معنى النفي[4]" إشارة إلى قاعدة ، وهي أن الكلام إذا كان فيه نفي[5] وفسر بمثبت جاز أن

(١) فتوح الغيب ١/ ١٤٦ .

(٢) حاشية أكمل الدين ل١٧ .

(٣) حاشية سعد الدين ل١٦ .

(٤) الكشاف ١/ ٧٢ .

(٥) في د ، ق : معنى نفي .

تأتي في المثبت بالنفي" وأن تحذفه . أنشد ابن عطية [1] :

ما كـان يَرْضَـي رَسـولُ اللـهِ فِعْلَهُـمُ والطَّيِّبـانِ أَبُـو بَكْـرٍ،وَلا عُمَـرُ [2]

وقياسه : والطيبان أبو بكر وعمر، لكن لما صدر الكلام بقوله :"ما كان" جاز أن يقول : ولا عمر أيضا يرضى، وتقول : زيد ليس بظالم ، يسبي الحريم ، ويأخذ الأموال ، فقولك : يسبي الحرام ، ويأخذ الأموال جملتان صورتهما صورة المثبت، وهما منفيان بنفي ما فسرته بهما، فلك ثلاثة أوجه :

لك أن تدخل "لا" على كليهما فتقول زيد ليس بظالم، لا يسبي الحريم ، ولا يأخذ الأموال ، ولك أن تنفيهما عنهما كما مثلت أولا ، ولك أن تحذفها عن الأول وتثبتها في الثاني ، ولم أر القسم الرابع في كلامهم ، والثالث أفصح الثلاثة، كما في قوله تعالى﴿ إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث﴾ [سورة البقرة ٧١] وقوله تعالى ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ [سورة الأحقاف ٩] وكما في البيت الذي أنشده ابن عطية انتهى .

قوله :(وقرئ وغير الضالين)

أخرجه سعيد بن منصور ، وأبو عبيد ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [3]

قوله : (وقيل ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ اليهود) إلى آخره

هذا من العجب العجاب [4] ، تضعيفه التفسير الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، وجميع الصحابة والتابعين ، واختراعه تفسيرا برأيه ، وجعله أنه المتجه .

---

(١) هو عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية أبو محمد المحاربي الغرناطي ، كان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية ، ألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع ، توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٧ وطبقات المفسرين ١/ ٢٦٠.

(٢) لجرير ، انظر في ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ١/ ١٥٩ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ١٢٨ .

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ٢/ ١٠٥ وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ٥٣٤ وأبوبكر بن أبي داود في كتاب المصاحف ١/ ٢٨٠ من طرق عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقرأ ....

صحح الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٤١والحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ١٥٩ سنده . وتحمل على أنها من الحروف التي نسخت في العرضة الأخيرة ؛ لعدم موافقتها لرسم المصحف العثماني .

(٤) في ظ : عجب العجائب .

أخرج أحمد في " مسنده" والترمذي – وحسنه- و ابن حبـان فـي " صحيحـه" وغيرهم ، عن عدي بن حاتم قال :قال رسول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلّم: ((إن المغضوب عليهم هم اليهود ، وإن الضالين النصارى[1])) .

وأخرجه ابن مردويه عن أبي ذر بلفظ سألت رسول الله صلى الله عليـه وسـلّم عن قول الله﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ قال : ((هـم اليهـود)) ﴿ ولا الضـالين﴾ قال: ((النصارى[2])) .

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم التفسير بذلك عن ابن عباس ، وابن مسعود، والربيع بن أنس[3] ، وزيد بن أسلم[4] ، وابنه [5] عبد الرحمن[6] .

قال ابن أبي حاتم : ولا أعلم في ذلك خلافا بين المفسرين[7] .

فهذه منه حكاية إجماع ، فكيف يجوز العدول عنه، وعن النـص المرفـوع إلـى قول بالرأي؟.

وأعجب من ذلك من حكى في تفسير الآية عدة أقوال، كالإمام [8]، والمـاوردي[9]،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٢/ ١٢٤ والترمذي ٥/ ٧١ ح٢٩٥٤ وابن جرير في جامع البيان ١/ ١٨٥ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٦٣ وابن حبان (الإحسـان ١٤/ ١٤٠) مـن طـرق عن عدي . حسنه الترمذي .

(٢) قال الحافظ بن حجر في فتح الباري ٨/ ١٥٩ أخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر .

(٣) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني ، كان عالم مروٍ في زمانه ، سجن بمرو ثلاثين سنة توفي سنة تسع وثلاثين ومائة . سير أعلام النبلاء ٦/ ١٦٩ وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٣٨ .

(٤) هو زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه ، كان لـه حلقـة للعلـم فـي مسـجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله تفسـير رواه عنـه ابنـه عبـد الرحمـن ، توفـي سنة ست وثلاثين ومائة . سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٦ وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٩٥ .

(٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، صاحب قـرآن وتفسير ، جمـع تفسـيراً فـي مجلد ، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ ، توفـي سـنة اثنتيـن وثمـانين ومائـة . سـير أعـلام النبـلاء ٨/ ٣٤٩وتهذيب التهذيب ٦/ ١٧٧ .

(٦) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ١٨٨ عن المذكورين جميعاً ، وأما ابن أبي حاتم فلم يـروه إلا عن ابن عباس فقط بلفظ : وغير الضالين : وهم النصارى .

(٧) تفسير القرآن العظيم ١/ ١٦٤ .

(٨) التفسير الكبير ١/ ٢٦١ .

(٩) لم يحك الماوردي عدة أقوال ولا قولين في تفسير الآية ، بل نقل حديـث عـدي بـن حـاتم فـي تفسير الآية ، ثم قال : وهو قول جميع المفسرين . النكت والعيون ١/ ٥٩ .

وسليم [1] ، وكل ذلك [2] ساقط ، لا يعول عليه.

قال الراغب : فإن قيل : كيف فسر على ذلك ، وكلا الفريقين ضال ، ومغضوب عليه ؟

قيل : خص كل فريق منهم بصفة كانت أغلب عليهم وإن شاركوا غيرهم في صفات ذم [3] .

قوله : (وقرئ ولا الضألين بالهمزة)

قال ابن جني: قرأها أيوب السختياني، فسئل عن الهمزة فقال : هي بدل من المدة؛لالتقاء الساكنين ، ونظيره قراءة عمرو بن عبيد : إنس ولا جأنٌ ، وسمع شأبّة، ومأدّة [4] .

قوله : (علىلغة من جدّ في الهرب)

قال الطيبي : لأن التقاء الساكنين فيما إذا كان أولهما حرف لين ، والثاني مدغما فيه مغتفر، وإذا هرب عن هذا الجائز فقد جدّ في الهرب [5] .

وقال السمين : قد فعلوا ذلك حيث لا ساكنان ، قال الشاعر:

وخِنْدِفٌ هَامة هذا العَأْلَمِ [6]

بهمز العالم،و الظاهر أنها لغة مطردة ، فإنهم قالوا في قراءة ابن ذكوان [7] ﴿منسأ ته﴾ بهمزة ساكنة [8] : إن أصلها ألف ، فقلبت بهمزة ساكنة [9] . انتهى.

---

(١) لم يحك سليم في تفسيره عدة أقوال في تفسير الآية ، بل قال : " غير المغضوب عليهم " أي غير اليهود الذين غضبت عليهم " ولا الضالين " أي و لا النصارى الذين ضلوا عن سبيلك . تفسير ضياء القلوب لأبي الفتح سليم بن أيوب ١/ ٦٣ .

(٢) في ظ : وذلك كله .

(٣) مقدمة جامع التفسير ١٤٠ .

(٤) في ح : دأبة وانظر في المحتسب ١/ ٤٧.

(٥) فتوح الغيب ١/ ١٤٦ .

(٦) للعجاج ، انظر في ديوان العجاج ٢٩٩ .

(٧) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمرو البهراني ، الإمام مقرئ دمشق وإمام جامعها قرأ على أبي الحسن الكسائي ، توفي سنة اثنتين وأربعمائة ومائتين . معرفة القراء الكبار ١/ ٤٠٢ وغاية النهاية ١/ ٤٠٤ .

(٨) لم أقف عليها .

(٩) الدر المصون ١/ ٧٥ .

قوله : (آمين ، اسم فعل الذي هو استجب)

الشيخ سعد الدين: هذا تحقيق لكونه اسما ، مع أن مدلوله طلب الاستجابة، كاستجب، بمعنى أن دلالته على معنى استجب ليس من حيث إنه موضوع لذلك المعنى؛ليكون فعلا ، بل من حيث إنه موضوع لفعل دالٍّ على طلب الاستجابة ، وهو استجب ، كوضع سائر الأسماء لمدلولاتها .

وتحقيق ذلك أن كل لفظ وضع بإزاء معنى اسما كان ،أو فعلا، أو حرفا ، فله اسم علم ،هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم ، أو الفعل ، أو الحرف، كما تقول في قولنا: خرج زيد من البصرة: "خرج" فعل ، و"زيد" اسم ، و"من" حرف جر، فتجعل كلا من الثلاثة محكوما عليه، لكن هذا وضع غير قصدي، لا يصير به اللفظ مشتركا ، ولا يفهم منه معنى مسماه.

وقد اتفق لبعض الأفعال أن وضعت لها أسماء أخر غير ألفاظها ، تطلق ويراد بها الأفعال من حيث دلالتها على معانيها ، وسموها أسماء الأفعال ، فآمين اسم موضوع بإزاء لفظ " استجب" أو ما يرادفه من صيغ طلب الاستجابة ، لكن لايطلق ويقصد به نفس اللفظ ، كما في الأعلام المذكورة، بل ليقصد به "استجب " الدال على طلب الاستجابة ، حتى يكون "آمين " مع أنه اسم لا ستجب كلاما تاما، بخلاف استجب الذي هو أمر .

ولما كانت اسمية أسماء الأفعال مبنية على هذا التدقيق ذهب بعض النحاة إلى أنها أسماء المصادر السادة مسد الأفعال ، وإن جعلها أسماء الأفعال ، ومفيدة لمعانيها قصرا للمسافة، ولهذا قال الزجاج : إن " آمين "حرف موضوع موضع ا لاستجابة ، كما أن " صه " موضوع موضع السكوت ، إلا أنهم احتاجوا إلى الفرق بينها وبين المصادر المنصوبة السادة مسد الأفعال ، سيما التي لا أفعال لها، ولا تصرف فيها ، حيث بنيت هذه ، وأعربت تلك [1] .

وقال ابن جني في " الخصائص : فإن قيل : ما الفائدة في وضع أسماء الأفعال؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : السعة في اللغة للاحتياج في قافية، أو وزن

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٥٤ وحاشية سعد الدين ل١٦ .

والثاني : المبالغة ، وذلك أنك في المبالغة لابد أن تترك موضعا إلى موضع ، إما لفظا إلى لفظ ، وإما جنسا إلى جنس، كما تعدل عن عريض إلى عراض، وعن حسن ووضيء وكريم إلى حسان ، ووضاء ، وكرام ؛ لأنها أبلغ .

و الثالث : ما في ذلك من الإيجاز و الاختصار، وذلك أنك تقول صه للواحد و الاثنين و الجمع والمؤنث ، بخلاف اسكت، فلما اجتمعت هذه الفوائد وضعت، ومع ذلك فإنهم أبعدوا أحوالها من أحوال الفعل المسمى بها، وتناسوا تصريفه لتناسيهم حروفه .

ويدل على ذلك أنه لا ينصب المضارع بعدها مقرونا بالفاء، لا تقول: صه فتسلم؛لأنه إنما نصب في جواب الفعل لتصور معنى المصدر فيه ؛لأن معنى "زرني فأكرمك" لتكن زيارة منك، فإكرام مني، فزرني دل على الزيارة؛لأنه من لفظه، وليس كذلك صه؛لأنه ليس من الفعل في قبيل ولا دبير ،وإنما هو صوت أوقع موقع حروف الفعل، فلما لم يكن فعلا، ولا من لفظه قبح أن يستنبط منها معنى المصدر ؛ لبعدها عنه . انتهى[1] .

قوله :(وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن معناه فقال: افعل)

أخرجه الثعلبي من طريق الكلبي [2] ، عن أبي صالح[3] ، عنه[4]

قوله : (.................. وَيَرْحَمُ الله عَبْداً قَالَ آمِينَا

صدره :

يَا رَبِّ لا تَسْلُبَنِّيْ حُبَّهَا أَبَداً[5] ... ...

---

(١) الخصائص ٣/ ٤٦ .

(٢) هو محمد بن السائب بن بشر أبو النضر الكلبي المفسر ، كان رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث ، أخذ عن أبي صالح السمان ، توفي سنة ست وأربعين ومائة . سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨ وطبقات المفسرين ٢/ ١٤٤ .

(٣) هو ذكوان بن عبد الله أبو صالح السمان ، مولى أم المؤمنين جويرية ، كان من كبار العلماء بالمدينة ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة ، توفي سنة إحدى ومائة . سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦ وتهذيب التهذيب ٣/ ٢١٩ .

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢/ ٥٩٤ قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي ١/ ٣ إسناده واه .

(٥) عزاه أبو سهل محمد بن علي الهروي في كتاب إسفار الفصيح ٢/ ٨٤٩ إلى ابن أبي ربيعة ، وليس في ديوانه ، وفي كتاب التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل أيضاً ٨٦ إلى مجنون ليلى ، وهو في ديوانه ٢٨٣ وعزاه إليه أيضاً الخطيب التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق ٤٣٩ .

وقبله:

بَاتَتْ رَقُـوْداً، وسَـارَ الرَّكْـبُ مُدَّلِجًـا وَمَـا الأَوَاْنِـسُ فِـي فِكْــرٍ لِسَارِيْنَــا

كَـأَنَّ رِيْقَتَهـا مِسْـكٌ عَلــى ضَــرَبٍ شِـيْبَتْ بِـأَصْهُبَ مِـنْ بيـع الشَــآمِيْنَا

كذا أورده صاحب[1] الحماسة البصرية[2] ، ولم يسم قائله

قوله : (...................... آمِيْنَ فَزادَ اللهُ مَا بَيْنَنَا بُعْداً)

قال البطليوسي في "شرح الفصيح[3] " : هـو لجبير بـن الأضبـط،وكـان سـأل الأسدي حمالة فَحَرَمَهُ، فقال :

تَبَـاعَدَ مِنِّــيْ فُطْحُــلٌ أَنْ[4] سَــأَلْتُهُ أَمِيْـنَ فَــزادَ اللــهُ مَــا بَيْنَنَــا بُعْــداً

قال : وفطحل اسم الأسدي ، وفيه روايتان: روية الكوفيين بضم الفاء ، وروايـة البصريين بفتحها ، وكان يجب أن يقع "أمين" بعد قوله :

... ... فــزاد اللــه مــا بيننــا بعـــــدا

لأن التأمين يقع بعد الدعاء.

وذكر ابن درستويه أن القصر ليس بمعروف، وإنمـا قصـره الشـاعر فـي هـذا ا لبيت للضرورة ، وروي البيت :

... ... فــآمين زاد اللــه مــا بيننــا بعـــدا

بالمد وتقديم الفاء ، فلا يكون فيه احتجاج[5] . انتهى.

وقال التبريزي في " شرح أبيات إصلاح المنطق": الوجه أن يقال: "فزاد الله ما بيننا بعدا آمين" فقدم وأخر للضرورة[6] .

وقال غيره: الرواية :

... ... فــآمين زاد اللــه ... ...

وعلى هذا فلا شاهد فيه على القصـر قولـه: (لقولـه عليـه الصـلاة والسـلام :

---

(١) لم أعرفه .

(٢) الحماسة البصرية ٢/ ٢٢٩ .

(٣) نسبه إليه السيوطي في المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٢٠١ وهو مفقود .

(٤) في ح : إذ .

(٥) تصحيح الفصيح وشرحه ٤٦٦ .

(٦) تهذيب إصلاح المنطق ٤٣٩ .

((علمني جبريل عند الفراغ[1] من قراءة الفاتحة، وقال: إنه كالختم على الكتاب)))

روى ابن أبي شيبة في " مصنفه" والبيهقي في" الدلائل": عن أبي ميسرة أن جبريل أقرأ النبي صلى الله عليه وسلّم فاتحة الكتاب ، فلما قال:﴿ ولا الضالين﴾ قال له : قل : آمين، فقال : آمين[2] .

وروى أبو داود في " سننه " عن أبي زهير النميري[3] أحد الصحابة أنه قال : آمين مثل الطابع على الصحيفة، أخبركم عن ذلك: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح في المسألة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: ((أوجب إن ختم)) فقال رجل من القوم: بأي شيء يختم؟ فقال : ((بآمين[4]))

وقد عرف بهذا أن المصنف أورد حديثين ، لا حديثا واحدا، وأن الضمير في قوله وقال ،للنبي صلى الله عليه وسلّم ، لا لجبريل.

قال الشيخ أكمل الدين ، والشيخ سعد الدين في قوله: "كالختم على الكتاب".

يعني أنه يمنع الدعاء من فساد الخيبة ، كما أن الطابع على الكتاب يمنع فساد ظهور ما فيه على الغير.

زاد الشيخ أكمل الدين: ومعنى قوله : "أوجب" إجابة الدعاء[5]

قوله : (وفي معناه قول علي رضي الله تعالى عنه عند آمين : خاتم رب العالمين ، ختم به دعاء عبده)

لم أقف عليه عن علي ، وإنما أخرجه الطبراني في "الدعاء" وابن عدي في " الكامل" وابن مردويه في " التفسير" بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ((آمين خاتم رب العالمين على عباده

---

(١) كذا في النسخ ، وفي طبعات أنوار التنزيل : جبريل آمين عند فراغي .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٤٢٥ .

(٣) هو أبو زهير النميري ، قيل : اسمه يحيى بن نفير ، وقيل : حاتم . الآحاد والمثاني ٣/ ١١٨ والاستيعاب ٤/ ١٦٦٢ والإصابة ٧/ ١٥٦ .

(٤) رواه أبو داود ٢/ ٣٦ح٩٣٥ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣/ ١١٩ والطبراني في كتاب الدعاء ٢/ ٨٨٨ من طريق أبي مصبح المقرائي ، عن أبي زهير النميري حسن السيوطي سنده في الدر المنثور ١/ ٤٣ .

(٥) حاشية سعد الدين ل١٦ وحاشية أكمل الدين ل١٧ .

المؤمنين[1]))

قوله :(لما روي عن وائل بن حجر أنه صلى الله عليه وسلّم كان إذا قرأ ﴿ ولا الضالين﴾ قال: ((آمين)) ورفع بها صوته) .

أخرجه أبو داود ، والترمذي ، و الدارقطني- وصححه- و ابن حبان [2] .

قوله : (و المشهور عنه أنه يخفيه كما رواه عنه عبد الله بن مغفل ، وأنس)

قال الشيخ ولي الدين العراقي: لم أقف عليه [3] .

وأخرج الطبراني في " الكبير" عن أبي وائل[4] قال : كان علي ، وعبد الله- يعني ابن مسعود- لا يجهران بالتأمين[5]

قوله : (لقوله عليه الصلاة والسلام :((إذا قال الإمام : ﴿ ولا الضالين﴾ فقولوا: آمين، فإن الملائكة تقول : آمين ،فمن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه [6])))

أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، ووقع في " أمالي الجرجاني[7] " في آخر هذا الحديث زيادة [8] : ((وما تأخر [9])) وعليها اعتمد الغزالي في "

---

(١) رواه الطبراني في كتاب الدعاء ٢/ ٨٨٩ وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٢٤٣٢ وفي سنده مؤمل بن عبد الرحمن أبو العباس . قال ابن عدي : وعامة حديثه غير محفوظة .

(٢) رواه أحمد ٣١/ ١٣٦ وأبو داود ٢/ ٣٤ ح ٩٢٩ والترمذي ١/ ٢٨٨ ح ٢٤٨ وابن حبان (الإحسان ٥/ ١٠٩) والدارقطني ١/ ٣٣٤ والحاكم وصححه ٢/ ٢٣٢ .

(٣) حاشية ولي الدين العراقي ل٩ .

(٤) هو شقيق بن سلمة أبو وائل الكوفي ، مخضرم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وما رآه ، حدث عن علي وعبد الله ، كان رأساً في العلم والعمل ، توفي سنة اثنتين وثمانين . سير أعلام النبلاء ٤/ ١٦١وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٦١ .

(٥) رواه الطبراني في المعجم ٩/ ٣٠٢ من طريق أبي سعد البقال ، عن أبي وائل . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٨١ وفيه أبو سعد البقال ، وهو ثقة مدلس .

(٦) رواه أحمد ١٦/ ١٧ والبخاري ١/ ٢٧٠ ح٧٤٧ ومسلم ١/ ٣٠٧ح ٤١٠ وأبو داود ٢/ ٣٥ ح٩٣٢ والترمذي ١/ ٢٩٠ح ٢٥٠ والنسائي في المجتبى ٢/ ١٤٤ح٩٢٨ وفي السنن الكبرى ١/ ٤٧٨ح١٠٠٢ وابن ماجه ١/ ٤١١ح٨٥٩ .

(٧) هو محمد بن إبراهيم بن جعفر أبو عبد الله الجرجاني ، الشيخ الثقة العالم ، مسند أصبهان ، صاحب الأمالي الأربعين، توفي سنة ثمان وأربعمائة. سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨٦ وشذرات الذهب ٥/ ٥١.

(٨) الوسيط في المذهب ٢/ ١٢٢ .

(٩) قال الحافظ ابن حجر : هي زيادة شاذة . فتح الباري ٢/ ٢٦٥ وانظر في الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة للحافظ ابن حجر ٣٥ ٣٧ .

الوسيط[١] ".

وأحسن ما فسر به هـذا الحديث ما رواه عبد الرزاق ، عن عكرمة قال : صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء ، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد[٢] .

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : مثل هـذا لا يقال بالرأي ، فالمصير إليه أولى[٣] .

قوله : (وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال لأبيّ: ((ألا أخبرك بسورة)) الحديث)

أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح ، و النسائي ، و الحاكم ، وصححه علىشرط مسلم [٤] .

قوله : (وعن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم جالس إذ أتاه ملك .. الحديث) أخرجه مسلم[٥] .

قوله : (وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : ((إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا ، فيقرأ صبي من صبيانهم في الكُتّاب ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة)))

أخرجه الثعلبي في " تفسيره [٦] " ، وهو موضوع .

قال الشيخ ولي الدين العراقي : في سنده أحمد بن عبد الله الجويباري[٧] ،

---

(١) الوسيط في المذهب ٢/ ١٢٢ .

(٢) المصنف ٢/ ٩٨ .

(٣) فتح الباري ٢/ ٢٦٥ .

(٤) رواه أحمد ١٥/ ٤٩١ والبخاري ٤/ ١٧٣٨ح ٤٤٢٧ والترمذي ٥/ ٥ح٢٨٧٥ والنسائي في السنن الكبرى ١/ ٤٧٣ح٩٨٨ والحاكم ٢/ ٢٥٨ .

(٥) رواه مسلم ١/ ٥٥٤ح ٨٠٦ والنسائي في المجتبى ٢/ ١٣٨ح٩١٢ وفي السنن الكبرى ١/ ٤٧٢ح٩٨٦ .

(٦) الكشف والبيان ١/ ٤٢٧ .

(٧) هو أحمد بن عبد الله أبو علي الجويباري ، من أهل هراة ، دجال من الدجاجلة ، كذاب ، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل الجرح فيه . كتاب المجروحين من المحدثين ١/ ١٥٣ وميزان الاعتدال ١/ ١٠٦ .

ومأمون بن أحمد الهروي [1] ،كذّابان ، وهو من وضع أحدهما[2] .

وقال الطيبـي: المكتب ، والكُتَّاب مكان التعليم ، وقيل: الكتاب الصبيان[3] .

الجوهري : الكُتَّاب الكتبة ، و الكُتَّاب أيضا والمكتب واحد[4] .

وعن المبرد من قال للموضع : الكتاب فقد أخطأ[5] .

وتعقبه الشيخ أكمل الدين بأن الأزهري نقل[6] عن الليث[7] - تلميذ الخليل- إطلاقه على المكان أيضا ، موافقا لما ذكره الجوهري في "صحاحه[8] ".

وفي معنى الحديث ما أخرجه الدارمي في مسنده عن ثابت بن عجلان الأنصاري[9] قال : كان يقال : إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض ، فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم[10] .

يعني بالحكمة القرآن ، ولفظ "كان يقال" حكمه الرفع ، فإن صدر من صحابي كان مرفوعا متصلا ، أومن تابعي فمرفوع مرسل .

وقال الإمام أحمد في " الزهد" : حدثنا سيار[11] ، ....

---

(١) هو مأمون بن أحمد أبو عبد الله السلمي ، من أهل هراة ، كان دجالاً من الدجاجلة ، ظاهر أحواله مذهب الكرامية ، وباطنها ما لا يوقف على حقيقته . كتاب المجروحين من المحدثين ٢/ ٣٨٣ وميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٩ .

(٢) حاشية ولي الدين العراقي ل٩ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ١٤٩ .

(٤) الصحاح / مادة كتب .

(٥) انظر في تهذيب اللغة / مادة كتب .

(٦) في د ، ق : حكى .

(٧) هو الليث بن نصر بن سيار الخراساني النحوي اللغوي ، صاحب الخليل ابن أحمد ، كان من أكتب الناس في زمانه ، بارعاً في الأدب ، بصيراً بالشعر والغريب والنحو . إنباه الرواة ٣/ ٤٢ وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٠ .

(٨) تهذيب اللغة / مادة كتب ، وحاشية أكمل الدين ل١٧ .

(٩) هو ثابت بن عجلان أبو عبد الله الأنصاري الشامي ، روى عن أنس بن مالك ، روى عنه إسماعيل ابن عياش ، ثقة . تاريخ مدينة دمشق ١١/ ١٣٢ وتهذيب الكمال ٤/ ٣٦٣ .

(١٠) مسند الدارمي ٤/ ٢١٠٧ وتاريخ مدينة دمشق ١١/ ١٣٥ .

(١١) هو سيار ابن حاتم أبو سلمة العنزي البصري ، روى عن جعفر بن سليمان الضبعي ، روى عنه أحمد بن حنبل ، كان جماعاً للرقائق ، صالح الحديث ، توفي سنة مائتين . تهذيب الكمال ١٢/ ٣٠٧ وميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٣ .

حدثنا جعفر[1] قال : سمعت مالك بن دينـار[2] يقـول : إن اللـه عـز وجـل يقـول : ((إني أريد أن أعذّبَ عبادي ، فإذا نظرت إلى جلساء القـرآن ، وعمّـار المسـاجد ، وولدان الإسلام سكن غضبي [3])).

يقول : صرفت عذابي.

تنبيه: عادة المفسرين ذكر ما ورد في فضل السور في أولها ؛لما فيه من الترغيب و الحث على حفظها ، وذكره الزمخشري-وتبعه المصنف – في آخرها .

وقد سئل الزمخشري عن وجه ذلك،فأجاب بأن الفضائل صفات لها ، والصفة تستدعي تقديم الموصوف .

---

(١) هو جعفر بن سليمان أبو سليمان الضبعي البصري ، روى عن مالك ابن دينار ، روى عنه سيار ابن حاتم ، ثقة ، توفى سنة ثمان وسبعين ومائة . تهذيب الكمال ٥/ ٤٣ وسير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٦ .

(٢) هو مالك بن دينار أبو يحيى البصري الزاهد ، روى عن أنس بن مالك ، روى عنه جعفر بن سليمان الضبعي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، كان من المتعبدة الصبر ، والمتقشفة الخشن ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، ويتقوت بأجرته ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة .
كتاب الثقات ٥/ ٣٨٣ وتهذيب الكمال ٢٧/ ١٣٥ .

(٣) كتاب الزهد ١٦٢ .

قوله : (وسائر الألفاظ التي يتهجا بها)

في " الأساس" : هو يهجو الحروف ويتهجاها، يعددها ، ومن المجاز فلان يهجو فلانا هجاء ، يعدد معايبه[1] .

الشريف : التهجي تعديد الحروف بأسمائها[2] .

الشيخ أكمل الدين : قالوا : التهجي تعديد الحروف ، فإنك إذا قلت: "ضرب" مركب من ض رب فقد عددت الحروف البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل أن تجعل له صيغة [3] .

قوله : (لدخولها في حد الاسم)

قال الإمام فخر الدين: لأن الضاد مثلا لفظة مفردة دالة بالتواطئ على معنى مستقل بنفسه، من غير دلالة على الزمان المعين لذلك المعنى، وذلك المعنى هو الحرف الأول من " ضرب" [4] .

قوله: (واعتوار ما يختص به) أي تداوله

قوله : (من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك)

قال في " الكشاف": " كالإمالة والتفخيم والوصف والإسناد و الإضافة ، وجميع ما للأسماء المتصرفة"[5]

قال الشيخ سعد الدين : كالتثنية و النسبة والنداء[6]

قوله : (وبه صرح الخليل وأبو عليّ)

في " الكشاف":" قال سيبويه: قال الخليل يوما- وسأل أصحابه-: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في " ذلك"و الباء التي في" ضرب" ؟ فقيل : نقول: با، كافْ، فقال : إنما جئتم بالاسم ، ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: "كه"، "به"

---

(١) أساس البلاغة / مادة هجو .

(٢) حاشية الشريف ١/ ٧٦ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل١٧ .

(٤) التفسير الكبير ٢/ ٢ .

(٥) الكشاف ١/ ٧٩ .

(٦) حاشية سعد الدين ل١٧ .

وذكر أبو علي في كتاب " الحجة" في " يس" وإمالة " يا" : أنهم قالوا: يا زيد في النداء، فأمالوا وإن كان حرفا، قال: فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا الاسم الذي هو "يس" أجدر ، ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها[1] .

قوله : (وما روي عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف، ولام حرف ، وميم حرف[2]))) .

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٦ والكشاف ١/ ٨٠ .

(٢) اختلف في إسناد هذا الحديث اختلافاً كثيراً في رفعه ووقفه ، فروى البخاري في كتاب التاريخ الكبير ١/ ٢١٦ والترمذي ٥/ ٣٣ ح٢٩١٠ والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٥٤٨ من طريق أيوب بن موسى ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً .

ورواه شريك عند ابن المبارك في كتاب الزهد ٢٧٩ وابن عيينة عند عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٧٥ ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٣٩ وإبراهيم بن طهمان عند البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٥٤٩ وأبو شهاب عند سعيد بن منصور في سننه ١/ ٤٣ كله من طريق إبراهيم الهجري أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود موقوفاً .

وخالفهم جرير عند ابن الضريس في فضائل القرآن ٤٦ ومحمد بن عجلان عند البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٤٩٣ وصالح بن عمر عند الحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٥ فرووه عن إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود مرفوعاً . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر . قال الذهبي : إبراهيم بن مسلم ضعيف .

ورواه شعبة عند سعيد بن منصور في سننه ١/ ٣٥ والطبراني في المعجم الكبير٩/ ١٤٠ وحماد بن زيد أيضاً ومسعر عند البيهقي ٤/ ٥٥١ وأبو الأحوص عند الفريابي في فضائل القرآن ١٦٩ وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٦٢ ، وجعفر بن سليمان الضبعي عند ابن الضريس في فضائل القرآن ٤٦ كلهم عن عطاء ابن السائب ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود موقوفاً .

= واختلف على سفيان الثوري ، فرواه عنه قبيصة عند الدارمي في مسنده ٤/ ٢٠٨٤ عن عطاء ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود موقوفاً .

وخالفه أبو عاصم عند الخطيب في تاريخ مدينة السلام ١/ ٢٨٥ فرواه عنه به مرفوعاً .

ورواه قتادة عند ابن الضريس في فضائل القرآن ٤٦ وأبو حصين عند سعيد بن منصور في سننه ١/ ١٧ كلاهما عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود موقوفاً .

وخالفهما عاصم فرواه عند البيهقي ٤/ ٥٥١ عن أبي الأحوص به مرفوعاً .

ورواه أبو عبيد عند عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٦٧ ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٣٩ وقيس بن سكن عند ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٦١ وعلقمة أو الأسود عنده أيضاً كلهم عن ابن مسعود موقوفاً . والراجح أنه مرفوعٌ . وانظر في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٦٠ .

أخرجه الترمذي، وقال : صحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة غيره، ولا هو في مسند الإمام أحمد على كبره.

نعم أخرجه البخاري في "تاريخه" ، وابن الضريس[1] في" فضائل القرآن" وأبوبكر ابن الأنباري في " كتاب المصاحف" و الحاكم في " المستدرك" ، وصححه، وأبو ذر الهروي[2] في " فضائل القرآن"، و البيهقي في " شعب الإيمان".

وأخرجه سعيد بن منصور في" سننه" ، وابن أبي شيبة ، و الدارمي عن ابن مسعود موقوفا.

قوله: (فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه، فإن تخصيصه به عرف مجدد ، بل المعنى اللغوي، ولعله سماه باسم مدلوله)

عبارة الإمام : سماه حرفا مجازا لكونه اسم الحرف، وإطلاق اسم أحد المتلازمين على الآخر مجاز مشهور [3] .

قوله : (وحدانا) جمع واحد، كركبان جمع راكب

قوله : (واستعيرت الهمزة مكان الألف)

قال الطيبي: ذكر ابن جني في " سر الصناعة" أن الألف في الأصل اسم الهمزة، واستعمالهم إياها في غيرها توسع، وذلك أن الهمزة تصير هذه المدة إذا أتى في آخر الاسم، ثم لما غلب استعمال الألف في هذه المدة أهمل ما وضع عليها [4] .

قوله : (وهي ما لم تلها العوامل)

قال الشريف: أي تقترن بها وتتعلق بها ،سواء تقدمت عليها أو تأخرت عنها[5].

قوله : (موقوفة خالية عن الإعراب)

---

(١) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن ضريس أبو عبد الله الرازي ، ثقة محدث ابن محدث ، صاحب كتاب فضائل القرآن ، توفي سنة أربع وتسعين ومائتين . سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٩ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٣٤ .

(٢) هو عبد بن أحمد بن محمد أبو ذر الهروي ، راوي الصحيح عن الثلاثة ، المستملي ، والحموي ، والكشميهني ، له كتاب فضائل القرآن ، توفي سنة خمسة وثلاثين وأربعمائة . سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٤ والديباج المذهب ٢/ ١٣٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٢ .

(٤) لم أهتد إلى موضعه بعد البحث الشديد والاستعانة بالحاسب الآلي .

(٥) حاشية الشريف ١/ ٧٨ .

قال الطيبي: يعني أن سكونها ليس للبناء؛لأن الأسماء المبنية إما مبنية على الحركة كأين، وكيف، وهؤلاء، أو على السكون على وجه لا يلزم منه التقاء الساكنين كمتى، وحتى، وهذه ليست كذلك ؛لأنها لو بنيت لقيل صادَ، وقافَ بالفتح كالمبنيات،ولم يقل: صاد وقاف، كزيد وعمرو جمعا بين الساكنين .

قال : والوقف قطع الكلمة عما بعدها ، وهذه الفواتح وإن وصلت بما بعدها لفظا لكنها موقوفة نية[1] .

قوله : (لفقد موجبه ومقتضيه)

قال الطيبي: وهو التركيب[2]

الشيخ أكمل الدين: قد اختلف النحويون في أن هذه الألفاظ قبل التركيب معربة أو مبنية ، فمنهم من ذهب إلى أنها مبنية ، وعَرَّفَ المبني بما ناسب مبني الأصل، أو وقع غير مركب، وعرّف المعرب بالمركب الذي لم يشبه مبني الأصل، واختار المصنف أنها معربة، وقال : المعرب هو ما لو اختلف العوامل في أوله لاختلف آخره ، وهذه الأسماء بهذه المثابة، فإنك تقول : هذه ألف ، وكتبت ألفا ، ونظرت إلى ألف [3] .

وعلى هذا لا فرق بين هذه الأسماء، وبين زيد وعمرو قبل التركيب ، فمن جعلها مبنية جعلها كذلك ، ومن جعلها معربة جعلها كذلك .

لكن اعترض على المصنف بأن كلامه متناقض ، فإن القول بأنها معربة ينافي القول بأن لا يمسها الإعراب ، لفقد موجبه ، وإذا فقد مقتضى الإعراب وجب البناء، إذ لا متوسط.

قال : وأقول : لا تناقض في كلامه؛لأن المعرب يطلق على الاسم الذي هو معروض الإعراب ، مع عارضه ، وعلى المعروض فقط بالاشتراك اللفظي، فالمراد بالمعرب في قوله : " أسماء معربة " المعروض فقط ، وبقوله : "لا يمسها إعراب"[4] نفي المعرب بالمعنى الأول [5] . انتهى .

---

(١) فتوح الغيب ١/ ١٥٥.

(٢) فتوح الغيب ١/١٥٦.

(٣) الكشاف ١/ ٧٨ .

(٤) الكشاف ١/ ٨٠ .

(٥) حاشية أكمل الدين ل١٧ ١٨ .

وكذا قال الشيخ سعد الدين، فرق بين المعـرب بـالمعنى المقـابل للمبنـي ، وا لمعرب بالمعنى الذي مسه وأدركه الإعراب، و القصد هاهنا إلى بيان الأول [١] .

قلت : هذا التناقض إنما يأتي على كلام " الكشاف" ؛لأنه صرح بأنهـا معربـة، وبأنها خالية عن الإعراب ؛ لفقد مقتضيه وموجبه [٢] .

والمصنف لم يصرح بأنها مغربة ، بل اقتصر على كونها خالية مـن الإعـراب ، ثم قال: (لكنها قابلة إياه، معرضة له، إذ لم تناسب مبني الأصل) فكأنه أراد بذلـك بيان معنى قول " الكشاف" : "إنها معربة " [٣] أي أنها قابلة للإعراب ، معرضة لـه ، غير مبنية ؛ لفقد سبب البناء .

وهذا حوم حول المذهب الثالث فيها: أنها واسـطة بيـن المعـرب و المبنـي ، وقول المعترض السابق : إذ لا متوسط ، ناشئ عن عدم الإطلاع ، إذ القـول بذلـك هنا ثابت مشهور.

قال أبو حيان : فـي " إعرابـه" : ﴿ ألـم ﴾ أسـماء ، مدلولهـا حـروف المعجـم ، ولذلك نطق بها نطق حروف المعجم، وهي موقوفة الآخر لا يقال: إنها معربة؛لأنها لم يدخل عليها عامل فتعرب ، ولا يقال: إنها مبنية ؛لعدم سبب البناء، لكـن أسـماء حروف قابلة لتركيب العوامل عليها فتعرب ، تقول: هذه ألف حسـنة، ونظـير سـرد هذه الأسماء موقوفة أسماء العدد إذا عدوا ، يقولون : واحد، اثنان، ثلاثة ، أربعـة ، خمسة[٤] .

وقال ابن قاسم [٥] في " شـرح الألفيـة" : وذهـب قـوم إلـى أن الأسـماء قبـل التركيب موقوفة،لامعربة ولامبنية، واختاره ابن عصفور[٦] .

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٧ .

(٢) الكشاف ١/ ٨٠ .

(٣) الكشاف ١/ ٨٠ .

(٤) البحر المحيط ٢/ ٥ .

(٥) هو حسن بن قاسم بن عبد الله بدر الديـن المـرادي ، كـان إمامـاً فـي العربيـة والفقـه المـالكي والأصول شرح ألفية بن مالك والتسهيل ، وصنف كتاباً في معاني الحـروف الجنـى الدانـي فـي حروف المعاني ، توفي سنة تسـع وأربعيـن وسـبعمائة . الـدرر الكامنـة ٢/ ١٣٨ وبغيـة الوعـاة ١/ ٥١٩ .

(٦) شرح جمل الزجاجي ١/ ١٠٣ وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ١/ ٤٩ .

ومما يناسب التقرير[1] الأول قال ابن يعيش في " شرح المفصل" : المراد بالمعرب ما كان فيه إعراب ، أو كان قابلا للإعراب ، وليس المراد منه أن يكون فيه إعراب لامحالة، ألا ترى أنك تقول في زيد ورجل : إنهما معربان وإن لم يكن فيهما في الحال إعراب؛لأن الاسم إذا كان وحده مفردا من غير ضميمة إليه لم يستحق الإعراب؛لأن الإعراب إنما يؤتى به للفرق بين المعاني ، فإذا كان وحده كان كصوت تصوت به، فإن ركبته مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة ، فحينئذ يستحق الإعراب[2] .

قوله: (عنصر الكلام وبسائطه)

في " الصحاح": العُنْصُرُ والعُنْصَرُ الأصل [3] . والبسائط جمع بسيطة ، بمعنى مبسوطة ، وهي المنشورة .

قوله : (افتتحت السورة بطائفة منها إيقاظا لمن تحدي بالقرآن ، وتنبيها على أن المتلوَّ عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم)

اختار المصنف هذا القول تبعا لصاحب" الكشاف"[4] ، وهو رأي لبعضهم ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة و التابعين ولا أتباعهم .

قوله : (لما عجزوا عن آخرهم)

قال الطيبي: أي عجزا صادرا عن آخرهم ، فإذا صدر العجز عن آخرهم فيكون قد صدر عن جميعهم متجاوزا عن آخرهم [5] .

وقال الشيخ أكمل الدين : تقديره :عن أولهم إلى آخرهم، فحذف متعلق" عن"، ومتعلق " آخرهم"[6] .

قوله: (حروف المعجم)

---

(١) في د ، ق : القول .

(٢) شرح المفصل ١/ ٤٩ .

(٣) الصحاح / مادة عنصر .

(٤) الكشاف ١/ ٦٦ وإلى هذا القول ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأبو الحجاج المزي حسب ما نقل عنهما الحافظ ابن كثير - قال : وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية ، وشيخنا الحافظ الجهبذ الإمام أبو الحجاج المزي ، وحكاه لي عن أبي العباس ابن تيمية . تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٤ ط. دار ابن الجوزي .

(٥) فتوح الغيب ١/ ١٦٨ .

(٦) حاشية أكمل الدين ل٢٠ .

قال في " الصحاح" : العجم النقط بالسواد وغيره، مثل :على التاء نقطتان ، يقال:أعجمت الحروف، ومثله التعجيم ،ولا تقل : عجمت ، ومنه حروف المعجم، وهي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الأمم ،ومعناه حروف الخط المعجم، كمسجد الجامع، أي مسجد اليوم الجامع، وناس يجعلون المعجم بمعنى الإعجام مصدرا،مثل المدخل و المخرج ، أي من شأن هذه الحروف أن تعجم .[1] انتهى.

قال الشيخ سعد الدين: وقد يقال : معناه حروف الإعجام،أي إزالة العجمة ، وذلك بالنقط [2] .

وقال الشيخ أكمل الدين : روى الأزهري عن الليث قال : المعجم الحروف المقطعة ، سميت معجمة لأنها أعجمية ، أي لا بيان لها ، وإن كانت أصلا للكلام كله[3] .

قوله : (المجهورة) هي ما ينحصر جري النفس مع تحركه ،وحروفها: ظل قو ربض إذا غزا جند مطيع.

قوله : (ومن الشديدة) هي ما ينحصر جري الصوت عند إسكانه في مخرجه، فلا يجري، و الرخوة ضدها

قوله : (ومن المطبقة) هي ما ينطبق ما يحاذي اللسان من الحنك عليه عند خروجها، والمنفتحة ضدها.

قوله : (ومن القلقة) هي ما ينضم إلى الشدة فيها ضغط في الوقف.

قوله : (اللام في " أصيلال") أي فإنها بدل من النون.

قال في " الصحاح" : الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وجمعه أُصُلٌ، وآصال، وأصائل ، ويجمع أيضا على أُصْلان مثل بعير وبُعران ،ثم صغروا الجمع، فقالوا: أُصَيْلان، ثم أبدلوا من النون لاما فقالوا: أصيلال[4] .

وفي " تذكرة" أبي عليّ الفارسي : إن قيل في " أصيلال" : كيف زعمتم أن اللام بدل من النون في " أصيلان" ، وهلا قلتم : إن اللام لام كررت ، و النون في "

---

(١) الصحاح / مادة عجم .

(٢) حاشية سعد الدين ل١٧ .

(٣) تهذيب اللغة / مادة عجم ، وحاشية أكمل الدين ل١٨ .

(٤) الصحاح / مادة أصل .

أصيلان" بدل منها؟

قيل : هذا لا يجوز؛لأن اللام لو كانت أصلا لم تثبت في التحقير الألف قبل اللام، ولانقلبت ياء،ألا ترى أنه لا يجوز في " شُمْلال" إلا شُمَيْلِيل، فلو كانت اللام الأصل لكانت مثل شميليل في التحقير ، ولا يكون أُصَيْلال جمعا؛لأن هذا الضرب من الجمع لا يحقر، ولكنه اسم اختص به التحقير،كسائر الأسماء التي لم تستعمل في غير التحقير.

قوله : (والفاء في " جدف" وا لثاء في " ثروغ" الدلو)

يريد بذلك إبدال الثاء فاء، وإبدال الفاء ثاء.

قال ابن السكيت في كتاب" الإبدال": باب الفاء و الثاء، يقال: جدف، وجدث للقبر ...إلى أن قال: ويقال: هو فروغ الدلو ، وثروغها[١] . والفرغ مخرج الماء من الدلو من بين العراقي.

قوله : (و العين في " أعن")

يشير إلى إبدال الهمزة عينا في لغة تميم ، يقولون في نحو: أعجبني أن تفعل : عن تفعل ، قال ذو الرمة :

أَعَنْ تَوَسَّمْتَ [٢] مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً   مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُوْمُ [٣]

أي أَأَنْ ،وكذا يفعلون في " أَنَّ" المشددة، فيقولون: أشهد عنّ محمدا رسول الله، وتسمى عنعنة تميم.

قوله: (و الباء في با اسمك) يشير إلى إبدال الميم باء في لغة مازن.

قال المازني: دخلت علىالخليفة الواثق [٤] فقال لي : ممن الرجل ؟ فقلت: من بني مازن، فقال : با اسمك؟ يريد ما اسمك ، وهي لغة قومي، يبدلون الميم باء، ثم قال لي: اجلس فاطبئن، يريد فاطمئن، وذلك لما أحضره ليسأله عن قول

---

(١) كتاب الإبدال ١٢٥ ١٢٧ .

(٢) رواية الديوان : ترسمت .

(٣) ديوان ذي الرمة ١/ ٣٧١ .

(٤) هو هارون بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد أبو جعفر الخليفة الواثق بالله ، ولي الأمر بعهد من أبيه سنة مائتين وسبعة وعشرين ، استولى أحمد ابن أبي دؤاد على الواثق ، وحمله على التشدد في المحنة والدعاء إلى خلق القرآن ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٦ وفوات الوفيات ٤/ ٢٢٨ .

الشاعر:

أَظَلُـومُ إِنَّ مُصَـابَكُمْ رَجُـلاً [1] ... ... البيـت

وقال ابن جني في " سر الصناعة" : أخبرنا أبو علي بإسناده إلى الأصمعي قـال :كان أبو سوار الغنوي: يقول: با اسمك؟[2] . يريد ما اسمك؟ فهذه البـاء بـدل مـن الميم.

وقالوا : بُعْكُوْكَةٌ، وأصلها مُعْكُوكَةٌ ،فالباء بدل من الميم [3] .انتهى.

قوله :(بذلق اللسان) أي طرفه

قوله :(مكثورة بالمذكورة) أي مغلوبة بالكثرة ، أي المذكـورة [4] غالبـة علـى غير المذكورة،ومنه كاثره ،أي غالبه بالكثرة.

قوله : (وذكر ثـلاث مفـردات) هـي ص، ق، ن (وأربـع ثنائيـات) هـي طـه، طس،يس، حم

قوله: (في تسع سور) أي بإسقاط سورة الشورى

قوله:(وثلاث ثلاثيات) هي الم ،الر، طسـم (ورباعيتين) همـا المـص، المـر، (وخماسيتين) هما كهيعص، حمعسق

قوله : (وقيل: هي أسماء السور، وعليه إطباق الأكثر)

عبارة الإمام : وهو قول أكثر المتكلمين، واختيار الخليل،وسـيبويه [5] . ونعمـا هي، فإن الأكثر مطلقا لم يذهبوا إليه.

وقد نقض هذا القول بأمور ذكرها المصنف بعد ذلك مع الجواب عنها.

وأحسن ما ينقض به - ولم يذكره - أن أسماء السور توقيفية، ولم يـرو مرفوعـا ولا موقوفا عن أحد من الصحابة ولا التابعين أن هذه أسماء للسور ، فوجـب إلغـاء القول بذلك.

ونقضه الإمام بأنها لو كانت أسماء لهـا لوجـب اشـتهارها بهـا ،وقـد اشـتهرت

---

(١) للحارث بن خالد بن العاص بن هشام المحزومي . انظر في الاشتقاق لابـن دريـد ٩٩ومجـالس ثعلب ٢٤٤ وخزانة الأدب ١/ ٤٥٤ والقصة في إنباه الرواة ١/ ٢٤٩ ونزهة الألباء ١٨٣ .

(٢) في ت : ما اسبك ، وفي ظ : ما سبك .

(٣) سر صناعة الإعراب ١/ ١١٩ ولم أعرف أبا سوار الغنوي .

(٤) في ح : والمذكورة .

(٥) التفسير الكبير ٢/ ٥ .

بغيرها ، كسورة البقرة ، وآل عمران[١] .

قوله : (مقدرتهم) بالضم، أي قدرتهم

قوله : (قلت لها: قفي فقالت : قَافْ لا تَحْسَبِنْ أَنَّا نَسِيْنَا الإِيْجَافْ) [٢]

كذا في النسخ، وصدره محرف ،وغير موزون كما ترى، والصواب كما أورده ابن جني في " الخصائص"

قلنا لها : قفي لنا قالت : قاف [٣] ....

وأخرج أبو الفرج الأصبهاني[٤] في " الأغاني" عن أبي بكر الباهلي[٥] ، عن بعض من حدثه قال: لما شُهِدَ على الوليد [٦] عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم، فيهم عدي بن حاتم [٧] ، فنزل الوليد يوما يسوق بهم ، فقال يرتجز:

لاتَحْسَبِنَّا قد نَسِيْنَا الإِيْجَافَ والنَّشَوَاتِ مِنْ مُعَتَّقٍ صافْ [٨]

وعَزْفَ قَيْنَاتٍ عَلَيْنَا عُزَّافْ

فقال عدي: فأين تذهب بنا؟ إذن أقيم[٩] .

قوله : (روي عن ابن عباس أنه قال: الألف آلاء الله، واللام لطفه، والميم ملكه)

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٩ .

(٢) كذا في النسخ ، والشطر الثاني من البيت ليس في طبعات أنوار التنزيل .

(٣) الخصائص ١/ ٣٠ ، ٨٠ ، ٢٤٦ ، ٢/ ٣٦١ .

(٤) هو علي بن الحسين بن محمد أبو الفرج الأصبهاني الأخباري النحوي اللغوي ، كان عالماً بأيام الناس والأنساب والسيرة ، صنف كتاب الأغاني الكبير ، ومقاتل الطالبيين ، توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة . إنباه الرواة ٢/ ٢٥١ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧ .

(٥) لم أميزه .

(٦) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب ، أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم الفتح ، وكان شجاعاً شاعراً جواداً ، ولما قتل عثمان اعتزل الوليد الفتنة ، وأقام بالرقة إلى أن مات . الاستيعاب ٤/ ١٥٥٢ والإصابة ٦/ ٦١٤ .

(٧) هو عدي بن حاتم بن عبد الله أبو ظريف الطائي ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة عشر ، وكان سيداً شريفاً في قومه خطيباً حاضر الجواب ، توفي بالكوفة سنة سبع وستين . الاستيعاب ٣/ ١٠٥٧ والإصابة ٤/ ٤٦٩ .

(٨) في طبعة الأغاني : من عتيق أو صافٍ .

(٩) كتاب الأغاني ٥/ ١٢٠ .

قلت : هذا إنما روي عن أبي العالية [١] .

كذا أخرجه ابن جرير، و ابن أبي حاتم [٢] .

قوله : (وعنه أن الر، وحم، ونون مجموعها الرحمن) أخرجه ابن أبي حاتم[٣]

قوله : (وعنه أن الم معناه :أنا الله أعلم)

أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنـذر [٤] ، و ابـن أبـي حـاتم مـن طرق عنه[٥]

قوله : (وعنه أن الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد)

هذا لا يعرف عن ابن عباس ،و لا غيره من السلف

قوله : (أو إلى مدد أقوام وآجال بحساب الجُمَّلِ ، كما قاله أبو العالية)

أخرجه ابن جرير، و ابن أبي حاتم [٦] .

قوله : (متمسكا بما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أتاه اليهود) الحديث .

أخرجه البخاري في تاريخه، وابن جرير ، من طريق ابن إسحاق ، عن الكلبي، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رئاب [٧] . وسنده ضعيف .

---

(١) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، الإمام المقرئ المفسر ، أحد الأعلام ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليـه ، توفـي سنة تسعين . سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧ وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤ .

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٠٨ وابن أبي حاتم في تفسـير القـرآن العظيم ١/ ١٦٩ مـن طريق أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية . هكذا عند ابن أبي حاتم . وعنـد ابن جرير : عن الربيع بن أنس قال . .. والظاهر أن أبا العالية سقط من سند ابن جرير .

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ١٦٨ .

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر أبوبكر النيسابوري ، نزيل مكة شـيخ الإسـلام ، لـه تفسـير كبـير فـي بضعة عشر مجلداً يقضي له بالإمامة في علم التأويل ، توفي سنة تسع أو عشرٍ وثلاثمائة . سير أعـلام النبلاء ١٤/ ٤٩٠ وكتاب الوافي بالوفيات ١/ ٣٣٦ . وتفسيره مفقود إلا أنه توجد منه قطعة في مكتبـة جوتا في برلين بألمانيا ، تبدأ من قوله تعالى " ليس عليك هداهم " آية ٢٧٢ من سورة البقـرة وتنتهـي بقوله تعالى " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطئاً " آية ٩٢ من سورة النساء . ومنها نسخة مصورة بمكتبة الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله بالمدينة النبوية برقم ٤٣٩.

(٥) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٠٧ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٦٦ .

(٦) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٠٨ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٦٩ .

(٧) رواه البخاري في كتاب التاريخ الكبير ٢/ ٢٠٨ وابن جرير في جامع البيان ١/ ٢١٦ قال الحافظ ابن كثير : مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به . تفسير القـرآن العظيم ١/ ١٦٢ .

وجابر[1] المذكور صحابي آخر غير جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري المشهور.

قال ابن عبد البر في " الاستيعاب": شهد بدرا وسائر المشاهد، وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى.

وذكر ا لحافظ ابن حجر في " الإصابة" أن روايته قليلة جدا [2] .

قوله : (هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه)

جوابه ما قاله الخويي : إن القرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد ؛ لتكون أبلغ في قرع الأسماع .

قوله : (وناهيك)

قال في " الصحاح": يقال: هذا رجل ناهيك من رجل، وتأويله أنه بجده وغنائه ينهاك عن تطلب غيره، وهذه امرأة ناهيتك من امرأة ، تذكر و تؤنث، وتثنى وتجمع؛ لأنه اسم فاعل ، فإذا قلت : نَهْيُكَ من رجل ، كما تقول: حسبك من رجل لم تثن ولم تجمع ؛ لأنه مصدر[3] .

وقال أبوبكر ابن الأنباري في كتاب" الزاهر": قولهم: ناهيك بفلان معناه كافيك به، من قولهم: قد نَهِيَ الرجلُ من اللحم ، وأنهى إذا اكتفى منه وشبع[4] .

وقال في " القاموس": نهيك من رجل ، وناهيك منه ، ونهاك بمعنى حسب[5].

قوله : (بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة و البيت من الشعر[6]) .

قال الطيبي:ومنه قوله في باب الترخيم: ولو رخمت تأبط شرا من الأسماء لرخمت رجلا مسمى[7] بقول عنترة:

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري السلمي ، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى . الاستيعاب ٢١٩/١ والإصابة ٤٢٣/١ .

(٢) لم أر هذا القول في ترجمة جابر في الإصابة ، ولعله وهم من المؤلف .

(٣) الصحاح / مادة نهي .

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس ١٦/٢ .

(٥) القاموس المحيط / مادة نهي .

(٦) وذلك قوله : واعلم أن الحكاية لا ترخم ، لأنك لا تريد أن ترخم غير منادى ، وليس مما يغيره النداء ، وذلك نحو تأبط شراً ، وبرق نحره ، وما أشبه ذبك ، ولو رخمت هذا لرخمت رجلاً يسمى بقول عنترة : يا دار عبلة بالجواء تكلمي . الكتاب ٢٦٩/٢ .

(٧) في د : يسمى .

يـا دارَ عَبْلَــةَ بــالجِواءِ تَكَلَّمِـيْ[1] ... ...

قوله : (و الوجه الأول أقرب) إلى آخره.

ما ذكره من ترجيحه ممنوع؛لأنه قول لا دليل عليه ،ولا قاله أحد مــن السـلف، بل هو رأي محض في كتاب الله لم يعضده مستند، ولا يخفى ما فيه من التكلـف و التمحل.

قوله : (وقيل : إنها أسماء القرآن)

أخرجه ابن جرير ، عن مجاهد[2] ، وأخرجه عبد الرزاق، و عبدبن حميد ، عـن قتادة[3] .

قوله : (وقيل : إنها أسماء الله)

أخرجه ابن جرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، و البيهقي فـي " الأسماء و الصفات" عن ابن عباس ، وسنده صحيح [4] .

قوله : (ويدل عليه أن عليا رضي الله عنه كان يقول: ياكهيعص ، يا حمعسق)

أخرج ابن ماجه في تفسيره من طريق نافع بن أبي نعيم القارئ، عن فاطمة بنت علي ابن أبي طالب[5] أنها سمعت علي بن أبي طالب يقول: يا كهيعص اغفرلي[6] .

قوله: (ولعله أراد يا منـزلهما)

يرده ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله﴿ كهيعص ﴾: إن معناه: يا من يجير ولا يجار عليه .

ومثله ما أخرجه عن أشهب [7] قال سـألت مالكـا أينبغـي لأحـد أن يتسـمى

---

(١) فتوح الغيب ١/ ١٧٢ والشطر من معلقة عنترة ، انظر في ديوان عنترة ١٨٣ .

(٢) جامع البيان ١/ ٢٠٥ .

(٣) تفسير القرآن لعبد الرزاق ١/ ٣٩ وسنده صحيح .

(٤) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٠٧ والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات ١/ ٢٣٠ .

(٥) هي فاطمة بنت علي بن أبي طالب القرشية ، روت عن أبيها علي ، روى لها النسائي وابن ماجـه في التفسير ، توفيت سنة سبع عشرة ومائة . تهذيب الكمال ٣٥/ ٢٦١ وكتاب الثقات ٥/ ٣٠١ .

(٦) رواه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ١/ ١٧٤ من طريق محمد بن مسلم ، عن نافع بـن أبـي نعيـم ، وابـن جريـر فـي جامع البيان ١٦/ ٤٤ من طريق عاتكة ، كلاهما عن فاطمة .

(٧) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود أبو عمرو المصري الفقيه ، كان فقيهـاً حسـن الـرأي والنظر ، توفي سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بثمانية عشر يومـاً . سير أعـلام النبـلاء ٩/ ٥٠٠ والديبـاج المذهب ١/ ٣٠٧ .

ب"يس" قال: لا، يقول الله ﴿ يس والقرآن الحكيم﴾ يقول : هذا اسمي، تسميت[1] به.

وكذا حديث((إن بيتم الليلة فقولوا: حم لا ينصرون)) [2]

قوله : (وقيل :إنها سر استأثر الله بعلمه)

أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ ابن حيان في التفسير عن داود بن أبي هند[3] قال : كنت أسأل الشعبي[4] عن فواتح السور ، فقال : يا داود إن لكل كتاب سرا ، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها ، وسل عما بدا لك .

وحكاه الثعلبي وغيره عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكثير.

وحكاه السمرقندي [5] عن عمر ، وعثمان ، وابن مسعود رضي الله تعالى

---

(١) في ظ : سميت .

(٢) اختلف في هذا الحديث على أبي إسحاق ، فرواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ٧٢ والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٢٢٩ من طريق زهير ، عن أبي إسحاق ، عن المهلب بن أبي صفرة مرسلاً.

ورواه أحمد ٢٧/ ١٦٢ ، ٣٨ / ٢٥٣ وابن سعد ٢/ ٧٢ والنسائي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٥ ، ٩/ ٢٢٩ من طريق شريك ، عن أبي إسحاق ، عن المهلب ابن أبي صفرة ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه ابن الجارود في كتاب المنتقى ٣٩٢ وأبو داود ٣/ ٢٥٥ح٢٥٩٠ والترمذي ٣/ ٣٠٧ ح١٦٨٢ من طريق سفيان الثوري ، وعبد الرزاق في المصنف ٥/ ٢٣٣ من طريق معمر والثوري، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن المهلب ، عمن سمع النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه النسائي في السنن الكبرى ٩/ ٢٢٨ من طريق شيبان ، والأجلح ، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٠٧من طريق الأجلح أيضاً ، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب . قال الحاكم : الرجل الذي لم يسمه المهلب بن أبي صفرة البراء بن عازب .

(٣) هو داود بن أبي هند دينار بن عذافر أبو محمد الخراساني البصري ، كان ثقة صالحاً ، صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة . سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٧٦ وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٤

(٤) هو عامر بن شراحيل بن عبد أبو عمرو الهمداني الشعبي الإمام علامة العصر ، رأى علياً رضي الله عنه وصلى خلفه وكان حافظاً وما كتب شيئاً قط ، سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة أربع ومائة . سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤ وتهذيب التهذيب ٥/ ٦٥

(٥) هو نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي المعروف بإمام الهدى الفقيه ، له تفسير القرآن العظيم ، أربع مجلدات ، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . الجواهر المضية ٣/ ٥٤٤ وطبقات المفسرين ٢/ ٣٤٥ .

عنهم[1] .

وحكاه القرطبي عن سفيان الثوري ، والربيع بن خثيم [2] ، وأبي بكر ابن الأنباري ، و أبي حاتم [3] ، وجماعة من المحدثين، واختاره[4] .

وحكاه الإمام فخر الدين عن ابن عباس ، والحسين بن الفضل [5] ، ومال إليه[6] .

وقال السجاوندي [7] : المروي عن الصدر الأول في التهجي أنها أسرار بين الله تعالى

وبين نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وقد تجري بين المحرمين[8] كلمات مُعَمَّاة تشير إلى سِرٍّ بينهما، وتفيد تحريض الحاضرين على استماع ما بعد ذلك ،

---

(١) تفسير القرآن الكريم " بحر العلوم " ١/ ١٤٩ .

(٢) هو الربيع بن خثيم بن عائذ أبو يزيد الثوري الكوفي الإمام القدوة العابد أحد الأعلام ، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل عنه ، قال له ابن مسعود لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك ، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين ، توفي قبل سنة خمس وستين . سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٨ وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٢ .

(٣) هو محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ، شيخ خراسان ، كان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار ، صنف المسند الصحيح : كتاب الأنواع والتقاسيم ، وكتاب التاريخ ، توفي بسجستان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢ وكتاب الوافي بالوفيات ٢/ ٣١٧ وانظر في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥١ط. دار ابن الجوزي .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٤ .

(٥) هو الحسين ابن الفضل بن عمير أبو علي البجلي الكوفي ، إمام عصره في معاني القرآن ، توفي سنة أثنتين وثمانين ومائتين وهو ابن مائة وأربع سنين . سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٤ وطبقات المفسرين ١/ ١٥٦ .

(٦) التفسير الكبير ٢/ ٨ ١٠ .

(٧) ينسب إلى سجاوند محمد بن طيفور ، له تفسير عين المعاني في تفسير السبع المثاني ، حققه محمد صالح اليحيى رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد أحال المؤلف ثلاث إحالات إلى السجاوندي ، فبحثت عنها في تفسير عين المعاني ، فلم أجدها فيه ، فلعل المقصود بالسجاوندي ابنه ، وهو : محمد بن محمد بن عبد الرشيد بن طيفور سراج الدين أبو طاهر السجاوندي ، فقيه حنفي مفسر ، اختصر كتاب والده عين المعاني في تفسير السبع المثاني ، وسماه " إنسان العين " توفي في حدود ستمائة ، وقيل سبعمائة . إنباه الرواة ٣/ ١٥٣ والأعلام ٧/ ٢٧ وهدية العارفين ٢/ ١٠٦ ومعجم المفسرين ٢/ ٦١٤ .

(٨) في د ، ق : الحرمين .

وهذا معنى قول السلف: حروف التهجي ابتلاء لتصديق المؤمن ، وتكذيب الكافر.

هذا وهي أعلام توقظ من رقدة [1] الغفلة بنصح التعليم ، وتنشط في إلقاء السمع على شهود القلب للتعظيم، كمن أراد الإخبار بمهم حرّك الحاضر بيديه ، أو صاح به غيره؛ ليقبل بكله عليه.

ومصداق ذلك أن معظمها معقبة بذكر الكتاب.

وقد قلبت الرأي ظهرا لبطن في تأويل معاني هذه الحروف سنين ،ونَيَّفَتِ الأقاويلُ المختارة على ستين، ولم أتحصل على ثلج اليقين، ولا ظفر الجهد على المراد قادر اليمين حتى استروحت إلى هذا الوجه من التحري . انتهى.

قوله : (فإن جعلتها أسماء الله تعالى، أو القرآن ، أو السور كان لها حظ من الإعراب، إما الرفع) إلى آخره .

اعلم أن للرفع وجهين ، وللنصب وجهين، وللجر وجها واحدا، فوجها الرفع إما أن يكون مبتدأ ، و﴿ ذلك الكتاب﴾ خبره ، وإما أن يكون خبر مبتدإ محذوف ، أي هذه ﴿الم﴾ .

وأما وجها النصب فإما المفعولية،تقديره أقرأ، أو أتلو﴿ الم﴾ وإما بحذف حرف القسم على رأي من ينصب به .

وأما الجرّ فبتقدير حذف حرف القسم ،والجر به .

قوله : (والجر على إضمار حرف القسم)

قال ابن هشام في " المغني": من الوهم قول كثير من المعربين و المفسرين في فواتح السور: إنه يجوز كونها في موضع جر بإسقاط حرف القسم ، وهذا مردود بأن ذلك مختص عند البصريين باسم الله سبحانه، وبأنه لا أجوبة للقسم في سورة البقرة ،وآل عمران ، ويونس،وهود ، ونحوهن.

ولا يصح أن يقال: قدر ﴿ذلك الكتاب﴾ في البقرة ، و﴿ الله لا إله إلا هو﴾ في آل عمران جوابا ، وحذفت اللام من الجملة الاسمية كحذفها في قوله:

وَرَبِّ السَّموات العُلا وبُرُوْجِهَا والأرضِ وما فيها: المُقَدَّرُ كَائِنُ [2]

لأن ذلك على قلته مخصوص باستطالة القسم [3] . انتهى.

---

(١) في ظ : سنة . ثم كتب تحتها : رقدة .

(٢) مجهول القائل ، انظر في شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٩١٩ .

(٣) مغني اللبيب ٧٧١ .

قوله : (ويتأتى الإعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة، أو موازنة لمفرد ك﴿حم﴾

الشيخ سعد الدين: قيل ينبغي أن يتعين الإعراب، ولا تسوغ الحكاية كسائر الأعلام المنقولة من المفردات ، أو المركبات من كلمتين ليست بينهما نسبة ، وإنما الحكاية فيما وقع علما لنفس ذلك اللفظ مثل "ضرب" فعل ماض، و"من" حرف جر، إشعاراً بأنه لم ينقل عن الأصل بالكلية ، أو كانت جملة.

وأما إذا جعل مثل"ضرب" بدون اعتبار الضمير اسم رجل فلا وجه للحكاية.

وأجيب بأن ذلك في هذه الألفاظ خاصة إذا جعلت أعلاما للسور خاصة، أما إذا جعل صاد مثلا علما لرجل، و الفاتحة علما للسورة ،فلا حكاية، وذلك لأنها قد اشتهرت ساكنة الأعجاز وكثر استعمالها كذلك، فكأنها نقلت على تلك الهيئة ، سيما وفيها شمة من ملاحظة الأصل ، من جهة أن مسمياتها مركبة من الحروف المبسوطة ، فعليها مسحة من قولك : " ضرب" فعل ماض، و" من " حرف جر[(١)] .

قوله : (وإن جعلتها مقسما بها)

قال الإمام : أقسم الله بها لشرفها؛لأنها مباني كتبه المنزلة ، وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأصول كلام الأمم [(٢)]

فائدة: قال أبو بكر ابن الأنباري في كتاب " الوقف و الابتداء" إن قال قائل: كيف كتب في المصحف ﴿ الم ﴾ و﴿ الر﴾ و﴿ المر﴾ موصولا ، و الهجاء مقطع ،لا ينبغي أن يتصل بعضه ببعض؛لأنك لوقال قائل: ما هجاء زيد؟ كنت تقول: زاي،يا، دال، وتكتبه مقطعا؛لتفرق بين الهجاء والحروف [(٣)] ،وبين قراءته ؟

فيقال له: إنما كتبوا ﴿ الم ﴾ وما أشبهها موصولا ؛لأنه ليس بهجاء لاسم معروف ، إنما هو حروف اجتمعت،يراد بكل حرف منها معنى ،ولو قطعت إذ [(٤)] جزمت لكان صوابا . انتهى [(٥)] .

قوله: (﴿ ذلك﴾ إشارة إلى ﴿ الم﴾) إلى آخره

---

(١) حاشية سعد الدين ل١٧ .

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٧ .

(٣) كذا في النسخ، وفي مطبوعة إيضاح الوقف:بين هجاء الحروف وبين قراءته. وهي أوضح .

(٤) في ح ، د ، ق، ونسخة من نسخ إيضاح الوقف: أو

(٥) كتاب إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله عز وجل ١/ ٤٧٩.

حاصله أنه ردد بين كونه إشارة إلى ﴿ الم﴾ أو إلى الكتاب الموعود بـه، فتكـون اللام في الكتاب للعهد الذهني.

والتحقيق أنه إشارة إلى الكتاب الحاضر ، و اللام للعهد الحضوري[(١)]

قال ابن عصفور:كـل لام واقعـة بعـد اسـم الإشـارة، أو أيٍّ فـي النـداء، أو إذا الفجائية فهي للعهد الحضوري .

تنبيه : عبارة " الكشاف":" وقعت الإشارة إلى ﴿ الم﴾ "[(٢)]

قال الشيخ أكمل الدين : وفيه بحث؛لأن المراد بالكتاب هو القـرآن ، وحينئـذ، على كل حال لا تصح الإشارة إلى ﴿ الم ﴾ وإن فسر بالسورة ؛ لأنه جزء من القرآن، والجزء لا يكون الكل، ولا مجازا عنه ؛ لأنه ليـس ملزومـا للكـل، و المجـاز ذكـر الملزوم وإرادة اللازم ، وإذا كان المشار إليه هو الموعود فـي الكتـب المتقدمـة لا يجوز أن يقع ﴿ذلك الكتاب﴾ خبرا عـن ﴿ الـم ﴾ لأن الموعـود هـو القـرآن كلـه ، لا ﴿ الم﴾

وأما إذا كان الموعود هو النبي صلّى الله عليه وسلّم فيجـوز أن يكـون المـراد بقوله ﴿قولا ثقيلا﴾ ويكون الكتاب عبارة عن هذه السورة. كذا قيل.

قال : ويمكن أن يقال : ا لكتاب مفهوم بسيط يشترك جـزؤه وكلـه فـي الاسـم والرسم كالماء ، والدليل على ذلك إجماع العلماء على إطـلاق الكتـاب علـى آيـة يثبت بها حكم شرعي ، كقولهم : فرض الوضوء ثابت بالكتاب ، وهو قوله تعالى ﴿ يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ [سورة المائدة ٧] وإنما هي آية ، وحينئـذ يكون﴿ ذلك﴾ إشارة إلى ﴿ الم﴾ على أنه الكتاب ، لا على أنه جزؤه[(٣)] . انتهى.

قوله : (فإنه لما تكلم به وانقضى ، أو وصل مـن المرسـل إلـى المرسـل إليـه أشير إليه بما يشار به إلى البعيد)

عبارة "الكشاف":" وقعت الإشارة إلى ﴿ الم﴾ بعد ما سبق التكلم به وانقضى[(٤)]، والمنقضي في حكم المتباعد، وهذا في كـل كـلام، يحـدث الرجـل بحديـث ، ثـم يقول: ذلك مما لاشك فيه ، ويحسب الحاسب ، ثم يقول: فذلك كـذا وكـذا، قـال

---

(١) لم اهتد إلى موضع النقل من كتبه : شرح جمل الزجاجي ، والمقرب ، وشرح المقرب .

(٢) الكشاف ١/١٠٨ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل٢١ ـ٢٢ .

(٤) في مطبوعات الكشاف : وتقضى والمقتضي .

الله تعالى ﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ [سورة البقرة ٦٩] وقال﴿ ذلكما مما علمني ربي﴾ [سورة يوسف ٣٨] ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه وقع في حد البعد، كما تقول لصاحبك- وقد أعطيته شيئا- : احتفظ بذلك ، وقيل : معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به"[١] .

قال الطيبي: وأحسن ما قيل في توجيه الإشارة إليه بصيغة البعد= ما ذكره صاحب " المفتاح" قال: ﴿ ذلك الكتاب﴾ ذهابا إلى بعده درجة [٢] .

وقال الإمام :إن القرآن لما اشتمل على حكم عظيمة، وعلوم كثيرة يتعسر اطلاع القوة البشرية عليها بأسرها، فهو- وإن كان حاضرا نظرا إلى صورته- غائب نظرا إلى أسراره وحقائقه، فجاز أن يشار إليه كما يشار إلى البعيد الغائب.

قوله :(وتذكيره متى أريد ب﴿ الم﴾ السورة ؛لتذكير ﴿الكتاب﴾ فإنه خبره)

جواب سؤال مقدر، تقديره كما أفصح به في " الكشاف":" لم ذَكَّرَ اسم الإشارة، والمشار إليه مؤنث، وهو السورة " [٣] ؟

وحاصل الجواب تخريجه على القاعدة المعروفة إذا توسط الضمير، أو الإشارة بين مبتدإ وخبر ، أحدهما مذكر ،و الآخر مؤنث جاز في الضمير ،و الإشارة التذكير و التأنيث مراعاة لهذا ولهذا.

وفي هذا تسليم السؤال، و الإمام منعه من أصله ، فقال: لا نسلم أن المشار إليه مؤنث؛لأن المؤنث إما المسمى ،أو الاسم، والأول باطل؛لأن المسمى هو ذلك البعض من القرآن، وهو ليس بمؤنث، وأما الاسم فهو ﴿ الم﴾ وليس بمؤنث [٤] .

نعم ذلك المسمى له اسم آخر، وهو السورة، وهو مؤنث، وليست الإشارة إليه، بل إلى الاسم الآخر، وهو ﴿ الم ﴾ الذي ليس بمؤنث.

وقال الشيخ أكمل الدين : قوله: "إن المشار إليه مؤنث" فيه نظر؛لأن المشار إليه ﴿الم﴾ وهو اسم للسورة، أو هو الموعود للأمم السالفة، ولاشيء منهما بمؤنث[٥] قوله : (ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لأنه مما يكتب)

---

(١) الكشاف ١/ ١٠٨ .

(٢) مفتاح العلوم ٢٧٨ وفتوح الغيب ١/ ١٧٨ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ١٣ .

(٤) التفسير الكبير ٢/ ١٤ .

(٥) حاشية أكمل الدين ل٢٢ .

قال الراغب: الكتب ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وفي التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض في الخط،وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض في اللفظ،ولهذا سمي كتاب الله- وإن لم يكتب- كتابا[١]

قوله : (﴿لا ريب فيه﴾ معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل) إلى آخره.

قال الطيبي: يعني ما نفى الريب بحيث ينتفي به المرتابون، وإنما نفى بطريق يرشد إلى أنه لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه، فإذن الكلام مع المرتابين ، ويدل عليه أيضا تصدير الكلام بأسامي حروف التهجي ؛لأنها كالتنبيه وقرع العصا لهم ، كأنه قيل: أيها المرتابون تنبهوا من رقدة الجهالة،واعلموا أن القرآن من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه،فينطبق على هذا استشهاده بقوله﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾[سورة البقرة ٢٢] وتفسيره حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه مجال للشبهة[٢]

قوله : (فإنه ما أبعد عنهم الريب) إلى آخره

قال الطيبي: أي خاطب المصرين على الريب الجازمين فيه بما يدل على خلوهم عنه، ولم يقصد به أنهم غير مرتابين، وإنما قصد به إرشادهم وتعريفهم الطريق إلى مزيل الريب على سبيل الاستدراج، يعني أن الارتياب من العاقل في مثل هذا المقام و اجب الانتفاء، فلا يفرض إلا كما يفرض المحالات، وأنتم عقلاء ألباء تفكروا فيه ، وجربوا نفوسكم ، وانظروا هل تجدون فيه مجالا للريب[٣] .

قوله :(و﴿ هدى﴾ حال من الضمير المجرور،والعامل فيه الظرف)

قال أبو حيان : هذا مشكل؛لأن الحال تقييد ، فيكون انتفاء الريب مقيدا بالحال، أي لا ريب يستقر فيه في حال كونه هدى للمتقين ، لكن يزيل الإشكال أنها حال لازمة[٤] .

قوله : (سمي به الشك) .

ظاهره ترادفهما ، وليس كذلك ، بل الريب أخص.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٦٩٩ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ١٨٥ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ١٨٦ .

(٤) البحر المحيط ٢/ ٣٨ .

قال بعضهم : الريب شك مع تهمة .

وقال الإمام: الريب قريب من الشك،وفيه زيادة كأنه ظن سوء[1] .

وقال الراغب : الفرق بين الشك و المرية والريب أن الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمارة،و المرية التردد في المتقابلين وطلب الأمارة، مأخوذ من مَرَى الضَّرْعَ ، أي مسحه للدر،فكأنه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن، و الريب أن يتوهم في الشيء أمرٌ ما، ثم ينكشف عما توهم فيه[2] .

وقال الخويي: الشك لما استوى فيه الاعتقادان، أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتبرة ،و الريب لما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوع ظهور ،ولهذا حسن﴿ لا ريب فيه﴾ هنا، فإنه بيان لكون الأمر ظاهرا بالغا درجة اليقين بحيث لا يحصل فيه ريب فضلا عن شك.

قوله :(وفي الحديث'' دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الشك ريبة ، والصدق طمأنينة'')

أخرجه الترمذي من حديث الحسن بن علي، وصححه بلفظ '' فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة '' [3] .

قال الطيبي : دع ما اعترض لك الشك فيه منقلبا إلى ما لاشك فيه ،فإذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه، فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق، وترتاب من الكذب، فارتيابك في الشيء منبئ عن كونه باطلا، فاحذره، واطمئنانك إلى الشيء مشعر بكون حقا ، فاستمسك به،وهذا مخصوص بذوي النفوس الشريفة

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ١٨ .

(٢) انظر في فتوح الغيب ١/ ١٨٣ ولم أر ما نقله المؤلف عن الراغب في تفسيره ، ولا في مفردات ألفاظ القرآن .

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ١١٨ وأبو داود الطيالسي في مسنده ٢/ ٤٩٩ وأحمد ٣/ ٢٥٢ والترمذي ٤/ ٢٨٦ح٢٥١٨ والنسائي في السنن الكبرى ٥/ ١١٧ وفي المجتبى ٨/ ٣٢٧ ح٥٧١١ وابن خزيمة ٤/ ٥٩ والحاكم في المستدرك ٢/ ١٣ ، ٤/ ٩٩ وابن حبان (الإحسان ٢/ ٤٩٨) وأبو يعلى في مسنده ١٢/ ١٣٢ والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٧٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٥٢ من طريق أبي الحوراء السعدي ، عن الحسن بن علي . ولفظ ابن خزيمة : فإن الخير طمأنينة ، وإن الكذب ريبة ، ولفظ عبد الرزاق ، والطبراني ، والبيهقي ، ورواية للحاكم : فإن الشر ريبة ، وإن الخير طمأنينة . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

القدسية الطاهرة من أوضار الذنوب ، وأوساخ الآثام .

قال : وظهر أن قوله : ((فإن الشك ريبة)) لا يستقيم رواية ، ولا دراية [1] . انتهى.

وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن أبي الدرداء موقوفا بلفظ : ((فإن الخير طمأنينة، وإن الشر ريبة))

قوله : (و الهدى في الأصل مصدر)

قال الطيبي: اضطرب كلام سيبويه في الهدى، فمرة يقول: هو عوض من المصدر؛لأن فُعَلاً لا يكون مصدرا، وأخرى يقول : هو مصدر هدى[2]

قوله : (ومعناه الدلالة) إلى آخره

مأخوذ من كلام الإمام حيث قال: الهدى عبارة عن الدلالة.

وقال صاحب " الكشاف": هي الدلالة الموصلة إلى البغية"

والذي يدل على صحة الأول ، وفساد الثاني أنه لو كان كون الدلالة موصلة إلى البغية معتبرة في مسمى الهدى لا امتنع حصول الهدى عند عدم الاهتداء؛لأن كون الدلالة موصلة إلى الاهتداء حال عدم الاهتداء محال، لكن الله تعالى أثبت الهدى مع عدم الاهتداء في قوله ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ [سورة فصلت ١٨]

واحتج صاحب " الكشاف" بثلاثة أمور:

أحدها : وقوع الضلالة في مقابل الهدى في قوله تعالى ﴿ لعلىهدى أو في ضلال مبين﴾ [سورة سبأ ٢٥] ﴿اشتروا الضلالة بالهدى﴾

ثانيها: أنه يقال:مهدي في موضع المدح كمهتدي، فلولا أن من شرط الهدى كون الدلالة موصلة إلى البغية لم يكن الوصف بكونه مهديا مدحا؛لاحتمال أنه هدي ، فلم يهتد .

ثالثها : أن اهتدى مطاوع هدى ، يقال : هديته فاهتدى كما يقال : كسرته فانكسر وقطعته فانقطع، فكما أن الانكسار و الانقطاع لازمان للكسر والقطع وجب أن يكون الاهتداء من لوازم الهدى.

---

(١) فتوح الغيب ١/ ١٨٢ .

(٢) الكتاب ٤/ ٤٦ وفتوح الغيب ١/ ١٨٨ .

والجواب عن الأوّل: أن الفرق بين الهدى و الاهتداء معلوم بالضرورة ، فمقابل الهدى هو الإضلال، ومقابل الاهتداء هو الضلال ، فجعل الهدى في مقابلة الضلال ممتنع.

وعن الثاني: أن المنتفع بالهدى يسمى مهديا، وغير المنتفع به لا يسمى مهديا؛لأن الوسيلة إذا لم تفض إلى المقصود كانت نازلة منزلة العدم.

وعن الثالث: أن الائتمار مطاوع الأمر يقال: أمرته فائتمر،ولم يلزم منه أن يكون من شرط كونه أمرا حصول الائتمار، فكذا هذا[1] . انتهى كلام الإمام.

قال الطيبي: و الجواب عن إثبات الهدى مع عدم الاهتداء في آية﴿ وأما ثمود﴾ أن يقال: لا نسلم حصول الهدى الحقيقي؛لأن المراد بإثبات الهدى تمكينهم عليه، بسبب إزاحة العلل من بعثة الرسول ، وبيان الحق.

وعن قوله: "فجعل الهدى في مقابلة الضلال ممتنع" أن لو كان ممتنعا لم يقع في الآيتين ، ولأن المراد بالمقابلة في الصناعة : الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقة ،أو تقديرا ، سواء كانا متعديين، أم لازمين، أم أحدهما متعديا و الآخر لازما ، وهذا المعنى موجود في الآيتين ، لاسيما في الأولى ، فإنه صريح فيها لتوسيط كلمة التقابل.

وعن قوله:" إن المنتفع بالهدى يسمى مهديا، بخلاف غيره تنزيلا له منزلة العدم" أن هذا مجا ز ،والمهدي من الأوصاف التي تستعمل في المدح مطلقا، وذلك علامة الحقيقة .

وعن قوله: " أمرته فائتمر" ما قاله البزدوي[2] في أصوله أن قضية الأمر لغة أن لا يثبت إلا بالامتثال؛لأن أمر فعل متعد، لازمه ائتمر، ولاوجود للمتعدي إلا أن يثبت لازمه، كالكسر لا يتحقق إلا بالانكسار، إلا أن ذلك لو ثبت بالأمر نفسه لسقط الاختيار من المأمور أصلا ، وللمأمور ضرب عندنا من الاختيار[3] .

ومعنى هذا الكلام أن أصحاب اللغة ما أثبتوا لكل فعل متعد لازما إلا إذا اتفقا

---

(١) الكشاف ١/ ١١٦ والتفسير الكبير٢/ ١٩ .

(٢) هو علي بن محمد بن الحسين أبو الحسن المعروف بفخر الإسلام البزدوي ، الفقيه الكبير بما وراء النهر ، صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة ، له في أصول الفقه كتاب مشهور مفيد ، توفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة . الجواهر المضية ٢/ ٥٩٤ وتاج التراجم ٢٠٥ .

(٣) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام ١/ ١١٦ ١١٨ .

في الوجود.

وقال ابن الحاجب: معنى المطاوعة حصول فعل عن فعل، فالثاني مطاوِعٌ؛ لأنه طاوع الأول ، و الأول مطاوَعٌ؛لأنه طاوعه الثاني، فإذا وجد المطاوَعُ وجب أن لا يتخلف عنه المطاوِعُ [1] .

فإذن معنى أمرته فائتمر جعلته مؤتمرا فائتمر،لكن منع الائتمار معنى سقوط الاختيار، ولزوم الجبر، فعرض له عارض ، فوجب العدول عن الحقيقة [2] . هذا

---

(١) الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ١٢٠ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ١٩١ . قلت : هنا وقفتان : الأولى : من المقرر عند أهل العلم أنه ينبغي العناية بمعاني ألفاظ الشرع ، ومعرفة حدودها ، وما تشتمل عليه من الدلالات حتى لا يقحم في معاني الألفاظ الشرعية ما ليس من معانيها ، ولا يخرج من معانيها بعضها الداخلة في ألفاظه ، فإن الأول زيادة في الشرع ، والثاني نقص منه ، وكلاهما يلزم منه محذور شرعي ، وعلى ذلك فإن هذه اللفظة " الهدى " من الكلمات الشرعية الغنية بتنوع معانيها ، وقد لا يكون لها نظير في كثرة دلالاتها وإطلاقاتها ، وقد أحصى لها الإمام المفسر يحيى بن سلام في " التصاريف " ٩٦ سبعة عشر وجهاً ، وابن القيم أوجهاً عشرة . مدارج السالكين ١/ ٧٢ ٨٧ وشفاء العليل ١/ ٢٢٩ وبدائع الفوائد ٢/ ٣٥ فمنها : الهدى العام ، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها ، وما يقيمها ، وهذا أعم مراتب الهدى ، ومنها : الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده ، وهذا خاص بالمكلفين ، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة ، ومنها الهداية المستلزمة للاهتداء ، وهي هداية التوفيق ، ومشيئة الله لعبده الهداية ، وخلقه دواعي الهدى ، وإرادته ، والقدرة عليه للعبد ، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عزّ وجل .

الوقفة الثانية : حصر الزمخشري معنى الهدى في الاهتداء ، واحتج على ذلك بثلاثة أمور ، وهي أمور غير دالة على ما استدل بها عليه في الواقع ، فاعترض عليه الرازي ونقض عليه الأمور الثلاثة ، ثم دخل بينهما الطيبي شارح الكشاف فانحاز إلى جانب الزمخشري ، وحاول أن يرد اعتراضات الرازي على الزمخشري ، وكأنه جذبته علاقته بالكشاف ، وشرحه له ، فأتى بأجوبة ثلاثة .

أما الجواب الأول فهو سديد ، ولو أن الرازي فصل في معاني الهدى ، فسوّغ مجيء الهدى بمعنى التوفيق والإلهام مقابل الإضلال ، والهدى بمعنى الإهتداء مقابل الضلال لم يتسن للطيبي أن يرد عليه اعتراضه . وأما الجواب الثاني فهو تعسف ظاهر .

وأما الجواب الثالث فهو نقل من فخر الإسلام البزدوي ، وهو كلامٌ في سياق تعداد الأدلة على أن حكم الأمر الوجوب ، فقال في سياق الدليل المعقول بعد ذكره دليل الكتاب والإجماع : والدليل المعقول أن تصاريف الأفعال وضعت لمعان على الخصوص ، كسائر العبارات ، فصار معنى المضي للماضي حقاً لازماً إلا بدليل ، وكذلك الحال ، واحتمال أن يكون من الإستقبال لا يخرجه عن موضوعه ، فكذلك صيغة الأمر لطلب المأمور به ، فيكون حقاً لازماً به على أصل

=

كلام الطيبي.

ثم قال : والواجب تحرير معنى الهدى ، أهو حقيقة في الدلالة المطلقة ، مجاز في الدلالة المخصوصة ،أم عكسه، أم مشترك بينهما ، أم موضوع للقدر المشترك ،وهو البيان، فكلام الإمام يميل إلى الأول، وصاحب " الكشاف" إلى الثاني،والزجاج والواحدي إلى الأخير(١) .

قوله: (واختصاصه بالمتقين) إلى آخره .

هذا السؤال مع ما أجاب به على ما اختاره من تفسير الهدى بمطلق الدلالة ، أما على التفسير الثاني فلا يتوجه السؤال ألبتة، كما نبه عليه الإمام(٢) ؛ لأن كون القرآن موصلا إلى المقصود ليس إلا في حق المتقين.

نعم يقال عليه: كيف يستقيم ﴿ هدى للمتقين﴾ و المتقون هم المهتدون؟ فهو من تحصيل الحاصل(٣) .

ويجاب بجوابين:

أحدهما : أنه باعتبار الثبات و الزيادة .

والثاني: أنه باعتبار ما يؤول، أي هدى للضالين المشارفين للتقوى، الصائرين إليها.

الوضع ، ألا ترى أن الأمر فعل متعدٍ ، لا زمه ائتمر ، ولا وجود للمتعدي إلا أن يثبت لازمه ، كالكسر لا يتحقق إلا يالإنكسار ، فقضية الأمر لغة أن لا يثبت إلا بالامتثال ، إلا أن ذلك لو ثبت بالأمر نفسه لسقط الاختيار من المأمور أصلاً ، وللمأمور عندنا ضربٌ من الاختيار وإن كان ضرورياً ، فنقل حكم الوجود إلى الوجوب حقاً لازماً بالأمر ، لا يتوقف على اختيار المأمور توقف الوجود على اختيار المأمور صيانة واحترازاً عن الجبر ، فلذلك صار الأمر للإيجاب . انتهى . فحاصل ما ذكره ونقله من أجله الطيبي أن الأمر نظير الكسر ، ونظير الهدى ، فكما أن كسر فعلٌ متعد ، لازمه فعلٌ قاصر ، حيث يقال : كسرته فانكسر ، كذلك هدى يلزمه فعل قاصر، وهو اهتدى ، حيث يقال : هديته فاهتدى ، كذلك أمر يلزمه فعل لازمٌ حيث يقال : أمرته فائتمر ، فيجب بالأمر نفسه امتثال المأمور ووجوب وجود المأمور به ، إلا أن ذلك يستلزم الجبر وسقوط اختيار المأمور ، مع أن المأمور له شئ من الاختيار ، فما من حيلة إلا أن ينقل وجوب وجود المأمور به إلى وجوب المأمور به فراراً من الجبر . وهذا أمر غاية في التمحل والتكلف ، وإفساد لأصول الفقه ، وإقحام لما ليس من أصول الفقه بسبيل فيه .

(١) فتوح الغيب ١/ ١٩٢ ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٠ والوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/ ٦٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٢١ .

(٣) هذا سؤال فاسد من أصله ، بين وجه فساده وعدم وروده العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد ٢/ ٣٧ ٣٩ . ومدارج السالكين ١/ ٤٥ بكلام غاية في النفاسة والبيان ، يوقف عليه في محله .

قوله : (وهو في عرف الشرع) إلى آخره

هذا حد المتقي، ويؤخذ منه حد التقوى.

الراغب: التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، وفي التعارف حفظ النفس عن كل ما يؤثم [1] .

قوله: (حتى الصغائر عند قوم)

اعلم أنه اختلف في التقوى هل يدخل فيها اجتناب الصغائر،وأنه إذا لم يتوقها هل يستحق هذا الاسم ؟على قولين، وظاهر كلام المصنف،والإمام- وهو المجزوم به في " الكشاف " [2] - أنه لا يشترط في التقوى ،واستحقاق الوصف بالمتقي اجتنابها ،وإلا لم يكد يستحق هذا الوصف أحد.

وقد شق على الصحابة لما نزل قوله تعالى ﴿ اتقوا الله حق تقاته﴾ [سورة آل عمران ١٠٣] المفسر بأن يطاع فلا يعصى، فنسخ بقوله﴿ فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [3] [سورة التغابن ١٧] وقال تعالى﴿ ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش إلا اللمم﴾ [سورة النحم ٣٣] فاستثنى اللمم ، فلم يقدح في الإحسان، وهو كالتقوى ، بل أخص منها.

وأصرح منه في الاستدلال قوله تعالى﴿ أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء و الضراء﴾ إلى أن قال ﴿ و الذين إذا فعلوا فاحشة﴾[سورة آل عمران ١٣٤ ١٣٦] الآية .

وأما حديث الترمذي((لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس)) [4] فمحمول على الكمال، أي أعلى درجات المتقين.

---

(١) مقدمة جامع التفسير ١٥٢ .

(٢) الكشاف ١/ ١٢٠ والتفسير الكبير ٢/ ٢٠ .

(٣) القول بالنسخ هو رواية عن ابن عباس ، وقول قتادة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب ، والسّدي ، والربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد ، ومقاتل بن سليمان ، والقول بأنها محكمة غير منسوخة هو رواية عن ابن عباس أيضاً ، وقول طاووس ، ورجحه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عزّ وجل واختلاف العلماء في ذلك ٢/ ١٢٩ وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٢٤٤ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٥٧ .

(٤) رواه البخاري في كتاب التاريخ الكبير ٥/ ١٥٨ والترمذي ٤/ ٢٤٢ح ٢٤٥١ وابن ماجه ٤/ ٢١٤ح٤٢٩٠ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٣ وعبد بن حميد في المسند (المنتخب ٤٨٤) والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ١٦٩ والحاكم ٤/ ٣١٩ والبيهقي في السنن

=

ثم الكلام فيما لا ينتهي إلى حد الإصرار السالب للعدالة، بحيث تغلب صغائره على حسناته ،على ما حرر في باب الشهادات من كتب الفقه.

قوله : (و اعلم أن الآية تحتمل أوجها من الإعراب) إلى آخره

قال أبو حيان: قد ركبوا وجوها من الإعراب في قوله﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ والذي نختاره منها أن قوله ﴿ ذلك الكتاب﴾ جملة مستقلة من مبتدإ وخبر؛لأنه متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار، ولا افتقار كان أولى من أن يسلك به مسلك الإضمار و الافتقار.

وقالوا: يجوز أن يكون ﴿ ذلك﴾ خبرا لمبتدإ محذوف ، تقديره هو ﴿ ذلك الكتاب﴾ و﴿الكتاب﴾ صفة ، أو بدل ، أو عطف بيان

ويحتمل أن يكون مبتدأ ، وما بعده خبر ، وفي موضع خبر﴿ الم﴾ و﴿ لا ريب فيه﴾ جملة تحتمل الاستئناف فلا يكون لها موضع من الإعراب ، وأن تكون في موضع رفع خبرا لـ ﴿ ذلك ﴾ ، و﴿ الكتاب﴾ صفة ، أو بدل ، أو عطف ، أو خبر بعد خبر إذا كان ﴿الكتاب﴾ خبرا، وقلنا بتعدد الأخبار، وأن تكون في موضع نصب على الحال، أي مبرأ من الريب.

وجوزوا في قوله﴿ فيه﴾ أن يكون خبرا ل﴿لا﴾ على مذهب الأخفش، وخبرا لها مع اسمها على مذهب سيبويه، وأن يكون صفة ،و الخبر محذوف ، وأن يكون من صلة ﴿ريب﴾ يعني أنه يضمر عامل من لفظ ريب، فيتعلق به، لا أنه يكون متعلقا بنفس ﴿ لا ريب﴾ إذيلزم إذ ذاك إعرابه؛لأنه يصير اسم "لا" مطولا بمعموله، نحو لاضاربا زيدا عندنا.

و الذي نختاره أن الخبر محذوف ؛لأن الخبر في باب "لا" إذا علم لم يلفظ به بنو تميم ، وكثر حذفه عند أهل الحجاز، وهو هنا معلوم.

وجوزوا في قوله تعالى: ﴿ هدى للمتقين﴾ أن يكون ﴿ هدى ﴾ في موضع رفع على أنه مبتدأ ، و﴿فيه﴾ في موضع الخبر ، أو خبر مبتدإ محذوف ، أي هو ﴿هدى﴾، أو على فيه مضمرة إن جعلنا ﴿ فيه﴾ من تمام ﴿ لا ريب﴾ أو خبر بعد خبر، فتكون قد

الكبرى ٥/ ٣٣٥ من طريق عبد الله بن يزيد ، عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس ، عن عطية السعدي . قال الترمذي : هذا حديث حسنٌ غريب ، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه قلت : ضعف الحافظ ابن حجر في التقريب ٣٣٠ عبد الله بن يزيد . وضعف الشيخ الألباني في غاية المرام ١٣٠ الحديث به .

أخبرت بالكتاب عن ﴿ ذلك﴾ وبقوله﴿ لا ريب فيه﴾ ثم جاء ﴿ هدى﴾ خبرا ثالثا، أو كان ﴿ الكتاب﴾ تابعا ،و﴿ هدى﴾ خبر ثان، أوفي موضع نصب على الحال، وبولغ بجعل المصدر حالا ، وصاحب الحال اسم الإشارة، أو ﴿ الكتاب﴾ والعامل فيها على هذين الوجهين معنى الإشارة ، أو الضمير في﴿ فيه﴾ و العامل ما في الظرف من الاستقرار.

و الأولى جعل كل جملة مستقلة ، ف﴿ذلك الكتاب﴾ جملة ، و﴿لا ريب﴾ جملة ، و﴿فيه هدى للمتقين﴾ جملة.

ولم يحتج إلى حرف عطف؛لأن بعضها آخذ بعنق بعض [1] . انتهى كلام أبي حيان.

قوله : (و﴿ لا ريب﴾ في المشهورة مبني ؛لتضمنه معنى "من" منصوب المحل) إلى آخره.

قال ابن يعيش في " شرح المفصل": اعلم أن "لا" النافية على ضربين: عاملة، وغير عاملة، فالعاملة التي تنفي على جهة [2] استغراق الجنس؛لأنها جواب ما كان على طريقة هل من رجل في الدار، فدخول " من " في هذا لاستغراق الجنس، ولذلك تختص بالنكرات لشمولها، ألا ترى أنه لا يجوز هل من زيد في الدار؟ كما يجوز في هل زيد في الدار، فهذه التي لاستغراق الجنس عاملة النصب فيما بعدها من النكرات المفردة، ومبنية معها بناء خمسة عشر .

وإنما استحقت أن تكون عاملة لشبهها ب"إن" الناصبة للأسماء.

ووجه المشابهة بينهما أنها داخلة على المبتدإ و الخبر ، كما أنّ" إنّ" كذلك، وأنها نقيضة من الإعراب، نحو ضربت زيدا، وما ضربت زيدا، فقولك: ضربت زيدا فعل وفاعل ومفعول، وقولك: ما ضربت زيدا نفي لذلك، ومع ذلك فقد أعربته بإعرابه من حيث كان نقيضه؛ليشعر بمعنى الرفع له، فلما أشبهت " لا" "إن" وكانت " إن" عاملة في المبتدإ والخبر كانت " لا" كذلك عاملة في المبتدإ والخبر ؛ لأنها تقتضيهما جميعا، كما تقتضيهما "إن"ولما نصبوا بها لم تعمل إلا في نكرة على سبيل حرف الخفض الذي في المسألة ؛لأنها كالنائبة عنه إلا أن "لا" بنيت مع

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٩ ٣٩ .

(٢) في ظ : وجه .

النكرة؛ لأنها وقعت في جواب هل من رجل عندك؟ على سبيل الاستغراق ، فوجب أن يكون الجواب أيضا بحرف الاستغراق الذي هو " من" ليكون الجواب مطابقا للسؤال ، فكان قياسه لا من رجل في الدار، ليكون النفي عاما، كما كان السؤال عاما ، ثم حذفت " من " من اللفظ تخفيفا، و تضمن الكلام معناها ،فوجب أن يبنى لتضمنه معنى الحرف ، كما بني خمسة عشر حين تضمن حرف العطف[1] .

لطيفة: قال ابن جني في " الخصائص": باب في اقتضاء الموضع لك لفظا ، وهو معك إلا أنه ليس بصاحبك، من ذلك قولهم: لا رجل عندك ، ولا غلام لك، ف"لا"هذه ناصبة لاسمها ، وهو مفتوح إلا أن الفتحة فيه ليست فتحة النصب التي تتقضاها" لا" إنما هذه[2] فتحة بناء وقعت موقع فتحة الإعراب الذي هو عمل "لا"في المضاف، نحو لا غلام رجل عندك.

قال : ونظير ذلك قولك: مررت بغلامي، فالميم تستحق جرة الإعراب بالباء ، والكسرة فيها ليست الموجبة بحرف الجر ، إنما هي التي تصحب ياء المتكلم في الصحيح ؛ لأنها تثبت في الرفع وفي النصب ، وذلك دليل على أنها ليست كسرة الإعراب وإن كانت بلفظها [3] .

قوله : (وفي قراءة أبي الشعثاء)

هو بفتح الشين وسكون العين، اسمه سليم بن الأسود المحاربي ،تابعي مشهور[4]

قوله :(مرفوع ب"لا")

زاد في " الكشاف" :" و الفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق، وهذه تجوزه"[5] .

وقال الإمام: والذي يدل على إيجاب المشهورة للاستغراق أن نفي الجنس نفي الماهية، وهو يقتضي نفي كل فرد من أفرادها ، فلو ثبت فرد من أفرادها ثبتت الماهية.

---

(١) شرح المفصل ١/ ١٠٤ .

(٢) في ظ : هي .

(٣) الخصائص ٣/ ٥٦ .

(٤) هو سليم بن أسود أبو الشعثاء المحاربي الكوفي ، متفق على توثيقه ، توفي سنة اثنتين وثمانين . سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٩ وتهذيب التهذيب ٤/ ١٦٥ .

(٥) الكشاف ١/ ١١٥ .

وأما قراءة ﴿ لا ريبٌ فيه﴾ بالرفع فهو وإن كان نكرة في سياق النفي لكنه نقيض قولنا: ريب فيه، وهو يحتمل أن يكون إثباتا لفرد واحد منها ،ونفيه يفيد انتفاءه[1] .

وقال الزجاج: إذا قلت: لا رجلٌ في الدار جاز أن يكون فيها رجلان ، وإذا قلت : لا رجلَ في الدار فهو نفي عام [2] .

وقال الشيخ أكمل الدين: قد رد ما ذكره صاحب" الكشاف" من الفرق بأن﴿ريب﴾في ﴿ لا ريب فيه﴾ نكرة، و النكرة في سياق النفي تعم ، فينتفي جميع آحاد الريب، فلا فرق في ذلك بين نفي الجنس وغيره.

قال :والجواب أنه غلط ؛لأن الذي ذكره من كون النكرة تعم دليل جواز الاستغراق، إذ لولا ذلك لكان نكرة في سياق الإثبات ، ولم تكن عامة ، ولأن المبني في تقدير" من " الاستغراقية؛لكونها مؤكدة للنفي، و النفي المؤكد ليس كغيره، وإلا كان الشيء مع غيره كالشيء لا مع غيره ، ولأن " من" المقدرة زائدة ؛لعدم اختلال أصل المعنى بتركه، وأَقَلُّ مراتبها التأكيد، وتأكيد العام ينفي احتمال الخصوص، فكان محكما في الاستغراق ،لا يفارقه ، وليس كذلك الذي مع " لا" المشبهة بليس ،فإن احتمال الخصوص فيه باق؛لعدم ما يقطعه ، فكانت دلالته على الاستغراق جائزة الافتراق، وهو ظاهر لا محالة[3] .

وقال أبو حيان: قرئ بالرفع، والمراد أيضا الاستغراق؛بأنه لا يريد نفي ريب واحد عنه، فيكون مبتدءا، و﴿ فيه﴾ الخبر، وهذا ضعيف؛لعدم تكرار "لا" ، أو يكون أعملها إعمال ليس، وهو ضعيف، فيكون ﴿ فيه﴾ في موضع نصب على قول الجمهور من أن لا إذا أعملت عمل ليس رفعت الاسم ، ونصبت الخبر[4] .

قوله: (ولم يقدم كما قدم في قوله﴿ لا فيها غول﴾ لأنه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب، كما قصد ثمة).

قال أبو حيان: انتقل الزمخشري من دعوى الاختصاص بتقديم المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر، ولا نعلم أحدا يفرق بين : ليس في الدار رجل ، وليس رجل في الدار[5] .

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ١٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٦٩ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل٢٣ .

(٤) البحر المحيط ٢/ ٣٢ .

(٥) البحر المحيط ٢/ ٣٦ .

قوله : (فلذلك وقف على ﴿ ريب﴾)

عزي هذا الوقف لنافع وعاصم [(١)] .

قال الإمام: و الأولى الوقف على﴿ فيه﴾ لأن الوقف عليه يكــون الكتـاب نفسـه هدى، وقد تكرر في التـزيل أنه هدى ، وأنه نور، وعلى الأول لا يكون نفسه هدى، بل فيه هدى [(٢)] .

قوله: (والتقدير ﴿لا ريب فيه﴾ فيه ﴿هدى﴾

قال في " المرشد": إن جعلت ﴿لا ريب﴾ بمعنــى حقـا فـالوقف عليـه تـام، ولا حاجة إلى تقدير فيه، وكأنه قال :الم ذلك الكتاب حقا[(٣)] .

قوله: (تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله) .

قال الطيـبي: أي قوله ﴿ هدى﴾ تأكيد لقوله ﴿ لا ريب فيه﴾ لأنه لا يكون هاديا إذا كان فيه مجال للشبهة، ففي قوله: (لا يحوم الشك حوله) كناية، كقوله [(٤)] :

فَمَا جَـازَهُ جُـوْدٌ وَلا حَـلَّ دُوْنَـهُ وَلَكِـنْ يَصِيْرُ الجُـوْدُ حَيـثُ يَصِـيْرُ

وهذه المبالغة مستفادة من إيقاع المصدر خبراً لهو ، كما أن المبالغة في الجملة الثانية حصلت من تعريف الخبر، وفي الثالثة من الاستغراق[(٥)]

قوله : (ذات جزالة) هي خلاف الركاكة

قوله: (ففي الأولى الحذف)

قال الطيـبي : أي حذف المبتدإ ، أي هذه﴿الم﴾ إذا جعلت اسما للسورة[(٦)]

قوله: (و الرمز إلى ا لمقصود)

قال الطيـبي: أي التحدي[(٧)]

قوله: (مع التعليل)

أي الإشارة إليه بألطف وجه، وهو أنها مشيرة إلى أن المتحـدى بـه مـن جنـس

---

(١) انظر في التفسير الكبير٢/ ١٩ .

(٢) التفسير الكبير ٢/ ١٩ .

(٣) كتاب المرشد في الوقف ل١٩ .

(٤) هو أبو نواس ، انظر في ديوان أبي نواس٤٨١ وكتاب دلائل الإعجاز ٣١٠ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٢٠٤ .

(٦) فتوح الغيب ١/ ٢٠٤ .

(٧) فتوح الغيب ١/ ٢٠٤ .

ما تنظمون منه كلامكم .

قوله: (وفي الثانية فخامة التعريف)

قال الطيبي: أي الدلالة على كونه كاملا في بابه[1]

قوله: (وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا من إيهامه الباطل) أي إثباته في غيره

قوله :(وفي الرابعة الحذف)

قال الطيبي: أي هو ﴿هدى﴾[2]

قوله : (والوصف[3] بالمصدر للمبالغة) لأن ﴿ هدى﴾ مصدر وضع موضع هاد

قوله: (وإيراده منكرا للتعظيم)

قال الطيبي: أي هاد لا يكتنه كنهه[4]

قوله: (وتخصيص الهدى بالمتقين) إلى آخره

قال الطيبي: أي حيث لم يقل: للضالين الصائرين إلى التقوى؛ رعاية لحسن المطلع[5]

قوله:(﴿ الذين يؤمنون بالغيب﴾إما موصول بالمتقين على أنه صفة) إلى آخره

في بعض حواشي " الكشاف" : الصفات المفردة على ثلاثة أنواع:

أحدها: أن تكون الثانية شرحا للأولى، كقولك: فلان عدل، يفعل الواجبات، ويجتنب الكبائر، فقولك : يفعل الواجبات ، ويجتنب الكبائر، صفة شارحة للأولى، وهي عدل.

الثاني: أن تكون أجنبية عن الأولى كقولك: فلان عالم شجاع.

الثالث: أن تكون تمثيلا لبعض ما تضمنته الصفة الأولى، كقولك: فلان كريم، سأله سائل فأعطاه ما سأل ، فقوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب﴾ يحتمل الأمور الثلاثة ،

فإنا إن قلنا: إن التقوى هي اجتناب المعاصي خاصة كان قوله﴿ الذين يؤمنون بالغيب﴾ وما بعده وصفا بفعل الطاعات ، وهو غير الأول.

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٠٤ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٠٤ .

(٣) كذا في النسخ ، وفي طبعات أنوار التنزيل : والتوصيف .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٠٥ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٢٠٤ .

وإن قلنا: إن التقوى فعل الطاعات واجتناب المعاصي احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شرحا وبيانا [١] على اندراج بقية العبادات، واجتناب المعاصي أيضا تحت ذكر الإيمان، والصلاة ، و الزكاة .

والثاني: أن يكون تمثيلا لما تضمنته التقوى بذكر بعض الأوصاف التي اشتملت عليها التقوى.

قوله : (وقوله صلى الله عليه وسلّم : ((الصلاة عماد الدين ، والزكاة قنطرة الإسلام))) .

يوهم أن ذلك حديث واحد، وليس كذلك ، بل هما حديثان :

فأما الأول فقد قال النووي في " شرح الوسيط": هو حديث منكر باطل[٢]

قال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الشرح الكبير : وليس كذلك، فقد أخرجه أبو نعيم الفضل بن دكين [٣] شيخ البخاري في " كتاب الصلاة " عن بلال بن يحيى[٤] مرفوعا ((الصلاة عمود الدين[٥])) وهو مرسل ، ورجاله ثقات[٦]

قلت: وأخرجه بلفظ ((الصلاة عماد الدين)) البيهقي في " شعب الإيمان " من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا بسند فيه انقطاع [٧] .

ونبه عليه الشيخ ولي الدين العراقي في حاشيته على " الكشاف" [٨] .

---

(١) في ت ، ح: شرط وبيان. وفي ق: شرطا وبيانا.

(٢) التنقيح في شرح الوسيط ٢/ ٥ .

(٣) هو الفضل بن دكين واسمه عمرو بن حماد أبو نعيم الكوفي التيمي الطلحي ، كان ثقة يقظان في الحديث عارفاً به ، روى له الجماعة ، توفي سنة تسع عشرة ومائتين . تهذيب الكمال ٢٣/ ١٩٧ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٤٢ .

(٤) لعله : بلال بن يحيى العبسي الكوفي ، روى عن حذيفة بن اليمان ، روى عنه ليث بن أبي سليم ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، والباقون سوى مسلم تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٠ وتهذيب التهذيب١/ ٥٠٥ قلت : وهو في طبقة شيوخ الفضل بن دكين .

(٥) طبع من كتاب الصلاة لفضل بن دكين جزء واحد ، وضاع منه جزءان ، والحديث في قسم الضائع منه .

(٦) تلخيص الحبير ١/ ١٧٣ .

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٩٨ من طريق قتادة ، عن عكرمة ، عن عمر . ثم نقل عن شيخه الحاكم أبي عبد الله الحافظ أنه قال : عكرمة لم يسمع من عمر ، وأظنه أراد عن ابن عمر . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم ٣٥٦٦ .

(٨) حاشية ولي الدين العراقي ل١١ .

وأخرجه أيضا الديلمي في" مسند الفردوس" من حديث علي بن أبي طالب[1]

وفي معناه حديث الترمذي من رواية معاذ بن جبل ((رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة)) [2] .

وأما حديث((الزكاة قنطرة الإسلام)) فأخرجه الطبراني في" الكبير" و البيهقي في " شعب الإيمان" [3] من حديث أبي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف

قوله : (أو مسوقة للمدح) إلى أن قال: (.... أو على أنه مدح منصوب، أو مرفوع بتقدير أعني أوهم) .

قال أبو حيان: النصب على المدح ، على القطع بإضمار أمدح ، أو بإضمار أعني على التفسير.

الشيخ أكمل الدين : قيل: الفرق بين المدح صفة والمدح اختصاصا - يعني أن

---

(١) رواه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب ٢/ ٨١١ وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٠٤ (غير مسند) عن الحارث ، عن علي . قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ١/ ٤٣ والحارث ضعيفٌ جداً .

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٩٤ ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ١٣١ وعبد ابن حميد في المسند (المنتخب ٦٨) وأحمد ٣٦/ ٣٤٤ والترمذي ٤/ ٣٦٢ح٢٦١٦ وابن ماجه ٢/ ١٣١٤ح٣٩٧٣ والنسائي في السنن الكبرى٦/ ٤٢٨ من طريق عاصم بن النجود ، عن أبي وائل ، عن معاذ بن جبل . ورواه ابن حبان (الإحسان١/ ٤٤٦) والطبراني في المعجم الكبير٢٠/ ٦٦ عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن معاذ . وعن عمير بن هانئ ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ . ورواه أحمد ٣٦/ ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٤٣٣ ، والطبراني ٢٠/ ٦٣ ، ٦٤ عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ . ورواه الطبراني ٢٠/ ٧٣ ، ٧٦ من طريق أيوب بن كريز ، والزهري كلاهما عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ . ورواه الحاكم ٢/ ٧٦ ، ٤١٢ عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ . ورواه أحمد ٣٦/ ٣٧٣ عن عطية بن قيس ، وعن عروة ابن النزال ٦/ ٣٨٧ كلاهما عن معاذ . قال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وصحح الدارقطني في العلل ٦/ ٧٥ رواية ميمون .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط٨/ ٣٨٠ والمعجم الكبير إلا أن مسند أبي الدرداء منه مفقود ، وابن عدي في الكامل ٤/ ١٤١٧ والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ١٩٦ والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ١٨٣ وأبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب ٢/ ٦٠١ من طريق بقية بن الوليد ، عن الضحاك ابن حمرة ، عن حطان بن عبد الله الرقاشي ، عن أبي الدرداء مرفوعاً . ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ١/ ٢٣٥ وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٥٠٦٨ بضحاك بن حمرة .

يكون بمعنى أعني ، أو مرفوعا بتقدير المبتدإ- أن الغرض الأصلي من الأول إظهار كمالات الممدوح، والالتذاذ بذكرها ، وقد يتضمن تخصيص بعض الصفات بالذكر الإشارة إلى إنافتها[1] على سائر الصفات المسكوت عنها ، ومن الثاني إظهار أن تلك الصفة أحق باستقلال المدح من بين سائر الصفات الكمالية ، إما مطلقا، وإما بحسب ذلك المقام ، سواء كان في نفس الأمر، أو ادعاء ، وأن الوصف أصلي في الأول، والمدح تابع، وفي الثاني بالعكس [2] .

قوله: (وإما مفصول عنه، مرفوع بالابتداء ،وخبره ﴿ أولئك﴾)

قال أبو حيان: لا نختار هذا الوجه لانفلاته مما قبله ، و الذهاب به مذهب الاستئناف مع وضوح اتصاله بماقبله، وتعلقه به[3] .

قوله : (والإيمان في اللغة التصديق ، مأخوذ من الأمن) إلى آخره

قال الطيبي: أي الإيمان إفعال من الأمن لغة ، ثم نقل إلى المفهوم الشرعي، وهو التصديق لعلاقة الأمن من التكذيب، و المخالفة[4] .

الراغب: الإيمان التصديق الذي معه أمن .

قال: وأما قوله:﴿ يؤمنون بالجبت﴾ فهو على سبيل الذم لهم بأنه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن[5] .

قوله: (وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف)

قال الطيبي: هذا على تقدير السؤال والجواب، يعني إذا كانت حقيقة الإيمان منقولة من أمن فما باله عدي بالباء ، ولم يعد بنفسه؟ فأجاب أن تعديته بالباء من باب التضمين[6] .

قال ابن جني : لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلدات [7] .

قال صاحب " الكشاف": "من "شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر،

---

(١) كتب في ح تحت إنافتها: أي شرفها وعلو منزلتها

(٢) حاشية أكمل الدين ل٣٤ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٦٧ .

(٤) فتوح العيب١/ ٢١٢ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ٩١ .

(٦) فتوح الغيب ١/ ٢١٣ .

(٧) الخصائص ٢/ ٣١٠ .

فيجرونه مجراه ، ويستعملونه استعماله".

قال الطيبي : ولو زيد مع إرادة معنى المضمن كان أحسن ، كما تقول : أحمد إليك فلانا ، أي أنهي إليك حمد فلان .

قال في سورة الكهف:" الغرض في [1] التضمين إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى" [2] .

الشيخ سعد الدين : فإن قيل: الفعل المذكور إن كان في معناه الحقيقي فلا دلالة على الفعل الآخر ، وإن كان في معنى الفعل الآخر فلا دلالة على معناه الحقيقي ، وإن كان فيهما جميعا لزم الجمع بين الحقيقة و المجاز.

قلنا : هو في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية ، فقولنا : أحمد إليك فلانا ، معناه : أحمده منهيا إليك حمده، ويقلب كفيه على كذا ، معناه : نادما على كذا ، ولابد من اعتبار الحال وإلا لكان مجازا محضا ، لا تضمينا، وتقديره هنا ﴿يؤمنون﴾ معترفين بالغيب[3] . انتهى

قوله : (ومنه ما آمنت أن أجد صحابة)

هو من قول العرب ، حكاه أبو زيد بقوله : ناوي السفر، أي ما أثق أن أظفر بمن أرافقه[4] .

قوله:(وكلا الوجهين حسن في﴿ يؤمنون بالغيب﴾)

قال الشيخ أكمل الدين : يعني نظرا إلى أصل المعنى اللغوي، وأما بالنظر إلى العرف الشرعي فالحمل على التصديق ظاهر الرجحان ؛ للإجماع على أن الإيمان المعتبر نفس التصديق ، أوهو داخل فيه و أعظم أركانه[5] .

قوله : (وأما في الشرع)

---

(١) في ت ، ح : من .

(٢) الكشاف ١/ ١٢٦ ، ٢/ ٤٨١ وفتوح الغيب ١/ ٢١٣ .

(٣) حاشية سعد الدين ل٢٢ وفيه : ... معناه نادماً على كذا ، وقد يعكس كما يشعر به قوله : أي يعترفون به ، ولابد من اعتبار الحال ، أي يعترفون به مؤمنين وإلا كان مجازاً محضاً ، لا تضميناً ، وربما يقال : إن ذكر صلة المتروك يدل على زيادة القصد إليه ، فجعله أصلاً والمذكور حالاً وتبعاً أولى .

(٤) كتاب النوادر في اللغة ٥١٠ وفيه : وقالوا : ما آمنت أن أجد صحابة إيماناً ، أي ما وثقت أن أجد صحابة ، والإيمان الثقة .

(٥) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

الإمام: اختلف أهل القبلة في مسمى الإيمان في عرف الشرع، ويجمعهم أربع فرق:

الفرقة الأولى: قالوا: هو أسم لأعمال القلوب، و الجوارح ،والإقرار باللسان، وهم المحدثون، و المعتزلة، والخوارج.

فالمحدثون قالوا: المعرفة إيمان كامل [1] ، وهو الأصل ، ثم كل طاعة إيمان على حدة، وهي فروع، فلا يكون شيء منها إيمانا ما لم تكن مرتبة على الأصل، و الجحود وإنكار القلب كفر، وهو الأصل، ثم كل معصية [2] كفر على حدة، وهي فروع، فلا يكون شيء منها كفرا ما لم تكن مرتبة على الأصل؛لأن الفرع لا يحصل بدون أصله.

والمعتزلة قال بعضهم: الإيمان فعل كل الطاعات فرضا ونفلا، وقال بعضهم: الفرض فقط،وقال بعضهم: اجتناب الكبائر

الفرقة الثانية: قالوا: الإيمان التصديق بالقلب و اللسان معا ،وعليه أبو حنيفة ، وعامة الفقهاء[3] .

الفرقة الثالثة : قالوا : الإيمان التصديق بالقلب فقط [4] .

الرابعة: قالوا : الإقرار باللسان فقط، ثم منهم من شرط معه حصول المعرفة بالقلب، فهي عنده شرط لكون الإقرار إيمانا ،لا داخلة في مسمى الإيمان[5] ، ومنهم من لم يشترط ذلك ، وعليه الكرامية[6] . انتهى ملخصا [7] .

ومن ذلك يجتمع في مسمى الإيمان عشرة أقوال.

---

(١) ليست المعرفة بإيمان كامل ، بل هي جزء أصليّ لمفهوم الإيمان الشامل للمعرفة وللنطق ولعمل الجوارح . قال أبو عبد الله بن بطة في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/ ١٧٦٠ : اعلموا أن الله فرض على القلب المعرفة به والتصديق له ولرسله ولكتبه ، وبكل ما جاءت به السنة ، وعلى الألسن النطق بذلك والإقرار به قولاً ، وعلى الأبدان والجوارح العمل بكل ما أمر به وفرضه من الأعمال ، لا تجزئ واحدة من هذه إلا بصاحبتها ، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بأن يجمعها كلها ، حتى يكون مؤمناً بقلبه ، مقراً بلسانه ، عاملاً مجتهداً بجوارحه .

(٢) في ظ : خطيئة .

(٣) انظر في تبصرة الأدلة في أصول الدين لأبي المعين النسفي ٢/ ٧٩٨ .

(٤) وهو قول الأشعرية . انظر في كتاب الإرشاد للجويني ٣٩٧ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني ١/ ٤٠٣ .

(٥) وهو قول الرقاشي ، وعبد الله بن سعيد القطان . انظر في تبصرة الأدلة ٢/ ٧٩٩ .

(٦) انظر في التبصير في معالم الدين للطبري ١٨٩ وتبصرة الأدلة ٢/ ٧٩٨ .

(٧) التفسير الكبير٢/ ٢٤ ٢٥ .

قوله: (فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلّم)

قال الإمام: لابد من شرح ماهية هذا التصديق ، فنقول: من قال: العالم محدث فليس مدلول هذه الألفاظ كون العالم موصوفا بالحدوث ، بل مدلولها حكم ذلك القائل بكون العالم حادثا، فالحكم بثبوت الحدوث للعالم مغاير لثبوت الحدوث للعالم، ومغاير للعلم به أيضا ؛ لأن الجاهل بالشيء قد يحكم به ، فهذا الحكم الذهني هو المراد من ا لتصديق بالقلب(١) .

قوله : (ومجموع ثلاثة أمور) إلى آخره

هذا أخذه المصنف من الراغب، وكان من أئمة السنة(٢) ، وعبارته:

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٢٥ .

(٢) منزلة الإمامة في السنة منزلة عاليةٌ ترنو إليها همم أولو العزائم العالية ، تنال بالصبر واليقين بعد رسوخ القدم في المعرفة والسنة ((وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)) فهل كان أبو القاسم الراغب الأصبهاني إماماً بهذا المعنى ؟ لقد ألف كتاباً في العقيدة سماه : كتاب الاعتقاد . حققه أختر جمال محمد رسالة ماجستير في جامعة أم القرى ، فألقيت النظر عليه لمعرفة مدى انطباق وصف الإمامة في السنة عليه ، فألفيته ينحو فيه منحى المتكلمين، ويخالف السلف في مسائل عظمى : منها مسألة الإيمان ، حيث يحصر الإيمان الشرعي بالاعتقاد فحسب ، قال : والإيمان الشرعي الذي يطلق على سبيل المدح هو الاعتقاد الصادق اليقيني بالأمور الأخروية ، وأصله ستة أشياء ، قد نبه النبي عليه السلام عليها بقوله : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ٣٥٤ ومنها : العرش والاستواء والنزول والمجيء ، فلا يثبت عرشاً استوى عليه ربنا ، بل يؤول العرش بقوام أمره ، ولايثبت له نزولاً ومجيئاً ، بل يؤول النزول والمجيء . ولما أورد حديث ابن مسعود " ما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه من أعمالكم شئ " قال : وإياك أن تتصور بهذه الألفاظ شيئاً من = المحسوسات ، فإن " على " في نحوه إنما هو كقوله : " والله على كل شئ قدير " " وفوق كل ذي علم عليم " ١١٣ وقال : وفي قوله تعالى : " إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش " دليل على أن لا حاجة به إلى العرش ، وأنه لم يتغير عما كان ١١٤ .

وقرر أنه ما من شئ إلا وهو فيه ، ومعه ، وعليه ، وفوقه ، قد غشاه بنور منه ، يشهد بربوبيته على وحدانيته ، لا على أن الأشياء مكان له ، أو محتاج إليها ، بل المعنى أن الأشياء كلها محتاجة إلى حفظه كما قال : " إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا " وعلى هذا النحو نزول الرب عزّ وجل في قوله عليه السلام : " ينزل الله عزّ وجلّ إلى السماء الدنيا " والمجيء في قوله تعالى : " وجاء ربك والملك " ١١١ ١١٥ فالرجل رحمه الله مائل إلى الكلام والتجهم ، معرض عن مذهب السلف في هذه المسائل ، ولو تتبع متتبع في مؤلفاته الأخرى ربما وجد فيها

=

لما كان من لوازم الإيمان التصديق قالوا: الإيمان هو التصديق .

قال: ولا يكون التصديق إلا عن علم ، ولذلك قال تعالى﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ [سورة الزخرف ٨٧] .

فالإيمان اسم لثلاثة أشياء، علم بالشيء، وإقرار به ، وعمل بمقتضاه إن كان لذلك المعلوم عمل كالصلاة، و الزكاة، هذا هو الأصل ، ثم قد يستعمل في كل واحد من هذه الثلاثة، فيقال: فلان مؤمن، أي أنه مقر بما يحقن دمه وماله، ولذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم على الجارية حين سألها ما سألها ، ثم قال : ((أعتقها فإنها مؤمنة)) (١)

ويقال: مؤمن ويراد به أنه يعرف الأدلة الإقناعية التي يحصل معها سكون النفس ، وإياه عنى صلى الله عليه وسلّم بقوله :((من قال لا إله إلا الله موقناً دخل الجنة)) (٢)

ويقال : مؤمن ، ويعنى به أنه يسكن قلبه إلى الله من غير أن يلتفت إلى شيء من العوارض الدنيوية ، وإياه عنى بقوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) ﴾ ٣) [سورة الأنفال ٣] .

قوله : (ومن أخلّ بالإقرار فهو كافر)

قال الشريف : أي مجاهر بكفره ، بخلاف المنافق فإنه كافر يخفي كفره(٤) .

وقال الطيبي : فيه نظر(٥)

قال الإمام : من عرف الله بالدليل ولم يجد من الوقت ما يتلفظ بكلمة الشهادة هل يحكم بإيمانه؟ وكذا لو وجد من الوقت ما أمكنه التلفظ به (٦) .

مخالفات في مسائل أخرى ، والمخالفة في هذه المسائل تنكب عن السنة المحضة ، فضلاً عن الإمامة فيها .

(١) رواه أحمد ٣٩/ ١٧٦ ومسلم ١/ ٣٨٢ ح٥٣٧ والنسائي في المجتبى ٣/ ١٨ح١٢١٨ وفي السنن الكبرى ٢/ ٤٤ من حديث معاوية بن الحكم .

(٢) رواه الحميدي في المسند ١/ ٣٦٢ وأحمد ٣٦/ ٣٨١ وابن حبان (الإحسان ١/ ٤٣٠) من حديث جابر .

(٣) مقدمة جامع التفسير ١٥٤ .

(٤) حاشية الشريف١/ ١٢٩ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٢١٥ .

(٦) من وقر في قلبه التصديق وأراد أن ينطق بما احتوى عليه قلبه فلم يسعفه الوقت ، ولم ينتظره

=

روي عن الغزالي نعم ، والامتناع من النطق يجري مجرى المعاصي التي تؤتى مع الإيمان، ويعضده حديث البخاري ((أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة)) [1]

قال : و الذي يعتذرله [2] أن المراد بالإخلال هو أن يقصد به على سبيل الجحود و العناد كما فعل أبو طالب [3] .

قوله : (و الذي يدل على أنه التصديق وحده) إلى آخره

تبع في هذا الترجيح الإمام فخر الدين[4] ، وهو خلاف مذهب إمامهما الإمام الشافعي رضي الله عنه ، و السلف قاطبة .

أخرج الحاكم في " مناقبه" وأبو نعيم في " الحلية" عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص [5] .

وأخرج اللالكائي في" السنة " عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص.

وأخرجه ابن أبي حاتم، واللالكائي[6] عن جمع كثير من الصحابة والتابعين[7] .

الأجل ، وحال دون النطق بكلمة الشهادة فلا شك أنه معذور في عدم نطقه، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وهذا لم يكن النطق في وسعه ، كالأخرس الذي لا يستطيع النطق بكلمة الشهادة ، فكما يعذر الأخرس الذي قام به مانع لساني يعذر الذي قام به مانع زماني . وأما من كان في حال السعة ولم يأت بركن النطق بالشهادة مع تحقق التصديق في قلبه فقد سبق في تعليق سابق أن أهل السنة والحديث لا يعتدون بتصديقه ما لم يضف إليه الركنين الآخرين ، على أن هذه الصورة قد تكون أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها . شرح حديث جبريل ٥٥٢ .

(١) رواه البخاري ٦/ ٧٢٨ ح٧٠٧٢ ومسلم ١/ ١٨٣ح ٣٢٦ من حديث أنس .

(٢) كتب في ح تحت كلمة له: أي المصنف .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٢٧ وفتوح الغيب ١/ ٢١٥ ٢١٦ .

(٤) التفسر الكبير ٢/ ٢٦ .

(٥) مناقب الشافعي للحاكم مفقود ، ولكن روى البيهقي الأثر في مناقب الشافعي ١/ ٣٨٧ عن الحاكم ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١١٠ .

(٦) هو هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم الطبري الرازي اللالكائي ، مفيد بغداد في وقته ، صنف كتاباً في السنة ، توفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة . سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤١٩ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤ وانظر في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٩٥٩ .

(٧) أصل السنة واعتقاد الدين ٢٠ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ١٠١٢ ١٠٢٨ .

وورد هذا اللفظ في حديث مرفوع أخرجه الديلمي من حديث أبي هريـرة [١] ، وأخرج ابن ماجه من حديث علي مرفوعا ((الإيمان عقد بالقلب ، وإقرار باللسـان، وعمل بالأركان)) [٢] .

فإن قلت : فما تحرير الفرق بين مذهب السلف والمعتـزلة؟

قلت : السلف جعلوا العمـل شـرطا فـي كمـال الإيمـان[٣] ، و المعتـزلة فـي صحته.

قوله :(﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾) [سورة الأنعام ٨٣] .

لا يصح إيراد هذه الآية في الأمثلة؛لأن المراد بالظلم فيها الشرك ،كما سـيأتي، لا المعاصي.

قوله: (و الغيب مصدر وصف به للمبالغة)

زاد في " الكشاف":" بمعنى الغائب"[٤]

أبو حيان:إن كانت الباء مقوية لوصول الفعل إلى الاسم كمـررت بزيـد فتتعلـق بالفعل ، أو للحال فتتعلق بمحذوف، أي ملتبسين بالغيب ، عن المؤمَنِ بـه، فيتعيـن في هذا الوجه المصدر.

وأما إذا تعلق بالفعل فعلى معنى الغائب ، أطلق المصدر وأريد به اسم الفاعل.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل ١/ ٢٠٣ والديلمي في الفردوس بمـأثور الخطـاب ١/ ١١٠ قـال ابـن عدي باطل ، وقال السيوطي في اللآلي المصنوعة ١/ ٣٧ موضوع .

(٢) رواه ابن ماجه ١/ ٤٧ ح٦٦ والعقيلي فـي كتـاب الضعفـاء ٤/ ١٣٠٨ وفـي سـنده أبـو الصلـت الهروي . قال العقيلي : حديث غير محفوظ ، والحمل فيه على أبي الصلـت الهـروي . وحكـم عليه الشيخ الألباني بالوضع . انظر في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٢٧١ .

(٣) أعمال الإيمان قسـمان : أعمـال قلـوب كـالإخلاص ، والحـب ، والإنقيـاد ، وأعمـال جـوارح كالأركان الأربعة ، والواجبات الأخرى ، والمستحبات ، وأعمال القلوب أصل أعمال الجوارح، ولا يصح الإيمـان بـدون شـئ مـن أعمـال القلـوب . وأمـا الواجبـات غـير الأركـان الأربعـة ، والمستحبات فلا شك أنهـا مـن كمـال الإيمـان الواجـب والمسـتحب ، وأمـا الأركـان الأربعـة فاختلف أهل السنة والجماعة في التكفير بتركها مع إقرار تاركها بالوجوب فمنهم من كفـر بـترك واحدة منها ، ومنهم من كفر بترك الصلاة فقط ، ومنهم من كفـر بـترك الصـلاة والزكـاة فقـط ، ومنهم من لا يكفـر بترك شئ منها ، فمن كفر بالترك جعل ما كفر بتركـه ركنـاً أصليـاً للإيمـان ، تتوقف صحته عليه ، ومن لم يكفر بالترك جعل هذه الأركان من كمال الإيمان الواجب . وانظـر في التحفة العراقية في الأعمال القلبية ٢٩٤ وشرح حديث جبريل ٥٥٤ .

(٤) الكشاف ١/ ١٢٨ .

قالوا: وعلى معنى المغيب أطلق المصدر وأريد به اسم المفعول، نحو هذا خلق الله،ودرهم ضرب الأمير ، وفيه نظر؛لأن الغيب مصدر غاب اللازم [1]. انتهى

قوله: (و العرب تسمي المطمئن من الأرض)

قال الطيبي: يروى بكسر الهمزة ،وفتحها، فبالكسر الصفة، وبالفتح الموضع[2]

قوله: (والخمصة التي تلي الكلية)

قال الطيب ي: هي النقرة والحفرة[3]

قوله : (أو فيعل، خفف كقيل)

زاد في " الكشاف": "فإن أصله قيِّل"[4]

قال أبو حيان -وتبعه السمين في " إعرابه"-:هذا الذي أجازه الزمخشري في الغيب فيه نظر؛لأنه لا ينبغي أن يدعى ذلك فيه حتى يسمع مثقلا كنظائره، فإنها سمعت مثقلة ومخففة، ويبعد أن يقال: التزم التخفيف في هذا خاصة[5] .

قال أبو حيان :والفارسي لا يرى هذا التخفيف قياسا في بنات الياء، فلا يجيز في بَيِّنٍ التخفيف ، ويجيزه في ذوات الواو، نحو سيد وميت ،وغيره قاسه فيهما، وابن مالك وافق الفارسي في ذوات الياء ، وخالف الناس في ذوات الواو، فزعم أنه محفوظ، لا مقيس[6] .

قوله :(وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته، و اليوم الآخر وأحواله، وهو المراد في الآية)

قال الإمام : ما لا يمكن إثبات النقل به إلا بعد ثبوته فإنه لا يمكن إثباته بالنقل، وما كان إخباراً عن وقوع ما جاز وقوعه، وجاز عدمه لا يمكن معرفته إلا بالحس أو النقل،فالصانع والنبوات من قبيل الأول، والحشر والنشر،وما يتعلق بهما من الثاني.

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٥١ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢١٤ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٢١٤ .

(٤) الكشاف ١/ ١٢٨ .

(٥) البحر المحيط ٢/ ٥١ والدر المصون ١/ ٩٣ .

(٦) البحر المحيط ٢/ ٤٢ وانظر في كتاب التكملة لأبي علي الفارسي ٥٩٨ والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/ ١٩٣ .

قوله: (هذا إذا جعلته صلة للإيمان، وأوقعته موقع المفعول به)

قال الشيخ أكمل الدين: الصلة في عرف النحاة هي المفعول به بواسطة حرف الجر[1] .

قوله : (على تقدير ملتبسين بالغيب)

قال الطيبي : وحينئذ يرجع معنى الغيب إليهم[2]

قوله: (لما روي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((والذي لا إله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمان بغيب)) ثم قرأ هذه الآية)

أخرجه سعيد بن منصور في "سننه"، وأحمد بن منيع[3] في "مسنده"، والحاكم في "مستدركه" وصححه[4] .

قوله :(﴿ ويقيمون الصلاة﴾ أي يعدلون أركانها، ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها)

قال الطيبي: وعلى هذا فهو استعارة تبعية، شبه تعديل المصلي أركان الصلاة،وحفظها من أن يقع فيها زيغ بتقويم الرجل العود المُعَوَّجِ، فقيل: يقيمون ، وأريد : يعدلون[5] .

قوله: (من أقام العود إذا قَوَّمَهُ)

قال الشريف: القيام في أصل اللغة هو الانتصاب، و الإقامة إفعال منه، و الهمزة للتعدية، فمعنى أقام الشيء جعله قائما، أي منتصبا، ثم قيل: أقام العود إذا قوّمه ، أي سَوَّاهُ وأزال اعوجاجه، فصار قويما شبه القائم، ثم استعيرت الإقامة من تسوية الأجسام التي صارت حقيقة فيها لتسوية المعاني ؛كتعديل أركان الصلاة على

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢١٤ .

(٣) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن أبو جعفر البغوي ، رحل وجمع وصنف المسند ، توفي سنة أربع وأربعين ومائتين . سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٣ وتهذيب التهذيب ١/ ٨٤ .

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه ٢/ ٥٤٤ وأحمد بن منيع في مسنده (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٧/ ٤٨٣) وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٧ والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٠ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد الثمانية ١/ ١١٢ هذا إسناد رجاله رجال الصحيحين .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٢١٦ .

ما هو حقها، وإنما لم تجعل استعارتها من تحصيل القيام في الأجسام ، بل من تسويتها رعاية لزيادة المناسبة بين المعاني[1] .

هذا ، وقد قيل: الإقامة بمعنى التسوية حقيقة في الأعيان والمعاني، فلا حاجة حينئذ إلى الاستعارة

قوله: (أو يواظبون عليها ، من قامت السوق إذا نفقت، وأقمتها إذا جعلتها نافقة)

قال الطيبي: فعلى هذا هو كناية تلويحية [2] : عبر عن المواظبة والدوام بالإقامة، فإن إقامة الصلاة بمعنى تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها مشعرة بكونها مرغوبا فيها ، وإضاعتها وتعطيلها يدل على ابتذالها، كالسوق إذا شوهدت قائمة دلت على نفاق سلعتها ، ونفاقها يدل على توجه الرغبات إليها، وتوجه الرغبات يستدعي الاستدامة ، بخلافها إذا لم تكن قائمة، فعلى هذا المراد من قوله:" من قامت السوق" أي من باب قامت السوق، لا أنه منقول من قامت السوق[3] .

وقال الشريف: نفاق السوق كانتصاب الشخص في حسن الحال و الظهور التام، فاستعمل القيام فيه،والإقامة في إنفاقها، أي جعلها نافقة،ثم استعيرت منه للمداومة على الشيء ،فإن كلا من الإنفاق والمداومة يجعل مُتَعَلَّقَهُ مرغوبا متنافسا فيه متوجها إليه.

قال : وقد أورد عليه أن هذه المشابهة خفية جدا ، وأيضا الأصل أعني: أقام السوق مجاز ،فالتجوز عنه ضعيف.

ودفع الأول بالحمل على المجاز المرسل بعلاقة اللزوم ، فإن الانفاق يستلزم المداومة عادة.

و الثاني: بأنه صار بمنزلة الحقيقة[4] .

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٢٩ .

(٢) الكناية التلويحية : هي التي بينها وبين المكني عنها مسافة متباعدة لكثرة الوسائط ، كما في " كثير الرماد " لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك من بعد . الإيضاح في علوم البلاغة ٥/ ١٧٦ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/ ٣٤٦ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٢١٦ .

(٤) حاشية الشريف ١/ ١٢٩ .

وقال الشيخ أكمل الدين: قد اعترض على هذا الوجه بأنه مجاز و العلاقة غير مطردة؛لأن الدوام لا يستلزم النفاق، ولا العكس.

و الجواب أن في تعليل المصنف مدفعا لذلك ، وهو أنه استعارة ، وهي تستدعي التشبيه،وقد بين وجهه بأنه الرغبة، فإن الدوام على الشيء بدون الرغبة فيه لا يتحقق،كما أن النفاق في الأسواق لا يتحقق إلا بالرغبات[1] .

قوله: (قال:

أَقَامَتْ غَزَالَةُ سُوقَ الضِّرَابِ ... لأَهْلِ العِرَاقَيْنِ حَوْلاً قَمِيطاً)

غزالة [2] امرأة شبيب الخارجي[3] ، لما قتله الحجاج خرجت عليه، وحاربته سنة كاملة. والضراب المضاربة بالسيوف . و العراقان البصرة والكوفة . والقميط التام.

أي هذه المرأة دامت على الحرب حولا كاملا تاما.

والبيت من قصيدة طويلة لأيمن بن خُرَيم الصحابي[4] رضي الله تعالى عنه ، أولها :

أَبَى الجُبَنَاءُ مِنَ أهْلِ العِرَاقِ ... عَلَى اللهِ وَالنَاسِ إلا قُسُوْطَا

أَيَهْزِمُهُم مِائَتَا فَارِسٍ ... مِنَ السَّافِكِيْنَ الحَرَامَ العَبِيْطَا

وَخَمْسُوْنَ مِنْ مَارِقَاتِ النِّسَاءِ ... يَجُرُّوْنَ بِالمُنْدَبَاتِ[5] المُرُوْطَا

وَهُمْ مِائَتَا أَلْفِ ذِيْ قَوْنَسٍ ... يَئِطُّ العِرَاقَانِ مِنْهُمْ أَطِيْطَا

رَأَيْتُ غَزَالَةَ إِذْطَرَحَتْ ... بِمَكَّةَ هَوْدَجَهَا وَالغَبِيْطَا

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

(٢) إمرأة شبيب الحروري ، من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية ، وكانت تقاتل في الحروب بنفسها ، وقد كان الحجاج هرب في بعض الوقائع مع شبيب من غزالة فعيره ذلك بعض الناس . وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٤ والأعلام ٥/ ١١٨ .

(٣) هو شبيب بن يزيد بن نعيم أبو الضحاك الشيباني الخارجي ، رأس الخوارج بالجزيزة ، وفارس زمانه ، بعث لحربه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحداً ، ثم غرق بنهر دجيل سنة سبع وسبعين . وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٤ وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٦ .

(٤) هو أيمن ابن خريم بن فاتك الأسدي ، أسلم يوم الفتح وهو غلام يفاع ، روى عن أبيه وعمه وهما بدريان . الاستيعاب ١/ ١٢٩ والإصابة ١/ ١٧٠ .

(٥) في د ، ظ ، ق : للمندبات .

سَـمَتْ لَلْعِرَاْقَيْـنِ مِـنْ شُؤْمِـهَا   فَلاقَـى العِرَاقَـانِ مِنْهَـا البَطِيْـطَا
أَلا يَتَّقِـيْ اللـهَ أَهْـلُ العِـرَاْ   قِ إِذْ قَلَّـدُوْا الغَاْنِيَـاتِ السُـمُوْطَا
وَخَيْـلُ غَـزَالَةَ تَعْتَامُـهُمْ   فَتَقْتُـلُ كَهْـلَ الوَفَـاءِ الوَسِـيْطَا
وَخَيْـلُ غَزَالَـةَ تَحْـوِيْ [1] النِّهَـابْ   وَتَسْبِـيْ السَّبَايَا وَتُحْيِـيْ [2] النَبِيْطَـا

وهي طويلة جداً[3]

قوله : (أو يتشمرون لأدائها من غير فتور ولا توان، من قولهم : قام بالأمر) إلى آخره

قال الطيبي: ﴿ يقيمون﴾ على الوجوه مسند إلى المصلي مطلقا ، وعلى هذا الوجه مسند إلى الصلاة باعتبار أن المصلي إذا أقام الصلاة كانت هي قائمة [4] ، على نحو نهاره صائم، وليله قائم، ألا ترى إلى قوله: "من غير فتور" فإنه لا يقال: نهاره صائم إلا لمن صام الدهر كله ، ولا ليله قائم إلا لمن لا ينام فيه[5] .

وقال الشيخ أكمل الدين: اعترض على هذا الوجه بأنه مجاز ،والعلاقة غير مطردة،وبأنه ليس على ظاهره؛لأن القائم بالأمر هو المتشمر له، لا مقيمه، وهنا ليس كذلك، اللهم إلا أن تجعل الصلاة متشمرة لكون فاعلها كذلك ،من باب جَدَّ جِدُّهُ، ولا يخفى بعده عن الفهم.

قال: والجواب أن باب جد جده مفتوح في الكلام[6] .

وقال الشريف: قام بالأمر، أي اجتهد في تحصيله، وتجلد فيه بلا توان، وحقيقته قام ملتبسا بالأمر، والقيام به يدل على الاعتناء بشأنه، ويلزمه التجلد والتشمر،فأطلق القيام على لازمه،ومنه قامت الحرب على ساقها إذا التحمت واشتدت ، كأنها قامت وتشمرت لسلب الأرواح ، وتخريب الأبدان.

واعترض عليه بأن الإقامة إذا كانت مأخوذة مما ذكر كان معناها -على قياس التعدية- جعل الصلاة متجلدة متشمرة ،لا كون المصلي متشمرا في أدائها بلا فتور

---

(١) في ق : تحمي .

(٢) في ق : تحمي .

(٣) أوردها أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ٢٠/ ٢٧٧ .

(٤) في د ، ظ ، ق : كانت قائمة هي .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٢١٧ .

(٦) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

عنها ،كما ذكره.

وأيضا وصف الصلاة بالتجلد والتشمر إنما يصح إذا وصفتَ بما هـو لفاعلهـا، على قياس جد جده، ولا يخفى بعده.

قال : وليس لك أن تقول: البـاء فـي قـام بـالأمر للتعديـة، فالمسـتعمل بمعنـى التجلد و الاجتهاد هو الإقامة في الحقيقة ؛لأن قولهم فـي ضـده: قعـد عـن الأمـر، وتقاعد عنه يبطله.

وأيضا القيام ينـاسـب التشـمر، لا الإقامـة، كمـا أن القعـود يلائـم الكسـل ، لا الإقعاد[1] .

قوله:(أو يؤدونها ، عبر عن أدائها بالإقامة؛لاشتمالها على القيام ،كما عبر عنها بالقنوت، والركوع ،والسجود ،و التسبيح)[2] .

قال بعض أرباب الحواشي: هذا بعيد ؛لأنه قال هنا ﴿ ويقيمون ا لصـلاة﴾ فذكـر اسم الصلاة مع إقامتها ، وأما في تلك الأماكن فلم يذكر معها اسم الصلاة.

وقال الشيخ أكمل الدين: قيل: إنه على هذا مجاز، من باب ذكر الجـزء وإرادة الكل؛لأن القيام في الصـلاة جـزء مـن الصـلاة ، وفيـه نظـر؛لأن الجـزء لا يسـتلزم الكل،فلا يكون مجازا.

والجواب أن المراد القيام في الصلاة ، وهو يستلزمها قطعا[3] .

وقال الشريف: إن أراد أن القيام يطلق على الصلاة لكونه بعض أركانهـا ، ثـم يؤخذ منه الإقامة،ورد عليه أن الهمزة إن جعلت للتعدية كـان معنـى الإقامـة جعـل الصلاة مصلية ، وإن جعلت للصيرورة كان معنى أقام صار ذا صلاة، فلا يصح ذكر الصلاة معه إلا بجعلها مفعولا مطلقا، والكل ما لا يرتضيه طبع سليم ، وإن أراد أن القيام لما كان ركنا منها كان فعله وإيجاده -أعني الإقامة-ركنا لها أيضا توجـه عليـه أن ركنها فعل القيام، بمعنى تحصيـل هيئـة القيـام فـي المصلـي حـال الصـلاة ، لا بمعنى تحصيلها في الصلاة، وجعلها قائمة.

فإن قيل: لعله أراد أن القيام جزء منها، فيكون إيجاده - أي الإقامة- جزءًا مـن إيجاد جميع أجزائها الذي هو أداؤها، فعبر عن أدائها بجزئه.

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٣٠ .

(٢) انظر في البحر المحيط ٢/ ٥٣ حيث قال : ولا يصح إلا بارتكاب مجاز بعيد ...

(٣) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

قلت: المعنى ﴿يقيمون﴾ حينئذٍ يؤدون الصلاة، فيحتاج في ذكر الصلاة معه إلـى ارتكاب كونها مفعولا مطلقا .

ولا إشكال في استعمال "قنت" أو " ركع، أو " سجد"،أو" سبح" بمعنى صلـى، إذ لا يذكر معها الصلاة [١] . انتهى

تنبيه: قال الشيخ أكمل الدين: في هذه الوجوه الأربعة- يعني أن الإقامة تجيء لمعان، وأن المذكورة هاهنا يجوز أن تكون واردة على جميـع مـا ورد فيـه الإقامـة على سبيل البدل، عند من لا يجوز عموم المشترك ،و على سبيل الشمول عنـد مـن يجوزه .

قال: وهذا الذي ذكرته من أنه مستعمل في الجميع سالم عـن جميـع مـا تقـدم إيراده.

قال: ولو جعل المصنف إقامة الصلاة عبارة عن جعلها قائمة -أي حاصلة فـي الخارج؛فإن القيام بهذا المعنى أيضا شـائع فـي الاسـتعمال [٢] ، كمـا فـي قولهـم: الشيء إما قائم بنفسه ، أو بغيره - كان أسلم [٣] .

وقال الشريف: ذكر بعضهم أن الإقامة تستعمل بمعنى جعل الشيء قائمـا فـي الخـارج، أي حـاصلا فيـه ؛فـإن القيـام بمعنـى الحصـول فـي الخـارج شـائع فـي الاستعمال .

ومنه القيوم، وهو الحاصل بنفسه، المحصل لغيره، ومنـه القَـوَّام لمـا يقـام بـه الشيء ، أي يحصل، فنحو " أقيموا الصلاة" من الإقامة بهذا المعنى ، أي حصلوهـا وأتوا بها على الوجه المجزئ شرعا، وهو معنى الأداء[٤] .

فذلكـة : قال الطيبي : تحرير هذا المقام أن قوله﴿ يقيمون الصلاة﴾ ليـس علـى ظاهره فهو إما استعارة تبعية، أو كناية عن الدوام ، مـن قـامت السـوق: إذا راجـت ونفقت؛لأن نفاقها مشعر بتوجه الرغبات إليها، وهو يدل على المحافظة، وهي على الدوام ، أو مجاز في الإسناد، وهو إما بمعنى يجعلون الصلاة قائمة، فيفيد التجلد و التشمر، وأنها مؤادة مع وفور رغبة ومزيـد نشـاط ، كقولهـم: قـامت الحـرب علـى

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٣٠ .

(٢) في ح : استعمالهم .

(٣) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

(٤) حاشية الشريف ١/ ١٣٠ .

ساقها، أو بمعنى يوجدون القيام فيها، أي يقومون فيها،فأسند القيام إليها على المجاز، فيفيد أنهم يؤدونها، من باب إطلاق معظم الشيء على كله[1] .

قوله : (والأول أظهر)

هو الوارد [2] عن ابن عباس ، أخرجه ابن جرير، و ابن أبي حاتم من طرق عنه[3] .

قال الشريف: لما كان ﴿ يقيمون الصلاة﴾ في معرض المدح، بلا دلالة على إيجاب كان حمله على تعديل أركانها كما قرره أوّلاً أولى، فإنه المناسب لترتيب الهدى الكامل، والفلاح التام الشامل[4] .

وقال الراغب: إقامة الصلاة توفية حدودها وإدامتها، وتخصيص الإقامة فيه تنبيه على أنه لم يرد إيقاعها فقط ، ولهذا لم يؤمر بالصلاة، ولم يمدح بها إلا بلفظ الإقامة، نحو ﴿ المقيمين الصلاة﴾ [سورة النساء ١٦٢] ولم يقل المصلين إلا في المنافقين حيث قال:﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [سورة الماعون ٤-٥] .

ومن ثم قيل: المصلون كثير، والمقيمون لها قليل ، كما قال عمر رضي الله عنه : ((الحاج قليل ، والركب[5] كثير [6])) .

وكثير من الأفعال التي حث الله على توفية حقه ذكره بلفظ الإقامة، نحو﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ [سورة المائدة ٧٠]﴿ وأقيموا الوزن بالقسط [7] ﴾ [سورة الرحمن ١٠] انتهى.

واختار الإمام الوجه الثاني ،و قال: الأولى حمل الكلام على ما يحصل معه الثناء العظيم،وذلك لا يحصل إلا إذا حملنا الإقامة على إدامة فعلها من غير خلل

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢١٧.

(٢) في ظ : المروي .

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٤١ واين أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٨٠ .

(٤) حاشية الشريف ١/ ١٣١ .

(٥) في ت ، ظ : و الراكب

(٦) لم أقف عليه من حديث عمر ، ولكن روى عبد الرزاق عن سعيد بن جبير قال : سمعت شريحاً العراقي يقول : الحاج قليل ، والركبان كثير . المصنف ٥/ ١٩ .

(٧) مقدمة جامع التفسير ١٥٦ .

في أركانها وشرائطها [1] .

قال الطيبي : وهذا أولى من قول القاضي؛ لما مر في تقرير الكناية، فإنها جامعة لجميع المعاني المطلوبة فيها[2] .

قوله: (والصلاة فَعَلَةٌ)

قال الشيخ أكمل الدين : يعني مفتوح العين ، قلبت الواو ألفا ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها[3] .

قوله : (كتبت بالواو على لفظ المفخم) .

الطيبي : قيل: التفخيم على ثلاثة أوجه : ترك الإمالة، وإخراج اللام من أسفل اللسان ، كما في اسم الله ، والإمالة إلى الواو، كما في اسم الصلاة[4] .

قال الشيخ سعد الدين: وهو المراد هنا.

قال: وقوله:" المفخم" بكسر الخاء[5]

وقال الشريف : أراد بالتفخيم هنا إمالة الألف نحو مخرج الواو، لا ما هو ضد الإمالة، أو ضد[6] الترقيق [7] .

وقال الشيخ أكمل الدين : التفخيم هنا ضد الترقيق[8] .

قوله : (وقيل : أصل صلّى حرك الصلا)[9]

هو واحد الصلوين ،وهما العظمان الناتئان في أعالي الفخذين، يقال: ضرب الفرس صلويه بذنبه ، أي عن يمينه وشماله.

قال الفارسي: الصلاة من الصلوين ، لأن أول ما يشاهد من أحوال الصلاة إنما هو تحريك الصلوين للركوع، فأما القيام فلا يختص بالصلاة دون غيرها.

قال ابن جني : هو حسن[10] .

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٢٩ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢١٨ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٢٠ .

(٥) حاشية سعد الدين ل٢٣ .

(٦) من هنا سقطت لوحة من نسخة د .

(٧) حاشية الشريف ١/ ١٣١ .

(٨) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

(٩) كذا في النسخ ، وفي طبعات أنوار التنزيل: الصلوين .

(١٠) المحتسب ٢/ ٨٤ .

وهذا القول هو الذي اختاره صاحب"الكشاف"لأن غالب اعتماده في الأعاريب و الاشتقاقات على كتب الفارسي وابن جني، ولهذا وجب النظر فيها على الناظر في " الكشاف" وهذا التفسير المختصر منه.

والمصنف ضعفه ، واختار أن الصلاة منقولة من صلَّى بمعنى دعا ، ووافقه المحققون قبله وبعده.

قال الإمام فخر الدين : هذا الاشتقاق- يعني الذي قاله الفارسي- يفضي إلى الطعن في كون القرآن حجة ؛لأن الصلاة من أشهر الألفاظ، واشتقاقه من تحريك الصلوين من أبعد الأشياء معرفة، ولو جوزنا ذلك- ثم إنه خفي واندرس بحيث لا يعرفه إلا الآحاد-لجاز مثله في سائر الألفاظ،و لو جاز لما قطعنا بأن مراد الله من هذه الألفاظ ما يتبادر أفهامنا إليه، بل لعل المراد تلك المعاني المندرسة(١) .

قال الطيبي: وأجاب القاضي أن اشتهار اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الأول لا يقدح في نقله(٢) .

وقال الشريف: في هذا الاشتقاق ضعف من وجهين:

الأول: أن الاشتقاق مما ليس بحدث قليل.

الثاني: أن الصلاة بمعنى الدعاء شائعة في أشعار الجاهلية،و لم يرد عنهم إطلاقها على ذات الأركان،بل ما كانوا يعرفونها ، فأنى يتصور لهم التجوز عنها، فالصواب ما ذهب إليه الجمهور من أن لفظ الصلاة حقيقة في الدعاء ، مجاز لغوي في الهيئات المخصوصة المشتملة عليه(٣) .

قوله: (وإنما سمي الداعي مصليا) إلى آخره هو من تتمة القول الثاني.

قال الطيبي:كأنه جواب عن سؤال سائل أن الداعي يسمى مصليا،وهو لا يحرك الصلوين(٤) .

قوله: (الرزق في اللغة الحظ)

الشيخ أكمل الدين: الرزق في الأصل مصدر بمعنى الإخراج، وشاع في اللغة أولاً على إخراج حظ إلى آخر ينتفع به، ثم شاع استعمالا وشرعا على إعطاء الله

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٢٩ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٢١ .

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٣١ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٢٠ .

الحيوان ما ينتفع به،ويستعمل بمعنى المرزوق،وحينئذ يطلق على ما أعطى الله عبده ومَكَّنَهُ من التصرف فيه، وهو معنى الملك ،وهو بهذا المعنى يمكن أن ينفق بعضه، أو كله ،و على ما به قوامه وبقاؤه منه خاصة ، وهو معنى الغذاء،و المراد بالآية معنى الملك[1] .

قوله: (الطلق) بكسر الطاء الحلال الصرف الطيب.

قوله:(وأصحابنا جعلوا الإسناد للتعظيم)

قال الطيبي: معناه أن الرزق وإن كان كله من الله لكن من شرط ما يضاف إليه من الأفعال أن يكون الأفضل ، فالأفضل،كما قال إبراهيم عليه السلام﴿ وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [سورة الشعراء ٨٠] وقوله﴿ أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾[2])

قوله : (وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلّم في حديث عمرو بن قُرَّةَ [3] : ((لقد رزقك الله طيبا ، فاخترت ما حرَّم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله)))

أخرجه ابن ماجه ،وأبو نعيم في " المعرفة" والديلمي في " مسند الفردوس" من حديث صفوان بن أمية قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم فجاءه عمر بن قرة فقال: يا رسول الله إن الله تعالى قَدَّر [4] عليَّ الشقوة، فلا أُراني أُرزق إلا من دَفِّيْ بَكَفِّيَّ، فأذن لي في الغناء من غير فاحشة ، فقال : ((لا آذن لك ولا كرامة ، كذبت أي عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيبا،فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله)) [5]

قوله : (وأنفق الشيء وأنفده أخوان) .

قال القطب في " الحاشية " : أي بينهما الاشتقاق الأكبر ، فإن بينهما تناسبا في التركيب ، وفي المعنى؛لاشتمال كل منهما على معنى الخروج[6] .

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٢٥ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٢١ .

(٣) هو عمرو بن قرة ، لقي النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره غير واحد في الصحابة . أسد الغابة ٣/ ٧٥٩ والإصابة ٣/ ١١ .

(٤) في ظ ، ق : قد كتب .

(٥) رواه ابن ماجه ٣/ ٤٢ح٢٦٦٢ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ٢٠٤٤ والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٤٢ . حكم عليه الشيخ الألباني بالوضع . ضعيف سنن ابن ماجه٢٠٩ .

(٦) حاشية قطب الدين ل١٣ .

قوله : (ولو استقريت الألفاظ وجدت ما يوافقه في الفاء و العين [1] دالا على[2] معنى الذهاب والخروج)

قال القطب: كنفر، ونفز، ونفس، ونفع ، ونفى[3] .

زاد الشريف: ونفض،ونفث، وأمثالها[4]

قوله: (ومن فسر بالزكاة)

هو تفسير ابن عباس ، أخرجه ابن جرير[5] ، وأخرج أيضا عن ابن مسعود أنها نفقة الرجل على أهله[6] .

ولا منافاة بينهما ؛لأن كلا ذكر بعض أفراد النفقة

قوله: (لاقترانه بما هو شقيقها)

أي الصلاة من حيث إنهما أُمَّانِ لسائر العبادات،ومن حيث إنهما يذكران معا في القرآن.

قوله:(وتقديم المفعول به)

قال الشريف:سمي الجار والمجرور مفعولا به تنبيها على أنه بحسب المعنى مفعول به، أي بعض ما رزقناهم ينفقون[7]

قوله: (وإدخال " مِن" التبعيضية عليه للكف عن الإسراف المنهي عنه)

تبع في ذلك صاحب " الكشاف"[8] .

وقد ذكر بعض أرباب الحواشي: أن هذا اعتزال ، وأنهم يقولون :إن "من"في الآية للإشعار بأنه لا ينبغي أن يتصدق بجميع ماله،بل يبقي منه شيئا خشية الإضاقة، وعدم الصبر عليها.

ونحن نقول: إن " من" يراد بها أن تكون النفقة من الرزق الذي هو حلال ،

---

(١) كذا في النسخ، وفي طبعات أنوار التنـزيل: وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا

(٢) إلى هنا انتهى السقط الذي في نسخة د .

(٣) حاشية قطب الدين ل١٣ .

(٤) حاشية الشريف ١/ ١٣٣ .

(٥) جامع البيان ١/ ٢٤٣ .

(٦) جامع البيان ١/ ٢٤٤ .

(٧) حاشية الشريف ١/ ١٣٢ .

(٨) الكشاف ١/ ١٣٢ .

دون الرزق الذي هو حرام.

وأما كراهية إخراج المال كله للصدقة فليس ممنوعا منه على الإطلاق، فقد تصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجميع ماله[1] ، ولم ينكره النبي صلى الله عليه وسلّم، وإنما يكره ذلك لمن لا يصبر على الإضاقة . انتهى

قوله : (ويحتمل أن يراد به الإنفاق من جميع المعارف) إلى آخره

قال الراغب : الرزق لفظ مشترك للحظ الجاري تارة ،وللنصيب تارة،ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به﴿ ومما رزقناهم ينفقون﴾ محمول على المباح ؛ لأنه حث على الإنفاق، ومدح لفاعله، ولأنه مضاف إلى الله تعالى.

و الإنفاق كما يكون من المال و النعم الظاهرة يكون من النعم الباطنة ، كالعلم، والقوة ، و الجاه ، والجود التام بذل العلم ،ومتاع الدنيا عرض زائل.

وقال بعض المحققين في الآية : ومما خصصناهم من أنوار المعرفة يفيضون[2] . انتهى.

قوله : (ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام : " إن علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه ") .

أخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر [3] في "تاريخه" من حديث ابن عمر مرفوعا [4] ، وأخرجه الطبراني "في الأوسط "من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ:" مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه [5] "

---

(١) رواه الدارمي ٢/ ١٠٣٣ وعبد بن حميد في المسند (المنتخب ١/ ٤٩) وأبو داود ٢/ ٣٧٩ح١٦٧٥ والترمذي ٦/ ٥٢ح٣٦٧٥ والحاكم ١/ ٤١٤ وعنه البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١٨ من طريق هشام ابن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر . ورواه البزار في المسند (البحر الزخار ١/ ٢٦٣) من طريق إسحاق ابن محمد الفروي ، عن عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرح مسلم ولم يخرجاه .

(٢) مقدمة جامع التفسير ١٥٧ .

(٣) هو علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي الشافعي ، صاحب تاريخ دمشق في ثمانمائة جزء ، والجزء عشرون ورقة ، فيكون ستة عشر ألف ورقة ، وكان فهماً حافظاً متقناً ، توفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٥٤ وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢١٥ .

(٤) رواه أبو الحسين الصيداوي في كتاب معجم الشيوخ ٣٤١ وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٩١ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٩/ ٢٢ .

(٥) رواه زهير بن حرب في كتاب العلم ٦٣ وابن عدي في الكامل ٣/ ٩٨٢ وابن عبد البر في جامع

=

وأخرج ابن أبي شيبة في " المصنف" عن سلمان قال : ((علم لا يقال به ككنـز لا ينفق منه [١]))

وأخرج أبو نصر السجزي [٢] في "الإبانة"وابن عساكر عن أبـي هريـرة مرفوعـا ((إن علما لا ينتفع به ككنـز لا ينفق [٣] في سبيل الله)) .

وأخرج أحمد في " الزهد" عن قتادة قال : ((متكوب في الحكمة علم لا يقال به ككنـز لا ينفق منه[٤]

قوله:(هم مؤمنو أهل الكتاب) أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود[٥] .

قوله : (كعبد الله بن سلام)

هو بتخفيف اللام ، من بني قينقاع الإسرائيلي ، مـن ولـد يوسـف الصديـق ، كـان اسمه الحصين ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلّم عبد الله[٦] ، كما رواه ابن ماجه[٧] .

بيان العلم ١/ ٤٩١ من طريق ابن لهيعة ، عن دراج ، عن عبـد الرحمـن بـن حجيرة ، عـن أبـي هريرة ، والطبراني أيضاً من طريق ابن لهيعة ، عـن دراج ، عـن أبـي الهيثـم وعبـد الرحمـن بـن حجيرة ، عن أبي هريرة .

ورواه الدارمي في المسـند ١/ ٤٦١ وأحمـد فـي المسـند ١٦/ ٢٨٩ والـبزار (كشـف الأسـتار ١/ ١٠٠) وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢٧/ ٦٨ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٢٢٨ مـن طريف إبراهيم الهجري ، عن أبي عياض ، عن أبـي هريـرة . حسـنه الشـيخ الألبـاني . صحيـح الجامـع الصغير وزيادته ١/ ٤٢٤ .

(١) رواه زهير بن حرب في كتاب العلـم ١٢ والدارمـي فـي المسـند ١/ ٤٦١ وابـن أبـي شـيبة فـي المصنف ١٣/ ٣٣٤ والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ٢/ ١١٥ وابن عبد الـبر فـي جـامع بيان العلم ١/ ٤٩٢ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢١/ ٤٤٢ .

(٢) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر الوائلي السجسـتاني ، شـيخ الحـرم ، ومصنـف الإبانـة الكبرى في أن القرآن غير مخلوق ، وهو مجلد كبير ، دال على سـعة علـم الرجـل بفـن الأثـر ، توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة . سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥٤ والعقد الثمين ٥/ ٣٠٧ .

(٣) في ظ : لا ينفق منه .

(٤) ليس الأثر في كتاب الزهد المطبوع .

(٥) جامع البيان ١/ ٢٤٥ .

(٦) هو عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الاسرائيلي ثم الأنصاري ، كان حليفاً لهـم ، وكـان من بني قينقاع ، أسلم أول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، توفي بالمدينة سنة ثـلاث وأربعين الاستيعاب ٣/ ٩٢١ والإصابة ٤/ ١١٨ .

(٧) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨/ ٦٦٤ وعنه أحمد في المسند ٣٩/ ١٩٩ وعبد بـن حميـد فـي المسند (المنتخب ١/ ٤٤٦) وابن ماجه في السنن ٣/ ٥٦٧ ح٣٨٠٢ وأبو القاسـم البغـوي فـي
=

وقد ألفت جزءاً فيمن غير النبي صلى الله عليه وسلّم أسماءهم [١] .

قوله : (وأضرابه)

قال الزمخشري: " أكثر الناس على أن الأضراب جمع ضرب، بالفتح، وعندي بكسرها، فعل بمعنى مفعول ، كالطحن ، وهو الذي يضرب به المثل ، ولابد في المضروب به مثلا ، والمضروب فيه من المماثلة [٢] .

وقال غيره : الضرباء ، والأضراب الأمثال، تقول العرب : هو ضربه بالكسر ، أي مثله ، وضرب وضريب كمثل ومثيل، وشبه وشبيه.

قوله: (وهو قول ابن عباس) أخرجه ابن جرير [٣]

قوله: (ويحتمل أن يراد بهم الأولون بأعيانهم)

قال الشريف:أورد عليه أوّلاً أن الإيمان بالكتب المنزلة مندرج في الإيمان بالغيب، فلم أفرد بالذكر؟

وأجيب بأنه للاعتناء بشأنه ، كأنه العمدة .

وثانيا: أنه لم أعيد الموصول ، وهل لا اكتفي بعطف الصلاة؟

ودفع بأنه للدلالة على استقلال هذه الصفات ، واستدعائها أن يذكر معها موصوفها ،كأن الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم .

وفائدة العطف بين الموصولين مع اتحاد الذات ما أشار إليه من معنى الجمع بين تلك الصفات وهذه، كما في العطف بالواو في سائر الصفات.

معجم الصحابة ٤/ ١٠٢ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٤/ ١٠٩ وأبو يعلى في المسند ١٣/ ٤٨٦ عن أبي المحياة .

ورواه تمام في الفوائد ٢/ ٢٣٩ عن أبي بكر أحمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمران ، عن أبي بكر ابن أبي شيبة . ورواه الترمذي ٦/ ١٣٦ ح ٣٨٠٣ عن علي بن سعيد الكندي ، عن أبي المحياة ، عن عبد الملك ابن عمير ، عن ابن أخي عبد الله بن سلام ، عن عبد الله بن سلام .

قال الهيثمي : وهذا إسناد فيه مقال ، ابن أخي عبد الله بن سلام لم يسم ، قاله في الأطراف ، وما علمته ، وباقي رجال الإسناد ثقات . مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٣/ ٥٦٧ وقال الشيخ الألباني ضعيف الإسناد . ضعيف سنن الترمذي ٤١٥ .

(١) لم يذكره المؤلف في كتابه التحدث بنعمة الله في ضمن مؤلفاته ، ولا في فهرس مؤلفاته ، ولم يذكره صاحب دليل مؤلفات السيوطي أحمد الخازندار ، ولا أعلم عنه شيئاً .

(٢) الكشاف ١/ ١٣٤ .

(٣) جامع البيان ١/ ٢٥١ .

ورجح هذا الاحتمال على الأول بأن الإيمان بالمنزلين مشترك بين المؤمنين قاطبة ، فلا وجه لتخصيصه بمؤمني أهل الكتاب ، ولا دلالة للإفراد بالذكر في الآية.

على أن الإيمان بكل منهما بطريق الاستقلال، ألا ترى إلى قوله تعالى﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ﴾[سورة البقرة ١٣٦] فقد أفرد فيه الكتب المنزلة من قبل ، ولم يقتض الإيمان بها على الانفراد ، وبأن ما ذكره في تقديم ﴿ بالآخرة ﴾ وبناء ﴿يوقنون﴾ على ﴿هم﴾ إنما يقع موقعه إذا عم المؤمنين ، وإلا أوهم نفيه عن الطائفة الأولى ، وبأن أهل الكتاب لم يكونوا مؤمنين بجميع ما أنزل من قبله، فإن اليهود لم يؤمنوا بالإنجيل.

وما يقال من أن اشتمال إيمانهم على كل وحي إنما هو بالنظر إلى جميعهم، فاليهود اشتمل إيمانهم على القرآن، و التوراة، و النصارى اشتمل إيمانهم على القرآن ، و الإنجيل مردود ؛ لأن المفهوم المتبادر من أمثال ما نحن فيه ثبوت الحكم لكل واحد، وبأن الصفات السابقة ثابتة لمن آمن من أهل الكتاب، فتخصيصها بمن عداهم تحكم.

وجعل الكلام من قبيل عطف الخاص على العام لا يلائم المقام.

وقد يرجح الاحتمال الأول بأن الأصل في العطف التغاير بالذات.

ويجاب بأن هناك تفصيلا: هو أن أدات العطف إن توسطت بين الذوات اقتضت تغايرها بالذات، وإن توسطت بين الصفات اقتضت تغايرها بحسب المفهومات، وكذا الحكم في التأكيد، و البدل ، ونحوهما ، وإن وقعت فيما يحتملهما على سواء كان الحمل على التغاير بالذات أولى، فلا يحكم في مثل زيد عالم وعاقل بأن الحمل على تغايرهما بالذات[1] أظهر .

وقد يرجح في الآية الكريمة الحمل على عطف الصفة بأن وضع﴿ الذي﴾ على أن يكون صفة، فالظاهر عطفه على الموصول الأول على أنه صفة أخرى ﴿ للمتقين﴾ بلا تقسيم، مع أن ما تقدم من وجوه الترجيح شاهد له.

ثم العطف على﴿ الذين يؤمنون بالغيب﴾ صحيح سواء جعل المعطوف عليه موصولا بما قبله ، أو منقطعا عنه.

---

(١) في ظ: تغاير الذات .

وأما العطف على ‹ المتقين› فإنما يصح على تقدير الوصل فقط ،والأول أرجح؛إذ لا معنى لإخراجهم عن ‹ المتقين› مع اتصافهم بالتقوى إلا أن يحمل على المشارفين ، فيتعين العطف عليه؛لبعد الحمل على المشارفة في المعطوف، وإذا اتحد الموصولان بحسب الذات فإن جعل الموصول الأول استئنافا وجب عطف الثاني عليه، وإن جعل صفة أو مدحا كان العطف أولى ؛لأن الكشف قد تم بالمعطوف [1] عليه ، فتأمل[2] . انتهى.

قوله: (ووسط العاطف) إلى آخره

قال الشيخ سعد الدين : أورد أمثلة للإشارة إلى أن ذلك يجري في الصفات والأسماء باعتبار تغاير المفهومات ،ويكون بالواو والفاء باعتبار تعاقب الانتقال[3]

قوله : (كما وسط في قوله :

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ الكَتِيْبَةِ فِي المُزْدَحِمِ)[4] .

القرم الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه، ثم سمي به السيد. والهمام من أسماء الملوك ؛ لعظم همتهم، أو لأنهم إذا هموا بأمر فعلوه . والكتيبة الجيش. والمزدحم مكان الازدحام،وهو وقوع القوم بعضهم على بعض.

وقوله: (يالهف زيابة للحارث ال صابح فالغانم فالآيب)

قال الخطيب التبريزي في" شرح الحماسة":

قال الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان:

أيا ابنَ زَيَّابَةَ إنْ تَلْقَنِيْ لا تَلْقَنِيْ فِي النَّعَمِ العَازِبِ
وتَلْقَنِيْ يَشْتَدُّ بِي أجْرَدٌ مُسْتَقْدِمُ البِرْكَةِ [5] كالرَّاكِبِ

فأجابه ابن زيابة –و اسمه سلمة بن ذهل، وزيابة اسم أمه-:

يا لَهْفَ زَيابةَ لِلحَارِثِ ال صَّابِحِ فالغَانِمِ فالآيِبِ
واللهِ لو لاقَيْتُهُ خالياً لآبَ سَيْفَانَا مَعَ الغالِبِ
أنا ابنُ زيابةَ إنْ تَدْعُنِيْ آتِكَ ،والظنُّ على الكاذِبِ

---

(١) في ظ: بالعطف عليه

(٢) حاشية الشريف ١/ ١٣٥ .

(٣) حاشية سعد الدين ل٢٣ .

(٤) مجهول القائل ، وانظر في الإنصاف في مسائل الخلاف٢/ ٤٦٩ وخزانة الأدب ١/ ٤٥١ .

(٥) كتب في ح تحت " البركة": أي الصدر

قال التبريزي: ومعناه أنه لهف أمه أن لا يلحقه في بعض غاراته فيقتله، أو يأسره[1] .

وقال النمري : وصفه بالفتك و الظفر وحسن العاقبة ، وكيف يذكره بذلك وهو عدوه ، وإنما يتأسف على الفائت من قتله وأسره .

ولما كانت هذه الصفة متراخية حسن إدخال الفاء ؛ لأن الصابح قبل الغانم ، و الغانم أمام الآيب .

ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة في الموصوف ، فلا يحسن[2] أن تقول: عجبت من فلان الأزرق العين ، فالأشم الأنف، فالشديد الساعد إلا على وجه يبعد؛لأن زرقة العين ، وشمم الأنف ، وشدة الساعد قد اجتمعن في الموصوف[3] .

ووقع في حاشية الطيبي أن زيابة اسم أبي الشاعر [4] . وهو وهم.

قوله: (إشادة بذكرهم) بالدال المهملة.

في الصحاح: الإشادة رفع الصوت بالشيء، وأشاد بذكره، أي رفع من قدره[5].

قوله: (ولعل نزول الكتب الإلاهية) إلى آخره

مأخوذ من كلام الإمام حيث قال:المراد من إنزال القرآن أن جبريل في السماء سمع كلام الله،فنزل على الرسول به،كما يقال : نزلت رسالة الأمير من القصر، والرسالة لا تنزل، ولكن المستمع سمع الرسالة في علو ،فنزل وأدى في سفل ، وقول الأمير لا يفارق ذاته [6] .

---

(١) شرح ديوان الحماسة ١/ ١٤٣ .

(٢) في ح : فلا حسن

(٣) لم أجد هذا النص في كتاب معاني أبيات الحماسة للنمري الذي طبع بتحقيق الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، وذكر في المقدمة ١٥ أن للنمري شرحين على الحماسة ، فلعل النص في الشرح الآخر من شرحيه الذي لم يعثر عليه .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٢٣ .

(٥) الصحاح / مادة شيد .

(٦) هذا مبني على تأويل كلام الله بالكلام النفسي ، والكلام النفسي لا يفارق الذات ولا يخرج ، والذي بين أيدي المسلمين يكتبونه في مصاحفهم ، ويحفظونه في صدورهم ، ويقرأونه في صلواتهم هو عبارة عن كلام الله ، والله لا يتكلم بحرف ولا بصوت . وهو قول أبي محمد ابن كلاب ، وأبي الحسن الأشعري ومن تابعهما ، وهو قول باطل لغة وعقلاً وشرعاً . انظر في رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ١٠٦ .

فإن قيل :كيف يسمع جبريل كلام الله، وكلامه ليس من الحروف والأصوات؟

قلنا: يحتمل أن يخلق الله له سماعا لكلامه، ثم أقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم.

ويجوز أن يكون الله تعالى خلق في اللوح المحفوظ كتابه بهذا النظم المخصوص ، فقرأه جبريل فحفظه.

ويجوز أن يخلق أصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص، في جسم مخصوص، فتلقفه جبريل، ويخلق له علما ضروريا بأنه هو العبارة المؤدية لمعنى ذلك الكلام القديم [1] انتهى.

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٣٢ قلت : كيف تزكو أمة وتصلح أعمالها وتقهر أعداءها وتنتصر عليها وتكتب لها العزة والغلبة والتمكين في الأرض وهي تفقد مقومات النصر ، وأسباب التمكين في الأرض ، أمة تفسر كتاب ربها مشعل هدايتها ، ومصدر قوتها ومنبع عزتها بما يعد كفراً بربها ، أمة تفسر كلام ربها بأنه خلق من خلقه ، وليس صفة من صفاته .

إن هذا التفسير يصدق عليه الحديث الذي رواه أحمد في المسند ٢٨/ ٦٣٢ من حديث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((هلاك أمتي في الكتاب واللبن قالوا : يا رسول الله ما الكتاب واللبن ؟ قال : يتعلمون القرآن فيتأولونه على غير ما أنزل الله عز وجل ، ويحبون اللبن فيدعون الجماعات والجمع ويبدون)) وانظر في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢٧٧٨ .

إن القول بخلق القرآن من أبرز المقالات الكفرية التي أخذت حيزاً كبيراً في كتب التاريخ والعقائد ، وأخذت وقتاً وجهداً من علماء السنة في الردود على أصحابها ، فسجن من سجن ، وعذب من عذب ، ومات من مات في سبيل رد هذه المقالة ، وصد الناس عن هذه الضلالة .

قال الإمام اللالكائي بعد سرد أسماء علماء الأمصار الذين وقفوا في وجه هذه المقالة : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً ، أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين ، سوى الصحابة الخيرين ، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم . ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار ، ونقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر ، لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٣٤٤ .

وقال ابن القيم :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عن هم هم بل حكاه قبله الطبراني

الكافية الشافية ٧٢ .

=

قوله :(وإنما عبر عنه بلفظ المضي) إلى آخره

قال الشيخ سعد الدين: فعلى الأول هو مجاز باعتبار تسمية الكل باسم الجزء، وعلى الثاني استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقق بالمتحقق.

قال : ويرد على كلا الوجهين:

أوَّ لاً :أنه جمع بين الحقيقة والمجاز، ولا يتصور معنى مجازي يعم المعنى الحقيقي و المجازي، ليكون من عموم المجاز.

والجواب أن الجمع هو أن يراد باللفظ معناه الحقيقي والمجازي،على أن كلا منهما مراد باللفظ ،وهاهنا أريد المعنى الذي بعض أجزائه من أفراد الحقيقة دون البعض.

وثانيا: أن وجوب اشتمال الإيمان على السالف والمترقب لا ينافي الإخبار عنهم في ذلك الوقت بأنهم يؤمنون بالفعل السالف ؛إذ الإيمان بالمترقب إنما يكون عند تحققه، وإن أريد الإيمان بأن كل ما ينزل فهو حق، فهذا حاصل الآن من غير حاجة إلى اعتبار تحقق نزوله.

والجواب أنه لما وجب ذلك وجب في مقام الإخبار عنهم بأنهم يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به أن يتعرض لذلك ، سيما وقد أورد« يؤمنون » بلفظ المضارع المنبئ عن الاستمرار، وعدم الاقتصار على الماضي.

وإني لأعجب كيف تنكب هؤلاء المتكلمون المتحذلقون الذين لا تنقصهم العقليات والعلميات عن هذه الجادة ، وخالفوا هؤلاء الأئمة ، وأحدثوا هذه المقالة ، واعتنقوا هذه الضلالة ، وأعنقوا لهذه الغواية . نسأل الله السلامة والتوفيق والسداد .

وعلى هذا فيجب على ذوي الكفاءات العلمية والقدرات الأدبية أن ينقوا مصادر الأمة من لوثة البدع والضلالات والاجتهادات المخالفة في جميع الفنون ، من تفاسير كتاب الله وشروح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا صفت المصادر وطهرت المشارب وأخذت الأمة من هذه المصادر السليمة علمها وفهمها وعملت بما علمت حينئذٍ فقط تزكو نفسها وتصلح أعمالها ، وتأهلت لنصر الله ، فيكتب لها النصر والتمكين في الأرض .

وأما قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة فهو واضح جداً ، وهو أن هذا القرآن تكلم الله به سبحانه فسمعه جبريل من الله ، وسمعه الرسول صلى الله عليه وسلم من جبريل ، ثم قرأه على الناس . قال الله تعالى ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبي ﴾ وهو منزل من عند الله وصفة من صفاته ، ولم يخلقه في اللوح المحفوظ ، ولا في جسم آخر مخصوص . وانظر في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/ ١٢٦ وشرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٩٥ .

قال : والإشكال في آية﴿ إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ [سورة الأحقاف ٣٠] أقوى ؛فإن السماع لم يتعلق إلا بما تحقق إنزاله بالحقيقة ، فكيف يكون سبيله سبيل ما ذكر من جعل غير المتحقق بمنزلة المتحقق .

غاية الأمر أن الكتاب اسم للمجموع فيجب أن يراد به البعض، أو يحمل على المفهوم الكلي الصادق على الكل وعلى البعض.

ويجاب بالتأويل أيضا ، يعني أن الكتاب كأنه قد نزل كله وسمعوه ، فالتجوز في إيقاع السماع على الكتاب المراد به الكل ، مع أنه لم يسمع إلا بعضه[1] . انتهى.

وقال الشريف: ذكر للتعبير عن الماضي والمترقب بصيغة الماضي وجهين:

أحدهما: تغليب ما وجد نزوله على ما لم يوجد .

وتحقيقه أن إنزال جميع القرآن معنى واحد ، يشتمل على ما حقه صيغة الماضي، وعلى ما حقه صيغة المستقبل ، فعبر عنهما معا بصيغة الماضي ،ولم يعكس، تغليبا للموجود على ما لم يوجد ، فذلك من قبيل إطلاق اسم الجزء على الكل.

والثاني: تشبيه مجموع المنزل بشيء نزل في تحقق النزول ؛لأنه بعضه نازل ، وبعضه مستقبل سينزل قطعا،فيصير إنزال مجموعه مشبها بإنزال ذلك الشيء الذي نزل، فتستعار صيغة الماضي من إنزاله لإنزال المجموع.

قال :وقد اضمحل بما فصلناه ما يتوهم من لزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز في كل واحد من الوجهين.

قال : وأما قوله:﴿ إنا سمعنا كتابا﴾ فإنما كان نظير ذلك ؛لأن المراد بقوله﴿ كتابا﴾ هو المجموع ؛لأنه المتبادر عند الإطلاق خصوصا إذا قيد بكونه منزلا من بعد موسى،لا بعضه، ولا القدر المشترك بينه وبين كله ، وقد عبر عن إنزاله بلفظ الماضي[2] مع أن بعضه كان حينئذ مترقبا، فوجب أن يؤول بأحد تأويلين.

وأما ﴿ سمعنا﴾ فالظاهر فيه تغليب المسموع على ما لم يسمع في إيقاع السماع عليه[3] . انتهى.

---

(١) حاشية سعد الدين ل٢٣ .

(٢) فيظ:، ق: المضي

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٣٦ .

قوله: (أي يوقنون إيقانا زال معه ما كانوا عليه) إلى آخره.

إشارة إلى ما قاله الإمام في تفسير اليقين : إنه العلم بالشيء بعد أن كان صاحبه شاكا فيه [1] .

قوله: (وفي تقديم الصلة، وبناء ﴿ يوقنون﴾ على ﴿ هم﴾ تعريض بمن عداهم) إلى آخره

قال الشيخ تقي الدين السبكي في " الاقتناص": إنما قال: وبناء ﴿يوقنون﴾ على ﴿هم﴾ دون وتقديم﴿ هم﴾ لأن التقديم إنما يكون عن تأخير، وليس بلازم هنا؛لاحتمال أنه جعل مبتدأ من أصله خبره الفعل، لا أنه فعل وفاعل قدم وأخر. انتهى.

وقد حذف المصنف من الكشاف تقدير إفادته الاختصاص هنا ، فأغنى عن الكلام عليه.

نعم قال الشريف: هنا تقديمان:

الأول: تقديم الظرف الذي هو ﴿ بالآخرة﴾ ويفيد تخصيص إيقانهم بالآخرة، أي أن إيقانهم مقصور على حقيقة الآخرة، لا يتعداها إلى ما هو على خلاف حقيقتها، وفي ذلك تعريض بأن ما عليه مقابلوهم ليس من حقيقة الآخرة في شيء، كأنه قيل: يوقنون بالآخرة ،لا بخلافها، كأهل الكتاب .

الثاني : تقديم المسند إليه الذي بني عليه﴿ يوقنون﴾ ويفيد أيضا تخصيص[2] أن الإيقان بالآخرة منحصر فيهم ، لا يتجاوزهم إلى أهل الكتاب،وفيه تعريض بأن اعتقادهم الذي يزعمون أنه إيقان بالآخرة ليس بإيقان ، بل هو جهل محض ،كما أن معتقدهم خيال فاسد[3] .

وكذا قرره الشيخ أكمل الدين وقال : فبان بهذا أن هنا تخصيصين وتعريضين.

قال : ثم إن كلا من التعريضين إنما هو على سبيل الكناية ؛ لأنه[4] لما لم يكن لأهل الكتاب إيقان كان الإيقان مخصوصا بالمؤمنين ، فالانتقال من اختصاص الإيقان بالمؤمنين إلى سلب الإيقان عن أهل الكتاب انتقال من اللازم إلى الملزوم،

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٣٢ .

(٢) في ح : تخصيصاً أي أن

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٣٧ .

(٤) في ظ : كأنه .

فكان كناية ، وكذا في التعريض الثاني.

قال : ومن الناس من قال : ليس هنا إلا تعريض واحد ، وذلك لأن ظاهر كلامه أن في تقديم الآخرة، وبناء ﴿ يوقنون﴾ على ﴿ هم﴾ تعريضا، أي في هذين الأمرين تعريض بأهل الكتاب ، وبما كانوا عليه، وهو من باب أعجبني زيد وكرمه ، وذكر أهل الكتاب توطئة، والمقصود ما كانوا عليه ، كما أن ذكر زيد في المثال توطئة ، و المقصود كرمه فمآل الكلام إلى أن التقديمين أفاد التعريض بأن ما كانوا عليه من أمر الآخرة ليس بشيء ؛

لكونه على خلاف حقيقته ، وأن إيقانهم ليس بإيقان [1] . انتهى.

يشير بهذا القائل إلى الطيبي[2] .

قوله:(و اليقين إتقان العلم بنفي الشبهة) إلى آخره

قال الشيخ أكمل الدين ،والشريف: يريد أن العلم الذي من شانه أن يتطرق إليه الشك والشبهة إذا انتفيا عنه كان إيقانا، ولذلك لا يوصف به العلم القديم، ولا الضروري، فلا يقال: تيقنت أن الكل أعظم من الجزء[3] .

وقال الإمام: لا يقال: تيقنت أن السماء فوقي، ويقال: تيقنت ما أردته بكلامك[4] .

قال الشيخ أكمل الدين: والعلم الذي من شأنه ذلك هو الذي يكون بمعنى الظن.

قال :ولو قال: هو العلم وهو الإدراك الذي لا يحتمل النقيض كان أجرى على الأصول[5] .

الراغب: اليقين من صفة العلم، فوق المعرفة و الدراية وأخواتها،يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الحكم[6] .

قوله: (و الآخرة تأنيث الآخِر صفة الدار)

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٢٦ .

(٢) انظر في فتوح الغيب ١/ ٢٢٥ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل٢٦ وحاشية الشريف ١/ ١٣٧ .

(٤) التفسير الكبير ٢/ ٣٣ .

(٥) حاشية أكمل الدين ل٢٦ .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ٨٩٢ .

قال بعض أرباب الحواشي: أجاز الماوردي أن تكون الآخرة صفة للنشأة الآخرة[1] ؛ لقوله تعالى﴿ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ [سورة العنكبوت ٢٠] .

قوله: (فغلبت كالدنيا)

الشيخ أكمل الدين: قال الزمخشري: "الغلبة تكون في الأسماء، كالبيت على الكعبة، وقد تكون في الصفات كالرحمن غير مضاف، وقد تكون في المعاني كالخوض على الشروع في الباطل خاصة، وهاهنا في الصفات، وكذا الدنيا ، ثم إنهما مع الغلبة المذكورة جرتا مجرى الأسماء لما غلب حذف موصوفهما معهما .

وقد فرق بين ما غلب من الصفات فاستعمل في موصوف معين كالرحمن ، وبين ما جرى مجرى الأسماء بحذف الموصوف ،كالذي نحن فيه بأن استعمال الأول في موصوف معين سبب صيرورته من الصفات الغالبة، واستعمال الثاني بدون الموصوف سبب جريانه مجرى الأسماء"[2] . انتهى.

قوله: (ونظيره:

لَحُبَّ المُؤْقِدانِ إلَيَّ مُؤْسَى وجَعْدةُ إذ أضاءهما الوُقُودُ)

قال الطيبي: هو لجرير[3] ، و"مؤسى" و"جعدة" ابناه، وهما عطفا بيان لقوله: "المؤقدان"كانا يوقدان نار القرى ، و"إذ أضاءهما" بدل اشتمال منهما، يحمد أفعالهما ويشكر صنيعهما، واللام في "لحب" للقسم، و"حب" فعل ماض، بضم الحاء وفتحها من" أحبَّ" و" حبَّ " والمعنى: وحبب الله إليّ وقت إضاءة وقودهما إياهما.

هكذا روى سيبويه بقلب الواو في " المؤقدان"، و"مؤسى" همزة[4] . انتهى.

وقال الشيخ أكمل الدين : المعنى ما أحبهما إليّ حيث اشتهرا بالكرم ، وكنَّى عن الاشتهار بالكرم بإضاءة الوقود ، و المراد بالوقود وقود نار القرى ، فإنه المراد عند الإطلاق من استعمال العرب ، واللام جواب القسم المحذوف ، ولم يؤت

---

(١) النكت والعيون ١/ ٦٦ .

(٢) حاشية أكمل الدين ل٢٦ .

(٣) هو جرير بن عطية بن حذيفة أبو حزرة ، كان من فحول شعراء الإسلام ، واتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة ، جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، توفي باليمامة سنة إحدى عشرة ومائة. الشعر والشعراء ١/ ٤٦٤ وكتاب الأغاني ٨/ ٣ ووفيات الأعيان ١/ ٣٢١ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٢٦ .

ب"قد" مع أنه ماض مثبت ؛ لإجرائه مجرى فعل المدح ، نحو والله لنعم الرجل زيد [١] .

وقال الشريف : الشعر لجرير ، أو لأبي حَيَّة النميري[٢] ، وصف ابنيه بالكرم و الاشتهاربه ، فكنى عن الأول بإيقاد نار القرى ، وعن الثاني بإضاءة الوقود إياهما ، و"لحب" أصله حَبُبَ على وزن شرف ، فأدغم بالإسكان ، أو بنقل الضمة، يقال : حُبَّ إليَّ فلان ، أي ما أحبه إليَّ ، وقد صح الوقود هنا بضم الواو ، وهو مصدر[٣]. انتهى.

وقال ابن جني في " الخصائص"-وقد أورد البيت في باب الجوار-:ومن الجوار في المتصل قول جرير:

لحب المؤقدان إليَّ مؤسى ....

وذلك أنه تصور الضمة - لمجاورتها الواو- كأنها فيها ،فهمز كما يهمز [٤] في " أدؤر ونحوه" [٥] .

وقال في باب" شواذ الهمزة" : وأنشدوا لجرير:

لحب المؤقدان إليّ مؤسى ....

بالهمز في " المؤقدان" وفي " مؤسى [٦] "

و البيت من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك[٧] ، أولها:

عَفَا النَّسْرَانِ بَعْدَكَ فَالوَحِيْدُ   ولا يَبْقَى لِجِدَّتِهِ جَدِيْدُ

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٢٦ .

(٢) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة أبو حية النميري ، شاعر مجيد مقدم ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان جباناً بخيلاً كذاباً معروفاً بذلك أجمع، توفي نحو ثلاث وثمانين ومائة . الشعر والشعراء ٢/ ٧٧٤ وكتاب الأغاني ١٦/ ٢٣٦ والأعلام ٨/ ١٠٣ .

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٣٨ .

(٤) في ظ : همز .

(٥) الخصائص ٣/ ٢١٩ وفيه : وأدؤر جمع دار .

(٦) الخصائص ٣/ ١٤٦ .

(٧) هو هشام بن عبد الملك بن مروان أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي ، استخلف في شعبان سنة خمس ومائة ، كان عاقلاً حازماً سائساً ، فيه ظلم مع عدل ، توفي سنة ست ومائة . سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥١ وفوات الوفيات ٤/ ٢٣٨ .

نَظَرْنَا نَارَ جَعْدَةَ هَلْ نَرَاهَا أَبُعْدٌ غَالَ ضَوْءَكِ أَمْ هُمُوْدُ

لحب المؤقدان إلي مؤسى وجعدة إذ [1] أضاءهما الوقود

تَعَرَّضَتِ الهُمُوْمُ لنا فَقَالَتْ: جُعَادَةُ أَيَّ مُرْتَحَلِ تُرِيْدُ

فقلت لها: الخليفةَ غيرَ شَكٍّ هُوالمَهْدِيُّ والحَكَمُ الرَّشِيْدُ

ومنها :

هِشَامُ المُلْكِ والحَكَمُ المُصَفَّى يَطِيْبُ إِذَا نَزلتَ بِهِ الصَّعِيْدُ

يَعُمُّ على البَرِيَّةِ منك فَضْلٌ وتُطْرِقُ مِن مَخَافَتِكَ الأُسُودُ

وَإِنْ أَهْلُ الضَّلالةِ خَالَفوكم أَصَابَهُمْ كَمَا لَقِيَتْ ثَمُوْدُ

وأَمَّا من أطاعَكُمُ فَيَرْضَى وذو الأضغانِ يَخْضَعُ مُسْتَقِيْدُ [2]

قوله: (الجملة في محل رفع إن جعل أحد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له)

قال الشريف: هو مذكور فيما تقدم، وإنما كرره ليرتبط به قوله:" وإلا"[3]

وقال أبو حيان: إن جعلنا [4] ﴿ الذين﴾ مبتدأ ف﴿ أولئك﴾ مع ما بعده يكون مبتدأ وخبرا في موضع خبر ﴿ الذين﴾ .

ويجوز أن يكون بدلا، وعطف بيان.

ويمتنع الوصف لكونه أعرف ، ويكون خبر﴿ الذين﴾ إذ ذاك قوله ﴿على هدى﴾[5] انتهى.

وقد أحسن المصنف حيث قال : (إن جعل أحد الموصولين) مصلحا به عبارة الكشاف حيث اقتصر على الموصول الأول، فأورد عليه الثاني.

قال الشيخ أكمل الدين: ويجوز أن يكون من باب:

نحنُ بما عندنا ،وأنتَ بما عندك راضٍ[6] ... ...

---

(١) في مطبوعة الديوان: لحب الو اقدان إليّ .... لو أضاءهما .

(٢) ديوان جرير بشرح محمد ابن حبيب١/ ٢٨٧ .

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٣٨ .

(٤) في ظ : جعل .

(٥) البحر المحيط ٢/ ٦٧ .

(٦) نسب لقيس بن الخطيم ، انظر في ديوان قيس بن الخطيم ١٧٣ وجاء عرضاً في ديوان حسان بن ثابت ٨٧ منسوباً إلى درهم بن زيد الأوسي .

أي الذين يؤمنون بالغيب أولئك على هدى، والذين يؤمنون بما أنزل إليك كذلك[1] .

قوله: (وكأنه لما قيل:﴿ هدى للمتقين﴾) قيل: ما بالهم خصوا بذلك؟) إلى آخره

قال الشريف : أي ما حالهم مختصين بذلك، وهل هم أحقّاء به، فمآل السؤال إلى أنهم هل يستحقون ما أثبت لهم من الاختصاص؟

والجواب يشتمل على هذا الحكم المطلوب مع تلخيص موجبه،وقد ضم فيه إلى الهدى نتيجته تقوية للمبالغة التي تضمنها تنكيره،كأنه قيل: هم مستحقون للاختصاص، والسبب فيه تلك الأوصاف التي رتب عليها الحكم ،فاستغنى عن تأكيد النسبة ببيان علتها.

وقد يقال: المقصود من السؤال هو السبب فقط ، أي ما سبب اختصاصهم و استحقاقهم إلا أنه بين في الجواب مرتبا عليه مُسَبَّبه ،فإن ذلك أوصل إلى معرفة السبب ، فلا حاجة أصلا إلى تأكيد الجملة .

وربما قيل: قصد به مجموع الأمرين،أي هل هم أحقّاء بذلك، وما السبب فيه حتى يكونواكذلك ؟

وإنما قال: " كأنه قيل" إذ ليس هناك سؤال ، بل اتجاه سؤال ، فجعل لذلك كأنه مقدر[2] . انتهى.

وكأنه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة.

قال الطيبي: فوزان قوله﴿ هدى للمتقين﴾ إلى قوله ﴿ ينفقون﴾ وزان قوله﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ ووزان قوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وزان قوله﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾

قال : وهاهنا سر دقيق: وهو أنه تعالى حكى في مفتتح كتابه الكريم مدح العبد لبارئه بسبب إحسانه إليه، وترقى فيه، ثم مدح الباري هنا عبده بسبب هدايته له وترقى فيه على أسلوب واحد[3] .

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٢٧ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ١٣٨ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٢٢٩ .

قوله: (ومعنى الاستعلاء في﴿ على هدى﴾ تمثيل تمكنهم من الهدى، و استقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه).

قال الطيبي: أي هو استعارة تمثيلية، واقعة على سبيل التبعية، وتقريره أن يقال: شبهت حالهم – وهي تمكنهم من الهدى ،واستقرارهم عليه ،وتمسكهم به- بحال من اعتلى الشيء وركبه، ثم استعير للحالة التي هي المشبه المتروك كلمة الاستعلاء المستعملة في المشبه به.

قال : ويدلك على أن الاستعارة التبعية تمثيلية الاستقراء، وبه يشعر قول صاحب " المفتاح" في استعارة" لعلّ" فتشبه حالُ المكلف- وكيت، وكيت- بحال المرتجي المخير. إلى آخره[1] .

وقال الشيخ أكمل الدين : يعني أنه استعارة تمثيلية، فإن الاستعارة من فروع التشبيه، والتشبيه إما أ ن يكون وجهه منزعا من عدة أمور، أولا، و الأوّل هو التمثيل، والثاني غيره.

ووجه ذلك ما ذكره بقوله:" شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه" فكما أن حال الراكب هي تمكنه من المركوب ،واستقراره عليه ،كذلك حال أولئك مع الهدى، فاستعير للمشبه كلمة" على" المستعملة للمشبه به ، فليس معنى" على" هاهنا الاستعلاء، بل حالهم يشابه الاستعلاء.

وإنما قال: "معنى الاستعلاء" ؛لأنه من الاستعارة التبعية ، فلا بد من تقدير الاستعارة في معنى الاستعلاء؛ليسري إلى الحرف[2] .

وقال الشريف: يريد أن كلمة" على " هذه استعارة تبعية، شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار ، فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء، كما شبه استعلاء المصلوب على الجذع باستقرار المظروف في الظرف بجامع الثبات، فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية.

وإنما قال:" معنى الاستعلاء" دون معنى " على" ؛لأن الاستعارة في الحرف تقع أولا في متعلق معناه كالاستعلاء و الظرفية والابتداء مثلا، ثم تسري إليه بتبعية.

---

(١) مفتاح العلوم ٤٩١ وفتوح الغيب ١/ ٢٣٣ وفي مفتاح العلوم ... المخير بين أن يفعل وأن لا يفعل .

(٢) الكشاف ١/ ١٤٢ وحاشية أكمل الدين ل٢٨ .

وقوله: " تمثيل " [1] أي تصوير فإن المقصود من الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به إبرازا لوجه الشبه فيه بصورته في المشبه بـه ، فـإذا قلـت :رأيـت أسدا يرمي فقد صورته في

شجاعته بصورة الأسد وجراءته.

ومن الناس من زعم أن الاستعارة في" على" تبعية تمثيلية .

قال : أما كونها تبعية فلجريانها أولا في متعلـق معنى الحـرف ، وتبعيتهـا فـي الحرف.

وأما كونها تمثيلية فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتـزعة من عدة أمور.

فورد عليه أن انـتزاع كل من طرفيه من أمور عدة يستلزم تركبه من معان متعدة، ومن البيّن أن متعلق معنى كلمـة" علـى" وهـو الاسـتعلاء معنـى مفـرد ، كـالضرب ونظائره ، فلا يكون مشبها به في تشبيه تركب طرفـاه ، وإن ضـم إليـه معنـى آخـر ، وجعل المجموع مشبها به لم يكن معنـى الاسـتعلاء مشـبها بـه فـي هـذا التشـبيه ، فكيف يسري التشبيه و الاستعارة منه إلى معنى الحرف!

والحاصل أن كون " على" استعارة تبعية يستلزم كون الاستعلاء مشبها به ، وأن تركب الطرفين يستلزم أن لا يكون مشبها به ، فلا يجتمعان.

وأجيب عنه بأن انـتزاع كل من طرفيه من عدة أمور لا يوجب تركبه، بل يقتضي تعددا في مأخذه ، وهو مردود بأن المشبه مثلا إذا كان منـتزعا من أشياء متعددة فإما أن ينتـزع بتمامه من كل واحد منها ، وهو باطل ، فإذا أخذ كذلك مـن واحـد منهـا كان أخذه مرة ثانية من واحد آخر لغوا ، بل تحصيلا للحاصل.

وإما أن ينتزع من كل واحد منها بعض منه ، فيكون مركبا بالضرورة.

وإمـا أن لا يكـون هنـاك لا هـذا ولا ذاك، و هـو أيضـا بـاطل ، إذ لا معنـى لانتـزاعه حينئذ من تلك الأمور المتعددة .

على أن هذا الزاعم قد صرّح في تفسير قوله تعالى﴿ مثلهم كمثل الذي اسـتوقد نارا﴾ بأنه لامعنى لتشبيه المركب بالمركب إلا أن تنـتزع كيفية من أمور عـدة،فتشـبه بكيفية أخرى مثلها ، فيقع في كل واحد من الطرفين أمور متعددة ،وأنت خبـير بـأن أمثال ذلك مما لا يشتبه على ذي مسكة ، إلا أن جماعة قد غفلـوا فـي هـذا المقـام

---

(١) كذا في النسخ ، وفي طبعات الكشاف : مثلٌ .

عن رعاية القواعد ، فزلت بهم أقدامهم.

وإن شئت مزيد تحقيق فاعلم أن قوله﴿ على هدى﴾ يحتمل وجوها ثلاثة:

الأول : ما مر من تشبيه تمسكهم بالهدى باعتلاء الرا كب.

الثاني : أن تشبيه هيئة منتزعة من المتقي والهدى وتمسكه به بالهيئة المنتزعة من الراكب و المركوب ، واعتلائه عليه، فيكون هناك استعارة تمثيلية ، تركب كل من طرفيها ، لكنه لم يصرح من الألفاظ التي هي بإزاء المشبه به إلا بكلمة"على" فإن مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة ، وما عداه تبع له ، يلاحظ معه في ضمن ألفاظ منوية ، وإن لم تكن مقدرة في نظم الكلام ، وستعرف الفرق بينهما ، فلا يكون في" على" استعارة أصلا، بل هي على حالها قبل الاستعارة ، كما إذا صرّح بتلك الألفاظ كلها .

الثالث: أن يشبه الهدى بالمركوب على طريقة الاستعارة بالكناية ، وتجعل كلمة"على" قرينة لها ، على عكس الوجه الأول ، فمن اعتبر هنا تلك الهيئة ، وحكم بأن الاستعارة تبعية فقد اشتبه عليه الفرق بين الوجه الأول و الثاني.

وما يتوهم من أن عبارة" المفتاح" في استعارة "لعلّ" بينة في اجتماع التبعية والتمثيلية ، فهو مضمحل بما لخصناه في شرحه عليه، على وجه لا مزيد عليه [1] . انتهى

قوله: (وقد صرحوا به)

قال الطيبي: أي بإرادتهم معنى الاستعلاء والركوب فيما يشبه الآية[2] .

قوله: (في قولهم: امتطى الجهل)

قال الطيبي: أي اتخذ الجهل مطية، وهو تشبيه.[3]

قال الشيخ أكمل الدين: يعني كالمطية[4]

وقال الشريف : إن جعل بمنزلة قولك: ركب مَطَى الجهل كان استعارة بالكناية، وإن جعل في قوة قولك: اتخذ الجهل مطية كان تشبيها ، وأيّاً ماكان فتشبيه الجهل بالمطية مقصود منه ، وهو المراد بكونه مصرحا به.

---

(١) مفتاح العلوم ٤٩١ وحاشية الشريف ١/ ١٤٢ .

(٢) فتوح العيب ١/ ٢٣٣ .

(٣) فتوح العيب ١/ ٢٣٣ .

(٤) حاشية أكمل الدين ل٢٨ .

وقيل: امتطى استعارة تبعية، شبه اتصافه بالجهل واستقراره عليه بامتطاء المطية، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، وسرت الاستعارة إلى الفعل، وذكر المفعول قرينة لها.

وفيه بحث؛إذ لا فرق حنيئذ بينه وبين قوله ﴿ على هدى﴾ في أن تشبيه الهدى والجهل

بالمركب ليس مقصودا فيهما، فكيف يجعل مصرحا به في أحدهما دون الآخر[١] . انتهى.

قوله: (واقتعد غارب الهوى) .

قال الطيبي: هو استعارة، إما تحقيقية ، أو تخييلية، "واقتعد" ترشيح لها، نحو قوله:

... ... وعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ[٢] .

وقال الشيخ أكمل الدين: في " الهوى" استعارة مكنية، وفي" غارب" استعارة تخييلية[٣] .

وقال الشريف : شبه الهوى بالمطية على طريقة الاستعارة المكنية، وخيل بإثبات الغارب، ورشح بذكر الاقتعاد[٤] .

قوله: (ونكر ﴿هدى﴾ للتعظيم).

قال أبو حيان: وقد يكون ثم صفة محذوفة، أي على هدى ، أيّ هدى.

قال : وحذف الصفة لفهم المعنى جائز[٥] .

قوله: (لا يبلغ كنهه)

قال: الشريف: أي نهايته.

وفي الأساس : سله عن كنه الأمر ، أي حقيقته وكيفيته، واكتنه الأمر بلغ كنهه

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٤٤ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٣٤ والشطر لزهير ابن أبي سلمى ، انظر في شرح ديوان زهير ابن أبي سلمى ١٢٤ قال شارحه : قوله : " عري أفراس الصبا " مثل ، يقول : ترك الصبا ، وترك الركوب فيه . وقال الأصمعي : عري أفراس قد كنت أركبها في الصبا .

(٣) حاشية أكمل الدين ل٢٨ .

(٤) حاشية الشريف ١/ ١٤٤ .

(٥) البحر المحيط ٢/ ٦٩ .

وغايته[١] .

قوله:(ولا يقادر قدره) .

الأساس: قدرت الشيء أقدره ، وهذا شيء لا يقادر قدره ، وفلان يقادرني، أي يطلب مساواتي، وتقادر الرجلان طلب كل واحد مساواة الآخر[٢] .

قوله: (ومثله[٣] قول الهذلي:

فـلا وَأَبـي الطَّـيرِ المُرِبَّـةِ بِـالضُّحَى   على خَالدٍ لقد وقعـتَ علـى لَحْـمٍ).

هو لأبي خراش خويلد بن مرة الهذلي، يرثي خالد بن زهير.

وقال الطيـبي: كان الزمخشري يقول: ما أفصحك يابيت!

و المربة اللازمة، من أَرَبَّ بالمكان إذا أقام به.

ولقد كان خالد هذا رفيع الشأن، علـيّ القـدر، فاستعظم لحمـه حيـث نكـره، وبسبب تعظيمه اللحم استعظم الطير الواقعة عليـه، حيـث أقسـم بأبيهـا، والإقسـام بالشيء دليل تعظيمه، وكذلك الكنى تدل على التعظيم.

ثم إن جعلت" لا" زائدة كان جواب القسم " لقد وقعت" وفيه إشعار من حيـث الالتفات بالتعظيم، ومن حيث أن سبب الإقسام بها كونها واقعة علـى ذلـك اللحـم فيه تعظيم الشيء بنفسه، وإن لم تجعل " لا" زائدة، بل ردا لكـلام سابق، أي ليـس الأمر كما زعمت وحق أبي الطير ،يكون جواب القسم ما دلت عليه " لا" ثـم ابتـدأ بإنشاء قسم آخر، أي والله لقد وقعت على لحم، كقوله تعالى﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ فيكون صفة للطير على تأويل الطير المقول في حقه ذلك[٤] .

وقال الشيخ أكمل الدين:الاستشهاد بقوله"على لحم" أي أيٍّ لحم، وأبو الطـير إما أن يريد به خالدا، وهو الأظهر ؛لوقوعها عليه، كما يقـال: أبـو الـتراب، وإمـا أن يريد أبا ذلك النوع من الطير؛لأنه لما استعظمها بوقوعها عليـه اسـتعظم أباهـا؛لأنـه أصلها وأقسم به،أو الطير نفسها، و الأب مقحم، وصدر القسم ب"لا" كما فـي ﴿ لا أقسم﴾ ويجوز أن يكون بأبي الشاعر، ومعناه وحق أبي،وحـق الطـير، فيكـون الطـير

---

(١) أساس البلاغة / مادة كنه . وفيه : واكتنها الأمر : بلغ غايته ، وأكنه الأمر : بلغه غايته .

(٢) أساس البلاغة / مادة قدر .

(٣) كذا في النسخ ،وفي طبعات أنوار التنـزيل: ونظيره

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٣٦ .

مجروراً بحذف حرف القسم ، كما في قولهم: اللهِ لأفعلنّ [١] .

وقال الشيخ سعد الدين الشعر في "ديوان الهذليين" هكذا:

لَعَمْرُ أبـي الطـير المربّـة غـدوة على خـالد لقـد علقـنَ علـى لحـم

فـلا وأبـي لا تـأكلُ الطـيرُ مثلَـهُ عَشِيَّةَ أمسى لا يَبِيْنُ مِـن السِّـلْمِ

برفع "الطير المربة" على أنه فاعل فعل يفسره" لقد علقن" أي لقد علقت الطير [٢] . انتهى.

قلت: و الذي رأيته أنا في " ديوان هذيل"ثلاثة أبيات لا رابع لها، وهي:

لعمر أبي الطير المربة غـدوة [٣] على خالد لقـد وقعت علـى لحـم

وإنَّكِ [٤] لـو أبصرتِ مَصْـرَعَ خـالدٍ بِجَنْبِ السِّـتَارِ بَيْـنَ أَبْـرَقَ فالحَـزْمِ

لأيْقَنْـتَ أَنَّ البكـرَ غـيرُ رَزِيَّـةٍ ولاالنَّابَ،لاضَمَّتْ [٥] يداكِ على غُنْـمِ [٦]

قال ابن عبد البر في " الاستيعاب": أبو خراس كان من فرسان العرب، وكان يعدو على قدميه فيسبق الخيل ، فحسن إسلامه ، ومات في زمن عمر بن الخطاب من نهش حية [٧] .

قوله: (وقد أدغمت النون في الراء بغنة، وبغير غنة)

قال الشيخ سعد الدين : هذا بحسب العربية، وأما بحسب الرواية عن القراء فالأكثر أنه لا غنة مع الراء و اللام [٨] .

وقال الشريف : المشهور عند القراء أن لا غنة مع الراء واللام ، وقد وردت عنهم في بعض الراويات الغنة معهما ، ولا نزاع في جوازها بحسب العربية [٩] .

قوله:(كرر فيه اسم الإشارة) إلى آخره

---

(١) حاشية أكمل الدين ل٢٨ .

(٢) حاشية سعد الدين ل٢٥ .

(٣) رواية الديوان : بالضحى .... وقعن

(٤) رواية الديوان: إنك .... بين أظلم فالحزم

(٥) رواية الديوان : ليس رزية ..... لا انضمت

(٦) الابيات الثلاثة مع ثلاثة أخرى في كتاب شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٢٦.

(٧) الاستيعاب ٤/ ١٦٣٦ والإصابة ٢/ ٣٦٤ .

(٨) حاشية سعد الدين ل٢٥ .

(٩) حاشية الشريف ١/ ١٤٥ .

قال الشريف: محصول ما ذكره أن تكرير ﴿ أولئك﴾ أفاد اختصاصهم بكل واحد منهما على حدة، فيكون كل منهما مميزا لهم عمن عداهم، ولولاه لربما فهم اختصاصهم بالمجموع، فيكون هو المميز ، لا كل واحد [١] .

قوله:(من الأثرتين) بفتح الهمزة والمثلثة ،أي الاختصاصين.

قوله: (ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين) إلى آخره.

قال الشريف: يعني أن ﴿ على هدى﴾ و﴿ المفلحون﴾ مع كونهما متناسبتين معنيان مختلفان مفهوما ووجودا؛فإن الهدى في الدنيا ،والفلاح في العقبى، وإثبات كل منهما أمر مقصود في نفسه، و الجملتان المشتملتان عليهما المتحدتان في المخبر عنه واقعتان بين كمالي الاتصال ،والانفصال، فلذلك أدخل العاطف بينهما.

وأما ﴿ كالأنعام﴾ و﴿ الغافلون﴾ فهما وإن اختلفا مفهوما فقد اتحدا مقصودا ؛ إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة في الغفلة،فالجملة الثانية هاهنا [٢] المشاركة للأولى في المحكوم عليه مؤكدة لها، فلا مجال للعاطف بينهما [٣] .

قوله :(و﴿هم﴾ فصل يفصل الخبر عن الصفة ،ويؤكد النسبة)

قال بعض أرباب الحواشي: الأول :مذهب البصريين ، وهو تفصيل لكونه فصلا ؛ لأنه فصل بين كونه خبرا أو صفة.

و الثاني: مذهب الكوفيين، وعبروا عنه بكونه عمادا؛لأن الخبر اعتمد على المبتدإ،

وعلى كل واحد من المذهبين إشكال.

أما الأول فقد جاء الفصل حيث استحالت الصفة في نحو ﴿ كنت أنت الرقيب﴾ [سورة المائدة ١١٧] و﴿كانوا هم الظالمين﴾ [سورة الزخرف٧٦]﴿ تجدوه عند الله هو خيرا﴾ [سورة المزمل ٢٠] و الضمير لا يوصف.

وأما الثاني: فلأنه مبني على أنه لا يجوز أن يقال :زيد هو العالم أبوه ، وهو ممنوع لا يثبت بمجرد الدعوى. انتهى.

وقال الشيخ علم الدين السخاوي في " شرح الأحاجي": إن كان الفصل إنما

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٤٥ .

(٢) في ح : منهما

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٤٥ .

سمي فصلا لأنه يفصل بين الخبر والصفة فليس هو في نحو: كان زيد هو خيرا منك فصلا ؛ لأنه لا ريبة في أن ما بعده لا يكون صفة.

والذي يقال في هذا : أن هذا الضمير المتوسط بين المبتدإ والخبر دخل لأمرين:

أحدهما: الفصل بين ما يكون صفة أو خبرا.

و الثاني: التأكيد

قال الشيخ أبو العلاء [١] : ولو قيل: دخل ليعلم أن الذي بعده يصلح أن يكون نعتا لكان وجها حسنا[٢] .

قوله: (أو مبتدأ)

قال الشريف: قسيم لقوله:" فصل"[٣]

قوله:(و﴿ المفلحون﴾ خبره)

قال الطيبي: فعلى هذا تكون الجملة من باب تقوي الحكم، أو من التخصيص على نحو هو عارف[٤] .

قوله:(و﴿ المفلحون﴾ بالحاء والجيم الفائزون[٥] بالمطلوب)

مراده تفسير اللفظ من حيث اللغة، وإلا فالقراءة بالحاء ، لا غير، ولم ترد قراءة شاذة بالجيم.

قال في " الصحاح" في باب الجيم: الفلج الظفر و الفوز، وقد فلج الرجل على خصمه يفلج فلجا[٦] .

وقال في باب الحاء: الفلاح الفوز والبقاء والنجاة [٧] .

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن الحسن أبو العلاء الهمداني ، حافظ متقن ، ومقرئ فاضل ، يعرف القراءات والحديث والأدب معرفة حسنة ، توفي سنة تسع وستين وخمسمائة . كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٢٤ وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠ .

(٢) منير الدياجي في تفسير الأحاجي ١/ ١٧٠ ١٧١ رسالة دكتوراة في جامعة أم القرى كلية اللغة العربية .

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٤٦ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٣٧ .

(٥) كذا في النسخ ، وفي طبعات أنوار التنزيل : والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب .

(٦) الصحاح / مادة فلج .

(٧) الصحاح / مادة فلح .

قوله:(نحو فلق) أي شق (وفلذ) أي قطع (وفــلا) يقـال: فلوتـه بالسـيف، أي ضربته به.

قوله: (و تعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هــم النـاس الذيـن بلغـك أنهم المفلحون في الآخرة ، أو الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحيــن وخصوصياتهم)

قال الطيبي: فالتعريف على الأول للعهد،وعلى الثاني للجنس، فعلى الأول هو قصر المسند على المسند إليه ، فالفلاح لا يتعدى إلى غيرهم ، وعلى الثاني عكسه، فلا يتعدون من الفلاح إلى صفة أخرى[1] .

وقال الشريف : اللام علـى الأول لتعريـف العهـد الخـارجي، ولا حاجـة إلـى اعتبـار قصـر، كمـا إذا قلـت : الزيـدون هـم المنطلقـون، إشـارة إلـى المعهوديـن بالانطلاق ، ولك أن تعتبر كلمة﴿ هم﴾ فصلا ، وتقصد قصر المســند علـى المسـند إليه إفرادا ، نفيا لما عسى أن يتوهم من أن المعهودين بـالفلاح فـي الآخـرة ينـدرج فيهم غير المتقين أيضا .

وعلى الثاني: لتعريف الجنس المسمى بتعيين [2] الحقيقة.

ثم إن المعرّف بلام الجنس قد يقصد به تارة حصره في المبتدإ إمـا حقيقـة ، أو ادعاء، نحو زيد الأمير، إذا انحصرت الإمارة فيه، أو كان كاملا فيها، كأنه قيل: زيـد كل الأمير، وقد يقصد به أخرى أن المبتدأ هو عين ذلك الجنـس ومتحـد بـه، لا أن ذلك الجنس مفهوم مغاير للمبتدإ منحصر فيه على أحد الوجهين، فهذا معنــى آخـر للخبر المعرّف بلام الجنس غير الحصر[3] .

قوله : (ورد بأن المراد بالمفلحين) إلى آخره

قال الطيبي : الأحسن فـي الجـواب أن المـراد بـالمتقين المجتنبـون للشـرك، فيدخل العاصي في هذا الحكم العام.

قال : فإن قلت: كيف جاز أن يكون العاصي مفلحا ؟

قلت: كما جاز أن يكون مصطفى في قوله ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذيــن اصطفينـا

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٣٨ .

(٢) في هامش ح إشارة إلى نسخة أخرى فيها: بتعريف

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٤٦ .

من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ﴾ [سورة فاطر ٣٢]

قوله :(ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين ، كما عطف في قوله تعالى﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ [سورة الانفطار ١٣ ، ١٤] لتباينهما في الغرض) إلى آخره .

نوزع فيه بأن المقصود من الأولى بيان انتفاع المتقين بالكتاب ، واهتدائهم به اللازم عنه أنهم يؤمنون[1] ، ومن الثانية بيان عدم انتفاعهم به، وعدم اهتدائهم المعبر عنه باستواء الإنذار وعدمه اللازم عنه أنهم لا يؤمنون، فاتحد الغرض منهما، وهو بيان الحال ، كما اتحد في آيتي﴿ إن الأبرار ...وإن الفجار﴾ غرض بيان المآل.

وأجاب الشيخ سعد الدين بأن الحكم على الكفار بذلك لا يقتضي كون الكتاب بهذه المثابة غرضا مسوقا له الكلام [2] .

قوله:(وإنَّ من الحروف التي شابهت الفعل) إلى آخره

قال ابن يعيش في " شرح المفصل" : إنما عملت"إنَّ وأخواتها" لشبهها بالأفعال،وذلك من وجوه:

منها: اختصاصها بالأسماء ،كاختصاص الأفعال بالأسماء.

ومنها: أنها على لفظ الأفعال، إذ كانت على أكثر من حرفين، كالأفعال.

ومنها: أنها مبنية على الفتح، كالأفعال الماضية.

ومنها: أنها يتصل بها المضمر المنصوب ،ويتعلق بها كتعلقه بالفعل في نحو" ضربك" و"ضربه" و"ضربني" فلما كان بينها وبين الأفعال ما ذكرنا من المشابهة كانت داخلة على المبتدإ والخبر ،وهي مقتضية لهما جميعا .

ألا ترى أَنَّ "إنَّ" لتأكيد الجملة، و"لكن" لاستدراك الخبر، فلا بد من الخبر لأنه المستدرك، ولابد من المبتدإ ليعلم خبر من قد أستدرك، و"ليت" في قولك :ليت زيدا قادم تمنّ لقدوم زيد، و"لعلّ" ترج، و"كأن" تقتضي مشبها ومشبها به .

فلما اقتضتهما جميعا جرت مجرى الفعل المتعدي، فلذلك نصبت الاسم، ورفعت الخبر، وشبهت من الأفعال بما قدم مفعوله على فاعله، فقولك: إن زيدا قائم ،بمنزلة ضرب زيدا رجل،وإنما قدم المنصوب فيها على المرفوع فرقا بينها

---

(١) في ت، ح : مؤمنون .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٣٩ .

وبين الفعل، فالفعل من حيث كان الأصل في العمل جرى على سنن قياسه في تقدم المرفوع على المنصوب، إذ كانت رتبة الفاعل متقدمة على المفعول، وهذه الحروف لما كانت في العمل فروعا على الأفعال ،ومحمولة عليها جعلت دونها بأن قدم المنصوب فيها على المرفوع حَطّاً لها عن درجة الأفعال، إذ تقديم المفعول على الفاعل فرع ، وتقديم الفاعل أصل.

وذهب الكوفيون إلى أن هذه الحروف لم تعمل في الخبر الرفع ، وإنما تعمل في الاسم النصب، لا غير، و الخبر مرفوع على حاله ، كما كان مع المبتدإ .

وهو فاسد؛لأن الابتداء قد زال ،وبه وبالمبتدإ كان يرتفع الخبر، فلما زال العامل بطل أن يكون هذا معمولا فيه، ومع ذلك فإنا وجدنا كل ما عمل في المبتدإ عمل في خبره، نحو كان وأخواتها، وظننت وأخواتها، لما عملت في المبتدإ عملت في الخبر،وليس فيه تسوية بين الأصل والفرع ؛ لأنه قد حصلت المخالفة بتقديم المنصوب على المرفوع . انتهى[1]

قوله : (وتذكر في معرض الشك)

وهو معنى قول الشيخ عبد القاهر إنما تذكر في الخبر حيث كان للمخاطب ظن بخلاقه[2] .

قوله: (وتعريف الموصول إما للعهد) إلى آخره

قال الشيخ سعد الدين: يريد أن تعريف "الذي" كتعريف ذي اللام، قد يكون للعهد، وقد يكون للجنس[3] .

قوله:(والمراد به ناس بأعيانهم)إلى آخره

قلت: أخرج ابن جرير وغيره بسند صحيح عن ابن عباس أن المراد به الكفار من اليهود خاصة[4] .

وهو الظاهر بقرينة إيلائه المؤمنين من أهل الكتاب، ولأن السورة مدنية، وأكثر الخطاب فيها لليهود، وقد خوطب كفار قريش بمثل ذلك في سورة يس في قوله

---

(١) شرح المفصل ١/ ١٠٢ .

(٢) كتاب دلائل الإعجاز ٣٢٥ .

(٣) حاشية سعد الدين ل٢٦ .

(٤) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٥١ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٨٦ مختصراً .

﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [سورة يس ١٠]

أخرج أبو نعيم في "دلائل النبوة" عن ابن عباس أنها في كفار قريش[١] .

وقد جرت عادة الله سبحانه وتعالى في القرآن أنه حيث ذكر في السور المكية أمرا ذكر في المدنية مثله؛لأجل أهل الكتاب،كما ذكرت ولادة يحيى وعيسى في سورة مريم، وهي مكية ، ثم ذكرت في سورة آل عمران لأنها مدنية لأجل أهل الكتاب.

قوله: (صمم) في الصحاح: صمم في السير، أي مضى[٢]

قوله:(وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به)

هو حد الإمام فخر الدين ذكره بعد قوله: إن المتكلمين صعب عليهم حد الكفر[٣] .

وخرج بالضرورة ما علم بالاستدلال ، أو بخبر الواحد، ولهذا لم يكفر أحد بذنب[٤] ، ولا ببدعة .

وقال تلميذه الزنجاني[٥] : هذا الحد غير واف بالمقصود إذ الإنكار يختص

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٠٠ .

(٢) الصحاح / مادة صمم .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٣٧ : قلت : نعم صعب عليهم أن يأتوا بضابط للكفر صحيح سليم من النقص والزيادة ؛ لأنهم يأتون إلى الأمور من غير بابها ، ويبحثون عن الحقائق في غير مظانها ، فإن الكفر ضد الإيمان ، فإذا لم يوفقوا إلى تعريف صحيح للإيمان الشرعي فبالحري أن لا يوفقوا إلى تعريف صحيح الكفر المقابل للإيمان ، وإنما تفهم هذه الأسماء الشرعية من استقراء نصوص الشرع وفهمها فهماً سليماً يطابق فهم الصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.
وقد قرب الإمام ابن القيم التعريف الصحيح للكفر فقال : " إن الكفر نوعان : كفر عمل ، وكفر جحود وعناد ، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته ، وأفعاله وأحكامه ، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه ، وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان ، وإلى ما لا يضاده ، فالسجود للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي ، وسبه يضاد الإيمان ، وأما الحكم بغير ما أنزل الله ، وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً . كتاب الصلاة وحكم تاركها ٥٥ ٥٧ .

(٤) هذا الكلام فيه نظر ، لأنه يحتمل معنى فاسداً . قال القاضي علي بن أبي العز الدمشقي : امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول : بأنا لا نكفر أحداً بذنب ، بل يقال : لا نكفرهم بكل ذنب ، كما تفعله الخوارج ، وفرق بين النفي العام ، ونفي العموم ، والواجب إنما هو نفي العموم مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب . شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٣٣ .

(٥) لم أميزه .

بالقول ، والكفر يحصل بالفعل، وإنكار ما ثبت بالإجماع قد يخرج عن الضروريات.

وأيضا فإنا قد نكفر المجسم والخارجي ، وبطلان قولهما ليس من الضروريات، وكذا الطاعن في عائشة رضي الله عنها، وبراءتها ثبتت بالقرآن [1] ، والأدلة اللفظية غير موجبة للعلم [2] ، فيخرج عن الضروريات.

وأقول : الجواب عن الفعل قد تولاه الإمام بنفسه[3] ، وأشار إليه المصنف بقوله : (وإنما عُدَّ لُبْسُ الغيار) إلى آخره.

وخروج ما ثبت بالإجماع عن الضروريات ممنوع، وكذا بطلان قول المجسم.

وأما الخارجي فإنا لا نكفره ما لم يخالف قاطعا، والدلالة اللفظية تفيد العلم بانضمام القرائن ، وهي موجودة في براءة عائشة رضي الله تعالىعنها .

قوله: (وسواء بمعنى [4] الاستواء ،نعت به كما نعت بالمصادر)

---

(١) في ظ : في القرآن .

(٢) هذه تسمية المتكلمين ، يسمون نصوص الكتاب والسنة بالأدلة اللفظية مقابلة بين الأدلة العقلية والأدلة اللفظية ، ويهونون من شأن دلالة الأدلة اللفظية زعموا ويرون أنه لا يمكن الاستدلال بها في المسائل الأصولية لأن الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية ، مثل نقل اللغة ، والنحو والتصريف ونفي المجاز والإضمار والتخصيص والاشتراك ، وعلى دفع المعارض العقلي ، وهذه التسمية تكشف عن ضعف ثقة هؤلاء بنصوص الكتاب والسنة ، وسوء تقدير لدلالتهما ، وهي نتيجة حتمية وضربة لازب لكل من يبحث عن الحق في غير مظانه . ثم إن هذه المقابلة مقابلة غير صحيحة وتقسم غير زكي ، فنصوص الكتاب والسنة فيهما العقل الصريح ، والهدي الصحيح ، وقد تفيد أدلتهما اليقين والقطع فيما استدل بهما عليه . قال القاضي علي بن أبي العز الدمشقي : الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان : متواتر وآحاد ، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة ، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين !! وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات ، قالوا : والآحاد لاتفيد العلم ، ولا يحتج بها من جهة طريقها ، ولا من جهة متنها ، فسدوا على القلوب معرفة الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ، ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية ، وبراهين يقينية ، وهي في التحقيق " كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٩٨ ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٩ ٢٤ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٣٨ .

(٤) كذا في النسخ ، وفي طبعات أنوار التنزيل: وسواء اسم بمعنى .

قال الشريف: أي كما تجري المصادر على ما اتصف بها كذلك سواء يجري على ما يتصف بالاستواء ،أي يجعل وصفا له معنويا،إما نعتا نحويا،كما في ﴿ كلمة سواء﴾ [سورة آل عمران ٦٤] وإما غيره ،كما في الآية[١] .

الطيبي : روي عن صاحب "الكشاق" : "الوصف بالمصدر، نحو رجل صوم ، وعدل على وجهين :

أن يقدر مضاف محذوف ، أي ذو صوم، وذو عدل ، وأن يجعل أنه تجسم من الصوم والعدل مبالغة ، و المبالغة هاهنا أن الإنذار وعدم الإنذار نفس السواء" [٢] .

قوله:(رفع بأنه خبر إنَّ،وما بعده مرتفع به على الفاعلية)

هذا أحد الأوجه في إعراب مثل هذا التركيب، وحاصل الأوجه فيه عشرة، ذكرتها في" أسرار التنزيل" [٣] .

وقد قدح أبو حيان في هذا الوجه بأنَّ في وقوع الجملة فاعلا خلافا ، ومذهب جمهور البصريين أن الفاعل لا يكون إلا اسما مفردا، أو ما هو في تقديره[٤] .

قوله: (أو بأنه خبر لما بعده، بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم)

هذا الوجه رجحه الإمام ووجهه بأن المراد وصف الإنذار وعدمه بالاستواء، وما كان وصفا فهو بالخبرية أليق[٥] .

ووجهه غيره بأن سواء اسم غير صفة، فالأصل فيه أن لا يعمل ، وأيضا المقصود من الوصف بالمصادر المبالغة في شأن مَحَالِّها،كأنها صارت عين ما قام بها، فمعنى قولنا : زيد عدل أنه عين العدل، كأنه تجسم منه، وإذا أولت بمعنى اسم الفاعل كمستو مثلا فات ذلك المقصود، وكذا[٦] إن حملت على حذف المضاف. أورده الشريف[٧] .

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٥١ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٤٤ .

(٣) لم يذكر في قطف الأزهار في كشف الأسرار ١/ ١٨٠ من هذه الأوجه العشرة إلا وجهين : قال : الجملة خير إن ، وقيل : سواء وحده خبرها ، ومابعده مرتفع على الفاعلية .

(٤) البحر المحيط ٢/ ٨٩ .

(٥) التفسير الكبير ٢/ ٤٠ .

(٦) في ظ : وكذلك .

(٧) حاشية الشريف ١/ ١٥١ .

وقال ابن يعيش في "شرح المفصل": الفعل هنا في تأويل المصدر، والمعنى سواء عليهم الإنذار ، وعدم الإنذار ، والانذار وما عطف عليه مبتدأ في المعنى ، وسواء الخبر، وقد تقدم، وسواء مصدر في معنى اسم الفاعل، والتقدير مستو، ألا ترى أن موضع الفائدة الخبر، والشك إنما وقع في استواء الإنذار وعدمه، لا في نفس الإنذار،ولفظ الاستفهام لا يمنع من ذلك ؛إذ المعنى على اليقين والتحقيق، لا على الاستفهام، و إنما الهمزة هنا مستعارة للتسوية، وليس المراد منها الاستفهام، وإنما جاز استعارتها للتسوية لاشتراكهما في معنى التسوية ألا ترى أنك تقول في الاستفهام: أزيد عندك أم عمرو، وأزيد أفضل أم خالد ،والشيآن اللذان يسأل عنهما قد استوى علمك فيهما.

ثم تقول في التسوية: ما أبالي أفعل أم لم يفعل ،فأنت غير مستفهم وإن كان اللفظ للاستفهام ،وذلك لمشاركته الاستفهام في التسوية، لأن ما أبالي أفعل أم لم يفعل، أي هما مستويان عندي في علمي ،كما كان في الاستفهام ، هذا هو التحقيق من جهة المعنى[1] .

وقال أبو حيان : إنما أخبر هنا عن الجملة إن جعلت فاعلا بسواء ، أو مبتدأ وإن لم تكن مصدرة بحرف مصدري حملا على المعنى.

قال: وكلام العرب منه ما طابق اللفظ المعنى ، قام زيد، وزيد قائم، وهو أكثر كلام العرب.

ومنه ما غلب فيه حكم اللفظ على المعنى،نحو علمت أقام زيد أم قعد، لا يجوز تقديم الجملة على " علمت" وإن كان ليس ما بعد " علمت" استفهاما ،بل الهمزة فيه للتسوية.

ومنه ما غلب فيه المعنى على اللفظ ،وذلك نحو الإضافة للجملة الفعلية ، نحو:

عَلَى حِيْنَ عَاتَبْتُ المَشِيْبَ عَلَى الصِّبَا[2] ... ...

إذ قياس الفعل أن لا يضاف إليه ، لكن لوحظ المعنى، وهو المصدر ، فصحت

---

(١) شرح المفصل ١/ ٩٣ .

(٢) للنابغة الذبياني ، انظر في ديوان النابغة الذبياني ٤٤ وهو من شواهد سيبويه ، انظر في الكتاب ٢/ ٣٣٠ .

الإضافة. انتهى[1] .

تنبيه: منع الأصبهاني هذا الوجه ألبتة ،ووجهه بان الجملة لا تقع مبتدءا قط ، وأن الاستفهام لا يتقدم خبره عليه .

وقال ابن يعيش: قال قوم: سواء مبتدأ ، والفعلان بعده كالخبر؛لأن بهما تمام الكلام وحصول الفائدة،فكأنهم أرادوا إصلاح اللفظ ، وتوفيته حقه [2] .

قوله:(أما لو أطلق وأريد به اللفظ)

في "شرح اللب" للسيد [3] : إن الإسناد إلى الفعل مرادا لفظه نوعان:

تارة يسند إليه باعتبار اللفظ ،مع عدم اعتبار المعنى، كقولهم: زعموا مطية الكذب، أي هذا اللفظ مطية الكذب.

وتارة يسند إليه باعتبار اللفظ،مع اعتبار معناه،كقوله تعالى﴿ وإذا قيل لهم آمنوا﴾ أي إذا قيل لهم هذا القول . انتهى.

قوله: (أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع، فهو كالاسم في الإضافة)

قال ابن السراج في " الأصول" : الأصل والقياس أن لا يضاف اسم إلى فعل، ولا فعل إلى اسم ، ولكن العرب اتسعت في بعض ذلك ، فخصت أسماء الزمان بالإضافة إلى الأفعال ؛ لأن الزمان مضارع للفعل؛لأن الفعل له بني، وصارت إضافة الزمان إليه كإضافته إلى مصدره؛لما فيه من الدلالة عليهما [4].

قوله :(كقوله تعالى﴿ وإذا قيل لهم آمنوا﴾)

مثال لما أريد لفظه [5].

(وقوله: ﴿ يوم ينفع الصادقين﴾) [سورة المائدة ١١٩] .

مثال لما أريد به مطلق الحدث، ففيه لف ونشر مرتب.

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٩١ .

(٢) شرح المفصل ١/ ٩٣ .

(٣) هو السيد أحمد بن عبد الله القريمي ، عالم مشارك في بعض العلوم ، له حاشية على شرح نقره كار للب الألباب في علم الاعراب للإسفراييني ، توفي سنة ثمانمائة وثمانية وسبعين . كشف الظنون ٢/ ١٥٤٥ ومعجم المؤلفين ١/ ٢٩٧ .

(٤) الأصول في النحو ٢/ ١١ .

(٥) أي مع اعتبار معناه

قوله: (وقولهم :تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)

هو مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه.

قال أبو عبيد في " كتاب الأمثال": من أمثالهم: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

كان الكسائي يدخل فيه" أن" والعامة لا تذكر "أن" والوجه ما قاله الكسائي، وكان يرى التشديد في الدال ، فيقول : المُعَيْدِّيّ ويقول : إنما هو تصغير رجل من مَعَدٍّ.

قال أبو عبيد : ولم أسمع هذا من غيره.

قال :وأخبرني ابن الكلبي أن هذا المثل ضرب للصقعب بن عمرو النهدي، قاله النعمان بن المنذر، وهذا على معنى من قال : هو قضاعة ابن معد(١) .

وأما المفضل (٢) فحكي عنه أنه قال : المثل للمنذر بن ماء السماء ، قاله لشقة بن ضمرة سمع بذكره، فلما رآه اقتحمته عينه، فقال: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فأرسلها مثلا، فقال له شقة: أبيت اللعن، إن الرجال ليسوا بجزر يراد منهم الأجسام، وإنما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، فذهب مثلا، وأعجب المنذر بما رأى من عقله وبيانه، ثم سماه باسم أبيه فقال: أنت ضمرة بن ضمرة(٣) .

قال ابن السكيت: هو تصغير مَعَدِّيٍّ (٤) .

وقال الميداني في " الأمثال" : يروى تسمع ، وأن تسمع ، ولأن تسمع.

قال: وعدي تسمع بالباء؛ لتضمنه معنى تحدث(٥) .

وفي " شرح اللب" للسيد: وقع الإسناد في هذا المثل إلى الفعل، فإما أن يحمل على حذف " أن " أي أن تسمع، فيكون الإسناد في الحقيقة إلى المصدر، دون الفعل، أو على تنزيل الفعل منزلة المصدر من غير تقدير، أي سماعك

---

(١) في كتاب الأمثال ٩٧ قضاعة ابن معد ، لأن نهداً من قضاعة .

(٢) هو المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب اللغوي ، استكثر من الرواية ونقل اللغة ، واستدرك على الخليل في كتاب العين ، وحكاه في كتاب كبير ألفه ، وسماه البارع ، ومن تآليفه كتاب الفاخر فيما تلحن فيه العامة . إنباه الرواة ٣/ ٣٠٥ وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٦ .

(٣) كتاب الأمثال ٩٧ والفاخر للمفضل ٦٥ ٦٦ .

(٤) إصلاح المنطق ٢٨٦ .

(٥) مجمع الأمثال ١/ ٢٢٧ .

بالمعيدي، وذلك لأن الفعل يدل على المصدر و الزمان ،فجرد في بعض المواضع لأحد مدلوليه. انتهى.

وقد ضمن بعض الأدباء هذا المثل في بيت، فقال:

لَعَمْرُأَبِيْـــكَ تَسْـــمَعُ بِـــالمُعَيْدِيِّ   بَعِيْـــدِ الـــدَّارِ خَـــيْرٌ أَنْ تَـــرَاهُ[1] .

قوله:(وإنما عدل هاهنا عن المصدر إلى الفعل؛لما فيه من إيهام التجدد)

مأخوذ من كلام الإمام فخر الدين حيث قال:فائدة العدول إفادة أن هذه الحالـة إنما حصلت في هذا الوقت ، وذلك يفيد حصول اليأس، وقطع الرجاء منهم الـذي هو مقصود الآية، والمصدر لا يفيد ذلك[2] .

قوله :(وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتـأكيده ، فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء) إلى آخره .

قـال ابـن يعيـش : قـد أجـرت العـرب أشـياء اختصوهـا علـى طريقـة النداء؛لاشتراكهما في الاختصاص ، فاستعير لفظ أحدهما للآخر، من حيث شـاركه في الاختصاص، كما أجروا التسوية مجرى الاستفهام إذ كانت التسوية موجودة في الاستفهام، فكما جاءت التسوية بلفـظ الاسـتفهام لاشـتراكهما فـي معنـى التسـوية كذلك جاء الاختصاص بلفظ النداء لاشتراكهما في معنى الاختصاص وإن لم يكـن منادى.

والذي يدل أنه غير منادى أنه لا يجوز دخول حرف النـداء عليـه،لا تقـول: أنـا أفعل كذا يا أيها الرجل ، إذا عنيت نفسك ، ولا نحن نفعل كذا يا أيتها العصابة[3] . انتهى.

قلت: ومن هاهنا تعلم أن قول المصنـف: (كمـا جـردت حـروف النـداء عـن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة) غير مطابق ؛لأن باب الاختصاص لم تجرد فيه حروف النداء ، بل لاوجود لحروف النداء فيه أصلا، وإنما الأسماء فيه شابهت المنادى، وهي التي جردت.

وقد تؤل العبارة على أنه أراد بالحروف الكلمـات الجاريـة فـي الاختصـاص،

---

(١) انظر في صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٤/ ١٥١ .

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٤١ .

(٣) شرح المفصل ٢/ ١٧ .

وهي الأسماء التي صورتها صورة المنادى، لا الحروف التي هي "يا" وأخواتها.

وعبارة " الكشاف":" جرى هذا على صورة الاستفهام ،ولا استفهام، كما أن ذلك جرى على صورة النداء ، ولا نداء" [(١)] وهي في غاية الحسن.

وأصل هذا قول سيبويه:جرى هذا على طريقة الاستفهام ،كما جرى على طريقة النداء قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ،ولا استفهام في الحقيقة ، ولا نداء[(٢)] .

وقال ابن الحاجب:اعلم أن في كلامهم جملا لمعان في الأصل، ثم نقلوها إلى معان أخر ،مع تجريدها عن أصل معناها، وهذا في أبواب:

منها :قولهم: سواء عليَّ أقمت أم قعدت،سؤال عن تعيين مع التسوية بينهما، ثم نقل إلى الخبر بمعنى التسوية ،من غير سؤال .

ومنها قولهم: أيها الرجل أصله تخصيص المنادى بطلب إقباله عليه، ثم نقل إلى معنى الاختصاص مجردا عن معنى طلب الإقبال في قولك : أما أنا فأفعل كذا أيها الرجل[(٣)] .

قال صاحب" الانتصاف": وحاصل ذلك استعمال الخرف في أعم معناه، والهمزة المعادلة ل"أم" موضوعة في الأصل للاستفهام عن أحد متعادلين في عدم التعيين فنقلت إلى مطلق المعادلة وإن لم تكن استفهاما، والنداء في الأصل لتخصيص المنادى بالدعاء ، فنقل إلى مطلق التخصيص ،ولا نداء، كتخصيص الدابة بذوات الأربع وإن كانت في الأصل لكل ما دب ودرج[(٤)] .

وقال بعض أرباب الحواشي:تلخيصه أن النداء فيه تنبيه للمنادى[(٥)] وإقبال عليه،و الاستفهام فيه استخبار وإشعار باستواء الأمرين في المستفهم عنه ،أهو حاصل أم لا، فقد انسلخ في قولنا: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة أحد المعنيين، وهو التنبيه؛لأن الإنسان لا ينبه نفسه، وبقي معنى الإقبال على نفسه ،كما انسلخ معنى الاستخبار في قوله﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ وبقي معنى الاستواء،

---

(١) الكشاف ١/ ١٥٣ .

(٢) الكتاب ٢/ ٢٣٢ .

(٣) الإيضاح في شرح المفصل ١/ ٢٩١ .

(٤) الانتصاف ١/ ١٥٢ .

(٥) في ظ : المنادى .

فهذا معنى تشبيه سيبويه لإحدى المسألتين بالأخرى.

وقال صاحب" التقريب": في هذا نظر؛لأنهما لو كانا للاستواء لما أخبر عنه بسواء، فلعل المراد أنهما كانا للاستفهام عن مستويين، فجردا عن الاستفهام، بقي أنهما للمستويين، ولا تكرار لإدخال سواء عليه؛لأن المعنى أن المستويين في العلم مستويان في عدم النفع، وإنما جردا عن الاستفهام ليقع فاعلا لسواء؛لأن الاستفهام يمنع ذلك لصدريته، ولكونه لأحد الأمرين، والاستواء يقتضي متعددا، فبالتجريد ارتفع المانعان[١] .

قوله:(و الإنذار التخويف)

زاد ابن عطية: ولا يكاد يكون إلا في تخويف يسع زمانه للاحتراز، فإن لم يسع[٢] زمانه للاحتراز كان إشعارا،ولم يكن إنذارا[٣] .

قوله : (وقرئ« أأنذرتهم» بتحقيق الهمزتين ، وتخفيف الثانية بين بين)

زاد في " الكشاف":" و التحقيق أعرب وأكثر"[٤] .

قوله :(وقلبها ألفا، وهو لحن) إلى آخره

تابع فيه صاحب" الكشاف" [٥] وأخطأ في ذلك؛لأنه ثابت في السبعة ؛ لأنها رواية لورش[٦] .

قال الكواشي[٧] :ما زعمه الزمخشري فيه نظر؛لأن من يقلبها ألفا يشبع الألف

---

(١) التقريب في التفسير ل١١ .

(٢) في ت ، د ، ظ : يتسع .

(٣) المحرر الوجيز ١/ ١٥٤ وعبارته : الانذار إعلام بتخويف . هذا حده .

(٤) الكشاف ١/ ١٥٤ .

(٥) الكشاف ١/ ١٥٤ .

(٦) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله أبو سعيد ، جود القرآن عدة ختمات على نافع ، قيل : إن نافعاً لقبه بورش لشدة بياضه ، والورش لبن مصنوع ، ويقال : بل لقبه بالورشان ، وهو طائر معروف ، توفي سنة سبع وتسعين ومائة . معرفة القراء الكبار ١/ ٣٢٣ وغاية النهاية ١/ ٥٠٢ وانظر في كتاب السبعة في القرءات لابن مجاهد ١٣٤ ١٣٥ .

(٧) هو أحمد بن يوسف بن حسن أبو العباس الموصلي الكواشي الشافعي المفسر ، برع في العربية والقراءات والتفسير ، وله التفسير الكبير ، والصغير ، اعتمد عليه جلال الدين المحلي في تفسيره ، واعتمدت عليه أنا في تكملته ، مع الوجيز ، وتفسير البيضاوي ، وابن كثير ، توفي سنة ثمانين وستمائة . بغية الوعاة ١/ ٤٠١ وطبقات المفسرين ١/ ٩٨ .

إشباعا زائدا على مقدار الألف الخارجة عادة؛ليكون الإشباع فاصلا بين الساكنين ، وهما الألف المقلوبة والنون[1] .

قال الطيبي: وذكر ابن الحاجب في وجه من قرأ ﴿ محياي﴾ بإسكان الياء وصلا هذا المعنى[2] ، وقيل : طريق التخفيف ليس بخطإ،وأنشد للفرزدق[3] :

... ... فَارْعَيْ فَزَارَةُ ، لا هَنَاكِ المَرْتَعُ[4]

أي هَنَأَكِ

وقال حسان:

سَأَلَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللهِ فَاحِشَةً[5] ... ...

قال الطيبي : وإذا ثبت مثله في كلام الفصحاء ، ونقل عمن ثبتت عصمته من الغلط وجب القبول.

وأما القراء فهم أعدل من النحاة فوجب المصير إلى قولهم.

قال :فإن قلت: هذا طعن فيما هو من القراءة السبعة الثابتة بالتواتر، وهو كفر.

قلت : ليس بكفر ؛ لأن المتواتر ما نقل بين دفتي المصحف الإمام ، وهذا من قبيل الأداء ، ونحوه المد ،والإمالة ،وتخفيف الهمزة بين بين [6] . انتهى.

وذكر مثله الشيخ أكمل الدين، والشريف[7] .

وقال أبو حيان: هي قراءة ورش،وهي صحيحة متواترة لا تدفع ببعض المذاهب؛لأن منع الجمع بين ساكنين على غير حده إنما هو مذهب البصريين[8] ن.

قوله(وبحذف الاستفهامية ،وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها).

---

(١) تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر ١/ ١٨٤ .

(٢) انظر في شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لابن الحاجب ٢/ ٦١٤ .

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس ، كان يشبه من شعراء الجاهلية بزهير ، مات قبل جرير وكان بينه وبين جرير من المهاجاة والمعاداة ما هو مشهور ، توفي سنة عشر ومائة . الشعر والشعراء ١/ ٤٧١ وكتاب الأغاني ٩/ ٣١٨ ووفيات الأعيان ٦/ ٨٦ .

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٢/ ٥٣ .

(٥) في هامش ح : تمامه : ضلت هذيل بما قالت ولم تصب . وانظر في فتوح الغيب ١/ ٢٤٨ وديوان حسان بن ثابت ٣٧٣ .

(٦) فتوح الغيب ١/ ٢٤٨ .

(٧) حاشية أكمل الدين ل٣٠ وحاشية الشريف ١/ ١٥٥ .

(٨) البحر المحيط ٢/ ٩٥ .

قال الطيبي : القراءتان شاذتان[1] .

وقال ابن الجني في" المحتسب": حذف الهمزة قراءة ابن محيصن[2] ، وهو للتخفيف كراهة اجتماع الهمزتين، و القرينة مجيء "أم" وقد حذفت في غير موضع.

قال : فإن قيل: لعل المحذوف في الآية همزة أفعل.

قلنا : قد ثبت جواز حذف همزة الاستفهام، فيجب أن يحمل هذا عليه، وأما همزة أفعل في الماضي فما أبعد حذفها[3] .

وقال الشيخ سعد الدين في القراءة الثانية : يحتمل أن يكون ذلك مع إقرار همزة أنذرتهم ، ومع حذفها حتى تكون القراءة عليهم أنذرتهم ،أو عليهم نذرتهم.

قال : ولاوجود لواحدة من القراءتين[4] .

وقال الشيخ أكمل الدين : إلقاء حركة حرف الاستفهام لم يقرأ به أحد[5] .

وقال الشريف: هذه القراءة عليهمَ نذرتهم بفتح الميم وسكون النون بلا همزة أصلا.

وأما القراءة بفتح الميم والهمزة معا فهي مع كونها غير مروية عن أحد مخالفة للقياس، وموجبة للثقل[6] .

قوله:(﴿ لا يؤمنون﴾ جملة مفسرة لإجمال ما قبلها)

قال أبو حيان : لأن عدم الإيمان هو استواء الإنذار وعدمه[7] .

قوله:(فلا محل لها)

سئل الشيخ شمس الدين بن أبي الفتح البعلي [8] ، تلميذ الشيخ جمال الدين

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٤٧ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن أبو عبد الله السهمي مولاهم المكي ، قارئ أهل مكة مع ابن كثير ، قرأ على سعيد بن جبير ومجاهد ، وهو في الحديث ثقة ، قد احتج به مسلم وغيره ، وله في الكتب حديث واحد ، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة . معرفة القراء ١/ ٢٢١ وغاية النهاية ١/ ٢٨٨ .

(٣) المحتسب ١/ ٥٠ .

(٤) حاشية سعد الدين ل٢٧ .

(٥) حاشية أكمل الدين ل٣٠ .

(٦) حاشية الشريف ١/ ١٥٤ .

(٧) البحر المحيط ٢/ ٨٩ .

(٨) هو محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل أبو عبد الله شمس الدين الحنبلي البعلبكي ، المحدث

=

بن مالك عن معنى قولهم: جملة لها محل لها من الإعراب، وجملة لا محـل لهـا، فألف في ذلك كراسة.

وحاصل ما قاله ابن السراج في" الأصول" : أن معنى ذلك، أي لو وقـع موقـع الجملة اسم مفرد لكان مرفوعا مثلا .

قوله :(أوحال مؤكدة ، أو بدل عنه[1]، أو خبر إنّ)

عبارة "الكشاف":"إما جملة مؤكدة للجملة قبلها، أو خـبر ل"إن" [2] ولـم يذكـر الحالية،فإما أن تكون عبارة المصنف كذلك ، وتحرفت من النسـاخ ، فكتبـوا لفظـة "حال"موضع لفظة "جملة"وإما أن يكون لا تحريف ،فإن الحال منقول أيضا .

قال أبو حيان: يحتمل« لا يؤمنون» أن يكون له موضع مـن الإعـراب،إمـا خـبرا بعد خبر، أو خبر مبتدإ محذوف، أي هم «لا يؤمنون»

وجوزوا فيه أن يكون في موضـع الحـال ، وهـو بعيـد، ويحتمـل أن يكـون لا موضع له من الإعراب ، فتكون جملة تفسيرية ، أو تكون جملة دعائية، وهو بعيد[3] . انتهى.

وقال الشيخ أكمـل الديـن فـي وجهـي " الكشـاف": منهـم مـن رجـح الوجـه الأول؛لأن حسن الاعتراض باعتبار أن من حقه أن يساق مساق التـأكيد؛ لمـا عسـى أن يختلج في وهم وإن تم المقصود دونـه لفظـا ومعنـى، وليـس ذلـك فيمـا نحـن فيه؛لأنه أقوى في الإبانة عما سيق لـه الكـلام مـن قولـه « لا يؤمنـون» علـى مـا لا يخفى.

ومنهم من رجح الثاني؛لأن فيه التـأكيد و الاهتمـام بشـأنها؛لتخللهـا فـي أثنـاء الكلام، وفيه معنى العلية.

قيل: ولم يذكر أن يكون خبرا بعد خبر؛لأنه يذهب بالفخامة[4] . انتهى.

اللغوي النحوي ، عني بالرواية ، وبرع في العربية ، وأخذ عن ابن مالك ولازمه ، وشرح الألفيـة لابن مالك ، توفي سنة تسع وسبعمائة . الـدرر الكامنـة ٤/ ١٤٠ والمنهـج الأحمـد فـي تراجـم أصحاب الإمام أحمد ٤/ ٣٧٩ ولم أقف على كراسته المشار إليها .

(١) كذا في النسخ، وفي طبعات أنور التنـزيل: منه

(٢) الكشاف ١/ ١٥٥ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٨٨ .

(٤) حاشية أكمل الدين ل٣٠ .

وقال الشريف: جعل«لا يؤمنون» تأكيدا وبيانا للاستواء في عدم الاهتـداء أولـى من أن يجعل خبرا، وما قبله اعتراضا؛لأن ما تقدمه أقوى وأظهـر منـه فـي إفـادة مـا سيق له الكلام، فبالحري أن تكون عمدة فيه، لا معترضة مستغنى عنها.

فإن جعل « لا يؤمنون» خبرا كان له محل من الإعـراب، وكـذا إن جعـل بيانـا للجملة قبله إن أجري مجرى التوابع.

هذا إذا كان ما قبله جملة ،وإن قدر أنه اسم فاعل مع فاعله تعين أن يكـون «لا يؤمنون» تقريرا وبيانا لمضمونه؛لأن الاعتراض عنده لا يكون إلا جملة لا محل لهـا من الإعراب[1] . انتهى.

ومن هنا يعلم أن التأكيد الذي ذكره صاحب"الكشـاف" غـير الحـال المؤكـدة، وغير التفسير اللذين ذكرهما المصنف، بل هو الجاري مجرى التوابع في التـأكيد و البيان، فيكون له محل من الإعراب على حسب ما قبلـه، وهـو الرفـع، بخـلاف مـا ذكره المصنف فإنه لا محل له على التفسير، ومحله النصب على الحال.

قوله:(والجملة قبلها اعتراض)

قال الطيـبي :الفرق بين المعترضة والمؤكدة- على أن المعترضة أيضا مؤكدة- هو أن المعترضة أحسن موقعا وألطف مسلكا، وفيه مـع التـأكيد الاهتمـام بشـأنها ؛ لتخللها بين الكلام[2] .

قوله :(سيما الأمثال)

قال ابن يعيش في " شرح المفصل": لا يستثنى ب"سيما" إلا ومعـه جحـد، لـو قلت: جاءني القوم سيما زيد لم يجز حتى تأتي ب"لا".

قال : ولا يستثنى ب"لاسيما" إلا فيما يراد تعظيمه[3] .

وقال ابن هشام في" المغني" : "سِيٌّ " من "لاسِيِّمَا" اسـم بمنـزلة "مثـل" وزنـا ومعنى، وعينه في الأصل واو، وتشديد يائه ،ودخول " لا" عليه ،ودخول الواو علـى "لا" واجب.

قال ثعلب: من استعمله على خلاف ما جاء في قوله:

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٥٥ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٥٠ .

(٣) شرح المفصل ٢/ ٨٦ .

... ... وَلاسِـيَّمَا يَـوْمٍ بِـدَارَةِ جُلْجُـلِ[١]

فهو مخطئ .

ويجوز في الاسم الذي بعد "ما" الجر على الإضافة ،و"ما" زائدة بينهما،والرفع على أنه خبر لمحذوف،و "ما" موصولة، أو نكرة موصوفة بالجملة، أي "ولا مثل الذي هو" أو "ولا مثل شيء هو" فإن كان نكرة جاز نصبه أيضا على التمييز ، و" ما" كافة عن الإضافة[٢] .

قوله:(﴿ختم الله على قلوبهم﴾ تعليل للحكم السابق ،وبيان ما يقتضيه)

قال الطيبي: تقريره أن الآية جارية مجرى السبب الموجب لكون الهدى لا ينفع فيهم، فإنه تعالى لما أظهر عليهم تصميمهم على الكفر بقوله﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ اتجه لسائل أن يقول: فما بالهم كذلك ؟ فأوقع قوله تعالى﴿ختم الله على قلوبهم﴾ إلى ساقته جوابا منطويا على بيان الموجب.

وقد بولغ في المعنى حيث جعل الختم على القلوب ليمنع من الفكر في الدلائل المعقولة الصرفة، و على السمع لأن لا ينفذ في القلوب بسببه الدلائل المصنوعة،وجعل على البصر الغشاوة لأن لا يصل إليها الدلائل المبصرة ،فيستدلوا بها على وجود منشئها، فسد الطريق عليهم من كل وجه[٣] .

قوله:(و الختم الكتم)

عبارة " الكشاف": الختم والكتم أخوان"[٤]

قال القطب: أي في الاشتقاق الأكبر؛لقرب اللفظ واشتباك المعنى؛لأن في الختم -وهو ضرب الخاتم على الشيء- معنى الكتم،فإن المختوم مكتوم[٥] .

قال الشيخ أكمل الدين- بعد إيراده-:وهو كلام صحيح، لكنه بعيد المناسبة، فإن الكتم فيما نحن فيه لا يصلح تفسيرا للختم[٦] .

الشريف : "أخوان" أي متشاركان في العين و اللام ، ومتناسبان في المعنى[٧] .

---

(١) من معلقة امرئ القيس ، انظر في ديوان امرئ القيس وملحقاته ١/ ١٧٨ .

(٢) مغني اللبيب ١/ ١٨٦ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٢٥٦ .

(٤) الكشاف ١/ ١٥٥ .

(٥) حاشية قطب الدين ل١٦ .

(٦) حاشية أكمل الدين ل٣٠ .

(٧) حاشية الشريف ١/ ١٥٥ .

قوله : (سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه ؛ لأنــه كتـم لـه ، و البلوغُ آخره ، نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه)

مأخوذ من كلام الراغب حيث قال: الختم و الطبع الأثـر الحـاصل عـن نقـش شيء ، ويتجوز به يقال: ختمت كذا في الاستيثاق من الشيء والمنع منه، نظـرا إلـى ما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب، ويقال ذلــك ويعنـى بلـوغ آخـر الشيء نظرا إلى أنه آخر فعل في إحراز الشيء، ومنه قيل : ختمت القرآن.انتهى[1] .

وعلم بذلك أن قول المصنف :(و البلــوغ آخـره) معطـوف علـى الاسـتيثاق ، عطف قسيم على قسيم.

قوله:(والغشاوة فِعالةٍ، مـن غَشَّـاه إذا غَطَّـاه، بنيـت لمـا يشـتمل علـى الشـيء كالعصابة والعمامة).

قال الزجاج :كل ما اشتمل على الشيء مبني على"فِعالةٍ" نحو العمامة والقلادة، وكذلك أسماء الصناعات ، فإن الصناعة مشتملة على كل مـا فيهـا ، نحـو الخياطـة والقصارة،وكذلك ما استولى على اسم ، فاسم ما استولى عليه الفِعالةِ نحو الخلافة و الإمارة [2] .

قوله: (ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة)

هي عبارة" الكشاف"[3] وهو أحد مسالك أهل السنة، يجعلـون إحـداث الهيئـة الآتية فعل الله حقيقة، وتسميتها ختما وتغشية مجاز[4] .

---

(١) تفسير الراغب ل١٦ نسخة مصورة بمركز الملك فيصل للبحـوث والدراسـات الإسـلامية برقـم ١٤٥٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٨٣ .

(٣) الكشاف ١/ ١٥٥ .

(٤) الأصل الذي لا يعدل عنه إلا ببرهان قاطع أن الله ختم على قلوب الكفار فلا تعي الحق ، وعلى أسماعهم فلا تسمعه سماع قبول ، وجعـل علـى أبصـارهم غشـاوة فـلا تهتـدي برؤيـة عجـائب مخلوقات الله التي مـلأت الكـون ، وأن هـذا الختـم علـى القلـوب والأسـماع والتغشـية علـى الأبصار عقوبات من الله على ذنب سابق ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وهي حقـائق بحسـب القلوب والأسماء والأبصار ، فلا تأويل ولا مجاز . قال ابن القيم : ولا تصغ إلى قول من يقـول : إن هذه مجازات واستعارات ، فإنه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله ، وكأن هذا القائل حقيقة القفل عنده أن يكون من حديد ، والختم أن يكون بشـمع أو طيـن ، والمـرض أن يكون حمى بنافض ، أو قولنج ، أو عيرهما من أمراض البدن ، والمـوت هـو مفارقـة الـروح =

والأقوى أنهما ختم وتغشية حقيقيتان،والأحاديث صريحة في ذلك:

منها : ما أخرج البزار [(١)] عن ابن عمر رفعه قال:((الطابع معلق بقائمة العرش، فإذا اشتكت الرحم، وعمل بالمعاصي،واجترئ على الله بعث الله الطابع فيطبع على قلبه، فلا يعقل بعد ذلك شيئا)) [(٢)]

وكثير من هذه الأحاديث ونحوها يحملها من لم يتضلع من الحديث على المجاز والاستعارة .

والأقوى- كما قاله البغوي في " شرح السنة"[(٣)] وغيره- إجراؤها على الحقيقة؛إذ لا مانع من ذلك، و التأويل خلاف الأصل، ولا يصار إليه إلا لمانع،وهو مفقود هنا.

قوله:(وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم) إلى آخره

مأخوذ من كلام الراغب حيث قال: قد قيل: للإنسان ثلاثة أنواع من الذنوب، يقابلها من الدنيا ثلاث عقوبات:

الأَوَّلُ: الغفلة عن العبادات، وذلك يورث جسارة على ارتكاب الذنوب، وهو

للبدن ليس إلا ، والعمى ذهاب ضوء العين الذي تبصر به . وهذه الفرقة من أغلظ الناس حجاباً ، فإن هذه الأمور إذا أضيفت إلى محالها كانت بحسب تلك المحال ، فنسبة قفل القلب إلى القلب كنسبة قفل الباب إليه ، وكذلك الختم ، والطابع الذي عليه هو بالنسبة إليه ، كالختم والطابع الذي على الباب والصندوق ونحوهما ، وكذلك نسبة الصمم والعمى إليه كنسبة الصمم والعمى إلى الأذن والعين ، وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته ، بل هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن ، فلو قيل : إنها حقيقة في ذلك ، مجاز في الأجسام المحسوسة لكان مثل قول هؤلاء وأقوى منه ، وكلاهما باطل ، فالعمى في الحقيقة والبكم والموت والقفل للقلب . شفاء العليل ١/ ٢٩٢ . وانظر في جامع البيان ١/ ٢٥٨ ٢٦١ والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٨٧ .

(١) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبوبكر البزار البصري ، صاحب المسند الكبير الذي تكلم على أسانيده ، حدث بأصبهان ، وبغداد ، ومصر ، ومكة ، والرملة ، توفي سنة أثنتين وتسعين ومائتين . سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٥٤ والوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٨ .

(٢) روى البزار (كشف الأستار ٤/ ١٠٣) وابن حبان في كتاب المجروحين ١/ ٣٣٢ وابن عدي في الكامل ٣/ ١١٣٤ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٤٣ من حديث ابن عمر . وفي سنده سليمان بن مسلم الخشاب . قال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار للخواص . وقال ابن عدي في الحديث : منكر جداً . وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٣ موضوع في نقدي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٥٣٠ سليمان بن مسلم الخشاب ضعيف جداً .

(٣) شرح السنة ١/ ١٧٠ .

المشار إليه بقوله : ((إن المؤمن إذا أذنب أورث في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه)) [(١)]

والثاني: الجسارة على ارتكاب المحارم [(٢)] ، إما لشهوة تدعوه إليها، أو شرارة تحسنه في عينه فتورثه وقاحة،وهي المعبر عنها بالرين في قوله تعالى﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [سورة المطففين ١٤] .

والثالث : الضلال ،وهو أن يسبق إلى اعتقاد مذهب باطل ، وأعظمه الكفر ، فلا يكون تلفت منه بوجه إلى الحق، وذلك يورثه هيئة تمرنه على استحسانه المعاصي ، واستقباحه الطاعات ، وهو المعبر عنه بالطبع والختم في قوله﴿ وختم على سمعه وقلبه﴾ [سورة الجاثية ٢٣] و ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ [سورة النحل ١٠٨] وبالأغفال في قوله﴿ أم على قلوب أغفالها﴾ [سورة محمد ٢٤] إلى غير ذلك[(٣)]

قوله : (وسماه على الاستعارة ختما وتغشية ، أو مَثَّلَ قُلُوبَهُم) إلى آخره.

قال الطيبي : لا يخلو هذا الكلام عن تسامح[(٤)] ؛ لأن ظاهره جعل التمثيل قسيما للاستعارة ، و نوعا من المجاز لقوله أول الكلام :" ولا ختم على الحقيقة"

فإن عنى بالتمثيل ما هو واقع على سبيل التشبيه ،بأن يكون وجهه منتزعا من عدة أمور غير حقيقية ،فهو ليس بمجاز ،وإن أراد به الاستعارة التمثيلية،فهو ليس قسيما للاستعارة، بل هو قسم منها.

قال : والجواب أن المراد الثاني ، والعذر أن الاستعارة التمثيلية غلب عليها اسم التمثيل ، ولا يكاد يطلق عليها اسم الاستعارة ، وبقية الاستعارات يطلق عليها اسم الاستعارة مطلقا .

وذلك أنهم إذا أرادوا أن بعض أنواع الجنس له مزية على سائر أنواعه

---

(١) رواه أحمد ١٣/ ٣٣٣ والترمذي ٥/ ٣٥٩ ح٣٣٣٤ والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ١٦٠ وابن ماجه ٤/ ٢٢٧ ح٤٣٢١ والحاكم ٢/ ٥١٧ من حديث أبي هريرة . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٢) في ح : المحرم ... إليه .

(٣) تفسير الراغب ل١٦ ١٧.

(٤) في د ، ظ ، ق : تسمح

يخرجونهم من ذلك الجنس، ويجعلونه جنسا آخر.

وإذا جعل هنا استعارة فهي مكنية عن قلوب متخلية ، على صورة شيء مستوثق منه، ثم نسب إليها لازم ذلك الشيء ،وهو الختم، بعد التخييل(١) .

قوله:(ناعية عليهم)

أي مظهرة ،من قولهم: فلان نعى على فلان ذنوبه ،أي أظهرها وشهرها.

قوله:(فذكروا وجوها من التأويل)

ذكر المصنف منها سبعة،وزاد الإمام فخر الدين أوجها:

منها: أنهم أعرضوا عن التدبر ، ولم يصغوا إلى الذكر، وكان ذلك عند إيراد الله عليهم الدلائل، فأضيف ما فعلوا إلى الله؛لأن حدوثه إنما اتفق عند إيراده دلائله عليهم،كقوله في التوبة ﴿ زادتهم رجسا إلى رجسهم ﴾[سورة التوبة ١٢٥] أي ازدادوا بها كفرا إلى كفرهم.

ومنها: أن الختم على قلوب الكفار من الله تعالى،والشهادة منه عليهم بأنهم لا يؤمنون،وعلى قلوبهم بأنها لا تعي الذكر،ولا تقبل الحق،وعلى أسماعهم بأنها لا تصغي إلى الحق، كما يقول الرجل لصاحبه:أريد تختم على ما يقوله فلان ،أي تصدقه وتشهد بأنه حق، فأخبر الله تعالى في الآية الأولى بأنهم لا يؤمنون ، وأخبر في هذه الآية أنه قد شهد بذلك ، وحققه عليهم(٢) .

قوله:(الثاني أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم) إلى آخره

قال الطيبي: هو الذي عناه السكاكي بقوله: التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة سمي مثلا(٣) .

والفرق بين هذا التمثيل والذي سبق في تقرير أهل السنة أن هناك الاستعارة واقعة في الختم فقط ،على سبيل التبعية،وهنا الاستعارة في الجملة برأسها(٤) .

قوله:(سال به الوادي)

قال الميداني في" الأمثال" : يقال لمن وقع في أمر شديد(٥) .

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٥١ ٢٥٢ .

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٥٠ .

(٣) مفتاح العلوم ٤٥٨ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٥٧ .

(٥) مجمع الأمثال ٢/ ١٢٨ .

قوله:(وطارت به العنقاء)

قال أبو عبيد في " الأمثال": من أمثالهم طارت به العنقاء [١]

قال الخليل: سميت عنقاء؛لأنه كان في عنقها بياض كالطوق [٢] .

وقال أبو البقاء الكعبري في " شرح المقامات": كان بأرض أهل الرس جبل صاعد في السماء ،قدر ميل، به طيور كثيرة، منها العنقاء، وهي عظيمة الخلق، لها وجه كوجه الإنسان ،وفيها من كل حيوان شبه من أحسن الطير، وكانت تأتي هذا الجبل في السنة مرة فتلتقط طيره ، فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به ، ثم ذهبت بجارية، فشكوا ذلك إلى نبيهم حنظلة بن صفوان في زمن الفترة ،فدعا عليها فهلكت، وقطع نسلها [٣] .

وفي"ربيع الأبرار": عن ابن عباس خلق الله في زمن موسى عليه السلام طائرا اسمها العنقاء ، لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجهها كوجه الإنسان، وأعطاها من كل شيء، وخلق لها ذكرا مثلها، وأوحى إليه أني خلقت طائرين عجيبين، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس، فتناسلا وكثر نسلهما، فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز ، فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان ، إلى أن نبغ خالد بن سنان العبسي [٤] قبل النبي صلى الله عليه

---

(١) كتاب الأمثال ٣٤٠ .

(٢) كتاب العين ١/ ١٦٩ .

(٣) شرح ما غمض من الألفاظ اللغوية في المقامات الحريرية ، آخر لوحة منه ، وهو غير مرقم ، نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٤٤٣ لغة .

(٤) روي البزار (كشف الأستار ٣/ ١٠٩) و الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٤٤١ و أبو نعيم في كتاب ذكر أخبار أصبهان ٢/ ١٧٨ و ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٦٩ من طريق يحيى بن معلى بن منصور ، عن محمد بن الصلت ، عن قيس بن الربيع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه ، و قال : بنت نبي ضيّعه قومه .

قال البزار : رواه الثوري عن سالم ، عن سعيد بن جبير مرسلا ، و أسنده قيس ، و لم نسمع أحدا يحدث به عن محمد بن الصلت إلا يحيى ، و إنما يحفظ هذا الحديث من حديث الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أن ابنة خالد بن سنان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابنة نبي ضيّعه قومه.

قلت : روى الحديث من طريق الكلبي أبو طاهر المخلص في " الفوائد المنتقاة " انظر في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم حديث ٢٨١ .

=

و قال ابن عدي : و هذا الحديث لم يوصله فقال فيه : عن ابن عباس غير قيس بن الربيع ، و عن قيس محمد بن الصلت .
وروى الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/ ٣٧٠ من طريق عبد الرزاق ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال ..... قال الحافظ : و رجاله ثقات إلا أنه مرسل .
قال الهيثمي في كشف الأستار ٣/ ١١٠ ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الأنبياء إخوة لعلات ، و أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، ليس بيني و بينه نبيّ (صحيح البخاري ٣/ ١٢٧٠ ح ٣٢٥٨) فدلنا هذا على نكارة هذا الحديث .
وروى أبو يعلى (البداية و النهاية ٣/ ٢٤٩) و الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٩٧ و الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٩٨ من طريق المعلى بن مهدي الموصلي ، عن أبي عوانة ، عن أبي يونس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قصة إطفاء خالد بن سنان نار الحدثان .
وفي آخر القصة قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابن أخي . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، و لم يخرجاه ، فإن أبا يونس هو الذي روى عن عكرمة ، هو حاتم بن أبي صغيرة ، و قد احتجّا جميعا به ، و احتجّ البخاري بجميع ما يصح عن عكرمة . وقال الهيثمي : و فيه المعلى بن مهدي ، ضعفه أبو حاتم قال : يأتي أحيانا بالمناكير ، قلت : و هذا منها . مجمع الزوائد ٨/ ٣٩١ .
وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/ ٣٧٠ : لكن المعلى بن مهدي ضعفه أبو حاتم الرازي .
وقال الحافظ ابن كثير في البداية و النهاية ٣/ ٢٥١ هذا السياق (يقصد قصة إطفاء خالد بن سنان نار الحدثان) موقوف على ابن عباس ، و ليس فيه أنه كان نبيا ، و المرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها ههنا، و الأشبه أنه كان رجلا صالحا ، له أحوال و كرامات ، فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري أنه قال : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، إنه ليس بيني و بينه نبي) و إن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا ؛ لأن الله تعالى قال ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ [السجدة ٣] .
وقد قال غير واحد من العلماء : إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبيا في العرب إلا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، الذي دعا به إبراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة ، التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعا ، وبشّرت به الأنبياء لقومهم ، حتى كان آخر من بشّر به عيسى ابن مريم ، عليه السلام .
وبهذا المسلك بعينه يردّ ما ذكره السهيلي و غيره من إرسال نبي من العرب يقال له : شعيب بن ذي مهذم ابن شعيب بن صفوان صاحب مدين ، و بعث إلى العرب أيضا حنظلة بن صفوان ، فكذبوهما ، فسلط الله على العرب بخت نصّر ، فنال منهم من القتل و السبي نحو ما نال من بني إسرائيل ، و ذلك في زمن معدّ بن عدنان .
و الظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون إلى الخير .

وسلم، فشكوا إليه ، فدعا عليها ، فانقطع نسلها وانقرضت [١].

وقال الغزويني [٢] في " عجائب المخلوقات" : العنقاء أعظم الطير جثة وأكبره، كان يخطف الفيل في قديم الزمان بين الناس ، [٣] فتأذوا منه إلى أن سلب يوما عروسا بحليها ، فدعا عليه حنظلة النبي عليه الصلاة والسلام، فذهب الله به إلى بعض جزائر البحر المحيط ،تحت خط الاستواء ، وهي جزيرة لا يصل إليها الناس [٤].

وما أحسن قول الصفي الحلي[٥] :

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِيْ الزَّمَانِ وَمَا بِهِمْ خِلٌّ وَفِيٌّ لِلْشَّدَائِدِ اصطُفِيْ

أَيْقَنْتُ أَنَّ المُسْتَحِيْلَ ثَلاثَةٌ الغُوْلُ وَالعَنْقَاءُ والخِلُّ الوَفِيْ [٦]

قوله:(و القسر) بسين مهملة ساكنة ، الإكراه والقهر

قوله: (كقوله تعالى﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ الآية) [سورة البينة ١]

قال الطيبي: فإنهم كانوا يقولون قبل البعثة: لا ننفك مما نحن عليه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود به الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ [سورة البقرة ٩٠] فحكى الله ذلك عنهم، كما كانوا يقولون ،على سبيل الوعيد والتهديد، ولو كان هذا ابتداء إخبار منه تعالى لكان الانفكاك متحققا موجودا عند مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم [٧] . انتهى.

---

(١) ربيع الأبرار و نصوص الأخبار ٤/ ٤٥٧ .

(٢) هو زكريا بن محمد بن محمود أبو يحيى الأنصاري الأنسي القزويني ، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري ، كان قاضي واسط أيام الخليفة المستنصر بالله ، و له تصانيف منها : كتاب عجائب المخلوقات، توفي سنة اثنتين و ثمانين و ستمائة . كتاب الوافي بالوفيات ١٤/ ٢٠٦ و الأعلام ٣/ ٤٦ .

(٣) في عجائب المخلوقات : كان في قديم الزمان يختطف من بيوت الناس ،

(٤) عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات ٣٠٩ .

(٥) هو عبد العزيز بن سرايا بن علي صفي الدين الطائي الحلي ، الناظم الناثر ، أجاد القصائد المطولة و المقاطيع ، توفي سنة اثنتين و خمسين و سبعمائة . فوات الوفيات ٢/ ٣٣٥ و أعيان العصر و أعوان النصر ٣/ ٦٨ .

(٦) ديوان صفي الدين الحلي ٥٦٨ .

(٧) فتوح الغيب ١/ ٢٦٤ .

قوله : (ووحد السمع للأمن من اللبس، واعتبار الأصل،فإنه مصدر في أصله)

قال الطيبي : في" المغرب": السمع الأذن، وأصله المصدر، قيل: وقد يطلق مجازا على القوة الحالّة في الغشاء المفترش عند الصماخ، بها تدرك الأصوات، فعلى هذا الوجه المراد بالسمع الآلة ، ولم يلمح فيه الأصل[1] .

وفي بعض الحواشي : هذه العلة أوردها أكثر المفسرين على صورة يلحقها خلل، فأصلحها المصنف ، وذلك أنهم قالوا : السمع مصدر ، فلا يثنى ولا يجمع ، و القلوب والأبصار أسماء أعضاء فجمعت .

واستشعر الزمخشري كأن سائلا يقول : ليس المراد بالسمع هنا المصدر، فإنه لا يختم على المصدر ، وإنما [2]يختم على العضو ، فأصلح الجواب بأن قال : السمع في أصله مصدر[3] ، ثم نقل إلى هذه الجارحة المخصوصة ، فروعي أصله مع نقله إلى العضو المخصوص ، وملاحظة الأصل ليست ببعيد عند النحاة ، فإنهم قالوا في قوله تعالى﴿ نزاعة للشوى﴾[سورة المعارج ١٧] بالنصب : إنه حال ، والعامل فيها ﴿ لظى﴾ وهي اسم لجهنم ، ولكن لما كان أصلها مأخوذا من التلظي روعي الأصل، فعملت في الحال.

قوله : (أوعلى تقدير مضاف، مثل: وعلى حواس سمعهم)

قال الطيبي: فعلى هذا الوجه السمع مصدر، وليس بمعنى الأذن[4] .

قوله: (ويؤيده العطف على الجملة الفعلية)

قال الطيبي: أي واستقر على أبصارهم غشاوة[5] .

قوله :(وقرئ بالنصب)

قال الطيبي: القراءات كلها شواذ، و المشهور غشاوة بكسر الغين المعجمة مع الألف بعد الشين ، والرفع [6] .

قوله : (على تقدير : وجعل على أبصارهم غشاوة)

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب ١/ ٤١٥ وفتوح الغيب ١/ ٢٦٤ .

(٢) في ح : وأنه

(٣) الكشاف ١/ ١٦٤ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٦٥ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٢٦٥ .

(٦) فتوح الغيب ١/ ٢٦٥ .

قال أبو حيان: يؤيده ظهوره في قوله﴿ وجعل على بصره غشاوة﴾[1]

قوله:(أو على حذف الجار) إلى آخره .

قال أبو حيان : هذا ضعيف .

قال : ويحتمل عندي أن يكون اسما وضع موضع مصدر ، من معنى ختم: غَشَّى، كأنه قيل: تغشية ،على سبيل التأكيد،ويكون قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مختوما عليها مُغَشَّاةً[2] .

قوله: (وعشاوة بالعين غير المعجمة)

قال الطيبي : هو من قولهم : عشي يعشى إذا صار أعشى ، وعشا يعشو إذا جعل نفسه كأنه أعشى ، قال الله تعالى﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن[3] ﴾[سورة الزخرف ٣٦]

قوله : (والعذاب كالنكال)

قال السجاوندي : العذاب إيصال الألم إلى الحي مع الهوان ، فإيلام الأطفال والبهائم ليس بعذاب .

قوله: (ولذلك سمي نقاخا) أي الماء الحلو،وهو بضم النون، بعدها قاف، آخره خاء معجمة .

قال في "الكشاف":"لأنه ينقخ العطش ،أي يكسره"[4]

وفي الصحاح : النقاخ الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده[5] .

قال العرجي:[6]

وَإِنْ شِئْتِ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ وَإِنْ شِئْتِ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً وَلا بَرْدا [7]

قوله : (وفراتا)

---

(١) البحر المحيط ٢/ ١٠٤ .

(٢) الحر المحيط ٢/ ١٠٥ .

(٣) فتوح الغيب ٢/ ٢٦٦ .

(٤) الكشاف ١/ ١٦٤ .

(٥) الصحاح / مادة نقخ .

(٦) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، كان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه ، وهو أشعر بني أمية ، توفي نحو العشرين ومائة سنة . الشعر والشعراء ٢/ ٥٧٤ وكتاب الأغاني ١/ ٣٦٢ والأعلام ٤/ ١٠٩ .

(٧) ديوان العرجي رواية أبي الفتح عثمان بن جني ١٠٩ وفيه: أحرمت النساء .

قال في " الكشاف":"لأنه يرفته ، على القلب"[1]

قال بعض أرباب الحواشي:يعني أن حق الاشتقاق أن يقال:فراتا؛لأنه يفرته، فقلبوا وقدموا الفاء على الراء، كما قالوا: صعق، وصقع، وجذب، وجبذ، ففرت مقلوب رفت.

قال الشريف: وعلى هذا فوزن فرات عُفال[2] .

وفي " الأساس": رفت الشيء فته بيده ،كما يرفت المدر و العظم البالي[3] .

قوله :(فادح) بالفاء أوله ، وآخره مهملة.

في " الصحاح": فدحه الدين: أثقله، وأمر فادح إذا عاله وبهظه [4] . أي أثقله وشق عليه .

قوله :(فكما أن الحقير دون الصغير، فالعظيم فوق الكبير)

قال الطيبي : يعني إذا كان الحقير مقابلا للعظيم،والصغير للكبير، يلزم أن يكون العظيم فوق الكبير؛لأن العظيم لا يكون حقيرا ؛ لأن الضدين لا يجتمعان،و الكبير قد يكون حقيرا، كما أن الصغير قد يكون عظيما؛لأن كلا منهما ليس بضد للآخر [5] .

قوله: (ومعنى التنكير في الآية) إلى آخره

قال الشيخ سعد الدين: يريد أنه للنوعية، والعذاب لما وصف بالعظيم كان المعنى نوعا عظيما منه، فليس القصد إلى تنكيره للتعظيم.

وذكر التعامي دون العمى وإن كانوا من أهل الطبع إشارة إلى أن ذلك من سوء اختيارهم،وشؤم إصرارهم [6] .

وذكر الشريف مثله،وزاد: وقيل: هو للتعظيم، أي غشاوة أيَّ غشاوة [7] .

قوله : (وهم أخبث الكفرة)

---

(١) الكشاف ١/ ١٦٤ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ١٦٤ .

(٣) أساس البلاغة / مادة رفت .

(٤) الصحاح / مادة فدح .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٢٦٦ .

(٦) حاشية سعد الدين ل٢٩ .

(٧) حاشية الشريف ١/ ١٦٥ .

الإمام : اختلف في أن كفر الكافر الأصلي أقبح أم كفر المنافق؟

فقال قوم: الأصلي أقبح؛لأنه جاهل بالقلب، كاذب باللسان.

وقال آخرون: بل النفاق؛لأن المنافق أيضا كاذب باللسان،فإنه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد،مع أنه ليس عليه، وقد اختص بمزيد أمور منكرة.

منها: أنه قصد التلبيس، ورضي لنفسه بسمة الكذب، وضم إلى كفره الاستهزاء، والكافر الأصلي بخلاف ذلك .[1]

قوله :(وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين)

قال الطيبي: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن العطفمن حيث حصول مضمون الجملتين في الوجود.

والثاني:أن الجهة الجامعة بين من محض الكفر ظاهرا وباطنا،وبين من أظهر الإيمان وأبطن الكفر التوافق في الكفر.[2]

وقال الشيخ سعد الدين: المراد أنه من عطف مجموع الكلام المسوق لغرض، على مجموع قبله ،مسوق لغرض آخر، لا يشترط فيه إلا تناسب الغرضين، ولا يتكلف لجملة من هذا مناسبة مع جملة من ذلك.

و لا يرد باشتمال أحد المجموعين على ما لا يناسب المذكور في المجموع الآخر[3].

وقال الشريف: أي ليس هذا من عطف جملة على جملة ليطلب بينهما المناسبة المصححة لعطف الثانية على الأولى، بل من عطف مجموع جمل متعددة مسوقة لغرض على مجموع جمل أخرى ،مسوقة لغرض آخر، فيشترط فيه التناسب بين الغرضين، دون آحاد الجمل الواقعة في المجموعين.

قال: وهذا أصل عظيم في باب العطف ،لم يتنبه له كثيرون، فأشكل عليهم الأمر في مواضع شتى.[4]

قوله (و الناس أصله أناس)

قال ابن الشجري في " أماليه" : وزن أناس فعال ، وناس منقوص منه عند أكثر

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٦٠ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٢٦٨ .

(٣) حاشية سعد الدين ل٢٩ .

(٤) حاشية الشريف :١/ ١٦٦ .

النحويين ، فوزنه عال، والنقص و الإتمام فيه متساويان في كثرة الاستعمال مادام منكورا ، فإذا دخلت الألف واللام التزموا فيه الحذف ، فقالوا : الناس ،ولا يكادون يقولون: الأناس إلا في الشعر، كقوله:

إِنَّ المَنَايَا يَطَّلِعْ نَ عَلَى الأُنَاسِ الآمِنِيْنَا[1]

وحجة هذا المذهب وقوع الأنس على الناس ، فاشتقاقه من الأنس نقيض الوحشة؛لأن بعضهم يأنس ببعض.

وذهب الكسائي إلى أن الناس لغة مفردة ،وهو اسم تام ، وألفه منقلبة عن واو. واستدل بقول العرب في تحقيره نويس.

قال : ولو كان منقوصا من أناس لرده التحقير إلى أصله، فقيل: أنيس.

وقال بعض من و افق الكسائي في هذا القول: إنه مأخوذ من النوس، مصدر ناس ينوس إذا تحرَّك ، ومنه قيل لملك من ملوك حمير: ذونواس ؛ لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه.

قال الفراء: و المذهب الأول أشبه، وهو مذهب المشيخة.

وقال أبو عليٍّ: أصل الناس الأناس، فحذفت الهمزة التي هي فاء، ويدلك على ذلك الإنس والأناسي، فأما قولهم في تحقيره: نويس فإن الألف لما صارت ثانية زائدة أشبهت ألف ضارب، فقيل: نويس، كما قيل: ضويرب.

وقال سلمة بن عاصم[2] - وكان من أصحاب الفراء-: الأشبه في القياس أن يكون كل واحد منهما أصلا بنفسه، وأناس من الأنس، وناس من النوس؛لقولهم في تحقيره: نويس، كبويب في تحقير باب[3] . انتهى.

وقال ابن جني في" الخصائص": الناس أصله أناس، قال الشاعر:[4]

وَإِنَّا أُنَاسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً إذا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُوْلُ

ولا تكاد الهمزة تستعمل مع لام التعريف، غير أن أبا عثمان أنشد:

---

(١) نسبه محقق الأمالي ١/ ٨٨ إلى ذي جدن الحميري .

(٢) هو سلمة بن عاصم أبو محمد النحوي ، أخذ عن أبي زكريا يحيى الفراء ، وروى عنه كتبه ، كان أديباً فاضلاً عالماً ، صنف معاني القرآن ، وغريب الحديث ، توفي بعد السبعين ومائتين . إنباه الرواة ٢/ ٥٦ وبغية الوعاة ١/ ٥٩٦ .

(٣) أمالي ابن الشجري ١/ ١٨٨ .

(٤) هو السموءل بن عاديا ، انظر في ديوان السموءل ٩١ .

إن المنايـــــــا يطلعـــــــــــن علـــى الأنـــاس الآمنينـــا[1]

وقال ابن يعيش في " شرح المفصل": أصله أنـاس حذفـوا الهمـزة ، وصـارت الألف واللام في " الناس" عوضا منها، ولذلك لا يجتمعان، فأما قولهم:

إن المنايـــــــا يطلعـــــــــــن علـــى الأنـــاس الآمنينـــا

فمردود لا يعرف قائله[2] .

وقال ابن يعيش في " شرح التصريف الملوكي": أصل ناس أُناس، ووزنه عـال، محذوف الفاء، وهو فعال من الأنس، واشتقاقه من آنست الشـيءَ إذا رأيتـه، كـأنهم سموا بذلك لظهورهم، أومن آنست ، أي علمـت، كـأنهم سـموا بذلـك لعلمهـم . وإنسان فعلان منه، وجمعه أناسي، قال تعالى﴿ وأناسي كثيرا﴾ [سورة الفرقـان ٤٩] قلبوا النون ياء.

ومثله ظِرْبَانٌ وظِرَابِي.

وقيل : أناسي جمع أنسي، كبختي وبخاتي.

وقيل: أصله ناس، ووزنه فعل فـي الأصـل، مـن نـاس ينـوس إذا اضطـرب، و الهمزة في أناس زائدة، دل على ذلك قولهم في التصغير نويس.

وقال الكسائي: هما لغتان ليـس أحدهمـا أصـلا للآخـر، والوجـه الأول،وهـو مذهب سيبويه.[3] انتهى.

قوله(فحذفت الهمزة، حذفها في لوقة)

في "الصحاج": اللوقة بالضم الزبدة ، وفيها لغتان ، لُوْقَةٌ، وَأَلُوْقَةٌ

قال الشاعر:

وَإِنِّـــيْ لِمَـــنْ سَـــالَمْتُمْ لأَلُوْقَـــةٌ وَإِنِّـيْ لِمَـنْ عَـادَيْتُم سُـمٌّ أَسْـوَدِ[4]

قوله:(وقوله: إن المَنَايَا يَطلِعْ نَ على الأَنَاسِ الآمِنِيْنَا)

ذكر ابن يعيش أنه لا يعرف قائله، وبعده:

فَتَذَرْهُـــــمُ شَـــتَّى، وَقَـــــدْ كَـــانُوْا جَمِيْعـــاً وَافِرِيْنَـــا

(١) الخصائص ٣/ ١٥٠ .

(٢) شرح المفصل ٢/ ٩ .

(٣) شرح الملوكي في التصريف ٣٦٣ .

(٤) الصحاح / مادة لوق . والبيت لرجل من بني عذرة . اللسان / مادة لوق .

قوله:(وهو اسم جمع)

زاد غيره : لإنسان وإنسانة.

الطيبي: الفرق بين الجمع الحقيقي ،وبين اسم الجمع ،أن اسم الجمع في حكم الأفراد بدليل جواز التصغير فيه، ولا يجوز تصغير الجمع الحقيقي إذا كان جمع الكثرة. مثال اسم الجمع رَكْب وسَفْر، وصَحْب، يجوز أن يقال: رُكَيب، سُفَير، صُحَيب، ولا يجوزون في جمع الكثرة، بل يجب أن يرد إلى واحده،أو إلى جمع قلة إن وجد[1] .

قوله:(كرخال) هو بضم الراء، وبكسرها أيضا، الواحد رخل بكسر الخاء،الأنثى من أولاد الضان،و الذكر حَمَل.

وفي " الصحاح": إن الرخال جمع الرخل[2] .

قال الطيبي: وكذا عن صاحب "الكشاف" في أبيات له [3] .

قال: وهو مخالف لما ذكره هنا [4] ، وفي الأعراف [5] من كونه اسم جمع.

و الأبيات المذكورة قوله:

مَا سَمِعْنَا كَلِماً غَيْرَ ثَمانٍ هُنَّ جَمْعٌ ، وهي فِي الوَزْنِ فُعالٌ

فَرُبَاب ، وفُرَارٌ وتُوَءامٌ وعُرَاقٌ وعُرَامٌ ورُخَال

وظُوار جَمْعُ ظِئْرٍ ، وبُسَاطٌ جَمْعُ بِسْط،هكذا في ما يُقالُ

الرباب جمع رُبَّى، على فعلى بالضم، وهي الشاة التي وضعت حديثا.والفرار جمع فرير،وهو ولد البقرة الوحشية.والتُّؤام جمع توأم ، على فوعل.والعُراق جمع عَرْق بفتح العين ، العظم الذي أخذ عنه اللحم. والعرام بمعناه.والظؤار جمع ظئر،وهي المرضعة. والبساط جمع بسط بكسر الباء، وهي الناقة تخلى مع ولدها ،لا يمنع منها.

قلت: قال ابن خالويه[6] في كتابه "ليس" :لم يجمع على فُعال إلا نحو عشرة

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٦٨ .

(٢) الصحاح / مادة رخل .

(٣) لم أقف عليها .

(٤) الكشاف ١/ ١٦٦ .

(٥) الكشاف ٢/ ١٢٤ .

(٦) هو الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله اللغوي النحوي ، من كبار أهل اللغة والعربية ،

=

أحرف ، فذكر من هذه الثمانية ستة، وزاد: ثِنى وثُناء،وهو الولـد الـذي بعـد البكـر، ورَذْلٌ ، ورُذَال، وهو الشيء الرديء، ونَذْلٌ ونُذال ،وهو الخسيس[1] .

وقال القالي في " أماليه": لم يأت من فُعال إلا أحرف قليلة جدا، فذكر بعض ما تقدم، وزاد قولهم: نعم جُفال للكثيرة،ونعم كُثاب كثيرة، وبراء جمع بريء [2] .

وقد حصل مما زاده[3] ستة ألفاظ ، وقد نظمتها مذيلا على أبيات الزمخشـري، فقلت:

قلـت:قـد زيـد ثُنـاء وبُـراء ونُـذال ورُذال وجُفـال

وكُثـاب فـي كتـابي [4] ليـس مَـعْ كتـب القـالي،هيـا يـا رجـال

وقد عرف بذلك أن قـول المصنـف : (إذ لـم يثبـت فعـال فـي أبنيـة الجمـع) منقوض بما ذكرناه.

قوله : (مأخوذ من أَنِسَ أو آنَسَ)

اقتصر عليهما بناء على ما ذكره من أن أصله أناس، وذكر غيره قولين آخرين: أنه مأخوذ من النسيان، أو من ناس ينوس نوسا إذا تحرّك، فلا همزة ولا حذف.

و القول بأنه من النسيان هو الصحيـح الـوارد عـن ابـن عبـاس، كمـا أخرجـه الطبراني وغيره[5] .

وعليه فأصله نَسَيٌ، قلبت اللام قبل العين فصار نَيَساً، تحرّكت الياء وانفتـح مـا قبلها قلبت ألفا، فصارت ناسا.

فإن قلت : قوله : (مأخوذ من أنس) مشكل من وجهين:

تقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، لـه مـن التصـانيف كتاب ليس ، وهو كتاب جيد نفيس يدل علـى سـعة علـم مؤلفـه ، توفـي سـنة إحـدى وسـبعين وثلاثمائة . معجم الأدباء ٣/ ١٠٣٠ وبغية الوعاة ١/ ٥٥٧ .

(١) ليس في كلام العرب ١٥١ ١٥٣ .

(٢) كتاب الأمالي ٢/ ٢٩٠ .

(٣) كذا في النسخ ، والجادة : زاداه .

(٤) في ح : وكتابي .

(٥) رواه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٩ وابن جرير في جامع البيان ١٦/ ٢٢١ والطبراني في المعجم الصغير ٢/ ٥٥ وابن منده في كتاب التوحيد ٣/ ٩٤ والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨١ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

أحدهما: أن الاشـتقاق إنمـا يكـون ف[1] ي الأفعـال و الصفـات، والنـاس، و الإنسان اسم عين، لا فعل ،ولا صفة، فكيف يصح اشتقاقه؟.

والثاني: أن أنس فعل ،والفعل لا يشتق منه إلا على رأي الكوفيين.

قلت: هذه غفلة عن معنى الأخذ ، وظن أنه مرادف للاشـتقاق، وليـس كذلـك كما تقرر في أصولي الفقه و النحو من أن دائرة الأخذ أو سع من دائرة الاشتقاق.

وتحقيقه - على ما يؤخذ من " الخصائص" لابـن جنـي وغـيره- أن كـل مـادة ثلاثية فإن لها تقاليب ستة، منها المستعمل و المهمل، فالمستعمل منها يشـترك فـي أمر عام يرجع إليه الأخذ.

مثاله مادة الكلام، ك ل م ،فهذه الحـروف الثلاثـة بتقاليبهـا تـدل علـى التـأثير بشدة، فمنه الكَلام ُ؛لتأثيره في النفس ، و الكَلْمُ ، وهو الجرح؛لتأثيره في البـدن، و المِلْكُ ؛لتأثيره في التصرّف في الأعيان، و المُلْكُ؛لتأثيره في التصرف فيما زاد على المِلك، والمَلْكُ بالفتح، وهو شدة التأثير في العجين، واللَّكْمُ،وهـو أشـد الضـرب، وتأثيره واضح ، والكَمَـال؛لتـأثيره فـي المعنـى المقصـود لـه، فهـذه أربـع تقـاليب مستعملة.

وبقي اثنان مهملان ، مَكْـلٌ، لَمْـكٌ ، وكلهـا راجعـة إلـى مـادة ك ل م ، أعنـي الحروف الثلاثة ، فهذا هو معنى الأخذ، وليس فيه اشتقاق[2] .

والحاصل أن حروف المادة كالخشب مثلا يتخذ منه سرير، وبـاب، وكرسـي، إلى غير ذلك ، فأسماؤها وصيغها مختلفة، ومادتها المأخوذة منها شيء واحد، وهو في الألفاظ كذلك من غير اشتقاق، ولا موافقة في معنى ، ولا عمل.

قوله: (ولذلك سموا بشرا)

في بعض الحواشي: أراد أن بشرتهم ظاهرة، وبشرة غيرهم مستترة بصـوف ،أو ريش،أو غيره.

قوله:(واللام فيه للجنس، و"من" موصوفة؛إذ لا عهد، كأنه[3] قال: ومن الناس ناس يقولون، وقيل :للعهد،والمعهود هم الذين كفروا، أو " من" موصولـة مـرادا[4]

---

(١) في د ، ق : من .

(٢) الخصائص ١/ ١٣ ٢١ .

(٣) كذا في النسخ ، وفي طبعات أنوار التنـزيل : فكأنه قال... أو للعهد .

(٤) كذا في ت ،ح،ظ، وفي ق: يراد، وفي طبعات أنوار التنـزيل: أريد.

بها ابن أبي وأصحابه).

قال ابن هشام في " المغني": قال الزمخشري: إن قدرت "ال" في الناس للعهد فموصولة، مثل﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ [سورة التوبة ٦٣] أو للجنس فموصوفة، مثل ﴿ من المؤمنين رجال﴾ [سورة الأحزاب ٢٤] ويحتاج إلى تأمل[1] .

يعني في تخصيص الموصولة بالعهد، و الموصوفة بالجنس.

قال ابن المنير في " تفسيره" : يحتمل أن يكون رأى أن العهد بالموصولة أشبه؛لأن تعريف الموصول عهدي، وأما إذا كانت اللام للجنس فلا عهد ولا تعريف، فناسب ذلك الموصوفة ؛لأنها نكرة ، فاستبعد أن يكون المنكور بعض المعهود.

وقال الشيخ سعد الدين : فإن قيل: ما وجه هذا التخصيص؟ولم لا يجوز أن تكون موصولة على تقدير الجنس، وموصوفة على تقدير العهد؟

قلنا: مبناه على المناسبة ، و الاستعمال.

أما لمناسبة فلأن الجنس لإبهامه يناسب الموصوفة ؛ لتنكيرها[2] ، والعهد لتعينه يناسب الموصولة ؛ لتعرفها.

وأما الاستعمال فلأن الشائع في مثل هذا المقام هو النكرة الموصوفة ، إذا جعل بعضا من الجنس، كقوله تعالى﴿ من المؤمنين رجال صدقوا﴾ والموصول مع الصلة إذا كان بعضا من المعهود ، كقوله تعالى﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ و القرآن يفسر بعضه بعضا.

وقد يقال : إن العلم بالجنس لا يستلزم العلم بأبعاضه ،فتكون باقية على التنكير، فيكون المعبر بها عن البعض نكرة موصوفة ، وعهدية، الكل يستلزم عهد أبعاضه ، فتكون موصولة ، وهذا أيضا -بعد تسليمه- إنما يتم بما ذكرنا من وجه المناسبة، وإلا فلا امتناع في أن يعبر عن المعين بلفظ النكرة ؛ لعدم القصد إلى تعيينه، وفي أن يتعين بعض من الجنس الشائع ، فيعبر عنه بلفظ المعرفة[3] . انتهى.

ولخصه الشريف فقال: وجعل "من" موصوفة مع الجنس ، موصولة مع العهد،

---

(١) مغني اللبيب ٤٣٣ .

(٢) في ت ، ح ، ظ : لتنكرها .

(٣) حاشية سعد الدين ل٢٩ .

رعاية للمناسبة والاستعمال.

أما المناسبة فلأن الجنس مبهم لا توقيت فيه، فناسب أن يعبر عن بعضه بما هو نكرة ، والمعهود معين، فناسب أن يعبر عن بعضه بمعرفة.

وأما الاستعمال فكما في الآيتين، لما أريد بالمؤمنين الجنس عبر عن بعضهم بالنكرة، ولما أريد بضمير﴿ منهم﴾ جماعة معينة من المنافقين عبر عن بعضهم بالمعرفة.

قيل: و السر في ذلك أنك إذا قلت: من هذا الجنس طائفة شأنها كذا كان التقييد بالجنس مفيدا، بخلاف ما إذا قلت: من هذا الجنس الطائفة الفاعلة كذا؛لأن من عرفهم عرف كونهم من الجنس أوّلاً .

وإذا قلت: من هؤلاء الذي فعل كذا كان جنسا؛إذ فيه زيادة تعريف له، ولا يحسن كل الحسن أن يقال: فاعل كذا؛لأنه عرفهم كلهم إلا إذا كان في تنكيره غرض، كستر عليه، أو تجهيل[1] . انتهى.

وقال صاحب" الفرائد" : الوجه أن يكون اللام للعهد ، ولا وجه أن تكون للجنس ؛ لأن ﴿ من الناس﴾ خبر ﴿ من يقول﴾ فلو كان للجنس لكان المعنى من يقول من الناس ، و الظاهر أنه لا فائدة فيه .

وأما إن كانت للعهد فمعناه : ومن الناس المذكورين جماعة يقولون كذا، ولم يلزم أن تكون موصولة في العهد ، بل يجوز كلا هما .

وكذا قال صاحب " التقريب": يحتمل أن تكون موصولة إن جعل التعريف للجنس، وموصوفة إن جعل للعهد[2] .

وأجاب بعضهم عما ذكره صاحب " الفرائد" من عدم الفائدة بأنها موجودة ، وهي استعظام أن يختص بعض من الناس بمثل تلك الصفات ، فإنها تنافي الإنسانية بحيث كان ينبغي أن لا[3] يعد المتصف بها من جنس الناس.

قال الشيخ سعد الدين: وهذا الجواب ضعيف؛لأن مثل هذا التركيب شائع ذائع في مواضع ،لا يتأتى فيها مثل هذه الاعتبارات، ولا يقصد فيها إلا الإخبار بأن من هذا الجنس طائفة تتصف بكذا.

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٦٧ .

(٢) التقريب في التفسير ل١٢ .

(٣) في ح : كان لا ينبغي أن يعد .

قال: فالوجه أن يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدأ ، يعني وبعض الناس من هو كذا وكذا، فيكون مناط الفائدة تلك الأوصاف[1] . انتهى

وأورده الشريف ثم قال :ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ ، يرشدك إلى ذلك قول الحماسي [2] :

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لا تُرَامُ،وبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشْتَ وضَمَّ حَبْلُ الحَاطِبِ

حيث قابل لفظ "منهم" بما هو مبتدأ ،أعني لفظة " بعضهم"

قال: وقد يقع الظرف موقع المبتدإ بتقدير الموصوف، كقوله تعالى﴿ ومنا دون ذلك﴾ [سورة الجن ١٢]﴿ وما منا إلاله مقام معلوم﴾ [سورة الصافات ١٦٥] فالقوم قدروا الموصوف في الظرف الثاني ، وجعلوه مبتدأ ، والظرف الأول خبرا ، و عكسه أولى بحسب المعنى .

أي جمع منا دون ذلك، وما منا أحد إلا له مقام معلوم، لكن وقوع الاستعمال على "أنَّ من الناس رجالا كذا وكذا "دون "رجال" يشهد لهم.[3]

وقال الطيبي: قد منع بعضهم أن يكون اللام للعهد، و"من" موصولة، وقال : بل اللام للجنس، و"من" موصوفة، فإن المراد بالذين كفروا الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا، وبينهم وبين المنافقين تناف، فلم يكونوا نوعا تحت ذلك الجنس.

وكيف وقد حكم على أولئك بالختم على القلوب وغيره ، فعلم كفرهم الأصلي،و على هؤلاء بقوله ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ وأشار إلى تمكنهم من الهدى وتنور فطرتهم.

قال الطيبي : وأقول: إن التقصي عن هذا المقام لا يستتب إلا ببيان كيفية نظم الآيات، فإنه مَحَكُّ البلاغة ، ومنتقد البصيرة، ومضمار النُّظَّار، ومتفاضل الأنظار، ولا يهتدي إليه من ديدنه المجادلة، ودأبه المماراة،ولم يتكلم عن مقتضى الحال، ولم يعين لكل مقام مقالا، وليس كل ما يصح تقديره بحسب اللغة، أو النحو يعتبر عند علماء هذا الفن، فإن ذلك قد يعد من النعيق في بعض المقامات.

ألا ترى إلى صاحب" الكشاف" في سورة طه في قوله ﴿ أن اقذ فيه في

---

(١) حاشية سعد الدين ل٢٩ .

(٢) هو موسى بن جابر بن أرقم اليمامي ، أنظر في شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي١/ ٣٦٤.

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٦٧ .

التابوت﴾ [سورة طه ٣٩] كيف بالغ فيه، حيث قال: "حتى لا تفرق الضمائر، فيتنافر عليك النظم الذي هو أمُّ إعجاز القرآن ،والقانون الذي وقع عليه التحدي ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر" .[1]

وفي سورة الحاقة في قوله﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ [سورة الحاقة ٥، ٦] كيف ذهب إلى المعنى بقوله ﴿ بالطاغية ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة ، ليطابق قوله ﴿ صرصر عاتية ﴾ وعدل عن حمله على المصدر، وأنه الظاهر؛لأن الطاغية كالعافية ، أي بطغيانهم[2] ؛ لأن الواجب رعاية حسن النظم بين آي التنزيل .

وكم له أمثال ذلك ، فالواجب على من يخوض في هذا الكتاب أن يستوعب معرفة جميع المقامات ، وجميع خواص التركيب؛لينزل كلا في مقامه.

إذا علم هذا فنقول : إذا كان النظم هو ما ذكر افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله تعالى، ثم ثنى بذكر الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ، وثلث بالذين آمنوا بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم، فالواجب حمل التعريف في الأقسام الثلاثة إما على الجنس بأسرها ، وإما العهد برمتها.

وإذا حمل على الجنس فلا يجوز أن يقال: من في ﴿من يقول﴾ موصولة، كما قال أبو البقاء: هذه الآيات استوعبت أقسام الناس ، فالآيات الأُوَّلُ تضمنت ذكر المخلصين في الإيمان، وقوله﴿ إن الذين كفروا﴾ تضمن من أبطن الكفر وأظهره، وهذه الآية تضمنت ذكر من أظهر الإيمان، وأبطن الكفر ، و"مِن" للتبعيض، و" مَنْ" نكرة موصوفة، ويضعف أن تكون بمعنى الذي ؛لأن "الذي" يتناول قوما بأعيانهم ، و المعنى هاهنا على الإبهام [3] . تم كلامه.

فإن قلت : آثرت الموصوفة على الموصولة، وهي أيضا محتملة للجنس ، فيلزم الإبهام أيضا كما في قوله﴿ الذين كفروا﴾ .

قلت: الموصوفة نص في الشياع ،بخلاف الموصولة ، لاحتمال الأمرين فيها.

بقي أن يقال: فما معنى قوله: من يقول من الناس، وأي فائدة فيه؟

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٣٦

(٢) الكشاف٤/ ١٤٩ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤ .

فيقال: إنه تعالى نظم الآيات الثلاث في سلك واحد ، لكن خص كل صنف بفن من الفنون ، لاسيما خَصَّ هذا الصنف بمبالغات وتشديدات لم يخص الصنفين بها، وأبرز أيضا نفس التركيب إبرازا غريبا ، حيث قدم الخبر على المبتدإ،وأبهمه غاية الإبهام ونكر المبتدأ ، ووصفه بصفات عجيبة ؛ليشوق السامع إلى ذكر ما بعده من قبائحهم ، ونكرهم نعيا عليهم ، وتعجيبا من شأنهم

يعني انظروا إلى هؤلاء الخبثة ،وقبيح ما ارتكبوه كيف اختصوا من بين سائر الناس بما لم يرض العاقل أن ينتسب إليه .

نعم لم يفد شيئا أن لو أريد مجرد الإخبار ، ونظيره قوله تعالى« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» [سورة الأحزاب ٢٣] أي امتاز من بين سائر المؤمنين بهذه المناقب الشريفة رجال كرماء ، فدل التنكير في « رجال» على تعظيم جانبهم،كما دل الإبهام في«من يقول» على خلاف ذلك هاهنا.

وأما إذا حمل التعريف في الناس على العهد فيقال: المراد بالمتقين من شاهد حضرة الرسالة من الصحابة المنتخبين، وينصره تقدير إرادة أهل الكتاب - أعني عبد الله بن سلام وأصحابه- من قوله تعالى « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك» معطوفا على قوله« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة»

فعلى هذا يحمل قوله تعالى « إن الذين كفروا » على قوم بأعيانهم، كأبي جهل، وأبي لهب ، وأضرابهم، وأن يراد بقوله« ومن الناس من يقول آمنا» عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير، وجد بن قيس، وأشباههم، فلا وجه إذن لقول من قال: ويحتمل أن تكون موصوفة إن جعلت التعريف للعهد؛لأن المراد بقوله «من يقول » حينئذ قوم بأعيانهم وأشخاصهم، كعبد الله بن أبي وأصحابه، فكيف تجعل موصوفة؛ لأن " من " نكرة،والقوم معهودون.؟

قال: ثم إني بعد برهة من الزمان وقفت على قول صاحب" الكشاف" في قوله تعالى « ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه رزقا حسنا » [سورة النحل ٧٦] :"الظاهر أن " من" موصوفة، كأنه قيل: وحرا رزقناه ليطابق عبدا، ولا يمتنع أن تكون موصولة"[(١)]

يريد أن الآية من باب التضاد، فالظاهر أن تراعى المطابقة بين كلمات

(١) الكشاف ٢/ ٤٢٠ .

القرينتين، فإذا قلت : عبدا مملوكا ، و الحر الذي رزقناه ذهبت المطابقة ،وفاتت الطلاوة ، فلا يذهب إليه إلا الكز الجافي ، والغليظ الجاسي[1] .

وأما الجواب عن قول من قال : بينهم وبين المنافقين تناف : فهو عين ما ذكره صاحب " الكشاف": في الجواب عن سؤاله"كيف يجعلون بعض أولئك،والمنافقون غير المختوم على قلوبهم"؟[2]

وحاصل جوابه أن كون هؤلاء مخصوصين بحكم النفاق لا يخرجهم من جنس المصممين ، بل يفيد تميزهم عنهم بما لم يتصفوا به، وإليه الإشارة بقوله:" بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما" [3] فالتعريف في قوله : "الكفر جمع الفريقين" وقوله:" الكفر الجامع بينهما" للعهد،وهو الكفر الخاص؛لأنه جنس أيضا باعتبار النوعين.

وهذا من فصيح الكلام ووجيزه؛لأن الجنس إذا أطلق شاع في جميع متناولاته إن لم تنتهض قرينة على إرادة البعض، فإذا حصلت القرينة قيدت ، فإذا كررت كرر، فإنه تعالى لما قال« إن الذين كفروا » تناول جميع الفرق من الكفرة، فقيد بقوله« سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم» بالمصممين ، ثم قيده مرة أخرى مع ذلك القيد « ومن الناس من يقول »

ونحوه قول الأصوليين : يجوز تخصيص ما بقي غير محصور.

قال :ثم إني عثرت بعد هذا التقرير على كلام من جانب الإمام أفضل المتأخرين، القاضي ناصر الدين، تغمده الله برحمته ما شَدَّ بعضده:

قال: (واللام فيه للجنس) وساق كلام البيضاوي إلى آخره[4] .

وقال أبو حيان « مَن » في قوله تعالى « من يقول» نكرة موصوفة، مرفوعة بالابتداء، والخبر الجار والمجرور المتقدم [5] الذكر، و«يقول» صفة.

هذا اختيار أبي البقاء [6] ، وجوز الزمخشري هذا الوجه، وكأنه قال : ومن

---

(١) أثبت محقق فتوح الغيب : إلا الكره الجاي والغليظ الحامي ! وهو تصحيف أصلع .

(٢) الكشاف ١/ ١٦٨ .

(٣) الكشاف ١/ ١٦٨ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٢٧٠-٢٧٤ .

(٥) في ح : المقدم .

(٦) التبيان ١/ ٢٤ .

الناس ناس يقولون كذا، كقوله ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا﴾

قال : إن جعلت اللام للجنس ، يعني في قوله﴿ ومن الناس﴾

قال : وإن جعلتها للعهد فموصولة ،كقوله ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي﴾[1]

واستضعف أبو البقاء أن تكون موصولة، قال: لأن "الذي" تتناول قوما بأعيانهم، والمعنى هنا على الإبهام، والتقدير: ومن الناس فريق يقول[2] .

وما ذهب إليه الزمخشري من أن اللام في ﴿ الناس﴾ إن كانت للجنس كانت ﴿ من ﴾ نكرة موصوفة ،وإن كانت للعهد كانت موصولة أمر لا تحقيق له، كأنه أراد مناسبة الجنس للجنس، والعهد للعهد.

ولا يلزم ذلك، بل يجوز أن تكون اللام للجنس،و﴿ من﴾ موصولة، ويجوز أن تكون للعهد، و﴿ من ﴾ نكرة موصوفة، فلا تلازم بين ما ذكر.

وأما استضعاف أبي البقاء كون ﴿ من ﴾ موصولة، وزعمه أن المعنى على الإبهام فغير مسلم، بل المعنى أنها نزلت في ناس بأعيانهم معروفين، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه.

قال: والذي نختاره أن تكون ﴿ من﴾ موصولة ، وإنما اخترنا ذلك لأنه الراجح من حيث المعنى ، ومن حيث التركيب الفصيح، ألا ترى جعل ﴿ من ﴾ نكرة موصوفة إنما يكون إذا وقعت في مكان يختص بالنكرة في أكثر كلام العرب، وهذا المكان ليس من المواضع التي تختص بالنكرة في أكثر كلام العرب ،وأما أن تقع في غير ذلك فهو قليل جدا، حتى إن الكسائي أنكر ذلك[3] . انتهى.

قوله: (تمويها) من موهت الشيء ،إذا طليته وزينته.

قوله : (والقول هو التلفظ بما يفيد)

يحتمل أن يريد به مطلق الإفادة احترازا عن المهمل،كديز مقلوب زيد، فإنه لا يسمى قولا، وإنما يسمى[4] لفظا ، بخلاف الكلام ، والكلم ، والكلمة فإن كلا من الثلاثة يسمى قولا، وهذا هو المشهور عند المتأخرين، وجزم ابن مالك في "الألفية"[5]

(١) الكشاف ١/ ١٦٧ .

(٢) التبيان ١/ ٢٤ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ١٢٣ .

(٤) في ح ، د ، ق : سمي .

(٥) ألفية ابن مالك ٩ .

ويحتمل أن يريد الفائدة التامة احترازا من الكلمة،والمركب الذي لا يفيد، فلا يسمى قولا،وهو أحد الأقوال في المسألة.

قال الخويي في تفسيره : القول حقيقة في المركب المفيد،وإطلاقه على المفرد والمركب الذي لا يفيد مجاز.

والقول الثالث فيه : أنه حقيقة في المفرد ، وإطلاقه على المركب مجاز ، وعليه ابن معط[1] .

والرابع : أنه حقيقة في المركب سواء أفاد أم لا، وإطلاقه على المفرد مجاز.

ونقل ابن الصائغ [2] في " في شرح الألفية" عن سعيد بن فلاح [3] أنه قال في " الكافي": دلالة القول بالنسبة إلى المفرد وضعية، وبالنسبة إلى المركب عقلية على قول من قال: المركب غير موضوع.

وقال الشيخ جمال الدين بن هشام في شرحه الكبير المسمى" رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة"[4] : قول ابن مالك :

... ... والقول عمّ

أي أنه يطلق على الكلام، و الكلمة،و الكلم، وظاهر كلامه أن إطلاقه على الثلاثة على حد سواء، وهو المشهور.

وفي "فصول" ابن معط: والقول يعم الجميع،والأصل استعماله في المفرد[5] . فعلى هذا يكون استعماله في الكلام ،والكلم بطريق المجاز.

---

(١) هو يحيى بن معطي بن عبد النور زين الدين المغربي الزواوي ، إمام في العربية أديب شاعر ، من تصانيفه الفصول الخمسون في النحو ، وألفية في النحو أيضاً ، توفي سنة ثمان وعشرين وستمائة . معجم الأدباء ٦/ ٢٨٣١ وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٤ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي ابن الصائغ شمس الدين الحنفي النحوي ، اشتغل بالعلم ، وبرع في اللغة والنحو ، من تصانيفه شرح ألفية ابن مالك في غاية الحسن والجمع والاختصار ، توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٣/ ٤٩٩ وبغية الوعاة ١/ ١٥٥ .

(٣) هو منصور بن فلاح بن محمد أبو الخير تقي الدين المشهور بابن فلاح النحوي ، له مؤلفات في العربية ، منها الكافي جزء في غاية الحسن يدل على معرفته بأصول الفقه ، توفي سنة ثمانين وستمائة . بغية الوعاة ٢/ ٣٠٢ .

(٤) هو من كتب ابن هشام المفقودة ، انظر في : ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي للدكتور علي فودة ٣٦٤ .

(٥) الفصول الخمسون ١٤٩ .

وقيل: إن القول خاص بالمركب، وقيل: خاص بالمركب المفيد ، فهذه أربعة أقوال. انتهى.

وبقي قول خامس: أنه يطلق على ا لمهمل أيضا كاللفظ ، حكاه أبو حيان في باب ظن من " شرح التسهيل".

ونحوه قول أبي البقاء في " اللباب" :القول يقع على المفيد، وغير المفيد ؛لأن معناه التحرك والتقلقل ، فكلما يمذل به اللسان ويحركه يسمى قولا[١] .

وقال ابن إياز في " شرح الفصول": اختلف الناس في القول، فذهب بعضهم إلى أنه عبارة عن كل ما نطق بها اللسان تاما كان أو ناقصا، مفيدا أو غير مفيد ،وهو مصدر، قال تعالى ﴿ ما يلفظ من قول﴾ [سورة ق ١٨] أي ما يطرح ويلقي، وهو اختيار المصنف يعني ابن معط غير أنه قال : والأصل استعماله في المفرد ، وغيره ، ممن اختار هذا لم يقل كذا [٢] ، بل قال : استعماله في المفرد و المركب على حد سواء.

وذهب بعضهم إلى أنه لا فرق بين الكلام والقول.

وذهب آخرون إلى أن القول يطلق على المركب خاصة سواء كان مفيدا أو غير مفيد [٣] . انتهى.

وقال الرضي : القول و الكلام واللفظ من حيث أصل اللغة بمعنى ، يطلق على كل حرف من حروف المعجم كان، أو من حروف المعاني، وعلى أكثر منه، مفيدا كان أولا، لكن القول اشتهر في المفيد، بخلاف اللفظ ، و اشتهر الكلام في المركب من جزئين فصاعدا[٤] .

قوله : (ويقال بمعنى المقول)

أي ،فيكون من باب إطلاق المصدر وإرادة المفعول.

قوله: (والمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ، و الرأي والمذهب مجازا)

قال ابن إياز في "شرح الفصول": اعلم أنه قد يطلق القول على الآراء

---

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ٤٢ .

(٢) في ح : كذلك .

(٣) شرح الرضي على الكافية ١/ ٢٠ .

(٤) كتاب شرح فصول ابن معطي ل٢ ٣ .

والاعتقادات، فيقال: هذا قول الشافعي ،وقول أبي حنفية ،يراد بذلك رأيه وما ذهب إليه .

والذي سوغ هذا الإطلاق كون الرأي والاعتقاد خافيا، لا يظهره غالبا سوى القول ، فلما كان القول سببا في إظهاره و الإعلام به أطلق عليه.

فإن قيل: قد يطلق على الرأي و الاعتقاد الكلام و القول، فأيهما أولى بالإطلاق عليهما؟

قلنا: قال شيخنا أبو جعفر [1]: إن إطلاق القول عليهما أولى من إطلاق الكلام، وذلك لأن الرأي و الاعتقاد كل منهما كما ذكرته خاف لا يظهر بنفسه، بل يحتاج إلى ما يظهره ، كما أن القول قد لا يستقل بنفسه، بل يحتاج إلى ما يتممه [2]، فقد اشتركا في الاحتياج، ولا كذلك الكلام، فإنه مستقل مستغن بنفسه.

قال: وقد يستعمل القول أيضا لغير ذي لفظ تجوزا، قال الشاعر:

فَقَالَتْ لَهُ العَيْنَانِ: سَمْعاً وَطَاعَةً ... وَأَبْدَتْ كَمِثْلِ الدُّرِّ لِمَا يُثْقِبُ [3]

وإنما جاز ذلك ؛لأن صورة حالهما قائمة مقام قولهما: سمعا وطاعة [4] .

قوله : (﴿وما هم بمؤمنين﴾ إنكار لما ادعوه)

قال الطيبي: يعني أن مقتضى المطابقة لقوله ﴿ آمنا﴾ أن يقال: وما آمنوا، ليتحدا في ذكر شأن الفعل، فإن ﴿ وما هم بمؤمنين﴾ في ذكر شأن الفاعل، لا الفعل.

و الجواب : المصير إلى التأويل ، والحمل على الكناية الإيمائية، ليفيد التأكيد، ويحصل التطابق.

بيانه : أنه تعالى لما أولى الضمير حرف النفي ،وحكم عليهم بأنهم ليسوا بمؤمنين ، وكان ذلك جوابا عن دعواهم أنهم اختاروا الإيمان بجانبيه على صفة الاستحكام، دلّ على إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين ، وإذا شهد عليهم بذلك لزم نفي ما ادعوه ،على سبيل البت والقطع.

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي كتاب شرح فصول ابن معطي : رضي الدين ابن جعفر . ولم أتمكن من التحديد والمعرفة .

(٢) في ح: يتمه

(٣) البيت في الخصائص ١/ ٢٢ واللسان / مادة قول بدون نسبة .

(٤) كتاب شرح فصول ابن معطي ل ٢ – ٣ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١١٠٢ نحو.

قال الطيبي: وهذا إنما يصح لو قيل : وما هم من المؤمنين، إذ ليس قوله﴿ وما هم بمؤمنين﴾ مثل ما هم من المؤمنين، لكن الأول أبلغ ؛لأنه نفى لأصل الإيمان،والثاني نفي للكمال.[1]

وقال الشيخ سعد الدين: من قواعدهم أنهم يقدمون الذي شأنه أهمّ ،وهم ببيانه أعنى، فقولهم﴿ آمنا﴾ بتقديم الفعل كلام في شأن الفعل، وأنه صادر عنهم متحقق، وقوله ﴿ ما هم بمؤمنين﴾ كلام في شأن الفاعل، وأنه بحيث لم يصدر عنه الفعل ، حتى إن تقديم الضمير ، وإيلاءه حرف النفي ربما يفيد اختصاصه بنفي الفعل ، كما سنذكر في قوله تعالى﴿ وما أنت علينا بعزيز﴾ [سورة هود ٩٢] وأمثاله، فكيف ما كان لا تكون الجملة الاسمية المشتملة على إيلاء الضمير حرف النفي مطابقة لمقتضى الحال في رد كلامهم .

و الجواب أن هذا ليس من باب التقديم لإفادة الاختصاص، أو لجعل الكلام في شأن الفاعل أنه كذا ، أو ليس كذا ،بل من باب العدول إلى الجملة الاسمية، لرد كلامهم بأبلغ وجه وآكده ، كأنه قيل: إنهم ليسوا في شيء من الإيمان، ولا يصدق هذا الوصف عليهم ألبتة.

لا يقال: الاسمية تدل على الثبات،فنفيها يفيد نفي الثبات،لا ثبات النفي وتأكده، لأنا نقول : ذاك إذا اعتبر الثبات بطريق التأكيد والدوام، ونحو ذلك، ثم نفي ،وهاهنا اعتبر النفي أولا، ثم أكد ،وجعل بحيث يفيد الثبات، أو الدوام ، وذلك كما أنَّ "ما أنا سعيت في حاجتك" لاختصاص النفي ، لا لنفي الاختصاص، وبالجملة ففرق بين تقييد النفي، ونفي التقييد[2]. انتهى.

وقال الشريف:الجواب أن العدول إلى الاسمية لسلوك طريق الكناية في رد دعواهم الكاذبة،فإن انخراطهم في سلك المؤمنين، وكونهم طائفة من طوائفهم من لوازم ثبوت الإيمان الحقيقي لهم ، وانتفاء اللازم أعدل شاهد على انتفاء ملزومه، ففيه من التأكيد والمبالغة ما ليس في نفي الملزوم ابتداء .

وكيف لا ، وقد بولغ في نفي اللازم بالدلالة على دوامه المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقا، وأكد ذلك النفي بالباء أيضا، فليس في هذه الاسمية تقديم

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٧٧ .

(٢) حاشية سعد الدين ل٣٠ .

لقصد الاختصاص أصلا،ولا لجعل الكلام في شأن الفاعل أنه كذا ، أو ليس كذا قطعا ،بل المقصود بها ما ذكرناه من سلوك طريق هو أبلغ وأقوى في رد تلك الدعوى [١].

وفي بعض الحواشي: ادعى صاحب" الكشاف" هنا أن قولنا: زيد ليس بقائم،أبلغ من قولنا: ما قام، وما يقوم، ولم يصرح بحجة تدل عليه.

ولعله يشير إلى أن قولنا: زيد لا يقوم وصف له بالامتناع من القيام، وذلك قد يكون مع القدرة عليه ،ومع عدم القدرة ،وقولنا:زيد ليس بقائم، فيه سلب الاتصاف، فكأنه أقوى في [٢] سلب أهلية الاتصاف.

وقال أبو حيان: لأجل التأكيد والمبالغة في نفي إيمانهم جاءت الجملة المنفية اسمية مصدرة ب"هم"، وتسلط النفي على اسم الفاعل الذي ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الأزمان، إذ لو جاء النفي منسحبا على اللفظ المحكي الذي هو ﴿آمنا﴾ لكان وما آمنوا،فكان يكون نفيا للإيمان الماضي،والمقصود أنهم ليسوا متلبسين بشيء من الإيمان في وقت ما من الأوقات [٣] .

قوله: (انتحلوا) في " الأساس": انتحل شعر غيره إذا ادعاه لنفسه [٤] .

قوله : (وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء،ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به ؛لأنه جوابه)

في بعض الحواشي: هذا الاحتمال مطرد في التقييد بالمجرور، وظرف الزمان و المكان، و المفعول من أجله، والحال ، وسين الاستقبال إذا عطف عليه ما خلا عن التقييد بها ، كقولك: ضربت زيدا بعصى وعمرا، وأكرمت زيدا يوم الجمعة وعمرا، وضربت زيدا عندك وعمرا، وأكرمت زيدا وفاءً بحقه وعمرا،ولقيت زيدا راكبا وعمرا، وسيقوم زيد ، ويكتسب [٥] مالا .

ومنه قوله تعالى ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمد له ﴾ [سورة مريم ٧٩]

والذي يختص بهذه الآية أن الإطلاق فيها، والخلو عن التقييد أبلغ؛لأنه يدخل

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٦٩ .

(٢) في ت، ح: من

(٣) البحر المحيط ٢/ ١٣٠ .

(٤) أساس البلاغة / مادة نحل .

(٥) في ح: ويكسب

فيه المقيد وغيره ؛ لعموم النفي ،بخلاف هذه الأمثلة .

قوله : (الخدع)

هو بفتح الخاء وكسرها كما في " الصحاح " [(١)] واقتصر بعضهم على الكسر.

قوله : (أن توهم)

قال الشيخ سعد الدين: هو متعد إلى مفعولين، يقال: وهمت الشيء ، أهمه ، أي وقع في خلدي ، وأوهمته غيري و وَهَّمْتُهُ [(٢)] .

قوله: (الخارش) أي الصائد

قال القطب: الخرش مخصوص بصيد الضباب [(٣)] .

وفي " الصحاح": فلان يخرش لعياله ، أي يكتسب ويطلب الرزق [(٤)]

قوله:(وأصله الإخفاء) أخذه من الإمام [(٥)] .

وقال ابن عطية نقلا عن أهل اللغة : أصله الفساد، ثم حكى الأول بصيغة التمريض [(٦)] في كلام الراغب ما يوهم أن أصله التلون [(٧)] .

وقال الطيبي : قد يكون الخداع حسنا إذا كان الغرض استنزال الغير من ضلال إلى رشد، ومن ذلك استدراجات التنزيل على لسان الرسل في دعوة الأمم، وهذا يناسب أن يكون أصله الإخفاء [(٨)] .

قوله : (ومنه المخدع) وهو بضم الميم وكسرها .

قال ابن السكيت : و الأصل الضم ، وإنما كسر استثقالا [(٩)] .

قوله : (و الأخدعان لعرقين خفيين)

قال الراغب : الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما

---

(١) الصحاح / مادة خدع .

(٢) حاشية سعد الدين ل ٣٠ .

(٣) حاشية قطب الدين ل ١٨ .

(٤) الصحاح / مادة خرش .

(٥) التفسير الكبير ٢/ ٦٢ .

(٦) لم أر ما عزاه المؤلف إلى ابن عطية في تفسيره .

(٧) تفسير الراغب ل ١٩ .

(٨) فتوح الغيب ١/ ٢٨١ .

(٩) إصلاح المنطق ١٣٦ .

يخفيه ، ومنه خدع الضب إذا استتر في جحره ، و" أخـدع مـن ضـب "[1] وطريـق خادع ، وخيدع مضل، كأنه يخدع سالكه ، و المخـدع بيـت فـي بيـت ، كـأنَّ بانيـه جعله خادعا لمن رام تناول ما فيه، وخدع الريق إذا قلّ، يتصور منه هذا المعنـى، و الأخدعان يتصور منهما الخداع لاستتارهما تارة ، وظهورهما أخرى .

وفي الحديث ((بيـن يـدي السـاعة سـنون خداعـة)) [2] أي محتالـة؛لتلونهـا بالجدب تارة، وبالخصب تارة.[3] انتهى .

قوله : (وخداعهم مع الله ليس على ظاهره)

قال الإمام : لقائل أن يقول : مخادعة الله ممتنعة من وجهين :

أحدهما: أنه تعالى يعلم الضمائر والسرائر، فلا يمكن أن يخادع ، بـأن يخفـى منه خلافه ما يبدى .

والثاني : أن المنافقين لـم يعتقـدوا أن اللـه بعـث الرسـول إليهـم ، فلـم يكـن قصدهم في نفاقهم مخادعة الله [4] .

قوله : (بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف)

قال الراغـب: نسـبة الخـداع إلـى اللـه تعـالى مـن حيـث إن معاملـة الرسـول كمعاملته، وجعل ذلك خداعا تفظيعا لفعلهم وتعظيما ، وتنبيها على عظـم الرسـول وعظم أوليائه .

وقول أهل اللغة : إن هذا على حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليـه مقامـه ، فيجـب أن يعلـم أن المقصـود بمثلـه فـي الحـذف لا يحصـل لـو أتـي بالمضـاف المحذوف؛لما ذكرنا من التنبيه على أمرين :

أحدهما: فظاعة فعلهـم فيمـا تحـروه مـن الخديعـة ، وأنهـم بمخـادعتهم إيـاه يخادعون الله .

---

(١) مجمع ا لأمثال ١/ ٤٥٧ يضرب لمن تطلب إليه شيئا وهو يروغ إلى غيره .

(٢) رواه ابن ماجه ٤/ ١١٨ ح ٤١٠٨ و أحمد ١٣/ ٢٩١ ، ١٤/ ١٧١ والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٦٥ من حديث أبي هريرة .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وقال الحافظ ابن كثير : إسناده جيد . البداية والنهاية ١٩ / ٢٧٧ .

(٣) تفسير الراغب ل ١٩ .

(٤) التفسير الكبير ٢/ ٦٢ .

والثاني : التنبيه على عظم المقصود بالخداع ، وأن معاملتـه كمعاملـة اللـه .[1] انتهى .

قوله:(أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته)

قال الشيخ سعد الدين : حاصل هذا الوجه أن المراد بخدع الله خدع الرسول، فالمجاز في التحقيق يكون في الهيئة التركيبية، والنسبة الإيقاعية، لا في لفظ " ا لله" وإطلاقه على الرسول ؛للإطباق على أن لفظ" الله" لا يطلق على غيره،لا حقيقة،ولا مجازا .[2]

وفي بعض الحواشي: حاصل هذا الوجه يرجع إلى إطلاق اسم السـبب علـى المسبب.

بيانه أن الملك إذا أمر بالقتل ،فالقا تل هو المباشر، وأمر الملك هـو السـبب ، فإذا قيل: قتل الملك فلانا ، أطلقوا على المسبب اسم السبب .

قوله:(وإما أن صورة صنعهم مع الله) إلى آخره

قال الشيخ سعد الدين: حاصل هذا الوجه أن المراد بالخداع المعاملـة الشـبيهة به، فيكون استعارة تبعية تمثيلية .[3]

وقال الشريف : الحاصل أن بينهم مـن الجـانبين معاملـة شـبيهة بالمخادعـة ، فقوله : ﴿يخادعون﴾ استعارة تبعية ، وليس في هذا اعتبار هيئة مركبـة مـن الجـانبين، وما يجري بينهما مشبهة بهيئة أخرى مركبة من الخادع والمخدوع والخدع؛ ليحمـل الكلام على الاستعارة التمثيلية .[4]

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٢٧٦ .

(٢) حاشية سعد الدين ل٣٠ .

(٣) حاشية سعد الدين ل٣٠ .

(٤) حاشـية الشـريف ١/ ١٧١ قلـت : اتفقـت كلمـة هـؤلاء الـرازي ، والراغـب ، وسـعد الديـن ، والشريف على أن خداع المنافقين الله والمؤمنين مؤول عن ظاهره ، وهو تـأويل غـير مرضـي ، محجوج باتفاق كلمة أهل السنة قبلهم على أن نصوص الوحيين على ظاهرها مـا لـم يمنـع منه قاطع عقلي أو سمعي ، و لا قاطع هنا في العقل والسمع يمنع من إجراء الخداع على ظاهره .

قال أبو جعفر الطبري : لا تمنع العرب من أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي هو في ضمـيره تقية ؛ لينجو مما هو له خائف ، فنجا بذلك مما خافه – مخادعا لمن تخلص منه بالذي أظهر لـه من التقية ، فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين بإظهاره ما أظهر بلسانه تقية مما تخلص به من القتل والسباء والعذاب العاجل ، وهو لغير ما أظهر مستبطن . جامع البيان ١/ ٢٧٢ .

قوله : (بإجراء أحكام المسلمين عليهم)

قال الطيبي: يعني به جريان التوارث ، وإعطاء السهم من المغنم، وغيرهما.[1]

قوله : (لأنه بيان لـ« يقول » أو استئناف)

زاد في " الكشاف" : " كأنه قيل: ولم يَدَّعُون الإيمان كاذبين، وما رفقهم في ذلك ؟

فقيل: يخادعون " [2]

قال أبو حيان: وعلى كلا الوجهين لا موضع للجملة من الإعراب .[3]

قوله : (و الفعل متى غولب فيه)

قال الشيخ سعد الدين: أي عورض، وجرى بينه وبين صاحبه مباراة ومقابلة.[4]

قوله : (كان أبلغ)

زاد في " الكشاف" : " لزيادة قوة الداعي إليه [5] "

قوله ": (وَيُخْدَعُوْنَ ويُخَادَعُونَ على البناء للمفعول ،ونصب أنفسهم بنزع الخافض)

قال ابن جني في "المحتسب": وما يُخدعون قراءة عبد السلام بن شداد [6] ، والجارود بن أبي سبرة [7] .

وهذا على قولك: خدعت زيدا نفسه ، ومعنا ه عن نفسه، فإن شئت قلت: حذف حرف الجر، فوصل الفعل، كقوله تعالى « واختار موسى قومه» [سورة الأعراف ١٥٥] أي من قومه، وإن شئت قلت : حمله على المعنى ، فأضمر له ما يناسبه.

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٨٠ .

(٢) الكشاف ١/ ١٧٣ .

(٣)البحر المحيط٢/ ١٣٤ .

(٤) حاشية سعد الدين ل٣١ .

(٥) الكشاف ١/ ١٧٣

(٦) هو عبد السلام بن أبي حازم – واسمه شداد – أبو طالوت العبدي القيسي البصري ، روى عن أنس ابن مالك ، روى عنه وكيع بن الجراح ، روى له أبو داود ، ثقة . كتاب الثقات ٥/ ١٣١ وتهذيب الكمال ١٨/ ٦٤ .

(٧) هو جارود بن أبي سبرة الهذلي البصري ، روى عن أنس بن مالك ، وروى عنه ثابت البناني ، روى له البخاري في القراءة خلف الإمام ، و أبو داود ، صالح الحديث ، توفي سنة عشرين ومائة بالبصرة . كتاب الثقات ٤ / ١١٤ وتهذيب الكمال ٤/ ٤٧٥ .

وذلك أن قولك: خدعت زيدا عـن نفسـه يدخلـه معنـى انتقصته نفسـه، فلمـا تضمن معناه أجري مجراه في الاستعمال .

وعليه قوله تعالى ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفـث إلـى نسـائكم﴾ [سـورة البقـرة ١٨٧] وأنت لا تقول : رفثت إلى المرأة ، وإنما تقول : رفثت بها، لكن لمـا ضمـن معنى الإفضاء عدي ب " إلى "، كما يعدى أفضيت ب " إلى " (١)

وقال أبو حيـان: ومـن قـرأ ﴾ ومـا يُخَـادَعُوْنَ﴾ أو ﴿ يُخْدَعُـوْنَ ﴾ مبنيـا للمفعـول فانتصاب ما بعد إلاّ على ما انتصب عليه " زَيْدٌ غُبِـنَ رَأْيَـهُ" إمـا علـى التميـز علـى مذهب الكوفيين، وإما على التشبيه بالمفعول به، على ما زعم بعضهم ، وإمـا علـى إسقاط حـرف الجـر ، أي فـي أنفسـهم، أو عـن أنفسـهم، أو ضمـن الفعـل معنـى ينتقصون ويسلبون، فينتصب على أنه مفعول به، كما ضمن الرفث معنـى الإفضـاء، فعدي ب"إلى" ،ولا يقال: رفث إلى كذا، وكما ضمن ﴿ هـل لـك إلـى أن تزكـى﴾ [سورة النازعات ١٨] معنى أدعوك، ولا يقال إلا :هل لك في كذا (٢) .

قوله:(و النفس ذات الشيء، وحقيقته) زاد الإمام: ولا تختص بالأجسام(٣).

قوله :(ثم قيل للروح) إلى آخره

قال الشيخ سعد الدين ،والشريف: ظاهر هذا الكلام أن لفظ النفس حقيقـة فـي الذات، مجاز فيما عداها .

وكذا قال القطب، وعلله بأن الذات تقوم بالروح،و بالقلب وبالدم، وبالماء(٤).

وقال الطيـبي: قوله : " ثم قيل للقلب : نفس " متفرع على الأول،وقوله :" للدم نفس" متفرع على الثاني ، يدل عليه " لأن قوامها " أي قوا م الروح بالدم (٥) .

وقال الشريف : إطلاق النفس علـى الـرأي مـن قبيـل تسـمية المسـبب باسـم السبب ، أو استعارة مبنية على المشابهة (٦) .

قوله:(جعل اللحوق وبال الخداع) إلى آخره.

---

(١) المحتسب ١/ ٥١ .

(٢) البحر المحيط ٢/ ١٤٤ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٦٣ .

(٤) حاشية سعد الدين ل ٣١ وحاشية الشريف ١/ ١٧٥ وحاشية قطب الدين ل ١٩.

(٥) الكشاف ١/ ١٧٥ وفتوح الغيب ١/ ٢٨٦ .

(٦) حاشية الشريف ١ / ١٧٥

قال الشيخ سعد الدين: يعني أن قوله ﴿ لا يشعرون ﴾ أبلغ وأنسب من ﴿ لا يعلمون﴾ [1]

قوله: (لأنها مانعة من نيل الفضائل) إلى آخره .

بيان لعلاقة المجاز، وهو مأخوذ من كلام الراغب [2] .

قوله : (و الآية تحتملهما)

أقول : الذي عليه أهل التفسير حمل الآية على الثاني، وهو المجاز، فقد أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، و عكرمة [3] ، والحسن، و الربيع ، وقتادة [4] ، ولم يحكيا خلافه عن أحد .والتفسير مرجعه النقل.

والعجب من المصنف، وصاحب" الكشاف" أنهما في أكثر المواضع القرآنية والحديثية يحملان ما ظاهره الحقيقة على المجاز والاستعارة، مع عدم الداعية إليه، ومع تصريح أئمة الحديث والأجلاء بأن المراد الحقيقة على ظاهره ،ويساعدهما الشريف ،ومن جرى مجراه على ذلك ، ويتركون أئمة الحديث بقولهم: زعم أهل الظاهر! ولا مستند لهم في ذلك إلا قولهم: إن المجاز أبلغ من الحقيقة .

وهاهنا ورد التفسير عن الصحابة والتابعين بالمجاز ،ليس إلا،فلم يقتصروا عليه،وزادوا الحقيقة.

وليس في المتكلمين على الكشاف أكثر مشيا على طريقة المحدثين من الطيبي، فإنه كان - مع إمامته في المعقولات- محدثا صوفيا

قوله: (﴿ أليم ﴾ أي مؤلم)

قال أبو حيان: وفعيل بمعنى مفعل مجاز.[5]

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كل شيء في القرآن أليم فهو

---

(١) حاشية سعد الدين ل ٣١ .

(٢) تفسير الراغب ل ٢٠ .

(٣) هو عكرمة أبو عبد الله القرشي مولاهم المدني ، سمع من عائشة وأبي هريرة وعبد ا لله بن عباس ، روى عنه عمرو بن دينار ، وإبراهيم النخعي ، توفي سنة خمس ومائة . سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢ وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣ .

(٤) جامع البيان ١/ ٢٨٢ وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٩٤ – ١٩٦ .

(٥) البحر المحيط٢/ ١٥٥

الموجع[1] .

قوله :(يقال: ألم ، فهو أليم) إلى آخره

في بعض الحواشي: هـذا فـرار مما قاله الأكثرون، أن أليما بمعنى مؤلم، وجعلوه مثل «بديع السموات و الأرض» [سورة البقرة ١١٧] أي مبدعهما.

وقول الشاعر [2] :

أَمِـنْ رَيْحَانَـةَ الدَاعِـيْ السَّـمِيْعُ ... ...

أي المسمع

والزمخشري يقول: إن فعيلا إنما يكون بمعنى فاعل، أو مفعول من الثلاثي، فأما الرباعي فلا يجيء منه فعيل، فلا يقال: فعيل في "أحسن" ولا في "أعطى" فجعل أليما مأخوذا من "ألم" الثلاثي.

ونَظَّرَهُ بقولهم: وجع الرجل، فهو وجيع.

واحتاج إلى مجاز في الإسناد ، وهو أن المتوجع والمتألم هو الإنسان، وقد ينسب ذلك إلى المصدر الحالّ به، فيقال: ضرب وجيع،والوجع إنما هو للمضروب، ويقال: عذاب أليم، والألم إنما هو للمُعَذَّبِ، ونَظَّرَهُ بقولهم :جَدَّ جِدُّهُ، والجد في الأمر هو الاجتهاد، وهو على التحقيق فعل الجادِّ، لا فعل الجِدِّ [3] .

وأما قوله« بديع السموات والأرض » فقد فسره الزمخشري في مكانه بأنه من باب الصفة المشبهة [4] ، بديع السموات كقولك: جميل الوجه، وكريم الأب،وليس المعنى مبدع السموات، بل المعنى بديعة سمواته،كما أن المعنى جميل وجهه ، وكريم أبوه.

وأما قوله :

أمـن ريحانـة الداعـي السـميع ... ...

فقد ذكر الزمخشري-فيما علّق عنه،ورأيته بخطه على حاشية "الكشاف"-أن المراد من ريحانة داع من قلبي، سميع لدعاء داعيها، لا بمعنى مسمع منها.

---

(١) الذي في تفسير القرآن العظيم ١/ ١٩٧ عن أبي العالية في قوله : (ولهم عذاب أليم) قال : الأليم : الموجع في القرآن كله .

(٢) هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، انظر في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١٤٠ .

(٣) الكشاف ١/ ١٧٨ .

(٤) الكشاف ١/ ٣٠٧ .

ويؤيده قوله:

... ...   يُؤَرِّقُنِـــيْ وَأَصْحَـــابِيْ هُجُـــوْعُ

فإن أكثر القلق و الأرق إنما يكون من دواعي النفس وأفكارها. انتهى.

وهذه الحاشية التي أنقل عنها على الإبهام وقع لي منها مجلد علـى سـورة البقـرة، ولم يكتب عليه اسم مؤلفه، فأنا أنقل عنه مبهما، وأظن أنها حاشية الجابردي [١]

قوله:(................ تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيْعُ)

قال الطيـبي: أنشد أوله الزجاج:

وَخَيْـلٍ قَـدْ دَلَفْـتُ لَهُـمْ بِخَيْـلٍ [٢]   ... ...

أي أصحاب خيل.

دلفت :دنوت ، يقال: دلفت الكتيبة في الحرب، أي تقدمـت.والتحيـة مصـدر حييته تحية، أي رب جيش قد تقدمت إليهم بجيش، والتحية بينهم الضرب بالسيف، لا القول باللسان ،كما هو العادة. والوجيع في الحقيقة المضروب ، لا الضرب[٣].

وقال الشريف: يقال:دلفت الكتيبة تقدمت ، ودلـف الشـيخ إذا قـارب الخطـو، وكلا المعنيين حسن هنا،والباء في" بخيل" للتعدية [٤] .

وفي " شرح شواهد سيبويه" للزمخشري:أن هذا البيت لمعدي كرب [٥] .

قوله: (على طريقة قولهم :جَدَّ جِدُّهُ)

قال الطيـبي:أي طريقة الإسناد المجازي [٦] .

وقال الشيخ سعد الدين: ظاهر هذا الكلام أنه من قبيل الإسـناد إلـى المصـدر مثل جد جده، لكن لا يخفى أنه ليس مصدر الفعل المسند ،وإنما يكون كذلـك لـو

---

(١) قابلت النص الذي نقله السـيوطي عـن الحاشـية المبهمـة بحاشـية العلامـة أحمـد بـن الحسـن الجابردي على الكشاف ، فلم يطابق نقله نص الحاشية ، فظهر أن هـذه حاشـية أخـرى لـم تـزل مبهمة ، وأن ظن السيوطي رحمه الله لم يصب المحز .

(٢) لعمرو بن معدي كرب ، انظر في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ١٤٩ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٢٩١

(٤) حاشية الشريف ١/ ١٧٨

(٥) ذكر محقق ربيع الأبـرار ونصـوص الأخبـار للزمخشـري ١/ ٢٤ أن مـن شـرح أبيـات سـيبويه للزمخشري نسخة مخطوطة في مكتبة أحمد الثالث في استانبول ، وهي في إحدى عشـرة ومائـة ورقة .

(٦) فتوح الغيب ١/ ٢٩١ .

قيل: أَلَمٌ أَلِيْمٌ، وَوَجَعٌ وَجِيْعٌ، فمن هنا قد يتكلف فيقال: العذاب هو الألـم الفـادح، والضرب أعني المضروبية هو الوجع.[1]

قوله:(والمعنى بسبب كذبهم)

قال الشريف: أشار بذلك إلى أنَّ لفظة " ما" مصدرية[2].

وقال أبو حيان: زعم أبو البقاء أن كون " ما" موصولـة أظهـر، قـال: لأن الهـاء المقدرة عائدة إلى "الذي "دون المصدر [3] .

ولا يلزم أن يكون ثَمَّ هاء مقدرة ، بل من قرأ﴿ يَكْذِبُوْنَ﴾ بالتخفيف فـالفعل غـير متعد، ومن قـرأ بالتشـديد [4] فـالمفعول محـذوف؛لفهـم المعنـى،تقديـره بكونهـم يُكَذِّبُوْنَ اللهَ في أخباره ، و الرسولَ فيما جاء به [5] .

قوله: (من كَذَّبَهُ)

أي على أنه للتعدية، بمعنى يُكَذِّبُوْنَ النبيَ، أي يعتقدونه كاذبا.

قوله: (أو من كَذَّبَ الذي هو للمبالغة أو التكثير)

قال الطيـبي: الفرق بين الكثرة والمبالغة أن الكثرة تفيد صدور هذا المعنى مـن الشخص مرارا كثيرة ، والمبالغة لا تستدعي المرات ، بل المـراد أن الشـخص فـي نفسه بليغ في كذبه ، كأنه بمنـزلة مرار كثيرة.[6]

وقال الشيخ سعد الدين: المبالغة الزيادة في الكيفية،أي يكذبون كذبا عظيما،و التكثير الزيادة في الكمية من جهة كثرة الفاعلين.[7]

قوله:(مِثْلُ بَيَّنَ الشَّيْءُ) أي اتضح ، بمعنى بان، غير أن بَيَّـنَ أبلـغ؛لأنـه يـدل على كمال ظهور الشيء واتضاحه.

قوله:(وَمَوَّتَتِ البَهَائِمُ) هو بمعنى ماتت ، غير أنه يفيد الكثرة [8] .

---

(١) حاشية سعد الدين ل٣٢ .

(٢) حاشية الشريف١/ ١٧٨ .

(٣) الذي في التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٧ وما هنا مصدرية ، وصلتها يكذبون .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر " يكذبون " بتشـديد الـذال وضـم اليـاء ، وقـرأ عـاصم وحمزة والكسائي " يكذبون " خفيفة بفتح الياء وتخفيف الذال . كتاب السبعة في القراءات ١٤١

(٥) البحر المحيط ٢/ ١٥٧ .

(٦) فتوح الغيب ١/ ٢٩٦ .

(٧) حاشية سعد الدين ل٣٢ .

(٨) في ح:أنه للكثرة .

ففي كلام المصنف لف ونشر مرتب؛فإن بين الشيء راجع إلى المبالغة، وموتت البهائم راجع إلى التكثير، كما أفصح به في "الكشاف" [1]

قوله:(أو من كَذَّبَ الوَحْشِيُّ) إلى آخره

قال الطيبي: فعلى هذا هو استعارة تبعية واقعة على التمثيل.[2]

وقال الشيخ سعد الدين، والشريف: هو مجاز عن كَذَّبَ الذي هو للتعدية، كأنه يَكْذِبُ رأيه وظنه ،فيتردد.[3]

زاد الشريف:ولما كثر استعماله في هذا المعنى وكان حال المنافق شبيهة به جاز أن يستعار لها وإن كان ما تقدم أولى.[4]

قوله:(والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به، حرام كله)

تبع في ذلك " الكشاف [5] " وليس كما قالاه ،بل من الكذب ما هو مباح ،وما هو مندوب، وما هو واجب،كما هو مقرر في كتب الفقه.

وفي الحديث:((كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاثا [6]: الرجل يكذب في الحرب؛فإن الحرب خدعة ،والرجل يكذب على المرأة فيرضيها ،والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما)) [7]

---

(١) الكشاف ١/ ١٧٩

(٢) فتوح الغيب ١/٢٩٦ .

(٣) حاشية سعد الدين ل ٣٢ .

(٤) حاشية الشريف ١/١٧٩ .

(٥) الكشاف ١/ ١٧٨ .

(٦) في د ، ظ، ق :ثلاث .

(٧) و هم المؤلف _ رحمه الله _ فلم يروه الطبراني من حديث النواس بن سمعان ، و لكن رواه أحمد ٤٥ / ٥٥٠ من طريق داود بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بهذا.

روى عن شهر عبد الله بن عثمان بن خثيم ، و داود ابن أبي هند ، و اختلف على كل واحد منهما ، أمّا الاختلاف على عبد الله فرواه داود بن عبد الرحمن عند أحمد ٤٥/ ٥٥٠ و ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ٢٤٥ و الطبراني في المعجم الكبير ٢٤ / ١٦٦ و أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٢ و سفيان الثوري عند أحمد أيضا ٤٥ / ٥٧٤ ، ٥٨٢ و الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٧/ ٣٥٦ و عبد الرحمن بن سليمان الرازي عند الطبري في تهذيب الآثار ١٢٨ و الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٧/ ٣٥٧ و يحيى بن سليم عند الطبراني في المعجم الكبير ٢٤ / ١٦٤ و زهير بن معاوية عند الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ١٦٦ و الفضل بن العلاء

=

رواه الطبراني في " الكبير" من حديث النواس بن سمعان [١].

وروى الطبراني في" الأوسط" :حديث ((الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم، أو دفع به عن دين)) [٢]

قال النووي في" الأذكار": وأما لمستثنى منه فقد روينا في الصحيحين عن أم كلثوم [٣] أنها سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:((ليس الكذاب الذي

عند البغوي في شرح السنة ١٣/ ١١٨ كلهم (داود بن عبد الرحمن ، و سفيان الثوري ، و عبد الرحمن بن سليمان ، و يحيى بن سليم ، و زهير بن معاوية ، و الفضل بن العلاء) عن ابن خثيم، عن شهر ، عن أسماء .

و خالفهم عبد الله بن واقد ، فرواه عند الطبري ١٢٤ و الطحاوي ٧/ ٣٥٦ عن ابن خثيم ، عن أبي الطفيل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أمّا الاختلاف على داود بن أبي هند فرواه عنه يحيى بن زكريا عند الترمذي ٣/ ٤٩٤ ح ١٩٣٩ و عباد بن العوام عند ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ٢٤٦ و معتمر بن سليمان ، و عبد الأعلى بن عبد الأعلى عند الطبري ١٢٧ كلهم (يحيي ، و عباد ، و معتمر ، و عبد الأعلى) عن دواد ، عن شهر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا .

و رواه مسلمة بن علقمة عند الطبري ١٢٥ و ابن السني في عمل اليوم والليلة ٥٦٨ و البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٩١ عن داود ، عن شهر ، عن الزبرقان ، عن النواس بن سمعان ، و رواه أبو عاصم عبيد الله بن عامر عند الطبري ١٢٨ عن داود ، عن شهر ، عن أبي هريرة مرفوعا.

قلت : الظاهر أن الاضطراب و الخلاف من شهر بن حوشب نفسه فإنه كثير الأوهام ، و مع هذا فقد حسّن الترمذي الحديث ، فلعله حسّنه لما يشهد له من حديث أم كلثوم .

(١) هو النواس بن سمعان بن خالد الكلابي ، معدود في الشاميين ، و له و لأبيه صحبة ، روى عنه جبير بن نفير ، و نفير بن عبد الله ، و جماعة . الاستيعاب ٤/ ١٥٣٤ و الإصابة ٦/ ٤٧٨ .

(٢) وهم المؤلف _ رحمه الله _ لم يرو الطبراني الحديث في معاجمه الثلاثة ، و لا في مسند الشاميين، و لكن رواه البزار (كشف الأستار ٢/ ٤٤١)من طريق رشدين بن سعد ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن هبيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان .

قال البزار : لا نعلمه بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد ، و رشدين ، و عبد الرحمن لم يكونا بالحافظين ، إذا انفرد أحد منهما بحديث لا يحتج به ، و لعبد الرحمن مناكير .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٥٤ و فيه رشدين و غيره من الضعفاء .

(٣) هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية ، أسلمت بمكة قبل أن يأخذ النساء في الهجرة إلى المدينة ، ثم هاجرت و بايعت ، فهي من المهاجرات المبايعات ، تزوجها زيد بن حارثة ، ثم الزبير بن العوام ، ثم عبد الرحمن بن عوف ، ثم عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرا و ماتت . الاستيعاب ٤/ ١٩٥٣ و الإصابة ٨/ ٢٩١ .

يصلح بين الناس، فينمي خير أو يقول خيرا))

زاد مسلم قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب،والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته، والمرأة زوجها [1] .

فهذا الحديث صريح في إباحة بعض الكذب للمصلحة.

وقد ضبط بعض العلماء ما يباح منه، وأحسن ما رأيته في ضبطه ما ذكره أبو حامد الغزالي فقال:الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا ،فالكذب فيه حرام؛لعدم الحاجة إليه، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يمكن بالصدق، فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا،وواجب إن كان المقصود واجبا.

فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده، أو عند غيره وديعة،وسأل ظالم يريد أخذها منه وجب عليه الكذب بإخفائها،ولو استحلفه عليها لزمه أن يحلف ، ويُوَرِّيْ في يمينه، وكذا لو كان المقصود حربا، أو إصلاح ذات البين، أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية لا يحصل إلا بالكذب ، فالكذب ليس بحرام، وكذلك كلما ارتبط به غرض صحيح له أو لغيره، فالذي له مثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ليأخذه فله أن ينكره ، أو يسأله السلطان عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكرها ويقول: ما زنيت ،أو ما سرقت مثلا .

وقد اشتهرت الأحاديث بتلقين الذين أقروا بالحدود الرجوع عن الإقرار.

وأما غرض غيره فمثل أن يسأل عن سر أخيه فينكره ،أو نحو ذلك .

وينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب، و المفسدة المترتبة على الصدق، فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضررا فله الكذب، وإن كان عكسه ،أو شك حرم عليه الكذب.[2] انتهى.

وفي الحاشية المشار إليها: هذا الذي ذكره الزمخشري بناء على مذهبه في التحسين والتقبيح،فهم يقولون: الكذب كله قبيح وإن تضمن مصلحة بناء على أن الأحكام تابعة لأوصاف في الذات.

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٩٥٨ ح ٢٥٤٦ و مسلم ٤/ ٢٠١١ ح ٢٦٠٥ .

(٢) إحياء علوم الدين ٩/ ٤٠ و الأذكار ٥٣٩

وأهل السنة يقولون: الكذب للمصلحة مباح، وقد يكون واجبا كما إذا اختفى مظلوم، وسئل عنه فإنه يحرم الصدق في الإعلام به، ويجب الكذب [1]. انتهى.

وهذا الموضع مما مشى على[2] البيضاوي من " الكشاف"،فلم يتنبه أنه على مذهبه، وما تنزه عن الغفلة إلا الله سبحانه.

قوله :(وما روي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات)

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة : ((فيقول إبراهيم إني كذبت ثلاث كذبات [3])) وفي رواية :((وذكر قوله في الكوكب:هذا ربي، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إني سقيم [4]))

وروى الترمذي عن أبي سعيد في حديث الشفاعة: ((فيأتون إبراهيم فيقول:إني كذبت ثلاث كذبات)) ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :((ما منها كذبة إلا ماحل بها عن دين الله))

وفي رواية عند أحمد،وأبي يعلى:((إني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات و الله إن أجادل بهن إلا عن دين الله: قوله : إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لامرأته حين أتى على الملك: أختي[5]))

---

(١) انظر في فتح الباري ٦/ ٣٩٢ ، و عمدة القاري ١٥/ ٢٤٨ فقد نقل فيه مؤلفه اتفاق الفقهاء على أن الكذب جائز ، بل واجب في بعض المقامات .

(٢) في ت، ح: عليه

(٣) رواه أحمد في المسند ١٥/ ١٣٢ و البخاري ٣/ ١٢٢٥ ح ٣١٧٩ و مسلم في ٤/ ١٨٤٠ ح ٢٣٧١ و الترمذي في ٥/ ٢٢٨ ح ٣١٦٦ و أبو داود في ٣/ ٧٩ ح ٢٢٠٥ و النسائي في السنن الكبرى ٧/ ٣٩٦ ح ٨٣١٦ .

(٤) هذه الرواية انفرد بها مسلم ١/ ١٨٦ أعلها أهل العلم ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٣٩١ الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة ، فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارة ، و الذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة ، دون الكوكب ، و كأنه لم يعد مع أنه أدخل من ذكر سارة، لما نقل أنه قاله في حال الطفولية ، فلم يعدّها ؛ لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف ، وهذه طريقة ابن إسحاق ، و قيل : إنما قال ذلك بعد البلوغ ؛ لكنه قاله على طريق الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ ، و قيل : قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيها على أن الذي يتغير لا يصلح للربوبية ، وهذا قول الأكثر أنه قال توبيخا لقومه ، أو تهكما بهم ، وهو المعتمد ؛ و لهذا لم يعدّ ذلك في الكذبات .

(٥) رواه أحمد في ١٧ / ١٠ والترمذي ٥/ ٢١٣ح ٣١٤٨ ، ٦/ ١١ح ٣٦١٥ و ابن ماجه في ٤/ ٢٥٨ ح ٤٣٨٤ و أبو يعلى في مسنده ٢/ ٣١٠ و ليست هذه اللفظة التي عزاها المؤلف إلى أحمد و أبي يعلى عند أحمد ، بل عند أبي يعلى فقط .

وفي الحاشية المشار إليها:حكى ابن خطيب الرَّيِّ أنـه بـاحث رجـلا فـي هـذا الحديث فقال:يجب القطع بكذب الراوي؛لأنه قد ثبـت عصمـة الأنبيـاء، فقـال لـه الرجل:كيف يكذب الـراوي، والحديث ثابت فـي الصحيحيـن ؟ فقـال: تكذيـب الراوي حتى يصدق إبراهيم أولى [1].

قال صاحب الحاشية: وهذا البحث فاسد من ابن الخطيب.

قوله:(فالمراد التعريض)

قال الشيخ أكمل الدين :اختلف في معنى التعريض هاهنا ، فقيـل: هـو خـلاف التصريح،وهو تضمين الكلام دلالة ليس لها فيه ذكر،وقيل: هو اللفظ المشار به إلى جانب،والغرض جانب آخر،وسمي تعريضا لما فيه من التعرج عن المطلوب.[2]

وبهذا الأخير جزم الطيبي ،وقال: يقال: نظر إليـه بعـرض وجهـه،أي بجانبه، ومنه المعاريض في الكلام ، وهي التورية بالشيء.

قال :ونوع من التعريض يسمى الاستدراج، وهو إرخاء العنان مع الخصـم فـي المجاراة؛ليعثر حيث يراد تبكيته، فسلك إبراهيم عليه السلام مع القوم هذا المنهج.

أمـا قولـه فـي الكوكـب: ﴿هـذا ربـي ﴾ فكـان أبـوه وقومـه يعبـدون الأصنـام والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطإ في دينهم، ويرشدهم إلـى أن شيئا منهـا لا يصلح للإلاهية؛لقيام دليل الحدوث فيها،وأن وراءها محدثا أحدثها.

وأما قوله : ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾ فتنبيه على أن الإلاه الذي لـم يقـدر علـى دفـع المضرة عن نفسه كيف يرجى منه دفع الضرر عن الغير.

---

(١) هذه جرأة عظيمة من ابن الخطيب _ سامحه الله _ وهـي شنشـنة نعرفهـا مـن المتكلميـن الذيـن أسلسوا قيادهم للعلوم العقلية ، و أحسنوا الظن بها ، و ابتعـدوا عـن الآثـار ، و ضعـف عندهـم الوازع الديني نحوها .

و لم ينفرد أبو هريرة بذكر الكذبات ،بل تابعه عليه أنس بـن مـالك عنـد البخـاري ٦/ ٢٧٠٨ و مسلم ١/ ١٨١ و عبد الله بن عباس عند أحمد ٤/ ٣٣١ و أبو سعيد الخدري ، سبق تخريجه ، فهل يستطيع ابن الخطيب أن يوجب أيضا قطع كذب رواة هذه الأحاديث الثلاثة ؟

كلا ، بل يمكن أن تعكس هذه الدعوى على ابن الخطيـب ، فيقـال : يجـب القطـع بكـذب ابـن الخطيب في هذه المقولة ؛ لمخالفتها لما يوجب العلم الضروري من الأحاديث .

ثم إن أهل العلم قبلوا هذه الأحاديث ، و وجهوا الكذبات بما لا يتنافى و مكانة و عصمة خليـل الله إبراهيم ، عليه السلام . انظر في التنكيل ٢/ ٢٤٨ ٢٥٣ للعلامة المحقق عبـد الرحمـن بـن يحيى المعلمي ، فقد كتب بحثا مستفيضا قيما في توجيه هذه الأحاديث .

(٢) حاشية أكمل الدين ل ٣٨

وأما قوله : ﴿ إني سقيم ﴾ فإنه عليه السلام أوهمهم أنه استدل بأمارة علم النجوم على أنه سيسقم ليتركوه،فيفعل بالأصنام ما أراد أن يفعل،أو سقيم لما أجد من الغيظ والحنق باتخاذكم النجوم آلهة [1]

قال الشيخ سعد الدين:وأما قوله: هذه أختي فالغرض منه الأخوة في الدين،تخليصا من يد الظالم.[2]

قال الطيبي: فإن قلت :فإذا شهد له الصادق المصدوق بالبراءة فما باله[3] يشهد على نفسه بها؟

قلت: نحن وإن أخرجناها عن مفهوم الكذبات باعتبار التورية، وسميناها معاريض فلا ننكر أن صورتها صورة التعريج عن المستقيم، فالحبيب قصد إلى براءة ساحة الخليل عما لا يليق بها، فسماها معاريض، حيث قال: ماحل، أي جادل، وهو معنى التعريض؛لأنه نوع من الكناية، و الخليل لمح إلى مرتبة الشفاعة هنالك، وأنها مختصة بالحبيب، فتجوز في الكذبات.

ويمكن أن يقال:إنهم من هول ذلك اليوم، وما بهم من شأن أنفسهم يدفعونهم بذلك.

هكذا ينبغي أن يتصور هذا المقام؛فإنه من مزال الأقدام، ألا ترى إلى الإمام كيف ذهل عن ذلك، وطعن في الأئمة ، وقال في سورة يوسف: الأولى أن لا يقبل مثل هذه الأحاديث ؛لئلا يلزمنا تكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولاشك أن صونهم عن نسبة الكذب إليهم أولى من صون الرواة. [4] انتهى .

قلت: قد وقع مثل ذلك [5] للإمام في غير ما حديث صحيح أنكره اعتمادا على صعوبة ظاهره، وكذا وقع أيضا للقاضي أبي بكر الباقلاني،ولإمام الحرمين، ولابن فورك[6]، وللقاضي عياض،وللغزالي،وآخرين أجلاء،أنكروا أحاديث، وهي صحيحة

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٢٩٣-٢٩٤ .

(٢) حاشية سعد الدين ل٣٢

(٣) في ت،ح:فما له

(٤) فتوح الغيب ١/ ١٩٥والتفسير الكبير ١٣/ ١٤٨ .

(٥) في د ، ق : هذا .

(٦) هو محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأصبهاني ، شيخ المتكلمين ، كان أشعريا رأسا في الكلام ، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري ، توفي سنة ست وأربعمائة . وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٢ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٤ .

ثابتة في الصحيحين وغيرهما، قابلة للتأويل، وتعجب منهم أئمة الحديث في ذلك، وأرجو أن أجمعها في جزء ، وسيمر بك في هذه الحاشية أشياء منها.

قوله:(عطف على «يكذبون» أو«يقول»)

فيه أمور:

الأول: قال أبو حيان: إذا كان عطفا على « يكذبون» كان موضعه نصبا؛لأنه معطوف على خبر كان، والمعطوف على الخبر خبر، وهي إذ ذاك جزء من السبب الذي استحقوا به العذاب الأليم.

وإذا كان عطفا على « يقول» فلا محل له من الإعراب؛لأنه معطوف على صلة «من» والصلة لا محل لها ، ولا يكون جزءا من السبب [(١)] .

الثاني:قال في " الكشاف":" والأول أوجه [(٢)] "

قال صاحب " التقريب":لأنه أقرب، وليفيد تسببه للعذاب أيضا[(٣)] .

زاد الطيبي: وليؤذن أن صفة الفساد يحترز منها؛لقبحها، كما يحترز من الكذب[(٤)] .

زاد الشيخ أكمل الدين، والشيخ سعد الدين: و لئلا يلزم تخلل البيان، أو الاستئناف فيما بين أجزاء الصلة، أو الصفة.[(٥)]

قال القطب، والطيبي، والتفتازاني،و الشريف: ويمكن أن يقال: إن الثاني أوجه؛ لأن في العطف على«يقول آمنا» تصييرا للآيات على سننن تعديد قبائحهم، فيفيد صفة أخرى لهم على الاستقلال، ولأن قوله« وإذا قيل لهم» « وإذا لقوا» معطوفان على قوله« وإذا قيل لهم لا تفسدوا« فلو عطف على « يكذبون » كانا أيضا معطوفين عليه، فيدخلان في حيز تسبب العذاب، فتنتفي فائدة اختصاص الكذب بالذكر بالكلية [(٦)] .

---

(١) البحر المحيط ٢ / ١٨٣ .

(٢) الكشاف ١/ ١٧٩ .

(٣) التقريب ل ٩

(٤) فتوح الغيب١/ ٢٩٧ .

(٥) حاشية أكمل الدين ل ٣٨ وحاشية سعد الدين ل ٣٢

(؟) حاشية أكمل الدين ل ٣٨ وحاشية سعد الدين ل ٣٢

(٦) حاشية قطب الدين ل ٣٠ وفتوح الغيب ١/ ٢٩٧ وحاشية الشريف ١/ ١٧٩

وعبارة الشيخ سعد الدين: وقد يقال: بل الثاني أوجه ؛لتكون الآيات على سنن تعديد قبائحهم،وتفيد اتصافهم بالأوصاف المذكورة قصدا واستقلالا،وتدل على أن العذاب لاحق بهم من أجل كذبهم الذي هو أدنى حالهم في الكفر والنفاق، فكيف بسائر الأحوال؟

قال: فإن قيل : فالعطف على الاسمية - أعني « من الناس من يقول » - أوفى بتأدية هذه المعاني ،فلم لا يعتد به ؟

قلنا: لأنه لا يفيد دخول هذه الأحوال في ذكر المنافقين، وبيان قصتهم وحالهم، ولا يحسن عود الضمائر إليهم عند من له معرفة بأساليب الكلام [1] .

الثالث:قال أبوحيان: ما أجازه الزمخشري من العطف على « يكذبون» أجازه أيضا أبو البقاء [2] .

وهذا خطأ إن كانت "ما" في قوله« بما كانوا يكذبون» موصولة بمعنى الذي ، وذلك أن المعطوف على الخبر خبر ،و«يكذبون» قد حذف منه العائد على« ما» وقوله« وإذا قيل لهم» إلى آخر الآية لا ضمير فيه يعود على « ما» فبطل أن يكون معطوفا عليه؛إذ يصير التقدير: ولهم عذاب أليم بالذي كانوا «إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون» وهذا كلام غير منتظم؛لعدم العائد، وإن كانت مصدرية فعلى مذهب الأخفش يكون هذا الإعراب أيضا خطأ؛إذ عنده أن ما المصدرية اسم يعود عليها من صلتها ضمير، والجملة المعطوفة عارية منه، وأما على مذهب الجهور فهذا الإعراب شائع [3] . انتهى.

الرابع : قال أبوحيان: لم يذكر الزمخشري ، وأبو البقاء في إعراب هذا سوى أن يكون معطوفا على « يكذبون» أو « يقول » [4]

وزعما أن الأول أوجه، وقد ذكرنا ما فيه.

و الذي نختاره أن يكون من باب عطف الجمل، وأن هذه الجملة مستأنفة، لا موضع لها من الإعراب؛إذ هذه الجملة ،والجملتان بعدها ،هي من تفاصيل الكذب،ونتائج التكذيب.

---

(١) حاشية سعد الدين ل ٣٢ .

(٢) الكشاف ١/ ١٧٩ ولم أجد ا لإحالة في التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء

(٣) البحر المحيط ٢/ ١٨٣ - ١٨٥ .

(٤) الكشاف ١/ ١٧٩ وليس في التبيان في إعراب القرآن ما أحاله إليه المؤلف.

ألا ترى قولهم ﴿ إنما نحن مصلحون﴾ وقولهم﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ وقولهم عند لقاء المؤمنين﴿ آمنا﴾ كذب محض، فناسب جعل ذلك جملا مستقلة، ذكرت لإظهار كذبهم ونفاقهم، ونسبة السفه للمؤمنين واستهزائهم،فكثر بهذه الجمل واستقلالها ذمهم،والرد عليهم.

وهذا أولى من جعلها سيقت صلة جزء كلام؛لأنها إذ ذاك لا تكون مقصودة لذاتها، إنما جيء بها معرفة للموصول إن كان اسما،ومتممة لمعناه إن كان حرفا[1].

قوله: (وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد)

أخرجه ابن جرير من طرق عنه [2].

قوله:(فلعله أراد به أن أهله ليس الذين كانوا فقط، بل وسيكون من بعد من حاله حالهم)

هو جواب ابن جرير، ولفظه: لعله قال ذلك بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهده صلّى الله عليه وسلّم خبرا منه عمن هو جاءٍ منهم بعدهم ، ولما يجئ[3].

قوله:(وكان من فسادهم في الأرض)

قال التفتازاني ،و الشريف: أي من الفساد الناشئ من جهتهم ، لا فسادهم في أنفسهم.

والأولى أن يقول: إفسادهم؛لأن الممالأة ونحوها إفساد،لا فساد [4].

قوله: (هيج الحروب)

يقال :هاج الشيء هيجا وهيجاناً، أي ثار، وهاجه غيره يتعدى، ولا يتعدى.

قال الشيخ سعد الدين والشريف: والأنسب أن يحمل هنا على غير المتعدي؛لأن المتعدي إفساد، لا فساد [5] .

قوله:(وممالأة الكفار)

الراغب: مالأته: عاونته وصرت من ملئه، أي جمعه ، كشايعته، أي صرت من

---

(١) البحر المحيط ٢/ ١٨٥ .

(٢) جامع البيان ١/ ٢٨٧ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/ ٥١

(٣) جامع البيان ١/ ٢٨٩ .

(٤) حاشية سعد الدين ل ٣٢ وحاشية الشريف ١/ ١٧٩

(٥) حاشية سعد الدين ل ٣٢ وحاشية الشريف ١/ ١٧٩ .

شيعته[1]

قوله:(فإن ذلك يؤدي إلى فساد ما في الأرض)

قال التفتازاني،والشريف: توجيه لإطلاق الفساد على هيج الحروب والفتن.

قالا: ولما كان حقيقة الإفساد جعل الشيء فاسدا، ولم يكن صنيعهم كذلك ، بل مؤديا إليهم جعل الكلام من قبيل المجاز باعتبار المآل، أي لا تفعلوا ما يؤدي إلى الفساد، وليس معنى الإفساد الإتيان بالفساد وفعله ليصح حمل الكلام على الحقيقة[2].

قوله: (الهرج والمرج)

الهرج الفتنة والاختلاط،والمرج كذلك،وهو بفتح الراء،وإنما سكن لأجل الهرج ازدواجا للكلام.قاله الجوهري في الصحاح [3] .

قوله:(والقائل هو الله تعالى، أو الرسول، أو بعض المؤمنين)

هو كلام الإمام قال:إن كل ذلك محتمل ،وإن الأقرب أن القائل ذلك من شافههم، إما الرسول ، أو بعض الصحابة [4] .

قلت: و الثاني أقربهما.

قوله:(و المعنى أنه لا تصح مخاطبتنا) إلى آخره.

قال الشيخ سعد الدين: يعني أنه قصر إفراد ؛لأن نهيهم عن الإفساد يشعر بأن فيهم إفسادا، فنفوا ذلك ،بادعاء أنهم مقصورون على الإصلاح ،من غير شائبة إفساد.

وآثروا « إنما» دلالة على أن ذلك ظاهر بين، لا ينبغي أن يشك فيه، فرد الله عليه ذلك بقوله« ألا إنهم هم المفسدون» قصر قلب، أي هم مقصورون على الإفساد ،لا ينتظمون في جملة المصلحين أصلا ،مع المبالغة بالاستئناف المقصود به تمكين الحكم في ذهن السامع فضل تمكن؛لحصوله بعد السؤال و الطلب، وبالتأكيد بحرفي التنبيه والتحقيق المقصود بهما تنبيه السامع للحكم، و تقرره عنده بحيث لا مجال فيه للريبة، وبتعريف الخبر المفيد للحصر، وبتوسط ضمير الفصل المؤكد لذلك ، وبقوله« ولكن لا يشعرون» الدال على أن كونهم مفسدين مما ظهر ظهور المحسوس، لكن لا إحساس لهم ليدركوه .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٧٧٦ .

(٢) حاشية سعد الدين ل ٣٢ وحاشية الشريف ١/ ١٧٩ .

(٣) الصحاح / مادة مرج ، ومادة هرج .

(٤) التفسير الكبير ٢/ ٦٦ .

بقي هاهنا بحث: وهو أن ضمير الفصل إنما يفيد قصر المسند على المسند إليه، وكذا

تعريف الخبر -على ما ذكره صاحب" المفتاح" [١] وشهد به الاستعمال- مثل ﴿ إن الله هو الرزاق﴾ [سورة الذاريات ٥٨] أي لا رازق سواه، فكيف يدل ﴿إنهم هم المفسدون﴾ على أنهم مقصورون على صفة الإفساد، لا يتجاوزونه إلى الإصلاح ؟

والجواب: أنه إذا كان في الكلام ما يفيد القصر فضمير الفصل إنما يفيد تأكيده، سواء كان قصر المسند على المسند إليه، أو بالعكس.

وقد ذكر في" الفائق" أن تعريف المسند يفيد قصر المسند إليه على المسند، وأن معنى((إن الله هو الدهر)) [٢] أنه الجالب للحوادث، لا غَيْرُ الجالِبِ [٣] فيكون المعنى هاهنا أنهم المفسدون ، لا المصلحون.

فالوجه أن يقال: تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند إليه، وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام. انتهى.[٤]

قوله:(وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح)

هو أحد احتمالات الإمام، وهو أوجهها من حيث المعنى وأعمها.

زاد الإمام: وإن فسرنا ﴿لا تفسدوا﴾ بمداراة الكفار كان معنى قولهم ﴿ مصلحون﴾ أن هذه المداراة سعي في الإصلاح بين المسلمين و الكفار [٥] .

قلت : وهو الوارد عن ابن عباس، أخرج ابن جرير عنه في قوله﴿ إنما نحن مصلحون﴾ أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب [٦] .

قوله:(للإستئناف به)

قال الطيبي: أي ترك العاطف ليفيد ضربا من المبالغة [٧] .

قوله :(فإن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقا،

---

(١) مفتاح العلوم ٢٨٦ .

(٢) رواه مسلم ٤/ ١٧٦٣ ح ٥ وأحمد ١٥/ ٧٠ من حديث أبي هريرة .

(٣) انظر في الفائق في غريب الحديث ٤/ ٤٤٧ .

(٤) حاشية سعد الدين ل٣٢-٣٣

(٥) التفسير الكبير ٢/ ٦٦ .

(٦) جامع البيان ١/ ٢٩٠

(٧) فتوح الغيب ١/ ٣٠٠ .

ونظيره ﴿ أليس ذلك بقادر ﴾) [سورة القيامة ٤٠]

عبارة الكشاف" ألا مركبة من همزة الاستفهام،وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا، كقوله ﴿ أليس ذلك بقادر﴾ "[1]قال أبو حيان: والذي نختاره أن" ألا" التنبيهية حرف بسيط؛لأن دعوى التركيب على خلاف الأصل، ولأن ما زعم من أن همزة الاستفهام دخلت على "لا "النافية دلالة على تحقيق ما بعدها ...إلى آخره خطأ؛لأن مواقع "ألا" تدل على أن "لا" ليست للنفي، فيتم ما ادعاه.

ألا ترى أن قولك: ألا إن زيدا منطلق، ليس أصله لا إن زيدا منطلق، إذ ليس من تراكيب العرب ، بخلاف ما نَظَّرَ به من قوله تعالى﴿ أليس ذلك بقادر﴾ لصحة تركيب "ليس ذلك بقادر" ولوجودها قبل "رب"، وقبل "ليت"، وقبل النداء، وغيرها مما لا يتعقل فيه أن "لا" نافية.[2]

وقال الشيخ سعد الدين في عبارة " الكشاف" :يريد أن الهمزة للاستفهام بطريق الإنكار، و"لا" للنفي، وإنكار النفي في قوة تحقيق الإثبات، لكن بعد التركيب صارت كلمة تنبيه، تدخل على ما لا تدخل عليه كلمة "لا" مثل ألا إن زيدا قائم ، ولا تقول: لا إن زيدا قائم، وكذا الكلام في "أما" .

والأكثرون على أنهما حرفان موضوعان ، لا تركيب فيهما . انتهى.[3]

وممن جزم بأنها غير مركبة ابن مالك في " شرح الكافية" فقال: "ألا" المقصود بها العرض، نحو ألا تزورنا، مركبة [4] من "لا" و الهمزة.

وأما"ألا" المستفتح بها فغير مركبة.

وذكر مثل ذلك أيضا صاحب [5]كتاب"رصف المباني في حروف المعاني [6] "

---

(١) الكشاف ١/ ١٨٠

(٢) البحر المحيط٢/ ١٦٨

(٣) حاشية سعد الدين ل٣٣

(٤) شرح الكافية الشافية ٣/ ١٦٥٥ .

(٥) هو أحمد بن عبد النور بن أحمد أبو جعفر المالقي ، كان قيما على العربية ، يشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين وعروض الشعر ، وله كتاب رصف المباني في حروف المعاني ، توفي سنة اثنتين وسبعمائة . الإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ١٩٦ والدرر الكامنة ١/ ١٩٤

(٦) رصف المباني في شرح حروف المعاني ١٦٥ .

وتابع الزمخشري على أنها مركبة ابن يعيش في "شرح المفصل" [1] وابن القواس [2] في "شرح الكافية " [3] .

وقال الشيخ أكمل الدين: مذهب الأكثر أنها مركبة، ومنهم من قال: إنها حرف بسيط مشترك بين التنبيه و الاستفتاح [4] .

قوله:(ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقى به القسم)

قال الشيخ سعد الدين : يعني "إنَّ" والنفي، وذلك لمشاركتهما القسم في كونهما للتأكيد.[5]

وقال أبوحيان: هذا غير صحيح، ألا ترى أن الجملة بعدها تستفتح برب، وبليت، وبفعل الأمر، وبالنداء، وبحبذا في قوله [6] :

ألا حَبَّذَا هِنْدٌ،وأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ ... ...

ولا يتلقى بشيء من هذا القسم [7] .

قلت: قد أشار المصنف إلى هذه الصور النادرة بقوله:(لا تكاد)

قوله:(وأختها "أما" التي هي من طلائع القسم)

قال الطيبي : جمع طليعة، وهي ما يتقدم الجيش، فاستعيرت هنا للمقدمة [8] .

قوله : (وما مصدرية - أو كافة مثلها في ربما)

قال أبوحيان: تبعه في ذلك أبو البقاء [9] .

---

(١) شرح المفصل ٨/ ١١٥ .

(٢) هو عبد العزيز بن جمعة بن زيد عز الدين أبو الفضل القواس الموصلي ، قدم بغداد واستوطنها، وكان يعمل القسي ، قرأ النحو على جمال الدين أبي محمد حسين بن إياز ، شرح ألفية ابن معطي ، وكافية ابن الحاجب ، توفي سنة ثمان وعشرين وستمائة . تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤/ ١/ ٢١٠ ، وبغية الوعاة ٢/ ٩٩ .

(٣) شرح الكافية لعز الدين ابن القواس ج ٢ ل ٢٥٠ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٧٥٥ النحو .

(٤) حاشية أكمل الدين ل ٣٩ ،

(٥) حاشية سعد الدين ل ٣٣ .

(٦) هو الحطيئة ، انظر في ديوان الحطيئة ١٤٠ .

(٧ البحر المحيط ٢/ ١٦٩ .

(٨) فتوح الغيب ١/ ٣٠٠

(٩) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٠ .

وينبغي أن لا تجعل كافة إلا في المكان الذي لا تتقدر فيه مصدرية؛لأن إبقاءها مصدرية مبق للكاف على ما استقر فيها من العمل، وتكون الكاف إذ ذاك مثل حروف الجر الداخلة على "ما" المصدرية، وقد أمكن ذلك في ﴿كما آمن الناس﴾ فلا ينبغي أن تجعل كافة [1] .

وذكر مثل ذلك ابن هشام [2] ، والحلبي [3]، والسفاقسي [4] .

وعبر عن الأخير بقوله: وأيضا فإن غيرها من حرف الجر إذا دخل على "ما" قدرت معه مصدرية، فكذلك الكاف .

واستحسنه الشيخ بدر الدين ابن الدماميني في " حاشية المغني [5] "

وفي الحاشية المشار إليها : الأحسن أن يقال في "ما": إنها كافة مهيئة؛لأنها دخلت على ما يجوز أن يعمل بها الجر.

وقال الشيخ أكمل الدين: أعترض على جعلها كافة بأنه لا ضرورة تدعو إلى ذلك؛لأن جعلها مصدرية مبق للكلام على ما عهد لها من العمل [6] .

وأجيب بأن الكافة أيضا معهودة ،فجاز الحمل عليها.

وقال الشريف : إن كانت "ما" كافة عن العمل، مصححة لدخولها على الجملة كان التشبيه بين مضموني الجملتين : أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم.

وإن كانت مصدرية فالمعنى :آمنوا إيمانا مشابها لإيمانهم.[7]

قوله :(واللام في الناس للجنس، والمراد به الكاملون في الإنسانية) إلى آخره مأخوذ هو من كلام الراغب قال: كل اسم نوع فإنه يستعمل على وجهين:

أحدهما: دلالة على المسمى ،وفصلا بينه وبين غيره.

والثاني: لوجود المعنى المختص به ، وذلك هو الذي يمدح به في نحو:

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٠١ .

(٢) مغني اللبيب ٤٠٠

(٣) الدر المصون ١/ ١٤٣

(٤) المجيد في إعراب القرآن المجيد ١/ ١١٦ .

(٥) حاشية الدماميني على مغني اللبيب ل ١٤٦ نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ٤٤٣٦

(٦) حاشية أكمل الدين ل ٣٩ .

(٧) حاشية الشريف ١/ ١٨٢ .

... ...   إِذِ النَّاسُ نـاسٌ، والزَّمـانُ زَمـانُ.

وذلك أن كل ما أوجده الله تعالى في هذا العالم جعله صالحـا لفعل خـاص، ولا يصلح لذلك العمل سواه، فالفرس للعدو الشديد ،و البعير لقطع الفلاة البعيدة، وعلى ذلك الجوارح كاليد ،و الرجل ، و العين.

والإنسان أُوجِدَ لأن يعلم، ويعمل بحسبه، فكل شيء لم يوجد كاملا لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقا، بل ينفى عنه، كقولهم: فلان ليس بإنسـان، أي لا يوجد فيه المعنى الذي قد خلق لأجله ، فقوله تعالى﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ هـو اسم جنس،لا غير،وقوله ﴿ كما آمن الناس﴾ معناه :كما يفعل من وجد فيه تمام معنى الإنسانية ،الذي يقتضيه العقل و التمييز،وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم [1] .

قوله:(............. إِذِ الناسُ ناسٌ،والزمانُ زمانُ)

أورده في " الحماسة البصرية"هكذا:

أَلا هَلْ إِلَىْ أَجْبَالِ سَلْمَى بِذِي اللِّوَى   لِوَىْ الرَّمْلِ مِـنْ قَبْـلِ المَمَـاتِ مَعَـادُ

بِـلادَ بِهَـا كَنَّـا وكُنَّـا نُحِبُّـــــهَا   إِذِ النَّـــاسُ نَـاسٌ والِبـلادُ بِـلادٌ [2]

ولم يسم قائله.

وقال في " الأغاني": هو لرجل من عاد ،فيما ذكر.

ثم أخرج عن حماد الراوية [3] قال: حدثني ابن أخت لنا من مراد قـال: وليـت صدقات قوم من العرب ،فقال لي رجل منهم: ألا أريك عجبا، فأدخلني في شـعب من جبل، فإذا أنا بسهم من سهام عاد ،من قنا ،قد نشب في ذروة من الجبـل، عليـه مكتوب:

أَلا هَلْ إِلَى أَبْيَاتِ شَمْخٍ إِلَـى اللِّـوَى   لِـوَى الرَّمْـلِ يَوْمـاً لِلْنُّفُـوسِ مَعَـادُ

بِـلادٌ بِهَـا كُنَّـا وكُنَّـا مِـنْ أَهْلِـــهَا   إِذِ النَّـــاسُ نَـاسٌ و البِـلادُ بِـــلادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر فإذا أنا بحجر عليه مكتوب: يا ابـن آدم، يـا عبد

---

(١) تفسير الراغب ل ٢١ .

(٢) الحماسة البصرية ٢/ ١٢٩ .

(٣) هـو حمـاد بـن ميسرة بـن مبارك الديلمـي الكوفـي المعروف بالراويـة ، كـان مـن أعلـم ا لناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، ويقال : إنـه هـو الـذي جمـع السبع الطوال ، توفي سنة خمس وخمسين ومائة . معجم الأدباء ٣/ ١٢٠١ وبغية الوعاة ١/ ٥٤٩ .

ربه اتق الله، ولا تعجل في أمرك، فإنك لن تسبق رزقك ،ولا ترزق ما ليس لك.[1]

قوله:(أو للعهد، و المراد به الرسول ومن معه)

قلت: يؤيده ما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس في قوله ﴿ كما آمن الناس﴾ قال: أصحاب محمد [2] .

وقال أبو حيان: الأولى حملها على العهد، وأن يراد به ما سبق قبل قول ذلك لهم، فيكون حوالة على ما سبق إيمانه؛لأنهم معلومون معهودون عند المخاطبين بالأمر بالإيمان [3] .

قوله:(من أهل جلدتهم)

قال الطيبي: أي جملتهم .

الجوهري: أجلادُ الرجل جسمه وبدنه [4] . كقولهم: فلان بضعة مني، وفي الحديث ((لحمه لحمي ودمه دمي)) [5]أي هو مني ومن جملتي [6] .

قوله:(وأن الإقرار باللسان إيمان)

هذا ذكره الإمام ، وأجاب عنه، فترك المصنف الجواب .

وعبارته:لقائل أن يستدل بهذه الآية على أن مجرد الإقرار إيمان، فإنه لو لم يكن إيمانا لما تحقق مسمى الإيمان إلا إذا حصل فيه الإخلاص، فكان قوله﴿ آمنوا﴾ كافيا في تحصيل المطلوب، وكان ذكر قوله﴿ كما آمن الناس﴾ لغواً

والجواب: أن الإيمان الحقيقي عند الله هو الذي يقترن به الإخلاص ، أمَّا في الظاهر فلا سبيل إليه إلا بالإقرار الظاهر ، فلا جرم افتقر فيه إلى تأكيده﴿ كما آمن الناس﴾ [7] .

قوله:(الهمزة فيه للإنكار)

---

(١) كتاب الأغاني ٢١/١٠٦ .

(٢) جامع البيان ١/ ٢٩٢ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/ ٥٣ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٠٢ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٣٠٢ والصحاح / مادة جلد .

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ١٨ قال الهيثمي : وفيه الحسن بن الحسين العرني وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٩/ ١٤٢ .

(٦) فتوح الغيب ١/ ٣٠٢ .

(٧) التفسير الكبير ٢/ ٦٧ .

قال الشيخ سعد الدين: أي لا يكون ذلك .(١)

قوله:(و اللام مشار بها إلى الناس)

قال الشريف : أي اللام في السفهاء للعهد،وهو الناس سواء أريد به معهودون، أو الجنس.(٢)

قال الطيبي: ويتغير معنى السفهاء بتغير إرادة معنى الناس من كونه جنسا، أو عهدا.(٣)

قوله:(أو الجنس بأسره)

قال الشيخ سعد الدين:أي جنس السفيه على ما يراه بعض الأصوليين من بطلان الجمعية،وتعين الجنسية، أو جنس السفهاء بوصف الجمعية على ما هو قانون العربية.(٤)

قوله:(وإنما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم،أو لتحقير شأنهم) إلى قوله:(أو للتجلد وعدم المبالاة) إلى آخره

ذكر الطيبي: أن الأول مبني على أن اللام في«السفهاء» للجنس،وأن الثاني و الثالث على أنها للعهد (٥) .

وقال التفتازاني،والشريف: الأولان على تقديري العهد والجنس،وأما الثالث فمختص بالعهد.

زاد الشريف: أعني بكون اللام في« السفهاء» مشاراً بها إلى الناس، المراد به هؤلاء فقط، وإنما عطف ب"أو" لأن معنى كلامه أنهم أرادوا بالسفهاء جميع المؤمنين،وسموهم بذلك اعتقادا لأحد الوجهين ، أو أرادوا به بعضهم،وسموهم بذلك تجلدا وترقيا مع علمهم بأنهم من السفه بمعزل (٦) .

قوله:(وسخافة رأي)

هي الرقة، يقال: ثوب سخيف، أي غير صفيق.

---

(١) حشية سعد لدين ل٣٣

(٢) حاشية الشريف ١/ ١٨٢

(٣) فتوح الغيب ١/ ٣٠٤ .

(٤) حاشية سعد الدين ل٣٣

(٥) فتوح الغيب ١/ ٣٠٥ .

(٦) حاشية الشريف ١/ ١٨٢ وحاشية سعد الدين ل ٣٣ .

قوله:(والحلم) هو الأناة.

قوله:(وإنما فصلت الآية)

قال القطب: بالتخفيف من الفصل،وبالتشديد من التفصيل [1] .

وقال الطيبي: التفصيل من الفاصلة،كالتقفية من القافية،وفصلت الآية إذا جعل لها فاصلة. [2]

قوله:(لأنه أكثر طباقا،لذكر السفة)

زاد الإمام: وهو جهل، فطباقه العلم.[3]

وقال الطيبي: هو من باب المطابقة المعنوية؛إذ لو كانت لفظية لقيل: لا يرشدون،فإن الرشد مقابل للسفه، أو قيل: ألا إنهم الجهلاء؛ليقابل «لا يعلمون » [4]

قوله:(ولأن الوقوف على أمر الدين)إلى آخره

قال الطيبي: تلخيص المعنى أن أمر الديانة أمر أخروي يحتاج إلى دقة نظر، فلذلك فصلت الآية التي اشتملت على الإيمان بقوله« لا يعلمون»

وأما أمر البغي والفساد فأمر دنيوي، فهو كالمحسوس المشاهد ، لا يحتاج إلى دقة نظر، فلذلك فصلت الآية ب«لا يشعرون» [5]

الراغب: أصل الشعور من الشعر، ومنه الشعار الثوب الذي يلي الجسد، وشعرت كذا يستعمل على وجهين:

تارة يؤخذ من مس الشعر، ويعبر به عن اللمس، وعنه استعمل المشاعر للحواس، فإذا قيل: فلان لا يشعر فذلك أبلغ في الذم من قولهم: إنه لا يسمع ولا يبصر؛لأن حس اللمس أعم من حس السمع و البصر.

وتارة يقال: شعرت كذا، أي أدركت شيئا، وقالوا: فلان يشق الشعر في كذا إذا دقق النظر فيه، ومنه أخذ الشاعر؛لإدراكه دقائق المعاني [6] .

فظهر أن شعرتُ يستعمل بمعنى أحسست، وبمعنى أدركت، وفطنت.

---

(١) حاشية قطب الدين ل ٣٠ .

(٢) فتوح الغيب١/٣٠٦

(٣) التفسير الكبير٢/٦٨

(٤) فتوح الغيب ١/ ٣٠٦ .

(٥) فتوح الغيب ١/٣٠٧

(٦) تفسير الراغب ل ٢٠ .

فقوله« وما يشعرون» في الآية الأولى نفي الإحساس عنهم، وفي هذه الآية نفي الفطنة ؛لأن معرفة الصلاح والفساد يدرك بالفطنة.

وفي الآية التي بعدهما نفي العلم، وفي نفيهما على هذه الوجوه تنبيه لطيف،ومعنى دقيق، وذلك أنه بين في الأول أن في استعمالهم الخديعة نهاية الجهل الدال على عدم الحس، وفي الثاني أنهم لا يفطنون تنبيها على أن ذلك أيضا لازم لهم؛لأن من لاحس له لا فطنة له، وفي الثالث أنهم لا يعلمون تنبيها على أن ذلك أيضا لازم لهم؛لأن من لا فطنة له لا علم له [١] .

قوله:(فليس بتكرير)

قال الشريف: يريد أنه إذا نظر إلى جزاء الشرطية الأولى- أعني «قالوا آمنا » - توهم أن هناك تكرارا ،مع قوله أول قصة المنافقين« ومن الناس من يقول آمنا»

وإذا لوحظ أنه مقيد بلقائهم المؤمنين ،وأن الشرطية الثانية معطوفة على الأولى، لا على أن كلا منهما شرطية مستقلة كالشرطيتين السابقتين، بل على أنهما بمنزلة كلام واحد ،ظهر أن هذه الآية سيقت لبيان معاملتهم مع المؤمنين وأهل دينهم ، كما أن صدر القصة مسوق لبيان نفاقهم ، فاضمحلَّ ذلك التوهم [٢] .

قوله:(روي أن ابن أُبَيٍّ وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة) الحديث

أخرجه الثعلبي،والواحدي من طريق السدي الصغير [٣] ، عن الكلبي ، عن أبي صالح [٤] ، عن ابن عباس [٥] .

قال الحافظ ابن حجر في كتابه "أسباب النزول" :أبو صالح ضعيف، و الكلبي متهم بالكذب، و السدي الصغير كذاب .

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٣٠٧ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ١٨٤ .

(٣) هو محمد بن مروان الكوفي ، صاحب الكلبي ، يقال له : السدي الصغير ، عامة ما يرويه غير محفوظ ، والضعف على رواياته بين ، واتهمه بعضهم بالكذب .الكامل ٦/ ٢٢٦٦ وميزان الاعتدال ٤/ ٣٢ .

(٤) هو باذام ، ويقال : باذان أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، روى عن علي وابن عباس ، روى عنه الكلبي ، عامة ما يرويه تفاسير ، وما أقل ما له من المسند ، ولم أعلم أحدا من المتقدمين رضيه . الكامل ٢/ ٥٠١ وميزان الاعتدال ٤/٥٣٨ .

(٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢/ ٧٥٣ ، وعنه الواحدي في أسباب نزول القرآن ٢٠ .

قال: وهذا الإسناد سلسلة الكذب، لا سلسلة الذهب.

قال: وآثار الوضع لائحة على هذا الكلام، وسورة البقرة أنزلت في أوائل ما قدم النبي صلّى الله عليه وسلّم المدينة،كما ذكره ابن إسحاق و غيره.

و عليٌّ إنما تزوج فاطمة رضي الله تعالى عنها في السنة الثانية من الهجرة . انتهى [1] .

قوله:(و اللقاء المصادفة) إلى آخره .

الراغب: اللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معا، وقد يعبر به عن كل واحد منهما[2].

الإمام: اللقاء أن تستقبل الشيء قريبا منه [3] .

قوله:(من خلوت بفلان ،وإليه ،إذا انفردت معه)

الراغب: خلا فلان بفلان صار معه في خلاء،وخلا إليه ،انتهى إليه في خلوته[4].

قوله:(أو من خلوت به إذا سخرت منه، وعدي ب"إلى" لتضمنه[5] معنى الإنهاء)

أي على هذا الوجه.

قال في " الكشاف": " ومعناه إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم، وحدثوهم بها، كما تقول:أحمد إليك فلانا، وأذمه إليك [6] "

قال الشيخ سعد الدين، والشريف: أي أنهي حمده وذمه إليك .

قالا: وهذا بيان لحاصل المعنى.

وأما تقدير الكلام: فهو هكذا: ﴿وإذا خلوا﴾ أي سخروا منهين إليهم [7] .

قال أبو حيان: يتعدى خلا بالباء، وب"إلى" والباء أكثر استعمالا، وعدل إلى

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢٣٦ وانظر في الاستيعاب ٤/ ١٨٩٣ والإصابة ٨/ ٥٥

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٧٤٥.

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٦٨ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٢٩٨ .

(٥) كذا في النسخ، وفي طبعات أنوار التنزيل: لتضمين.

(٦) الكشاف ١/ ١٨٤ .

(٧) حاشية سعد الدين ل ٣٣ وحاشية الشريف ١/ ١٨٤ .

"إلى" لأنها إذا عديت بالباء احتملت معنيين:

أحدهما : الانفراد.

والثاني: السخرية، إذ يقال في اللغة: خلوت به ،أي سخرت منه، و"إلى" لا يحتمل إلا معنى واحدا.

و"إلى" هنا معناها انتهاء الغاية ، على معنى تضمين الفعل، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم،وقيل: يقال: خلوت إليه إذا جعلته غاية حاجته (١) .

قوله:(و المراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين) إلى آخره

قال القطب: فهو استعارة ،وإضافة الشياطين إليهم قرينة الاستعارة (٢) .

قوله:(ومن أسمائه الباطل)

قال الشريف: نوع تقوية للاشتقاق (٣)

قوله:(خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية)إلى آخره

قال الشيخ سعد الدين: يعني أن قولهم للمؤمنين « آمنا» كلام مع المنكر،وقد ترك التأكيد،وقولهم لشياطينهم« إنا معكم »كلام مع غير المنكر،وقد أكد ب"إنّ" واسمية الجملة، مع أن مقتضى البلاغة عكس ذلك.

والجواب: أن ترك التأكيد كما يكون لعدم الإنكار فقد يكون لعدم الباعث و المحرك من جهة المتكلم،ولعدم الرواج والقبول من جهة السامع،وكذلك التأكيد كما يكون لإزالة الشك، ونفي الإنكار من السامع ،فقد يكون لصدق الرغبة،ووفور النشاط من المتكلم، ونيل الرواج والقبول من السامع، فلذا جاء« آمنا » بالجملة الفعلية من غير تأكيد ، و«إنا معكم» بالجملة الاسمية مؤكدة ب"إنّ " (٤) .

قوله:(تأكيد لما قبله) إلى آخره.

قال الشريف : لا شبهة في أن معنى قولهم« إنا معكم» هو الثباب على اليهودية، وليس« إنما نحن مستهزؤون» بظاهره تقريرا و تأكيدا لهذا المعنى ، فاعتبر منه لازما يؤكده،وهو أنه رَدٌّ ونَفْيٌ للإسلام، فيكون مقررا للثبات عليها؛لأن رفع نقيض الشيء

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٠٧ .

(٢) حاشية قطب الدين ل ٣٠ .

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٨٥

(٤) حاشية سعد الدين ل ٣٣ .

تأكيد لثباته [١] .

قوله:(أو بدل منه) إلى آخره

قال الشريف: بيانه أنهم قصدوا تصلبهم في دينهم ،وكان في الكلام الأول نوع قصور عن إفادته، إذ كانوا في الظاهر يوافقون المؤمنين في بعض الأمور، فاستأنفوا ا لقصد إلى ذلك بأنهم يعظمون كفرهم بتحقير الإسلام وأهله، فهم أرسخ قدما فيه من شياطينهم.

قال: والحمل على الاستئناف أوجه؛ لكثرة الفائدة،وقوة المحرك للسؤال .

قال: وهذه الوجوه الثلاثة بيان لترك العاطف بين الجملتين في كلامهم[٢] .

قال الطيبي: الفرق بين هذا الوجه-وهو البدل- وبين الأول-وهو كونه تأكيدا- أنه اعتبر في الأول مفهوم الثاني، لتقرير المعنى الأول،واعتبر في هذه العبارةُ والمفهومُ معا، ولا بعد فيه؛لأن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة [٣] .

وقال الشيخ سعد الدين : لما لم يكن ظاهر كونهم مستهزئين تكريرا و تقريرا لموافقتهم الشياطين في الثبات على اليهودية أخذ منه لازما جعله باعتباره تقريرا وتأكيدا ،وهو أنه نفي ورد للإسلام ، فيكون إثباتا وقبولا للكفر، فيكون تأكيدا.

وأما البدل فلا يحتاج إلى اعتبار أخذ اللازم في أحد الجانبين، ويكفي تصادق الثابت على الباطل،و المستهزئين بالحق مع كون الثاني أوفى بالمقصود؛لما في الأول من بعض القصور،حيث يوافقون المسلمين في بعض الأمور.

ثم الظاهر أنه بمنزلة بدل الكل.

وأرباب البيان لا يقولون بذلك في الجملة التي لا محل لها،ويعنون بما لا محل له مالا يكون خبرا، أو صفة،أو حالا،وإن كان في موقع المفعول المقول، فلذا كان الأوجه الاستئناف؛لظهور مظنة السؤال [٤] . انتهى.

وفي الحاشية المشار إليها: لا يريد البدل الذي هو أحد التوابع الخمسة ، فإن ذلك لا يكون في الجمل الاسمية ،وقد جاء في الجمل الفعلية، في قوله تعالى﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب﴾ [سورة الفرقان ٦٨] قوله :

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٨٦ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ١٨٦ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٣١٣ .

(٤) حاشية سعد الدين ل ٣٤ .

﴿يضاعف له العذاب ﴾ بدل من قوله﴿ أثاما ﴾

ومراده بالبدل هنا أن الجملة الثانية- وهي قوله﴿إنما نحن مستهزؤون﴾- تحل محل قوله﴿ إنا معكم ﴾ وتسد مسدها، وتغني عنها غناء البدل عن المبدل منه.

قوله:(والاستهزاء السخرية)

قال الإمام: حده أنه عبارة عن إظهار موافقة مع إبطان ما يجري مجرى السوء، على طريق السخرية.[1]

الراغب: الاستهزاء طلب الهزء،و الهزء مزح في خفية [2] .

قوله:(سمي جزاء الاستهزاء باسمه، كما سمي جزاء السيئة سيئة)

قال الشيخ سعد الدين: تسمية جزاء الشيء باسمه كثير في الكلام،إلا أنه مشكل من جهة المعنى.

وهو استعارة حيث أطلق الاستهزاء على ما يشبه صورته صورته،وهو مشاكلة[3].

وقال الشريف: وجهه ما بين الفعل وجزائه من ملابسة قوية، ونوع سببية مع وجود المشاكلة المحسنة هاهنا [4] .

قوله:(أو ينزل بهم الحقارة والهوان)

قال الشيخ سعد الدين: يعني أنه مجاز عما هو بمنزلة الغاية للاستهزاء، فيكون من إطلاق السبب على المسبب نظرا إلى التصور، وبالعكس نظرا إلى الوجود [5] .

قال الشريف: فيكون من قبيل المجاز المرسل؛ لعلاقة السببية في التصور ،و المسببية في الوجود.

والفائدة المخصوصة بهذا المجاز التنبيه على أن مذهبهم حقيق بأن يسخر منه،ويسخر بهم لأجله [6] .

قوله:(أو يعاملهم معاملة المستهزئ) إلى آخره

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٦٩

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٨٤١ .

(٣) حاشية سعد الدين ل ٣٤ .

(٤) حاشية الشريف ١/ ١٨٧ .

(٥) حاشية سعد الدين ل ٣٤ .

(٦) حاشية الشريف ١/ ١٨٧ .

قال الطيبي: شبه صورة صنع الله من إجراء أحكام المسلمين عليهم في الظاهر- وهو مبطن بادخار العذاب - بصورة صنع الهازئ مع المهزوء به، وهو من الاستعارة التبعية [١]

قوله:(وأما في الآخرة فبأن يفتح لهم -وهم في النار- بابا إلى الجنة) إلى آخره

قلت: هذا مأخوذ من حديث أخرجه ابن أبي الدنيا في " كتاب الصمت" عن الحسن قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :((إن المستهزئين يفتح لأحدهم باب من الجنة ، فيقال: هلم هلم،فيجيء بكربه وغمه ،فإذا جاء أغلق دونه، ثم يفتح لهم باب آخر، فيقال له: هلم هلم ،فيجئ بكربه وغمه ،فإذا أتاه أغلق دونه،فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب، فيقال: هلم لهم، فما يأتيه))

مرسل جيد الإسناد [٢] .

قوله:(وإنما استؤنف به ،ولم يعطف) إلى آخره

قال الشريف: أي ليس ترك العطف فيه لرفع توهم كونه معطوفا على﴿ إنا معكم﴾

فيندرج حينئذ في مقول المنافقين، أو على﴿ قالوا﴾ فيتقيد بالظرف، أعني﴿ إذا

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٣١٤ . قلت : لا حاجة إلى ركوب المجاز والتشبيه ، بل الله يستهزئ بهم في الدنيا والآخرة جزاء استهزائهم استهزاء يليق بالله عز وجل ، على قاعدة أهل السنة والجماعة في أمثال هذه الآية .

قال أبو جعفر ا لطبري : إن الله أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا : إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم – من قولنا لهم : صدقنا بمحمد عليه السلام وما جاء به – مستهزئون . يعنون إنما نظهر لهم ما هو عندنا باطل ، لا حق ولا هدى ، وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء ، فأخبر الله أنه يستهزئ بهم ، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف الذي لهم عنده في الآخرة ، كما أظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في الدنيا ما هم على خلافه في أسرارهم . جامع البيان ١/ ٣٠٣ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ١٦٩ ، من طريق مبارك ، عن الحسن مرسلا، ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ٣٥٠ من طريق الحجاج ، عن أبي هدبة إبراهيم بن هدبة ، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ العراقي : ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلا ، ورويناه في " ثمانيات النجيب " من رواية أبي هدبة – أحد الهالكين – عن أنس . المغن عن حمل الأسفار ٢/ ٨٠٠

خلوا﴾ بل هو لكونه استئنافا [١] .

قوله:(لا يؤبه به)

في "الصحاح" : لا يبالى به [٢] . وفي" النهاية":أي لا يحفل به ؛لحقارته [٣] .

قوله:(إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا)

قال الطيبي: أي على الاستمرار.

قال: وإفادة الفعل المضارع ذلك من اقتضاء المقام، فإنك إذا قلت في مقام المدح:فلان يقري الضيف، ويحمي الحريم ،عنيت أنه اعتاده واستمر عليه، لا أنك تخبر عنه بأنه سيفعله، فكذا أنه تعالى يخبر أن معاملة هؤلاء القوم إنما تقع على هذه الحالة، وإليه الإشارة بقوله:" وهكذا كانت نكايات الله فيهم" [٤] .

قال: ويمكن أن يقال: إن هذا الاستمرار أبلغ من الدوام الذي يعطيه معنى الجملة الاسمية؛لأن النفس إذا اعتادت الشيء ألفته، ولا تحب مفارقته.

قال:

أَلِفْتُ الضَّنَا مِمَّا تَطَاوَلَ مُكْثُهُ فَلَوْ زَالَ عَنْ جِسْمِيْ بَكَتْهُ الجَوَارِحُ [٥]

قوله:(نكايات الله)

في" النهاية": نكيت في العدو أنكي نكاية:إذا أكثرت فيه الجراح و القتل، فوهنوا لذلك [٦] .

قوله:(من مد الجيش، وأمده)

ظاهره أن مدَّ، وأمدَّ واحد، وهو أحد المذاهب في المسألة ، واختيار الزمخشري [٧] .

والثاني: أن مد يستعمل في الشر، وأمد في الخير، نحو﴿ ونمد له من العذاب مدا﴾[سورة مريم ٨١] ﴿ وأمددناهم بفاكهة ﴾[سورة الطور ٢٣]

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٨٧ .

(٢) لم أره في الصحاح

(٣) النهاية / مادة أبه .

(٤) الكشاف ١/ ١٨٨ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٣١٦ ولم أعرف قائل البيت .

(٦) النهاية / مادة نكى .

(٧) الكشاف ١/ ١٨٨ .

والثالث: أن مدّ لما كان من نفسه، وأمد لما كان من غيره، وهو اختيار ثعلب[1].

قوله: (و السماد) هو سرجين ورماد .قاله في " الصحاح " [2] .

قوله : (ويدل عليه قراءة ابن كثير﴿ ويمدهم﴾)ليست هذه القراءة في السبعة .

قوله:(ألطافه) جمع لطف

قال الطيبي: قال نجم الدين الزاهدي الخوارزمي [3] في " كتاب الصفوة ": اللطف في عرف المتكلمين: هو ما يختار عنده المكلف الطاعة تركا وإتيانا، ثم إن ا للطف إذا كان محصلا للواجب يسمى توفيقا، وإذا كان محصلا لترك القبيح يسمى عصمة، وإذا كان مقربا من الواجب، أو ترك القبيح يسمى لطفا مقربا .

قال: وفي "شرح مقامات المصنف": الألطاف عند المتكلمين هي المصالح، وهي الأفعال التي عندها يطيع المكلف ، أو يكون أقرب من الطاعة على سبيل الاختيار،ولولاها لم يطع، أولم يكن أقرب ،مع تمكنه في الحالين،والواحد لطف بضم اللام وسكون الطاء [4] .

وقال أهل السنة والجماعة في "مسألة خلق الأفعال": إن لله تعالى لطفاً لو فعله بالكفار لآمنوا اختيارا ،غير أنه لم يفعل، وهو في فعله متفضل، وفي تركه عادل.

وقال أبو القاسم القشيري [5] في " كتاب مفاتيح الحجج ومصابيح النهج": اللطف قدرة الطاعة على الصحيح،ويسمى ما يقرب العبد إلى الطاعة، ويوصل إلى الخير أيضا لطفا.

قوله:(والطغيان) إلى قوله:(وأصله تجاوز الشيء عن مكانه)

---

(١) انظر في كتاب إسفار الفصيح ١/ ٤٦٣ .

(٢) الصحاح / مادة سمد .

(٣) لم أعرفه .

(٤) شرح المقامات الزمخشري ١٦ .

(٥) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك أبو القاسم القشيري ، كان فقيهاً بارعاً أصولياً محققاً متكلماً ، صاحب الرسالة التي سارت مغرباً ومشرقاً ، توفي سنة خمس وستين وأربعمائة . سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧ وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٥٣ ولم أقف على ذكر كتابه هذا فضلاً عن الوقوف عليه .

قال الراغب: الفرق بين عدا ،وطغى، وبغى أن العدوان تجاوز المقدار المأمور بالانتهاء إليه والوقوف عنده ،وعلى ذلك قال ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾ [سورة البقرة ١٩٤] أي من تجاوز معكم المقدار المأمور بالانتهاء إليه فتجاوزوا معه قدره ،لتكون العدالة محفوظة في المجازاة .

وأما الطغيان فتجاوز المكان الذي وقفت فيه،ومن أَخَلَّ بِمَا عَيِّنَ له من المواقف الشرعية،و المعارف العقلية ،فلم يرعها فيما يتحراه ويتعاطاه فقد طغى،وعلى ذلك ﴿لما طغى الماء ﴾[سورة الحاقة ١١] أي تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل.

والبغي طلب تجاوز قدر الاستحقاق ،تجاوزه أم لم يتجاوزه، وأصله الطلب، ويستعمل في التكبر؛لأن المتكبر طالب منزلة ليس لها بأهل [١] .

قوله : (والعَمَهُ في البصيرة كالعمى في البصر)

ظاهره اختصاص كل بما ذكر،وهو الذي ذكره ابن عطية [٢] ، وكلام الإمام بخلافه، حيث قال: العمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي ،والعمه في الرأي خاصة، وكذا في " المفردات" للراغب [٣] .

قوله : (قال: ... . أَعْمَى الهُدَى بِالجَاهِلِيْنَ العُمَّهِ [٤])

هو لرؤبة يصف مضلة،وقبله:

وَمَخْفِقٍ مِنْ لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ [٥] ... ...

ومَهْمَهٍ أَطْرَافُهُ فِيْ مَهْمَهِ [٦] ... ...

المهمه المفازة، أراد أنها لا تنتهي سعة، بل أطرافها من جوانبها في مفازة أخرى.

---

(١) تفسير الراغب ل ٢٢ .

(٢) المحرر الوجيز ١/ ١٧٩ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٧١ ومفردات ألفاظ القرآن ٥٨٨ .

(٤) قال الأصمعي : يقول : إذا سلكه الجاهل الذي يتعمه لم يهتد له ، ولا يهتدي له إلا الدليل العالم بالأرض ، ويتعمه : يتردد . شرح ديوان رؤبة ابن العجاج ، نسخة مصورة بمهعد البحوث العلمية برقم ٤٢ أدب ، غير مرقم

(٥) قال الأصمعي : والمخفق البلد الذي يخفق فيه التراب ، أو يخفق فيه الريح ، واللهله القفر المستوي من الأرض الذي ليست فيه أعلام ، والجمع لهاله .

(٦) قال الأصمعي : يقول : أطراف هذا المهمه إلى مهمه غيره ، وإنما يصف بعده .

وأعمى قيل: فعل ماض، أي أخفى طرق الهداية،وقيل: صفة من عَمِـيَ الأَمْـرُ: التبس، أي ملتبس الهداية، أي طرقها على من يجهل ويتحير فيها .

وقال الشريف: أي خَفِيُّ المنار بالقياس إلى من لادراية لـه بالمسـالك، جعـل خفاء العلم عمى بها بطريق الاستعارة [١] .

وقال الطيـبي: العُمَّهُ جمع عَمِهٍ ، وعَامِهٍ ،أي المهمه طريقة مشتبهة على الغبـي ،إذ ليس فيه جادة ،أو منار يهتدى به [٢] .

قوله:(ومنه:

أَخَـذْتُ بالجُمَّـةِ رَأْسـاً أَزْعَـرَا وبِالثَّنَايَـا الوَاضِحَـاتِ الـدُرْدُرَا

وبِـالطَّوِيْلِ العُمْـرِ عُمْـراً جَبْـذَرَا كَمَـا اشْـتَرَى المُسْلِمُ إِذْ تَنَصَّـرَا) [٣]

هو لأبي النجم[٤] . الباء للبدل. والجمة بالضم مجتمع شعر الـرأس. و الأزعـر الأصلع الذي قلّ شعره. والدردر بضم الدالين المهملتيـن مغـرز الأسـنان السـاقطة الباقية الأصول. والعمر عطف بيان للطويل. والجبذر بـالجيم ،والموحـدة ،والـذال المعجمة القصير. والمسلم الذي اشترى النصرانية بالإسلام جبلة بن الأيهم [٥] .

وفي الحاشية المشار إليها: معنـى البيتيـن أنـه اسـتبدل بالشـعر الطويـل شـعرا قصيرا،وبالثنايا البيض الصحيحة أسنانا مهتمة مكسرة الأطراف،وبالشابة التي يرجـى لها طول العمر كبيرة على فم حفرتها.

وموضع الاستشهاد منه قوله:

... ... كمـا اشـترى المسـلم ... ...

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٩٠.

(٢) فتوح ا لغيب ١/ ٣٢١ .

(٣) ديوان أبي النجم العجلي ١٢١ وفيه البيت الأول فقط ، وانظر في الأضداد لابن الأنباري ٧٢ .

(٤) هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله أبو النجم العجلي ، مـن رجـاز الإسـلام الفحـول المقدميـن ، وفي الطبقة الأولى منهم ، وكان من أحسن النـاس إنشـادا . الشـعر والشـعراء ٢/ ٦٠٣ وكتـاب الأغاني ١٠/ ١٥٧ .

(٥) هو جبلة ابن الأيهم بن جبلة الغساني من آل جفنة ، آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام ، عـاش زمنا في العصر الجاهلي ، وقاتل المسلمين في دومة الجندل ، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة ، ثم ارتد وخرج إلى بلاد الروم ، ولم يزل عند هرقل ملك الروم إلى أن توفي . البـدؤ والتـأريخ ٣/ ٢٠٨ ، وتاريخ اليعقوبي ١/ ٢٠٧ والأعلام ٢/ ١١١ .

أي اشترى النصرانية بالإسلام حين تنصر.

قال أبوبكر ابن الأنباري في كتاب" الأضداد" :قال بعض أهل اللغة: كل من آثر شيئا على شيء فالعرب تجعل الإيثار له بمنزلة شرائه، و احتجوا بقول الشاعر.وذكر هذين البيتين [١] .

قوله :(ترشيح للمجاز)

قال الشيخ سعد الدين:هو من رشح الأم ولدها باللبن القليل ، تجعله في فيه شيئا بعد شيء إلى أن يقوى على المص،وفلان يرشح للوزارة: أي يربى، ويؤهل لها [٢] . كذا في " الصحاح".

وفي " الأساس": فلان يرشح للخلافة. وأصله ترشيح الظبية ولدها،تعوده بالمشي، فيرشح،وغزال راشح، ورشح إذا مشى ونزا [٣] .

ومعناه عندهم أن يقرن بالمجاز صفة ،أو تفريع كلام يلائم المعنى الحقيقي، وأكثر ما يكون في الاستعارة، كقولك: جاوزت بحرا يتلاطم أملاجه، وقد يكون في المجاز المرسل،كقولهم: له اليد الطولى ،أي القدرة الكاملة.

قال : وقد ذكرنا في "شرح التلخيص" نبذا من الكلام في أن اللفظ الدال على الترشيح حقيقة، أو مجاز،وفي الفرق بينه وبين الاستعارة التخييلية؛ إذ في كل منهما إثبات لوازم المستعار منه وملائماته .

وأما اشتبهاهه بالاستعارة بالكناية فلا يخطر ببال من له مسكة في علم البيان، لكن ينبغي أن يكون متحققا عندك أن الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة في التصريحية، وبالتخييل في المكنية، وأنه قد يكون مجازا عن الشيء ،وقد لا يكون[٤].

قوله:(وَلَمَّا رَأَيْتَ النَّسْرَ عَزَّ ابنَ دَأْيَةَ وَعَشْعَشَ فِيْ وَكْرَيْهِ جَاشَ لَهُ صَدْرِيْ [٥])

قال الطيبي: النسر طائر،وابن داية الغراب.

---

(١) كتاب الأضداد ٧٢ .

(٢) الصحاح / مادة رشح .

(٣) أساس البلاغة / مادة رشح .

(٤) حاشية سعد الدين ل٣٥ وشرحه المطول على التلخيص ٣٩٩ .

(٥) للكميت بن زيد الأسدي ، انظر في شعر الكميت بن زيد الأسدي ١/ ١/ ٢٤١ والرواية الشعر: جاشت له نفسي . وانظر في المزهر ١/ ٥٢٠ .

استعار للشيب النسر، وللشباب الغراب، ثم رشحهما بالوكرين،و هما الرأس واللحية [١] .

وقال الشيخ سعد الدين:معنى عَزَّ غلب. وجاش اضطرب. والوكران استعارة للرأس و اللحية، أو للفودين أعني جانبي الرأس. والتعشيش للحلول و النزول، وهو ترشيح،والتعشيش أخذ العش ، وعش الطير موضعه الذي يأخذه من دقاق العيدان وغيرها للتفريخ، وهو في أفنان الشجر، فإذا كان في جدار، أو جبل، أو نحوهما فهو وكر [٢] .

وقال الشريف: استعار لفظ "النسر" للشيب،ولفظ "ابن داية" -وهو الغراب- للشعر الأسود،ورشح الاستعارتين بذكر التعشيش،وذكر الوكر.

واستعير لفظ الوكرين من معناه الحقيقي للرأس و اللحية،أو للفودين،ولفظ التعشيش للحلول و النزول فيهما مع كونهما مستعارين، ترشيحا لتينك الاستعارتين، لا باعتبار المعنى المقصود بهما، بل باعتبار لفظهما ، ومعناهما الأصلي [٣] .

قوله:(يسمى شفا)بكسر المعجمة وتشديد الفاء.

في " الصحاح":الشف بالكسر الفضل و الربح ، الشف أيضا النقصان، وهو من الأضداد [٤] .

قوله:(لما جاء بحقيقة حالهم عقبها)إلى آخره

قال الطيبي: يعني أن قوله تعالى﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ إلى هنا جار مجرى الصفات الكاشفة عن حقيقة المنافقين ، فلما فرغ منها عقبها ببيان تصوير تلك الحقيقة، وإبرازها في معرض المشاهد المحسوس تتميما للبيان[٥].

قوله:(لأنه يريك المتخيل متحققا، والمعقول محسوسا)

قال القطب: وهاهنا دقيقة أخرى أنيقة، وهي أن المعاني التي يراد تفهمها ربما

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٣٢٦ .

(٢) حاشية سعد الدين ل ٣٥ .

(٣) حاشية الشريف ١/ ١٩٣ .

(٤) الصحاح / مادة شفف .

(٥) فتوح الغيب ١/٣٢٨ .

تكون معقولة صرفة،فالوهم ينازع العقل في إدراكها،حتى يحجبها عن العقل ، فيضرب لها الأمثال ، فيبرزها في معرض المحسوسات ؛ليساعد الوهم العقل في إدراكها؛ لأن شأن الوهم إدراك المحسوس والمحاكاة،ولهذا يبكت الخصم الألد بضرب المثل؛لأن خصومته بسبب انقياده للوهم، ونُبُوُّ الوهم عن طاعة العقل ،فإذا توافقا زالت الخصومة ،لا محالة [(١)] .

قوله:(ثم قيل للقول السائر)

قال الطيبي: ثم نقل هذا المعنى إلى القول السائر، أي المشهور الدائر بين الناس، الذي هو كالعلم للتشبيه، ولأجل كونه علما للتشبيه حوفظ عليه، وحمي عن التغيير.

قال الميداني: حقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بالحال الأولى،قال كعب[(٢)]:

كَانَتْ مَوَاْعِيْدُ عُرْقُوْبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاْعِيْدُهَاْ إلاّ الأَبَاطِيْلُ [(٣)]

قوله:مواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد [(٤)] ، والأعلام لا تغير [(٥)] .

وقال الشيخ سعد الدين: السائر أي الفاشي الممثل موضع ضربه بموضع وروده.

قال : وهذا معنى قولهم: الاستعارة التمثيلية متى فشا استعمالها سميت مثلا[(٦)].

وقال الشريف: أي نقل من معناه اللغوي، إلى معنى آخر عرفي، يتفرع عليه معنى ثالث مجازي.

---

(١) حاشية قطب الدين ل ٢٣ .

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر المشهور ، صحابي معروف ، قدم على النبي صلى الله وسلم بعد انصرافه من الطائف فأنشد قصيدته التي أولها : بانت سعاد .
الاستيعاب ٣/ ١٣١٣ والإصابة ٥/ ٥٩٢ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ٨ .

(٤) مجمع الأمثال ١/ ٧ .

(٥) فتوح ا لغيب ١/ ٣٢٩ .

(٦) حاشية سعد الدين ل ٣٦ .

قال :والسائر هو الفاشي، ويعتبر فيه مع الفشو أن يكون تشبيها تمثيليا ،على سبيل الاستعارة.

وإنما سمي مثلا لأنه جعل مضربه -وهو ما يضرب فيه ثَانِياً- مثلا لمورده- وهو ما ورد فيه أوَّلاً[(١)] - .

وقال القطب: الفرق بين المثل والاستعارة التمثيلية أن في المثل شهرة بحيث يصير علما للحال الأولى التي هي المورد، بخلاف الاستعارة التمثيلية، فكل مثل استعارة تمثيلية، وليست كل استعارة تمثيلية مثلا [(٢)].

قوله : (الممثل مضربه بمورده)

قال الطيبي: مورد المثل هو الحال التي صدر فيها المثل عن مرسله، ومضربه الحال التي شبهت بها، أي شبه حالة مضربه بحالة مورده.

مثاله: قولهم: "في الصيف ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ" مورد المثل هو أن دختنوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عمرو، وكان شيخا كبيرا فكرهته [(٣)] فطلقها ، ثم تزوجها فتى، وأجدبت، فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوبة، فقال عمرو: " في الصيف ضيعت اللبن" فذهبت مثلا [(٤)] .

ومضرب المثل حصول حالة من يطلب شيئا قد فوته على نفسه في أوانه؛لأن فحواه مشابه لذلك، فيستعار المثل بعينه من غير تغيير، وهو تذكير صيغة" ضيعت"لاستعماله في المذكر، بل يورد هكذا على صيغة المؤنث، وإلا لم يكن عارية لذلك [(٥)] .

قوله:(ولا يضرب إلا لما فيه غرابة)

في " الغريب المصنف": كلام نادر غريب خارج عن المعتاد.

وقال الطيبي: اعلم أن غموضة الكلام وكونه نادرا إما أن يكون بحسب المعنى، أو اللفظ.

أما الأول: فأن يرى فيه أثر التناقض، أو التنافي ظاهرا.

---

(١) حاشية الشريف ١/ ١٩٥ .

(٢) حاشية قطب الدين ل ٢٣ .

(٣) في ح، ظ، ق: فتركته.

(٤) مجمع الأمثال ٢/ ٤٣٤ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٣٢٩ .

مثال الأول- في غير المثل- قوله تعالى﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [سورة الأنفال ١٨] فأثبت الرمية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛لأن صورتها وجدت منه، و نفاها عنه؛لأن أثرها فعل الله عز وجل، وكأنَّ الله هو فاعل الرمية على الحقيقة.

وقوله تعالى﴿ ولكم في القصاص حياة ة﴾ [سورة البقرة ١٨٠] للحياة قال الزمخشري: كلام فصيح؛ لما فيه من الغرابة، وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة،وقد جعل ظرفا ومكانا للحياة [١] .

وفي المثل قول الحكم بن عبد يغوث : " رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ [٢] " أثبت الرمية، ونفى الرامي .

ومثال الثاني: ما في الحديث:((إن من البيان لسحرا [٣])) حكم بأن بعض البيان سحر، و المشبه مباح مندوب، و المشبه به حرام محظور.

وأما الثاني فإما أن يحصل فيه ألفاظ نادرة لا تستعملها العامة، نحو قول حباب بن المنذر [٤] : ((أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب [٥])) يضرب في المجرب الذي يستشفى برأيه وعقله، أو أن يكون فيه حذف، أو إضمار ، كما في قوله:"رب رمية من غير رام" أي رب رمية مصيبة من رام مخطئ، أو مراعاة للمشاكلة، نحو:((كما تدين تدان)) أي كما تجازي تجازى، أي كما تعمل تجازى ، فسمى الابتداء جزاء، إلى غير ذلك.

وروى الميداني عن إبراهيم النظام [٦] قال : يجتمع في المثل أربع لا تجتمع

---

(١) الكشاف ١/ ٣٣٣ .

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٤٤ .

(٣) رواه أحمد ٨/ ٢٧٥ والبخاري ٥/ ١٩٧٦ ح ٤٨٥١ وأبو داود ٥/ ٣٥٥ ح ٤٩٦٨ والترمذي ٣/ ٥٥١ ح ٢٠٢٨ من حديث ابن عمر .

(٤) حباب بن المنذر بن الجموح أبو عمرو الأنصاري السلمي ، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب . الاستيعاب ١/ ٣١٦ والإصابة ٢/ ١٠ .

(٥) رواه البخاري ٦/ ٢٥٠٦ ح ٦٤٤٢ وابن أبي شيبة في المصنف ٤/ ٥٦٣ وابن حبان (الإحسان ٢/ ١٤٥) من حديث ابن عباس .

(٦) هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق شيخ المعتزلة البصري المتكلم ، تكلم في القدر ، وانفرد بمسائل ، وهو شيخ الجاحظ ، وكان شديد الذكاء ، ولم يكن ممن نفعه العلم والفهم ، وقد كفره جماعة . سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٤١ وكتاب الوافي بالوفيات ٦/ ١٤.

في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية.

وزاد ابن المقفع[1] : والوسعة في شعوب الحديث [2] .

قوله:(ولذلك حوفظ عليه من التغيير)

قال الشيخ سعد الدين: ظاهره أن المحافظة على الأمثال وعدم تغييرها من جهة اشتمالها على غرابة.

والأظهر أن ذلك من جهة أن المثل استعارة، فيجب أن يكون هو اللفظ الدال على المشبه به [3] .

وقال الشريف : الأظهر-كما في " المفتاح" -أن المحافظة على المثل إنما هي بسبب كونه استعارة، فيجب لذلك أن يكون هو بعينه لفظ المشبه به ، فإن وقع تغيير لم يكن مثلا ، بل مأخوذا منه، وإشارة إليه، كما في قوله:"الصيف ضيعتَ اللبن" على صيغة التذكير [4] .

قوله:(ثم استعير لكل حال ،أو قصة،أو صفة لها شأن وغرابة)

حاصله أن للمثل مفهوما لغويا،وهو النظير،وعرفيا ،وهو القول السائر ،ثم معنى مجازيا، وهو الحال الغريبة ،استعير المثل لها لعلاقة الغرابة، فإن القول لا يكون سائرا إلا إذا كان فيه غرابة.

قوله: (والذي بمعنى الذين)إلى آخره

جواب سؤال مقدر تقديره: كيف مثلت الجماعة بالواحد ؟

وحاصل ما أجاب به أوجه : استعمال الذي في موضع الذين على طريقة الحذف والتخفيف ، أو إرادة الجنس ، فلا يختص بالواحد؛ليلزم المحذور، أو جعل موصوفه لفظا مفردا دالا على معنى الجماعة ،كالفوج .

وبقي رابع ذكره الإمام، وقال: إنه أقوى الأجوبة،وهو أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد ، وإنما شبهت قصتهم

---

(١) هو عبد الله بن المقفع ، أحد البلغاء والفصحاء ورأس الكتاب ، كان يتهم بالزندقة ، وهو الذي عرب كليلة ودمنة ، وهو من أهل فارس ، هلك سنة خمس وأربعين ومائة .
وفيات الأعيان ٢/ ١٥١ وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٨ .

(٢) مجمع الأمثال ١/ ٨ وفتوح الغيب ١/ ٣٣١ .

(٣) حاشية سعد الدين ل ٣٦ .

(٤) مفتاح العلوم ٤٨٤ وحاشية الشريف ١/ ١٩٥ .

بقصة المستوقد.

ومثله ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثـم لـم يحملوهـا كمثـل الحمـار ﴾[سـورة الجمعة ٦] ﴿ ينظرون إليك نظر المغشي عليه [١] ﴾[سورة محمد ٢١]

وهذا مذكور في " الكشاف [٢] " في ذيل الكلام.

وقال الشيخ سعد الدين: لا خفاء في أنه لا يتوجه هذا السؤال بعد مـا ذكـر أن المثل مستعار للحال العجيبة الشأن ، وأن المعنى أن حالهم العجيبـة الشـأن كحـال الذي استوقد نارا، ولهذا قال[٣] آخراً "على أن المنافقين وذواتهم لم يشـبهوا بـذات المستوقد، حتى يلزم تشبيه الجماعة بالواحد".

وقال أبو حيان: من زعم "أن الذي" هنـا هـو "الذيـن" وحذفـت النـون لطـول الصلة فهو خطأ؛لإفراد الضمير في الصلة، ولا يجوز الإفراد للضمير؛لأن المحذوف كالملفوظ،ألا ترى جمعه في قوله تعالى﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾[سـورة التوبـة ٧٠]

قال :والذي نختاره أنه أفرد لفظا وإن كان في المعنـى نعتـا لمـا تحتـه أفـراد ، فيكون التقدير :كمثل الجمع الذي استوقد نارا [٤] .

قوله : (كما في قوله﴿ وخضتم كالذي خاضوا﴾)

فرق ابن عطيـة بيـن الآيتيـن بـأن ﴿الـذي اسـتوقد﴾ وصـف للـذات ، و﴿كـالذي خاضوا﴾ وصف لمصدر محذوف، تقديره كالخوض الذي خاضوا، فهو على بابه في الإفراد [٥] ، ونحا إليه القطب [٦] .

قوله:(وإنما جاز ذلك، ولم يجز وضع القائم موضع القائمين)

قـال القطـب: التخفيـف فـي بـاب الـذي مطلـوب، بخـلاف بـاب القـائم

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٧٥ .

(٢) الكشاف ١/ ١٩٧ .

(٣) أي الزمخشري ، انظر : في الكشاف ١/ ١٩٧ وحاشية سعد الدين ل ٣٦

(٤) البحر المحيط ٢/ ٢٤٦ .

(٥) لم أره في المحرر الوجيز لابن عطية ، والعجب أن أغلب إحالـة المؤلـف إلـى ابـن عطيـة غـير موجودة في تفسيره المحرر الوجيز .

(٦) حاشية قطب الدين ل ٢٣ وفيه : نهكوه وحذفوا الياء ، وقالوا : الذ بالكسـر ، ثـم الكسـرة أيضـا فقالوا : الذ ، ثم اختصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين .

والقائمين؛لأمور: كونه وضع وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، فهو ليس مطلوبا بالذات ، بل آلة للوصف بالمعارف، والآلة كلما كانت أخف كانت أحسن.

وأن باب الذي كثير الوقوع في كلام العرب، وما كان أكثر وقوعا فهو جدير بالخفة.

وأنه مستطال بصلته، والاستطالة مؤدية إلى الملالة، فالاختصار مطلوب، وأنه نهك بالحذف للياء ،ثم الكسرة، ثم الذال واللام [1] .

قوله: (وليس الذين جمعه المصحح، بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى)

قال السفاقسي: تعقب ذلك بأنه إنما هو صحيح من جهة اللفظ، وأما من جهة المعنى فهو كالجمع بالواو والنون من حيث إنه لا يكون واقعا إلا على ما اجتمعت فيه شروط ما يجمع بالواو والنون، فلا فرق بين الذين يفعلون وبين الفاعلين، لكن لما كان مبنيا التزم فيه طريقة واحدة إلا عند هذيل ،فإنها أتت بها على صيغة الجمع بالواو والنون رفعا،والياء و النون نصبا وجرا، وكلهم التزم الجمع في الضمير العائد عليه من صلته ،كالجمع [2] . انتهى.

والمتعقب هو أبو حيان [3] .

قوله:(ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه[4]، ثم كسرته، ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين)

قال الحلبي: اعتقد [5] كون"أل" الموصولة بقية" الذي" وليس كذلك ، بل هي موصول مستقل، على أن الراجح من جهة الدليل أنها موصول حرفي.

قال: وليس لمرجح أن يرجح قوله بأنهم قالوا: إن الميم في قولهم:" مُ اللهِ" بقية" أَيْمُنٌ" فإذا انتهكوا"أيمن" بالحذف حتى صار على حرف واحد فأولى أن يقال ذلك فيما بقي على حرفين؛لأن " أل" زائدة على ماهية " الذي" فيكونون قد حذفوا جميع الاسم، وتركوا ذلك الزائد عليه، بخلاف ميم"أيمن".

وأيضا فإن القول بأن الميم بقية"أيمن" قول ضعيف مردود، يأباه قول

---

(١) حاشية قطب الدين ل ٢٣ .

(٢) المجيد في إعراب القرآن المجيد ١٢٥ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٤٨ .

(٤) كذا في النسخ، وفي طبعات أنوار التنزيل: فحذفت

(٥) أي الزمخشري

الجمهور[١] .

وقال السفاقسي:قوله:" إنهم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين و المفعولين" سبقه إليه غيره.

ورُدَّ بأن اللام لو كانت بقية" الذي" في اسم الفاعل و المفعول لكان لها موضع من الإعراب، ولما تخطّاها العامل إلى الصلة، ولجاز وصلها بالجملة، ك"الذي"

قال السفاقسي: ويمكن أن يجاب بأنها أشبهت لام التعريف، فلهذا لم يكن لها موضع من الإعراب، وتخطاها العامل، ولم تدخل على الجمل، كلام التعريف [٢] .

قوله:(أو قصد به جنس المستوقدين)

في بعض الحواشي: يريد به أن اسم الجنس وإن كان مفردا في اللفظ فقد يعامل معاملة الجمع،فيوصف بالجمع،كقوله «عاليهم ثياب سندس خضر» [سورة الدهر ٢٢] بكسر الراء .

فشبه هنا جماعة المستوقدين بجنس المستوقد؛لأنه وإن كان مفردا فالمراد به الكثرة.

قوله: (أو[٣] الفوج الذي استوقد)

أي يقدر موصوفه لفظا مفردا معناه الجماعة، كلفظ الجمع و الفوج ونحوهما.

قوله:(و الاستيقاد طلب الوقود)

الأكثر على أن استوقد هنا بمعنى أو قد،لا على الطلب.

قوله:(وهو سطوع النار)

هو حدة الوقود. ذكره الإمام أخذا من الراغب [٤] .

وفي " الصحاح": سطع يسطع سطوعا: ارتفع [٥] .

قوله:(واشتقاق النار من نار ينور)

زاد في" الكشاف":" و النار جوهر لطيف مضيء ، حار، محرق"

الراغب: النار يقال للهب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة [٦] .

---

(١) الدر المصون ١/ ١٥٧ .

(٢) المجيد ١٢٤ .

(٣) كذا في النسخ، وفي طبعات أنوار التنـزيل: و

(٤) التفسير الكبير ٢/ ٧٥ .

(٥) الصحاح / مادة سطع .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ٨٢٨ .

قوله:(إن جعلتها متعدية)

قال أبو حيان: الأولى في الآية أن تكون« أضاءت» متعدية [١] .

قوله:(أو إلى ضمير النار، وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على الظرف)

قال الطيبي : أي أضاءت النار في الأمكنة التي حول المستوقد [٢] .

قوله:(وتأليف الحول للدوران)

في بعض الحواشي: أن تركيب هذه الحروف كيف كانت تدل على هذا المعنى، كما قالوا: إن الميم و الكاف واللام تدل على القوة، فمنه كمل ، وكلم، وملك، ومكل، ولكم.

قال الشيخ سعد الدين: يقال: حال الشيء، واستحال، أي تغير،وحال عن العهد انقلب، وحال وتحول إلى مكان آخر، تحرك، وحال الإنسان عوارضه التي تتغير عليه،و الحوالة الاسم، من أحال عليه بدينه، والحويل الاسم من حاولت الشيء أردته، والمحالة بالفتح الحيلة، والاستحالة الخروج عن الاستقامة [٣] .

قوله:(«ذهب الله بنورهم» جواب لمّا)

هذا هو الذي اختاره أبو حيان ، والأكثرون [٤] .

وقال الشريف:إنه الظاهر إلا أن فيه مانعا لفظيا، وهو توحيد الضمير في «استوقد» و«حوله» وجمعه في « بنورهم» ومعنويا، وهو أن المستوقد لم يفعل ما يستحق به إذهاب النور، بخلاف المنافق، فجعله جوابا يحتاج إلى تأويل.

وقد نبه على إزالة المانع اللفظي بقوله:"وجمعه للحمل على المعنى"

والمعنوي بقوله:"وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى" إلى آخره [٥] .

قوله:(أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان)

قال الطيبي:أي يكون تفسيرا لمجموع قوله« كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله» خمدت، فبقوا متحيرين متحسرين؛لأن حاصله وتلخيصه: ذهب الله بنور المنافقين، و تركهم في ظلمات لا يبصرون، و البدل-كما قد علم-كالبيان

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٥٦ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٣٣٦ .

(٣) حاشية سعد الدين ل ٣٧ .

(٤) البحر المحيط ٢/ ٢٥٧ .

(٥) حاشية الشريف ١/ ١٩٨ - ٢٠٠ .

و التفسير للمبدل منه[1] .

وقال أبو حيان: جملة التمثيل -وهي «مثلهم كمثل الذي استوقد نارا» - اسمية، و«ذهب» فعلية، ولا تبدل جملة فعلية من اسمية اتفاقا، وإنما تبدل من فعلية.

وأيضا فالبدل على نية تكرار العامل، و الجملة الأولى لا موضع لها من الإعراب؛ لأنها لم تقع موقع المفرد، فلا تكون الثانية بدلا منها [2] .

وأجاب السفاقسي: بأنه لم يرد البدل الصناعي، وإنما أراد أن جملة « ذهب» مبينة لجملة المثل، وأطلق عليها اسم البدل لما كانت مبينة للأولى، كما أن البدل مبين للمبدل منه [3] .

قال: ثم له أن يمنع أن البدل على نية تكرار العامل ، بل العامل في البدل هو العامل في المبدل منه، وهو ظاهر كلام سيبويه، ولو سلم فإنما ذلك حيث يكون المبدل منه عاملا، كما في المفردات، أو ما جرى مجراها، وإلا لامتنع عطف جملة على جملة لا موضع لها ؛ لأن العطف أيضا قد قيل: إنه على نية تكرار العامل ، ولو لم يكن على نية تكرار العامل فهم يقولون: إن حروف العطف للتشريك في الإعراب ، مع تسويغهم عطف جملة على جملة لا محل لها من الإعراب، فدل على أن ذلك حيث يكون للأول عامل . انتهى [4] .

وفي بعض الحواشي: ليس يعني به البدل النحوي التابع للأول في إعرابه، بل يعني به أن تكون الثانية مفسرة للأولى، قائمة مقامها في المعنى موضحة لها ؛ لأنهم أشبهوا مستوقد النار في ذهاب نورهم بعد ظهوره.

قوله:(و الجواب محذوف)

أي خمدت وانطفأت.

قوله:(كما في قوله تعالى« فلما ذهبوا به » [سورة يوسف ١٥] للإيجاز وأمن الإلباس).

عبارة" الكشاف": " لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس [5] "

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٣٣٨

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٦٠

(٣) فتوح الغيب ١/ ٣٣٨ .

(٤) المجيد ١٢٩ .

(٥) الكشاف ١/ ١٩٨ .

قال أبو حيان:ولا نسلم استطالة الكلام هنا،بخلاف قوله﴿فلما ذهبوا به﴾ فإن الكلام طال بذكر المعاطيف على الفعل ومتعلقاتها [١] .

قلت:ولذلك عدل المصنف عن ذكر الاستطالة إلى ذكر الإيجاز؛لأن هذا القدر لا يرد عليه،كما هو واضح؛إذ الإيجاز موجود في كل حذف، سواء كان في الكلام استطالة أم لم تكن.

ثم قال أبو حيان: وقوله:"مع أمن الإلباس" ممنوع، فأي أمن، ولاشيء يدل على المحذوف.؟

و الذي يقتضيه ترتيب الكلام وصحته ووضعه مواضعه أن جوابه ﴿ ذهب الله بنورهم﴾ فإذا جعل غيره الجواب مع قوة ترتيب ذهاب الله بنورهم على الإضاءة كان لغزا؛إذ ترك شيءٌ يتبادر، وأضمر شيء يحتاج إلى وحي يسفر عنه؛إذ لا دلالة على حذفه[٢] . انتهى.

قوله: (ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة) إلى آخره .

ما ذكره من أن التعدية بالباء أبلغ من الهمزة ذكره المبرد [٣] ، ثم السهيلي [٤] ،ثم صاحب" المثل السائر".

قال : من ذهب بشيء فقد أذهبه، وليس كل من أذهب شيئا فقد ذهب به؛لأن قولنا: ذهب به يفهم منه أنه استصحبه معه، وأمسكه عن الرجوع إلى حالته الأولى، وليس كذلك أذهبه [٥] .

وتوقف فيه صاحب" الفلك الدائر" باستوائهما في معنى التعدية [٦] .

ورده الطيبي بأن ذلك لا يمنع أن تفيد مع التعدية معنى سواها، وليس النزاع إلا فيه، فإن الهمزة للإزالة، و الباء للمصاحبة، وصاحب المعاني لا ينظر إلا إلى الفرق بينهما،واستعمال كل منهما في مقامه،لا إلى التعدية نفسها؛ فإن البحث عنها وظيفة النحوي [٧].

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٥٧ .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٥٨ .

(٣) لم أره في المقتضب .

(٤) الروض الأنف ٣/ ٤١٣ .

(٥) المثل السائر ٢/ ١٦٧ .

(٦) الفلك الدائر ٢/ ١٦٧ .

(٧) فتوح الغيب ١/ ٣٤٢ .

وقال أبو حيان: الباء عند جمهور النحويين ترادف الهمزة، فإذا قلت: خرجت بزيد، فمعناه أخرجت زيدا، ولا يلزم أن تكون أنت خرجت.

وقال المبرد: إذا قلت: قمت بزيد دلّ على أنك قمت، وأقمته،وإذا قلت: أقمت زيدا لم يلزم أنك قمت.ففرق بين الباء و الهمزة في التعدية.

ورد عليه بهذه الآية ونحوها، ألا ترى أن المعنى أذهب الله نورهم، و الله تعالى لا يوصف بالذهاب مع النور.

وأجيب أنه لا يلزم ذلك ؛إذ يجوز أن يكون الله وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به،كما وصف نفسه بالمجيء في قوله﴿ وجاء ربك ﴾[سورة الفجر ٢٣]

والذي يفسد قول المبرد من التفرقة بين الباء و الهمزة قول الشاعر [١]:

دِيَارُ الَّتِي كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَىْ مِنًى ... تَحِلُّ بِنَا لَوْلا نَجَاءُ الرَّكَائِبِ

أي تُحِلُّنا .

المعنى:تصيرنا حلالا غير محرمين، وليست تدخل معهم في ذلك؛لأنها لم تكن حراما فتصير حلالا بعد ذلك [٢] . انتهى .

قوله:(وما أخذه و أمسكه فلا مرسل له) [٣]

في بعض الحواشي: يريد أن نسبة الذهاب إلى الله تعالى أفاد في الكلام قوة في امتناع عود النور،لا تحصل عند فقد ذلك.

قوله:(ولذلك عدل عن الضوء) إلى آخره .

ما أشار إليه من أن الضوء أبلغ من النور ذكره جماعة .

وقال صاحب " الفلك الدائر": هذا غير صحيح؛فإنا تصفحنا كتب اللغة فلم نجدها شاهدة لما ذكروا،والاصطلاح [٤] العرفي مساعد له.

وقد قال ابن السكيت: في "إصلاح المنطق": النور الضياء، فجعلهما شيئا واحدا، قال: وليس في قوله تعالى ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا ﴾

---

(١) هو قيس بن الخطيم ، انظر في ديوان قيس بن الخطيم ٧٧ وروايته : ديار التي كادت

قال شارحه : أي : كادت تحل بنا ركابنا فنقيم عندها من حبنا لها .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٦١ .

(٣) كذا في النسخ، وفي طبعات أنوار التنزيل: يقال: ذهب السلطان بماله إذا أخذه وأمسكه،وما أخذه الله فلا مرسل له من بعده.

(٤) كذا في ا لنسخ ، وفي الفلك الدائر : ولا الاصطلاح .

[سورة يونس ٦] ما يدل على الاختلاف[1] .

وأجاب الطيبي: بأن ابن السكيت بين معناه الحقيقي بحسب الوضع، لا الاستعمال، و الاعتبار المذكور في التفرقة بحسب الاستعمال.

قال : وأما قوله: وليس في الآية المذكورة ما يدل على الاختلاف فيقال له: أفلا نقابل الآية بقوله﴿ فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾[سورة الإسراء ١٣] وقوله تعالى ﴿ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ﴾ سورة نوح ١٧] حتى يعلم الاختلاف للاستعمال [2] .

قوله:(فذكر الظلمة التي هي عدم النور)

زاد الإمام: عما من شأنه أن يستنير [3] . وهي على هذا أمر عدمي .

وزاد " في الكشاف:"وقيل: عرض ينافي النور [4] "

قال الطيبي: فعلى هذا أمر وجودي [5].

قال : ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾[سورة الأنعام ١]

قوله:(وترك في الأصل بمعنى طرح وخَلَّى، وله مفعول واحد، فضمن معنى صير)

قال الطيبي: يوهم أن تقدير الآية مقصور على الثاني، دون الأول .

وقد ذكر ابن الحاجب في " أماليه": أن على الأول مفعول ترك هم و ﴿ في ظلمات ﴾ و ﴿ لا يبصرون ﴾ حالان مترادفان من المفعول [6] .

فيقال: إن المصنف إنما ترك ذكره لظهوره [7].

قوله:(وقول الشاعر [8] :

فتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ ينشنه ... ...)

---

(١) إصلاح المنطق ١٤٢ والفلك الدائر ٤/ ٢٣٣ .

(٢) فتوح الغيب ١/ ٣٤٠ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٧٥ .

(٤) الكشاف ١/ ٢٠١ .

(٥) فتوح ا لغيب ١/ ٣٤٥ .

(٦) كتاب أمالي ابن الحاجب ١/ ٢٦٩ .

(٧) فتوح الغيب ١/ ٣٤٤ .

(٨) هو عنترة بن شداد ، انظر في ديوان عنترة ٢١٠ .

وتمامه................ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ والمِعْصَمِ

هو من معلقة عنترة المشهورة، وقبله

فَشَككْتُ بِالرُّمحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ   لَيسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحرَّمِ

ويروى : فتركته بالنون ، والضمير للقنا .والجزر جمع جزيرة،وهي الشاة التي أعدت للذبح. والنوش التناول .

يقول: قتلته فجعلته عرضة للسباع.

قال الشيخ سعد الدين: البيت نص في كون "ترك" بمعنى صير؛لأن جزر السباع معرفة لا تحتمل الحال، بخلاف الآية؛لجواز أن يكون ترك بمعنى طرح، و ﴿ في ظلمات ﴾ و ﴿ لا يبصرون ﴾ حالين مترادفين، أو متداخلين [(١)].

قوله:(و الظلمة مأخوذة من قولهم: ما ظلمك أن تفعل كذا،أي ما منعك)

قال الشيخ سعد الدين: هذا بعيد جدا [(٢)].

قوله:(أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء) إلى آخره.

هذا هوالوارد، أخرجه ابن جرير عن ابن عباس [(٣)].

قوله:(كأنما إيفت مشاعرهم)

بالبناء للمفعول ، أي أصابتها آفة .

والمشاعر الحواس الخمس.

قوله:(صُمٌّ إِذا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ [(٤)] عِندَهُمْ أَذِنُوا)

هو لعقنب بن أم صاحب[(٥)] ، من بني عبد الله ابن غطفان،وقبله:

إِن يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً   مِنِّي، وَمَا سَمِعُوا مِن صَالِحٍ دَفَنُوا

وَأَذِنُوْا من أذنت للشيء: أصغيت إليه.

وأول القصيدة:

---

(١) حاشية سعد الدين ل ٣٧ .

(٢) حاشية سعد الدين ل ٣٧ .

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٢١ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ٢١١ .

(٤) في د ، ق : بشر .

(٥) هو قعنب بن أم صاحب الفزاري ، من شعراء العصر الأموي ، كان في أيام الوليد بن عبد الملك ، توفي نحو خمسة وتسعين . كتاب من نسب إلي أمه من الشعراء ١/ ٩٣ والأعلام ٥/ ٢٠٢ .

مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيْـقٍ، ثُـمَّ لَـيْسَ لَهُـمْ عَهْدٌ، وَلَيْـسَ لهـمْ دِيْـنٌ، إِذَا ائْتُمِنُـوْا
شِـبْهُ العَصَـافِيْرِ أَحْلَامَـاً وَمَقْـدِرَةً لَوْ يُوْزَنُـونَ بِـزِقِّ الرِيْـشِ مَـا وَزَنُـوْا
جَهْـلاً عَلَيْنَـا وَجُبْـناً عَـنْ عَـدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الخَلَّتَـانِ الجَهْـلُ وَالجُبْـنُ [١]

قوله:(أَصَمُّ عَنِ الشَّيءِ الذَيْ لا أُرِيْدُهُ وَأَسْمَـعُ خَلْـقِ اللَهِ حِيْنَ أُرِيْـدُ [٢])

قال الشيخ سعد الدين: عَدَّىْ "أصم" ب"عن" لتضمين معنى الذهول والغفلـة و الإعراض، وهو أفعل صفة، وأسمع أفعل تفضيل [٣] .

قوله:(وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل، لا الاستعارة)

تابع الزمخشريَّ في كون﴿ صم بكم عمي﴾ وبابه من التشـبيه المحـذوف الأداة، لا من الاستعارة،وقد نقله الزمخشري عن المحققين، وعلله بمـا أشـار إليـه مـن أن شرط الاستعارة أن يحذف المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنـه صالحـا لأن يـراد المنقول عنه، وإليه،لولا دلالة الحال،أو فحوى الكلام [٤] .

وتابعه السكاكي،وعلله بأن مـن شـرط الاسـتعارة إمكـان حمـل الكـلام علـى الحقيقة في الظاهر، وتناسي التشبيه، وزيد أسد لا يمكـن كونـه حقيقـة، فـلا يجـوز كونه استعارة [٥] .

وتابعه صاحب " الإيضاح [٦] "

قال الشيخ بهاء الدين السبكي في "عروس الأفراح":وما قالاه ممنوع،وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر.

قال : بل لو عكس ذلك ، وقيـل:لابـد مـن عـدم صلاحيتـه لكـان أقـرب؛لأن الاستعارة مجاز، لابد له من قرينة، فإن لم تكن قرينة امتنع صرفــه إلـى الاسـتعارة، وصرفناه إلى حقيقته، وإنما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة إما لفظية، أو معنويـة، نحـو

---

(١) من ديوان الحماسة ، انظر فـي شـرح ديـوان الحماسـة ٣/ ١٤٥٠ وكتـاب الأمـالي لأبـي علـي القالي١/ ٢٢ وسمط اللآلي لأبي عبيد البكري ١/ ٣٦٢ .

(٢) قال خضر بن عطا الله الموصلي : لم أطلع على قائلـه . الإسـعاف فـي شـرح شـواهد القـاضي والكشاف ل ٤٩ نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٣١٣ النحو .

(٣) حاشية سعد الدين ل ٣٨ .

(٤) الكشاف ١/ ٢٠٤ .

(٥) مفتاح العلوم ٤٦٣ .

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة ٥/ ٤٢ .

زيد أسد، فالإخبار به عن زيد قرينة صارفة عن إرادة حقيقته .

قال: و الذي نختاره في "زيد أسد" أنه قسمان، تارة يقصد به التشبيه،فتكون أداة التشبيه مقدرة، وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ،ويكون الأسد مستعملا في حقيقته [(١)] ، وذكر زيد والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة إلى الاستعارة، دالة عليها، فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه، وإن لم تقم فنحن بين إضمار واستعارة، والاستعارة أولى، فيصار إليها.

وممن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادي[(٢)] في " قوانين البلاغة" وغيره[(٣)]. انتهى.

والجواب عما قاله أولاً ما ذكره الطيبي أن الشرط المذكور مبني على القول بالإدعاء الذي هو أصل الاستعارة، وهو أن المتكلم يدعي أوَّلاً دخول المشبه في جنس المشبه به ، وأنه فرد من أفراد حقيقته، فصار المستعار كاللفظ المشترك الدائر بين مفهوميه، ولو لا القرينة المبينة لم يعلم المراد [(٤)] .

قوله:(إذ من شرطها أن يطوي ذكر المستعار له) إلى آخره.

قال الطيبي: هذا شرط في المصرحة، لا في المكنية [(٥)] .

قوله: (لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلاحِ مُقْذَفٍ لَهُ لِبَدٌ، أَظْفَارُهُ لم تُقَلَّمِ) [(٦)]

هو لزهير بن أبي سلمى. الشوكة شدة البأس، وحدة السلاح، يقال منه: شاك الرجل، فهو شائك السلاح، وشاكي السلاح مقلوب منه. ومقذف يقذف به، ويرمي به كثيرا إلى الوقائع و الحروب. كذا قال القطب [(٧)] . وقال الطيبي : مقذف كثير اللحم.

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي عروس الأفراح : في غير حقيقته . وهو الصواب .

(٢) هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد موفق الدين البغدادي النحوي المتكلم الطبيب ، كان أحد الأذكياء المتضلعين من الآداب والطب ، ومن تصانيفه قوانين البلاغة ، توفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة . فوات الوفيات ٢/ ٣٨٥ وبغية الوعاة ٢/ ١٠٦ .

(٣) عروس الأفراح ٣/ ٢٩٨ – ٣٠٠ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٣٥١ .

(٥) فتوح الغيب ١/ ٣٥١

(٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٢٣ .

(٧) حاشية قطب الدين ل ٢٥ .

ولبد جمع لبدة، وهي الشعر الذي على رقبته يتلبد [١] .

وقوله:(............. ...أظفاره لم تقلم)

أي براثنه، لا يعتريها ضعف، يقال للضعيف :مقلوم الظفر.

وقد اجتمع في البيت تجريد الاستعارة [٢] ، وترشيحها [٣] ، فالأول شاكي السلاح،مقذف؛لأن الأسد لا يكون له سلاح،ولا يرمي في الحروب، و الثاني باقي البيت. و الاستشهاد بالبيت لقيام دلالة الحال على الاستعارة.

قوله:(ومن ثم ترى المفلقين)

جمع مفلق،وهو الآتي بالفِلق ،بالكسر،وهو الأمر العجيب، أي من أجل أن الاستعارة لا تطلق إلا حيت ترك المستعار له،واقتصر على المستعار منه، يتناسون التشبيه؛لأن التشبيه يستدعي الطرفين، فإذا حذف أحدهما وأدخل ا لمشبه في جنس المشبه به، فكأنه لا تشبيه به، كما في قوله:

ويَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الجَهُولُ ....

فإن الصعود المكاني استعارة للعلو في المرتبة، ونسي التشبيه، فبنى عليه ما يبنى على الصعود المكاني ، من حيث الحاجة في السماء.

قوله:(كما قال أبو تمام:

ويصعد حتى يظن الجهول ... بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ)

هو من قصيدة يرثي بها خالد بن يزيد الشيباني [٤] . أولها:

نَعَاءِ إِلَى كُلِّ حَيٍّ نَعَاءِ ... فَتَى العَرَبِ اخْتَطَّ رَبْعَ الفَنَاءِ

أُصِبْنَا جَمِيْعاً بِسَهْمِ النِّضَالِ ... فَهَلاّ أُصِبْنَا بِسَهْمِ الغِلاءِ

أَلا أَيُّهَا المَوتُ فَجَعْتَنَا ... بِمَاءِ الحَيَاةِ وَمَاءِ الحَيَاءِ

ومنها:

---

(١) فتوح الغيب ١/ ٣٥٢ .

(٢) هي ما قرن بما يلائم المستعار له . شرح عقود الجمان ٩٧ .

(٣) هي ما قرن بما يلائم المستعار منه . شرح عقود الجمان ٩٧ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢/ ١٣٤ .

(٤) هو خالد بن يزيد بن مزيد أبو يزيد الشيباني ، والي أرمينية ، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي ، هو ممدوح أبي تمام ، توفي سنة ثلاثين ومائتين . أخبار أبي تمام للصولي ١٥٨ والأعلام ٢/ ٣٠١ .

مَضَى المَلِكُ الوَائِلِيُّ الَّذِيْ جَلَبْنَا بِهِ العَيْشَ وُسْعَ الإِنَاء
فَأَوْدَي النَّدَى نَاضِرَ العُوْدِوَاَل فُتُوَّةُ مَغْمُوسَةً فِي الفَتَاء
وَأَضْحَتْ عَلَيهِ العُلا خُشَّعاً وَبَيْتُ السَّمَاحَةِ مُلْقَى الكِفَاء
وَقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيْرَ وَالبَهْوَ يَمْلَؤُهُ بالبَهَاء
سَلِ المُلْكَ عَنْ خَالِدٍ والمُلُوْكَ بِقَمْعِ العِدَى وبنَفْيِ العَدَاء
أَلَمْ يَكُ أَقْتَلَهُمْ لِلأُسُوْدِ صَبْراً وَأَوْهَبَهُمْ لِلظِّبَاء
أُصِبْنَا بِكَنْزِ الغِنَى والإِمَامُ أَمْسَى مُصَاباً بِكَنْزِ الغَنَاء

ومنها:

فَمَازَالَ يَفْرَعَ تِلْكَ العُلَى مَعَ النَّجْمِ مُرْتَدِياً بِالعَمَاء
ويرقى حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء [(١)]

قوله :(أَسَدٌ عَلَيَّ ،وفِي الحُرُوْبِ نَعَامَةٌ فَتْخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيْرِ الصَّافِرِ)

هو لعمران بن حِطَّان [(٢)] رأس الخوارج، يخاطب الحجاج، وقد كان لَجَّ في طلبه، وبعده:

هَلاَّ حَمَلْتَ على غَزَالَةَ فِي الوَغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَي طَائِرِ
صَدَعَتْ غَزَالَةُ قَلْبَهُ بِفَوَارِسَ تَرَكَتْ مَدَابِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ [(٣)]

قال الطيبي:فتخاء مسترخية الجناح. و الصفير صوت المكاء.

و النعام يضرب به المثل في الجبن.

قيل: قتل الحجاج شبيبا الخارجي، فحاربته امرأته غزالة سنة، وهرب الحجاج وهي تتبعه، فقيل له ذلك تعييرا.

أي هلا حملت على هذه المرأة في الوغى، بل كان قلبك في الرجف والخفقان كأنه في جناحي طائر [(٤)] .

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ٤/ ٥- ٣٤ .

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان أبو سماك السدوسي البصري ، من أعيان العلماء ، لكنه من رؤوس الخوارج ، روى له البخاري وأبو داود والترمذي ، توفي سنة أربع وثمانين . سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٤ وتهذيب التهذيب ٨/ ١٢٧ .

(٣) كتاب الأغاني ١٨ / ٥٧ .

(٤) فتوح الغيب ١/ ٣٥٤ .

وقال الشيخ : سعد الدين: المعنى أنت أسد، فهو في حكم المنطوق.

قال: وفي التمثيل بهذا البيت إشارة إلى أن ذكر المشبه به وإن ذكر بعده ما يشعر بأنه ليس في معناه، كلفظ" عَلَيَّ" فالكلام تشبيه.

لكنا نقول: النزاع في هذا المقام ليس لفظيا محضا، بل مبنيا على أن اسم المشبه به هاهنا في معنا ه الحقيقي ،حتى لا يستقيم الكلام إلا بتقدير الكاف، فيكون تشبيها أوفي معنى المشبه، كالرجل الشجاع مثلا، ليكون استعارة لمعنى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي، ويصح الحمل من غير تقدير الكاف.

قال : وهذا هو المختار عندي،وقد شهد به الاستعمال،فإن معنى "أسد عليّ" مجترئ صائل، ومعنى"نعامة في الحروب" جبان هارب.

وتقول: هو أخي في الله، وهم إخوتنا في الدين.

قال ابن مالك: إذا قلت: هذا أسد مشيرا إلى السبع فلا ضمير في الخبر، وإذا قلت: مشيرا إلى الرجل الشجاع ففيه ضمير مرفوع به؛لأنه متأوّل بما فيه معنى الفعل، ولو أسند إلى ظاهر لرفعه كقولك: رأيت رجلا أسدا أبوه [1] .

وقال الشريف: " أسد عَلَيَّ "جاز تعلق الظرف به ؛لملاحظة ما يلزمه من الجراءة، لأنه مستعمل في معنى مجترئ صائل، وإلا كان مجازا مرسلا، وفات معنى التشبيه بالكلية، كما في قولك: زيد شجاع، أو مجترئ، وكذلك الحال في نعامة يلاحظ معهما معنى الجبن و الفرار .

وما قيل من: أن " أسدا " في " زيد أسد" مستعمل في المشبه ،أي الرجل الشجاع، فيكون استعارة= مردود بأن هذا المجموع ليس مشبها بالأسد؛فإن الشجاعة خارجة عن الطرفين اتفاقا.

والحق أن أسدا مستعمل هناك في معناه الحقيقي، وقد حمل على زيد، بناء على دعوى كونه من أفراده، فلا يظهر حينئذ تقدير الأداة؛لفوات المبالغة؛فإنك إذا قلت: زيد كالأسد،فقد جعلت مشابهته للأسد مقصودة بالإثبات،وإذا قلت:زيد أسد كان مقصودك إثبات حمله عليه،لا مشابهته إياه،كما في سائر أفراده،ثم إنه قد يلاحظ-على سبيل التبعية لمعناه الحقيقي- ما يلزمه من الجراءة والصولة وغيرهما من المعاني اللازمة، فيعمل في الظرف باعتبار ذلك المعنى التابع، وقد يرفع به

---

(١) شرح ا لكافية الشافية ١/ ٣٤٠ وحاشية سعد الدين ل ٣٨ - ٣٩ .

الفاعل أيضا، نحو رأيت رجلا أسدا أبوه ،إما لقصد معنى المشابهة، أو لاعتبار اللازم ، سواء جعل تابعا أو مستعملا فيه اللفظ. انتهى.[(١)]

قوله:(وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول« تركهم»)

قال أبو حيان: على أن ترك لا يتعدى لمفعولين، أو يكون تعدى إليهما وقد أخذهما.

قال: أو يكون مفعولا ثانيا لترك ،على تعدد الخبر، أو منصوبا على الذم، كأنه قال: أذم صما بكما عميا [(٢)] ..

قوله: :(لا يعودون إلى الهدى) إلى آخره .

قال الطيبي: أي لا يرجعون متعلقة بمحذوف؛فإما أن يقدر المتعلق"إلى" فالرجوع إذن بمعنى الإعادة إلى ما كان ،فالمعنى:لا يعودون إلى الهدى؛لأن المراد تمكنهم من الهدى.

وإما أن يقدر " عن"فالمعنى:لا يرجعون عن الضلالة؛فإن المتمسك بالشيء لا يرجع عنه،وإما أن لا يقدر شيء ،ويترك على الإطلاق [(٣)] .

وفي الحاشية المشار إليها: تلخيصه أنه يصلح أن يكون الضمير في «لا يرجعون» عائدا إلى المنافقين، وأن يكون عائدا إلى المستوقد،والأول يحتمل وجهين؛لأنه يقال: رجع عن الشيء إذا تركه، ورجع إليه إذا أقبل عليه، فعلى الأول فهم لا يرجعون عن الضلالة بعد أن اشتروه، وعلى الثاني فهم لا يرجعون إلى الهدى بعد أن باعوه.

والاحتمال الثاني في أصل المسألة للمستوقدين، ومعناه لا يدرون كيف يذهبون، ولا كيف يرجعون.

قوله:(أي كمثل ذوي صيب)

قال في بعض الحواشي: مراده أن المنافقين لا يشبهون نفس الصيب، وإنما يشبهون مَن أصابه الصيب الموصوف.

قوله:(و"أو" في الأصل للتساوي في الشك، ثم اتسع فيها، فأطلقت للتساوي

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٢٠٦

(٢) البحر المحيط ٢/ ٢٧٢ .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٣٥٤ .

من غير شك)

قال صاحب" الفرائد": الوجه أن يقال: "أو" لتعليق الحكم بأحد المذكورين فصاعدا، والتفاوت في المؤدى إنما يقع بحسب التركيب الذي وقعت فيه، فإن وقعت في الخبر فالحاصل تعلق الحكم بأحدهما،وهو غير معين،فأمكن أن يقع الشك فيه، وإن وقعت في الطلب ولم يمكن وقوع الشك فيه أفاد التخيير و الإباحة، والحاصل أيضا تعلق الحكم بأحدهما، وذلك غير مانع لتعلق الحكم بكل واحد منهما، فعلى هذا لم تلزم الاستعارة،وهي في المواضع كلها على معناها.

قال الطيبي : حاصل تقريره أنَّ" أو" حقيقة في القدر المشترك بين الشك و التخيير والإباحة، وهو تعليق الحكم بأحد الأمرين .

قال الحديثي [1]: دلالة"أو"و"أم" و"إمَّا" على أحد الشيئين، لا غير، وأما الشك والتخيير و الإباحة وغيرها فإنها من صفات الكلام الذي هي فيه، وإضافتها إليها مجاز.

وقال ابن الحاجب في " شرح المفصل": إنما قال المصنف: ويقال في "أو" و"إما" في الخبر: إنهما للشك، بلفظة"يقال" تنبيها على أن ذلك ليس بلازم، إذ قد يكون المتكلم مُبْهِماً.

أما في الأمر فيقال: إنهما للتخيير و الإباحة على وضعهما لإثبات الحكم لأحد الأمرين، إلا أنه إن حصلت قرينة يفهم معها أن الأمر غير حاجز عن الآخر، مثل قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين سمي إباحة، وإلا سمي تخييرا، وهو لأحد الأمرين في الموضعين، وإنما علم نفي حجز الأمر عن الآخر في الإباحة من أمر خارج، كما في النهي، نحو قوله تعالى﴿ ولا تطع منهم آثما أو كفورا ﴾[سورة الإنسان ٢٤] جاء التعميم من جهة النهي الداخل على معنى النفي؛لأن المعنى قبل وجود النهي تطيع آثما أو كفورا، أي واحدا منهما، فإذا جاء النهي تبقى على بابها ويصير المعنى: ولا تطع واحدا منهما، فلا يحصل الانتهاء عن أحدهما حتى ينتهي عنهما مطلقا [2] .

قال الطيبي: وجه التوفيق بين كلاميه في " الكشاف"و" المفصل" هو أن "أو" في

---

(١) لم أعرفه .

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٢١١ و فتوح الغيب ٢/ ٣٦٣ _ ٣٦٤ .

أصل اللغة موضوعة لتساوي شيئين في الشك، ثم فيه طريقان:

أحدهما: أن يستعار لمعنى التخيير أو الإباحة ؛لعلاقة تعليق الحكم بأحد المذكورين ،كما يستعار الأسد للشجاع ؛لعلاقة الجراءة .

وثانيهما: أن يحمل على عموم المجاز؛لتعليق الحكم بأحد المذكورين، فيقال: أما في الخبر فإنها للشك،وفي الأمر للتخيير، و الإباحة، وعلى الأول ورد في " الكشاف" وعلى الثاني في " المفصل".

وفي كلام الزجاج إشعار بما ذهب إليه المصنف . قال: « أو» في قوله تعالى« أو كصيب من السماء » دخلت لغير شك، وهذه يسميها الحذاق باللغة"أو" الإباحة .

والمعنى أن التمثيل مباح لكم في المنافقين، إن مثلتموهم بالمستوقدين فذاك مثلهم،أو مثلتموهم بأصحاب الصيب فهو مثلهم ، أو مثلتموهم بهما جميعا فهما مثلاهم [١] .

قال الطيبي: فاختصاص الحذاق- أي المهرة- بهذا المعنى دون من سواهم دليل على دقة هذا المعنى،ولم يكن كذلك إذا كان حقيقة؛لاستواء الحذاق وغيرهم من أهل اللغة فيه.

وهذا خلاف تلك القاعدة، وهي أن "أو" في الأمر للإباحة؛لكونها داخلة هاهنا على الخبر،وهي للإباحة؛ولأن"أو" عند الإطلاق يتبادر منها الشك، دون ما سواه من المعاني،وذلك أمارة الحقيقة [٢] .

قوله:(وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما)

قال في " الكشاف": فإن قلت :أيُّ التمثيلين أبلغ ؟

قلت: الثاني ؛لأنه أدلّ على فرط الحيرة، وشدة الأمر، وفظاعته،ولهذا أخر،وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ[٣] ".

قوله:(ويقال للمطر وللسحاب)

عبارة " الكشاف":" و الصيب المطر الذي يصوب، أي ينزل ويقع،ويقال

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٩٦ .

(٢) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٤ .

(٣) الكشاف ١/ ٢١٣ .

للسحاب: صيب أيضا " [١]

قال الشريف: أي على أنه صفة له [٢].

وقال الشيخ أكمل الدين: لم يبين أن إطلاقه على السحاب حقيقة أو مجاز، وهو محتمل لهما،والمجاز أبلغ [٣] .

قوله:(قال الشماخ: [٤]

... ... وأسْحَمُ دانٍ صادِقُ الرَّعدِ صَيِّبُ [٥])

صدره:

مَحَا آيَهُ نَسْجُ الجَنُوْبِ مَعَ الصَّبَا ... ...

قال الطيبي : الأسحم: السحاب الأسود. ودان:قريب من الأرض .

صادق الرعد: أي غير خلب.

المعنى: محا آثَارَ رَبْعِ المحبوب،وَغَيَّرَ رُسُوْمَهُ = اختلافُ هاتين الريحين، وتتابع هبوبهما،مثل اختلاف الريحين بنسج الصانع الثوب، فإن إحدى الريحين بمنزلة السَّدَى ،والأخرى اللحْمَةِ، فإن ريح الصبا تهب من جانب المشرق ، والجنوب من يمين من يكون متوجه المشرق [٦] .

وقال الشيخ سعد الدين: لا خفاء في أن هذه الأوصاف إنما تحسن في السحاب، دون المطر [٧] .

وفي الحاشية المشار إليها: صادق الرعد من باب المجاز ، فإن الرعد لما كان مبشرا بالمطر صار كأنه واعد بنزول المطر، ثم صدق وعده بنزوله.

فائدة: الشماخ بالشين المعجمة ، هو ابن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم، شاعر مشهور.

---

(١) الكشاف ١/ ٢١٤

(٢) حاشية الشريف ١/ ٢١٤ .

(٣) حاشية أكمل الدين ل ٥٢ .

(٤) هو الشماخ – وهو لقب ، واسمه معقل – بن ضرار بن سنان ، ويقال : ضرار بن حرملة بن صيفي الذبياني ، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وهو أوصف الشعراء للقوس وللحمير، وأرجز الناس على بديهة . الشعر والشعراء ١/ ٣١٥ وكتاب الأغاني ٩/ ١٥٤ .

(٥) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ٤٣٢ .

(٦) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٥ .

(٧) حاشية سعد الدين ل ٤٠ .

وقد رأيت البيت في " ديوان النابغة الذبياني [1] " من قصيدة يخاطب بها النعمان بن المنذر.

وأولها:

أرَسْماً جَدِيداً مِن سُعادَ تَجَنَّبُ عَفَتْ رَوضَةُ الأَجْدَادِ مِنها فتنضب

محا آيَهُ ريحُ الجَنُوبِ مَعَ الصَّبَا وَأَسْحَمُ دانٍ مُزْنُهُ مُتَصَوِّبُ [2]

قوله:(وفي الآية يحتملهما)

أقول: الثابت في التفسير أن المراد به في الآية المطر.

أخرجه ابن جرير [3] من عدة طرق عن ابن عباس، وعن ابن مسعود،ومجاهد ، وعطاء،وقتادة،والربيع، وابن زيد، وسفيان، ولا مخالف لهم.

قوله:(قال : .... ومن بُعْدِ أرضٍ بَينَنَا وَسَمَاءِ)

صدره :

فَـأَوَّهْ لِذِكْرَاهَا إِذا مـا ذَكَرْتُهَا ... ...

قال الشيخ سعد الدين:حيث نكَّرَ أرضاً ،وسماءً للبعضية؛إذ ليس بينهما بُعْدُ جميع الأرض، وجميع السماء.

يعني أتوجع من ذكراها، ومن حيلولة قطعة من الأرض ، وناحية من السماء بيننا [4] .

وقال الطيبي: سمى بعض الأرض أرضا،وبعض السماء سماء، وأراد ببعد السماء و الأرض، ما تقابل من السماء والأرض، التي بينهما.

ولا يجوز أن يراد بالسماء المطلقة؛ لأنها ليست بينه وبينها[5] .

وقال الشيخ أكمل الدين:الاستشهاد على أنه أراد بالسماء طائفة منها تتخلل بينه وبين محبوبته؛إذ السماء المطلقة ليس بينه وبينها [6] .

---

(١) هو النابغة واسمه زياد بن معاوية بن ضباب أبو أمامة الذبياني ، كان أحسن الشعراء ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا ، كان شعره كلاما ليس فيه تكلف ، ونبغ بالشعر بعد ما احتنك . الشعروالشعراء ١/ ١٥٧ وكتاب الأغاني ١١/ ٣ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ٥٨ .

(٣) جامع البيان ١/ ٣٣٤- ٣٣٥ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/ ٢١٩ .

(٤) حاشية سعد الدين ل ٤٠ .

(٥) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٦

(٦) حاشية أكمل ا لدين ل ٥٢ .

قلت : و البيت أورده ابن جني في " الخصائص[1] " شاهدا على أن "أَوَّ" لغة في "أَوَّهْ" اسم ،بمعنى أتألّم.

قال: ويروى: فأوَّ لذكراها........ ....

وهي لغة فيها.

قوله:(ما في صيب من المبالغة من جهة الأصل)

عبارة" الكشاف": "من جهة التركيب[2] "

قال الشيخ سعد الدين:أي من جهة المادة الأولى ؛لأن الصاد من المستعلية، والياء مشددة، والباء من الشديدة، ومن جهة المادة الثانية،؛لأن الصوب فرط الانسكاب و الوقوع [3] .

قوله:(و البناء)

قال الطيبي:لأنها بنيت على وزن فَيْعِلٍ، وهي صفة مشبهة ،تدل على شيء ثابت[4] .

قال السجاوندي: وهي بناء يختص بالمعتل، وفيه مبالغة.

قوله:(و التنكير)

قال الشيخ سعد الدين: لأنه للتعظيم و التهويل [5] .

قوله : (مع ظلمة الليل)

قال الطيبي: قيل: ظلمة الليل من أين تستفاد من الآية، وليس فيها ما يدل عليها.

فيقال: تستفاد من الجمع، ومقام المبالغة؛فإن أَقَلَّ الجمع ثلاثة [6] .

وقال الشيخ سعد الدين: الغرض إثبات ثلاث ظلمات في الصيب،على ما هو أَقَلُّ الجمع، وظلمة الليل مستفادة من قوله تعالى﴿ كلما أضاء لهم ﴾ الآية [7] .

---

(١) الخصائص ٣/ ٣٨ وانظر في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣ .

(٢) الكشاف ١/ ٢١٤ .

(٣) حاشية سعد الدين ل ٤٠ – ٤١ .

(٤) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٦ .

(٥) حاشية سعد الدين ل ٤٢ .

(٦) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٧ .

(٧) حاشية سعد الدين ل ٤١ .

قوله:(وجعله مكانا للرعد و البرق)

قال الشريف: يعني أن ظرفية السحاب للرعد و البرق ظاهرة،دون ظرفية المطر لهما[1] .

قوله:(لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به)

قال الطيبي:هو من إطلاق أحد المتجاورين على الآخر [2] .

وقال الشيخ سعد الدين:جعلا كأنهما فيه بطريق استعارة كلمة "في "للتلبس المخصوص الشبيه بتلبس الظرفية الحقيقية.

قال: وما قاله الطيبي رُدَّ بأنه يكون المعنى حينئذ: أن في السحاب رعدا وبرقا ، لا في المطر على ما هو المطلوب .

قال: فإن قيل: يكون المراد بالصيب المطر، وبضميره السحابُ المجاورُ له على طريق التجوز.قلنا:فلا يكون ظلمة التكاثف،وظلمة الغمام في المطر إلا أن يقدر:وفيه رعد وبرق، ويراد بالضمير الأول المطر،وبالثاني السحاب الملاصق .

قال:ومنشأ هذه التعسفات الذهول عن اعتبار التجوز في كلمة"في" [3] .

قوله:(وارتفاعها بالظرف وفاقا؛لأنه معتمد على موصوف)

قال الشيخ سعد الدين:يعني الاتفاق على جواز ذلك،بخلاف ما إذا لم يعتمد، فإنه مختلف فيه ،فسيبويه لا يجعله مرفوعا بالظرف، بل بالابتداء [4] .

وقال الشريف:أي يجوز ذلك بالاتفاق لا أنه يجب، بخلاف ما إذا لم يعتمد،فإن سيبويه لا يجوز إعماله [5] .

وفي الحاشية المشار إليها: لا يربد به أنه يجب ارتفاعه به ؛فإنه يجوز أن يرفع مبتدأ، ويجعل « فيه » الخبر بالاتفاق أيضا، ولكن مراده أنه إذا لم يعتمد لا يرفع الفاعل عند البصريين وإن أجازه الكوفيون .

وأما إذا اعتمد فالرفع به جائز عند الفريقين.

قوله:(و الرعد صوت يسمع من السحاب، و المشهور أن سببه اضطراب

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٢١٥ .

(٢) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٨ .

(٣) حاشية سعد الدين ل ٤١ .

(٤) حاشية سعد الدين ل ٤١ .

(٥) حاشية الشريف ١/ ٢١٥ .

أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح)

تبع في ذلك "الكشاف" [١] ولا عبرة به؛فإن الأحاديث و الآثار وردت بخلافه.

قال الطيبي: الصحيح الذي عليه التعويل ما ورد في الحديث [٢] .

أخرج الإمام أحمد في "مسنده" و الترمذي -وصححه- و النسائي،و ابن جرير،وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه في تفاسيرهم، والطبراني في " معجمه" وأبو نعيم ،والبيهقي،كلاهما في " دلائل النبوة" عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد، قال: ((ملك من ملائكة الله ،موكل بالسحاب، بيده مخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمر الله)) قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع ؟ قال : ((صوته)) قالوا: صدقت [٣] .

واخرج ابن أبي الدنيا في "كتاب المطر" وابن جرير،و ابن المنذر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ((الرعد ملك، والبرق ضربه ا لسحاب بمخراق من حديد [٤]))

وأخرج البخاري في " الأدب المفرد" و ابن أبي الدنيا في " كتاب المطر" وابن

---

(١) الكشاف ١/ ٢١٥ .

(٢) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التاريخ الكبير ٢/ ١٤٤ وأحمد ٤/ ٢٨٥ والترمذي ٥/ ١٩٣ ح ٣١١٧ وإبراهيم الحربي في غريب الحديث ٢/ ٦٨٨ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ٢١١ والنسائي في السنن الكبرى ٥/ ٣٣٦ وابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق والريح ١٢٣ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤٦ وابن منده في كتاب التوحيد ١/ ١٦٨ وأبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة ٤/ ١٢٧٩ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٣٠٥ من طريق بكير بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال ابن منده : هذا إسناد متصل ، ورواته مشاهير ثقات . وحسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٨٧٢

قال أبو إسحاق الحربي : قوله : " الرعد ملك " هو عند ا لصحابة علي ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة ، و كذا قال التابعون : مجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، و الضحاك ، وشهر ، وعطية ، والحسن ، ومحمد بن قيس ، والسدي . وقال أبو الجلد : هو ريح ، ولم يعرفه وهب بن منبه ، والزهري .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد ١٣٢ وابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٤٣ والخرائطي في مكارم الأخلاق ومعاليها ٢/ ٩٤٠ وأبو الشيخ في كتاب العظمة ٤/ ١٢٨٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٦٣ .

جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:((الرعد ملك ينعق بالغيث،كما ينعق الراعي بغنمه، وكان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان الذي سبحت له[1]))

وأخرج ابن المنذر ، وأبو الشيخ ابن حيان، عن ابن عباس قال:

((الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح، كما يسوق الحادي الإبل بحدائه[2]))

وأخرج ابن جرير،وابن مردويه، عن ابن عباس قال: ((الرعد ملك من الملائكة، اسمه الرعد،وهو الذي تسمعون صوته،و البرق سوط من نور يزجر به الملك السحاب [3]))

وأخرج ابن المنذر،و ابن مردويه، عن ابن عباس قال:((الرعد ملك ،اسمه الرعد،وصوته هذا تسبيحه [4]))

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال:((الرعد ملك يزجر السحاب بالتسبيح و التكبير [5]))

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال:((ما خلق الله شيئا أشد سوقا من السحاب ، ملك يسوقه،والرعد صوت الملك يزجر به، و المخاريق يسوقه بها))

وأخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو أنه سئل عن الرعد فقال: ((ملك وكله الله بسياقة السحاب، فإذا أراد الله أن يسوقه إلى بلدة أمره فساقه، فإذا تفرق عليه زجره بصوته حتى يجتمع، كما يرد أحدكم ركابه)) ثم تلا هذه الآية ﴿ ويسبح الرعد بحمده [6] ﴾[سورة الرعد ١٣]

وأخرج عبد بن حميد ، وأبو الشيخ عن مجاهد قال :((الرعد ملك ينشئ السحاب، ودويه صوته [7])) .

---

(١) رواه ا لبخاري في الأدب المفرد ٢٤٩ وابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد ١١٤، ١١٩ وابن جرير في جامع البيان ١/ ٤٣١ .

(٢) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٤/ ١٢٨٤ والخرائطي في مكارم الأخلاق ٢/ ٩٣٧ .

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٣٩ وابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد ١١٥

(٤) جامع البيان ١/ ٣٣٩ .

(٥) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٣٩ وابن أبي الدنيا في كتاب المطر ١٢٢وأبو الشيخ في كتاب العظمة ٤/ ١٢٨٥ .

(٦) لم أره في كتاب العظمة ، ولعله رواه في كتاب التفسير له .

(٧) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٣٨ ، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر ١٢٥ والخرائطي في مكارم الأخلاق ٢/ ٩٣٨ .

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد أن رجلا سأله عن الرعد فقال :((ملك يسبح بحمده))

وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ يسبح الرعد بحمده﴾ قال: هو ملك يسمى الرعد، وذلك الصوت تسبيحه [(١)] .

وأخرج ابن جرير ،وأبو الشيخ عن أبي صالح قال:((الرعد ملك من الملائكة يزجر السحاب بصوته [(٢)])) .

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: ((الرعد ملك من الملائكة ، قد وكل بالسحاب، يسوقها كما يسوق الراعي الإبل[(٣)])) .

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن شهر بن حوشب قال: ((الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادي الإبل، كلما خالفت سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه، فهي الصواعق)) [(٤)] .

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال((البرق مصع ملك [(٥)])).

قوله:(حدتها الريح)

قال الشريف: أي ساقتها [(٦)] .

قوله :(من الارتعاد)

قال الطيبي: لم يرد أن أصله منه؛لأنأصله من الرعدة، بل أراد أن فيه معنى الاضطراب و الحركة [(٧)] .

وقال الشريف:أي مشتق من الارتعاد، فإن المصنف قد يرد المجرد إلى المزيد إذا كان المزيد أعرف في المعنى الذي اعتبره في الاشتقاق ،كالقدر من التقدير،

---

(١) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٤/ ١٢٨١

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٣٨ والخرائطي في مكارم الأخلاق ٢/ ٩٤١ .

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٤١ وابن أبي الدينا في كتاب المطر ١٢٤ والخرائطي في مكارم الأخلاق ٢/ ٩٣٨ والبيهقي في السنن ا لكبرى ٣/ ٣٦٣ .

(٤) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٣٩ وابن أبي الدنيا في كتاب المطر ١٢٠ وأبو الشيخ في كتاب العظمة ٤/ ١٢٨٤ .

(٥) رواه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٣٤٤ وابن أبي الدنيا في كتاب المطر ١٣١ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ٧١ والمصع الضرب بالسيف . الصحاح / مادة مصع .

(٦) حاشية الشريف ١/ ٢١٥ .

(٧) فتوح الغيب ٢/ ٣٦٧ .

والوجه من المواجهة.

وقيل:"من" هذه اتصالية ،أي هما من جنس واحد، يجمعهما الاشتقاق من الرعدة، وكذا التي في قوله:" من برق الشيء بريقا [١] "

وقال الشيخ سعد الدين : يعني أن الرعد من الارتعاد، كما أن البرق من البريق.

ولو قال: من الرعدة لكان أنسب، إلا أنه لا يبالي بجعل المجرد من المزيد ، كالوجه من المواجهة قصدا إلى إلحاق الأخفى بالأعرف في ذلك المعنى الذي يتناسب اللفظان فيه [٢] .

قوله:(كما عوَّلَ حسَّانُ في قوله:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيْصَ عَلَيهِم ... بَردَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيْقِ السَّلْسَلِ)

البريص-بالصاد المهملة كما ضبطه ابن يعيش في " شرح المفصل"-نهر يتشعب من بردى، وبردى نهر دمشق.وتصفيق الشراب تحويله من إناء إلى إناء. وبالرحيق حال من فاعل يصفق. و الرحيق الخمر. السلسل السهل الدخول في الحلق [٣] .

قال الشيخ سعد الدين:وتعدية ورد ب"على" مع ذكر المفعول على تضمين معنى النزول، كأنه قال: ورد البريص نازلا عليهم، ضيفا لهم ،وإلا فالاستعمال ورد الماءَ ورودا،وورد البلدَ حضر،وورد عليه الكتاب وصل إليه .

والباء في ب"الرحيق" للمصاحبة. وألف بردى للتأنيث،فتذكير الضمير في " يصفق" لعوده إلى المضاف المحذوف، أي ماء بردى، كجمع الضمير في ﴿ أوهم قائلون [٤]﴾ [سورة الأعراف ٣] ولو روعي حال اللفظ القائم مقام المضاف لأنث هنا ، وأفرد ثمة .

والبيت من قصيدة معدودة في المختارات، وأولها:

أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدارِ،أَمْ لَمْ تَسأَلِ ... بَيْنَ الجَوابِي،فالبُضَيْعِ،فَحَوْمَلِ

لِلهِ دَرُّ عِصابةٍ نادَمْتُهُمْ ... يَوْماً بِجِلَّقَ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٢١٥ .

(٢) حاشية سعد الدين ل ٤١ .

(٣) شرح المفصل ٣/ ٢٦ .

(٤) حاشية سعد الدين ٤١ .

أَوْلادُ جَفْــنةَ حــوْلَ قَـبْرِ أَبِيْــهِمِ قَـبْرِ ابـنِ مَارِيــةَ الكَرِيـمِ المُفْضِـلِ
بِيـضُ الوُجُــوهِ كَرِيمَــةٌ أَحْسَــابُهُمْ شُـمُّ الأُنُــوْفِ مِــنَ الطِّــرَازِ الأَوَّلِ
يُغْشَـوْنَ حَتَّــى مــا تَهِــرُّ كِلابُهُــمْ لا يَسْـأَلُوْنَ عَــنِ السَّــوَادِ المُقْبِــلِ
اللاحِقِيْــنَ فَقِــيرَهُمْ بِغنِيِّــهِمْ المُنْفِقِيْــنَ عَلَـى اليَتِيْــمِ الأَرْمَــلِ
يسـقون مـن ورد الـبريص عليهـم بـردى يصفـق بـالرحيق السلسـل [(1)]

قوله:(والجملة استئناف)

قال أبو حيان: فلا محل لها من الإعراب

قال: وجـوزوا أن يكـون موضعهـا الجـر علـى الصفـة ل"ذوي" المحـذوف ،و النصب على الحال من الهاء في "فيه" و الراجـع علـى الحـال [(2)] محـذوف ،نـابت الألف و اللام عنه، و التقدير: من صواعقه [(3)] .

قوله:(وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة)

قال ابن المنير : فيه إشعار بأنهم يدخلون أصــابعهم فـي آذانهـم فـوق المعتـاد فرارا من شدة الصوت [(4)] .

قوله:(أي من أجلها)

قال الشيخ سعد الدين : يعني أنها الباعث، وذلك أن " من" هنا تغني عنها اللام في المفعول له، فقد يكون غاية يقصد حصوله،وقد يكون باعثا يتقدم وجوده [(5)] .

قوله:(سقاهم[(6)] من العيمة)

أي بسبب العيمة،وهي شهوة اللبن ،كما أن القرم شهوة اللحم .

قوله:(والصاعقة قصفة رعد)

قال القطب:أي صوت رعد، والقصف في الأصل الكسر [(7)] .

وقال الشيخ سعد الدين:أي شدة صوته [(8)] .

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ١٢١ .

(٢) في بحر المحيط : على ذي الحال .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٢٩٧ .

(٤) الانتصاف ١/ ٢١٧ .

(٥) حاشية سعد الدين ل ٤١ .

(٦) كذا في النسخ، وفي طبعات أنوارالتنـزيل: وسقاه

(٧) حاشية قطب الدين ل ٣٧ .

(٨) حاشية سعد ا لدين ل ٤١ .

وقال أبو زيد : الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد (١) .

قوله:(إلا أتت عليه)

قال الطيبي: أي أهلكته (٢) .

قوله:(وقرئ من الصواقع، وهو ليس بقلب من الصواعق؛لاستواء كلا البناءين في التصرف)

قال الطيبي:أي فيما يلزم الفعل من التشعب و الاشتقاق، فيقال: صقع الديك، وخطيب مصقع، وصقعه على رأسه، ولو كان مقلوبا لم يتجاوز عن صورة واحدة(٣).

الراغب: الصاعقة ،و الصاقعة متقاربان، وهما الهدَّة الكبيرة،إلا أن الصقع يقال: في الأجسام الأرضية، و الصعق في الأجسام العلوية.

وقال بعض أهل اللغة: الصاعقة ثلاثة أوجه:

الموت:كقوله تعالى﴿ فصعق من في السموات﴾[سورة الزمر ٦٩]

والعذاب : كقوله تعالى﴿ أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ [سورة فصلت ١٤]

والنار : كقوله تعالى﴿ ويرسل الصواعق (٤) ﴾[سورة الرعد ١٤]

قال الطيبي: وما ذكره فهي أشياء متولدة من الصاعقة، فإن الصاعقةهي الصوت الشديد من الجو، ثم يكون منه نار فقط ، أو عذاب، أو موت،وهي في ذاتها شيء واحد ،وهذه الأشياء تأثيرات منها (٥) .

قوله: (صقع الديك) أي صاح .

قوله:(وخطيب مصقع) بكسر الميم، أي مِجهر، يقال: رجل مجهر-بكسر الميم-إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه.

قوله:(وصقعته الصاعقة) أي أهلكته.

قوله : (وهي في الأصل إما صفة)

---

(١) كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري ١٠٧ .

(٢) فتوح الغيب ٢/ ٣٧٠ .

(٣) فتوح الغيب ٢/ ٣٧٠ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٤٨٤ .

(٥) فتوح الغيب ٢/ ٣٧١ .

زاد قوله:(في الأصل) على " الكشاف" ولابد منه .

وقد نبه على ذلك الشيخ سعد الدين فقال: كون الصاعقة صفة للقصفة، أو للرعد، أو مصدرا إنما هو بحسب الأصل، وإلا فهو اسم .

قال: وعلى كل تقدير لا شذوذ في جمعها على صواعق [(١)] .

وكذا قال الشريف: هي الآن اسم ،وجمعها-على التقادير- على صواعق، جار على القياس [(٢)] .

قوله:(لقصفة الرعد)

قال الطيبي: لأن فاعلة صفة المؤنث، يجيء جمعها على فواعل، كضاربة، وضوارب [(٣)] .

قوله:(أو للرعد، و التاء للمبالغة)

قال الطيبي:أي هو فاعل صفة للمذكر، و التاء للمبالغة، فيجمع على فواعل شذوذا، كفارس وفوارس [(٤)] .

قوله:(كما في الراوية)هو الرجل الكثير الرواية

قوله:(أو مصدر كالعافية والكاذبة)بمعنى المعافاة والكذب

وفي الحاشية المشار إليها: قد جاء المصدر على وزن فاعلة في القرآن في مواضع :

منها: ﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم﴾ [سورة مائدة ١٣] أي خيانة

﴿لا تسمع فيها لاغية ﴾ [سورة الغاشية١١] أي لغو ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [سورة القصص ٨٣]أي العقبى .

﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ [سورة الواقعة ٢] أي كذب .

﴿ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ [سورة النجم ٥٨] أي كشف .

قوله: (﴿حذر الموت ﴾ نصب على العلة)

قال أبو حيان: كذا أعربوه، وشروط المفعول له موجودة فيه، إذ هو مصدر متحد بالعامل فاعلا وزمانا.

---

(١) حاشية سعد الدين ٤١ .

(٢) حاشية الشريف ١/ ٢١٨ .

(٣) فتوح الغيب ٢/ ٣٧١ .

(٤) فتوح الغيب ٢/ ٣٧١ .

وفيه نظر؛لأن قوله﴿ من الصواعق﴾ هو في المعنى مفعول من أجله، ولو كان معطوفا لجاز،كقوله تعالى﴿ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم﴾ [سورة البقرة ٢٦٥]

وقد جوزوا أن يكون نصبا على المصدر، أي يحذرون حذر الموت [١] .

قوله:(وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ ....

تمامه[٢]...................... وأُعْرِضُ عَن شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّماً

قال الطيبي: العوراء الكلمة القبيحة ،أي أسترها لتبقى الصداقة،وأدخره ليوم احتياج إليه فيه؛لأن الكريم إذا فرط منه قبيح ندم على فعله،و منعه كرمه أن يعود إلى مثله.

واستشهد به لكون المفعول له مضافا إلى المعرفة، وهو نادر [٣] .

قلت: و البيت لحاتم الطائي [٤] ، من قصيدة أولها:

أَتَعْرِفُ أَطْلالاً ونُؤْياً مُهَدَّماً ... كَخَطِّكَ فِي رَقٍّ كِتاباً مُنَمْنَمَا

فنفسَكَ أَكْرِمْهَا فَإِنَّكَ إنْ تَهُنْ ... عليكَ فَلَنْ تُلْفَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمَا

أَهِنْ فِي الذي تَهوَى التِّلادَ فإنَّهُ ... إذا مِتَّ صَارَ المالُ نَهْباً مُقَسَّمَا

ولا تَشْقَيَنْ فِيهِ فَيَسْعَدَ وَ ارِثٌ ... بِهِ حِينَ تَخشَى أَغْبَرَ الجَوِّ مُظْلِمَا

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنَ واستَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَستَطِيعَ الحِلْمَ حتى تَحَلَّمَا [٥]

قوله : (و الموت زوال الحياة)

قال الطيبي:هو على هذا الوجه ليس بعرض ، بل هو أمر عدمي [٦] .

قوله:(وقيل: عرض يضادها)

قال الشريف: فيكون أمرا وجوديا [٧] .

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٩٩ .

(٢) كذا في النسخ ، والبيت بشطريه في طبعات أنوار التنزيل

(٣) فتوح الغيب ٢/ ٣٧١ .

(٤) هو حاتم بن عبد الله بن سعد أبو سفانة الطائي ، كان جوادا شاعرا جيد الشعر ، وهو أحد أجواد العرب الثلاثة ، حاتم ، وكعب بن مامة ، وهرم بن سنان . الشعر والشعراء ١/ ٢٤١ وكتاب الأغاني ١٧ / ٢٧٨ .

(٥) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره ٢٣٣ – ٢٣٧ .

(٦) فتوح الغيب ٢/ ٣٧١

(٧) حاشية الشريف ١/ ٢١٨ .

وذهبت فرقة ثالثة من أهل الحديث إلى أن الموت جسم؛لورود الأحاديث و الآثار مصرحة بذلك، غير أن للأولين أن يقولوا: إنهم لم يقصدوا حقيقة الموت في الواقع، بل أثره القائم ببدن الحيوان عند مفارقة الروح له، فاختلف محل النزاع.

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى﴿ الذي خلق الموت و الحياة ﴾ [سورة الملك ٢] قال: الحياة فرس جبريل، والموت كبش أملح.

وقال مقاتل و الكلبي: خلق الله الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات،وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء إلا حيَّ.

وأخرج أبو الشيخ ابن حيان في " كتاب العظمة" عن وهب بن منبه[١] قال:خلق الله الموت كبشا أملح مستترا بسواد وبياض ،له أربعة أجنحة، جناح تحت العرش، وجناح في الثرى، وجناح في المشرق،وجناح في المغرب [٢] .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :((إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة و النار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت))

وأخرج الشيخان و الترمذي و النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :((يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت-زاد ابن حبان ـ: وكلهم قد رأوه - ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت - وكلهم قد رأوه – فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود، فلا موت، ويا أهل النار خلود ،فلا موت [٣])) .

---

(١) هو وهب بن منبه كامل أبو عبد الله الأبناوي اليماني الصنعاني ، أخو همام بن منبه ، روايته للمسند قليلة ، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب ، روى له الجماعة، توفي سنة أربع عشرة ومائة . سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤ وتهذيب التهذيب ١١/ ١٦٦

(٢) لم أره في كتاب العظمة

(٣) رواه أحمد ١٧/ ١٢٠ وعبد بن حميد في المسند (المنتخب ٢٨٦) – واللفظ الذي عزاه المؤلف لابن حبان لعبد بن حميد – والبخاري ٤/ ١٧٦٠ ح ٤٤٥٣ ومسلم ٤/ ٢١٨٨ ح ٢٨٤٩ والترمذي ٥/ ٢٢١ ح ٣١٥٦ والنسائي في السنن الكبرى ١٠/ ١٦٨ ح ١١٢٥٤ وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٣٩٨ . ولم يخرجه ابن حبان ، بل قال : خبر الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد : " يجاء بالموت كأنه كبش أملح " تنكبناه لأنه ليس بمتصل (الإحسان ١٦ / ٥١٦)

وأخرج البزار وأبو يعلى ،والطبراني في " الأوسط" بسند صحيح عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :((يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة ،فيقولون: لبيك ربنا ، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيذبح كما تذبح الشاة ،فيأمن هؤلاء، وينقطع رجاء هؤلاء [1]))

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال:((إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار أتي بالموت في صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة و النار، ثم ينادي مناد : هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، فلا يبقى أحد إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة و النار))

والأحاديث في هذا كثيرة، بحيث إن طائفة من أهل الكلام استشكلت ذلك بناء على أن الموت عرض،والعرض لا ينقلب جسما، فكيف يذبح ؟

وتجاسرت طائفة فأنكرت صحة الحديث،ودفعته.

والتحقيق ما أشرنا إليه ،وهو أن الموت في الحقيقة هو هذا الجسم الذي على صورة الكبش، كما أن الحياة جسم على صورة فرس لا تمر على شيء إلا حيَّ.

و أما المعنى القائم بالبدن عند مفارقة الروح فإنما هو أثره، فإما أن تكون تسميته بالموت من باب المجاز، لا الحقيقة، أو من باب الاشتراك، و حينئذ فالأمر في النزاع قريب.

تنبيه: تابع المصنف" الكشاف [2] " في هذه المسألة حتى إنه مشى معه على مذهبه.

قال المازري [3] في " شرح مسلم": الموت عند أهل السنة عرض من

---

(١) رواه البزار في مسنده (رسالة الماجستير ٢/ ٣١٠) والطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ٨٣ و أبو يعلى في مسنده ٥/ ٢٧٨ - ومن طريقه الضياء المقدسي في المختارة ١٠ / ٣٩٥ - .
قال الهيثمي : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط بنحوه والبزار ، ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطامي ، وهو ثقة . مجمع الزوائد ١٠ / ٧٢٦ .

(٢) الكشاف ١/ ٢١٨ .

(٣) هو محمد بن علي بن عمر أبو عبد الله المازري ، أصله من مازر ، مدينة في جزيرة صقلية على ساحل البحر ، من شيوخ إفريقية ، ألف في ا لفقة والأصول ، وشرح كتاب مسلم ، وشرح البرهان للجويني ، توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة . سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤ والديباج المذهب ٢/ ٢٥٠ .

الأعراض، وعند المعتزلة عدم محض [1] . انتهى .

فأنت ترى المصنف كيف صدر بالقول الذي هو مذهب المعتزلة مرجحا له،ثم ثنى بالقول الذي هو مذهب أهل السنة بصيغة التمريض، وما كفاه ذلك حتى ذكره حجته وردَّها ، ولكن كل هذا تلخيص كلام" الكشاف".

ومما يدل أن الموت جسم، أو عرض مخلوق قوله تعالى ﴿أو خلقا مما يكبر في صدروكم ﴾[سورة الإسراء ٥١] فسره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بالموت [2] .

قال الطيبي هناك: معناه: لو كنتم نفس الموت لأحياكم على المبالغة،كما يقال:لو كنت عين الحياة لأماتك، وإلا فالموت عرض لا ينقلب الجسم إليه، وهو لا ينقلب إلى ضده الذي هو الحياة [3] .

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٣/ ٢٠٣ .

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان ١٥/ ٩٨ والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٦٢

(٣) فتوح الغيب ٢٧٣ قلت : ذكر ا لمؤلف ثلاث أقوال في ماهية الموت وحقيقته : الأول : أن الموت زوال الحياة ، بمعنى عدمها وفنائها ، وهو مبني على أن الحياة الروح ، وهي عرض من الأعراض القائمة بالجسم ، تفنى وتتلاشى وتنعدم بالموت ، كما تفنى الأعراض بأضدادها ، كفناء الحرارة بالبرودة ، وفناء المرض بالصحة ، فالروح عدم محض بالموت ، وهو قول أبي بكر الباقلاني . انظر في ا لروح لابن القيم ٢/ ٥٧٧ .

والقول الثاني : أن الموت عرض يضاد الحياة ، ويمكن أن يكون صحيحا إذا فسرت الروح بتفسير صحيح وإن كان البيضاوي رده .

والقول الثالث : أن الموت جسم ، وهذا القول عزاه المؤلف إلى فرقة من أهل الحديث ، واستدل لذلك بأحاديث وآثار عن ابن مسعود ، وقتادة ، ومقاتل ، والكلبي ، ووهب بن منبه .

أما أثر قتادة ، ومقاتل ، والكلبي ، ووهب فلا شك أنها إسرائليات ، أو آراء محضة ، لم يسندها شرع ولا عقل .

وأما الأحاديث ، وأثر ابن مسعود فلا تدل قطعا على ما استدل له بها ، فإنها تدل على أن الله يقلب العرض إلى عين في الآخرة فحسب . والصحيح أن الحياة والموت في الدنيا وصفان متقابلان يوصف بهما الجسم القابل للحياة على سبيل البدل ، فيقال : جسم حي إذا كانت فيه الروح ، ويقال : جسم ميت إذا فارقته الروح ، قال الله تعالى : " الذي خلق الموت والحياة " وليست الروح في الحقيقة فرس جبريل ، ولا الموت في الدنيا كبشا أملح .

والروح _ كما قاله القاضي علي ابن أبي العز الحنفي – : والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي ، خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء ، ويسري فيها سريان الماء

=

قوله:(لا يفوتونه كما لا يفوت المحاطُ به المحيطَ)

قال القطب:فهو استعارة تمثيلية، شبه حالـه تعـالى، مـع الكفـار- فـي أنهـم لا يفوتونه، ولا محيص لهم عـن عذابـه- بحـال المحيـط بالشـيء-فـي أنـه لا يفوتـه المحاط- و استعير لجانب المشبه الإحاطة [1].

وقال الطيبي: هي استعارة تمثيلية، شبهت حالة إنـزال اللـه تعـالى عذابـه علـى الكافرين من كل جـانب بحيـث لا محيـد لهـم عنـه ،بحالـة الجيـش الـذي صبـح القوم،وقد أحاط بهم عن آخرهم،فلا يفوت منهم أحد[2].

في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في الفحـم ، فمـا دامـت هـذه الأعضـاء صالحـة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلـك الجسـم اللطيـف سـاريا فـي هـذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإراديـة ، وإذا فسـدت هـذه بسـبب اسـتيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن ، وانفصل إلـى عـالم الأرواح . شرح عقيدة الطحاوية ٢/ ٥٦٥

وخروج الروح من الجسم عرض من الأعراض ، ووصـف مـن الأوصـاف يقـوم بالجسـم بعـد مفارقة الروح له ، ثم إن هذا العرض يقلبه الله يوم القيامة إلى عين ، إلى كبش أملح ، كما جـاء في الأحاديث وأثر ابن مسعود . قال أبو حاتم ابن حبـان : ومعنـى يجاء بـالموت : يمثـل لهـم الموت ، لا أنه يجاء بالموت (الإحسان ١٦/ ٥١٧)

ولهذا نظائر ، منها : أن العمل الصالح والعمل الطالح يحولهما الله إلى رجلين ، كما رواه أحمد ٣٠/ ٥٠١ من حديث البراء بن عازب ، وفيه : " ويأتيه رجـل حسـن الوجـه ، حسـن الثيـاب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنـت توعـد ، فيقـول : مـن أنـت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصـالح " وفيـه أيضـا : " ويأتيـه رجـل قبيـح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعـد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث "

ومنها : أن قراءة القرآن عمل من الأعمال الصالحة ، وهو عرض من الأعراض يحوله اللـه يـوم القيامة إلى جسم ، كما رواه مسلم ١/ ٥٥٤ من حديث النواس بن سمعان يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كـانوا يعملـون بـه ، تقدمـه سورة البقرة وآل عمران ، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مـا نسـيتهن بعد ، قال : كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما حزقان من طير صـواف تحاجان عن صاحبهما " فهاتان الغمامتان ، أو الظلتان ، أو الحزقان جسمان ، وهما قراءة البقـرة وآل عمران ، وقراءة القرآن فعل من الأفعال ، وعمل من الأعمـال الصالحـة ، يحولـه اللـه إلـى جسم ، وليس المحول القرآن نفسه الذي هو كلام الله وصفته .

(١) حاشية قطب الدين ل ٣٧ .

(٢) فتوح الغيب٢/ ٣٧٢ .

وقال الشيخ سعد الدين: شبه حال قدرته الكاملة التي لا يفوتها المقدور ألبتة بإحاطة المحيط بالمحاط ،بحيث لا يفوته، فتكون الاستعارة تبعية جارية في الإحاطة،وهذا لا ينافي كونها تمثيلية ؛لما في الطرفين من اعتبار التركيب .

وأما كونها تمثيلا بمعنى تشبيه حاله تعالى مع الكفار بحال المحيط مع المحاط، بحيث تكون المفردات على حقيقتها ، كما في" أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"ففيه نظر[1].

وقال الشريف:إن شبه شمول قدرته تعالى إياهم بإحاطة المحيط بما أحاط به- في امتناع الفوات- كان هناك استعارة تبعية في الصفة، سارية إليها من مصدرها.

وإن شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط مع المحاط، أي شبه هيئة منتزعة من عدة أمور بأخرى مثلها كان هذا استعارة تمثيلية، لا تصرف في شيء من ألفاظ مفرداتها.

ومن زعم [2] أن كون هذه الاستعارة تبعية لا ينافي كونها تمثيلية لما في الطرفين من اعتبار التركيب= إن أراد به أن معنى الإحاطة مركب ففساده ظاهر؛لأنها كالضرب مدلولها مفرد، وإن أراد اعتبار هيئة في مدلوله مع غيره لم يكن مدلول الإحاطة حينئذ مشبها به، فكيف تسري منه استعارة إلى الوصف المشتق منها.

ومن هنا ينكشف لك أن الاستعارة التمثيلية لا تكون تبعية أصلا[3]. انتهى.

قوله:(والجملة اعتراضية لا محل لها)

قال أبو حيان: لأنها دخلت بين هاتين الجملتين، وهما ﴿ يجعلون أصابعهم﴾ و﴿يكاد البرق﴾ وهما من قصة واحدة[4].

قال الطيبي: فإن قلت: كيف يصح أن تقع معترضة،وهي لتأكيد معنى المعترض فيها، و الكلامان اللذان اعترضت هذه فيهما في شأن ذوي الصيب،وهو الممثل به، وهذه بعض أحوال المنافقين الممثل له ؟

قلت: هذا من وجيز الكلام وبليغه،وذلك أن مقتضى الظاهر أن يذكر هذا قبيل

---

(١) حاشية سعد الدين ل ٤١

(٢) يقصد سعد الدين

(٣) حاشية الشريف ١/٢١٨ .

(٤) البحر المحيط ٢/٣٠٢

«كصيب» ليكون بعضا من أحوال المشبه،فنزل هنا ليدل على ذلك،ويعطي معنى التأكيد لهاتين الجملتين،وفيه من الغرابة أنه مؤكد لحال المشبه،وهو من حال المشبه به،وفائدته شدة المناسبة بين المشبه و المشبه به،فإن المشبه به مما يهتم بشأنه ،ويعتنى بحاله[1].

وقال الشيخ سعد الدين: من مذهب صاحب" الكشاف" أن لنا واواً اعتراضية، لاعاطفة،ولا حالية، وأن الاعتراض قد يكون في آخر الكلام ،كقوله« ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون» [سورة البقرة ٩٢]

وذلك لأن كلا من الجمل الثلاث ،أعني« يجعلون» و«يكاد» و« وكلما أضاء» استئناف مستقل،منشأ الأول « ورعد» و الأخيرين«وبرق» فيكون« و الله محيط بالكافرين» في آخر الكلام.

والنكتة في الاعتراض التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد .

وقيل: هذا الاعتراض من جملة أحوال المشبه، على أن المراد بالكافرين المنافقون، فإنهم من عذابه تعالى في الآخرة، وإهلاكه إياهم في الدنيا بحيث لا مدفع له،وَوَسَّطَ بين أحوال المشبه به تنبيها على شدة الاتصال،وفرط التناسب[2].

قوله:(«يكاد البرق يخطف أبصارهم» استئناف ثان)

قال أبو حيان:ويحتمل أن يكون في موضع جر صفة ل"ذوي" المحذوفة[3].

قوله:(وَيَخَطِّفُ على أنه يختطف)

القراءة على هذه بكسر الطاء المشددة وبفتحها.

قوله:(وكذلك أظلم)

قال الأزهري : كل واحد من "أضاء" و" أظلم" يكون لازما ومتعديا [4] .

قال الشيخ بهاء الدين ابن عقيل:إن كان أظلم هنا متعديا ،فالفاعل ضمير" الله" أو " البرق" أي أظلم البرق بسبب خفائه معاينة الطريق.

قوله:(منقولا من ظلم الليل)

---

(١) فتوح الغيب٢/ ٣٧٢

(٢) حاشية سعد الدين ل٤١-٤٢

(٣) البحر المحيط٢/ ٣١٩

(٤) تهذيب اللغة / مادة ضوء ، ومادة ظلم .

في " الصحاح": ظَلِمَ الليل بالكسر،وأظلم. حكاه الفراء [1] .

قوله:(ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول)

قال القطب: فيه نظر،لجواز أن يكون « أظلم» مسندا إلى« عليهم[2]» كقوله « غير المغضوب عليهم»

وحينئذ فلا يدل على تعدية.

وكذا قال الحلبي: لا دليل في ذلك؛لاحتمال أن أصله: وإذا أظلم الليل عليهم، فلما بني للمفعول حذف الليل، وقام" عليهم" مقامه [3] .

قال الطيبي: والجواب أن "عليهم" ليس صلة لأظلم،بل هو ظرف مستقر.

والأصل وإذا أظلم الليل مَمْشيً عليهم قاموا، فبنى للمفعول، فاستتر فيه ضمير "ممشى"فحينئذ يطابق قوله فيما سبق (كلما نور لهم ممشى أخذوه) [4]

وقال الشريف: أجيب بأن « عليهم» مقابل «لهم» في « أضاء لهم » فإن جعلا مستقرين لم يصلح« عليهم» أن يقوم مقام الفاعل أصلا، وإن جعلا صلتين للفعلين على تضمينهما معنى النفع والضر صح أن يقام مقام فاعل المضمن، دون المضمن فيه.

وعلى تقدير صلوحه لذلك فعطف« إذا أظلم» على « كلما أضاء لهم» مع كونهما معا جواباً للسؤال عما يصنعون في تارتي خفوق البرق ،وخفيته يقتضي أن يكون «أظلم» مسندا إلى ضمير البرق، كأضاء،على معنى كلما نفعهم البرق بإضاءته اغتنموه، وإذا أضرهم بإظلامه واختفائه دهشوا.

قال : وقد يجاب أيضا بأن بناء الفعل للمفعول من المتعدي بنفسه أكثر، فالحمل عليه أولى [5] .

قوله:(وقول أبي تمام

هُمَا أَظْلَمَا حَالَيَّ، ثُمَّتَ أَجْلَيَا ظَلامَيْهِمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ)

قبله -وهو أول القصيدة-:

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ١٨ والصحاح / مادة ظلم .

(٢) حاشية قطب الدين ل ٣٧ .

(٣) الدر المصون ١/ ١٨١ .

(٤) فتوح الغيب ٢/ ٣٧٥ .

(٥) حاشية الشريف ١/ ٢٢٠

أَحَاوَلْتِ إِرْشَادِي فَعَقْلِيْ مُرْشِدِيْ   أَمِ استَمْتِ تَأْدِيبِيْ،فَدَهْرِيْ مُؤَدِّبِيْ [1]

الاستيام الطلب. يقول: لا تتعرضي لإرشادي فعقلي مرشدي،ولا تجشمي تأديبي فدهري [2] مؤدبي .هما أي العقل و الدهر.

قال القطب، والطيبي ،والتفتازاني ،والشريف: وإنما أسند الإظلام إلى العقل؛لأن العاقل لا يطيب له عيش.

زاد التفتازاني، والشريف: وإلى الدهر؛لأنه يعادي كل فاضل.

قال التفتازاني: ويجوز أن يكو لإرشاد العاذلة وتأديبها.

وقوله:حاليَّ ، قال القطب أي الديني و الدنيوي

وقال الطيبي: أي الشيب و الشباب.

وقال التفتازاني و الشريف: أراد بحاليه ما يتوارد عليه من المتقابلين، كالخير والشر، والغنى و الفقر،والصحة والمرض،و العسر واليسر.

قال الشريف: و المقصود التعميم [3] .

وقوله:ثمت أجليا ،أي كشفا ظلاميهما.

وقوله:............ ...عن وجه أمرد أشيب

من باب التجريد [4] ، أي عن وجهي وأنا شاب في السن، وشيخ أشيب في تجربة الأمور وعرفانها، أو أشيب في غير أوانه لمقاساة الشدائد.

والهمزة في "أحاولت" للإنكار، أي ما كان ينبغي أن تتجشمي في الإرشاد و التأديب. و الفاء تعليل لمحذوف، أي لا تحاوليني لشيء منهما؛فإن العقل و الدهر كفاية فيهما.

قوله : (فإنه وإن كان من المحدثين)

هم الشعراء الذين نشؤوا بعد الصدر الأول من الإسلام ،لا يحتج

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١/ ١٥٠ .

(٢) في د ، ق : فإن الدهر .

(٣) حاشية قطب ا لدين ل ٣٧ وفتوح الغيب ٢/ ٣٧٥ وحاشية سعد الدين ل ٤٢ وحاشية الشريف ١/ ٢٢٠ .

(٤) هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة في كمالها ، نحو : لي من فلان صديق حميم ، جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصفا بصفة الصداقة . شرح عقود الجمان ١٢١و معجم المصطلحات البلاغية ١/ ٤٠ .

بكلامهم؛لكونهم بعد فساد الألسنة ، وأولهم بشار بن برد [١] .

والشعراء طبقات:

الجاهليون:مثل امرئ القيس [٢] ، وزهير بن أبي سلمى[٣] ، وطرفة [٤] ، والنابغة الذبياني.

والمخضرمون:وهم الذين أدركوا الجاهلية و الإسلام،مثل حسان ، ولبيد.

والمتقدمون من أهل الإسلام كالفرزدق ،وجرير، ويستشهد بأشعارهم في اللغة والعربية.

ثم المحدثون كالبحتري [٥] ، وأبي تمام ،والمتنبي، ولا يستشهد بشعرهم في لغة، ولا في عربية.

نقل ثعلب عن الأصمعي قال :ختم الشعراء بإبراهيم بن هرمة [٦] ، وهو آخر الحجج.

وقال الأندلسي [٧] في " شرح بديعية رفيقه ابن ....

---

(١) هو بشار بن برد بن يرجوخ أبو معاذ العقيلي ، وهو أحد المطبوعين الذين كانوا لا يتكلفون الشعر ولا يتعبون فيه ، وهو من أشعر المحدثين ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، توفي سنة سبع وستين ومائة . الشعر والشعراء ٢/ ٧٥٧ وكتاب الأغاني ٣/ ١٢٩ والأعلام ٢/ ٥٢ .

(٢) هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث، هو من أهل نجد من الطبقة الأولى، وقد سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه عليها الشعراء. الشعر والشعراء. ١/ ١٠٥ وكتاب الأغاني ٩/ ٧٦ .

(٣) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني ، كان جاهليا لم يدرك الإسلام ، وأدركه ابناه كعب وبجير ، ويقال : إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير . الشعروالشعراء ١/ ١٣٧ وكتاب الأغاني ١٠/ ٢٩٨ .

(٤) هو طرفة بن العبد بن سفيان ، كان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا ، قتل وهو ابن عشرين سنة، وله شعر حسن . الشعر والشعراء ١/ ١٨٥ وجمهرة أنساب العرب ٣٢٠

(٥) هو الوليد بن عبيد بن يحيى أبو عبادة شاعر فاضل فصيح المذهب نقي الكلام ، مطبوع وله تصرف حسن ، توفي سنة أربع وثمانين ومائتين . كتاب الأغاني ٢١/ ٣٩ والأعلام ٨/ ١٢١ .

(٦) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الكناني ، قال الأصمعي : ختم الشعراء بابن هرمة ، والحكم الخضري ، وابن ميادة ، وكانت وفاته في خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريبا . الشعر والشعراء ٢/ ٧٥٣ وكتاب الأغاني ٤/ ٣٦٩ وخزانة الأدب ١/ ٤٢٥ .

(٧) هو أحمد بن يوسف بن مالك أبو جعفر الغرناطي الأندلسي ، تعانى الآداب فرافق أبا عبد الله بن جابر الأعمى ، فحجا معا ودخلا القاهرة ، ولقيا أبا حيان ، شرح البديعية نظم رفيقه ، وهو مشهور ، توفي سنة تسع وسبعين وسبعمائة . الدر الكامنة ١/ ٤٠٣ وبغية الوعاة ١/ ٤٠٣.

جابر" [1] :

علوم الأدب ستة: اللغة ، و التصريف، و النحو، و المعاني، و البيان، و البديع.

قال: فالثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب نظما ونـثرا؛لأن المعتبر فيها ضبط ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد عليها بكلام العـرب، وغـيرهم من المولدين؛لأنها راجعة إلـى المعـاني، ولا فـرق فيهـا فـي ذلـك بيـن العـرب و غيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل،ولذلك قبل من أهل هذا الفنّ الاستشهاد بكلام البحتري، وأبي تمام، وأبي الطيب،وأبي العلاء [2] ، وهلمَّ جرا [3] .

قوله:(لكنه كان [4] من علماء العربية) .

ولذا ترجمة الكمال ابن الأنباري في كتابه المسـمى"نزهـة الألبـاء فـي طبقـات الأدباء" فقال : هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيـس الطـائي ،شـامي الأصـل ، قدم بغداد وجالس بها الأدباء ، وعاشر العلماء، وقد روى عنه أحمد بن أبـي طـاهر [5] وغيره أخبارا مسندة .ورثاه الحسن بن وهب [6] بقوله :

فُجِـعَ القَرِيــضُ بِخَـاتَمِ الشُّـعَرَاءِ وغَدِيْـرِ رَوْضَتِهَـا حَبِيــبِ الطَّــائِيْ

مَاتَـا مَعـاً فَتَجَـاوَرَا فِـي حُفْـرَةٍ وكَـذَاكَ كَانَـا قَبْـلُ فِـي الأَحْيَــاءِ [7]

---

(١) هو محمد بن أحمد بن علي بن جابر أبو عبد الله الهواري المالكي الأعمى ، نظم الحلـة السيرا في مدح خير الورا على قافية الميم ، بديعية على طريقة الصفي الحلـي ، وشـرحها صاحبـه أبـو جعفر ، توفي سنة ثمانين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٩ وبغية الوعاة ١/ ٣٤ .

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء التنوخي المعري الشاعر ، كان حسن الشعر ، جـزل الكلام ، فصيح اللسان ، غزير الأدب ، عالما باللغة ، حكيت عنه حكايات مختلفة في اعتقـاده ، حتى رماه بعض الناس بالإلحاد ، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة . إنباه الـرواة ١/ ٤٧ وبغيـة الوعاة ١/ ٣١٥ .

(٣) كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة للأندلسي ٩٢ .

(٤) كذا في النسخ، وفي طبعات أنوار التنـزيل: لكنه من علماء

(٥) هو أحمد بن أبي طاهر طيفور أبو الفضل الكاتب ، كان أحد البلغاء الشعراء الرواة ، ولـه كتـاب بغداد المصنف في أخبار الخلفاء وأيامهم ، توفي سنة ثمـانين ومـائتن . تـاريخ بغـداد ٤/ ٢١١ والأعلام ١/ ١٤١ .

(٦) هو الحسن بن وهب بن سعيد الكاتب ، وهو معروف في الكتابة ، فآباؤه وأجداده كلهم كتبة فـي الدولتين الأمويه والعباسية ، وكان معاصرا لأبي تمام ، ولـه معه أخبـار ، توفـي نحـو خمسـين ومائتين سنة . كتاب الوافي بالوفيات ١٢/ ٢٩٧ وفوات الوفيات ١/ ٣٦٧ والأعلام ٣/ ٢٢٦ .

(٧) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٣٩ .

وجمع الصولي [1] أخبار أبي تمام في مجلد [2] .

قوله:(فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنـزلة ما يرويه)

أي لأنه موثوق به في الرواية، فلو لم يسمع من العرب لم يقل.

قلت: ولا يخفى ما فيهذا؛إذ لو فتح هذا الباب لاحتج بكل ما وقع في شعر المحدثين بهذا الطريق .

وكم أخذ النحاة ،و اللغويون على أبي تمام ،والمتنبي ،وأضرابهما من موضع ولَحَّنُوهُم [3].

وفي الحاشية المشار إليها: ما ذكره المصنف ممنوع؛فإن الإنسان قد يتساهل فيما ينطق به،ولا يتساهل فيما ينقله إذا كان عدلاً.

ولو صح ما قاله لم يقتصر ذلك على أبي تمام،ولجاز الاستشهاد بقول الحريري،و غيره ممن جمع بين الأدب و العدالة ،وليس كذلك.

وقال الشيخ بهاء الدين ابن عقيل في تفسيره: الظاهر لزوم أظلم، فالأصل عدم الحذف،وكون الهمزة للنقل خلاف الظاهر، وقول أبي تمام ليس كروايته؛لجواز صدور قوله عن اجتهاد أخطأ فيه، فالحجة فيما رواه، لا فيما رآه.

وكذا قال الشيخ سعد الدين: قد يفرق بأن مبنى الرواية على الوثوق و الضبط، ومبنى القول على الدراية و الإحاطة بالأوضاع و القوانين، و الإتقان في الأول لا يستلزم الإتقان في الثاني، فغاية الأمر أنه جمع في " الحماسة" أشعار من يستشهد بشعرهم، وصدق في ذلك، فمن أين يجب أن يكون ما يستعمله في شعره مسموعا

---

(١) هو محمد بن يحيى بن عبد الله أبو بكر الصولي ، كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير ، له كتاب أخبار أبي تمام ، وكتاب الورقة ، توفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . وفيات الأعيان ٤/ ٣٥٦ ، وكتاب الوافي بالوفيات ٥/ ١٩٠ .

(٢) حقق أخبار أبي تمام تأليف أبي بكر محمد يحيى الصولي خليل محمود عساكر ومحمد عبده غرام ، وطبع بدار الآفاق الجديدة ببيروت .

(٣) ألف الإمام العلامة اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس رسالة سماها " ذم الخطأ في الشعر " قرر فيها أن الشعراء ليسوا معصومين من الخطأ ، ولا فوق مستوى النقد ، بل يصيبون في الكلام ويخطئون ، وعاب على أهل العربية توجيههم لخطأ الشعراء و تمحلهم في ذلك ، وعده من التكلف الممقوت . وألف أيضا العلامة أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي رسالة حافلة سماها " الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره " جمع فيها ضعيف شعره، ومرذول نظمه ، وانتقده فيها ، وخطّأه في المعاني والألفاظ .

ممن يوثق به،أو مأخوذا من استعمالاتهم.

والقول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى ليس بسديد، بل هو بعمل الراوي أشبه،وهو

لا يوجب السماع[1].

قوله:(وإنما قال مع الإضاءة« كلما» ومع الإظلام«إذا» لأنهم حراص على المشي، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقف)

الفرصة النوبة والشرب،يقال: وجد فلان فرصة،أي نهزة ،وجاءتك فرصتك في النهز، أي نوبتك .

وفي " الصحاح": انتهزت الفرصة إذا اغتنمتها [2] .

وقد ذهب بعضهم إلى أن التكرار مراد في الإظلام أيضا،وانه ترك استغناء بذكره في الجملة الأولى،أو لاستفادة التكرار منها، فإن تكرار الإضاءة لا يتحقق إلا بتكرار الإظلام.

وقال أبو حيان:لا فرق عندي بين« كلما» و«إذا» هنا من جهة المعنى، إذ التكرار متى فهم من « كلما أضاء» لزم منه التكرار أيضا في أنه «إذا أظلم عليهم قاموا»إذ الأمر دائر بين إضاءة البرق والإظلام، متى وجد ذا فقد ذا،ولزم من تكرار وجود ذا عدم ذا.

على أن من النحاة من ذهب إلى أن "إذا" تدل على التكرار، ك "كلما "وأنشد:

إِذا وَجَدْتُ أُوَارَ الحُبِّ فِي كَبِدِي ... أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقاءِ القَوْمِ أَبْتَرِدُ [3]

فمعناه معنى"كلما"[4].

والتكرار الذي يذكره أهل أصول الفقه والفقهاء في "كلما [5] " إنما ذلك فيها من العموم، لا أن لفظ"كلما" وضع للتكرار، كما يدل عليه كلامهم، وإنما جاءت "كل" توكيدا للعموم المستفاد من"ما" الظرفية،فإذا قلت:"كلما جئتني أكرمتك"فالمعنى: أكرمك في كل فرد من جيأتك إليّ .

---

(١) حاشية سعد الدين ل٤٢

(٢) الصحاح / مادة نهز .

(٣) عزاه أبو علي القالي في كتاب الأمالي ١/ ٣١ لأعرابي ، وانظر في اللسان / مادة برد

(٤) البحر المحيط ٢/ ٣٣٠

(٥) انظر في الفصول في ا لأصول للجصاص ١/ ٩٦ .

قوله:(ومنه قامت السوق إذا ركدت)

قال التفتازاني: أي سكنت .

قال: وقد سبق قامت السوق، بمعنى نفقت، وكلاهما مذكور في كتب اللغة[1].

قال الشريف: فهو من الأضداد [2].

قوله:(بقصيف الرعد) أي شدة صوته .

قوله:(بوميض البرق) أي لمعانه.

قوله:(ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد)

في الحاشية المشار إليها:ليس على ظاهره، بل إنما يكون ذلك مع" إِنْ" الشرطية،و"لولا" الامتناعية،وما شاكلهما،ك"إذا" ونحوها ؛لافتقارها إلى جواب فيغني الجواب عن المفعول المضمر.

فأما إذا تجردا عن ذلك فحكمهما حكم سائر الأفعال في ظهور مفعولهما.

وكذا قال الشريف: أي تكاثر حذف المفعول في شاء وأراد ومتصرفاتهما إذا وقعت في حيز الشرط ؛لدلالة الجواب على ذلك المحذوف ،مع وقوعه في محله لفظا،ولأن في ذلك نوعا من التفسير بعد الإبهام[3].

قوله:(فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ دَماً لَبَكَيْتُهُ ....)

تمامه:

... ...   عَلَيكَ،وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ[4]

قال الطيبي:أتى بالمفعول؛لأن بكاء الدم مستغرب، ونصب"دما" باعتبار تضمين البكاء معنى الصب[5].

قلت:والبيت من قصيدة لأبي يعقوب الخريمي [6] ، يرثي بها خريم بن عامر

---

(١) حاشية سعد الدين ل٤٢ وتهذيب اللغة / مادة قوم ، والصحاح / مادة قوم

(٢) حاشية الشريف ١/ ٢٢١

(٣) حاشية الشريف ١/ ٢٢١

(٤) لإسحاق بن حسان الخريمي يرثي أحد قواد الرشيد ،انظر في ديوان الخريمي ٤٣ والكامل للمبرد ٣/ ١٣٦٢ وكتاب دلائل الإعجاز ١٦٤ .

(٥) فتوح الغيب٢/ ٣٧٦

(٦) هو إسحاق بن حسان أبو يعقوب الخريمي ، كان من نسل ا لأتراك ، وكان شاعرا مفلقا مطبوعا مقتدرا على الشعر ، وكان يمدح الخلفاء والوزراء والأشراف فيعطى الكثير ، توفي سنة أربع عشرة ومائتين . طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٩٣ وكتاب الوافي بالوفيات ٨/ ٤٠٩

المري،وبعده- وهو آخرها-:

وَإِنِّـي وَإِنْ أَظْهَـرْتُ صَـبْرًا وَحِسـبَةً   وَصَانَعْتُ أَعْدَائِـيْ ، عَلَيْـكَ لَمُوْجَـعُ

قوله:(و"لو" من حروف الشرط، وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لانتفاء الثاني، ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه)

قال الشيخ سعد الدين: الظاهر أن "لو"هاهنا لمجرد الشرط، بمنزلة"إنْ" لابمعناه الأصلي من انتفاء الشيء لانتفاء غيره[1].

وقال الشريف: كلمة"لو"هنا مستعملة لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على أن انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر، فهي بمنزلة"إن"

وقد يقال:إنها باقية على أصلها وقصد بها التنبيه على أن مشقتهم بسبب الرعد و البرق وصلت غايتها،وقاربت إزالة الحواس بحيث لو تعلقت به المشيئة لزالت بلا حاجة إلى زيادة في قصيف الرعد وضوء البرق[2].

قوله:(وقرئ لأذهب بأسماعهم، بزيادة الباء)

قال الطيبي: يعني دلت الهمزة على التعدية،والباء كعضادة للتعدية وتأكيدها، كما يعضد الباب بعضادتيه[3].

وفي الحاشية المشار إليها: القياس أن لا يجمع بين أداتي تعدية،بل إما الهمزة، أو الباء،وقد جاء الجمع بينهما قليلا،ومنه هذه القراءة.

قوله:(وفائدة هذه الشرطية إبداء المانع) إلى آخره.

قال الطيبي:وفائدته الراجعة إلى الممثل له هي أنه تعالى يمهل المنافقين فيما هم فيه؛ ليتمادوا في الغي و الفساد؛ليكون عذابهم أشد[4].

قوله :(والشيء يختص بالموجود)

قال في" الانتصاف":فإن قيل:إذا كان المعدوم لا يسمى شيئا، وإذا وجد صار شيئا لا تتعلق به القدرة؛إذ القدرة إنما تتعلق بالشيء أول وجوده ، فكيف يكون قادرا على كل شيء ؟

---

(١) حاشية سعد الدين ل٤٢

(٢) حاشية الشريف ١/ ٢٢٢

(٣) فتوح الغيب٢/ ٣٧٧

(٤) فتوح الغيب٢/ ٣٧٧

فجوابه أنه من باب"قتل قتيلا"أي تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه ، كأنــه قـال: قادر على كل ما يصير شيئا[1].

قال في "الإنصاف": وفيه نظر؛فإن القدرة تتعلق به في أول زمن وجوده،وهو في أول زمن وجوده شيء، بلا خلاف بين المسلمين؛إذ لولم يكن شـيئا فـي أول زمـن وجوده لم يكن شيئا في ثاني الأحوال [2].

قوله:(أطلق بمعنى شاءتارة)

قال الطيـبي:أي مريد [3] .

(وبمعنى مشيء أخرى) هو بفتح الميم، اسم مفعول كمبيع.

قال ابن عقيل: فالأول بمعنى الفاعل،والثاني بمعنى المفعول.

قوله:(وقول امرئ القيس:

كَـأَنَّ قُلُـوْبَ الطَّـيْرِ رَطْبـاً ويَابِسـاً لَدَى وَكْرِهَا العُـنَّابُ والحَشَـفُ البَـالِيْ)

قال الشيخ سعد الدين: يصف العقاب،وهو مخصوص بأنه لا يأكل قلب الطير.

و"رطبا"و"يابسا"حال، أي رطبا بعضها، ويابسا بعضها، وكذا"لدى وكرها"

وقد شبه الرطب بالعناب،واليابس بالحشف البالي، أي أراد التمر اليابس[4].

وقال ابن قتيبة [5] في " أبيات المعاني":قلوب الطير أطيب ما فيها،فهي تأتي بــه _ تزق به - فراخها [6] . وأول القصيدة:

أَلا عِـمْ صَبَاحـاً أَيُّهَـا الطَّلَـلُ البَـالِيْ وَهَلْ يَعِمْنَ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَـالِيْ

وَهَــلْ يَعِمْــنَ إِلا سَـعِيْدٌ مُخَــلَّدٌ قَلِـيْلُ الهُمُــوْمِ مَـا يَبِيْـتُ بِأَوْجَـالِيْ

كَـأَنِّيْ بِفَتْخَـاء الجَنَـاحَيْنِ لِقْــوَةٍ عَلىَ عَجَـلٍ مِنْــهَا أُطَـأْطِئُ شِـمْلال

تَخَطَّـفُ خِـزَّانَ الأنيعــمِ بِـالضُّحَى وَقَـدْ حَــجَرَتْ منها ثَعَـالِبُ أَوْرَال

---

(١) الانتصاف ٢/ ٢٢٣

(٢) سقطت لوحة من الإنصاف هنا .

(٣) فتوح الغيب ١/ ٣٧٧ .

(٤) حاشية سعد الدين ل٣٩

(٥) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينــوري ، صاحب التصـانيف كـان رأسـا فـي علـم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس ، توفي سنة ست وسبعين ومائتين . سير أعلام النبـلاء ١٣/ ٢٩٦ وبغية الوعاة ٢/ ٦٣ .

(٦) كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ١/ ٢٨٠ .

كـأن قلـوب الطـير رطبـا ويابسـا [1] ... ... البيــت

وفتخاء الجناحين لينتها. واللقوة بكسر اللام العقاب.

وقال المبرد في"الكامل":هذا البيت- بإجماع الرواة-أحسن ما جـاء فـي تشـبيه شيئ في حالين مختلفين بشيئين مختلفين [2] .

وقال ابن عساكر في " تاريخه":يقال: إن لبيدا قـدم المدينـة فسـأل رسـول اللـه صلّى الله عليه وسلّم من أشعر الناس؟ فقال: (يا حسان أعلمه)) فقال حسان: الذي يقول:

كـأن قلـوب الطــير رطبـا ويابســا لدى وكرها العنا ب والحشف البالي

فقال : هذا امرؤ القيس .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :((لوأدركته لنفعته)) ثم قال:((معه لــواء الشعراء يوم القيامة حتى يتدهدى بهم في النار [3]))

وفي " أمالي القالي": عن روح بن زنباع [4] قال: أشعر الشعراء الذي يقول:

كـأن قلـوب الطــير رطبـا ويابســا لدى وكرهاالعنـاب والحشـف البـالي[5]

والعناب بضم العين بوزن رمان .ذكره في القاموس [6] .

قوله:(خفقة) من خفق البرق،أي لمع.

قوله:(انتهزوها فرصة)

---

(١) ديوان امرئ القيس وملحقاته ١/ ٢٩٩ ، ٣٥٧ .

(٢) الكامل ٢/ ٩٢٢ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٩/ ٢٢٥ والحديث رواه بن عساكر من طريق فروة بن سعيد بـن عفيـف بـن معدي كرب ، عن أبيه ، عن جده . ولم أقف عليه عند غيره .

وروى أحمد ١٢/ ٢٧ والبزار (كشف الأستار ٢/ ٤٥٢) وابن حبان في كتاب المجروحين ٢/ ٥٠٥ وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٧٥٥ من طريق أبي الجهم ، عن الزهـري ، عـن أبـي سـلمة ، عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه . قال ابن عدي عن أبي الجهم : منكر الحديث ، وقـال ابـن حبـان عنه : لا يجوز الاحتجاج بروايته إذا انفرد .

(٤) هو روح بن زنباع بن روح أبو زرعة الجذامي الفلسطيني ، سيد قومه ، وكان شبه الوزير للخليفـة عبد الملك بن مروان ، ولي جند فلسطين ليزيد ، توفي سنة أربع وثمـانين . سـير أعـلام النبـلاء ٤/ ٢٥١ وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ١/ ٥٣٥ .

(٥) كتاب ذيل الأمالي والنوادر ٣٠ .

(٦) القاموس المحيط / مادة عنب .

قال الشريف: الانتهاز يتعدى إلى مفعول واحد، فقوله:"فرصة"حال [1] .

قال الشيخ سعد الدين: والأحسن أن يكون مفعولا ثانيا على تضمين معنى الاتخاذ، أي اتخذوا الخفقة فرصة [2].

---

(١) حاشية الشريف ١/ ٢١٩ .

(٢) حاشية سعد الدين ل٤٢

النتائج

١ ـ إن جار الله الزمخشري شخصية اعتزالية ، يؤمن بالاعتزال ، ويرفع من شأنه ويجهر به ويصيح به في المحافل والمجامع ، يستعين بعقليته الجبارة وتضلعه اللغوي، وتمكنه البلاغي ، وبروزه النحوي على حمل دلالات آيات القرآن على مذهبه الاعتزالي ، ومنهجه القدري ، وكان تفسيره ميداناً فسيحاً لعرض هذا المذهب ، وشرح هذا المعتقد وتسخير آيات القرآن للدلالة على هذا الرأي ، وفيه عناية بالإبانة عن أسرار الإعجاز القرآني ، واستخراج لطائف النكت البلاغية الفرقانية ، وهو سر تعلق المفسرين المتأخرين به ، وتغلغل الاقتباسات من تفسيره في تفاسيرهم . وعلى ذلك فينبغي العناية بتفسيره وتحقيقه وتخريج أحاديثه وآثاره ، والرد عليه من خلال طبع أهم الحواشي التي علقت عليه ، وردت على اعتزالياته معه ، وهي حاشية الطيبي المسماة بفتوح الغيب في الكشف على قناع الريب ، وحاشية عمر بن عبد الرحمن سراج الدين القزويني المسماة بالكشف على الكشاف ، وحاشية محمود بن مسعود قطب الدين الشيرازي ، وحاشية سعد الدين التفتازاني .

٢ ـ إن القاضي ناصر الدين البيضاوي عالم مشارك في علم التفسير ، وأصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة ، والنحو ، والتاريخ ، وألف في هذه العلوم مؤلفات انتشرت في العالم ، وعرفت بأساليبها الشديدة السبك ، البالغة في الاكتناز والإيجاز حد الإلغاز والإغماض ، وأشهر مؤلفاته تفسيره ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) الملخص من تفسير ((الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل)) وتفسير الرازي ، وتفسير الراغب ، فقد انتشر في الشرق والغرب ، وفي العرب والعجم ، واستغنى به كثير من العلماء عن تفسير الكشاف ، واتخذوه كتاب دراسة وتدريس في المعاهد العلمية ، وفي المساجد والحلقات في بعض البلاد الإسلامية كبلاد تركيا والهند، ومن أجل ذلك كثرت التعليقات عليه والتحشيات و لا يعرف في كتب التفسير كتاب أكثر منه تعليقات وتحشيات .

ولما لم يكن له قدم راسخ في الحديث ومذهب أهله في الاعتقاد تابع الزمخشري في بعض ضلالاته الاعتزالية ، وانتشرت في تفسيره الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وعلى ذلك فينبغي الاعتناء بتفسيره وتحقيقه ، وتخريج أحاديثه ، والرد عليه في المواضع التي زلّ فيها وأخطأ ، لدرء ضرره أولاً ، ثم تهيئته للاستفادة منه بعد تصفيته ثانياً .

٣ ـ إن جلال الدين السيوطي شخصية علمية موسوعية قد ضرب بسهم وافر في التحصيل والتأليف في العلوم الإسلامية والعربية ، وهو يتصدر قائمة المكثرين من التأليف في عصره وبعده من علماء المسلمين ، تأثر بالمذاهب العقدية والسلوكية المائجة في عصره وفي مجتمعه من مذاهب المتكلمين والصوفية ، وكان الأصل أن يؤثر فيهم بالعلم الذي جمعه ، وأن يقمعهم بالحق الذي عرفه ، ولكن التوفيق بيد الله ، وليست عن كثرة التحصيل والتأليف ، و لا عن غزارة العلم والفتاوى .

ـ يغلب على مؤلفاته النقل والجمع ، أو الاختصار والتقريب ، ويقل فيها الاستنباط والاستقلالية والابتكار.

ـ اتهمه بعض معاصريه ـ كما اتهم هو غيره ـ بسلخ مؤلفات غيره ، والإغارة على مصنفات الآخرين ، وهو قول لايطلق على عواهنه ، وأمر لا يسلم به إلا بعد إجراء دراسة لمصنفاته ومقارنتها بالمصنفات التي ادعي عليه أنه أغار عليها .

ـ هذه الحاشية نواهد الأبكار وشوارد الأفكار خلاصة لحواشي تفسير الكشاف مع إضافة بعض الفرائد والفوائد إليها ، امتازت عن حواشي تفسير البيضاوي المطبوعة اليوم بثلاثة أمور : وهي وفرة المصادر حيث اعتمد على مئات المصادر في مختلف الفنون الإسلامية والعربية ، وجودة التخريج للأحاديث والآثار حيث كان من بعده من المخرجين لأحاديثه وآثاره والمحشين عليه عالة عليه في هذا التخريج ، والاعتناء بالردود على الزمخشري والبيضاوي فيما زلاً فيه ، أو زل أحدهما فيه .

فهرس الآيات

سورة البقرة

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات والرسائل الجامعية :

١ـ أرجوزة في نظائر القرآن العظيم لجعفر بن أحمد البغدادي نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية علوم القرآن برقم ١١٤٣ .

٢ ـ الإسعاف في شرح أبيات القاضي والكشاف لخضر بن عطا الله نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٦٩٤ التفسير .

٣ ـ الأمد الأقصى في أسماء الله الحسنى لأبي بكر ابن العربي نسخة مصورة بالمكتبة المركزية برقم ٥١٦٤ .

٤ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير لعلم الدين العراقي نسخة مصورة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٥ ـ تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف للفاضل يحيى بن القاسم اليمني نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٩٦١ التفسير .

٦ ـ تفسير ابن برجان نسخة مصورة بمكتبة مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف .

٧ ـ تفسير البسيط تأليف أبي الحسن الواحدي تحقيق محمد صالح الفوزان رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٨ ـ تفسير الراغب الأصبهاني نسخة مصورة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

٩ ـ تفسير ضياء القلوب لأبي الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي دراسة وتحقيق ملفي بن ناعم بن عمران الصاعدي رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية .

١٠ ـ التقريب في التفسير لقطب الدين الشيرازي نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية .

١١ ـ تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر لأحمد يوسف الكواشي تحقيق محمد عبد الله العيدي رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٢ ـ حاشية أبي زرعة العراقي نسخة مصورة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٣ ـ حاشية أكمل الدين البابرتي نسخة مصورة بمكتبة الملك فهد الوطنية .

١٤ ـ حاشية تقي الدين الشمني على مغني اللبيب نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٨٨٠ النحو .

١٥ ـ حاشية الدماميني على مغني اللبيب لبدر الدين الدماميني نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ٤٤٣٦ .

١٦ ـ حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف نسخة مكتبة بشير أغا بمكتبة الملك عبد العزيز المدينة المنورة .

١٧ ـ حاشية قطب الدين الشيرازي نسخة مصورة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٨ ـ الخلافيات لأبي بكر البيهقي نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ٣٤٥٦ .

١٩ ـ شرح الدرة الألفية لابن الخباز نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١٢٤ النحو .

٢٠ ـ شرح ديوان رؤبة ابن العجاج الأصمعي نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٤٢ أدب .

٢١ ـ شرح فصول ابن معطي لابن إياز نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١١٠٢ نحو .

٢٢ ـ شرح الكافية لعز الدين ابن القواس نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٧٥٥ النحو .

٢٣ ـ شرح ما غمض من الألفاظ اللغوية في المقامات الحريرية لأبي البقاء العكبري نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٤٤٣ لغة .

٢٤ ـ الضوء على المصباح لتاج الدين الاسفرايني نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ٢٩٢ النحو .

٢٥ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي تحقيق محمد الأمين بن الحسين رسالة دكتوراه الجامعة الإسلامية .

٢٦ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي دراسة وتحقيق صالح عبد الرحمن الفائز رسالة دكتوراه الجامعة الإسلامية .

٢٧ ـ كتاب الاعتقاد للراغب الأصبهاني تحقيق أختر جمال محمد رسالة ماجستير بجامعة أم القرى .

٢٨ ـ كتاب البسملة لأبي شامة نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية .

٢٩ ـ كتاب البسيط للغزالي نسخة مصورة بجامعة الإمام محمد بن سعود برقم ١٢٢٧ .

٣٠ ـ كتاب شرح فصول ابن معطي لابن إياز نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١١٠٢ النحو .

٣١ ـ كتاب المرشد في الوقف للعماني نسخة المتحف البريطاني ولدي صورة منها .

٣٢ ـ الكشف على الكشاف لعمر بن عبد الرحمن الفارسي نسخة مخطوطة بجامعة أم القرى برقم ٢٦٩٩ .

٣٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى بتحقيق خالد الغنزي .

٣٤ ـ مسند البزار تحقيق حسناء بكري رسالة ماجستير بجامعة أم القرى .

٣٥ ـ المفضل في شرح المفصل للسخاوي نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ج٢/ ٤٥٠٣ .

٣٦ ـ منير الدياجي في تفسير الأحاجي لعلم السخاوي رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى .

٣٧ ـ الموضح في وجوه علل القراءات لأبي عبد الله نصر بن علي نسخة مصورة بمعهد البحوث العلمية برقم ١٠٠٩ التفسير .

٣٨ ـ نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية برقم ٩٨٥٧ .

ثانيا: المطبوعات :

١ ـ الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم تحقيق د/ فيصل الجوابرة دار الراية الرياض .

٢ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة عبدالرحمن أبي شامة تحقيق محمود عبد الخالق الجامعة الإسلامية .

٣ ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري دار الراية الرياض .

٤ ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للإمام أحمد بن أبي بكر

البوصيري تحقيق عادل بن سعد مكتبة الرشد الرياض .

٥ ـ إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة للحافظ ابن حجر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف .

٦ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي تعليق مصطفى البغا دار ابن كثير دمشق .

٧ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت .

٨ ـ الأحاجي النحوية لمحمود بن عمر الزمخشري تحقيق مصطفى الحدري مكتبة الغزالي دمشق .

٩ ـ الأحاديث المختارة لضياء المقدسي تحقيق عبد الملك بن دهيش مكتبة النهضة مكة المكرمة .

١٠ ـ إحياء علوم الدين للغزالي دار الفكر بيروت .

١١ ـ الأدب المفرد للإمام البخاري دار الصديق الجبيل .

١٢ ـ الأذكار لمحي الدين النووي تحقيق عبد القادر الأرناؤوط دار الهدى الرياض .

١٣ ـ الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار لأبي عمر ابن عبد البر تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي دار قتيبة دمشق .

١٤ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي مكتبة نهضة مصر القاهرة .

١٥ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير تحقيق محمد البنا دار الشعب القاهرة .

١٦ ـ أصل السنة واعتقاد الدين لابن أبي حاتم تحقيق محمد عزيز شمس / الدار السلفية الهند .

١٧ ـ أساس البلاغة للزمخشري دار الكتب المصرية القاهرة .

١٨ ـ الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي تحقيق د/ عبد العال سالم مؤسسة الرسالة بيروت .

١٩ ـ أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم السنتمري دار الآفاق الجديدة بيروت .

٢٠ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق أحمد شاكر دار المعارف القاهرة .

٢١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر تحقيق على محمد البجاوي دار نهضة مصر القاهرة .

٢٢ ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد لأبي بكر البيهقي تحقيق أبي عبد الله أحمد إبراهيم دار الفضيلة الرياض .

٢٣ ـ اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين لأبي بكر الخرائطي دار الكتب العلمية بيروت .

٢٤ ـ الإعجاز والإيجاز للثعالبي تحقيق إبراهيم صالح دار البشائر دمشق .

٢٥ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه حيدر آباد الهند .

٢٦ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي دار القلم بيروت .

٢٧ ـ الاقتصاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي تحقيق الأستاذ مصطفى السقا الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٨ ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم للمارزي تحقيق محمد الشاذلي دار الغرب الإسلامي بيروت .

٢٩ ـ ألفية ابن مالك لابن مالك .

٣٠ ـ الأم للإمام الشافعي تحقيق د/ أحمد بدر الدين دار قتيبة دمشق .

٣١ ـ الإملاء في إشكالات الإحياء للغزالي دار الفكر بيروت .

٣٢ ـ الأمالي للمحاملي رواية ابن يحيى البيع تحقيق د/ إبراهيم القيسي دار ابن القيم الدمام .

٣٣ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية .

٣٤ ـ الانتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاني تحقيق د/ محمد عصام دار ابن حزم.

٣٥ ـ الانتصاف من الكشاف لناصر الدين ابن المنير مطبوعة مع الكشاف .

٣٦ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري المكتبة التجارية القاهرة .

٣٧ ـ الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف لابن عبد البر تحقيق عبد اللطيف الجيلاني دار أضواء السلف الرياض .

٣٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي دار الجيل تركيا .

٣٩ ـ الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب تحقيق د/ موسى العليلي وزارة الأوقاف العراق .
٤٠ ـ الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني دار الجيل بيروت .
٤١ ـ إيضاح المكنون لإسماعيل باشا مكتبة المثنى بغداد .
٤٢ ـ بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي تحقيق عبد الرحيم أحمد مطبعة الإرشاد بغداد
٤٣ ـ البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر تحقيق لكمان باريسي .
٤٤ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني دار الفكر دمشق.
٤٥ ـ بدائع الفوائد لابن القيم تحقيق محمد إبراهيم الزغلي دار المعالي الأردن.
٤٦ ـ البداية والنهاية لابن كثير دار الكتب العلمية وطبعة د/ عبد الله عبد المحسن التركي دار هجر .
٤٧ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم تحقيق سهيل زكار دار الفكر بيروت .
٤٨ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم عيسى الحلبي القاهرة .
٤٩ ـ بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي تأليف الشيخ عبد القادر الشاذلي تحقيق د/ عبد الإله نبهان مجمع اللغة العربية بدمشق .
٥٠ ـ البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني تحقيق د/ غانم قدوري الكويت .
٥١ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر دار التراث .
٥٢ ـ تبصرة الأدلة في أصول الدين تأليف : أبي المعين ميمون بن محمد النسقي تحقيق د/ كلود سلامة المعهد العلمي الفرنسي بدمشق .
٥٣ ـ التبصير في معالم الدين للطبري تحقيق علي الشبل دار العاصمة الرياض.
٥٤ ـ التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري تحقيق علي محمد البجاوي/ عيسى الحلبي القاهرة .
٥٥ ـ التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العكبري تحقيق د/ عبد الرحمن العثيمين مكتبة العبيكان الرياض .

٥٦ ـ التحبير في المعجم الكبير لأبي سعد السمعاني تحقيق منيرة ناجي مطبعة الإرشاد بغداد .
٥٧ ـ تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل لأبي زرعة العراقي تحقيق د/ رفعت فوزي مكتبة الخانجي القاهرة .
٥٨ ـ التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ يحيى الهنيدي مكتبة الرشد الرياض .
٥٩ ـ تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام الأنصاري تحقيق د/ عباس مصطفى دار الكتاب العربي بيروت .
٦٠ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي حيدر آباد الهند .
٦١ ـ تذييل الطبقات لعبد الوهاب الشعراني مجلة مؤتة للبحوث مجلد ٨ عدد ٦ .
٦٢ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض وزارة الأوقاف المغرب.
٦٣ ـ ترجمة العلامة السيوطي لمحمد شمس الدين الداودي مجلة الدرعية عدد ١١ .
٦٤ ـ التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ محمد إبراهيم العجلان مكتبة المعارف الرياض .
٦٥ ـ تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه تحقيق د/ محمد بدوي دار المعارف القاهرة .
٦٦ ـ تعبير الرؤيا لابن قتيبة تحقيق إبراهيم صالح دار البشائر دمشق .
٦٧ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة للحافظ ابن حجر تحقيق إكرام الله إمداد الحق دار البشائر الإسلامية بيروت .
٦٨ ـ تغليق التعليق على صحيح البخاري للحافظ ابن حجر تحقيق د/ سعيد القزقي المكتب الإسلامي بيروت .
٦٩ ـ تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور الدار التونسية للنشر والتوزيع تونس .
٧٠ ـ تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق همام الصنعاني تحقيق د/ مصطفى مسلم محمد مكتبة الرشد الرياض .

٧١ ـ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم تحقيق أسعد الطيب مكتبة الباز وطبعة أخرى بتحقيق أحمد الزهراني مكتبة الدار المدينة المنورة .

٧٢ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي محمد دار طيبة الرياض .

٧٣ ـ التفسير الكبير لفخر الدين الرازي المطبعة البهية القاهرة .

٧٤ ـ تفسير النسائي للإمام أبي عبد الرحمن النسائي تحقيق سيد الجليمي مكتبة السنة القاهرة .

٧٥ ـ التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور الدار التونسية للنشر والتوزيع تونس

٧٦ ـ تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر تحقيق أبي الأشبال شاغف دار العاصمة .

٧٧ ـ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ ابن حجر مؤسسة قرطبة القاهرة .

٧٨ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر ابن عبد البر وزارة الأوقاف المغرب .

٧٩ ـ التنقيح في شرح الوسيط لمحي الدين النووي تحقيق أحمد محمود إبراهيم دار السلام للطباعة القاهرة .

٨٠ ـ التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل لعبد الرحمن المعلمي مكتبة المعارف الرياض .

٨١ ـ تهذيب الآثار للطبري تحقيق علي رضا علي دار المأمون دمشق .

٨٢ ـ تهذيب الأسماء واللغات لمحي الدين النووي دار الكتب العلمية بيروت.

٨٣ ـ تهذيب إصلاح المنطق للتبريزي تحقيق د/ فخر الدين قباوة دار الآفاق الحديدة بيروت .

٨٤ ـ تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر حيدر آباد الهند .

٨٥ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي تحقيق د/ بشار عواد مؤسسة الرسالة بيروت .

٨٦ ـ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري الدار المصرية للتأليف القاهرة .

٨٧ ـ تاج التراجم في من صنف من الحنفية لقاسم بن قطلوبغا تحقيق إبراهيم صالح دار المأمون للتراث دمشق .

٨٨ ـ تاج العروس للزبيدي وزارة الإرشاد والأنباء الكويت .

٨٩ ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٩٠ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي تحقيق د/ عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت .

٩١ ـ التاريخ الكبير للبخاري حيدر آباد الهند .

٩٢ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر تحقيق محب الدين أبي سعيد دار الفكر بيروت

٩٣ ـ تاريخ اليعقوبي لأحمد اليعقوبي دار صادر بيروت .

٩٤ ـ جزء الألف دينار لأبي بكر القطيعي تحقيق بدر البدر دار النفائس الكويت .

٩٥ ـ جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم المؤسسة العربية الحديثة القاهرة .

٩٦ ـ جمهرة اللغة لابن دريد حيدر آباد الهند .

٩٧ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي تحقيق محمد عجاج الخطيب مؤسسة الرسالة بيروت .

٩٨ ـ جامع البيان للطبري تحقيق محمد شاكر دار المعارف وطبعة مصطفى الحلبي وطبعة د/ عبد الله التركي دار هجر القاهرة .

٩٩ ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر تحقيق أبي الأشبال الزهيري دار ابن الحوزي الدمام .

١٠٠ ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي تحقيق حمدي عبد المجيد عالم الكتب بيروت .

١٠١ ـ الجوهر النقي لعلاء الدين التركماني حيدر آباد الهند .

١٠٢ ـ جواهر القرآن للغزالي دار الآفاق الجديدة بيروت .

١٠٣ ـ الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل لأبي بكر الخلال اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية حلب .

١٠٤ ـ الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي تحقيق بدر الدين قهوجي دار المأمون دمشق .

١٠٥ ـ الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني تحقيق محمد محمود أبو

رحيم دار الراية الرياض .
١٠٦ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم عيسى الحلبي القاهرة .
١٠٧ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني مطبعة السعادة القاهرة .
١٠٨ ـ الحماسة البصرية لصدر الدين البصري تحقيق د/ مختار الدين أحمد حيدر آباد الهند .
١٠٩ ـ حاشية الشريف للسيد الشريف الجرجاني مطبوعة مع الكشاف .
١١٠ ـ حاشية القنوي على البيضاوي لإسماعيل القنوي تركيا .
١١١ ـ الحاوي للفتاوى لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت .
١١٢ ـ حواشي ابن بري على درة الغواص في أوهام الخواص تحقيق د/ أحمد طه مطبعة الأمانة القاهرة .
١١٣ ـ خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي بتحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة .
١١٤ ـ الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة للحافظ ابن حجر تحقيق عمرو عبد المنعم سليم دار ماجد العسيري / عسير .
١١٥ ـ خلق أفعال العباد للإمام البخاري تحقيق عبد الرحمن عميرة عكاظ جدة .
١١٦ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د/ أحمد الخراط مكتبة القلم بيروت .
١١٧ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي دار الفكر بيروت.
١١٨ ـ درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
١١٩ ـ درة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد الحريري تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم مطبعة نهضة مصر القاهرة .
١٢٠ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر حيدر آباد الهند.
١٢١ ـ دلائل الإعجاز قرأه محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة .

١٢٢ ـ دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت .

١٢٣ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي تحقيق د/ محمد الأحمدي مكتبة دار التراث القاهرة .

١٢٤ ـ ديوان أبي الطيب المتنبئ بشرح أبي البقاء العكبري تصحيح مصطفى السقا مصطفى الحلبي القاهرة .

١٢٥ ـ ديوان أبي نواس تحقيق أحمد عبد المجيد مطبعة مصر القاهرة .

١٢٦ ـ ديوان الأسود بن يعمر صنعة د/ نوري القيسي بغداد .

١٢٧ ـ ديوان الأعشى تحقيق المستشرق

١٢٨ ـ ديوان الأفوه الأودي تحقيق عبد العزيز الميمني دار الكتب العلمية بيروت .

١٢٩ ـ ديوان أمرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري تحقيق د/ أنور عليان ود/ محمد علي مركز زائد للتراث والتاريخ / العين الإمارات .

١٣٠ ـ ديوان جرير لشرح محمد بن حبيب تحقيق د/ نعمان طه دار المعارف القاهرة

١٣١ ـ ديوان حسان بن ثابت تحقيق د/ سيد حنفي دار المعارف القاهرة .

١٣٢ ـ ديوان الحطيئة تحقيق د/ نعمان طه / مصطفى الحلبي القاهرة .

١٣٣ ـ ديوان الخريمي أبي يعقوب إسحاق بن حسان جمعه وحققه على جواد الطاهر ومحمد جبار دار الكتاب الجديد بيروت .

١٣٤ ـ ديوان ذي الرمة تحقيق د/ عبد القدوس أبو صالح مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق .

١٣٥ ـ ديوان سموأل دار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

١٣٦ ـ ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره تحقيق عادل سليمان مطبعة المدني القاهرة .

١٣٧ ـ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني تحقيق د/ صلاح الدين الهادي دار المعارف القاهرة .

١٣٨ ـ ديوان صفي الدين الحلي دار صادر بيروت .

١٣٩ ـ ديوان علقمة الفحل تحقيق لطفي الصقال دار الكتاب العربي حلب .

١٤٠ ـ ديوان عنترة تحقيق محمد سعيد مولوي المكتب الإسلامي بيروت .

١٤١ ـ ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د/ ناصر الدين الأسد دار العروبة القاهرة .
١٤٢ ـ ديوان كثير عزة تحقيق د/ إحسان عباس دار الثقافة بيروت .
١٤٣ ـ ديوان كعب بن مالك الأنصاري تحقيق د/ سامي العاني مكتبة النهضة بغداد
١٤٤ ـ ديوان لبيد بن ربيعة تحقيق د/ إحسان عباس وزارة الإعلام الكويت .
١٤٥ ـ ديوان مجنون ليلى تحقيق عبد الفتاح فراج مكتبة مصر القاهرة .
١٤٦ ـ ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم دار المعارف مصر .
١٤٧ ـ ذم الخطأ في الشعر لأحمد بن فارس تحقيق د/ رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة .
١٤٨ ـ ذيل الدر الكامنة للحافظ بن حجر تحقيق الدكتور عدنان درويس معهد المخطوطات العربية القاهرة .
١٤٩ ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري تحقيق د/ سليم النعيمي رئاسة ديوان الأوقاف بغداد .
١٥٠ ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر السجزي تحقيق محمد باكريم مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
١٥١ ـ رسالة في توجيه النصب في إعراب فضلا ولغة وخلافا وأيضاً وهلم جرا لابن هشام الأنصاري تحقيق حسن الشاعر .
١٥٢ ـ رسالة في الصفات الاختيارية لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن جامع الرسائل تحقيق د/ محمد رشاد سالم مطبعة المدني القاهرة .
١٥٣ ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني لأبي جعفر المالقي تحقيق د/ أحمد الخراط دار القلم بيروت .
١٥٤ ـ رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لتاج الدين السبكي تحقيق عادل عبد الموجود عالم الكتب بيروت .
١٥٥ ـ الروح لابن القيم تحقيق بسام علي سلامة دار ابن تيمية الرياض .
١٥٦ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم السهيلي تحقيق عبد الرحمن الوكيل دار إحياء التراث العربي بيروت .
١٥٧ ـ روضة الطالبين لمحيى الدين النووي المكتب الإسلامي بيروت .

١٥٨ ـ الزاهـر في معـاني كلمات الناس لأبي بكر بن الأنباري تحقيق د/ حاتم الضامن مؤسسة الرسالة :

١٥٩ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني مكتبة المعارف الرياض .

١٦٠ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني مكتبة المعارف الرياض .

١٦١ ـ سمـط اللآلـئ لأبي عبيد البكري تحقيق عبد العزيز الميمني مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة .

١٦٢ ـ السـنة لأبـي بكـر ابن أبي عاصم تحقيق د/ فيصل الجوابرة الصميعي الرياض .

١٦٣ ـ السنن للدارقطني عالم الكتب بيروت .

١٦٤ ـ السنن للشافعي تحقيق د/ ملا خاطر دار القبلة الإسلامية جدة .

١٦٥ ـ سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد تحقيق محمد فؤاد دار إحياء التراث العربي بيروت وتحقيق على حسن الحلبي مكتبة المعارف الرياض .

١٦٦ ـ سنن أبي داود تحقيق محمد عوامة دار القبلة الإسلامية .

١٦٧ ـ سنن الترمذي تحقيق د/ بشار عواد دار الغرب الإسلامي بيروت .

١٦٨ ـ سـنن سـعيد بـن منصـور تحقـيق د / سـعد عـبد الله دار الصـميعي الرياض.

١٦٩ ـ السنن الكبرى تحقيق حسن عبد المنعم مؤسسة الرسالة بيروت .

١٧٠ ـ سـنن النسـائي لأبـي عـبد الـرحمن النسـائي دار إحياء التراث العربي بيروت .

١٧١ ـ السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي حيدر آباد الهند .

١٧٢ ـ سـير أعـلام النـبلاء للحافظ الذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت .

١٧٣ ـ شـذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي تحقيق محمود الأرناؤوط دار ابن كثير دمشق وطبعة المكتب التجاري للطباعة بيروت .

١٧٤ ـ شرح أبيات إصلاح المنطق للسيراني تحقيق ياسين السواس دبي .

١٧٥ ـ شـرح أدب الكاتـب لأبـي منصـور الجواليقي دار الكتـب العلمـية بيروت.

١٧٦ ـ شـرح أصـول اعـتقاد أهـل السـنة والجماعة للآلكائي تحقيق د/ أحمد حمدان دار طيبة الرياض .

١٧٧ ـ شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ عبد الرحمن السيد هجر للطباعة والنشر القاهرة .

١٧٨ ـ شرح جمل الزجاجي لابن خروف مطبوعات جامعة أم القرى .

١٧٨ ـ شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الإشبيلي تحقيق د/ صاحب أبو جناح بعداد .

١٧٩ ـ شرح حديث جبريل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق علي بخيت الزهراني دار ابن الجوزي .

١٨٠ ـ شرح ديوان الحماسة لأبي على المرزوقي نشرة أحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة .

١٨١ ـ شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي تحقيق محمد محي الدين مطبعة حجازي القاهرة .

١٨٢ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب دار الكتب المصرية .

١٨٣ ـ شرح السنة للبغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط المكتب الإسلامي بيروت .

١٨٤ ـ شرح شواهد المغني للسيوطي دار مكتبة الحياة بيروت .

١٨٥ ـ شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان لجلال الدين السيوطي طبعة عيسى الحلبي القاهرة .

١٨٦ ـ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تحقيق عبد الله التركي مؤسسة الرسالة بيروت .

١٨٧ ـ شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس تحقيق أحمد خطاب وزارة الإعلام العراق .

١٨٨ ـ شرح قصيدة بانت سعاد لكعب ابن زهير لابن هشام مكتبة مصطفى الحلبي القاهرة .

١٨٩ ـ شرح قواعد الإعراب لمحيي الدين الكافيجي تحقيق د/ فخر الدين قباوة دار طلاس دمشق .

١٩٠ ـ شرح الكافية للرضي تصحيح يوسف حسن عمر ليبيا بنغازي .

١٩١ ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق د/ عبد المنعم هريدي مطبوعات جامعة أم القرى .

١٩٢ ـ شرح مشكل الآثار للطحاوي تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة

الرسالة بيروت .
١٩٣ ـ شرح مطول التلخيص لسعد الدين التفتازاني مطبعة أحمد كامل تركيا.
١٩٤ ـ شرح معاني الآثار للطحاوي تحقيق محمد زهري دار الكتب العلمية بيروت .
١٩٥ ـ شرح مقامات الزمخشري تحقيق يوسف بقاعي دار الكتاب اللبناني بيروت .
١٩٦ ـ شرح مقامات السيوطي لجلال الدين السيوطي تحقيق د/ سمير الدروبي مؤسسة الرسالة بيروت .
١٩٧ ـ شرح المفصل لابن يعيش دار الطباعة المنيرية القاهرة .
١٩٨ ـ شرح المفصل في صنعة الإعراب لصدر الأفاضل الخوارزمي تحقيق د/ عبد الرحمن العثيمين مكتبة العبيكان الرياض .
١٩٩ ـ شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لمصنفها جمال أبي عمرو عثمان بن الحاجب دراسة وتحقيق جمال عبد العاطي مكتبة نزار مصطفى الباز مكة .
٢٠٠ ـ شرح المقدمة الجزولية الكبير لأبي علي الشلوبين تحقيق تركي بن سهو مكتبة الرشد الرياض .
٢٠١ ـ شرح المقدمة المحسنة لأبي الحسن بن بابشاذ تحقيق خالد عبد الكريم المطبعة العصرية الكويت .
٢٠٢ ـ شرح الملوكي في التصريف صنعه ابن يعيش تحقيق د/ فخر الدين قباوة المكتبة العربية بحلب .
٢٠٣ ـ شعب الإيمان لأبي بكر البيهقي تحقيق أبي هاجر بسيوني دار الكتب العلمية بيروت .
٢٠٤ ـ شعر ابن ميادة جمعه وحققه د/ : حنا جميل حداد مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
٢٠٥ ـ شعر أبي داود الإيادي ضمن دراسات في الأدب العربي تأليف : غوستاف فون ترجمة د/ محمد يوسف نجم بيروت .
٢٠٦ ـ شعر الكميت بن زيد الأسدي جمع د/ داود سلوم بغداد .
٢٠٧ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر دار المعارف القاهرة .
٢٠٨ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض دار الكتب العلمية بيروت .

٢٠٩ ـ شفاء العليل لابن القيم تحقيق عمر الحفيان مكتبة العبيكان الرياض .
٢١٠ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس القلقشندي وزارة الثقافة القاهرة
٢١١ ـ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار لمحمد بليهد .
٢١٢ ـ صحيح بن خزيمة لأبي بكر ابن خزيمة تحقيق مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي بيروت .
٢١٣ ـ صحيح البخاري للإمام البخاري ضبط د/ مصطفى البغا دار القلم بيروت .
٢١٤ ـ صحيح مسلم للإمام مسلم ابن الحجاج تحقيق محمد فؤاد دار الفكر بيروت .
٢١٥ ـ الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور دار العلم للملايين بيروت.
٢١٦ ـ الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية لتقي الدين إبراهيم بن الحسين تحقيق د/ فتحي والعائد مطبوعات جامعة أم القرى .
٢١٧ ـ الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين ابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر عيسى الحلبي القاهرة .
٢١٨ ـ ضعيف الجامع الصغير للشيخ الألباني المكتب الإسلامي بيروت .
٢١٩ ـ ضعيف سنن ابن ماجه للشيخ الألباني مكتبة المعارف الرياض .
٢٢٠ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي دار مكتبة الحياة بيروت .
٢٢١ ـ الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين عبد القادر الحنفي تحقيق عبد الفتاح الحلو مؤسسة الرسالة بيروت .
٢٢٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي تحقيق د/ محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو طبعة عيسى الحلبي القاهرة .
٢٢٣ ـ طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي تحقيق نور الدين شريبة دار الكتاب العربي القاهرة .
٢٢٤ ـ طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني تحقيق د/ عبد الغفور البلوشي مؤسسة الرسالة بيروت .
٢٢٥ ـ طبقات المفسرين لشمس الدين الداودي تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبة القاهرة .

٢٢٦ ـ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة .

٢٢٧ ـ العبر في أخبار من عبر للذهبي تحقيق د/ صلاح الدين المنجد وزارة الإعلام الكويت .

٢٢٨ ـ العجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر تحقيق عبد الحكيم الأنيس دار ابن الجوزي الدمام .

٢٢٩ ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي مطبعة السعادة القاهرة .

٢٣٠ ـ العزيز شرح الوجيز لأبي القاسم الرافعي دار الكتب العلمية بيروت .

٢٣١ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الفاسي المكي مطبعة السنة المحمدية القاهرة .

٢٣٢ ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني تحقيق د/ محفوظ الرحمن دار طيبة الرياض .

٢٣٣ ـ عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لمحمود العيني المطبعة المنيرية القاهرة .

٢٣٤ ـ عمل اليوم والليلة لابن السني تحقيق سليم الهلالي دار ابن حزم بيروت

٢٣٥ ـ عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران لبرهان الدين البقاعي تحقيق حسن حبشي دار الكتب المصرية .

٢٣٦ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة .

٢٣٧ ـ غريب الحديث لإبراهيم الحربي تحقيق د/ سليمان العائد مطبوعات جامعة أم القرى .

٢٣٨ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للشيخ الألباني المكتب الإسلامي

٢٣٩ ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري مطبعة السعادة القاهرة .

٢٤٠ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر المكتبة السلفية القاهرة

٢٤١ ـ الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي لعبد الرؤوف

المناوي تحقيق أحمد مجتبى دار العاصمة الرياض .

٢٤٢ ـ فردوس الأخبار للديلمي تحقيق السعيد بسيوني دار الكتب العلمية بيروت .

٢٤٣ ـ الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب تحقيق نجم خلف المكتبة القيمة القاهرة .

٢٤٤ ـ الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب البغدادي تحقيق عبد السميع الأنيس دار ابن الجوزي الدمام .

٢٤٥ ـ الفصول الخمسون لابن معطي تحقيق د/ محمود الطناحي عيسى الحلبي القاهرة .

٢٤٦ ـ الفصول في الأصول لأبي بكر الجصاص تحقيق د/ عجيل جاسم وزارة الأوقاف الكويت .

٢٤٧ ـ فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة لابن الضريس غزوة بدير دار الفكر دمشق .

٢٤٨ ـ فضائل القرآن لأبي بكر الفريابي تحقيق يوسف عثمان مكتبة الرشد الرياض .

٢٤٩ ـ فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد الهروي تحقيق أحمد عبد الواحد وزارة الأوقاف المغرب .

٢٥٠ ـ الفائق في غريب الحديث للزمخشري تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم عيسى الحلبي القاهرة .

٢٥١ ـ الفاخر للمفضل بن سلمة تحقيق عبد الحليم الطحاوي عيسى الحلبي القاهرة .

٢٥٢ ـ الفارق بين المصنف والسارق لجلال الدين السيوطي تحقيق الدكتور هلال ناجي عالم الكتب بيروت .

٢٥٣ ـ الفوائد : تأليف الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الرازي حققه حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة الرشد الرياض .

٢٥٤ ـ فوائد في مشكل القرآن للعز ابن عبد السلام تحقيق رضوان الندوي الكويت

٢٥٥ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت .

٢٥٦ ـ فهرس ابن خير الإشبيلي مطبعة قومس سرقسطة .
٢٥٧ ـ فهرس دار الكتب المصرية ملحق الجزء الأول .
٢٥٨ ـ الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط / مخطوطات التفسير وعلومه مؤسسة آل البيت الأردن .
٢٥٩ ـ الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط الفقه وأصوله مؤسسة آل البيت الأردن .
٢٦٠ ـ فهرس الكتب العربية المحفوظة في الكتبخانة الخديوية المصرية .
٢٦١ ـ فهرس مؤلفات السيوطي لجلال الدين السيوطي تحقيق يحيى محمود ساعاتي مجلة عالم الكتب المجلد الثاني عشر عدد ٢ وتحقيق سمير الدروبي مجلة مجمع اللغة الأردني عدد ٥٦
٢٦٢ ـ فهرس المكتبة الأزهرية مطبعة الأزهر .
٢٦٣ ـ فهرس مكتبة طويقي سراي تركيا .
٢٦٤ ـ القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لأبي بكر ابن العربي تحقيق د/ محمد عبد الله دار الغرب الإسلامي بيروت .
٢٦٥ ـ قطف الأزهار في كشف الأسرار لجلال الدين السيوطي تحقيق د/ أحمد الحمادي وزارة الأوقاف قطر .
٢٦٦ ـ قاعدة جامعة في توحيد الله لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ البصيري دار العاصمة الرياض .
٢٦٧ ـ قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق أشرف عبد المقصود دار أضواء السلف الرياض .
٢٦٨ ـ قاعدة عظيمة نافعة في العبادات لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق سليمان الحرش الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض .
٢٦٩ ـ كتاب الإبدال لابن السكيت تحقيق د/ حسين شرف مطبوعات مجمع اللغة العربية القاهرة .
٢٧٠ ـ كتاب أدب الإملاء والاسملاء لأبي سعد السمعاني تحقيق أحمد محمد محمود مطبعة المحمودية جدة .
٢٧١ ـ كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني تحقيق محمد يوسف مكتبة الخانجي القاهرة .
٢٧٢ ـ كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلى الخليلي تحقيق د/

محمد سعيد مكتبة الرشد الرياض .
٢٧٣ ـ كتاب إسفار الفصيح في شرح الفصيح لأبي سهل الهروي تحقيق أحمد بن سعيد مطبوعات الجامعة الإسلامية .
٢٧٤ ـ كتاب الأسماء والصفات لأبي بكر البيهقي تحقيق عبد الله الحاشدي مكتبة السوادي جدة .
٢٧٥ ـ كتاب الاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي طبعة بولاق القاهرة
٢٧٦ ـ كتاب الإغفال لأبي علي الفارسي مجلة جامعة أم القرى مجلد ١٢ عدد ٢٠.
٢٧٧ ـ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني دار الكتب المصرية القاهرة ودار الثقافة بيروت .
٢٧٨ ـ كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق د/ عبد المجيد قطامش مطبوعات جامعة أم القرى .
٢٧٩ ـ كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكر ابن الأنباري تحقيق محيي الدين رمضان مجمع اللغة العربية دمشق .
٢٨٠ ـ كتاب التحدث بنعمة الله لجلال الدين السيوطي تحقيق اليرابث المطبعة العربية الحديثة القاهرة .
٢٨١ ـ كتاب الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصبهاني تحقيق أبي هاجر بسيوني دار الكتب العلمية بيروت .
٢٨٢ ـ كتاب التكملة لأبي علي الفارسي تحقيق د/ كاظم المرجان بغداد .
٢٨٣ ـ كتاب التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل الهروي تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة التوحيد القاهرة .
٢٨٤ ـ كتاب التوحيد لابن خزيمة تحقيق د/ عبد العزيز الشهوان دار الرشد الرياض .
٢٨٥ ـ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد تأليف : الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده حققه وعلق عليه د/ علي محمد ناصر الفقيهي مطبوعات الجامعة الإسلامية .
٢٨٦ ـ كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم حيدر آباد الهند .
٢٨٧ ـ كتاب الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن الشيباني حيدر آباد

الهند.

٢٨٨ ـ كتاب الدعوات الكبير لأبي بكر البيهقي تحقيق بدر البدر الكويت .

٢٨٩ ـ كتاب ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني ليدن مطبعة بريل .

٢٩٠ ـ كتاب ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي دار الكتب المصرية القاهرة .

٢٩١ ـ كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب دار المعرفة بيروت .

٢٩٢ ـ كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عبد الصمد شرف الدين الهند .

٢٩٣ ـ كتاب الزهد للإمام أحمد تحقيق محمد السعيد بسيوني دار الكتاب العربي بيروت .

٢٩٤ ـ كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية بيروت .

٢٩٥ ـ كتاب الزهد الكبير للبيهقي تحقيق د/ تقي الدين الندوي دار القلم الكويت .

٢٩٦ ـ كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد تحقيق شوقي ضيف دار المعارف القاهرة .

٢٩٧ ـ كتاب السنة لعبد الله بن أحمد تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني رمادي للنشر الدمام .

٢٩٨ ـ كتاب شرح أشعار الهذليين صنعة السكري تحقيق عبد الستار فراج دار العروبة القاهرة .

٢٩٩ ـ كتاب الصلاة وحكم تاركها تأليف : الإمام ابن القيم الجوزية تحقيق تيسير زعيتر المكتب الإسلامي بيروت .

٣٠٠ ـ كتاب الصمت لابن أبي الدنيا تحقيق أبي إسحاق الحويني دار الكتاب العربي بيروت .

٣٠١ ـ كتاب الضعفاء لأبي جعفر العقيلي تحقيق حمدي عبد المجيد دار الصميعي الرياض .

٣٠٢ ـ كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة للأندلسي تحقيق د/ رجاء السيد مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية .

٣٠٣ ـ كتاب العلم لزهير بن حرب تحقيق الشيخ الألباني مكتبة المعارف

الرياض .

٣٠٤ ـ كتاب غريب الحديث لأبي عبيد الهروي تحقيق د/ حسين محمد مجمع اللغة العربية القاهرة .

٣٠٥ ـ كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي تحقيق عادل العزازي دار ابن الجوزي الدمام .

٣٠٦ ـ كتاب المجروحين من المحدثين لأبي حاتم ابن حبان تحقيق حمدي عبد المجيد دار الصميعي الرياض .

٣٠٧ ـ كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب تحقيق ياسين السواس مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق .

٣٠٨ ـ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة تحقيق عامر الأعظمي الدار السلفية الهند .

٣٠٩ ـ كتاب المصاحف لأبي بكر ابن أبي داود تحقيق محب الدين عبد سبحان وزارة الأوقاف ـ قطر .

٣١٠ ـ كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري طبع ضمن البلغة في شذور اللغة بيروت .

٣١١ ـ كتاب المطر والرعد والبرق والريح لابن أبي الدنيا تحقيق طارق محمد دار ابن الجوزي الدمام .

٣١٢ ـ كتاب المعجم لابن الأعرابي تحقيق عبد المحسن الحسيني دار ابن الجوزي الدمام

٣١٣ ـ كتاب معجم الشيوخ لأبي الحسين الصيداوي تحقيق عبد السلام تدمري مؤسسة الرسالة بيروت .

٣١٤ ـ كتاب معاني أبيات الحماسة للنمري تحقيق الدكتور عبد الله عسيلان مكتبة الخانجي القاهرة .

٣١٥ ـ كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني تحقيق د/ كاظم المرجان وزارة الثقافة العراق .

٣١٦ ـ كتاب المقفى الكبير لتقي الدين المقريزي تحقيق محمد اليعلاوي دار الغرب الإسلامي بيروت .

٣١٧ ـ كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني طبع بهامش الخزانة طبعة بولاق .

٣١٨ ـ كتاب المنتقى لابن الجارود تخريج أبي إسحاق الحويني دار الكتاب العربي بيروت .

٣١٩ ـ كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب تحقيق عبد السلام هارون مصطفى الحلبي القاهرة .

٣٢٠ ـ كتاب الموضوعات لابن الجوزي تحقيق د/ نور الدين شكري مكتبة أضواء السلف الرياض .

٣٢١ ـ كتاب نتائج المذاكرة لأبي القاسم علي بن منجب بتحقيق إبراهيم صالح دار البشائر دمشق .

٣٢٢ ـ كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري تحقيق محمد عبد القادر أحمد دار الشروق القاهرة .

٣٢٣ ـ كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين صفدي تحقيق مجموعة من المستشرقين دمشق .

٣٢٤ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار لنور الدين الهيثمي تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي مؤسسة الرسالة بيروت .

٣٢٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة .

٣٢٦ ـ الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف لجلال الدين السيوطي تحقيق جاسم المهلهل دار الدعوة الكويت .

٣٢٧ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري دار المعرفة بيروت

٣٢٨ ـ الكافي الشافي للحافظ ابن حجر مطبوع مع الكشاف المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .

٣٢٩ ـ الكافية الشافية لابن القيم مكتبة ابن خزيمة الرياض .

٣٣٠ ـ الكامل تأليف : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد حققه د/ محمد أحمد الدالي مؤسسة الرسالة بيروت .

٣٣١ ـ الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي الجرجاني دار الفكر بيروت .

٣٣٢ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية بيروت .

٣٣٣ـ اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري تحقيق غازي مختار دار الفكر بيروت .

٣٣٤ ـ لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت .
٣٣٥ ـ لطائف الإشارات لأبي القاسم القشيري تحقيق إبراهيم بسيوني دار الكتاب العربي القاهرة .
٣٣٦ ـ ليس في كلام العرب لابن خالويه تحقيق د/ ديزيرة دار الفكر العربي بيروت .
٣٣٧ ـ المؤتلف والمؤتلف للآمدي تحقيق عبد الستار فراج عيسى الحلبي القاهرة .
٣٣٨ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير الجزري تحقيق د/ بدوي طبانة دار الرفاعي الرياض .
٣٣٩ ـ مجلة الجامعة الإسلامية عدد ٧٧
٣٤٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي تحقيق عبد الله درويش دار الفكر بيروت
٣٤١ ـ مجموع أشعار العرب ديوان رؤبة بن الحجاج تصحيح وليم برلين
٣٤٢ ـ المجموع شرح المهذب للنووي تحقيق محمد نجيب المطيعي مكتبة الإرشاد جده
٣٤٣ ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني تحقيق د/ عبد الكريم العزباوي مطبوعات جامعة أم القرى .
٣٤٤ ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سزكين مكتبة الخانجي القاهرة .
٣٤٥ ـ المجيد في إعراب القرآن المجيد لإبراهيم السفاقسي تحقيق موسى محمد مطبوعات كلية الدعوة الإسلامية ليبيا .
٣٤٦ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني تحقيق على النجدي ناصف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .
٣٤٧ ـ محجة القرب إلى محبة العرب للحافظ العراقي تحقيق عبد العزيز عبد الله دار العاصمة الرياض .
٣٤٨ ـ المحلى لابن حزم تحقيق أحمد محمد شاكر المكتب التجاري بيروت .
٣٤٩ ـ مختصر زوائد مسند البزار للحافظ ابن حجر تحقيق صبري عبد الخالق مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .
٣٥٠ ـ المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي تحقيق محمد الأعظمي دار أضواء السلف الرياض .

٣٥١ ـ مدارج السالكين لابن القيم تحقيق الدكتور كمال جعفر دار الكتب المصرية القاهرة .

٣٥٢ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي تحقيق جاد المولى / عيسى الحلبي القاهرة .

٣٥٣ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم حيدر آباد الهند .

٣٥٤ ـ المستصفي من علم الأصول للغزالي تحقيق حمزة زهير مطبوعات الجامعة الإسلامية .

٣٥٥ ـ مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر أحمد المروزي تحقيق شعيب الأرناؤوط المكتب الإسلامي .

٣٥٦ ـ المسند لأبي داود الطيالسي تحقيق محمد عبد المحسن التركي دار هجر القاهرة

٣٥٧ ـ المسند للحميدي تحقيق حسين أسد مكتبة المغني الرياض .

٣٥٨ ـ مسند أحمد تحقيق شعيب الأرناؤوط وزملاؤه مؤسسة الرسالة بيروت.

٣٥٩ ـ المسند لأبي يعلى الموصلي تحقيق حسين أسد دار المأمون دمشق .

٣٦٠ ـ مسند البزار لأبي بكر البزار تحقيق د/ محفوظ الرحمن مكتبة العلوم والحكم المدينة .

٣٦١ ـ مسند الشافعي تصحيح ومراجعة السيد يوسف علي دار الكتب العلمية بيروت .

٣٦٢ ـ مسند عبد بن حميد لعبد بن حميد تحقيق أبي عبد الله مصطفى دار الأرقم الكويت وطبعة أخرى بتحقيق صبحي السامرائي مكتبة السنة القاهرة .

٣٦٣ ـ المسائل البصريات لأبي علي الفارسي تحقيق د/ محمد الشاطر مطبعة المدني القاهرة .

٣٦٤ ـ المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق د/ محمد كامل مطبوعات جامعة أم القرى .

٣٦٥ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري تحقيق على حسن الحلبي مكتبة المعارف الرياض طبع في حاشية ابن ماجه .

٣٦٦ ـ مصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي .

٣٦٧ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر طبعة

مؤسسة قرطبة القاهرة وطبعة دار العاصمة الرياض .

٣٦٨ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي تحقيق إحسان عباس دار الغرب الإسلامي بيروت .

٣٦٩ ـ المعجم الأوسط للطبراني تحقيق طارق بن عوض الله دار الحرمين القاهرة .

٣٧٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر بيروت .

٣٧١ ـ معجم الصحابة لأبي الحسن قانع تحقيق أبي عبد الرحمن المصرائي مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة .

٣٧٢ ـ معجم الصحابة لأبي القاسم البغوي تحقيق محمد الشنقيطي الكويت .

٣٧٣ ـ المعجم الصغير للطبراني صححه عبد الرحمن عثمان المكتبة السلفية المدينة المنورة .

٣٧٤ ـ المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبد المجيد وزارة الأوقاف العراق.

٣٧٥ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة بيروت .

٣٧٦ ـ المعجم المختص للإمام الذهبي تحقيق د/ محمد الحبيب الهيلة مكتبة الصديق الطائف .

٣٧٧ ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها تأليف أحمد مطلوب المجمع العلمي العراقي .

٣٧٨ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس مكتبة يوسف سركيس القاهرة .

٣٧٩ ـ معجم المفسرين لعادل نويهض مؤسسة نويهض الثقافية.

٣٨٠ ـ المعجم المفهرس للحافظ ابن حجر تحقيق محمد شكور مؤسسة الرسالة بيروت .

٣٨١ ـ معرفة السنن والآثار لأبي بكر البيهقي تحقيق عبد المعطي قلعجي دار الوعي حلب

٣٨٢ ـ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق عادل العزازي دار الوطن الرياض

٣٨٣ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي تحقيق أحمد خان مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات .

٣٨٤ ـ معاني القرآن للأخفش مكتبة الخانجي القاهرة .

٣٨٥ ـ معاني القرآن لأبي زكريا الفراء تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي الهيئة العامة المصرية للكتاب .

٣٨٦ ـ معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج تحقيق د/ عبد الجليل شلبي عالم الكتب بيروت .

٣٨٧ ـ معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي تحقيق محمد علي النجار مكتبة الخانجي القاهرة .

٣٨٨ ـ المغرب في ترتيب المعرب لناصر الدين المطرزي تحقيق محمود فاخوري مكتبة أسامة بن زيد حلب .

٣٨٩ ـ المغني لابن هشام تحقيق علي حمد الله دار الفكر بيروت .

٣٩٠ ـ المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار للحافظ العراقي اعتنى به أشرف عبد المقصود مكتبة دار طبرية الرياض .

٣٩١ ـ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني تحقيق صفوان الداودي دار القلم بيروت .

٣٩٢ ـ مفتاح العلوم للسكاكي دار الكتب العلمية .

٣٩٣ ـ المفصل في علم العربية للزمخشري دار الجيل بيروت .

٣٩٤ ـ المقتضب للمبرد تحقيق د/ محمد عضيمة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .

٣٩٥ ـ مقدمة جامع التفسير للراغب الأصبهاني تحقيق د/ أحمد فرحات دار الدعوة الكويت .

٣٩٦ ـ مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ عدنان زرزور دار القرآن الكريم الكويت .

٣٩٧ ـ المقاصد الحسنة للسخاوي صححه عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة الخانجي .

٣٩٨ ـ مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي تحقيق د/ سعاد سليمان مطبعة المدني القاهرة .

٣٩٩ ـ الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي تحقيق د/ فخر الدين قباوة دار المعرفة بيروت .

٤٠٠ ـ منتقى من السفينة البغدادية لأبي طاهر السلفي تحقيق أبي عبد الباري

الجزائري دار ابن حزم الرياض .

٤٠١ ـ المنجم في المعجم لجلال الدين السيوطي تحقيق إبراهيم باجس دار ابن حزم بيروت .

٤٠٢ ـ المنهج الأحمد في تراجم الأصحاب الإمام أحمد للعليمي تحقيق محمود الأرناؤوط دار صادر بيروت .

٤٠٣ ـ مناقب الشافعي لأبي بكر البيهقي تحقيق السيد أحمد صقر دار التراث القاهرة

٤٠٤ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي تحقيق محمد علي البجاوي عيسى الحلبي القاهرة .

٤٠٥ ـ نتائج الفكر للسهيلي تحقيق محمد البنا جامعة قاريونس ليبيا .

٤٠٦ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات ابن الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة المدني القاهرة .

٤٠٧ ـ نسب عدنان وقحطان للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمني دار الكتب المصرية

٤٠٨ ـ نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد لعثمان الدارمي تحقيق د/ رشيد بن حسن مكتبة الرشد الرياض .

٤٠٩ ـ النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي تحقيق خضر محمد خضر وزارة الأوقاف الكويت .

٤١٠ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق د/ محمود الطناحي عيسى الحلبي القاهرة .

٤١١ ـ نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول للحكيم الترمذي المكتبة العلمية المدينة المنورة .

٤١٢ ـ الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك لأبي جعفر النحاس تحقيق سليمان اللاحم مؤسسة الرسالة بيروت .

٤١٣ ـ نواسخ القرآن لابن الجوزي تحقيق حسين أسد دار الثقافة العربية دمشق .

٤١٤ ـ هذه مفاهيمنا تأليف صالح آل الشيخ .

٤١٥ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي دار الكتب العلمية بيروت .

٤١٦ ـ الوسيط في المذهب للغزالي أحمد محمود إبراهيم دار السلام للطباعة

القاهرة
٤١٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس ابن خلكان تحقيق د/ إحسان عباس دار صادر بيروت .
٤١٨ ـ وقائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي تحقيق محمد مصطفى الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٤١٩ ـ كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام لفخر الإسلام البزدوي دار الكتاب العربي بيروت .
٤٢٠ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تأليف : أبو منصور الثعالبي شرح وتحقيق د/ مفيد محمد دار الكتب العلمية بيروت .

فهرس الموضوعات